

كتاب الساق على الساق في مله والفرامق

ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام

تأليف العبد الفقير الى ربه الزقاق فارس بن موسى الشدياق

تأليف زيد وهند في زمانك ذا اشهى الى الناس من تأليف سفرين
ودرس نورين قد شدوا الى قرن اقنى وانفع من تدريس حبرين

طبعه بنفقته العبد الفقير الى رحمة ربه الموقى رافائيل كحلا الدمشقى
وذلك في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية ١٢٧٠ هجرية

LA VIE ET LES AVENTURES

DE FARIAC

RELATION DE SES VOYAGES

AVEC SES OBSERVATIONS CRITIQUES

SUR LES ARABES ET SUR LES AUTRES PEUPLES

Par FARIS EL-CHIDIAC

PARIS

BENJAMIN DUPRAT, LIBRAIRE DE L'INSTITUT,

DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE, DES SOCIÉTÉS ASIATIQUES DE PARIS, DE LONDRES, DE MADRAS
ET DE CALCUTTA, &c.

Rue du Cloître-Saint-Benoît, n° 7.

1855

LIBRAIRIE G. P. MAISONNEUVE

198, Boulevard St-Germain, PARIS (VII^e)



كتاب
الساوت على الساوت
في ما هو الفاريق

Montmartre. — Typographie de PILLOY et Comp.

كتاب الساق على الساق في مله والنارياق

أيام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام

تأليف العبد الفقير الى ربه الرزاق فارس بن يوسف الشدياق

تأليف زيد وهند في زمانك ذا اشهى الى الناس من تأليف سفرين
ودرس نورين قدشدًا الى قرن اقنى وانفع من تدريس جبرين

طبعه بنفقتة العبد الفقير الى رحمة ربه الموقى رافايل كحلا الدمشقى
وذلك في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية ١٢٧٠ هجرية



LA VIE ET LES AVENTURES

DE FARIAC

RELATION DE SES VOYAGES

AVEC SES OBSERVATIONS CRITIQUES

SUR LES ARABES ET SUR LES AUTRES PEUPLES

Par FARIS EL-CHIDIAC

— — — — — *El-Sadiq* — — — — —

PARIS

BENJAMIN DUPRAT, LIBRAIRE DE L'INSTITUT,

DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPERIALE, DES SOCIÉTÉS ASIATIQUES DE PARIS, DE LONDRES, DE MADRAS
ET DE CALCUTTA, etc.

Rue du Cloître-Saint-Benoît, n° 7.

1855

LIBRAIRIE G. P. MAISONNEUVE

138, Boulevard St-Germain, PARIS (VII^e)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ

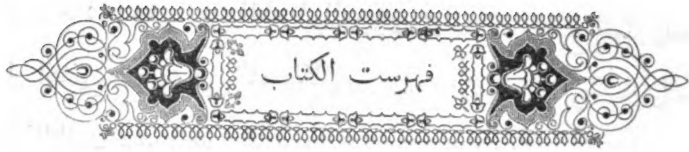
قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى

مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ

وَعَلَى مَنْ يُؤْتِيهِمْ

مِنْ فَضْلِكَ



صفحة	
ز	اهدآ هذا الكتاب البديع *
ا	تنبيه من المؤلف *
vii	مقدمة لناشر هذا الكتاب *
ا	فاتحة الكتاب *

الكتاب الاول

٦	في اثاره رباح وفيه مولد الفاريابي *	الفصل الاول
١٨	في انتكاسة حاقيه وعمامة واقية *	الفصل الثاني
٢٢	في نوادر مختلفة *	الفصل الثالث
٢٨	في شرور وطنبور *	الفصل الرابع
٣٣	في قسيس وكيس وتحليس وتلحيس *	الفصل الخامس
٤١	في طعام والتهام *	الفصل السادس
٤٥	في حمار نهاق وسفر واخفاق *	الفصل السابع
٤٩	في خان واخوان وخوان *	الفصل الثامن
٥٤	في محاورات خانية ومناقشات حانية *	الفصل التاسع

(RECAP)

2254
87678
381

7-17-2024
Opant

٦١	الفصل العاشر	فى اغصاب شوافن وانشاب برائن *
٦٨	الفصل الحادى عشر	فى الطويل العريض *
٧٥	الفصل الثانى عشر	فى الكلة واكال *
٨٣	الفصل الثالث عشر	فى مقامة *
٨٩	الفصل الرابع عشر	فى سر *
٩٤	الفصل الخامس عشر	فى قصة القسيس *
١٠٠	الفصل السادس عشر	فى تمام قصة القسيس *
١١٠	الفصل السابع عشر	فى الثلج *
١١٥	الفصل الثامن عشر	فى النحاس *
	الفصل التاسع عشر	فى الحس والحركة وفيه نواح الفاريق وشكواه
١٢٩		وفيه ايضا عرض كاتب الحروف *
١٢٥	الفصل العشرون	فى الفرق بين السوقيين والخرجيين *

الكتاب الثانى

١٤٩	الفصل الاول	فى دحرجة جلمود *
١٦٥	الفصل الثانى	فى سلام وكلام *
١٧٧	الفصل الثالث	فى انتقلاع الفاريق من الاسكندرية *
١٨٨	الفصل الرابع	فى منصّة دونها غصّة *
١٩٨	الفصل الخامس	فى وصف مصر *

صفحة	ج -	
٢٠٣	في لاشى *	الفصل السادس
—	في وصف مصر *	الفصل السابع
٢٠٦	في اشعار انه انتهى وصف مصر *	الفصل الثامن
٢١٢	فيما اشرت اليه *	الفصل التاسع
٢١٦	في طبيب *	الفصل العاشر
٢٢٠	في انجاز ما وعدنا به *	الفصل الحادى عشر
٢٢٥	في ابيات سرية *	الفصل الثانى عشر
٢٣١	في مقامة مقعدة *	الفصل الثالث عشر
٢٣٧	في تفسير ما غص من الفاظ هذه المقامة ومعانيها *	الفصل الرابع عشر
٢٨٦	في ذلك الموضع * 	الفصل الخامس عشر
٢٨٧	في ذلك الموضع بعينه *	الفصل السادس عشر
٣٢٣	في رثاء حمار *	الفصل السابع عشر
٣٢٩	في الوان مختلفة من المرض *	الفصل الثامن عشر
٣٣٣	في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب *	الفصل التاسع عشر
٣٣٨	في معجزات وكرامات *	الفصل العشرون

الكتاب الثالث

٣٤٣	في اصرام اتون *	الفصل الاول
٣٦٥	في العشق والزواج وفيه القصيدتان الطيختان *	الفصل الثانى

الفصل الثالث في العدوى *

الفصل الرابع في التورية *

الفصل الخامس في سفر وتصحيح غلط اشتهر *

الفصل السادس في وليمة وابازير متنوعة *

الفصل السابع في الحرّنة *

الفصل الثامن في الاحلام وتعبيرها *

الفصل التاسع في الحلم الثاني *

الفصل العاشر في الحلم الثالث *

الفصل الحادي عشر في اصلاح البخار *

الفصل الثاني عشر في سفر ومحاورة *

الفصل الثالث عشر في مقامة مقيمة *

الفصل الرابع عشر في جوع ديقوع دهقوع *

الفصل الخامس عشر في السفر من الدير *

الفصل السادس عشر في النشوة *

الفصل السابع عشر في الحصى على التعرى *

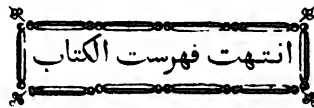
الفصل الثامن عشر في بلوعة *

الفصل التاسع عشر في عجائب شتى *

الفصل العشرون في سرقة مطرانية *

الكتاب الرابع

صفحة		
٥١٤	في اطلاق بحر *	الفصل الاول
٥٢٥	في وداع *	الفصل الثانى
٥٣٥	في استرحامات شتى *	الفصل الثالث
٥٤١	في شروط الرواية *	الفصل الرابع
٥٤٧	في فضل النساء وفيه وصف لندن عن الفارياب *	الفصل الخامس
٥٥٣	في محاوراة *	الفصل السادس
٥٦٠	في الطباق والتنظير *	الفصل السابع
٥٦٧	في سفر معجل وهينوم عقمى رهبل *	الفصل الثامن
٥٧٤	في الهيئة والاشكال *	الفصل التاسع
٥٨٢	في سفر وتفسير *	الفصل العاشر
٥٨٨	في ترجمة ونصيحة *	الفصل الحادى عشر
٥٩٧	في خواطر فلسفية *	الفصل الثانى عشر
٦٠٦	في مقامة ممشية *	الفصل الثالث عشر
٦١١	في رثاء ولد *	الفصل الرابع عشر
٦١٨	في الجداد *	الفصل الخامس عشر
٦٢٤	في جور الانكليز *	الفصل السادس عشر
٦٣٣	في وصف باريس *	الفصل السابع عشر
٦٤٤	في شكاة وشكوى *	الفصل الثامن عشر





الحمد لله

لما جرت عادة المؤلفين من الافرنج ان يهدوا مولفاتهم الى من تميّز في عصرهم بالفضائل والمحامد ورويت عنه مآثر جليلة في اكرام العلم واهله رايت هنا ان احذو حذوهم في اهدآ هذا الكتاب البديع الى الجنب المكرم الخواجا بطرس يوسف حوّا المقيم بلندرة اذ كان قد اتصف في عصرنا هذا بالمزايا الحميدة التي يتحلّى بها مدح كل مطرئ وقول كل مؤلف وهو الان كبير هذا البيت المشهور من قديم الزمان بالحسب والفخر ورفعة القدر وكثيرا ما اعان على تحصيل الفضائل وامدّ بنى جنسه وغيرهم بما افازهم بمنتهى الامال وادرك بهم متناى الاوطار فانثوا عنه حامدين وعلى آله شاكرين هذا وان يكن مقامه الكريم يجعل عن بعض جمل في الكتاب لكنه في الجملة جدير بان يختص به فالمرجو منه قبوله واجازته وترويجه واجازته فان الحقير بالانتماء اليه يعود جليلا والناقص يكتسب تكميلا *

من الداعي لجنبه
فارس الشدياق

والانبساط نحو الابتجاج والبداح والبراح والابطح ولا بلنداح والجحج والرحرح
والمرتدح والروح والتركح والتسطيح والمسفوح والمسحج في قولهم ان فيه
لَمَسْمَحًا اى متسعا والساحة والانسياح والشُدحة والشرح والصفحة والصلح
والاصلنطاح والمصلفح والطح والمفرطح والفسح والفتح والفلطحة الى آخر
الباب * ويلاحظ به الفاظ كثيرة خفية الاتصال لا تدرك الا بامعان النظر
نحو الاسجاح والتسريح والسماحة والسحج * ومن خصائص حرف الدال
اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخذاة والتيد والثاد والشعد والمثعد
والمثغد والثوهد والشهمد والخبنداة والخود والرادة والرُخودة والرهادة
والعبرد والفرهد والاملود والفلهود والقرهد والقشدة والماد والمرد والمغد
والمَلَد الى اخر الباب * ويلاحظ به من الامور المعنوية الرغد والسرهددة والمجد
وغير ذلك * وربما عادلوا في بعض الحروف اى راعوا فيها الاكثار من
النقيض فان حرف الدال يشتمل ايضا على الفاظ كثيرة تدل على الصلابة
والقوة والشدّة * وذلك نحو التادد والتاكيد والتاييد والجلعد والجلمد
والجمد والحديد والسجدد والسجدود والسهمد والتشدد والصفد والصلد
والصلخد والصفغد والعجبد والتعجلد والعرد والعربة والعرقدة والعصلد
والعطود والعطرّد والعد الى آخره * ومن خصائص حرف الميم القطع
والاستئصال والكسر نحو اَرَمَ وَاَرَمَ وَاَرَمَ وَاَرَمَ وَاَرَمَ وَاَرَمَ وَاَرَمَ
وحذم وحذلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخزم وخضم الى اخر

الباب * ويلحق به من الامور المعنوية حَمَ الامر اى قضى وحرم وحتم
وحزم فان معنى القطع ملحوظ فيها * ويكثر فى هذا الحرف ايضا معنى
الظلام والسواد * ومن خصائص حرف الهاء الحمق والغفلة والرت. اى قلة
الفتنة نحو اَلِهْ وَاَمِهْ وبله والْبُوْهَة وتنفه والتَّوْه والدله والسَبْه وسُدْه لغة
فى دُهْش او مقلوب منه وَتَبِهْ وَعَلِهْ وعمه ونمه ووَرِهْ وقس على ذلك سائر
الحروف * ومن هذا الغريب ايضا كون بعض الصيغ يختص بمعنى من
المعاني نحو اجرهَتْ واسمهرَتْ وكل ذلك مشار اليه فى هذا الكتاب فينبغى
التفطن له * وقد طالعت كتاب المزهري فى اللغة للامام السيوطى رحمه مما
ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الامام اللغوى ابن فارس فلم اجده
تعرض لهذا النوع بل ربما اورد من الخصائص احيانا ما لا ينبغى ايراده
كجعله مثلا اطلاق لفظة الحمار على البليد منها * ومن ذلك الغريب
النوادر من الالفاظ وذلك نحو قولى اكهى فى صفة الرجل المتشققوف
من البرد قال فى القاموس اكهى سَخَن اطراف اصابعه بِنَفْسٍ * ونحو
العنقاش الذى يطوف فى القرى يبيع الاشياء * والضوطار وهو من يدخل
السوق بلا راس مال فيحتال للكسب * والذُابة اى بقية الدين * وثرمل
يقال ثرمل الطعام لم يحسن اكله فانتشر على لحيته وفيه * ويتكظكظ وهو ان
ينتصب الانسان عند الاكل قاعدا كلما امتلا بطنه * ونحو الجلهزة والتلحز
والوذم والارغال وغير ذلك مما فُسر بعضه وترك الباقي فرارا من تكبير

جزم الكتاب * ولامر الثاني ذكر محامد النساء. ومذامهن فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعارف بحسب اختلاف الاحوال عليها كما يظهر مما اثرت عن الفارياقية * فانها بعد ان كانت لا تفرق بين لامرد والمخلوق اللحية وبين البحر الملح وبحر النيل تدرجت فى المعارف بحيث صارت تجادل اهل النظر والخبرة وتنتقد الامور السياسية والاحوال المعاشية والمعادية فى البلاد التى راتها احسن انتقاد * فان قيل انه قد نقل عنها الفاظ غريبة غير مشهورة لا فى التخاطب ولا فى الكتب فلا يمكن ان تكون قد نطقت بها * قلت ان النقل لا يلزم هنا ان يكون بحروفه وانما المدار على المعنى * ومن تلك المحامد ايضا حركات النساء الشائقة وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصور منها شى الا وذكرته فى هذا الكتاب لا بل قد اودعته ايضا معظم خواطرهن وافكارهن وكل ما اختص بهن *





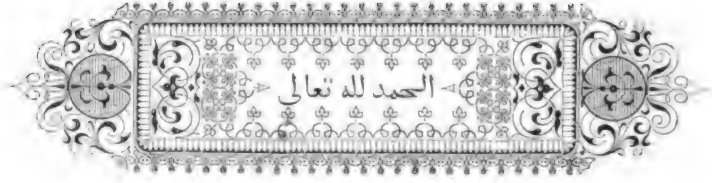
الحمد لله تعالى على ما اسبغ من نعمه علينا ووالى وبعد فيقول العبد
الفقير الى رحمة ربه الحافظ الموقى رافائيل كحلا الدمشقى انى لما
طالعت هذا الكتاب المسمى بالساق على الساق رايت قد اشتمل على
فوائد جزيلة من سرد الفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس بأسلوب
رائق معجب وتمهيد شائق مطرب وخصوصا لاشتماله على اخص ما
يلزم معرفته من كالات والادوات واستيفائه لجميع اصناف الماكول
والمشروب والمشموم والملبوس والمفروش والمركوب والحلى والجواهر
مما لم يوجد فى كتاب غيره على هذا النمط وما أغفل من تلك الاشياء
فى بابه وهو قليل فقد ذكره المؤلف فى الجدول المبين للالفاظ المترادفة وقد
رأيت من محاسن هذا الكتاب ايضا انه اشتمل على نشر ونظم وخطب
ومقامات وملاحظات حكيمية وانتقادات فلسفية ومطارحات وكنائيات
وتوريبات وتوريات ومحاورات وعبارات مضحكة كيلا يمل القارى من
مطالعه المرة بعد المرة * فمن ملح تلك المحاورات ما ذكر فى الفصل

التاسع من الكتاب الاول وفي الفصل الثامن عشر والعشرين من الكتاب الثالث وفي الفصل الثاني من الكتاب الرابع وفي الفصل السادس منه وفي الفصل العاشر وفي غيره ومن الكنايات ما ذكر في الفصل الثامن عشر من الكتاب الاول وفي الفصل العشرين وفي خطبة الكتاب الثاني وفي الفصل الخامس منه وفي واضع اخرى كثيرة فاما التوريات فانها لا تكاد تحصى كثرة فالمرجو من مطالعه ان يتصفحه بروية واعمال نظريتين خفي ما اودع في فصوله المفصلة من النكات والمحاسن * ومن محاسنه ايضا انه اذا ذكر شيئا استوفى كل ما امكن ان يقال فيه وراعى النظر له من جميع طرقه وبالعجالة فاني اتجاسر على ان اقول ان المؤلف قد فتح باب هذا الاسلوب الغريب في التاليف ثم ما لبث ان قفله فلا يمكن تحديده من بعده لان الكتاب انطوى على اشهر ما يروم القارى معرفته من غرائب اللغة * هذا ولما رايت ما فيه من جم الفوائد الادبية والنوادر اللغوية وثبت لدى انه يكون مقبولا لدى اهل العلم والذوق الصحيح استخرت الله في طبعه واشتهاره ليعم نفعه ويسهل تحصيله فاما ما يظهر منه في بادى الامر من الاساءة في حق اشخاص صرح المؤلف باسمائهم فقد كنت اود لو ان هذه الاسماء لم تكن شيئا مذكورا الا انه اشترط على قبل الشروع في الطبع ان لا انقص منه شيئا كما انه اشترط ذلك ايضا على جميع القارئين واليه اشار في الفاتحة بقوله او ترتأى استعماله

محذوفاً * فرايت ان قليل اللّوم الذى ينشأ عن اثبات تلك الاسماء
بالنسبة الى كثرة الفوائد التى تتحصل منه غير مانع من اشتهاره
وقبوله فدروكه ايها المطالع تحفة مبتكرة لم يسبق اليها وهدية نفيسة
يجب الحرص عليها فامعن عند تلاوتها النظر وادم عليها الفكر لتبرز لك
محجّاب معانيها وتنجلى عليك مُخجّيات مبانيها ولا تعاملها معاملة ما
سواها مما قد اشتهر فانها بدّع عزّ عن ان ينظر * ثم انا نعتذر اليك عن
بعض غلطات وقعت فى الطبع غالبها مقصور على شكل الفاظ غير مشهورة
على انها قليلة جداً ولا توجد فى جميع النسخ المطبوعة فانا تداركنا بعضها
بالاصلاح وقلّ ان يوجد كتاب فى غريب اللغة خالياً من ذلك فالمامل
من كرمك ان تقابلها على جدول التصحيح وتصلحها بالقلم والمولف
معتزف بالقصور ولا عتراض يححو لا قتراف وليس الكامل الا الله وحده ومنه
نستمد المغفرة والمعونة *



a



فاتحة الكتاب

-٤٥٥٥٤-

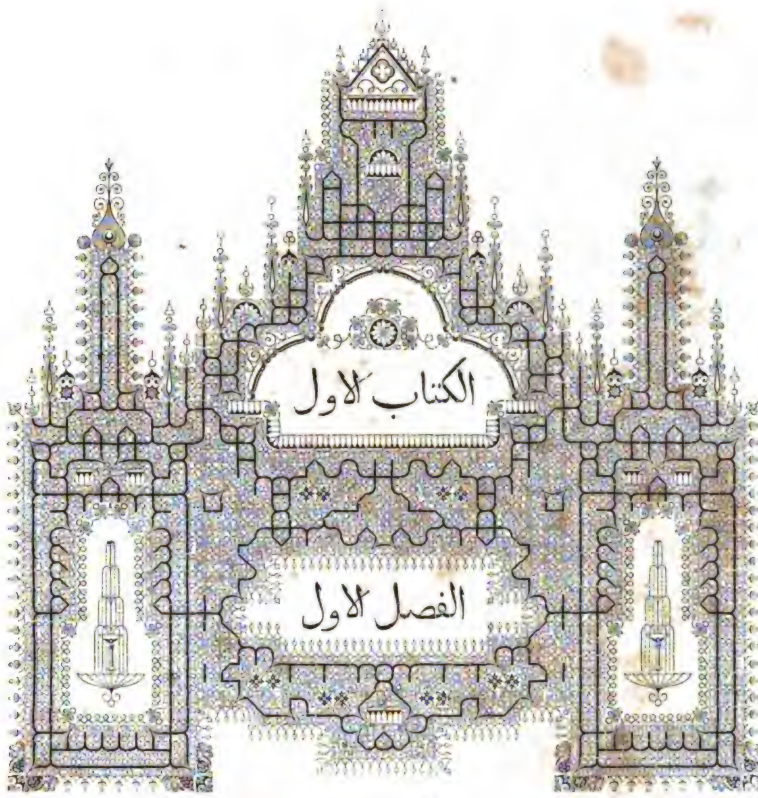
هذا كتابي للطريف طريفا طُلِقَ اللسان والسُخيف سخيفا
اودعته كُلِّما والفاظا حلت وحشوته نقطاً زهت وحروفا
وبداهةً وفكاهةً ونزاهةً وخلاعةً وقناعةً وعُزُوفاً
كالجسم فيه غيرُ عُصْبٍ تعشق المستور منه وتحمد المكشوفاً
فصلته لكن على عقلى فما مقياس عقلك كان لى معروفاً
تقرته بمحافر الافكار كي يسع الكلام وسُمته تجويفاً
لفقته وخصفته بيدي فقل نَعَمْ الكتابُ ملفّقاً مخصوفاً
افرغت فيه كل حبرٍ راقه وله بريت من اليراع الوفا
وكانما بيدي قد نَمَقْتَه حتى اتى مستحكما مرصوفاً
الفته والليل اسود حالك فلذاك جاءَ مسخّماً مسجوفاً
تبَلَّته لك دون طاهى القوم بالرّ بَلاتِ فهى تنزيل منك خُلوفا
وتُصَحِّح ما بك من طُلاطِلةً ومن ضَرَسٍ فتَلَقَّم بعد ذاك الفوفا
يُغْنِيكَ عن مِئين الطيب وسَحْلَه ما من جراه تخازم الحثروفا
قد انبتت عُصْرَاءَ ارض سطورَه روضاً وجَنَابَ ترووق وريفا

فتشمت منها عَرَفَ كل رِبْحَلَة دَهْسَاءَ يفتن حَسَنها الغَطْرِيفَا
وتَرى المَلْعَطَة الشَّطَا بجنبها والفَارِض القِرْطَاس والسَّرْعُوفَا
وورَآهَا وامَامَهَا مُرْمُورَة وَغُرَانِقُ مَا ان تَزَال أَنُوفَا
وَإِذَا بَدَت لَكَ مِنْ خِلَالِ حُرُوفِهِ رُذُحٌ وَثَائِرٌ فَاخْطِبَنَّ رُشُوفَا
فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْمُونَةِ وَاسْتَقْلَا مَتَّ وَجَدْتَ فِي عَقَابِهَا هَيْفَا
فَاخْتَرْ هَذَاكَ اللَّهُ مَا تَهْوَى وَلَا تَتَرَاخَ عَنْ أَنْ تُدْرِكَ الحُرُوفَا
غَيْرِي مِنَ الوَصَافِي فِي ذَا صَنَفَا لَكُنْهُمْ لَمْ يَحْسِنُوا التَّصْنِيفَا
إِذَا كَانَ مَا قَالُوهُ مَبْتَذَلًا وَلَمْ يَتَقَصَّ مِنْهُمْ وَاصِفٌ مُوصُوفَا
لَكِنْ كِتَابِي أَوْ أَنَا بِخِلَافِ ذَا نَكْفِي الحَقِيقَةَ الحَدَّ والتَّعْرِيفَا
لَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَرَى صَنَعُوا لَنَا فِي فَنِّنَا وَحَرِيفَا
فَهُوَ الِيتِيمُ الْمُسْتَحِيلُ إِخَاوَهُ وَهُوَ الْفَرِيدُ فَكُنْ عَلَيْهِ عَطُوفَا
الْفَضْلُ لِي وَلِصَاحِبِ الْقَامُوسِ إِذَا مِنْ لُجَّةِ قَوْلِي غَدَا مَغْرُوفَا
حَبَلْتُ بِهِ رَأْسِي خِلَافًا لِلنَّسَا عَامَا وَكُلِّ الْعَامِ كَانَ خَرِيفَا
لَكِنْ تَوَلَّدَ فِي ٣٠ أَشْهُرٍ وَجَبَا عَلَى عَجَلٍ وَشَبَّ لَطِيفَا
لَمْ أَدْرِ هَلْ رَجَلْتُهُ أَوْ مَخْطَطُهُ أَوْ بَصَقْتُهُ أَوْ الْقَتْلُ ثُمَّ كُنِيفَا
عَانَيْتُ فِيهِ مِنَ الزَّحِيرِ أَجَارَكَ السَّمُولَى عَنَاءَ لَا يُكَالُ جَزِيفَا
وَقَطَعْتُ سُرَّتَهُ عَلَى أَهْلِ الْحَجَى وَعَلَى أَسْمِهِمْ لَا يَبْرَحُنَّ مَوْقُوفَا
مَا كَانَ مِنْ ظَنَرِهِ عِنْدِي سَوَى فَكَّرِي وَمَعَ ذَا خَلَّتْهُ مَسْرُوفَا
قَدَّمَا عَلَيْهِ تَوَجَّتْ نَفْسِي وَلَمْ يَكْ شَوْقَهَا عَنْ نَحْوِهِ مَصْرُوفَا
وَرَشَحْتُ لَذَاتِ قُبَيْلِ نَتَاجِهِ حَتَّى إِذَا بَاشَرْتُ عَدْتَ نَشُوفَا
أَوْلَدْتُ لِي وَلَدَيْنِ لَا لَكَ ثُمَّ ذَا لَكَ ثَالِثًا لَا لِي فَعَلَهُ الْقُوفَا
عَهْدِي إِلَى وَلَدِي أَنْ يَخْجِدَا أَسْلُوبِهِ وَبَدَقْتِيهِ يُطِيفَا

ليؤتمناه من الحريق اذا احتمى احد عليه لكونه حريفا
انى برى. منهما ان يعدلا عنه ويتخذا عليه حليفا
من كان يرغب فيه فهو موفق أولا فقد ضلّ السبل وايفا
فى الليل يسمع منه غططة يطيب نعاسه بدوامها وحيفا
ولرب نور ساطع يغدو اذا قابلته يوما به مكسوف
وكبير بطن ضاق عنه وفاتك ذى شرة عند يخيم ضعيفا
كالزئبق الفرار ينظره ولا يستطيع يمسك من قفاه صوفا
يهوى هوى الريح فى الوادى اذا ما هيج ثم يستم الشعوفا
هو خير داج للذى لم يرض من لعب الزمان ولهوه خذروفا
ان تتله يطربك حسن بغامه او تلغه يسمعك منه عزيفا
فيه ترى فى البرد مشى ثم ان نارت حجّاجة السهام مصيفا
واذا ثقلت من الطعام وغيره تلقى به من ثقله تخفيفا
واذا اتخذت حديقة فاغرس بها منه كليمات تزدك قطوفا
تغنيك عن نصب الخيال بها فلو اضحى شظاها لصها لأخيفا
انى ضمنت لك القدور فما ترى من بعده عزها ولا منجورفا
كلا ولا مستثقلا نوما ولا أرقا ولا تشكو صدئ وعجورفا
لا تقدم من على ركوب الصعب ان لم تتخذه صاحبها ورديفا
حتى اذا تفتت اصبح عاصفا لك أن تزل فتخطى الخرفا
انى لأعلم والسداد يدلنى أن الجنب يرى الأبل مخيفا
فأخف انت بكل حرف باثر قد خط فيه يكتى عنك كفيفا
هو حصرم فى طرف من يغتابه ما زال ان ذكر اسمه مطروفا
وهو الحديد القاطع الماضى الذى يبرى العظام ويحسم الشرسوف

ان شئت تلبسه على علاته
 ولقد اجزتك سقه او لعقه
 لكن حذار من الزيادة فيه او
 اذ ليس فيه من محل قابل
 لو كان يعشق جامد لجماله
 ولئن نرحت عن الانام فانه
 واذا تخاصم كاذبان فالحية الاشقى يغادر شعرها منتوفا
 حتى كان الشعر من لحييهما
 وحياة راسك ان راسي عارف
 كلا ولا اقطا ولا حشفا ولا
 لكن بقرني حكة هاجت على
 من كان يؤجر كي يولف خطبة
 ما راج من قول فخذه وما تجد
 لابد ان تجد الصيارف مرة
 ولرب دينار يجر اليك من
 لا يعلقن بزجاج عقلك ما ترى
 من كان في بلد لطيفا طبعه
 لا ترفس ما سر منه لاجل ما
 ان المصنف لا يكون مصنفا
 او ليس ان الضرب مثل الصنف في المعنى وقرع عصا اليه اضيفا
 حاشاك ان تقضى على نهافتا
 فتقول قد كفر المولى فاحشدوا
 فاهنا به او لا فدعه نظيفا
 او ان تخف قيا فخذه مدوفا
 ان ترتأى استعماله محذوفا
 للحذف او لزيادة تثقيفا
 لغدا الوري طرا به مشغوفا
 يمشی اليه حيث كان زحوفا
 قطن الحشاي ناعما مندوفا
 اني به لن استفيد رغيفا
 خزا على وتدى ولا كرسوفا
 اني اعالج مرة تاليفا
 فهو الخلق بان يعد عسيفا
 من زائف فاتركه لي ملفوفا
 بين الدراهم درهما مزيوفا
 تهوى بالحيته وليس مشوفا
 فيه من الصدا القديم كثيفا
 يجد الغليظ من المحب لطيفا
 قد ساء بل لا توله تافيفا
 لا اذا جعل الكلام صنوفا
 من قبل ان تتحقق التوقيفا
 ياقوم صاحبكم اتى تجديفا

فتهيج ارباب الكنائس هيجة شؤمى فيخترطوا عليه سيوفا
 بينى وبينك من صلات مودة ما يقطع التفسيق والتسقيفا
 لا تزبتر الى القتال ولا الى الشكوى ولا تك بيننا قذيفى ا
 ان كنت احسانا اتيت فدونك التحبيذ لى او لا فلا تقذيفا
 لا يثتمن ابى ولا امى ولا عرضى ولا تك لى بذاك اليفا
 ائمى على انفى يناط مدلدا ما ان يصيب من العباد انوفا
 ولرب فسيق اللسان مبادي يغدو وقد فسق العفيف عيفا
 ونزيه نفس ان يزىر ذا زوجة ويكون ان ضحكت له عتريفا
 كلب الكواعب ليس يعدى غيره ودواؤه كعب يليه منوفا
 ماذا على مهد الى اخوانه شيا الذ من المدام طريفا
 سهر الليالى محكما تفصيله وهم رقود يحكمون بخيفا
 ارايت ذا كرم يرد هدية ويسوم مهديها له تعنيفا
 او ليس ان الدهر اصبح مازحا يهذى ويأتى المضحكات جنوفا
 فاشتق من حرف الجنى حرفا ومن خصف نهى الاظفار منه حصيفا
 دع عنك تعيس الاسود وكن اخا لابي النخسين مراوفا يهفوا
 من اضحك السلطان صوت ردامه فهو الذى فى الناس عد عريفا
 تمت بهذا البيت فاتحتى وقد صيرته لبنائها تسقيفا
 لا تقرأن من بعده شيا ولو كلفت حرفا واحدا تكليفا
 فتكون قد ازلت ثم تجاوزت بك رجلك اليسرى له تاريفا
 انى ارى كالريه فى اذنك عر ف نصيحتى راحت سدى وطلايفا



في اشارة رياح

مد صد اسكت اصبت انصت ايسم اعقم اسمع ائذن اصبح اصغ اعلم اني
 شرعت في تاليف كتيبتي هذا المشتمل على اربعة كتب في ليالي راهضة صاغطة
 احوجتني الى الجوار قائما وقاعدا حتى لم اجد لصنبور افكارى ما يسدّه
 عن ان يتبعق على ميزاب القلم في وجوه هذه الصحائف * فلما رايت
 القلم مطواعا لاناملى والدواة مطواعا للقلم قلت في نفسي لا باس ان اقفل القوم
 الذين بيضوا وجوههم بتسويد الطروس فان كانوا قد احسنوا فانا اعد ايضا
 من المحسنين * وان كانوا قد اسآوا فلعل عدد كتبهم يحتاج الى تكملة
 فيكون كتابي على كل حال متصفا بالكمال * لان ما كمل غيره كان جديرا
 بان يكمل نفسه * فمن ثم لم اتوقف فيما قصده ولم اتحاش ان اودعه
 من الالفاظ الشائقة الرائقة والمعاني الفائقة الآفقه كل ما خفى على

السمع * ولدَ للطبع * مع علمى انه لا يكاد مُؤلف يعجب الناس جميعا * وكانى
بمتعنت يقول فى نفسه او لغيره لو كان المؤلف اجهد قريحته فى تاليف
كتاب مفيد لاستحق ان يثنى عليه * لكنى اراه قد اضاع وقته عبثا
بذكر ما لا ينبغي ذكره حينا * وحينا بذكر ما لا يجدى نفعا * والجواب عن
الاول * ومحترس من مثله وهو حارس * وعاد الحيس نحاس * وخذ من
جذع ما اعطاك * وشحمتى فى قلعى * واهتبل هبلك * وعين الرضى عن
كل عيب كليله * وعن الثانى * اربع على ظلك * وارق على ظلك *
وارقا على ظلك * وق على ظلك * وكانى باخر يقول حديث خرافة يام
عمرو * وجوابه وكم من عائب قولا سليما * ثم كانى بحجوة عظيمة من
الجلادى والنهامتين والانهمة والوقفه والوفه والبهفه والابيلين والزرارة
والقماسه وامامهم الجائليق الاكبر وامام هذا العسطوس الاعظم وهم يصحون
ويعجرون ويجأرون وينعرون ويلجبون ويصخبون ويأطون ويلغطون
ويتقترون ويتوزرون ويتوعدون ويتهددون ويتذمرون ويتنكرون
ويتنمرون ويتشذرون ويتشزرون ويتغذرون وينحمون وينهمون
ويلغمون * فاقول لهم مهلا مهلا انكم قضيت عمركم كله فى حرفة
التاويل فما يضركم لو اولتم ما تنكرونه فى كتابى من اول وهلة * وتمحلتم
كما هو دابكم لان تجعلوا منه حسنا ما يظهر قبيحا ومستظرفا ما يلوح من خلال
عبارته فاحشا * فان ابا نواس قد اوجب عليكم ذلك مذمين من السنين بقوله

لا تحظر العفوان كنت امرا ورا فان حطرك بالدين ازراء

وبقوله

كن كيفما شئت ان الله ذوكرم وما عليك اذا اذنت من باس
لا اتنتين فلا تقربهما ابدا الشرك بالله والاضرار بالناس

والرُبُوح والمُخَرَّبَةُ والسَّلَقُ والشَّقَا والمُتَلَاخَةُ والحِجَامُ والتَّجْمُومُ والآنُومُ
والشَّرِيمُ والهَوُّجُلُ والمُتَكَا والحَلِيقَةُ والمَرْفُوعَةُ والمُصَوِّصُ والمُنْفَاصُ والمُبَرِّاصُ
والعُضُوصُ والمُنْجَارُ والشَّفِيرَةُ والزَّخَاخَةُ والبَحَاخَةُ والمُجَحِّنَةُ والسُّفْلَحُ
والعَنْبَلَةُ والجَلِيعُ ومن العَلُوزِ والقَنْبِ والنَوَفِ والخُنْثَبِ والأَيْلِ واليَيْظِ
والشُّعْرُوزَيْنِ والحِجَارِ والأَشْعَرِ والطَّبَقِ والاسْكَتَيْنِ والحَسَكَتَيْنِ والعَنْتَلِ
والفَحْقُوحُ والمَانَةُ والجَعْبُ والطَّرْثُ والعَكِيزُ والمعْجَمُ والعُجَامُ والوَبَيْلُ
والفَجْلِيسُ والفِلْطِيسُ والحَطَاطُ والكُوْتَةُ والجُوفَانُ والمُتَكَا والْحَوَقَةُ
والكُوْشَلَةُ والقُصْعَةُ والدُّلْعَةُ ومن الإقْمَادِ والتَوْتِيدِ والاستَعْنَادِ والتَفَنُّشِخِ
والشَّمْدُ والفَهْرُ والإفْهَارُ والوَجَسُ والنَشِيشَةُ والاستِخْلَاطُ والتَشِيطُ والهَمَّاعُ
والفَحْخَةُ والسَّغْمُ والإكْسَالُ والدَّعْمُ والزَّجْلُ والهَقِّقُ واليَيْظِلُ والعَرَّ وَالطَّرُوحُ
والعَجِيزُ والفَنَجَرُ والاختِصَارُ والترْقِيعُ وإِلْصَافًا والعَصْدُ والحَمَقُ والتَعْفِيلُ
والتَبَارِخُ والعُرْوَةُ وإِلْسَاوَعُ والسِّبَاعُ والإِلْهَاطُ والعَصْدُ والرَّفْعُ والعَقْلُ والقُرْنَةُ
والكَيْنُ والطَّوْطُوةُ ومن ذِكْرِ الإِرْزَبِ والبَزْبَازِ والقَاعُوسَةِ والخُرَنُوفِ والمِشْرَحِ
وَالْفَضَارِطِيِّ والمُصَوِّصِ والخَاقِ بَاقٍ والزَّرْدَانِ وَالطَّنْبَرِيزِ وَالْفَلْهَمِ وَالْقَبْقَابِ
وَاللَّهْمُومِ وَالْحَجْمُومِ وَالْمَرْخَةُ وَالنَغْنَعُ وَالْحَشَنَفْلُ وَالْمُعْرَنَفُطُ وَالْمُقْرَنَفُطُ وَالْفُرُقُ
وَالْقُوقُ وَالرَّكْوَةُ وَالْقَحْفَلِيزُ وَالْعَقْلُوقُ وغير ذلك من ادوات النصب ومن
الْبَنُودَةِ وَالْجَجْبِيِّ وَالْحَذَافَةِ وَالْمُحَذَفَةِ وَالْمُحَذَقَةِ وَالْخَوَارَةُ وَالْحَفَاقَةُ وَالْعِرَاقَةُ
وَالْمِحْسَةُ وَالْمِحْسَةُ وَالْخَبْنَفْتَةُ وَالرَّمَاعَةُ وَالضَّمَارِيُّ وَالرُّنْمُ وَالطَّبِيخَةُ وَالْحَمَّاءُ
وَالْعَوَّاءُ وَالْعَزَلَا وَالْجَعْمَاءُ وَالسَّحْمَاءُ وَالْفُنْقُصَةُ وَالْفُرْقَةُ وَالصَّافَرَةُ وَالنُّبُورُ وَالنَّبَاعَةُ
وَالنَّبَاغَةُ وَالْوَبَاعَةُ وَالْجَوَانَةُ وَالْخَوَانَةُ وَالصَّوَانَةُ وَالْبَرْعُثُ وَالْبُعْطُ وغير ذلك
من ادوات الحِزْمِ ومن الأَدَاغِ وَالْبِيْزَارِ وَالْجَمِّيحِ وَالْحَجْمُومِ وَالْأَذْلَعِي
وَالْحَوَقِلُ وَالطَّلُوقُ وَالزُّلْزَلَةُ وَالْخُدْرُنُقُ وَالسَّحَابِلُ وَالصَّبِيرُ وَالْعُلْعُلُ

والدَوَقْل والقُسْطَيْنَةُ والفَنطِيس والشاقول والقَهْلَيس والعَرْدَل والقَصْطِير
والجَزَازِز والقَرْمِيلَة والمُتَمَرّ والدَّوْسَر والسَّمْهَد وغير ذلك من ادوات الجَرّ
ومن ذَحّ وذحّا ودَحّ وذَحْبَى ورَصع ورطاً وشفتن وشكز وصهز وطعز
وطنخ وعزط وعزلب وقرفط وقنطر وقسبر وقحطر وقمطر ولطرز ولج
ولذ ومشق ومستر ومهج ومعج ونيرج وزخزخ ودعظ.
وكنّت احلق في وجوههم عند ذكرهم ذلك فلم اكن ارى عليها حرة
النجل ولا صفرة الوجل . بل كانت ناضرة مستبشرة مبتهجة مسفرة .
فان أَنّي المنكرِ إِلَّا عناداً وتقاضاني جدول اسمائهم قلت له هاك اوله
يبتدي بالالف وآخرة بالياء . فاحسبوني اذاً وافها من هولاء . ثم ان
شرطي على القاري ان لا يُسْطَرشيا من الالفاظ المترادفة في كتابي
هذا على كثرتها . فقد يتفق ان يمر به في طريق واحدة سرب خسين
لفظة بمعنى واحد او بمعان متقاربة . وآلا فلا اجيز له مطالعته ولا اهتوه به .
علي اني لا اذهب الى ان الالفاظ المترادفة هي بمعنى واحد وآلا لسموها
المتساوية وانما هي مترادفة بمعنى ان بعضها قد يقوم مقام بعض . والدليل على
ذلك ان الجمال مثلاً والطول واليباض والنعومة والفصاحة تختلف
انواعها واحوالها بحسب اختلاف المتصف بها فخصت العرب كل نوع
منها باسم ولبعد عهدهم عنا تظنيهاها بمعنى واحد . وقس علي ذلك
انواع الحلّى والماكول والمشروب والملبوس والمفروش والمركوب . لا بل عندي
ولا اخشى من ان يُقال أولك عندّ انه اذا كان اسمان مشتقين من مادة
واحدة وكانا يدلان على معنى واحد كالنجوح والنجوابة مثلاً للريح الشديدة
المرّ فلا بد وان يكون الاسم الزائد في اللفظ زائداً في المعنى ايضا . فان
شئت اذعنت او لا فعاند . هذا واني قد آلفته وما عندي من الكتب العربية

شى اراجعه واعتمد عليه غير القاموس . فان كتبى كانت قد فركتنى
 فاعتزلتها . غير ان موسى رحمه لم يغادر وصفاً فى النساء الا وذكره . فكانه
 كان الهم ان سياى بعده من يغوص فى قاموسه على جمع هذه
 الآلى فى مولف واحد منتسق لتكون اعلق بالذهن وارسخ فى الذكر . ولولا
 انى خشيت غيظ الحسان على كنت ذكرت كثيراً من مكايدهن وحيلهن
 ومحالهن لكنى انما قصدت بتأليفه التقرب اليهن وترصيهن به . وانى
 آسف كل الاسف على انهن غير قادرات على فهمه لجهلهن القراءة لا
 لعوص العبارة . اذ لا شى يصعب على فهمهن مما يؤول الى ذكر الوصال
 والحب والغرام . فهن يستوعبن ويتلقفن من دون تلعم ولا قصور ولا تخرج .
 وحسبى ان يبلغ مسامعهن قول القائل ان فلانا قد آلف فى النساء كتاباً
 فضلن به على سائر المخلوقات . فقال انهن زخرف الكون . ونعيم الدنيا
 وزهاها . وغبطة الحياة ومنها . وسرور النفس ومشتهاها (١) وعلق القلب . وقرة
 العين . وانتعاش الفؤاد . وروح الروح . وجلآه الخاطر . وتعلل الفكر . وهو
 البال . وجنة الجنان . وانس الطبع . وشفاء الدم . ولذة الحواس .
 ونزهة الالباب . وزينة الزمان . وبهجة المكان والباءة . بل اقول غير متحرج
 عرف الالهة . اذ لا يكاد الانسان يصير جملة الا ويستبح الخالق . بذكرهن
 يلهج اللسان . ولخدمتهن تسعي القدم . وتحمل الاعباء . وتجتشم المشاق
 ويهون الصعب . ويتجرع الصاب . ويقاسى الضر . ولرضائهن يذل العزيز .
 ويذل النفيس . ويذل المصون . وان خلّاق الرجل من دونهن حرمان .
 وفوزة خيبة . وهناء تنغيص . وانسه وحشة . وشبعه جوع . واوتواة ظما . ورقادة
 ارق . وعافيته بلاء . وسعادته شقاوة . وطوبى له كالزقوم . والتسليم كالفيلين .
 فاذا قدر الله بلوغ هذا الخبر المطرب سماع احدى سيداتى هؤلاء الجميلات

(١) حاشية قد غلط
 الفيرزبادي فى
 اشتقاقه السرية
 من السر للجماع
 بل اشتقاقها من
 السر بمعنى السرود

وسرت به وفرحت . ورقصت ومرحت . رجوت منها وانا باسط يد الصراة
ان تبلغه ايضا مسامع جارتها . واملت من هذه ايضا ان تظالع به صاحبها
حتى لا يمضى اسبوع واحد الا ويكون خبر الكتاب قد ذاع في المدينة كلها .
وكفاني ذلك جزاء على تعبي الذي تكلفته من اجلهن . ألا وليعلمن اني
لو استطعت ان اكتب مديحهن بجميع اصابعي وانطق به بكل من
جوارحي لما و في ذلك بمحاسنهن . فكم لهن على من الفضل حين
بدؤن في افخر الحلل . ومن باحسن الحلّي . ونظرن الى شافئات *
حتى ابت الى حفشي وانا اتعثر بافكاري وخواطري . فما كادت يدي
تصل الى القلم لا وقد تدفقت عليه المعاني وساحت على القرطاس .
فاورثنني بين الناس ذكرا وفخرا . ورفع قدرى على قدر ذوي البطالة
والفراغ . نعم ان من بينهن من نفست على بطيفها في الكرى * ولكنها
معدورة في كونها لم تكن تعلم اني اتكلف النوم * بعد ان رات عيني
من جمالها ما يهر العقل ويبلبل البال . فاما اذا تغنت على احد يكون
عبارتي غير بليغة . اي غير متبلة بتوابل التجنيس والترصيع والاستعارات
والكنائيات . فاقول له اني لما تنقيدت بخدمة جنابه في انشاء هذا
المولف لم يكن يخطر ببالي التفتازاني والسكاكي والامدي والواهدي
والزمخشري والبستي وابن المعتز وابن النبيه وابن نباتة . وانا كانت
خواطري كلها مشغلة بوصف الجمال . ولساني مقيدا بالاطرأ على من
انعم الله تعالى عليه بهذه النعمة الجزيلة . وبغبطة من حوله عز وجل عزة
الحسن وبرئاء من حرمه منه . وفي ذلك شاغل عن غيره . على اني ارجو ان
في مجرد وصف الجمال من الطلاوة والرونق والزخرفة ما يغني عن تلك
المحسنات استغناء الحسناء عن الحلّي ولذلك يقال لها غانية . وبعد فاني

قد علمت بالتجربة أن هذه المحسنات البديعية التي يتهوّر فيها المؤلفون كثيراً ما تشغل القارى بظاهر اللفظ عن النظر فى باطن المعنى . ولعمري أنه ليس في هذا الكتاب شيء يُعاب سوي وجدانك الفارياق فيه تارة يحشر في سرب الغواني . وتارة يدمق عليهن وهن آمنت في مجالهن أو في حديقة أو في زاوية أو على السرير . ولكن لم يكن لي بدّ من ذلك . إذ الكتاب موضوع على قص احبارة وعلم احواله * فقد بلغنى ان كثيراً من الناس انكروا وجود هذا المسمى فقالوا انه من قبيل الغول والعنقاء * وبعضهم قال انه كان قد ظهر مرة في الزمان . ثم اختفى عن العيان . وذهب غير واحد الى انه مُسَجَّح بعد ولادته بايام . ولم يُعَلِّم باى صورة تلبس والى اى شكل استحال . وزعم قوم انه صار من جنس النسناس . واخرون من السّاناس . وقال غيرهم انه صار من نوع الحن . واثبت بعض انه استحال امرأة . فانه لما رأى ان المرأة اسعد حالا من الرجل فى هذه الدنيا المسماة دنيا النساء كان لا يبيت الا وهو جائر الى ربه بالدعاء لان يصيره انثى . فتقبل الله ذلك منه وهو على كل شيء قدير * فرايت والحالة هذه من بعض ما يجب على ان اعرف هؤلاء المختلفين فيه بحقيقة وجوده على ما فطر عليه . ما عد التفسير الذى عرض له من جهد المعيشة وسوال الحال ومقاساة الاسفار ومخالطة الاجانب والاحتكال . وعلى الخصوص من تليف الشيب والمجازرة من حد الشباب الى سن الكهولة . فاز قد علم ذلك فاقول

كان مولد الفارياق فى طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدي او التيس والسرطان ماش على قرن الثور . وكان والداه من ذوي الوجاهة والنباهة والصلاح (مُرْحَى مَرَحَى) لا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (بُرْحَى بَرَحَى) وكان لطبل ذكرهما دوي يُسمع من

بعيد . ولزوابع شانهما عجاج ثناء يثور في الجبال والبيد . ولتكرير العفاة
عليهما واعتشاء الوفود لديهما . تعطلت سبل دخلهما . ونزحت بر فضلها
فلم يبق فيها آلا نزازات يلقي فيها المخفق المحروم سدادا من عوز * فكانا
يجودان به ايضا من عوز السداد (وَه) فلذلك لم يعد في طاقتهما ان
يبعثاه الى الكوفة او البصرة ليتعلم العربية . وانما جعلاه عند معلم كتاب
القرية التي سكنا فيها (ويح ويح) وكان المعلم المذكور مثل سائر معلمى
الصبيان في تلك البلاد في كونه لم يطالع مدة حياته كلها سوى كتاب الزبور
وهو الذى يتعلمه الاولاد هناك لا غير (اف اف) وليس قولى انهم يتعلمونه
موذنا بانه يفهمونه . معاذ الله . فان هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه
لم يعد في طاقة بشر ان يفهمه (عُط غط) وقد زاده ابهاما وغموضا فساد
ترجمته الى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي
والمعنى (رُط رط) وانما جرت عادة اهل تلك البلاد بان يدربوا فيه
اولادهم على القراءة من غير ان يفهموا معناه . بل فهم معانيه عندهم محظور
(تُف تف) وكما انهم لا يفهمون معنى حآ وميم وقاف مثلا . فكذلك
لا يفهمون عبارة الكتاب المذكور اذا قراوها (طُيخ طيخ) والظاهر ان سادتنا
رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهن المساكين ان يتفقهوا او يتفكحوا .
بل يحاولون ما امكن ان يغادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغباوة *
(أع اع) اذ لو شآوا غير ذلك لاجتهدوا في ان ينشؤوا لهم هناك مطبعة تطبع
فيها الكتب المفيدة سواء كانت عربية او معربة (سُرسر) فكيف ترضون
ياسادتنا الاعزة لعميدكم الاذلة ان تربى اولادهم في الجهل والعمه * (عزوى عزوى)
وان يكون معلومهم لا يعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية
ولا شيئا غير ذلك مما لا بد للمعلم من معرفته (تُعزى تعزى) فكم لعمري من

ملكات براعة وحِذْق من الله تعالى بها على كثير من هؤلاء الاولاد * غير انه
لفقد اسباب العلم وعدم ذرائع التاديب والتخريج طُفِتْ جُذوتها فيهم
على صغر. بحيث لم يمكن ان يشقها بهم نتف التحصيل على كبر (أوه أوه)
هذا وانكم بحمد الله من الممولين المثرين . لا يعجزكم ان تنسفوا كذا وكذا
كيساً على انشاء مدارس وطبع كتب مفيدة (ايه ايه) فان لبترك الطائفة
المارونية دُخْلًا له وقع عظيم . وقدر جسيم . بحيث يمكنه ان يحيي به قلوب
طائفته هذه التارزة التي لا هم لها في المنافسة والمباراة في شئ بين من
سبقوهم الى كل علم وفضل (هيس هيس) وانما همهم ان يتعلموا بعض قواعد
في نحو اللغتين العربية والسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه
اه) اذ لم يُعلم الى الان ان احدا منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة في هاتين
اللغتين ولا ان البترك امر بطبع كتاب لغة فيهما (تُعْ تُعْ) ولو انه انفق
نصف دخله في كل سنة على تحصيل اسباب العلم بدل هذه الولاثم
والمآذب التي يبيتوها لزواره * او لو كان كل من الامراء والمشايخ الكرام ينفل
شيا معلوما في كل سنة لاجل هذه المصلحة الخيرية . او لو بعث من قبله
الى البلاد الافرنجية وكلاء يجمعون من ذوي الخير والاحسان فيها مبلغا يخصصه
بما نحن بصدد . لاجد كل من في الشرق والغرب فعله (جُحْ جُحْ) ولكن اذا
تعتى احد سادتنا هؤلاء لان يبعث الى اخوانه الافرنج حنا او متي او
لوقا لجمع المال فانما يبعثه لبناء كنيسة او صومعة (آح آح) مع ان الانسان
مذ يولد الى ان يبلغ اثنى عشرة سنة لا يمكنه ان يدرك شيا على حقيقته
من جهة الكنيسة والصومعة . ويمكنه في خلال ذلك ان يتعلم ما يفيده في
مدرسة او كتاب (تُعْ تُعْ) فهل تُعدونني ياسادة بانشاء مكاتب وطبع كتب
حتى لا اطيل عليكم هذا الفصل . فان بقلبي منكم لحزازات حادة وبصدري

عليكم ملامات صائغة (أخ اخ) لأن خليصي الفاريابي في دولتكم السعيدة لم
يمكنه ان يتعلم في قريته غير الزبور . وهو كتاب حشوة اللحن والخطا
والركاكة (اخ اخ) لأن معربه لم يكن يعرف العربية وقس عليه سائر الكتب
التي طبعت في بلادكم وفي رومية العظمي (هع هع) ومعلوم ان الغلط اذا
تاصل في عقل الصغير شب معه ونمى فلم يعد ممكنا بعد قلعده . فهل من
سبب لهذا الشين والعيب سوى اهمالكم وسؤ تصرفكم في السياسة المدنية
والكناسية (أقوة اقوة) اتحسبون ان الركاكة من شعائر الدين ومعاله وفرائضه
وعزائمه . وان البلاغة تنضي بكم الى الكفر والالحاد . والبدعة والفساد (مطخ مطخ)
ام حسبتم ان تلك الابيات العاطلة . قد افحمت ذلك المسلم العالم عن
المجادلة والمناصرة . (يع يع) اما بعروقتكم دم يهيجكم الى حب الكلام
الجزل الفخم . والى البلاغة والبلة . ونسق العبارة على موجب القواعد
المقررة . والافصاح عما يخطر ببالكم دون الحشو المخل . ولا اعتراض المثل .
والتعقيد المثل . ولا خلا المسل . وقولكم في جوز الجملة النج . وجعلكم الفعل
الثلاثي رباعيا وبالعكس . واستعمالكم ما يتعدي منه بالبا متعديا بفي
وبالعكس . واجرائكم المتعدي لازما وبالعكس . والمهموز معتلا وبالعكس وعدم
فرقكم بين اسمى الفاعل والمفعول . فتقولون هم محسودون مني اي حاسدون
لى وما اشبه ذلك (قه قه) وليس كتابى هذا درة الشين . في اوهام
القيسين حتى استوعب فيه ذكر اغلاطكم واوهامكم (ايحي ايحي) وانما
المقصود من ذلك ان ابين لكم ان ادعتكم قد سقيت اللحن والركاكة
من وقت ذهابكم الى الكتاب وقراتكم فيه كتاب الزبور الى ان تصيروا
كهلأ ثم شيوخا (دح دح) وانه ما دتم على هذه الحال فلن يرجي لكم من
إبلال (ويب ويب) ثم ان الفاريابي اقام عند معلمه ريثما ختم الكتاب

المذكور. وبعد ذلك اوجس منه المعلم ان يربكه في مسائل تصعب عليه
فينفضح بها . فاشار على والده بان يخرجه من الكتاب ويشغله بنسخ
الكتب في البيت (به به) فلبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها
ما امكن لئله ان يستفيد من تجويد الخط وحفظ بعض الالفاظ (بد بد) وكان
اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعندهم ان من
يكتب خطأ حسنا هو الذى افق بين اقرانه في الفضل . ومع اشتها ذلك
فلم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتاب ألا من بذات العين خطه وعاف
الذوق السليم كلامه (عيط عيط) اشعارا بان الحظ لا يتوقف على الخط . وان
ادارة الاحكام . لا تفتقر الى تهذيب الكلام . (تُع تع) وان كثيرا قد نالوا
المراتب السامية والمناصب السنية وهم لا يحسنون توقيع اسمهم الشريف
(حسن حس) غير ان الفارياق لم يكن قرير العين بهذه الحرفة . اذ كان
يعتقد ان الرزق الذى ياتى من شق كشق القلم لا يكون الا ضيقا
(وى وى) نعم ان كثيرا من الناس قد نالوا العيش الواسع الهنى . والخير
المتتابع الوي . من مورد هو بالنسبة الى شق القلم رحب لكنه بالنسبة الى
شرهم وسرفهم ضيق (واه واه) غير ان الفارياق وقتئذ كان غرا لا تجربة
له ولا خبرة . فكان يحكم على البعيد بالقريب . ولا شى اقرب الى عين
الكاتب من لسان قلمه وعارض قرطاسه . او ادنى الى قلبه من الكلام الذى
يكتبه واللييب من قنع بالحرفة التى يتعاطاها ولم يشق عليه امت الشق
ولم يشترتب الى ما ليس يحسنه (شع شع) .





فى انتكاسة حاقيه وعمامة واقية

—o—o—o—o—o—

قد كان من طبع الفاريابى كما هو داب جميع للاحداث ايضا ان يحاكي
فى الرى ولاطوار والكلام من كان متميزا فى عصره بالفصل والدراية .
وانه راي ذات يوم قرزاً ما معتماً بعمامة كبيرة مدورة . وكان هذا القرزام
يُحسب وقتئذ من فحول الشعراء . فاحب الفاريابى ان يكون له مثل هذه
العمامة على صغر راسه . فكان اذا مشى يميل راسه منها يمنة ويسرة
كالقاصى الذى يخرج فى الاسواق بعد صلوة الجمعة ويسلم على الناس .
واتفق ان اباه سار مرة الى دار الحاكم واستصحبه معه واركبه مهرة له . وكان
هو راكبا حصانا . فمكثا هناك اياما . فعن للفاريابى يوما من الايام ان
يركض المهرة فى الميدان وكان الحصان مربوطا فى جانب . فاجرى المهرة
نصف شوط حتى اذا قابلت مربوط اليها التفتت اليه كالمشيخة ان فارسها
غير جدير بركوبها بين جياذ لامير . فما كان من الفاريابى الا ان سقط
على ام راسه . واقبلت المهرة تجرى الى الحصان وغادرته مجندلا على
الجدالة . ولو كان فارسا مجيدا لما تركه على تلك الحالة بل كانت تنتظره
حتى يقوم * ثم انه قام بعد ذلك يحمد الله على كبر عمامته فانها
هى التى وقّت رأسه عن احدى الشجرات العشر وهى القاشرة الحارصة

الباضعة الدائمة المتلاحجة السحاق الموضحة الهاشمة المنقطة الآمة الدامغة
ولكنه قام محققاً ويومئذ عرف ان لكبر العمامة فضلاً ومزية . وطن ان
اتخاذ العمام الكبيرة عند اهل بلاده انما هي لوقاية رؤسهم فقط لا لتحسين
وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفى محاسن الوجه وتنشوء الوجه الصغير
فضلاً عن كونها توجع الراس وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نص عليه
السأور الاكبر . فان قيل اذا كان سبب اتخاذ العمام الكبيرة انما هو
لوقاية الرؤس لا للزينة والتحسين فما بال الذين يرقدون ليلاً يتعممون .
فهل يخافون ان تندرج رؤسهم عن مصادغهم فيسقطوا في مهواة في
بيتهم . مع ان فرشهم تكون على الارض . قلت ان منشأ هذه العادة هو
ان نساء تلك البلاد يتخذن في رؤسهن هذه القرون التي يقال لها هناك
طناطير . وهي تكون من فضة او ذهب في طول الذراع وغلظ الرسغ .
فاذا بات الرجل مع امراته حاسر الراس او كان على راسه غطاء رقيق لم يأمن
ان تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدي الشجاج المذكورة . فان ابست
لا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسية . هل هي دليل على التذكير
بالقرون المعنوية عند مخالفة الرجل لامرأته . او عند تقتيرة عليها . او
اجفارة عنها . او هي من قبيل الزينة او من بطر النساء وشهرهن بحيث
اذا شمن رائحة لايسار من ازواجهن رأين ان كل مجس من اجسامهن
قمين بالجلى والزينة . اذ كن يعتقدن ان المستور منها من عيون الناس
غير مستور عن عيونهن وعيون بعولتهن . وان كان في المسألة خلاف عظيم .
وتحليل وتحريم . وان في التزين بجلى غير ظاهر للذة عظيمة . فان مجرد
العلم باحراز شئ ثمين يسر صاحبه . كما لو احرز انسان كنزاً في حرز
محبوب فانه يفرح به من غير ان ينظر اليه . قلت اما التذكير

بالقرون المعنوية غير مطنون في نساء تلك البلاد لكونهن من ذوات
العرض والتعاون . ولا سيما نساء الجبل . فضلاً عن ذلك فإن هراوة
الزوج ومقام اهله واهل امراته وعيون الجيران ايضاً تمنعها عن
الاتصاف بالصفة الزوجية الثابتة . اما في المدن فان هذه الصفة اقوى
وافشى . وانما كان اتخاذ هذه القرون في الاصل مناطاً للبراقع . وكانت في
مبداها صغيرة قصيرة ثم طالت وكبرت بطول الزمن وكبر الدينار . وكلما زاد
ايسار الرجل وماله زاد قرن امراته طولاً وصحافة . وهنا فائدة لا بد من ذكرها .
وهي ان لفظة القرن من الالفاظ التي اشترك فيها جميع اللغات كالصابون
والقطّ والمزج وغيرها . وقد شهرت عند جميع المؤلفين بانها كناية عن
كذا وكذا من طرف الزوجة في حق زوجها . لا عند المؤلفين من اليهود
فان الصفة القرنية في كتبهم من الصفات الحميدة . ولذلك فكثيراً ما تسمع
في كتاب الربورارثفيس قرننى وانت رافع قرننى واني انطح بقرنى
وما اشبه ذلك * وفي كلا الاستعمالين غموض وابهام . اما غموض استعمال
القرن عند المؤلفين من غير اليهود كناية عن خيانة المرأة زوجها فلان هيئة
القرن لا تدل على عضو مخصوص من اعضاء الانسان . وحقيقته ايضاً
لا تدل على حيوان مخصوص . فان الثور والوعل والنيس والكركدن في
ذلك سواء . ولفظه كذلك غير مشتق من فعل يشير الى خيانة او ضمد .
فما علة هذا الاستعمال . وقد استفتيت في هذه المسئلة المشككة كثيراً من
المستزوجين المجريين . فكلهم كان يتخيف الوانا عند سؤالي له .
ويجهجم في كلامه ويقوم من عندي وقد نجل ووجم . فان فتح الله الان
على احد ممن يطالع كتابي هذا في فهم حقيقة ما يراد من هذا الحرف
عرفا واصطلاحاً . وفي بيان سبب استعماله كناية عن الضمد فليتفضل

بالجواب منّة واحساناً . فاما استعماله من مولفى اليهود كناية عن العزة والقوة والمنعة والغلبة فانه يرد عليه ما ورد على الأول من ان كثير من الحيوانات قد اشترك فيه . ومنها ما هو غير ذى قوة ولا باس . فانظر اختلاف الناس فى لفظة واحدة ومعنى واحد . اما العمامة فان اشتقاقها فيما ارى من قم بمعنى شمل لانها تغم الراس وهى على اشكال مختلفة . فمنها الحلزونية والكعكى والإطارى والمكورى والمقورى والقهقورى والقرطلى والقعبلى . وكلها على اصنافها احسن من هذه الاجران التى تلبسها رؤساء المارونية في الدين فلينظروا وجوههم فى مرآة جلية .



الفصل الثالث

في نوادر مختلفة

كان للفاريابي ارتياح غريزي من صغره لقراءة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه ولا تلتقط الالفاظ الغريبة التي كان يجدها في الكتب . فان اباه كان قد احرز كتباً عديدة في فنون مختلفة . وكان اى الفاريابي يتهافت منذ حدثته على النظم من قبل ان يتعلم شيئا مما يلزم لهذه الصنعة . فكان مرة يصيب ومرة يخطئ . مع اعتقاده ان الشعراء افضل الناس وان الشعر اجل ما يتعاطاه الانسان * فقرأ يوماً في بعض الاخبار عن شاعر كان في حادثته ابله مغفلاً ثم صار امره الى ان نبغ في نظم القصائد المطولة واجاد . فمما حكى عنه انه سكر يوماً فقعده في نحو ناموس (1) وجعل يخطب منه خطبة ابي العبر طرد طبك طلندي بك نك يك من البلوعة * وانه اراد يوماً ان يتسور حائطاً ليتناول من بعض الثمر فوقه في فتح كان قد نصبه صاحب البستان للحيوانات . وانه قال يوماً لامه ان عند فلانة خادمة نظيفة غسلت اليوم باب دارها فجاء اسود يلمع . وانه رأى يوماً صبياً قد قلع احد اضراسه فسار واقترض درهما وقال للحجّام اقلع ضرسي انا ايضا فانه غير قاطع في الاكل . ولعلّ ينبت لى في مكانه ضرس احد منه . وقيل له يوماً قد دُوت عنك حكايات من حقلك

(1) حاشية قد وهم المطران جرمانيوس فرحات في قوله في كتابه باب الاعراب الثامور الوعا والنفس والقلب وصومعة الراهب وقانون الرهبنة وعبرة اصله وصومعة الراهب وناموسه فتوهم ان الناموس هنا بمعنى القانون او الشرع على ما اشتهر في عرف النصارى ومراد صاحب القاموس المعنى الاصلى وهو القنطرة والعامة تقول ناووس وما اشتهر عندهم فهو اما تجوز عن صاحب السر او هو يوناني معرب

كثيرة فقال بودى لوان احدا يقرأها على لاصحك . ومرض اخوه يوما فقال
ابوه لزوجته قد اضره الطعام الذى اكله امس . فقال نعم قد اضره الاكل
والخادمة معاً . فقال له ابوه ما مدخل الخادمة هاهنا . فقال لعلها اعطته ما
لم يحب . ورات امه على ثيابه دماً فقالت له ما هذا الدم . قال قد
وقعت فجرى دمي وهو احسن . فقد يقال من وقع وجرى منه دم صح
وتقوى . وجرح يده بسكين فرمى بها وقال هذه السكين لاتساوى شيئاً .
فقال له ابوه لو كانت كذلك لما جرحت يدك . فقال كل انسان يجرح
يده فى الدين سواً كان بسكين او غيرها . وقال مرة قد رايت فى السوق جنبا
ابيض كالزفت . وقيل له لم لا تغسل يدك قال اغسلها فتعود وسخة فى الحال .
ولست اقدر على تنظيفها لكون دمي وسخا . وراى ذات يوم رجالا مصلوبين
فقال لامه ياتم اذا عاشت هؤلاء الرجال ايضا افيقدر الذين صلبوهم على
صلبهم مرة اخرى . وكان قوم يسالون عن منزل شخص فقال انا اعرف
مقره . قيل كيف عرفته . قال قد رايت الرجل يمشى فى السوق على
رجليه . وقال يوما من الثمانية الى التسعة يمضى الوقت اسرع من
السته الى السبعة . وقيل له اتحب اللحم اكثر ام السمك قال اظن انى احب
هذا اكثر . وقال له ابوه اذا كنت تغيب عنا افتحصن ان تكتب لنا كتابا .
قال نعم اكتبه واجى به اوصله اليكم . وسمع اباه يثنى على خراشتره
وكان به فرحا . فقال قد كانت ساعة سعيدة انكم لم تشتروه . وراى اباه
يكتب كتابا فقال له هل تستطيع يا ابت ان تنقرا ما تكتبه . فقال له كيف
لا وانا الذى كتبه . قال اما انا فلا استطيع . وراى اباه يتأسف على
طير فقده . فقال له بارك الله فى الساعة التى طار فيها . فقال له يا احق
انا نتأسف على فقده . قال ولم لم تبني له دارا . قال او يبني للطائر دار .

قال انما اعنى عودين يجعلان من هنا ومن هناك . ووصف مرة حيوانات
راها فقال ورايت ايضا خنزيرا اكبر منى * وشكا وجعا في رجله فقال ليت
هذى الرجل تبلى . وكان ابوه يفسر له معنى انقذ بان قال له اذا وقع احد
في النار مثلاً وذهبت واخرجته منها فذلك هو الانقاذ * قال ولكنه قد احترق
فكيف انقذه . وعلى فرض انى وضعت هذا السفود في النار ثم اخرجته
منها فيكون ذلك ايضا انقاذا . وفسر له يوما آخر معنى يلوم فقال اذا ابطا
عليك شخص في شى وقلت له لم ابطأت لم تكاسلت فذلك يكون لوما .
فقال واقول له ايضا لم كبرت لم صغرت لم قصرت . ولامته امه على نخرة عند
الكلام فقال لها الا لا تلومينى ولكن لومي روحي . واراد ابوه ان يخرج
في يوم . ماطر ثم عدل خوفا من المطر . فقال لاهه يا امه من عم الله انا لم
نخرج اليوم فان الهواء كان طيبا . واشترت له امه ثوبا فلما فصلته قال لها
أويزول لون هذا الثوب . قالت لا ادرى . قال ارجوان يزول فلعله يصير
احسن . وقالت له اوان الشتاء وهو لابس قميصا فقط البس ثوبك فوق
القميص . فقال لها لا لاننى ابرد به اكثر . ولامه ابوه علي قرآنه بصوت
صلى فقال له لم هذا الصلق في القرآه قال لا اقدر ان اصرخ اكثر . وخفى
عليه يوما معنى الزيارة فقالت له امه اذا سرت اليوم الى السيدة فلانة لانظرها
فقد زرتها . قال قد فهمت انك تسيرين اليها كي تخدعيها . وقالت
له امه ان فلانة التى كانت تحسن اليك قد مانت فسكت ساعة ثم قال .
قد حزنت عليها كما حزنت على موت امي . الله يبعثها الى الجنة هي
وزوجها حالا . وقال يوما لوالده ان معلمنا اليوم قد اشترى قضيبا ليضرب به
الاولاد ولكنهم يغضبونه عمدا حتى يضربهم به فينكسر فاستريح انا
ايضا . وقال لاهه وقد مرضت اذا جئناك بالطبيب ولم يشأ الله

ان يشفيك فما الحاجة الى دواء . وقال لها مرة اخرى استعملي هذا الدواء فلعلك تمرضين . واراد يوما ان يوقد النار فقال اردت ان اطفئها فما انطفأت . وقالت له امه سر الى فلانة وقل لها لاي شى تخافين من امي انما هي بشر من بني آدم مثلك . فقال اقول لها تقول لك امي لاي شى تنفرين منها انما هي من بني الحيوانات مثلك . وقال مرة فى شى اعجبه تبارك الله من كل عين . وقيل له يوما ان فلانا يريد ان ياخذك الى مدرسته ليعلمك . فقال بعثه الله الى الجنة . قال له ابوه اتريد ان تميته . قال فكيف اقول اذا . قال قل اطال الله عمره . قال طوله الله . وقال لامه اتعطيننى الليلة من تلك الحلواء . فقالت له ان عشنا الى الليلة . قال نحن نعيش الى غد فكيف لانعيش الى الليل — انتهى — فطالع بذلك احد الالباء فى بلاده وقال له قد ظهر لى ان هذا كلام ابله ماموه . او مدله بؤه . او مسمه مستبوه . او عبه مشدوه . او نبه معتوه . فكيف صار بعد ذلك شاعرا . فقال له يحتمل ان كلامه هذا كان قد تعمده ليضحك به ابويه . او انه كان بليد البادرة ولكنه حديد الفاكرة . فان من الناس من يدهش للسؤال فلا يكاد يجيب الا خطأ . فاذا اعمل فكرة فى خلوة احسن كل الاحسان . او انه قصد بذلك ان يكون نبها مشهورا بين الناس ولو بحماقة ورقاعة . فان اكثر الناس يحاول الشهرة باى وجه كان . فمنهم من يتعاطى الترجمة للكتب والتعليم وهو لا يدري شيا . ولكنه يفرح بان يضع اسمه فى اول الكتاب . وبان يحشيه بعبارات ركيكة واقوال سخيفة من عنده . او بان يروى عنه فيقال قال فلان كذا وكذا ويكون قوله خطأ وهذا . ومنهم من يتربع فى صدر المجلس بين اخوانه واقرانه ويطلق

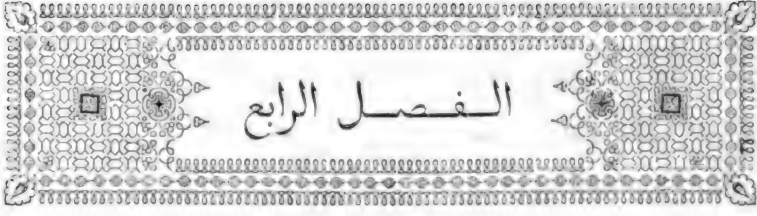
يحكى لهم حكايات عن بلاد بعيدة ويخلط كلامه ببعض الفاظ تعلمها من لغة العجم . فيقول لهم مثلاً صان فاصون . وپاردون موسيو . وذنكوى . وفارى ول . اشارة الى انه اطال السياحة فى بلاد فرنسا واطاليا وانكثرة وتعلم لغاتهم وهو يجمل لغته التى نشأ عليها . ومنهم من يتخذ له عمامة كبيرة يضاهى بها بعض العلماء . فان كبر العمامة يدل على كبر الراس . وكبر الراس يدل على جودة العقل وصواب الراى . ومنهم من يتكلف محاكاة لهجة ما ممن عرفوا بالفصاحة فتراه يتشددق ويجمع ويستعمل الفاظ فى غير محلها . وبعد فلا ينبغي ان يكون الشاعر عاقلاً او فيلسوفاً . فان كثيراً من المجانين كانوا شعراء . او كثيراً من الشعراء كانوا مجانين . وذلك كابى العبروبهلول وعليان وطويس ومزبد . وقد قالت الفلاسفة ان اول الهوس الشعر واحسن الشعر ما كان عن هوس وغرام . فان شعر العلماء المتوقرين لا يكون الاً مقرزماً . فلما سمع الفاريابى ذلك زهد فى الشعر ورغب عنه الى حفظ الالفاظ الغريبة . لكنه لم يلبث ان رجع الى خلقه الاول . وذلك ان اباه اخذه معه الى بعض القرى البعيدة ليجبى المال المضروب على سكانها الى خزنة الحاكم . فانزله اهلها منزلاً كريماً . وكان بالقرب من منزله جارية بديعة الجمال . فجعل الفاريابى على صغره ينظر اليها نظر المحب الرانى جرياً على عادة الاغرار من العشاق . من انهم يستدثون العشق في جاراتهم استخفافاً للطلب واستشفافاً بالجارية . كما ان عادة الجارات تهنيد جيرانهن وتغفيرهم اشارة الى انه لا ينبغي البحث عن الطبيب البعيد اذا امكن التداوى عند القريب . غير ان المحتكين في الحب يبعدون فى الطلب ويرودون انزح منتجع . لانهم لما جعلوا دابهم وديدنهم اشباع النفس من هواها كان عندهم السعى فى

ذلك فرضا واجبا . ووجدوا فى الابعاد والنصب لذة عظيمة . اذ من فتح
فاه رجآء ان تتساقط الاثمار فيه لم يعد آلا مع العاجزين . والحاصل ان
الفاريابى هوى جارته لانه كان غرا . وانها هى استهوته واطمحته لكونها جارة .
ولان منزلته من حيث كونه مع ابيه كانت تميل الناس اليه . غير
ان مدة اقامته هناك لم تطل . واضطر الى الرجوع مع ابيه وقد بقى
كلنا بالجارية . فلما حان الفراق بكى وتحسّر وتنفس الصعدآ . ونخزه
الوجد لان ينظم قصيدة يعبر بها عن غرامه . فقال من جملة ابيات

افارقها على رغم وانى اغادر عندها والله روحى

وهى اشبه بنفس شعراء عصره الذين يقسمون ايماننا مغالطة بانهم قد عافوا
الطعام والشراب شوقا وغراما . وسهروا الليالى الطويلة وجدا وهياما . وانهم
ناسمون وقد ماتوا وكفنوا وحطوا ودفنوا . وهم عند ذلك يتلهون باى
لهوة كانت . ثم انه لما اطلع ابوه على تلك الابيات الفراقية لامه عليها
ونهاه عن النظم . فكانما كان قد اغراه به . فان من طبع الاولاد فى الغالب
الخلاف لما يريد من ابآهم . ثم انه فصل من تلك القرية حزينا
كثيبا متيما مفتونا .





في شرور وطنبور

—o—o—o—o—o—

قد كان ابو الفاريابي آخذا في امور ضيقة المصادر غير مأمونة العواقب والمصاير.
لما فيها من القآء البغضة بين الرؤس . وشغب اهل البلاد ما بين رئيس
ومرؤوس . فقد كان ذا ضلع مع حزب من مشايخ الدروز مشهور بالنجدة
والبسالة والكرم . غير انهم كانوا صفر لا يدى ولا كياس والصندوق والصوان
والهيمان والبيوت . ولا يخفى ان الدنيا لما كان شكلها كرويا كانت لاتميل
الى احد ألا اذا استمالها بالمدور مثلها وهو الدينار . فلا يكاد يتم فيها امر
بدونه . فالسيف والقلم قائمان في خدمته . والعلم والحسن حاشدان الى
طاعته . ومن كان ذا بسطة في الجسم وفضل في المناقب فلا يفیده طوله
وطوله بغير الدينار شيا . وهو على صغر حجمه يغلب ما كان كبيرا ثقيل
من الاوطار ولبانات النفس . فالوجه المدورة المدنرة خاضعة له آيان برز .
والقدود الطويلة منقاداة اليه كيفما دار . والجباه العريضة الصليطة مكبة
عليه . والصدر الواسعة تضيق لفتقه . فاما ما يقال من ان الدروز
هم من ذوى الكسل والتواني وانهم لا ذمة لهم ولا ذمام فالحق خلاف
ذلك . اما وسهم بالكسل فأخرى ان يكون ذلك مدحا لهم . فانه ناشى
عن القناعة والنزاهة والزهد . غير ان الصفات الحميدة التى يتنافس

فيها الناس متى جاوزت الحد قليلا التبتت بنقيضها . فالافراط في الحلم
مثلاً يلتبس بالضعف . وفي الكرم يلتبس بالتبذير . وفي الشجاعة بالتهور
والمغامرة . لا بل الافراط في العبادة والتدين يلتبس بالهوس والخيال . هذا
ولما كانت الدروز مفرطين في القناعة اذ لا ترى من بينهم احدا يقتحم
القفار ويخوض البحار في طلب الإزآ (١) وفي التأنق في الملبوس
والمطعم . ولا من يسقى للامور الخسيسة ويدتق فيها . او من يباشر
الصنائع الشاقة . ظن فيهم الكسل والتواني . ومعلوم انه كلما كثر شره
الانسان ونهمه . كثر نصبه وكده وهمه . فالتجار من الافرنج على ثروتهم
وغناهم اشقى من فلاحى بلادنا . فتتري التاجر منهم يقوم على قدميه من
الصباح الى الساعة العاشرة ليلاً . واما ان الدروز لا عهد لهم ولا ذمة فانما هو
محض افتراء وبهتان . اذ لم يعرف عنهم انهم عاهدوا بشى ثم نكثوا به
من دون ان يحسوا من المعاهد اليه غدرا . او ان اميرا منهم او شيخا راي
امراة جارة النصراني تغتسل يوما فاعجبته بضاعتها وبتيلتها وبوصها .
فبعث اليها من تعلق لها او غصبها * وانت خبير بان كثيرا من النصارى
عاشون في ظلمهم . ومستأمنون في حماهم . وانهم لو خيروا ان يتركوا مستأمنهم
هذا ليكونوا تحت أمن مشايخ النصارى لأبوا . وعندى ان من كان
يرعى حرمة الجار في حرمة كان خليقا بكل خير . ولم يكن ليخونه في
غيرها . فاما ما جرى من التحزب والتألب بين طوائف الدروز وغيرهم
فانما هي امور سياسية لاتعلق لها بالدين . فبعض الناس يريد هذا الامير حاكما
عليهم وبعضهم يريد غيره . وكان ابو الفارياق ممن يحاول خلع الامير الذى
كان وقتئذ واليا سياسة الجبل . فانحاز الى اعدائه وهم من ذوى قرابته
فجبرت بينهم مهاوش ومناوش غير مرة . وآل الامر بعدها الى فشل اعداء

(١) الإزآ هو سبب العيش
او ما سبب من رغبة .

الامير. ففروا الى دمشق ياتمسون النجدة من وزيرها فوعدهم ومناهم .
وفى تلك الليلة التى فروا فيها هجمت جنود الامير على وطن الفاريق . ففتر
مع امه الى دار حصينة بالقرب منها وهى لبعض الامراء . فنهب الناهبون
ما وجدوا فى بيته من فضة وآنية ومن جملة ذلك طنبوركان يعزف
به اوقات الفراغ . فلما ان سكنت تلك الزعازع رجع الفاريق مع امه
الى البيت فوجداه قاعا صفصفا . ثم رَدَ الطنبور عليه بعد ايام . فان من
نهبه لم يجد فى حمله منفعة ولم يقدر ان يبيعه اذ العازفون بالات
الطرب فى تلك البلاد قليلون جدا . فاعطاه لتأسيس تلك القرية كفاة
عما نهب . فرده القسيس على الفاريق . وكأتى بمعتز هنا يقول ما فائدة
هذا الخبز البارد . قلت ان وجود الطنابير فى الجبل عزيز جدا كما
ذكرنا . فان صنعة الالحان والعزف بالملاهى يسمُ صاحبهما بالشَّيْن . لما
فى ذلك من التطريب والتصنُّى والتشويق . والقوم هناك يَغْلُون فى
الدين . ويحذرون من كل ما يُلذ الحواس . ولذلك لا يشآون ان
يتعلموا الغناء والعزف باحدى آلات الطرب . او يستعملوها فى معابدهم
وصلواتهم كما تفعل مشايخهم الافرنج . خشية ان يُفْضى بهم ذلك الى
الاحاد . فعندهم ان كل فن من الفنون اللطيفة كالشعر والايقاع مثلا
والتصوير مكروه . ولكن لو انهم سمعوا ما يتغنَّى به فى كنائس مشايخهم
المذكورين من الموشحات . او ما يُعزَف به على الارغن من اللحن
الذى وَلَعَ الناس بها فى الملاعب والمراقص ومحال القهوة استجلابا للرجال
والنساء . لما راوا فى الطنبور اثما . فان الطنبور بالنسبة الى الارغن كالنصن
من الشجرة او كالفخذ من الجسم . اذ لا يُسْمَع منه الا طنطنة وفى الارغن
طنطنة ودندنة وخخنة ودمدمة وصلصلة ودربلة وجلجلة وقلقلة وزقرقة

ووقوة وببقة وفقفة وطقطقة ودقدقة وقعقة وفرقة وشخشة
 وخشخشة وجرجرة وغرغرة وخرخرة وقرقرة وبربرة وطبطبة ودبدبة وكهكهة
 وقهقهة وببع وبعبعة وزمزمة وهمهمة وحكمة وعظممة وثاتاة وداداة
 وضاضاء. وياياآ وقاقآ. وصصلق وجلبلق وغطيط وجخيف وفحيح وخفيف
 ونشيش ورنين ونقيق وطنين وعجيج وارير ودوى وخريز وازيز وهرير
 وصريف وصرير وشخب وصتي وموآ وعاقي غاقي وغي غق وطاق طاق
 وشيب شيب ومي مي وطبخ طبخ وقيق قيق وخازباز وخاق باق . فاين
 هذا كله هداك الله من طن طن . فان قيل ان الرغبة عن العزف به انما هو لكونه
 يشبه الآلية . قيل فما بال النساء يدخلن الكنائس وعلى رؤسهن هذه القرون
 الفضة وهي تشبه فطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره . وفنطيسة الخنزير
 اجلك الله عن ذكره تشبه كذا وكذا . فقد تبين لك ان اعتراضك غير وارد . وان
 ذكر الطنبور كان في محله . فان ابست الآ العناد وتصديت لان تخطئي
 وتتعبني بزلّة قلم وبغير زلة . ورمت ان تبدي للناس براعتك في
 الانتقاد على فاني امسك عن اتمام هذا الكتاب . ولعمري لو انك علمت
 سبب شروعي فيه وهو التنفيس عن كربك وتسليّة خاطرك لما فتحت
 فاك على باللامة في شئ . فقابل الاحسان اصلحك الله بالاحسان
 واصبر على حتى افرغ من غزل قصتي . وبعد ذلك فان عن الخاطرك
 ان تلقى بكتابي في النار او الماء فافعل . ولنعد الان الى الفاريابي فنقول
 انه اقام مع والدته في البيت يتعاطى الساخة . وانه لم يلبث ان ورد
 عليه نعي والده في دمشق . فتفطر قلبه لهذا الفجع وودّ لو بقي الطنبور
 عند ناهبه * وكانت امه تنفرد في كل صباح وتندب زوجها وتحتسر عليه
 وتذرف المدامع لفقده . فانها كانت من الصالحات المتحبات لزوجهن

عن خلوص وداد وصدق وفاء . وكانت تظن ان ابنها لا يراها في
انفرادها حتى لا يزيد حزنها برؤيتها اياه يبكي لبكاؤها . لكن الفاريابي
كان ينظرها في خلوتها ويكي لوحشتها ووحدها اشد البكاء . فاذا رجعت
كففى عبراته وتشاغل بالكتابة او بغيرها . ومذ ذلك الوقت عرف انه
لا ملجأ له بعد الله غير كذه فعكف على النساخة . غير ان هذه الحرفة مذ
خلق الله القلم لا تكفى المحترف بها ولا سيما في بلاد لوقع قرشها طنين
ورنين . ولرؤية دينارها تكبير وتعويذ لا ان ذلك جود من خطه ورقق
من فهمه .



الفصل الخامس

في قسيس وكيس وتحليس وتلحيس

-o-o-o-

من قرا آخر الفصل المتقدم ثم اثناء خادمه يدعوه للعشاء فترك الكتاب وقام يستقبل الكاس والطاس والقدح والكوب مما اختلفت اشكاله وتفاوتت مقاديره . ثم اقبلت عليه اخوانه يسامرونه فمنهم من قال له انى ضربت اليوم جاريتى ونزلت بها الى السوق على عزم ان ابيعها ولو بنصف ثمنها . وذلك لانها اجابت سيدتها جوابا سخيفا . ومنهم من قال له وانا ايضا ضربت ابني اشد الضرب لانى رايتہ يلعب مع اولاد الجيران ثم حبسته في الكنيف وهو باقى الى الان فيه . وبعضهم قال وانا ايضا حرّجت اليوم على زوجتى بان تطلعنى على جميع ما يخطر ببالها ويخرج صدرها من الافكار والهواجس . وبما تحلمه ايضا في الليل من الاحلام التى تنشا عن امثلاء الدماغ من بخار الطعام . او من دخان الغرام قبل النيام . وقلت لها ان لم تخبرينى باليثنين اصريت بك ابانا القسيس فيكفرك ويحظر عليك ثم يستخرج منك كل ما تكنين وتضمرين . ويطلع على كل ما تسترين وتخفين وتضمنين . وعلى ما تحذرين منه . وتحرصين عليه وترثخين له وتميلين اليه وتكلفين به . وقد خرجت من دارى غضبان متسترا وجزمت بان لا اصالحها الا اذا كانت تقص على احلامها . وبعضهم قال ان مصيبتى في بنتى

اعظم . وذلك انها بعد ان تمسّطت اليوم وتعصبت وتعطرت وتطيبت وتطوّست
وتبرقشت وتزيّنت وتبرّجت وتزيّغت وتصرّجت وتزخّفت وتزبرجت
وتشوّفت وتسرجت وتنقشت وترقّشت وتزهنعت وبرّقت وتحفّلت وتزوّقت
وتقيّنت وتزلقّت وتزبرقت وتآلقت جلست بالشباك لتنظر الواردين
والصادرين . فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتنى فرجعت الى
موضعها . واهمّتنى انها تخط هناك بعض ملبوس لها . فكانت كلّما غرزت
بالابرة غرزة تنظر نظرتين . فقامت اليها مستشيّطا غيظا وجذبته بشعرها
الذى مشطته وصفرته وعقصته فطلع بيدي منه خصلة وهاهى معى . وهيات
ان تنتهى عن غيها ولو نشفّت شعرها كله . فانها كالهمزة الجامعة بغير
عنان . لا يردّها لكم بالاكف ولا ضرب بعيدان . نعم ان من ملأ أعصاله
بالوان الطعام . واذنيه بمثل هذا الكلام . فلا بد وان يكون فد نسى ما جرى
على الفاريّاق من الوقوع الحسى والمعنوى . ومن فجعه بنعى ابيه . ومن
اقباله على نسخ الكتب واكتسابه من ذلك جودة الخط فمن ثم اضطرت
الى الاعادة . وازيد هنا ان اقول . انه لما شاعت براعته في النسخ ارسل اليه
من اسمه على وزن بغير بيعر يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان
يحدث في زمانه . وليس الغرض من ذلك افادة احد من العالمين . وانما كان
امساكا للحوادث من ان تتفلّت من مدار الايام . او تنفك من سلسلة
الاحوال . فان كثيرا من الناس يرون ان احضار الماضى وجعله حالا منظورا
من الامور العظيمة . ولذلك كانت الافرنج جراضا على تقييد كل ما يقع
عندهم . فخرج عجز من بيتها صباحا وعودها اليه في الساعة العاشرة
وهي تفقد كلّها . والريح عاصفة والمطر واكف لا يفوت اقلامهم . ولا يعدو
خاطرهم . ففي مقدّمة ديوان لامرتين اعظم شعرا . الفرنساوية الموجودين

في صرنا هذا هو الديوان الذي سماه التامل الشعري ما ترجمته . وكانت العرب يدخنون التبغ في قصبات لهم طويلة وهم ساكنون وينظرون الى الدخان متصاعدا كاعدة زرقاء لطيفة الى ان يضمحل في الهواء اصمحللا يشوق الراى . والهواء اذ ذاك شفاف لطيف . الى ان قال . ثم ان صحبى من العرب جعلوا الشعر في محال من شعر المعزى ووضعوها في اعناق الخيل وهي حول خيمتى . وارجلها مربوطة في حلق من حديد وهي غير متحركة . ورؤسها مخفوضة الى الارض مظلة بنواصيها الشعشة . وشعرها اشهب براق يخرج منه دخان تحت اشعة الشمس الحامية . وكانت الرجال قد اجتمعت تحت ظل زيتونة من اعظم ما يكون . وفرشوا تحتهم على الارض حصيرا شاميا واخذوا في الحديث والحكايات عن البادية وهم يدخنون التبغ . وينشدون اشعار عنتر وهو من شعراء العرب الذين اشتهروا بالحماسة والرعاية (اى رعاية البهائم) والبلاغة وقد بلغت اشعاره منهم مبلغ التنباك في الاركيلة . وحين كان يرد عليهم من الابيات ما يوتر في حسهم اكثر كانوا يرفعون ايديهم الى اذانهم ويطرقون برؤسهم ويصرخون تارة بعد تارة الله الله الله . الى ان قال في وصف امرأة رآها تبكي عند قبر زوجها . وكان شعرها مسدلا من عند راسها ملتقا عليها ومماسا للارض . وكان صدرها مكشوبا كله على ما جرت به العادة عند نساء تلك البلاد من بلاد العرب . وحين كانت تتطأ للثم صورة العمامة على رجام القبر او تصغى اذنها اليه كان نديها البارزان يمسان الارض ويرسمان في التراب شكلهما كالقالب . اه صفحه ٢٤ وسائر هذه المقدمة على هذا النمط مع انه سماها مقدور الشعر . اى ما قدره الله تعالى على الشعر والشعراء . وفي رحلة شاطوبريان الى اميركا وهو ايضا من اعظم شعراء عصره ما صورته . وكان منزل رئيس الدول

المتحدة عبارة عن دار صغيرة مبنية على اسلوب الانكليز فى البناء . من دون خفرة عندها من العسكر ولا حشم داخلها . فلما قرعت الباب فتحت لى جارية صغيرة فسالتها هل الجنرال فى البيت . فاجابت نعم . فقلت ان عندى رسالة اريد ان ابلقه اياها . فسألتنى عن اسمى وصعب عليها حفظه فقالت لى بصوت منخفض ادخل ياسيدى . (واورد هذه العبارة باللغة الانكليزية وهى *Walk in sir*) تنبسيها على معرفته لها) ثم مشت امامى فى ممشى طويل كالدهليز . ثم دخلت بى الى مقصورة وشارت الى ان اجلس فيها منتظرا النخ صفحه ٢٥ . وفى موضع اخر . انه راى بقرة عجفاء لامرأة من هند اميركا . فقال لها وهو راى لحالها . ما بال هذه البقرة عجفاء . فقالت له انها تاكل قليلا . واورد هذه العبارة ايضا باللغة الانكليزية وهى *(She eats very little.)* وفى موضع اخر ذكر انه كان يرى كسفى السحاب بعضها فى شكل حيوان وبعضها فى شكل جبل او شجرة وما اشبه ذلك . فاذا قد عرفت هذا فاعلم ان اعتراضك على فى ايراد ما هو غير مفيد لك لكنه مفيد لى لا يكون لا بعننا . فان هذين الشاعرين كتبنا ما كتباه ولم يخشيا لومة لائم ولم يعترض عليهما احد من جنسهما . وقد اشتهر فضلهما وصيتهما حتى ان مولانا السلطان ادام الله دولته اقطع لامرتين فى ارض ازميز اقطاعات عظيمة . ولم يسمع عن ملك من ملوك الافرنج انه اقطع شاعرا عربيا او فارسيا او تركيا مقدار جريب واحد فى ارض عامرة . ولا غامرة . فاما كون وزان بغير بيعر قد حاكى الافرنج فى تاريخه وهو عربى وابواه ايضا عربيان وعمه وعمته كذلك عربيان . فما لم اتيقنه الى الان . ولعلى اعلمه بعد انجاز هذا الكتاب فاخبر به القارى ان شآ الله . وانما ارجوانه اى القارى لا يقطع قراته لجهد سبب هذه المحاكاة وان يكن العلم به مهما .

ودونك مثالا مما كان يكتبه الفاريقي في اساطير بغير بيعر . في هذا اليوم وهو الحادى عشر من شهر اذار سنة ١٨١٨ قصّ فلان ابن فلانة بنت فلانة ذنب حصانه لاشهب بعد ان كان طويلا يكنس الارض . وفي ذلك اليوم بعينه ركه فُكبا به . فان قلت ما سبب النسبة الى لام دون لاب . قلت ان بغير بيعر كان من المتدينين المتورعين المتقين . فنسبة الولد الى امه اصح واصدق من نسبته الى ابيه . فان لام لاتكون الا واحدة بخلاف لاب . ولكون الجنين لا يمكنه الخروج الا من مخرج واحد . ومن ذلك . اليوم نظرت سفينة فى البحر ماخرة فظنّ انها بارجة قدمت من احد مراسى فرنسا لتحرير اهل البلاد . لكنه عند التحقيق ظهر انها كانت زورقا مشحونا ببراميل فارغة . وكان سبب قدومه للاستقاء من عين كذا . فان قيل ان هذا خلاف الميعود . فان من شأن الكبير ان يبدو للعين عن بُعد صغيرا لا عكسه . قيل ان الانسان اذا اعطى نفسه هواها رآى الشئ بخلاف ما هو عليه . فمن احب مثلا امرأة قصيرة لم يربها قصرا . ومن خلا بمحبوبته فى قشرة راها اوسع من صرح بلقيس . وبعد فانا نرى النور الصغير عن بُعد كبيرا . فلا غرو ان يبدو الزورق بارجة او شونة . فان القوم هناك مازالوا يحملون بان رؤسهم قد تبرطلت ببراطل فرنساوية ولحموا عرضهم بعرضهم حتى يروا نسآهم كما قال الشاعر

تصيد طبآونا الأسد الصوارى بالحظ او بلفظ فى المسالك
وغزلان الفرنج تصيد ايضا بذئىن معا وبالايدى كذلك

وكان بغير بيعر سُتْهُمَا جَعُظْرَا أُحْرَقَتْ . لكنه كان حليما يحب السلم والدعة . وكان من التغفل على جانب عظيم . فكان مفوضا اموره المعامضية الى رجل

لنسيم شرس الاخلاق عِيْدَه به كبر وُعْجِيَّة وعجرفة وتفجس وطرسة .
 وكان تفضى عليه الساعة والساعتان وهو لا يسدى ولا يعيد . فيظن
 الغر انه معمل فكره فى تدبير الدؤل . او تلخيص النحل . فقد جرت
 العادة بان الرجل اذا كان ذا منزلة رفيعة فان كان عييا مفحما عد
 رزينا وقورا . وان يك مهذارا عد فصيحاً . فاما اموره المعادية فانهما
 كانت تعلو وتسفل وتضوى وتجزل وتُغْتَق وتُرتق بتدبير قسيس
 ذى دعابة وفكاهة وبشاشة وهشاشة . قصير سمين . ابيض بدين . وكان
 هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكنا لا يباريه فيه النسيم .
 والقى عصاه عند احدى بناته وكانت ذات وجه وسيم . ومنطق رخيم .
 وكانت تزوجت برجل قد جنّ وتخبّل فخلّته وجنونه واعتصمت بعقوة
 ابيها فكان القسيس آمرا عليها مطاعا . ناهيا وزاعا . فكانت كلما
 دخل فيها شى او خرج منها شى تطالعه به لانها كانت ممن قُفْط
 قُطِرَى الدين والدنيا معا . وكانت تعترف له بجرائرها في الخلوة .
 وهو يسالها عن كل زلة وهفوة . فيقول لها هل تتذبذب ألياك
 ويترجرج ندياك عند صعودك الدرج او عند المشى . وهل يحدث
 فيك هذا الارتجاج من لذة . فقد ورد في بعض الاخبار ان بعض
 الجلامطة كان يرتاح الى اى ارتجاج كان . حتى كان كثيرا ما
 يتمنى ان تتزلزل الارض من تحته . وتمور الجبال من فوقه . وهل
 يُمَثَل لك في الحلم ضجيع يكافحك . وخليع يضافحك اذ لا فرق
 عند الله بين اليقظة والنام . وان اعظم الحقائق انما بُنى على
 الاحلام . وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتبهت ان تكونى
 خُنْشَى . اى ذكرا وانثى . لا لا ذكر ولا انثى كما تقول العامة .

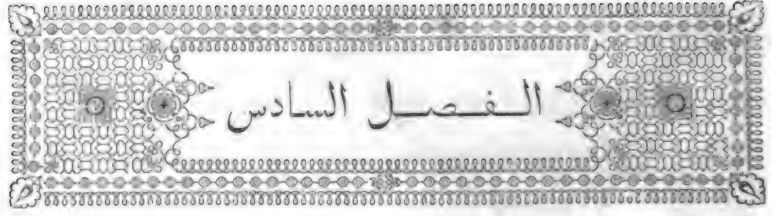
فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربانيين الراتيين . وغير ذلك من المسائل التي يضيق عن تفصيلها هذا الفصل . وكان ابوها لا يسيئ به الظن لما تقرر عنده من ان كل من لبس السواد فهو من الفاطميين اهلهم عن اللذات . الخاصين انفسهم عن الشهوات . حتى انه نظر يوما في بعض الكتب هذا البيت وهو

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفأويقى حتى ما تدرلنا ثعل
فطن انه تعريض بهم وتلميح اليهم . فامر باحراقه فأحرق وذرى رماده .
ورأى يوما آخر بيتين في كتاب آخر وهما

ما بال عيني لا ترى من بين من لبس السواد من العباد نحيفا
ما كان من لحم وشئ غيره فيهم فاصلب ما يكون وقوفا
فامر ايضا باحراق الكتاب . وبعث جواسيس في البلد يتجسسون
عن مولفه ونودى في الروابي والوهاد . ألا من دل على مولف كتاب كذا
فانه يجرى احسن الجزاء . ويرقى الى رتبة سنية . فلما سمع المولى بذلك
اضطر الى الاختفاء مدة حتى نسي اسمه . فان قلت ان هذا الفعل
خلاف ما وصفته به من الحلم . قلت ان عادة اهل تلك البلاد ان
الحلم يكون محمودا في كل شئ ألا في امرين حرمة العرض وحرمة
الدين . فان الاخ لا يبسل اخاه الى الهلكة من اجلهما . ثم ان الفارياق
اقام عند هذا الحليم مدة لم يحصل فيها على طائل . وكانت نفسه عزيزة
عليه فلم يرد ان يسأله . فمن ثم جمع ذات ليلة خطبا وتبنا كثيرا واطلق
فيهما النار فانبعث اللهب نحو مقصورة بعير بيعر . فظن ان النار
قد سرت في قصره . فاستوشى القيام والقعود فاقبلوا يتسابقون الى موضع
النار . فراوا عندها الفارياق يزيدنها من الحطب الجزل . فسأله عن

ذلك فقال ان هذه النار من بعض النيران التى تنسب عن اللسان . وان لم يكن لها صورة لسان . ومن فوائدها انها تنسب الغافلين . وتنبذ الباطلين . أن ورآها لقولا شديدا . ولسانا حديدا . فقالوا ويحك انما هي من بدعك أو يكلم احد بالنار . لقد سمعنا ان الانسان يكلم غيره ببوق او بقرع عصا او باشارة اصبع او بغمز عين او برمز حاجب او برفع يد من عند الابط . فاما بالنار فبدعة وعلال . وكادوا ان يبدعوه ويكفروه وينسبوه الى التمجس ويطرحوه النار . لولا أن قال قائل منهم . ردوا الجواب على مرسلكم . ولا تفعلوا شيئا عن تهوك . فلما اخبروه بما راوا وسمعوا . استرآه واستنطقه عن ذاك الاجيج . فقال اصلح الله المولى . وزاده فضلا وطولا . قد كان لى كيس لا ينفعنى ولا انفعه . وللالكياس ولما جاء على وزنها ورويتها عادة مخالفة لسائر العادات . وهى انها اذا خفت ثقلت . واذا ثقلت خفت . فلما خف كيسى في جوارك السعيد اى ثقل احرقته بهذه النار . وانما جعلتها عظيمة هكذا لانى كنت اتوهم كرضوى في جيبى . حتى انه كثيرا ما منعنى عن النهوض والخروج لحاجة مهمة . فلما سمع قوله ضحك من خرافته ورضخ له من كفه الجامدة شيئا يقابل ما كتبه له الفارياب في اسفاره في الخساسة . فاقبل يحنبش الى بيته وآلى ان لا يكتب شيئا بعد ذلك الا ما طاب موقعه . وجل نفعه . رجا . ان تكون الاجرة على قدر العمل . وهيئات فان اكثر الناس نفعا وشغلا . اقلهم اجرا وجعلا . ومن لم يحسن الا التوقيع . أحل المحل الرفيع . ولقمت يده وقدمه كما يلقم الثدي الرضيع .





في طعام والتهام

بينما كان الفاريابي راسه ورجلاه في البيت كان فكره يصعد في الجبال * ويرتقى التلال * ويتسور الجدران * ويتسّم القصور ويهبط الاودية والغيران * ويرتطم في الاوحال * ويخوض البحار * ويجوب القفار * اذ كان اقصى مراده ان يرى منزلا غير منزله * وناسا غير اهله * وهو اول عناء الانسان في حياته * فعن له ان يزور اُخا له كان كاتباً عند بعض اعيان الدروز * فسار وحقائبه الاماني * فلما اجتمع به ورأى ما كان عليه القوم من الخشونة والتدشّي ومن الاحوال المغايرة لطباعه * انكر بعضها ووطن نفسه على تحمل البعض الاخر * ولم يشا وشك الرجوع من دون تقيّ معرفتهم * ولو كان رشيداً لصرف نفسه عن هواها من اول يوم * اذ ليس من المحتمل ان اهل مدينة او قرية يغيّرون اخلاقهم وما ربوا عليه لاجل غريب دخل فيهم * ولا سيما اذا كانوا شياطينة ذوى بسطة وباس * وكان هو قميّاً * ولكن الانسان كلما قلّ شغله كثر فضوله * فلا يكتفى بمجرد ما يسمع باذنه حتى يرى بعينه * وكان الفاريابي كلما زاد بهولاً القوم خبرة ونقداً * زاد اعراضاً عنهم وزهداً * لانهم كانوا غلاظ الطباع * بهم جفاء وافتاع * وسخى الوساد والملبوس * ملازمى الضّفى والبوس * واقدروهم كان طبّاخ الامير * فان

قميصه كان انتن من المحاة . وقدميه اقلتا من الوسخ ما لا تكاد تكشفه
عنه المسحاة . وكانوا اذا قعدوا للطعام سمعت لهم زممة وهممة . وقعتة
وطعطة . فحلتهم وحوشا على جيفه . يثرملون ويرمطون وينهسون ويتعرقون
ويتمششون ويتلمطون ويتمطقون ويلدسون ويلطعون ويستنطعون وكل ذلك
فى فرشة خفيفة . فكنت ترى فى جبهة كل منهم مضمون ما قيل من
لئلى . لم يتقصى . فاذا قاموا رايت الرز مزروعا فى لحاهم . والوضر
متقاطرا من كساحم . فكان الفاريق اذا آكلهم قام جوعانا . ومعت عليه
امعاوة فى الليل فبات سهرانا . فكان يقول لاخته عجبا لمن يعاشر هولاء
الناس . من الاكياس . ما الفرق بينهم وبين البهائم . سوى بالحي والعائم .
لا جرم انهم عاشون فى الدنيا لسد بصائرهم وافكارهم . ولفتح افواههم
وادبارهم . لا يكاد احد منهم يظن ان الله تعالى خلق بشرا الا وكان دونه .
وما يدرون ان الانسان ليس له بمجرد النطق فضل على العجماوات . ومزية
على الجمادات . فان الكلام انما هو مادة لصورة المعانى . ولا تنفع المادة
وحدها اذا لم تحل فيها الصورة التى هى الوجود الثانى . وقد يقال ان
الرقين . تغطى اذن لافين . وهولاء قد حرّموا من العقل والنعمة . ورضوا من
الكون كله بالنسمة . كيف تطيق ان تعاشر هولاء الهنج . وفذلك بين
الناس قد بلج . فقال له اخوه ان كثيرا ليحسدوننى على مكانتى عند
الامير . وانى لكيد حسادى اصبر على العسير . كما قيل

وكم اشيا يحسبها اناس لفاعلها نعيما وهى بوس
ولولا ان يكيد بها حسودا لانكر ذكرها وبه عبوس

وفضلا عن ذلك فان القوم ذوو نخوة ومروءة . وشهامة وفتوة . وانهم وان

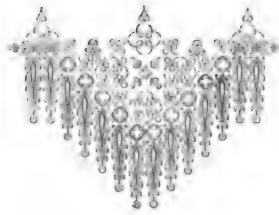
يكونوا سيئى الادب على الطعام * فهم متادبون فى الفعال والكلام * لا
ينطقون بالخنى * ولا يعرف بينهم لواط ولا زنا * غير ان الفاريق كان يرى
الادب كله فى المادبة * فكانه كان قد تخرج على بعض الافرنج او كان له فيهم
نسبة * فمن ثم استدعى بقريحتته على هجوم فلبته * ونادى القوافى لوصفهم
فاجابته * فنظم فيهم قصيدة بيّن فيها سوء حالهم * وخشونة بالهم * من جملة ما
يى نغر كلّ عنهم سكينه وسلاحه الماضى فائى المطعم

ثم عرضها على اخيه وكان مشهودا له بالادب * وعلم لغة العرب * فاستحسنها
منه على صغر سنه * واصجب ببراعة فنه * ثم لم يلبث ان اشتهر امرها * وشاع
ذكرها * وذلك لان اخاه من شدة اعجابه بها تلاها على كثير من معارفه
فبلغها بعض الحساد * الى امير الناد * وكان هذا المبلغ نصرانيا فان الحسد
لا يكون الا عند النصارى * مع ان كثيرا ممن تليت عليهم من الدروز كانوا
داخلين يى عداد المهجّرين * فلما سمع الامير بذلك استاء جدا وقال
لاخيه * تالله لقد جاء اخوك امرا فريّا * كيف يهجونا وهو صيفنا وقد انزلناه
منزلا كريما * وسقنا اليه رزقا عميما * لعمر الله لئن لم يتدارك هجومه بقصيدة
مدح لاغيظنه * وكان هذا الامير متصفا بصفات العرب يى الفروسة
والنجدة * وفى شرآء الحمد جهده * غير انه كان يكل الامور الى المقدور *
ولا يهتم ترتيب حاله * والنظر فى ماله * ثم خشي من ان يكون هذا الوعيد
ادعى الى زيادة الهجو اذا فصل عنه الفاريق وهو مغيط * فرأى ان الاغضاء *
اجلب الارضاء * وان التملق * اوفق للتلق * فمن ثم سار صديقا له من
علماء ملته * وفصلا نحلته * ان يصنع مادبة ويدعوه اليها والفاريق واخاه *
فلما جمعهم السادى * وجى بالحملا * على اطباق كالهواذى * اقسام الامير

قائلا والله لا اذوقن من هذا شيا او ينظم ابو دلامة يعنى الفارياب بيتي
مديح ارتجالا . فابتدر وقال بديها

قد كاد طبع ابى دلامة انه يهجو لان الهجو وفق جناحه
لكنما هذا الخبيص نهاه اذ مُزجت حلوته بمر لسانه

فَجَنَّ الحاضرون استحسانا لهما * حتى ان الامير لم يتمالك ان صافح
الفارياب وقبله بين عينيه فانعدت بذلك المودة ورجع كل راضيا *
وقفل صاحبنا الى بيته . وآلى ان لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنوب
احد من كبراء الناس * وان يسد اذنيه عن صوت
صيتهم وان غلب على
الاجراس *



الفصل السابع

في حمار نهباق وسفر واخفاق

-oooo-

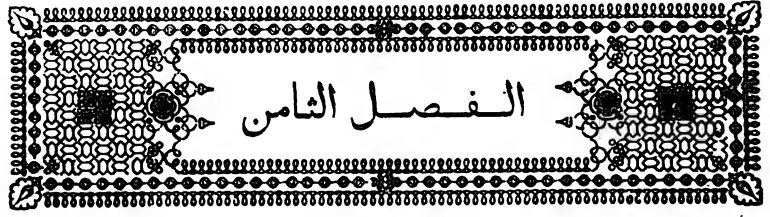
ثم لبث الفاريق يتعاطى حرفه الاولى ومثل منها ملل العليل من الفراش *
 وكان له صديق صدوق يراقب احواله * فاجتمع به مرة وخاصا في حديث
 افشى الى ذكر المعاش * والتظاهر بين الناس باحسن الرياش * فقر رأى
 كل منهما على ان الانسان في عصرهما لا يُعَدُّ انسانا بفضل ومزينة * بل
 ببيزته وزينته * وان الناس المولودين من الخبز والحريير والظن والكتان
 المعلقين في اوتاد حوانيت التجار اعظم قدرا من الناس الماشين العارين
 عنها * وان المرء اذا كان ضيق الصدر والراس * بحيث يكون واسع السراويلات
 واللباس * كان هو النبه الآفق المشار اليه بالبنان * المحمود بكل لسان * فاجمعا
 رايهما على ان يستبصعا بضاعة ويقصدا ترويحها في بعض البلاد استطلاعا لحال
 اهلهما وتفرجا من كرب بالهما * فاكتريا حمارا لحمل البضاعة وهو لا يستطيع
 حمل جثته من الهزال والصوى فضلا عن علاوته * ولم يكن قد بقي فيه شئ
 شديد سوى نهباقه وزقاعه * فالاول للاستعلاف * والثاني لمن ينخسد او يلتقي
 عليه الاكاف * ثم سارا وهما ينصلمان ثوب النجاح على قامة آمال * ويقدران
 بساط الفوز على ندحة الاجال * فما بلغا طيتهما الا والحمار على شفا جوف

هار من رَمَقِه . والفاريقي ايضا زاهق الروح من تعبد وقلقه . نادم على ترك
 القلم الضئيل . معما كان ينفث به من الرزق القليل . ويومئذ عرف عاقبة
 التَّجَشُّع . وتَبَعَةُ الرَّئْع . وظهر له سَفَاه رايه في الشراعة الى ما يوجب نَصَب
 الابدان . وبَلْبَال الجنان . غير ان اللبیب من استخراج من كل مضرة
 منفعته . ومن كل مفسدة مصالحة . حتى ان في فقد الصحة لنفعاً لمن
 رشد . وخيراً لمن قصد . اذ العليل وهو ممدود على وساده . تقصر نفسه عن
 التماذى فى فساد . وفى شهواته المنكرة واهوائه الموبقة . فتقوى بصيرته
 والمرض ناهكه . ويملك سدادته والالم ماله . ويرضى الله والناس بما هو
 سالكه . وهكذا كانت حال الفاريقي . بعد مقاساته تلك المشاق . فانه لما
 احسّ بضعك السفر . ولقى منه ما لقي من الضرر . تبسّين له ان شق القلم
 اوسع من حقائب البياعة . وان سواد المداد ابهى من الوان البضاعة . وان فى
 تزويج السلعة . لمعرة دونها معرفة الغدّة والسلعة . فجزم بانه عند الاياب الى
 وطنه . يرضى بلبين العيش وخشنة . ولا يبالي ان لم يكن ذا شارة رائقة . او
 طلالة رافعة . او معيشة واسعة . بحيث لا يجوب امصاراً . ولا يتلو حماراً . اما
 وصفى الحمار على اسلوبنا معاشر العرب فانه كان زبوناً بليداً . حروناً عنيدا .
 تارزاً قديداً . لا يكاد يخطو الا بالهراوة . واذا راي نقطة ماء فى الارض
 طنّها بحراً ذا طُفاره . فاجفل منها اجفال النعام . ووَجَل كما يُوجَل من
 الحمام . واما على الطريقة الافرنجية فانه كان حماراً ولد حماراً وَاَمَدَ اثنان
 من جيل كلهم حمير . وكان لونه يضرب الى السواد . ومِسَّ شعرة كمِسَّ القناد .
 مصَلَّم الاذنين ولا نشاط . اسم الرجلين بادى الامعاط . ادرم افوه . ادلم
 اقرة . يفر كح فى بسّه . ويرفس عند نخسه . ويكرف ويتمرغ . ويشغ ويبدغ .

لا تحيك فيه العصا . ولا يعمل فيه الزجر اذا عصى . ولا يتحرك الا اذا احس بالعلف وان يكن زوانا . ولا تظهر فيه الحيوانية الا اذا راى اناثا . فيريك ج سُمُوها واستنسانا . ونشاطا وصُميانا . حتى كثيرا ما كان يقلب حمله . ويفسد عدله . وفيه خلّة اخرى وهى انه كان دائم الاحداث على قلة اعمال صرسه ١ مواصل الغفق فى النجوة والخفض زيادة على نحسه . فان منشأه كان فى بلاد يكشر فيها الكرنب والفجل والساجم . واللث والقبسبى كبحص بلاد العجم . فلهذا اعتاد على اخراج هذه الرائحة من صغره . وزادت فيه بازدياد عمره . فكان لابدّ للماشى خلفه من سدّ انفه . والاكثار من أفه . وفى كلا الوصفين فان رفقة هذا البهيم . لم تكن اقلّ اذى من السفر لاليم . وانه بعد جولان عدة قرى . ليس فيها من ماوى ولا قرى . وبعد مجادلات مع الشارين طويلة * ومحاولات ومساومات وبيلة . قنع الفاريق وشريكه من الغنيمة بالاياب . ورضيا باللفا والعود الى المآب . ولما ان البشر الفارغة لا تمتلى من الندى . وان التعب في تجارتها يذهب سدى . فتسببا في بيع البضاعة بقيمتها . كيلا يشمت بهما من ينظرهما راجعين بباهيتها . وباتا تلك الليلة خالي البال . من القيل والقال . فان من الناس من لا يعجبه شراء شى لا بعد تقليبه . وبعد تحقيق بائعه وتكذيبه . فلا بدّ للبائع من ان يكون عن مثل هولا متصاما متغافلا . متعاميا متساهلا . وتلك خلّة لم تكن فى الفاريق ولا فى صاحبه . فان كلا منهما كان يحاول استمالة الكون الى جانبه . ثم انهما رجعا بضمن البضاعة وبالحمار وسلما المال لصاحبه . فعرض عليهما سلعة اخرى فأبيا . وتواعدا ان يجتمعا مرة اخرى للشركة

فى مصاححة اهم. وآثرا ان تكون فى البيع والشرآ . وقد جرت العادة
بين الناس بانه اذا تعاوى احد عملا ولم ينجح به أول مرة لآ به الشره
الى معاطاته مرة اخرى . اذ ليس احد يرضى لنفسه نحس الطالع وشوم
الجذ . وانما ينسب حرقه فيما احترق به الى بعض عوارض وطوارى
حدثت له . فيقول فى نفسه لعل هذه العوارض لا تقع هذه المرة .
وعلة ذلك كله اعتماد الانسان على رشد نفسه . وثقته بسعيه والركون
الى حدسه . وقد تهوى ذلك كثير من الخلق . واكثرهم جنى على نفسه
فى التهاوت على الرزق .





في خان واخوان وخوان

ثم انه بعد مذاكرة طويلة بين الفارياقي وصاحبه قرأيهما على ان يستاجرا خانا على طريق مدينة الكعيكات . حيث ترد القافلة منها الى مدينة الركاقات . فاستبصعا ما يلزم لهما من الميرة والأدوات ولبثا فيه يبيعان ويشتريان بما تيسر لهما من راس المال وذنبه . فلم تمض عليهما بركة وجيزة حتى انتشر صيتهما عند الواردين والصادرين . وعرف رشدهما جيع المسافرين . فكان الناس يقصدونهما لاقتصادهما . وكثيرا ما انتاب خانهما اهل الفضل والبراعة . والوجهة والاستطاعة . حتى كأنه كان حديقة يتفرج فيها المكروب . وعادة اهل ذلك الصقع انهم لا يكادون يجتمعون في محل لا ويتنازعون كاس البحث والمناظرة . ويخوضون في امور الدنيا والاخرة . فان اثبت احد شيئا نفاه الآخر . وان استحسسه استهجنه وزعم انه من المنكر . فيتحزب القيم احزابا قديدا . ويمتلئ المكان صخباً وإددا . وربما انتهى البحث الى التفاخ بال نسب . والتكاثر بالحسب . فيقول احدهم مثلاً لقرينه . اترد على وأبى نديم الامير وسميرة واكيله وشريبه وجليسه وانيسه وخصيصه ونجيته . لا يقضى ليلة من الليالي الا ويستدعى به لمسامرته . ولا يحكم بشي الا بعد مشاورته . وقد عرف اهل من قديم الزمان بانهم سُفراً البلاد . ونواميس

الامجاد . وما احد من الناس ما جَدُّهُم ولا شارفهم ولا كاترهم ولا فاخرهم ولا
فاصلهم الا وعاد ممجودا ومشروفا ومكثورا ومفخورا ومفضولا . وربما أُعِلَّت
بعد ذلك الهراوات . وقامت مقام البينات . فيتنمّر منهم من لم يكن
يتنمّر . ويعربد من سكر ومن لم يسكر . فينتهى الامر الى امير الصقع .
فيبعث عليهم مصادرين ذوى صُقع . وويل لمن يكون قد ذكر اسم الامير
وقت الجدل . فان عفوه حينئذ من المحال . فاما فى الحوادث العظيمة
فان المتعدى اذا فرّ من القصاص أخذ بذنبه احد اهله او جيرانه . او
ماشيته او ماعونه وقطع شجرة واحرق منزله . غير ان زمرتنا هذه لم تكن
تتعدى حدّ الجدل الى القتال . فان الفاريق وصاحبه كانا يقومان
فيهم مقام فيصل . فمن هذه الحيثية كثرت الوفود عليهما . وكثيرا ما بات
عندهما اصحاب العيال والراح عليهم دائرة . ولاغانى متواترة . والوجوه
ناصرة . والعمائم متطايرة . فكان ذلك داعيا الى خصام النساء مع بعولتهن .
ومن طبع النساء عموما انهن اذا علمن أنّ احدا يعوق ازواجهن عنهن
اضمرن ان يتقربن الى ذلك العائق ببعض حيلهن . فان كان ممن
يُعشّق صفقن له حالا على المقايضة والمبادلة أخذًا بثارهن . فجعلن من
كل عضومنه بعلا . ومن كل شعرة خلّا . وان كان ممن تبذاه العين رميئنه
بدهاية وتحيلن فى خلاص بعولتهن منه وردّ بضاعتهن اليهن . غير ان
نساء تلك البلاد لا يخاصمن بعولتهن وهن مضمرات خيانتهم او مستحلات
استبدالهم . فانهن ربّيسن على محبة اباآتهن وعلى طاعة بعولتهن . وما
خصامهن لهم الا عتاب . وكم فى العتاب من لذّة . ولم يُسمع عن واحدة
منهن الى الان انها خاصمت زوجها لدى حاكم شرعى او امير او مطران . مع ان
كثيرا من هؤلاء الاصناف الثلاثة يتمنون ذلك فى بعض الاحوال . اما

للافتخار باجرآء العدل والانصاف فى رعيتهم او لعلّة اخرى . ومن طبع
هولآء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفآء العقيدة والتقرب الى الرجال
لا عن فجور . فترى المرأة منهم متزوجة كانت او ثيبّة تجلس الى جانب
الرجل وتأخذ بيده . وتلقى يدها على كتفه وتسد راسها على صدره
وتبسم له وتؤانسف فى الحديث . وتحفه ببعض ما تصل اليه يدها . كل
ذلك عن صفآء: نية وخلوص مودة . واحسن ما يرى فيهن البلاءة والغربة
فانهما فى النساء خير من النكر والدّهاء . هذا اذا كان فى غير ما يشين
العرض وينتهك الحرمة . فاما فى وقت الجّد فلا تصح البلاءة . هذا
ولما كان من دابهن ان يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن ائدآهن من
صغرهن بشى . كان اكثرن هُصلاً اى ذوات ائدآء طويلة . واكثرن
يعتقدن ان فى طول رضاع الولد زيادة صحّة له . فممن من ترضع ولدها
عامين تامين . ومنهن من تزيد على ذلك . فاما محبتهن لاولادهن
ورفقهن بهم وشوقهن اليهم فيجّل عن الوصف . واعرف كثيرا من
البنات كن يبكين يوم زواجهن على فراق آبائهن وامهاتهن واخوتهن
كما يبكى غيرهن فى المأتم او اشد . فاما ما يقال من ان البعولة
ياكلون وحدهم دون نساتهم فكلام لا اصل له . وانما يكون ذلك اذا
كان عند الرجل صيف غريب حتى لو اراد حينئذ ان تقع امراته مع
الصيف لتاكل معه لأبت ورات ان ذلك يكون استخفافا بها وانها كآء
لحرمتها . وفى الجملة فانهن لا يعّبن بشى الا بالجهل وهن فى ذلك
معذورات . فاما الجاهلات من الافرنج فانهن يُصفن الى الجهل مكرآء
وخبثآء . وناهيك بذلك من سبة . وانى ليحزننى جدآ ان اسمع أنّ
هولآء المحبوبات قد ملن من هذه الفضائل وتخلّسن باخلاق اخرى .

فيجب على والحالة هذه ان اغتير ما وصفتهم به من المحامد . او ان
اذن للقارى فى ان يكتب على الحاشية كذب كذب كذب
او هذين البيتين .

ان النساءَ حيثما كنَّ سوى يملن من حيث اناهنَّ الهوى
لا يغررنَّ الغرَّ منهنَّ تُقَى ولا هُدَى ولا نهى ولا حيا
او هذين

سِرُّ مُضْرِبٍ لارض فى طول وفى عرض تَرُ النساءَ يبعن العرض كالعرض
بالرجل يصفقن عند البيع لا بيد وكلُّ قاضٍ على تسجيله يُمضى
او هذين

واذا رأيت من الخرائد عادةً تبدو وتخفى فارجون وصالها
واذا دعيتك لحاجة عنت لها لتكون قاضيا فرج مباح.....
او ما قاله دعبيل

لا يُؤَسِّنكَ من مخدرة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعدما جحا

واعلم ان البلاد التى يتجر فيها بعرض النساء بغير مانع لا بمكس عليه قليل
يدفع لبيت المال لبناء معابد وغيرها دون اعتبار لقول من قال أُمُطْعَمَةُ لا يَتَام
البحر يقل فيها التغرل بهن . فان الرجل هناك ايان خطر بباله ان رؤية
الوجه الصبيح تنفى همّه وتزيل بلباله . وتخفى اثقاله . وتنفس عنه كربه
وتجلو صدا قلبه وتصفى دمه . خرج فوجد صائته تنتظره وراء الباب . فلا
يحتاج عند ذلك الى شكوى وعتاب وتواجد . والى قوله ارق على ارق ومثلى
يارق . وكفى بجسمي نحولا اننى رجل . وذبت وجدا وغراما ونحو ذلك .

فاما البلاد التى يحظر فيها هذا الاتجار فتجد الكلام فى النساء متجاوزا به
وراء الحد . ولذلك كان فى شعر الافرنج لاقدميين من المجون ما تجده فى
كتب العرب . وما ذلك الا لان هذه البياعة كانت وقتئذ ممنوعة . فلما
كثرت قل عندهم المجون . اما فى الجبل فانك لا تجد لهم بياعة ولا مجونا .
وحكى عن الفاريافى انه هوى واحدة من اولئك اللاتى كن يترددن عليه ولم
يكن يحظى منها الا بلمم اخمصها فكان اذا اصبح يقول لصاحبه

ان المقبل رجلها ليجل عن تقبيل راحة قسه واميره
هن الفواتن للخلى فشعرة منهن خير من كنوز غروره



الفصل التاسع

في محاورات خانية . ومناقشات خانية

لاباس في ان نذكرها مثالا لما كان يقع بين تلك الزمرة من المحاورات فنقول . اجتمعت زمرةنا هذه مرة والكاس تدار عليهم . والسور يرقص بين يديهم . فقال افسحهم مقالا . والدَّهم جدالا . اتى الناس فيما علمتم انعم بالآ . واحسن حالا . فقال من بيده الكاس هو من كان على مثل هذه الحالة . وفي راحته ذى الآلة . فقال له ليس ذلك على الاطلاق . ولم يقع عليه اتفاق . فان هذه الحالة لا يمكن كونها دائمة . فتكون غببتها غير تامة . وانما هي بعض من كل . وجز من جُل . وبقي النظر في الباقي . ولا خفا ان مداومة المدام . تورث السقام . وتُفْقِهي عن الطعام . ولذلك سُميت القهوة . ولا يعتادها انسان الا حلت به الشقوة . فقال آخران انعم الناس بالآ امير يجلس على اريكته . وتحفه جماعة من حشمته وحفدته . ياتيهم رزقه رغدا . ويكفيه رازقه في المعيشة جهدا . فاذا اوى الى حريمه خلا بازهر امرأة على اوطأ فراش . فصدق فيهم قولهم . اعجب لاشياء وثرا على وثر . هذا وان اكله المرازمة . وثيابه الناعمة . وامره مطاع . وحكمه مقابل بالاتباع . فقال بعضهم ليس الامر كذلك . وما الحق فيما هنالك . فان الامير لا يخاو بامراته الا وهو مشغول الخاطر . مكدر السرائر . اذ لا يزال يفكر في كونه مخونا

بماله . مغشوشا من عماله . ياكل رهطه زرقه و يذمونه . ويأثمهم فيخونونه .
 ويعطيهم فيبتخلونه . وهو مع ذلك مرصود منهم فيما يفعله . منتقد عليه بما
 يتعمله . وانه ليودّ السفر ولا يحتاج له . ويتمنى رؤية غير بلاده ولا يدرك
 امله . فهو يحسد من يمشى في الارض سهيلا . ويغبط من يعتسف الطريق
 ضللا . فقام بعض النقاد . وقال سمعا يا اهل الرشاد . ان اسعد خلق الله
 راهب لزم كتابه في صومعته . وتفرغ عن الشغل بعقاره وضيعته . فهو ياكل
 من ارزاق الناس . ويعوضهم عنه دعاء يطفح من أصمار الكاس . ويغنيهم
 في الدياجي عن النبراس . ويركب ما لديهم من النجائب . فهو كما قيل
 آكل شارب راكب . ثم ما عليه بعد ذلك ان خرب الكون او عمر . وان مات
 الخلق او نُشِر . فقال بعض ذوى الرشاد . ما هذا القول من السداد .
 فان الراهب وامثاله اذا رأى الناس مقبلين على اعمالهم . مشتغلين
 باشغالهم . لم يرض الدنائة لنفسه ان يعيش من كدّهم . ويستريح على تعبهم
 وجهدهم . ويتحين اوان ردهم . بل يود لو كان شريكا لهم في اتعابهم .
 اخرى من ان يكون شريكا في مصوناتهم . هذا اذا كان نزيه النفس . كريم النفس .
 صادق السعي . ضابط الوعي . ثم ان له عند رؤية الرجال مع نسايتهم واولادهم
 لغصات . وحسرات وأيّ حسرات . ولا سيما اذا خلا في الصومعة . ورأى
 ان سمنه ذاهب سدّى من غير منفعة . وان غيره ممن اضواهم الكد والنصب .
 واجاعهم الجهد والتعب . اقدر منه على بلوغ الارب . مما اصطاح عليه سائر
 خلق الله من عجم وعرب . فقال من استصوب مقالته . وارتاح لما قاله .
 هذا العمرى هو الحق المبين . فان الراهب ومن اشبهه حرى بان يعدّ مع
 الشقيسين . وانما يظهر لى ان اسعد الناس عيشا هو التاجر يتعد في حانوته
 بعض ساعات من يومه . فيكسب بأيمانه المغلظة في ساعة واحدة ما ينفقه

فى شهرة . يجعل الكاسد من سلعته بتكرير كلامه نافعا . والمكروه شائعا .
والدون فائعا . ثم هو ان أوى الى منزله ليلا . اصاب فى خدمته دعد
وليلى . فهو فى نهارة كسّاب للمال . وفى ليلته منفق على ربّات الجمال .
فقال من انتقد كلامه . وتبيّن ذامه . ان التاجر لا يمكن له هذه العيشة
الراضية . ولا تهنؤة هذه النعمة الوافية . الا اذا كان قازبا ذا معاملات فى البلاد
القاصية . وركوب للاخطار . واقتحام للاوطار . ومتى كان كذلك نقص من
رغده . وافرّ تجشّمه وكده . ونقص من لذاته . تعدّد بقيّاته . وملاّ خاطره
اشجانا . ما حاوله ليرضى به زبونا واخوانا . فكلما هبت ريح خشى على سلعته
في البحر . وكلما جسّر صبح اوجس من ورود قادم يخبره بشر . او مالكة
تنبى عن تلف وخسر . وكساد وحظر . فهو لا يزال فى اعمال نظره . وتجرع
اسف وكدر . فقال بعض السامعين . انك لمن الصادقين . اما انا فلا اودّ
ان اكون ذا اتجار . ولو ربحت فى كل يوم مئة دينار . لما يعقب هذه
الحرقه من القيل والقال . والتكذيب والمحال . والمحاولة والمكر . والمداهاة
والنكر . فضلا عن اقتصارى فى الحانوت ربع عمرى . ولا علم لى بما يجرى
في وكرى . فلعلّ رقيباً يخالفنى الى دارى . وانا اذ ذاك اكذب على الشارى
وامارى . واجامل وادارى . ففى عنقى جبل لاثم بما افعل فى مُحترفى .
وبكونى صرت وسيلة لارتكاب الحرام فى مألفى . وانا اظن ان احق الناس
بان يغبط على عيشته . ويبارك له فى حرفته ومهنته . انما هو الحارث
الذى يسعى لنفع نفسه ولغيره فيما يحتره . فيكسب به صحة بدنه وموثة
عياله وذلك خير ما يبرّته . وان زوجه تراوحه على عمله . وترفق به في
عُسره وعُطله . ان مرض مرضته بنفسها وقامت بامر مربعة . وان غاب رعت له
ذمة واباتت تنتظر وشك مرجعه . هذا والتعب يستطيب طعامه .

ويستحلى نيامه . لا ترى ان اولاد ذوى السعى والكّد . اصح ابدانا واذكى
فهما من اولاد ذوى الترفه والجّد . وما ذلك الا لانهم يرقدون عن نّعاس
وياكلون عن جوع ويشربون عن ظما . فاجابه اقرب منّ وليّه . انّ فيما قلت
لنظرا . فانك لم تر الصورة الا من جهة واحدة وفاتشك الجهة الاخرى .
فلعمري ان الحارث مع كدّ بدنه . اسيرهمه وشجنه . وضجيج قلقه وحزنه . اذ
هو عبد العناصر . ورقيق الحوادث والاكابر . ان عصفت ريح خشى على ثمره ان
يتساقط فيسقط قلبه معه . وان كثر المطر اقل وجل من ان يتلف مازرع . وان مات
كبير فى بلده . اشفق من كساد ما تحت يده . وان يكن ذا بصيرة وحجى . سآه
ما يرى اهله فيه من العرى والوجى . والذلّ والاستكانة . والابتئاس والمهانة .
وتحسّرهم على الطيّب من الماكول . والناعم من الملبوس . وعلى كونه لا يحسن
تربية ولده كما يشاء . ولا يمكنه رؤية بلد غير الذى فيه نشأ . فهو مهددة
وقبره . وسجنه وجحّمه . ومع ذلك فهو غرض لا غراض امامه فى الدين . وعصا
يتوكأ عليها من هو فوقه من المثرين . والسائدين . والمسيطرين . فما يكاد
يتخلص من ورطة احدهما الا ويقع فى شرك الآخر . ولا يفوته شرّ الا
واستقبله شر اكبر . وهو مع اصره وجهله . لا يجد مخلصا له ولا لاهله . ولو
انه رام ان ينهج لاهله منهجا ارتضاه لنفسه واستصوبه . ولم يك على وفق
مرام امامه واميره او آخر ذى مرتبة . لم يامن غرامة منهما او حسم عرّبة . او
قصم رقبة . ولم يلبث ان يرى اصحابه له اعدآ . واخذانه الدآ . فهو على هذا
رهين الخصوع . واسير القنوع . فقال قرين له . وقد صدق على ما فصله . نعم ان
هذا لهُو الحق الواضح . وما بعد الرق ذل فاصح . وانى ارى بعد امعان
النظر والتروى . والتحقيق والتحرى . ان اسعد الناس حالا . رجل رزقه الله مالا .
واصلح له بالا . فجعل دابه السفر فى البلاد الغريبه . والمشاهدة للكائنات

العجيبة . فهو كل يوم فى شان . ولد فى كل مَكان . اوطان واخوان . فقال
 قائل قد استوعب فحوى مقاله . واعتقد ما ذهب اليه انه من فُنده وضلاله . لقد
 زغت قصدا . ولم تقل رشدا . اوليس المتعرض للسفر . بَلْوَعَاءَ وخطر . اذ
 كثيرا ما يمينه بامراض شديدة . تغييرُ الهَوَاءَ عليه والاحوال غير المعهودة .
 واضطراره ان يطعم ما يعافه . ويشرب ما به ادنافه . فيكون آكلا لما ياكل
 بدنه . ويذهب وسنه . هذه الافرنج تاتى الى بلادنا فينقصهم عدم وجود
 الخنزير فيها . وخلوها عن السلاحف والارانب وما يضاهاها . اذ يزعمون
 انهم يخلطون شحم الخنزير ودمه فى كل صُبة وحَسَوَ وَحَلَّوْا . ويتخذون
 من لحم السلاحف مرقا به شفا من كل داء . ويعيبون علينا ان لبنا
 غير ضَيِّح ولا مَذوق . وخبزنا مملوح وطعامنا غير مزعوق . وان مانا غير ممزوج
 بالبحير . وخمرنا غير مصبوغة بالعقاقير . وانا نذبح الحيوانات ذبحا وناكل
 لحمها غريضا . وهم يخنقونها خنقا وياكلونه دائدا ايضا . وان جونا غير
 ذى دَجَن . ومطرنا غير دائم الِهْتِن . وان سماءنا غير مُحَلَّسة . وارضنا غير
 مطلية وجهها بالرجيع والروث وسائر الاشياء المنجسة . فبقولنا غير مسيخة .
 واثمارنا غير مليخة . وان شتانا لا يدوم ثلثى العام . وصيفنا لا يُسمع فيه رعد
 ذو ارزام . فاذا جاء احدهم الى بلادنا ليتعلم لغتنا ومكث بين اظهرنا
 عشر سنين . ثم رجع وهو فيها من اهل الجاهلين . احال الذنب على الهوا . فقال
 انه منى منه بالحمى والجوى . او بالاسهال المفرط . والسعال المقتط . هذا
 وان من جهل لسان قوم وهو فيهم . لم يمكنه ان يعرف عاداتهم واخلاقهم
 واستوى عنده ظاهريهم وخافهم . فيرى عندهم ما يرى دون علم . ويسمع ما
 يسمع من غير فهم . فلم يكن لذى السياحة بُد من اتخاذ ترجمان . واعتماد
 عليه فى كل خطب وشان . ولا يلبث ان يسيى به الظن . ويرى ان له عليه

المرء . ولو انه حاول ان يستغنى عنه لفاته معرفة لاحوال . وبات بين القوم ذا وحشة وبلبال . وربما حن الى رؤية اهله . والاجتماع بشمله . فأذنفه الحنين . واصناه بئس الخدين . وانما يطيب السفر ما اذا اتفق انسان مع نِدِّ له نوى . وصديق نجى . وكانا عارفين بلغات كثيرة . وقلوبهما خالية من علاقة الحب بالقلب والبصيرة . وهيهات ان يشفق اثنان على راي واحد . وان تتم لذة من دون مانع جاهد . وهم عاصد . فقال اقل الحاضرين رشدا وفضلا . واكثرهم هزلا . يا قوم . انى قائل قول ولا لوم . ان اسعد الناس واحظاهم . واترفهم وارضاهم . البغى الجميلة التى تفتح بانها لقاصدها . وتبيح نفسها لمرادها . فانها تفتنم انس زاتها وماله . وتتبله بحبها حتى يرى ذله فيها عزاً له . ومتى تمكنت من نفريبذلون لها العين . ويكفونها مؤنة لاطيبين . فلا تحتاج بعدها الى البحث عن مراد فى المسالك . والتعرض للمكاره والمهالك . فاذا هى شاخمت وجدت مما ادخرته فى صباتها ما تنفق منه عن سعة . وما تكفر به عن سيئاتها السالفة فتعيش فى دعة . ويثنى عليها الناس بالتوبة الناصعة . والمعيشة الواسعة . والانسان . مطبوع على النسيان . لا يبالي آلا بما هو كائن لا بما كان . ولا سيما اذا كان الحاضر يجدى نفعا جزىلا . ويسراً مأمولا . وكفى بائمة الدين اذا نالوا منها العطايا الوافرة . والصلوات المتواترة . ان ينشروا عليها احسن الثنا . ويبسروها من كل فحش وخنى . فلها منهم على كل صلة صلوات . وعلى كل دعوة دعوات . فمن مارانى فى ذلك فليسال قرينته . ويكظم صغيثه . ريثما اقيم له على ذلك البراهين . ممن غبروبقى من العالمين . فلما سمعت الجماعة دعواه . ولحنت مغزاه . ضحكوا من هذيانه . وراوا ان الجواب على بهتانه . على طريقة الجدال اندا هو من وضع الشئ فى غير صوانه .

فاضربوا عنه صفحا . وقالوا له قبحا لرايك وشقحا . فلو كان اهل صقع على رايك لفسدت الارض . وبار العُرض ولم يبق من الصلاح اثر ولا بُرّض . وانما اللوم على الكاس التي ذهبت بلبك . وكشفت عن فساد مذهبك . وقبح اُربك . ولعلك تهتدى الى الرشاد اذا افقت من خُمارك . وتبين لك فظاعة هترك واستهتارك . فرأى ان السكوت له اسلم عاقبة من المحاورة والمجاوبة . والمناقرة والمغاضبة . وان الجمهور يغلب الفرد . وان كانوا على ضلال وكان هو على هدى وقصد . فاستنقّ تفنيدهم . وخشى وعيدهم . وتفرقوا ولم يجمعوا رايهم على اى الناس اسعد . واتى عيش ارغد . اذ راوا دون كل حرفة نغصا . ومع كل حالة غنصا . وفي كل اكلة مغصا . وقد فاتهم من احوال الناس كثير مما ضاق وقتهم عن ذكره . كما ضاق هذا الفصل عن احصاء كل ما اوردوه وعن حصرة . فقف على هذا القدر الذى ذكرته . وسر معى الى استئناف قصة من غادرته . وعليكم السلام .



الفصل العاشر

في اغصاب شوافن * وانشاب براثن

o-o-o

السجع للمولى كالرجل من خشب للماشي فينبغي لي ان لا اتوكا عليه
في جميع طرق التعبير لئلا تضيق بي مذاهبه * او يرميني في ورطة لا
مناص لي منها * ولقد رايت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم * فانه لا
يشترط في ابیات القصيدة من الارتباط والمناسبة ما يشترط في الفخر
المسجعة * وكثيرا ما ترى الساجع قد دارت به القافية عن طريقه التي سلك
فيها حتى تبلغه الى ما لم يكن يرتضيه لو كان غير متعبد بها * والغرض هنا
ان نغزل قصتنا على وجه سائق لاي قارى كان * ومن احب ان يسمع
الكلام كله مسجعا متقفا ومرشحا بالاستعارات ومحسنا بالكنايات فعليه
بمقامات الحريري او بالنوايع للزمخشري * فنقول ان صاحبنا الفاريابي بعد
اقامته مدة على الحالة التي ذكرناها * جرى بينه وبين جده من النزاع
والمناقشات ما اوجب عليه ترك ما كان فيه واقتفاء طريق اخر من طرق
المعاش * فتاح له ان يكون معلما لاحدى بنات الامرا وكانت ذات طلعة
بهية * وشمائل مرضية * تامة الطرف * ناعسة الطرف * ولكن ليس المراد
بذلك انها كانت لا تبصر من يحبها كما يكون من به نعاس * وانما المعنى
انها ذابلت * حتى ولا هذه العبارة منصححة لما اريد ان اقله * فانها توهم انها

كانت ذابلة مع انها كانت غصة بضّة * بل المقصود ان نقول انها كانت
كانها تنظر عن تحشيف * ولكن مادة حشف لا تعجبنى * فان فيها معانى
اليبوسة والخساسة والرداءة وشى اخر تجل الملاح عن ذكره * بل المراد انها
كانت تكسرجفنيها عند النظر * ولا الكسر ايضا لانق بها * فلا ادرى كيف
الحن للقارى ما اردت * ولعل لاوفق ان يقال انها كانت ترمى بسهام
عن عينيها * ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها * فان القلب
يلقى بهوى الصغيرة الجداء * كما يلقى بهوى الكبيرة الوطباء * اذ ليس كل
عشق موديا الى الدّعاة * فقد عشق الناس الرسوم والاطلال والاثار * ولاشكال
والديار * ومنهم من عشق لرويته كفا مخطبا او عقيصة شعر او ثوبا او سراويلات
او تنكة ونحو ذلك * واعرف من احب هرة امرأة فكان يلاعبها ويخيل له
الغرام انه ملاعب صاحبها * وكثيرا ما كانت تنشب فيه اطفالها وتدميه * وهو
يستعذب ذلك ويستحليه * اما لاستعذاب العذاب فى هوى المحبوب *
او لاعتقاده ان مداعبة النساء ايضا لا تخلو من خدش وادماء * فكون الجرح
منهن اصاله او وكالة انما هوشى واحد * وقد سئل احد العشاق عن مبلغ
الوجد منه فقال كنت ارتاح للريح اذا مرّت على نثن مقبلة من صوب المحبوب *
هذا وان عشق اهل تلك البلاد اكثر على هذا النمط * اى ان العاشق منهم
يكلف باثر من محبوبه كمنديل او زهرة او رسالة وخصوصا بضّة شعر فيشتمه
ويضمه ويقبله ويقبله ويعانقه كما قيل

الشعر مثل الشعر داعية الهوى والشعر مثل الشعر دُخْر يُذخَرُ
من غاب عنك فليست تنظره سوى بالشعر او بالشعر وهو الاكثر

فان قيل انهم انما عشقوا ذلك طمعا فى وصال الحبيب الذى تفضّل

بهذه النعم لا كلفا بها من حيث هي * قلت ما المانع من ان تعشق الصغيرة طمعا في ان تصير كبيرة * ما اصيق العيش لولا فسحة الامل * وربّ أمل احدى من فوز * وقد علم اهل الدراية أنّ من حرّمه الله من الجمال لغاية لا يعلمها الا هو عوّضه عنه زيادة قصاص له بحدّة الفكر والبصيرة وشدة التّصوّر والتّخيّل ودقة الحّدس فيكون اسرع الى العشق واكثر حرصا على اهل الجمال * اذ الانسان كلما بعد عن الشى المقصود كان توقانه اليه اكثر وتولّع به اشتد * والمراد من ذلك كله ان نقول ان الفارياب كان يعلم من صغرة انه بمعزل عن الجمال * وانه من صباه كان يعظم اهله ويمزبهن على غيرهن وان القبيح معذور على عشق المليح كما قال الشاعر *

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى مليحا دونه السمر الرقاق
فقلت وهل انا الا اديب فكيف يفوتنى هذا الطباق

قالوا * اواقول انا عنهم * وقد يكون عشق الصغير كبيرا كما يكون عشق الكبير صغيرا * فان الصغير لما كان غير ذى رشد يرّده عن الاسترسال والتمادى فى هواه كان هذا الاسترسال معقبا للجموح دون حد * لا ترى ان الصغير اذا اولع بشى من اللعب واللهو فانه يتهتك فيه وينهمك غاية ما يكون * فكيف به اذا جنح الى شى هو اقوى من كلّ ما يستميل الطبع ويشوق النفس * نعم ان الكبير يقدر منافع ما يقصده من معشوقه اكثر من الصغير ولذلك يكون حرصه عليه ابلغ وطلبه له اكثر * غير ان عزة نفسه وسورة طباعه ونهيته قد تمنعه من ان يسلم عنان مشيئته للهوى * فيكون فى طريق ميله وتوقانه تارة مقدّما رجلا وتارة موحرا اخرى *

والصغير متى ما استرسل استسهل * وبعد فقد نذرت على نفسى ان اكتب كتابا * وان اودعه كل ما راق لخاطرى من القول سديدا كان او غير سديد * فانى اعتقدت ان غير السديد عندى قد يكون عند غيرى سديدا كما تحقق لدى عكسه * فان شئت فأدعن او لا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف * والحاصل ان الفاريق لبث يعلم سيّدته الصغيرة وجعل من دأبه ان يتودّد اليها باغضاً النظر على اصلاح غلطها * بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال يجوز ردّها فتاخّرت هى فى العلم وتقدم هو فى الهوس * فمما قال فيها *

بروحى من اعلمه وقلبي اسير هواه لن يستطيع صبرا
اغار عليه وجدا من حروف يفوه بها فتسلم منه ثغرا

والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الپاء الفارسية والفاء الافرنجية ولا لزادت غيرة صاحبنا وربما كان ذلك سببا فى جنونه * فان الغيرة والجنون يخرجان من مخرج واحد كما افاده المشايخ الراسخون فى الزواج * وهنا دقيقة وهى ان بعض العتاول جمع عثول وهو من لا خير عنده للنساء يستثقل المونث فى الغزل والنسيب فيجعله مذكرا وبعضهم يضمنه * وعليه قول الفاريق اعلمه * والظاهر ان المقدّر فى ذلك لفظة شخص * فباليت هذا الحرف كان فى لغتنا مونثا كما هو فى الفرنسية والطيانية حتى لا يجد المناسب مُحيدا عن التانيث * فاما تعليم نساء بلادنا القراءة والكتابة فعندى انه محمّدة بشرط استعماله على شروطه * وهو مطالعة الكتب التى تهذب لالاخلاق وتحسن الاملاء * فان المرأة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكاييد واختراع الحيل

كما سيأتى ذكر ذلك * ولا بأس للمتزوجات بقراءة كتابى هذا وامثاله *
لانه كما ان من الوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى
الوان الكلام * والظاهر ان اللغة العربية شُرك للهوى اذ يوجد فيها من
العبارات الشائقة المتصيبة ما لا يوجد فى غيرها * فمن قرأت مثلا
فى شرح المشارق لابن مالك ان مراتب العشق ثمانية ادناها
لاستحسان وينشأ عن النظر والسمع ثم يقوى بالتفكر فيصير مودة
وهى الميل للمحبوب (اى المحبوبة) * ثم يقوى فيصير محبة وهى اتلافا
الارواح * ثم يقوى فيصير خلّة وهى تمكن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما
السرائر * ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلون ولا يداخله تغيير *
ثم يقوى فيصير عشقا وهو الافراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن
المعشوق (اى المعشوقة) * وانه يقوى فيصير تتيما وفى هذه الحالة لا
ترضى نفسه سوى صورة معشوقه (اى معشوقته) * ثم يقوى فيصير ولها
وهو الخروج عن الحدّ حتى لا يدري ما يقول ولا اين يذهب وحينئذ
تعجز الاطباء عن مداواته * قلت وان من انواعه ايضا الصباة وهى رقة
الهوى والشوق * والغرام وهو الحب المستأسر * والهيام وهو الجنون من
العشق * والجوى وهو الهوى الباطن * والشوق وهو نزاع النفس * والتوقان
وهو بمعناه * والوجد وهو ما يجده المحب من هوى المحبوب (اى
المحبة) * والكلف وهو الولوع * والشغف وهو اصابة الحب الشفاق
اى غلاف القلب او حجاب او حبه او سويداء * والشغف وهو ان يغشى
الحب شغفة القلب وهو راسه عند معلق النياط منه * والشغف وهو بمعناه *
والتدليه وهو ذهاب الفؤاد عشقا * لم تتمالك ان تحس بهذه المراتب
السنية كلها حالا بعد حال * بخلاف لغات العجم فانها لا يوجد فيها الالفة

واحدة بمعنى المحبة يطلقونها على الخالق والمخلوق * وقد يظهر لى ان كثيرا من الصفات المحموده فى الرجال تكون مذمومة فى النساء كالكرم مثلا فان كرم الرجل يغطى جميع عيوبه وهو مذموم فى المرأة * وقس على ذلك النكر والدهاء والاطرا والفروسة والشجاعة والحماسة والصلابة والخشونة والهمة الى المراتب السامية والامور الشاقة والاسفار البعيدة والنيات النائية والمطامع المتعدرة وغير ذلك * والعلّة فى ذلك كون المرأة تميل بالطبع الى الشطط ومجازة الحد * ودليله فى من تميل الى العبادة والنسك فانها لا تقف فى ذلك على امد بل تتمادى فيه حتى تتهوس وتتخبل فتدعى المعجزات والكرامات وتعتمد الى الرؤى والاحلام ويخيّل لها ان ملكا يناجها * وهاتفا يناغيها * وانها تقنم بدعائها لاموات * وتحبى الرفات * وربما قتلت اولادها على صغر ابتغاء دخولهم الجنة بغير حساب * او ولدت توأمين فادعت انهما من غيراب * وفى من مالت الى الهوى فانها تترك اباه وامها اللذين ولداها وربياها وتقبل تجرى فى الر رجل لا تعرف من صفاته شيا سوى كونه ذكرا * فكل ما كلفت به المرأة كانت فيه اكثر تماديا من الرجل * فكلفهن بالقرأة لا ادرى اين يكون مصيرة * والحامل لها على هذا الغلو والشطط انما هو معرفتها من نفسها انها اقوى على اللذات من الرجل * فزيادة اطاعتها لذلك زادت فى تماديها فيه * ومنه سرى فى غيره من لاطوار والشئون والاحوال الطارئة وفى بعض الغريزية ايضا * وذلك كالكلام والضحك والسبح والحركة * وما قلّ منه فيها فى بعض الاحوال فانك تراه زائدا فى البعض الآخر زيادة فوق القياس * ولعل كلامى هذا يسو النساء اذا سمعن به وهن بين الرجال * لكنى اعلم عين اليقين انهن يضحكن له فى اكامهن استحسانا

وتعجباً * حتى كاني بهن يحسن اني عشت برهة من الدهر امرأة حتى
امكن لي معرفة سرائرهن ثم مسخني الله تبارك وتعالى رجلاً * او اني
علمت ذلك من هند وسعاد وزينب ومية حين كنت اشتب بهن
وانا فتى واكذب عليهن بقولي لهن اني حرمت الكرى * واجريت
على نواهن عبراً * واني قد فُتس لي * وفارقت قلبي * لا جرم انه لم
يفارقني قط * ولو فارقتي مرة لما رجعت الي ابدى * لاني طالما ادخلت
عليه هموما واحزاناً لم تكن لهن احداً من الناس في بلادى * اذ كنت احزن
لتعنى معنى من المعانى على واحاول اختراع شى من البديع لم يكن
احد سبقني اليه * طائاً انه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التي يزهى
بها الكون عصرنا هذا فلم يتهيا لي فكنت ابيت الليل في ياس وكرب * معاذ
الله لم تكلمني وما كلمت هند وانا عرفت ما عرفت من الاحلام الصادقة اذ
كنت ابيت وانا مخلص لله الانابة والقنوت * فان لم يصدقني فليبتن
ليلة او ليلتين ثابتات قانتات مثلى وانا صامن لهن انه يسهط عليهن من
لاحلام الصادقة ما يوقفهن على امور الرجال *



الفصل الحادى عشر

في الطويل العريض



فلنرجع الآن الى الفاريق فانه هو ايضا رجع الى حرفته وهى النسخة
وان كان ذلك على غير مرادة * واتفق اذ ذاك ان فسيين من امرآ ذلك
الصقع ارادا ان يقرأ النحو على بعض النحاة وكان الفاريق يحضر الدرس
وهو مكتب على النسخ * وكان احد التلميذين بطيئا عن الفهم سريعا الى
الجواب * يتشآب ويتمطى * ويقرض ويخطا * ويتناعس ويتقاعس *
ويتفاسا ويتعاطس * واذا خيل له انه فهم مسألة حك تحت ابطه *
وشم رائحتها وكرف ثم تمطق كما يتمطق من اقطه * ثم عربد من افتتانه *
وسلق من وليه بلسانه * وقال لا قبحا لذوى الخواطر البليدة * والظن
البعيدة * كيف لا يتعلم الناس كلهم فن النحو * وهو اسهل من حك ما تحت
الحقو * اما والله لو كانت العلوم كلها مثله * لما غادرت منها كبيرا ولا صغيرا
الا واستوعبته كله * لكنى سمعت ان النحوانما هو مفتاح للعلوم ولا يعدّ منها
فلا بدّ وان يكون غيره اصعب منه * فقال له معلمه لا تقل هكذا بل
النحو اساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار البناء الى الاساس *
الاترى ان اهل بلادنا لا يتعلمون سواه ولا يعرجون على غيره * وعندهم
ان من تمكن منه فقد تمكن من معرفة خصائص الموجودات كلها * ولذلك

لا يولفون لا فيه * وانما يحصل الخلاف بينهم في تقديم بعض الابواب على بعض * وفي توضيح ما كان منهما منه بادلّة وشواهد * واختلفوا ايضا في الشواهد فمن قائل انها مفتعلة ومن قائل انها ضرورة او شاذة بيد ان المال واحد * وهو ان العالم لا يسمى عالما الا اذا كان متمكنا من النحو مستقصيا لجميع دقائقه * ولا يكاد يستتب امر لا به * ولو قلت مثلا ضرب زيد عمر من غير رفع زيد ونصب عمرو فما يكون ضربّه حقّا ولا يصح الاعتماد على هذا الاخبار * فان حقيقة فعل الضرب متوقفة على علم كون زيد مرفوعا * وجميع اللغات التي ليس فيها علامات الرفع فهي خالية عن الافادة التامة * وانما يفهم بعض الناس بعضا من دون هذه العلامات عن دربة او اتفاق * فلا معول على كتبهم وان كثرت ولا على علومهم وان جلت * وانى وان كنت قد لقيت منه عرق القرية وكثيرا ما بت وبالى مشغول بعقلة من عقله وبداهية من عراقيله * فكنت آرق ليلي كله ولا اهدى الى وجه الصواب فيما عوص على من ذلك * الا انى استفدت منه فائدة عظيمة جعلتني ممنونا لبنت ابي لاسود الدبلى ابد الدهر فانها هي التي كانت سببا في استنباطه * (قلت وكذا سائر البدائع كان اصل استنباطها مسببا عن النساء) فقال له التلميذ ما هذه الفائدة يااستاذى * قال قد طالما كان يخامرني الريب في قضية خلود النفس * فكنت اميل الى ما قالته الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتداء فهو متناه * فلما رايت النحو له ابتداء وليس له انتهاء قست النفس عليه فزال عني والحمد لله ذلك الابهام * ومثله او اكثر منه في الصعوبة فنّ المعانى والبيان * فقال له التلميذ لم اسمع بذكر ذلك قط * قال اما انا فقد سمعت

به وأعرف ما يشتمل عليه * وهو المجاز والكناية والاستعارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع * وبيان ذلك مفصلاً * يستفرغ أجلاً * وربما قضى الإنسان عمره كله فى علم الاستعارات وحدها ثم يموت وهو جاهلها * أو يكون قد نسي فى آخر الكتاب أو الكتب ما عرفه فى أوله * وذلك أن من اخترع هذا العلم الجليل لم يكن سلطاناً حتى يمكنه إجبار الناس جميعاً على متابعتهم ومشايعتهم * بل كان فقيراً فأولع بهذا الشئ وشرح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره على شئ إلا وخطر بباله طريقة من طرقه * فإذا نظر الشمس مثلاً طالعة قال كيف ينبغي أن يفهم هنا طلوع الشمس هل هو حقيقى أو مجازى وهل المجاز هنا عرْفى أو لُغَوى * وكذا لو رأى البقل نابتاً فى زمن الربيع قال كيف تأويل قول القائل انبت الربيع البقل * فهل يصح إسناد ذلك إلى الربيع وهو انما نشأ عن دوران الأرض حول الشمس فهو ولا شك مسبب عنها * ولا ريب أن مدير الأرض انما هو الله عز وجل * فيكون قوله انبت الربيع البقل مجازاً بدرجتين * لأن الربيع مسبب عن دوران الأرض ودوران الأرض مسبب عن تقدير البارئ تعالى * وكذا قولهم جرت السفينة أو الحجر * ومن المجاز ما له أيضاً ثلث درجات ومنه ما له أربع * ومنه ما تفوق درجاته درج الماذنة * ومن هذا الدرج ما شكله قرقي ومنه حلزونى ومنه لولبى * ومنه غير ذلك ثم ما زال المستنبط يفكر فى هذه البدائع حتى أدركه الأجل فمات وبقي عليه أشياء كثيرة لم يحكمها * فقام من بعده من أولع مثله بهذا الفن فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة * وظل يباحثه ويعارضه إلى أن قضى نحبه وقد ترك مجالاً لغيره * فجاء من

بعده من اصلح بينهما في عدة مواطن وعاب على كل منهما ايضاً اموراً *
ثم مات ولم يُد ما قصده * فخلفه من صنع به ما صنعه هو بغيره * وهكذا
بقيت ابواب النقد مفتوحة الى عصرنا هذا * فمن قائل ان هذه العبارة
من الاستعارة التبعية * ومن قائل انها من الترشيفية * قال بعض العلماء
لاستعارة تنقسم الى مصرح بها ومكنى عنها * والمصرح بها تنقسم الى
قطعية واحتمالية * والقطعية تنقسم الى تخيلية وتحقيقية * وتنقسم ثانياً
الى اصلية وتبعية * وثالثاً الى مجردة ومرشحة * وقال بعضهم وهذه تنقسم
ايضاً الى عَيُونِيَّة ومَكَائِيَّة وَنَبِيضِيَّة وَطُعْمِيَّة وَغَيْسِيَّة وَلَعَلِيَّة وَيَلْمَعِيَّة *
وَعَسَاسِيَّة * والعَيُونِيَّة تنقسم ايضاً الى فرقية وقرقية ومقامية * والفرقية
الى جَانَّجِيَّة وَشَطْطِيَّة وَطُرُوسِيَّة وَدُمَحَالِيَّة وَشَيْنَقُورِيَّة وَكِرْبَرِيَّة * والقرقية الى
خَعْنَجِيَّة وَهَعْنَجِيَّة وَهَعْنَجِيَّة وَكُشْعَجِيَّة وَكُشْعَجِيَّة * والمَكَائِيَّة الى مُعَوِيَّة
وَعُسْثَرِيَّة وَصَفْرِيَّة وَصَلِيَّة وَبُلْكِيَّة وَصَفَارِيَّة وَصَغِيلِيَّة وَطُرْبِيَّة وَانْقَاصِيَّة * الى
غير ذلك من التنقسم * ويشترط في خطبة الكتاب ان تكون جامعة لجميع
هذه الانواع * وان يراعى فيها وفي الكتاب كله نوع الطباق * مثال ذلك
اذا قال القائل في فقرة طلع * فلا بد وان يقول فيها او في الثانية نزل *
واذا قال اكل يقول بعده من غير تراخ تقياً او— وفي الجملة فينبغي ان
تكون الخطبة عويصة ما امكن * وآية خطبة لم تكن كذلك كانت عنواناً على
ركاكة الكتاب كله فلم يكن جديراً بالمطالعة * فقال له التلميذ وقد امتنع
لونه وهل النحاة ايضاً ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم * وهل قرأتى له عليك
تغنى عن اعادته عند غيزك هنا * وهل يجب على الطالب في كل بلد
سافر اليه ان يتعلم نحو اهله ام هو علم مرة واحدة * فقال له الشيء اما

عن المسألة الاولى فاجيب انه ما جرى على البيانين فقد جرى ايضا على النحاة * فقد قال الفراء اموت وفي قلبى شى من حتى * وقد مات سيويه وبقي فى قلبه من فتح همزة ان وكسرها اشياء * ومات الكسائى وفى صدره من الفاء العاطفة والسببية والفصيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات * ومات اليزيدى وفى راسه من الواو العاطفة والاستثنائية والقسمية والزائدة والانكارية صداع واى صداع * ومات الزمخشري وفى كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتعليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وغير ذلك قروح واى قروح * ومات الاصمعى وفى عنقه من رسم كتابة الهمزة غدة * وفى الجملة فان معرفة حرف واحد من هذه الحروف اذا تعمد الطالب استقصاها وجب عليه ان يترك جميع اشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيه واجيب عنه * وما قيل من الامثال اعط العلم كلك يعطك جزاءه الا لاجل ذلك * واما قولك هل يلزم ان تقر النحو ايضا على غيرى هنا اى فى بلادنا فذلك غير لازم * فان اهل بلادنا كلهم لا يطالعون غير هذا الكتاب الذى تطالعه انت * بل قل من يطالعه ويفهمه او يعمل بمقتضى قواعده * واما عن سؤالك الثالث فاقول انه لا ينبغي اعادة هذا العلم فى كل بلد ولكنك حيثما سرت وايمان توجهت وجدت اناسا ينتقدون عليك كلامك * فان عبرت بالواو مثلا قالوا لا فصح هنا الفاء * او باو قالوا الاولى ام * وفى بعض البلاد اذا علم انك تنقط ياء قائل ربائع سقط اعتبارك من عيون الناس * فقد قرأت فى بعض كتب الادب ان بعض العلماء عاد صديقاً له فى حال مرضه فرأى عنده كراسة قد

كتب فيها لفظة قائل بنقطتين تحت الياء فرجع فى الحال على عقبه وقال لمن سار معه لقد اضعنا خطواتنا فى زيارته * وهذا هو سبب قلة التأليف فى عصرنا * فان المؤلف والحالة هذه يعرض نفسه للطعن والقذح والبلاء * ولا يراعى الناس ما فى كتابه من الفوائد والحكم * ألا اذا كان مشتملا على جميع المحسنات البديعة والدقائق اللغوية * ومثل ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة رثة ورعابيل شمايط * فالناس لا تنظر الى ادبه الباطنى بل الى بزرته وزيه * والحمد لله على قلة المؤلفين اليوم فى بلادنا اذ لو كثروا وكثر نقدهم وتخطئتهم لكثرت اسباب البغض والمشاحنة بينهم * وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق بعض فقر مستجعة في رسائل ونحوها كقولك السلام والاكرام * والسنية والبهية * فاخف ما كان ساكنا * فاما الشعر في عصرنا هذا فانه عبارة عن وصف ممدوح بالكرم والشجاعة او وصف امرأة يكون خصرها نحىلا * وردفها ثقيلا * وطرفها كحىلا * ومن تعتمد قصيدة جعل جل أبياتها غزلا ونسيبا وعتابا وشكوى وترك الباقي للمدح * ثم ان التلميذ النجيب استمر يقرأ على شيخه الاديب فى النحو حتى وصل الى باب الفاعل والمفعول فاعترض على ان الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا * وقال هذا الاصطلاح فاسد لان الفاعل اذا كان مرفوعا كان الذى عمل فيه الرفع آخر * والحال انه هو العامل * وبيانه انا نرى الفاعل فى البناء يرفع الحجر وغيره على كتفه فالحجر هو المرفوع والفاعل رافع وكذلك فاعل فانه هو الذى يرفع الساق * فقال له المعلم مد مد

لقد افحشت فكان ينبغي لك التأدب في مجلس العلم فانه غير
مجلس لامارة * ثم ختم التلميذان قراءة الكتاب ولم يستفيدا شيا
وكان الشرح كله كان موجها الى الفارياب * ومذ ذلك الوقت اخذ
في تجويد عبارته بمقتضى القواعد النحوية *

فصار يهول بها على رعا ع الناس

كما يظهر في

الفصل

الآتي *



الفصل الثانى عشر

في اكلة وأكال *

❦❦❦❦❦

لا بد لي من ان اطيل الكلام في هذا الفصل امتحانا لصبر القارى *
 فان اتى على اخره دفعة واحدة من غير ان تحترق اسنانه غيظا * او
 تصطك رجلاه بغيرة وحمة * او ينزوى ما بين عينيه أنفة وحشة * او
 تنتفخ اوداجه وغرا وهو افردت له فصلا على حدثه مدحا فيه وعددته
 من القراء الصابرين * ولكون الفاريق في هذا الوقت قد طال لسانه
 وان يكن فكرة قد بقي قصيرا ورأسه صغيرا ناقصا من عند قَمَحْدُوته * وقد
 نذرت على نفسى ان امشى وآه خطوة خطوة واحاكيه في سيرته * فان
 رايت منه حمقة جئت بمثله * او غواية غويت مثله * او رشدا قابلته
 بنظيره * والا فاني اكون خصمه لا كاتب سيرته او ناقل كلامه * وينبغي
 ان يعلق هذا الحكم في اعناق جميع المؤلفين * ولكن هيهات فاني
 ارى اكثرهم قد زاغ عن هذه المحجة * اذ المؤلف منهم بينا هو يذكر مصيبة
 احد من العباد في عقله او امراته او ماله اذا به تكلف لا يراد الفقر المستجعة
 والعبارات المرصعة وحشى قصته بجميع صروب الاستعارات والكنائيات *
 وتشاغل عن هم صاحبه بما يدل على انه غير مكترث به * فترى المصاب
 ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم * والمولى يستجع ويجنس ويرقع

ويوترى ويستطرد ويلتفت ويتناول المعاني البعيدة * فيمد يده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم * ويحاول انزالها من اوج سمائها الى سافل قوله * ومرة يتحجم البحار * واخرى يقتطف الازهار * ويظهر في الحداثق والغياص من اصل الى فرع ومن غوطة الى ربوة * ما ذلك دأبى فانى اذا اوردت كلاما عن احمق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة * واذا نقلت عن امير تادبت معه فى النقل ما امكن فكانى جالس بمجلسه * او عن قسيس مثلا او مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختل * لئلا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تأليف هذا الكتاب * فاعلم اذا ان الفاريق بعد ان فار دماغه بحرارة النحر زيادة على ما كان له من الرغبة فى النظم سار ذات يوم لقضاء مصلحة له * فمر فى طريقه على دير للرهبان وكان الوقت مساء * فرأى ان يبست ليلته تلك فى الدير فعرج عليه وطرق الباب فبرز له رويهب * فقال له الفاريق هل من مبيت عندكم لضيف * فقال له الرويهب * اهلا به ان لم يكن ذا سيف * ففرح الفاريق بهذا الجواب وعجب من انه يوجد فى الدير من يحسن المساجلة * وانما قال له الرويهب ما قال لان الدير كان ينتابه كثير من اتباع الامير ليبستوا فيه من كل سرطيم قهقمت لهم نهم وجم وخم هم يسمع له هيقيم * فكان احدهم اذا بات ثم ليلة يكلف الرهبان من المطاعم الفاخرة ما لم يعهدوه * لان هؤلاء الخلق يعيشون عيشة المتقشفين المقترين المتبلغين بادنى القوت * اذ هم ينظرون الى الدنيا والى لذاتها نظرا العدو * فهى عندهم صرة الآخرة * كلما تباعد عنها الانسان المخلوق فيها تقرب الى الجنة * حتى ان الخبز الذى كثيرا ما ياكلونه بغير ادام ليس كخبز الناس * فانهم بعد ان يخبزوه رقيقا يشمسونه اياما متوالية حتى يجف وييبس * بحيث يمكن للانسان اذا

أخذ بكلتا يديه رغيفين وضرب أحدهما بالآخر أن يخيف بقرعتهما جميع
جرذان الدير * أو أن يتخذهما متخذ الناقوس الذي يُضرب به لاوقات
الصلوة * ولا يقدرّون على أكله إلا منقوعاً بالماء حتى يعود عجيماً * فاما تقلّد
تابع الأمير بالسيف فانما هو تهويل وإنذار بنكال المتهاون به * كتهويل
الفاريق على الرويّه بـسواله * ومن لم يكن له سيف استعار سيف
صاحبه أو اتخذ له خشبة رقيقة في غمد سيف * وليس في استعارة الماعون
وغيره عند أهل الجبل من عار بل كثيراً ما يستعيرون حلياً ومعرضاً للعروس
يزفونها به وللرجل ثياباً وعمامة يزينونه بها * ثم أنه لما حان وقت العشاء
جاء ذلك الرويّه بـشحنة من العدس المطبوخ بالزيت وبثلاثة أصنّج
من ذلك الخبز وجعلها بين يدي الفاريق * فجلس للعشاء وتناول رغيفاً
ودقه بالآخر حتى انكسر * فلما التقم أول لقمة نشبت شظية من الخبز في
سنّه وكادت أن تذهب بها * فجعل يسندها ويسدّ مواضع الخلل منها
بالعدس * ولم يكدّ يتم العشاء حتى اشتدت حرارة العدس في بدنه
فجعل يحلّك باطفارة وبعض قصّد الرغيف حتى تهشم جلده * فسأه ذلك
جداً وقال لقد خلخلت هذه الكسرة سنّي فلا قلنّ ستاً من اسنان هذا الدير *
ثم أنه عمل فكرة في نظم بيتين في العدس تشقياً مما ناله منه جرياً على
عادة الشعراء من أنهم يتشفون بعتابهم الدهر مما هم فيه من النحس والقهر *
والشقاوة والضّر * فالتبست عليه لفظة فقام في طلب القاموس * فطرق
باب جاره وكان من المتحمسين في الدين * فقال له هل عندك ياسيدي
القاموس * قال ما عندنا بالدير جاموس بل نيران فما حاجتك به إلا أن
فطرق باب آخر وكان أشدّ منه خشونة * فقال له هل لك في أن تعيرني
القاموس ساعة قال اصبر علىّ الى نصف الليل فإن الكابوس لا ياتيني إلا

فى هذا الوقت * فمضى الى غيرہ واعاد عليه السؤال * فقال له اى شى هو
هذا القاموس ياماغوص * فرجع الى صومعته وقال * لا بدّ من نظم البيتين
وسأترك محلاً فارغاً للفظۃ فقال *

أكلتُ العدس فى دير مسآ فبتُ وبى أكال لا يطاقُ
فلولا اننى اعملتُ ظفرى لقال الناس — الفاريقُ

فلما كان نصف الليل والفاريق نائم اذا باحد الرهبان يقرع عليه الباب *
فطن انه اتاه بالكتاب المطلوب * ففتح له وهو مستبشر بوجودان ضالته * فقال له
الراهب قم الى الصلوة واقفل الباب واتبعنى * فتذكّر عند ذلك ما قاله له
جاره من ان الكابوس لا ياتيه الا فى نصف الليل * فقال فى نفسه لقد صدق
الرجل فان هذا الداعى اشدّ على النائم من الكابوس * قبّحاً لها من ليلة
شومى لقد كاد الخبز يقلع سنى والعدس منانى بالحكمة * وما كدت لان
اغفى حتى اتانى هذا القارع لاقرع النحس يدعونى الى الصلوة * اكان
ابى راهبا وامى راهبة ام وجب على الشكر والصلوة من اجل الكفة عدس *
ولكن ساصبر الى الصباح * فلما كان الغد جاء ذلك الرويهب ليساله عن
حاله اذ كان قد دخل الدير مذعور غير بعيد فكان فيه بقية رقّة ولطف *
فقال له الفاريق سألتك بالله ان تجلس عندى قليلاً * فلما جلس قال
له قل لى فديتك افى كل يوم انتم تفعلون هذا * فوجم الرويهب وطمّن
به سوّا ثم قال اىّ فعل تعنى * قال اكلكم العدس مسآ وقيامكم فى نصف
الليل للصلوة * قال نعم ذلك دأبنا فى كل يوم * قال ما الذى اوجه عليكم *
قال التعبّد لله والتقرب اليه * قال ان الله تبارك وتعالى لا يهيمه ان كان
لانسان ياكل عدسا او لحما * ولم يامر بذلك فى كتبه * اذ ليس فيه

مصلحة نفس الآكل أو للمأكول * قال هذا دأب النساك العباد اذ التشفق
 فى المعيشة ونهك الجسم بالردى من الطعام وبقلّة النوم ينفى الشهوات *
 قال لا بل هو منافى لما شاء الله * اذ لو شاء ان ينهك بدنك ويخليه من
 الشهوات لخلقك ضاويا ذنفا * ما قولك فى من خلقه الله جميلا * ايجوز
 له ان يشوه وجهه بان يبحق عينه او يخرم انفه او يشرم شفته او يقلع
 اسنانه كما اردتم قلع اسناني البارحة بخبزكم هذا اليابس * او ان يسخّم
 سحنته * قال فى ظنى انه لا يجوز * قال اليس البدن كلّ على قياس
 الوجه * لعمري ما خلق الله الساعد الفعم الا وهو يريد بقاءه فعا * ولا
 الساق المجدولة الا وشاء لها ان تكون كذلك دائما * ولا حلّ الطيبات
 من المأكّل للناس الا وهو يريد ان ياكلوها هنّا مريئا * نعم قد حرم هذه
 الطيبات بعض لاديان المشطة * غير ان دين النصارى يحللها * وانما جاء
 التحريم من بعض مشارب طعنوا فى السن فلم يكن بهم قَطْم الى اللحم ولا
 الى غيره * ما المانع من تناوله كل يوم * قال لا ادرى وانما سمعت علما نا
 يقولون ذلك فقلّدتهم * وانى اقول لك الحق انى مللت من هذه العيشة *
 فانى ارى جسمى كل يوم فى ذبول ونفسى فى انقباض * ولو كنت عرفت
 من قبل ما اصير اليه لما سلكت هذه الطريقة * غير ان ابى وامى فقيران
 وخشيا ان اكون من ذوى البطالة والتعطّل * اذ لا صنائع نافعة فى بلادنا
 يمكن للانسان ان يتعلّمها ويعيش منها فزينا الى الرهبانية * وقالوا لي اذا
 واطبت على الطريقة فى الدير بضع سنين فربما ترتقى الى رتبة عالية فتنتفع
 نفسك وايانا * وما زلا بى حتى اجبتهما ولو لم اجبهما طوعا لاكرهانى
 على ذلك * فقال له الفاريق نعم ان الرهبانية هى ملجأ من البطالة فكل
 من كان عطلا عن علم او صنعة يقصدها * لا انك ما زلت مثلى حدثا فيمكن

لك ان تقصد احدا من اهل الخير والشفقة فيدلك على ما ينفعك * والله تعالى خلق الاشداق * وتنكفل لها بالارزاق * وقد جعل في الحركة بركة * هذا وانت تعلم ان الرهبانية مشتقة من الرهبة وهي خوف الله تعالى * فاذا تعاطيت حرفة وعشت بها بين الناس وتزوجت ورزقت ولدا وخشيت الله فانت ج واهب * ليست الرهبانية باكل العدس والخبز اليابس * اليس ان رهبان ديرك بينهم من الخصام والطعن والحد ما لا يوجد عند غيرهم * فان رئيسهم لا يزال يحاول اذلالهم واخصاعهم له * وهم لا يزالون مدممين عليه شاكين منه * وبينه وبين رواسى الاديار الاخرى من الحسد والمنافسة ما بين وزراء الدول * واكثرهم ينال الرئاسة بالتملق للامير الحاكم او للبطرك * فاذا احس بوشك انقضاء مدته وخشى العزل رايته يجود بالهدايا والتحف لذوى الامر والنهي بما لا يجود به اكرم اهل بلادنا * وذلك حتى يقرّوه على رئاسته * وهؤلاء الرهبان المكرهون على التبليغ بالعدس وعلى التنجس اذا دعاهم احد لمادة سمعت لاستراطهم دويّا * فيلففون ويلعظون ويلتمظون ويتكظكظون ويشتقون حتى تبحظ عيونهم * واضرّ ما يكون على منهم انك لا تكاد تسلّم على احد منهم الا ويمد لك يده لتبوسها * وربما كانت نجسة قذرة * فكيف التمس يد من هو اجهل منى ولاغناء عنده فى شى * انظر كم عندنا فى بلادنا من دير وعلى كم تشتمل هذه الاديار من الرهبان * ولم ار احدا منهم نبغ فى علم ولا من أثبت عنه مكرمة * بل لا تسمع عنهم الا ما يشين الانسان فى عقله وعرضه * قد كنت فى خدمة بعير يعمر مدة فرايت احد هؤلاء الكارزين قد تمكن من ابنته تمكن الزوج من امراته * فكان يقول لها فيما يسالها عنه هل تتممجي ألتاك ويتخرج ندياك * فما للراهب ولترعد

كلايا النسوان ورجرجة اندآتهن * وآخر كان رئيسا في دير فعلق بنسنا في قرية بالقرب من الدير فلم تلبث ان علقت منه * غير انه لما كان اخوه وجيها عند الحاكم خاف ابو البنت من ان يخاصمه ويفضحه * بل قد تقرر في عقول الجهلاء من اهل بلادنا ان افشاء امر مثل هذا مما يفتضح به عرض احد هولاء النساك حرام * ايم الله ان الستر عليه حرام فان فضيحتة تردع غيره * واعرف آخر جاء الى قريتنا متماوتا وقبـد طول كميـه واسبل قلنسوته حتى لم يكـد يظهر من تحتها آلا فمه ولحيته تظاهرا بالصـلاح والتقوى * ثم انزل نفسه منزلة خطيب في القوم * فجعل يخطب ويعظ وينذر بصوت جهير * وكان يبكي عند ذلك اشد البكاـ ويذرف المدامع اذ كان جعل في منديله الذي يمسح به وجهه شيا ذا حُرنة لا ادري ماهو * ثم آل امره الى انه كان يقضى اياما وليالى مع ارملة حسنا شابة من نساء الامراء في خلوة استدراغا بانها تعترف له اعترافا عاما * اى من يوم انتفخ ثديها ونبت شعرها الى ذلك اليوم * واعرف آخر كان قد ذهب الى رومية وكان مغفلا فكان ينام في فراشه بثيابه الرهبانية على طريقته فى الدير ويوسخ الملاء * فكان صاحب المنزل ينهـاه عن ذلك * ثم لما راي ان جميع قسيسى رومية واعيان ائمتها من البابا الى الكردينال الى الراهب ينامون عريـانين لا شى يستر سواتنهم غير ملاء الكتان الرفيع كفر بهم وصار يستحل الحلال والحرام معا * فانظر الى هولاء العباد من العباد فانك لا ترى فيهم لا خبيثا منافقا * او جاهلا مائقا * ونذر وجود الصالح بينهم * اما العلم فهو محترم عليهم كلهم * لا باس فى الرهبانية تطوعا لا باس انما هى طريقة محمودة * ولكن بشرط مجاوزة الخمسين سنة * وان يكون الداخلون فيها من اهل الفضائل والمعارف * يشتغلون بالعلم وبتهذيب املاء اخوانهم

ومعارفهم * ويحضون على مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة *
ويولفون الكتب المفيدة وينهجون لقومهم المناهج المودية الى الخير
والفلاح والفوز والنجاح * لا مثل هؤلاء الجهال الذين لا يعرفون شيا من
الدنيا سوى التقشف والرئاسة * وناهيك دليلا على جهلهم انى سالت
اشدهم تحمسا ان يعيرنى القاموس فظنه الجاموس * واخر ظنه الكابوس *
واخر القاموص * فبادر يا صاح وتخلص منهم هداك الله ولا فتكون لا من
اهل الدنيا ولا من اهل الآخرة * فان دين الجاهل عند الله ليس بشى *
واذا بلغت الستين سنة فيها هى الرهبانية بين يديك * فقال له كيف
التخلص * قال ألك فى الدير متاع فاساعدك على حيله * قال ما لى
سوى ما تراه على * قال فامض بنا اذا فان الرهبان لان عاكفون على الصلوة *
فخرجنا من باب الدير ولم يعلم بهما احد * فلما بعدا قليلا هنا الفارياقى
صاحبه بخروجه من ربة الجهل وقال له * لعمرى لو كنت كلما اكلت
اكلة عدس خلصت راهبا او زويها او بالحرى راهبة اورويهة لوددت ان
لا آكل الدهر غيره وان أكل بدننى * فجزى الله الدير خيرا *





في مقامة

او مقامة في الفصل الثالث عشر



قد مضت على برهة من الدهر من غير ان اتكلف السجع والتجنيس واحسبني
نسيت ذلك * فلا بد من ان اختبر قريحتي في هذا الفصل فانه اولي به
من غيره * اذ هو اكثر من الثاني عشر واول من الرابع عشر * وهكذا افعل
في كل فصل يؤسم بهذا العدد حتى افرغ من كتبى لاربعة * فتكون
جملة المقامات فيما اظن اربعا * فاقول

حدثس الهارس بن هشام قال ارقى في ليلة خافية الكوكب * بادية الهيدب *
طويلة الذنب * ملأى من الكرب * الى الكرب * فجعلت انا على ظهري مرة وعلى
جنبى اخرى * وانصتور شخصا ناعسا امامي يتشاب وآخر ينخر نخرا * واخر يتهوم
سكرا * فان التصور فيما قالوا يبعث على فعل ما ترغب النفس فيه * وينشط
الى ما تنصبو اليه وتشتهيه * ومع ذلك فما اكتحلت غمضا * ولا فتح فمي تشاوب
طولا ولا عرضا * وكان يخيّل لى ان اهل الارض كلهم رقاد وانا وحدى
من بينهم ارقى * وان جميع جيرانى فى سكون وانا دونهم قلق * فقممت
الى الشراب فحسوة منه حسوة * فلم تلك لا غفوة * كأنما كانت هفوة *
فافقت فى اسوأ حال * وشر بلبال * والهموم قد انشالت على من كل
جانب * ولافكار متطايرة على كل مقارب ومجانب * فكان يخطر ببالي

كل ممكن ومحال * ويعاودنى ما كنت فكّرت فيه من الاحوال * مرة منذ
احوال * فلما علمت ان النوم قد ندّ عنى وان تناومت * وانه لا بد من
ترويق العجز ان اذعنت وان قاومت * مددت يدى الى كتاب اطالع فيه *
وقلت ان لم يُنمّنى فينبهنى ببعض معانيه * فتناولت اقرب ما وصلت
اليه يدى * وانا غير موثر احد الكتب على غيره فى خُلدى * واذا به كتاب
موازنة الحاليتين * وموازنة الآلتين * للشيخ الامام العالم العامل * الفاضل
الكامل * ابى رُشد نُهيّة بن حزم * المشهور بالبلاغة فى الشبر والنظم *
وهو كتاب لم يسبقه اليه احد من المؤلفين * ولم يجارّه فيه كاتب من المجلّين *
فقد وازن فيه بين حالتي بُوس المرء ونعيمه * وروحه وهوميه * ومنافعه
ومضارّه * واحزانه ومسارّه * منذ كونه طفلا * الى ان يصير كهلا * ثم
شيخا قحلا * وقد جعل ذلك فى جدولين متقابلين * واسلوبين متفاضلين *
الا انه لما كان الشيخ قدس الله سرّه * ورفع فى اعلى عليّين مقامه
وقدره * على ما يظهر لى ذا عيشة راضية * وسعادة وافية * وهمّة ماضية * رجع
طرف اللذات على غيرها * واستقلّ شرّ الحيوّة بالنسبة الى خيرها * حتى
انه زعم ان اللذة تكون عن الفعل والتصور معا * بخلاف الالم فان الفكر
لا يقع منه موقعا * وانه كان اذا امتثل خَوْدا يداعبها وتداعبه * هزّته نشوة
طرب مال بها سريرة ومركبه * وكلّكّه ومنكبّه * بيد انى ارتبت فى كلامه
فى هذا المحلّ * وقلت سبحان الله لا بد لكل مؤلّف من هفوة وان جلّ *
وذلك انى لما تصورت الشخص المتهوم * والناعس والمتثائب وانا متناوم *
لم يُعَنّنى التصوّر عن الفعل نقيرا * ولا وجدت فيه لذة لا قليلا ولا
كثيرا * على انى اذهب الى ما ذهب اليه بعض المجانين * من ان لذة
النوم لا تكون قبله ولا معه ولا بعده للنائمين * وهى عقدة للطبايعيين *

لا يمكنهم حلها بلسانهم وافكارهم * ولا باسنانهم واطفارهم * غير ان عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تخلب عقل الناقد الخبير * وتربك في تحرى احد القولين كل تحرير * فلما اطلقت النظر فيهما وعاد الى كليلا * واعملت حد النقد ورجع مفلولا * عزمت على ان استجلى هذا الاشكال * من بعض ذوى الدراية والجدال * فقلت في نفسي كما ان يدى نالت ادنى الاسفار * كذلك يكون مراوحى عليه ادنى الجار * وكان يسكن بالقرب منى مطران يطرى قومه على جلّيته * ويعظمون فضله وادبه على طول لحيته * فقصدته صحوة النهار * بادى الاستبشار * فرايته ذا بركة تروق * وبزة تشوق * فعرضت عليه الجدولين وقلت افتنى فى هذه القضية * ولك لاجر من رب البرية * فنظر فيهما ثم حرك راسه * وجعل يرمش ثم يشكو نعاسه * وقال لى ما ترجمته * اذ لم يكن ممن تسمو الى السجع همته * ما لحت مغزاهما * ولا دريت فحواهما * ولو كانا بعبارة ركيكة * كان ذلك على اسهل من الجلوس على هذه الاريكة * فقلت قد اخرة في العلم والشق * تقدمه فى الصق * ونقص من عقله وفهمه ما زاد فى لحيته وكفه * فلاستعلمت بعده اكثر الناس حمقا وهوجا * وما ذلك الا معلم الصبيان الهجا * وكان في البلد من اتصف بهذه الصفة * وهو مع ذلك ذو كبر وعجرفة * فقصدت محله * والقيت عليه المسئلة * فاذا به قام يصفق بيديه * ويرارى بعينه * ويقول لقد سقطت على الخبير * واهتديت براى بصير * ان شئت ان تعرف اى القولين ارجح * واصدق واصح * فزني الجدولين دون جلد الكتاب في ميزان * فما رجح منهما فهو الراجح ما اختلف في ذا اثنان * فقممت من عنده غضبان نادما * ولعنت لارق الذى كان السبب في ان اكون لمعلمي الصبيان مكالما * بعد ان

قرات في غير كتاب * وسمعت من ذوى الالباب * انهم اسخف خلق
الله عقلا * واكثرهم جهلا * وابعدهم عن الفهم * واسفهم الى الوهم * فسرت في
ذلك اليوم * الى فقيه من جلة القوم * قد كبر عمايته وكورها * ووسع
جبته وزورها * فقلت ائسني ايها الفاضل لاحق * اى القولين عندك
احق واصدق * فقال اما اذ جئتني مستفتيا * ومرت ان تكون برأى
مستهديا * وبطريقتي مقتديا * فاني اقول لك بعد التروى * في هذا
المذهب المتحرى * انا معاصر الفقهاء من اهل الكلام * القائمين باحكام
الاحكام * وتبيين المتشابه بين الانام * وان من دأبنا اظهارا للحق ان
نسهب في التعليل * ونكثر من قال وقيل * اذ لا بد من انتشاء عرف
الصواب * من لاسهاب * ومن لاهتداء الى بعض المذاهب * بفرض
المستحيل وجعل المعدوم كالوجود الواجب * فعندى انه لا بقى من عد الفاظ
القولين * واحصاء حروف الجدولين * فما كان منهما اكثر حروفا * فهو
ارجح واحسن تاليفا * والله اعلم * فصلت من عند الفقيه * كما فصلت من
عند صاحبه السفه * وقلت انما اللوم على مستفتيه * ثم قصدت شاعرا كنت
اعهده يتلهوق ويتشدق * ويتفصح ويتمدح * ويتبجح ويتزنج * وقلت
له هاك ما تكرر عليه اجرا * ويكسبك بين الناس فخرا * فابن لي
اى لاهلوبين ابدع * وبالحق فاصدع * قال اما انا فما لي من خلاق
في الدنيا ولا نصيب * غير المدح والنسيب * ففى الاول غصتي * وفي
الثاني لذتي * فاصبر على ريثما اطالع ديوانى كله * واتصفحه جملة * فان
وجدت المديح فيه اكثر من الغزل * كان الخير في الدنيا اقل * فالحقته
بصاحبه الفقيه والمعلم * وقلت كم من متكلم متكلم * ثم سرت الى كاتب
الامير * وكان مشهودا له بالتحري والتحرير * فائيت عليه قبل السؤال مطرنا *

وقلت لم يكن غيرك في ذا مجزأ * فقال ان سعادتي في الكون هي
 ان ارضى عن اميري ويرضى عني * وشقاوتي هي ان اغضب منه ويغضب
 مني * وقد نسيت كل ما جرى علي من الغضب والرضى * لكثرة المشادة
 والمقتضى * فان صبرت علي في المستأنف شهرا * لا قيّد في دفتري
 ما القاه منه حلوا ومرّا * ونفعا وضرّا * افدتك الجواب فاقبل عذرا *
 فصيرته رابع الثالثة * وقلت لاستشيرن ذا حدائه * فان اهل المراتب
 والمناصب قد ذهبت صدارتهم بالبايهم * فلم يبق فيهم خير لقارع بايهم *
 فجئت الفارياق وهو مكتب على النسخ * وفي طلعت مبادئ المسخ *
 فقد رايت عينيه غائرتين * ويديه ذاويتين * وعظم خديه ناتئا *
 وجلده كالطل زائئا * حتى رثيت لحالته * وكدت امسك عن الكلام
 اشفاقا من بطالته * لكنه لما رآني قام الي * ثم اقبل علي * وقال هل من
 خدمة اقتضت سعيي * اونجوى اوجبت وعيي * فقلت قد اقدمني كذا
 وكذا * فاكفني ذل السؤال كفيث الاذى * فاخذ رقعة من تحت اسمال *
 وكتب فيها في الحال *

اتيتني مستفتيا في امر يعلمه كل امرئ ذي حِجْر
 الخير ان قابله بالشر في العمر كان قطرة من بحر
 لا ترى الا جرب كيف تسرى عدواه في جميع اهل المصر
 وليس من ذي صحة ويسر عدوى لمن دانا طول العمر
 والطفل اذ يغركم من ضر يلقي ويلقى عنده في قبر
 وعند اشعار ونبت ظفر ليس له من لذّة وسر
 وكل عضو لقبول الكسر اقرب منه لقبول الجبر

وما فسادة سريعا يُزرى كالعين لن تصالحه في دهر
ونعى طفل لابيّه يفرى فؤاده وكلّ عظم يبرى
وليس فى مولده من بشر ندى لحزن موته لا صر
وما تكون لذة عن فكر اذا تحققت ولا عن ذكر
وانما ذا هوس قد يجرى فى خاطر المغفل المغتر
فهل تصوّر الشفاء يبرى ذا مرض أمرض منذ شهر
وهل لمن يبرد وقت القر دقّ بتذكّار اوان الحر
فليس دُنْيَانَا لاهل الجبر سوى بلاء دائم وخسر
يُولد فيها العبد غير حر وهكذا يموت رغما فادر

قال فلما اخذت الرقعة وتاملت فيها * وتحققت معانيها * علمت ان
قوله هو الاسد * وان قول غيره هذيان وفند * فقلت له بورك فى زمن
جاد بمثلك * وهدى المستفيدين الى رشدك وفضلك * وقبحا لاهل
الثرى * اذ لم يحلّوك ارفع الذرى * ثم انصرفت من عنده داعيا * ولما
قاله واعيا *



* الفصل الرابع عشر *

في سر

جمع جمع الحمد لله * الحمد لله * قد تخلصت من انشاء هذه المقامة
ومن رقمها ايضا فانها كانت باهظة * ولم يبق لي هم منها سوى حث
القارئ على مطالعتها * وهي وان تكن خشنة غير مهلهلة كسجع الحريري
الا انها تلبس على علائها * وتحمد لافاداتها * وفي ظني ان الثانية تكون
احسن منها * والثالثة احسن من الثانية * والرابعة احسن من الثالثة * والخمسين
احسن من التاسعة والاربعين * لا تخف من هذا التحويل والتحويل لا تخف *
انما هي اربع لا غير كما وعدتك * ولان ينبغي ان اعصر يافوخي لاستقطر
منه افكارا ومعاني حسنة والفاظا رائقة مع تجنب الثثرة * فان العلماء
يسمون ذلك فيما اظن إخلاء * ولكن قف هنا حتى اسألهم * ماذا تسمون
الكلام الذي يتدفق بالمعاني ويبل قارئه حتى آتيكم به * فان لم تسموه
لي حالا فلا تلوموني على نقيضه * فاني انا من الموجود ودابي ان
ابحث عنه لا عن المعلوم * ولما كان اسم الاخلاء موجودا ونقيضه معدوما
ناسب ان اعدل اليه عن غيره * الى ان تتواطؤوا على اسم ولكن لا
بالخناق والتشاوش * والنقار والتهاوش * وبالجلاد والجدال * وبالتماسك
بالجيوب ولاذيال * بل بالرزانة والوقار * ولاون والاستبصار * فان الرزين

إذا وضع اسماً لشيء جاء ذلك الاسم رزينا مثله * فلا يمكن بعد انتقاله
الى آخر * بل ربّما وقر بالاسم المسمّى وإن يكن مما اتصف بالحفّة والطيش *
لا ترى ان كلام الشاعر الرقيق ياتى رقيقا * وكلام الضخم ياتى ضخما *
كما قيل كلام الملوك ملوك الكلام * وشعر المرأة ياتى خالبا للعقول لاعبا
بالالباب مثلها * ويستثنى من هذه القاعدة وضع الولد من قبل ابيه اى
مادة توزيع الولد * لا ان الاب يحبل ويلد * وذلك ان الوالد قد يكون
قبيحا وياتى ولده صبيحا * وسببه ان الايلاد لما كان من الافعال التى
لا تتم الا بمشاركة اثنين اعنى رجلا وامراة اذ التغليب هنا لا يخلو ايضا
من الابهام * لم يكن للوالد مطلق التصرف فى تهيئته ولده كما شاء *
فقد يكون هو عند ذلك مقدرا له شكلا ارتضاه وتكون أمه حرسها الله
مقدرة له شكلا آخر بحسبما استحسنته وخلج صدرها اذ ذاك * فياتى
الولد خنثاريا * لا يقال ان الرجل لا يستحضر عند ذلك صورة معلومة
لذهوله بشاغل المادة * فان ذلك لا يصدق على من ألف شيئا واحدا
بخصوصه * فان طول الفة الانسان لشيء تعدل هواه فيه * فيباشره برشد
وروية * فمثله كمثّل الطباخ الشبعان يطبخ خصص الطعام باتقان
واحكام بخلاف الجائع فانه يلهوج عمله ويلهوقه * فاعلم اذا بعد هذا
الاستطراد البديع * والعطال المجمع * ان الفاريابي ذهب ذات يوم الى
بعض القسيسين ليخبره بما فعل وفكر * وقال من المنكر * فقال له
القسيس فيما ساله به * قد سمعت عنك انك كلّفت بالنظم وبالألحان
وهما من اعظم اسباب الفساد والغرام * فهل سؤل اليك الخناس ان
تستغل فى الشعر بامراة قاعدة النهد * موردة الخد * بيّنة الكحل *
مرتجة الكفل * نحيلة الخصر * مفاجئة الثغر * عثيلة الساقين * مجدولة

الساعدين * سودا الشعر والحلمتين * نجلآ العينين * مخضبة الكفين *
رقيقة الشفتين * مزجة الحاجبين * مدورة السرة * ذات عكن مفترية *
حلوة الابتسام * مهففة القوام * لها رصاب عذب * ونكهة تسكر الصب *
قال قد فعلت ذلك لكنى إن اراك ألا حريفى فى هذه الصنعة * فقد
رايتك تحسن وصف الحسان أى احسان * قال ليست حرفتى تليفق
الكلام * وانما هوشى عرفته بالقياس والالهام * فان كل من تعاطى النظم
يملا دماغه بهذا الوصف المحرم * وكيف كان فلا بد من ان تحرق غزلك
كله * بالتفصيل والجملة * فانه يبعث الاغرار على المعاصى * فتجزى
به يوم يؤخذ بالنواصى * وتغزى التفاصى * قال كيف احرق فى ساعة
واحدة ما سهرت فيه لىالى متعددة حرمت فيها من الكرى * وكابدت بها
جهدا ولا جهد الشرى * ار السرى * فكنت اذا نظمت البيت من
القصيدة يخيّل الى انى قطعت مرحلة الى محل المتغزل بها * وعند تمام
القصيدة انتصّر انى وصلت اليها ولم يبق بينى وبينها سوى فتح
الباب * فكان الختام عندى افتتاحا خلافا لجميع الشعراء * ولذلك لم
اكن اقصد القصائد الطويلة خشية أن تطول على المسافة بطولها * فهل من
الراى السديد ان يحبط عملى كله من اجل الاغرار * وبعد فانى لا اريد
انهم يقرّاون كلامى * لانهم ان لم يفهموه سألوا عنه اهل العلم فيذمه هؤلاء
ويخطئوننى ويفتدوني * اذ لا يرون فى كلام الصغير الوضيع حسنا * وان
استحسنوه لم يكن جزاى منهم الا قولهم اخزاه الله وقاتله الله وثكلته امه
ولا أب له ولا أم له * قال ان ابيت لا الاصرار على العناد * والزيف
عن جادة الرشاد * امسكت عنك مغفرة ذنوبك * ونددت فى الكنيسة
بعيوبك * قال لا تعجل فان العجلة من الشيطان * ارايتك لومدحتك

بقصيدة طويلة تجعلها كُفارة عن الذنب * وان شئت ان امدح فيها
ايضا جميع الرهبان والراهبات والعابدين والعابدات والزاهدين
والزاهدات والناسكين والناسكات والقانتين والقانتات والمفردين
والمفردات والمغبرين والمغبرات والمذكرين والمذكرات والذاكرين
والذاكرات والمتقين والمتقيات والمتبتلين والمتبتلات والمتهجدين
والمتهجدات والساجدين والساجدات والمُخبتين والمُخبتات والمستبحين
والمستبحات فعلت * ففكر ساعة وكأنه رأى ان ليس فى الغزل كبير اثم * فان
وصى المرأة مثلا بضخم الكفل وفعومة الذراع وتدملك الثدي اذا كانت
فى الواقع كذلك انما هو من قبيل قول القائل البدر طالع عند طلوعه
او السحاب منقشع عند انقشاعه * وانما يكون افتراء وانما ما اذا وصفت
بذلك وكانت مسحاء مردآ * او كانت تتخذ الحشايا لتُحسب عجزآ
فصدقتها ناظرها فى ذلك وقال فيها ما قال مجازفة * فلما تدبر الامر وراة
بعقله قال * لا ينبغي ان تتخذ مدحى كفارة فانى اخشى ان تمسك بى
ولا تعود تطلقنى * اذ ارى من قوافيك فى الفاعلين والفاعلات انك مُسكة
عُلقة نُسبة لُزمة * وانما تمدح اولياء الله والربانيين الصالحين الذين
زهدوا فى الدنيا رغبة فى الآخرة لوجه الله ولبسوا المسوح ولزموا السهر
فى طاعة الله وداوموا على التقشف حبا بالله * فمنهم من لم ياكل مدة
حياته كلها الا العدس والخبز جافا صلبا * فقال الفارياب واعقبه ايضا
كسر سن وحكة * قف قف * قد نسيت ان اذكرك شيئا اخطره لان
ببالى العدس * وذلك انى تسببت مرة فى اخراج رويهب من ديرة
وتركه الطريقة * وانما الذى اغرانى بذلك ما قاسيته فيه ففعلت ما
فعلت تشفيا * فقال ذنبك فى الشفى وهو ضرب من الانتقام اكبر من ذنبك

فى اخراج الرويهب * فان اكثر الرهبان لا فائدة من اقامتهم فى الدير لا
لهم ولا لغيرهم * وما عدا ذلك فقد يحتمل ان هذا الرويهب يتزوج
ويجعل من ولده رهبانا كثيرين * ولكن اذا مدحت الراهبات فاحذر من
ان تذكر لهن ائداء واصجازا اذ لا شى لهن من ذلك * فان طول الاعتكاف
والاحتجاب قد صيرهن مخالفات لسائر النساء * ونحن معاشر العباد اعلم
بهن * فقال له الفارياق سالتك بالله معبود اهل السماوات والارض هل
جميع القسيسين مثلك فى الطرافة والدعابة * قال لا ادرى وانما ادرى
انى انا وحدى شقيت بما عرفت * وانى لو بقيت جاهلا مثلهم لكان
خيبرا لى * ان من الجهل لراحة * فقال له وكيف ذلك * قال اعندك
للسر مكان حريز * قال ان سرى من دمي فلا ابوه به * (قلت بل باح به
لان) قال اتريد ان اقص عليك قصتى * قال اكرم بها قال اصخ سمعا *



الفصل الخامس عشر

في قصة التيسيس



ثم طفق يقول * اعلم اني كنت في مبدأ امرى حائكا * ولما شاء الله تعالى من الازل ان يخلقني قبيحا وقصيرا * حتى ان امي عند نظرها الى كانت تحمد الله على انه لم يخلقني بنتا لم اكن اصلح للحياكة * لان قصرى الفاحش مناني غير مرة في حفرة النول بالبهر والخناق * اذ كان جسمي كله يغيب فيها فينقطع نفسي * مع ان منخرتي بحمد الله يسعان من الهواء ما يكفي خمسين رئة وخمسين كرشا * وكثيرا ما كان يغشى علي فيها واخذ منها على آخر رمق * فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعناء رايت ان التسبب ببعض ما يرغب فيه النساء اصلح * فاكترت لي حانوتا صغيرا وقعدت فيه * فكانت النساء يمررن علي وينظرن الي ثم يتصاحكن * وسمعت مرة منهن من تقول * لو كان الظاهر عنوانا صادقا على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له في جثته ويروج سلعته * فاعتمدت على كلامها وقلت لعل من القبح سعادة * فقد قيل في الامثال ان من الحسن لشقوة * ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل * فان انفي وقف بيني وبين رزقي * وبلغ كبره من الفحش بحيث انه لم يدع لغير الاباء والاعراض عني موضعا * فقعدت يوما افكر

فى خلق الله تعالى هذا الكون * واقول بالحكمة الله كيف تخلق فى
الدنيا انسانا ثم تخلق فيه شيا يمنع عنه رزقه وقوام معيشته * ما الفائدة
من هذا الانف الضخم الذى لا يصلح لشي الا لان تضمن فيه اعجاز
قفا نبك * ولم لم يقوّر منه شى ويكوّر فى جثتى * وما لى ارى بعض
الناس جميلا كالمَلَك وبعضهم قبيحا كالشيطان * السنا جميعا خلق الله *
اليس سبحانه يعظم كلمهم بعنايته على حد سوى * اليس الصانع الارضى
اذا اراد ان يصنع شيا فانه يتأنق فيه ويتقنه عند استطاعته ويأتى به
من احسن ما يكون * هل يصور المصور صورة فبيحة الا لكى يصحك
الناس من المصور عنه * العَلّ فى ضخم الانف حُسنا او خيرا او نفعا ونحن
معاشر المخلوقين لا نعلمه * ثم اقوم الى المرأة واتأمل وجهى فيها فانكره
ولا اجد فيه موزعا للاستحسان * فاعود الى مذهبى الاول واقول * ان
كنت انا لم استحسن وجهى فهل يستحسنه آخر غيرى * على ان الانسان
يرى ذأم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة * اترى فى الناس من يروق
لعينه القبح * فقد يقال ان السود لا يرون فى الابيض منا حسنا *
غير ان لون السواد عندهم عام فلذلك يستحسنونه * وما ارى غيرى من
اقل انفا كانفى حتى اطمع فى انه يكون مستحسنا * اما اللون فانى لست
من البيض ولا من السود فانا بين اللاعنين * الا ليت اهل بلدتى كانوا
كلهم مثلى قناتيين فانسلّى واتأسى بهم * من اين ورثت هذا الجلمود وانف
ابى كان كأنوف الناس * ليت شعرى اين كان عقل ابى حين نقر فى راسه فكر
انشأى فى هذا الكون وفى اى طود او طربال او منارة كانت امى تفكر ليلة
راوخته على هذا العمل * لاّ ليثما غشى عليهما تلك الليلة فما افاقا * او
فدرا فما اطاقا * او سحرا فما تاقا * او سكرا فما قا * وجعلت اجيل هذه الافكار

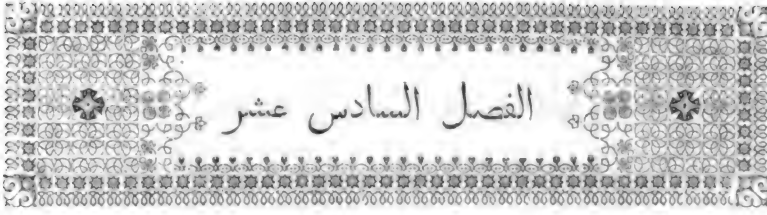
فى راسى واصوغها فى قوالب مختلفة وافانيس متنوعة * واذا بامراة
متنقبة اقبلت علىّ وقد نتأ من تحت نقابها شى شبيه بالقلّة *
فطننت انها جعلت حنجور عطر عند انفها لتشمه عند مرورها على الجيف
فى اسواق المدينة * فسالتنى عن شى تريد شراء فسعرتة لها فكانها
استغلته فقالت لى اقصّد فان تسعيرك هذا تسعير * فقلت لها وانّ شراءك
لشرى * فضحكت وقالت لقد احسنت فى الجواب ولكنك اسأت فى
الطلب * فراع حقوق الشركة والجنسيّة فانى شريكك ورفيقتك * فكان
ينبغى لك ان تحابينى * قلت اى شركة بيننا اصالحك الله وهذه
اول خطرة شرفتني فيها بالزيارة * فرفعت النقاب واذا بانفها النانئ
يضيق عنه وجهها * وكأنه واجه انفى ليحييه * فخطر ببالى ج ما قيل
عن ذلك الغراب الذى كان يجمع والف غرابا مهيض الجناح * وان احد
الشعراء لما ابصرهما قال ما كنت ادرى ما اراده بعضهم بقوله ان الطيور
على آفها تقع حتى رايت هذين الغرابين * ثم انى بعتهما اخيرا ما
ارادت ان تشتريه * وحاولت ان اقبلها قبلّة واحدة تعويضا عما خسرت
معيها فما امكن لى * لان انفينا حالا ما بيننا * ثم ذهبت ومكثت
انا على تلك الحال مدة * فلما تحققت انى لا اصلح للتجارة لان
النساء لا يشتريّن الا ممّن كان فرهدا غيسانيا تبركا بجمال طلعتة فى انهن
يتمتعن بما اشترين من عنده * وتذكّرا لذلك النهار السعيد الذى عرفنه
فيه * وانى مذفحت الدكان لم ابع الا لتلك الكرنيّة وكان ذلك بخسارة *
عزمت على الرهبانية فذهبت الى دير ما وقلت للرئيس * قد اقدمنى الزهد
فى الدنيا والرغبة فى الآخرة * فان الدنيا لا تغنى عن الآخرة شيئا *
وان اللبيب من اتخذ دنياه هذه مجازا الى تلك * اذ لو كانت هذه

وطننا الذى شآء لنا خالقنا لكنّا نَعْمَرُ فيها طويلا * على انا نرى ان من
الناس من يولد فيها ويعيش يوما واحدا فهذا دليل على انا لم نخلق لها *
واشبه ذلك من الكلام الذى جرى على السنة العباد * فقبلنى الرئيس
واعتقد فى الفضل * واتفق فى اليوم القابل انه حاول التسور على حائط
لينفذ منه الى بعض بيوت الشركاء * فدخلت فى احدى عينيه قصدة
من غصن شجرة فذهبت بها * فرجع غضبان وقد تشام بقدومى الى الدير *
اذ كان قد ألف التسور قبل مجئى بمدة طويلة ولم يعرض له شى قط *
فمن ثم طردنى من الدير فدخلت ديرا آخر واعدت الكلام لاول * فقبلنى
رئيسه فاقمت ثم اياما اقاسى فيها من قشف المعيشة والوسخ ما لا يرضى
الله ولا احدا من العالمين * هذا ما عدا ما كنت ارى من عناد الرهبان
وتفرق ارائهم * وطعن بعضهم فى بعض وشكواهم الدائمة للرئيس من امور
باطلة * وتكبر هذا عليهم واثرتة باشياء استخصها لنفسه من دونهم *
وتنافسهم فيما يهدى اليهم النساء من نحو منديل وكيس وتكة * وزد
على ذلك كله جهل الجميع اذ لم يكن فى الدير كله من يحسن كتب رسالة
فى معنى من المعانى * حتى ان الرئيس نفسه ادام الله عزه لم يكن يعرف
ان يكتب سطرا واحدا بالعربية * وانما كان يخط هذه الحروف السريانية
المعروفة عندهم باسم كرشونى * وكان هذا الجاهل يتبجح بمعرفته لها
ويحمل كل من دخل صومعته على اعظامها * حتى انه كان يدعو اياها كان
لزيارته * فكانت الاغرار من الرهبان تعتقد ان ذلك من حسن اخلاقه وكرم
طباعه * وكان قد كتب بها على بابه سطرا وعلى الحائط سطرا آخر *
فكنت حين انظر ذلك اضحك * وهو من غفلته يظن انى اضحك اعجابا
بها * ومن كان خبا مخائلا من الرهبان على جهله (فان كثيرا من الناس قد

جمعوا بين الجهل والختل) كان يتقرب اليه استجلابا لرضاه بان يقول له وهو حاسر الرأس تواضعا وخشوعا اكرم على ياسيدى بنسخة من خطك اصلح عليها خطى * فكان ذلك من احسن ما يُدلّ به عليه * فلما اشتدّ على الخطب من عسرتهم وخصوصا من رداءة الطعام طفقت ادمدم واتضجر * فسمعنى يوما طبّاخ الدير اشكو من قلة السمين فى الارز الذى كان يطبخه فى بعض الاعياد العظيمة * وكان عتلا زنيما * فاستشاط منى غيظا وحملنى على كشفه كما يحمل الرجل ولده ولكن بلا شفقة * ثم ذهب بى الى مَمار الدير وغطّسنى فى خابية السمن وهو يقول * هذا السمن الذى اطبخ به الارز الذى لم يعجبك يا صاحب الخرطوم * ياسليل البوم * يانصيب المحروم * يا ابن اللوم * يا ابا الكبانر والجروم * يارائحة الثوم * ياريح السموم * يا عالجوم * يامنهم * يالهوم * يا وخوم * وصبّ على قوافى كثيرة غير هذه * فبلغ منى تغطيسه عرضى فى السبّ اكثر من تغطيسه راسى فى السمن * فتملّصت منه بعد جهد ودخلت صومعتى حتى اغتسل واذا به يطرق الباب ويعجّ ويهول * لا بدّ من ان اعصر انفك فقد دخل فيه من السمن ما يكفى الزهبان اياما * ثم اهوى بيديه على منخري كانهما كلبتا حدّاد وجعل يعصرهما اشدّ العصر * حتى ظننت ان قد زهقت نفسى منهما * فان الانف وحده دون سائر ثقبوب الجسد محل دخول النفس وخروجها خلافا لقوم * ولذلك يقال تنفّس الانسان * فلما شقّ على ما قاسيته ولم اجد فى الدير من اشكو اليه * اذ الزهبان كلهم يتملقونه ويتودّدون اليه حتى يشبعهم ولو من الثرثم * (وهو ما فضل من الطعام او الادام فى الاناء) خرجت من الدير مبتئسا حزينا قانطا وقد ضاقت الدنيا على برحها * وقلت اين اذهب بانفى هذا الذى سدّ على مذهب الرزق *

ام اين يذهب بى هو * فخطر ببالي ان اقصد ديرو بعيدا كنت اسمع
عن رهبانه انهم صلاح * وان بعضهم يحسن الخط العربى ويحب
الغريب ويكرم الصيف * فتوجهت اليه فلما سلمت على رئيسه وطالعه
بما عزمت عليه احمد راى وهش بى * لكنه لم يتمالك ان
نظر الى نظر المتعجب منى المستعيز من
شوم تبعة تلاحقه من انفى *
فمكنت فى ديرة ما
شاء الله ان
امكث *





فى تمام قصة القسيس



وجعلت من همى مدة مكثى هناك بادى بدى مداراة الطباخ ومساحته
والنآ عليه * فكان لا يحوجنى الى شى مما يمكن نيله فى الدير * حتى
انى جعلت جُلّ مقامى فى المطبخ * وكنت احسن ايضا طبخ الوان من
الطعام لا يعرفها هو فعلمته اياها فكلف بى * فكان رئيس الدير اذا
استضافه احد عزيز عليه او اشتهى لونا من الطعام بخصوصه كلّفنى به *
فكنت اتأنق له فى عمله ما امكن حتى حظيت عنده * اعنى انى كنت
اسامرة واجلس بين يديه * ثم انى تلبّست بالصلاح والتقوى بين
الرهبان * فكنت اسدل قلنسوتى حتى تبلغ قصبة انفى * وياليت العادة
جرت بان يُسْتَرَّ لانفى بها كله * وكنت اذا مشيت اخفض راسى الى
الارض ولا انظر يميناً ولا شمالاً الا لمحا * واذا اكلت او شربت او رقدت
او مشيت او غسلت وجهى اخبر عن ذلك كله حامداً لله ومشنياً عليه *
فاقول مثلاً * قد خرجت اليوم من صومعتى ولله الحمد او ولله المجد
وهى احب الى الرهبان * او تناولت فى هذا الصباح مُسهلاً ان كان الله
تقبل وما اشبه ذلك مما عُرِف عند المتظاهرين بالتقوى * حتى اعتقد
الرهبان فى جميعا الصلاح والفضيلة * وكنت ايضا قد كتبت بعض صلوات

ركيكة للرئيس فاعجب بخطى ومدحني على ذلك * ووعدني بان يرقيني
الى درجة تليق بي * اذ رآني متميزا عن الرهبان بالعلم وجودة الرأي *
واخص ذلك بكوني غيداراً (الغيدار هو السبي الظن يظن فيصيب) ثم قدر الله
رب الموت والحياة أن مات في بعض البلدان البعيدة بعض القسيسين
الذين يباشرون خدمة الرعية * اى الذين ياكلون ويشربون فى بيوت
الناس لا فى الدير * والذين يختلطون برعيهم خلافا لعادة الرهبان *
فان هؤلاء لا يخالطون الناس لا عند الضرورة * فتسبب رئيس الدير
فى ان بعثنى الى ذلك البلد فى مكان القسيس المتوفى اى بدلاً منه لا
انى دفنت معه * فلما وصلت تلقانى اهل كنيستى بالاكرام والترحيب *
فابدت فيهم الورع والعفة فشاع فضلى بينهم * حتى ان بعض التجار
ممن كان حرمه الله من لذة البنين دعانى الى منزله لاقيم عنده رجاء ان
يفتح الله رحم امراته بسببى كما تقول التوراة فتلد له البنين * وكانت جميلة
رشيقة القد * قاعدة النهى * تحب الخلعة واللهو * والقصف والزهو *
(سبحان الله ما احد يذكر النساء الا ويهيج خاطره للسجع) فاقمت عنده مدة *
فى انعم عيش وجدة * ثم عنى الى ان اغازل زوجته واناغيها * واعاشرها
واراضيها * فاجابت الى مرادتى * ولم تبال باربنتى * فان من طبع النساء
الميل الى الولي * والاستغناء عنه بالقصى * وما ادراك ما اعتذرت به احدى
النساء بقولها قرب الوساد * وطول السواد * فبرزت الدنيا لعينى ج فى
احسن صورة * ونسيت ما لاقيت فى الدير من المشاق الكثيرة * وقلت
لا عوض على ما دامت فرصة الحظ الى ممكنة * وشوارده مذعنة * كل ما
فاتنى منه ايام كنت حائكا * وطباخا وناسكا * ثم فرضت على نفسى ان
تقسم لذاتى معها على كل يوم غير مرة * كدأب المتزوج بحرة * وعلى

الحاضر* وهو الان ايضا فى حيز الغابر* بحسب البواعث والبوادر* فبدأت بالعدد* حتى بلغت الامد* وكان الرجل ذا نية سليمة* وشيمة مستقيمة* فلم يكن يسئ بى الظن* ولا يعوقه عن شغله امر عن* فترك لنا قُطوف اللذات دانيه* وكؤس المسرات صافيه* ومن العجب* الذى ينبغى ان يدون فى الكتب* انها كانت تخاصم الخادمة فى حضرته وغيابه* وتشتتها بين يديه فحش الشتم منعاً لارتياحه* ولم تخش منها تبعه* ولا كانت من طردها جزعة* وقد طردت كثيرا من الخوادم لسبب ولغير سبب* بعد سبهن كل السب* وحملهن على الحقد والغضب* وذلك من معجزات النساء يدعن الغرب الذى يعنى الرجال عن كنه سره العجيب* والحاصل انى كنت أعجب بحسنها* كما كنت أعجب من فنها* وانى اقيمت معها على هذه الحالة فى غاية السر* مُنفقا راتعا ولا حَظَر (١) ومتزوجا ولا مهر* ثم استأنفت عدداً آخر* اطول من ذاك واكثر* فلما ابطرتنى النعمة* وامنت من الدهر كل نقمة* نقر فى راسى ان اجمع بين الكافين* فان بكثرة العين قرّة العين* وقلما رايت من انهمك فى الاول* لا وتعاطى الثانى وما اشبهه من العقل* وذلك كالقمار والجبنخ والفشخ والحذج والمجر والإمجار والندب والخطر والرشق والقرع والنجش والصبن والضفو والغذمة والمحارضة والمناحبة والمراهنه والمجازفة والمحاولة والمزابنة والاحياء والمداخلة والمعارضة والمنابذة والمباداة والمباخسة والمغابنة والموالسة والتدليس والتطويع والمقاطرة والمعاومة والمراوضة والمواصفة* فطهبل وطهفل* ومحل وتطهمل* ودجل وزعفل* وابطل وتخبّل* وعرقل وتبهلص* وتبلهص وبهصل (٢) فاجتمعت برجل كنت اسمع عنه انه يتعاطى هذه الصنعة* وقد تفرغ لها بحجة وبذل فيها وسعه* واوسع فيها بذله* وعقل بها عقله* وفى الجملة والتفصيل* من دون قافية وسجع طويل* تعاطيتها معه

(١) افنق الرجل
تنعم بعد البؤس

(٢) تبهلص الرجل
وتبهلص خرج من
نيابه وبهصل خلع
نيابه فتامر بها*

(انتهى سجع التيسيس) قال فجعلت انفق فيها ما اجمعد من العجائز والاعرار
برسم النفوس والارواح * وانا مع ذلك مواظب على الصنعة الاولى * بل كان ذلك
داعيا لزيادة هيام كل منى ومن بزيعتى * فانها طمعت ج فى الهدايا
والصلات كما هو دأب النساء فى كل امر يحدث لازواجهن وعشاقهن * فبلغ
خبر صنعتى هذه الحديثة للجائليق * فارسل يطلب منى المال الذى
جمعت * فتعلت له بعلل اباهة ولم يرصها * فتسبب فى احضارى اليه
وصبط ما كان عندى من متاع وغيره * ولم يشق على فقد ذلك كله قدر
ما شق على انتطاع العدد الذى كنت شرعت فيه فى بيت التاجر الصالح *
ثم انى تفلت من عكال الجائليق بعد مدة كادت ان تنسينى لذات
الايام الغابرة * وخرجت فى طلب آخر نكايه لاذك فصرت الى جائليق
من اشد الناس عداوة للجائليقى القديم * اذ العداوة توجد بين الجائليقة *
كما توجد بين الزنادقة * فاقمت عنده مدة ثم خشى على ان يرهقنى
من ذاك سوء فسفرنى الى بلاد بعيدة فى سفينة حرب * فما سرنا بعض
ساعات حتى تعطل بعض ادوات السفينة وخشى ربانها ان تغرق بهم *
فرجع وقد تشام بى وقال لبعض الركاب انه انما جرى عليه ما جرى من
شمختريتى * فتعجبت اذ بلغنى كلامه جدا * لان اولئك القوم لا يرتسمون
ولا يشامون * ولا يتطيرون ولا يتفألون * ولا يتحتمون ولا يتيمنون * ولا يتسعدون
ولا يتمسحون * ولا يقلدون بعود الشبارق ولا يستعملون نبت العطف * وما
عندهم هتعة ولا لجام * ولا عاطوس ولا عاطس * ولا كايح ولا كادس * ولا قعيد
ولا داكس * ولا بارح ولا سانح * ولا زجر ولا تحزى * ولا عيشرة ولا عيافة *
ولا طرق ولا عرافة * ولا هجيج ولا كهانة * ولا ابنا عيان ولا تنجى * ولا لمة
ولا حقوف * ولا لعة ولا انتجاء * ولا نشوة ولا تعيد * ولا طلاس ولا تشهق *

ولا عزائم* ولا رقى ولا تمانم* ولا الينجلب ولا تولة* ولا حوط ولا غز* ولا تدسيم
النونة ولا شد الحجاب* ولا رسع ولا صخبة* ولا قلب ولا كبدة* ولا وجيه
ولاسلوانة* ولا سلوان ولا عقرة* ولا مجول ولا مهرة* ولا أخذة ولا عوذة*
ولا هبرة ولا رامة* ولا كحلة ولا هنمة* ولا جلبة ولا صرة* ولا قبلة ولا نشرة*
ولا قبلة ولا نفرة* ولا صدحة ولا همرة* ولا زرقة ولا عطفة* ولا فطسة ولا صرفة*
ولا غضار ولا كرار* ولا بریم ولا جزز* ولا خصمة ولا رتيمة* ولا أسحم ولا صهميم*
ولا تذعب ولا صوت اللوف* ولا هامة ولا صفر* ولا أخذة النار ولا تنجيس*
ولا لحج ولا انكيس* ولا أس ولا شجيثا* ولا طب ولا تول* ولا سحر ولا ماقط*
ولا عاصه ولا مستنشة* ولا نفانات فى العقد ولا صدی* ولا شعبذة ولا نيرنج*
ولا شعوذة ولا حابل ولا حار* ويومئذ ايقنت ان القناتى مكروه
عند جميع الامم* وان اوقية لحم زائدة فى وجه الرجل تشقيه وتحرمه*
ورطلين فى بتيلة المرأة يسعدانها ويفيرانها* فزاد تعجى من هذه
الدنيا المبنية على رطلين واوقية من اللحم* ومع ذلك فلم يمكن لى الزهد
فيها* ثم انى سافرت بعد ذلك الى تلك البلاد وامنت فيها من مكر
اعدائى* واستاجرت بيتا واتخذت لى امرأة تخدمنى* وقد جرت العادة
فى تلك البلاد وفى بلاد الافرنج ايضا بان يتخذ القسيسون نساء للخدمة*
فتأتى المرأة احدثهم صباحا وهو فى فراشه الوثير وتقصى له ما يروم منها*
فلما ذقت طيب العيش وسوس الى الوسواس ان اتزوج بنتا فقيرة
لكنها كانت جميلة* غير انى لم اكن على يقين من نهود نديها ومع
ذلك فقد كلفت بها* فطلبت من الجائليق ان يزيد وظيفتى فأبى*
فألححت عليه وهو مصر على المنع وانا مصر على الاستزادة* ثم ناقشته
وراغمته فرأى ان يرذننى من حيث جئت* فسرت الى جائليق محب

لجائليق الاول فسر برويتي وانزلني عنده * فرجعت الى ما كنت عليه
سابقا * وها انا مترقب فرصة اخرى تمكنني من المقايضة على هذا النحاس
الآخر ايضا فانه جاهل جدا * وعندي ان مبادلة الجبالقة في هذا الزمان
العُسوف * انفع من حجر الفيلسوف * انتهت قصة القسيس وهذا تفسير
ما اشار اليه آنفاً من الالفاظ الغريبة *

ابناعيان طائران او خطان يخطهما العائف في الارض ثم يقول
ابناعيان اسرعا البيان النخ *

أخذة النار بعيد صلاة المغرب يزعمون انها شر ساعة يقتدح فيها *

الأخذة رقية كالسحر او خرزة يؤخذ بها *

الارتسام التكبير والتعوذ والتحنن التناول *

الأسحم الدم تغمس فيه ايدي المتحالفين *

أس كلمة تقال للحية فتخضع *

الانكيس في اشكال الرمل كالمنكوس *

البارح من الصيد ما مر من ميامنك الى مياسرك *

البريم خيطان مختلفان احمر وابيض تشده المرأة على وسطها

وعصدها..... والعودة *

التحزى حزا حزوا وتحزى زجر وتكهن وحزى الطير ساقها وزجرها *

تدسيم النونة تدسيم نونة الصبي تسويدها كيلا تصيبها العين *

التذعب تذعبته الجن افزعته *

التشهق شهقت عين الناظر عليه اصابته بعين *

التشوة يقال لا تشوة على اي لا تصبني بعين *

التعبد تعبد العاين على المعين تشهق عليه وتشدد ليبالغ في

اصابته بعينه * ذكره الفيروزابادى فى ع و د *	
اسم شى من القدر او عظام الموتى او خرقة الجائض كان	التنجيس
يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به *	
تنجى لفلان تشوة له ليصيبه بالعين كنجا له ونجاة بالهمز	تنجى
اصابه بالعين *	
تال يتول عالج السحر *	التؤل
السحر او شبهه وخرز تحبب معها المرأة الى زوجها كالتولة *	التولة
العوذة تخرز عليها جلدة *	الجلبة
الساحر *	الحابل
العوذة *	الجرز
شدة لاصابة بالعين *	الحفوف
خرزات وهلال من فضة تشده المرأة فى وسطها للآ	الخطوط
تصيبها العين *	
من حروز الرجال تلبس عند المنازعة او الدخول على السلطان *	الخصمة
خرزة المحبة *	الرامة
كان من اراد سفرا يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها	الرثيمة
فان كانا على حالهما قال ان اهله لم تخنه ولا فقد	
خانته وذلك الرثم والرثيمة *	
رسع الصبي شد فى يده او رجله خرزا لدفع العين *	الرسع
العيافة والتكهن *	الزجر
خرزة للتاخير *	الزرقة
ضد البارح *	السانح

السُلوان	ما يُشرب ليسلى أو هو ان يُوخذ تراب قبر ميت فيجعل في مآ فيسقى العاشق فيموت حبه النخ *
السُلوانة	خرزة للتاخذ وخرزة تدفن في الرمل فتسود فيبحث عنها ويستأها الانسان فتسلية *
شد الحجاب	الحجاب خيط يشد في حَقو الصبي لدفع العين *
الشُعْبَة	الشعوذة *
الشُعْوَة	أخذ كالسحر يرى الشئ بغير ما عليه اصله في رأى العين *
شحيثا	كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح *
الصَّخْبَة	خرزة تستعمل في الحب والبغض *
الصَّدْحَة	وبالضم والتحريك خرزة للتاخذ *
الصَّرَة	خرزة للتاخذ *
الصَّرْفَة	خرزة للتاخذ *
الصَّهْمِيم	حلوان الكاهن *
صوت اللوف	نبات له بصلة تسمى الصَّرَاخَة لان له في يوم المهرجان صوتا يزعمون ان من سمعه يموت في يومه *
الصَّفَر	حية في البطن تلزق بالصلوع فتعضها او النخ *
الطِّب	مثلثة الرفق والسحر *
الطَّرَق	ان يخلط الكاهن القطن بالصوف اذا تكتمن *
العاصه	الساحر والعَصَة الكذب والبهتان والسحر *
العاطوس	ما يُعطس منه ودابة يتشام بها والعاطس ما استقبلك من امامك من الطبّا *
العِرافَة	العراف الكاهن والطبيب وصنعتة العرافة وقد عرف ككتب *
العَطْف	نبت يُوخذ بعض عروقه ويلوى وي طرح على الفارك فتحب زوجها *

العُطْفَة	خرزة للتأخيد *
العُقْرَة	خرزة تحملها المرأة لئلا تلد *
عود الشُّبارق	الشُّبارق شجر عال ويقلد الخيل وغيره بعوده للعين *
العيافة	عفت الطير اعيفها عيافة زجرتها وهوان تعتبر باسمائها ومساقطها وانوائها فتستعد او تتشام *
العَيْثُرَة	عشر الطير راها جارية فزجرتها *
الغَرّ	غز لا بل والصبي علق عليهما العهون من العين *
غُضار وكرار	الغُضار خُزف يحمل لدفع العين وكرار خرزة للتأخيد تقول الساحرة ياكُرار كُريه وياهمرة اهمريه ان اقبل فسريه وان ادبر فسريه *
الفُطْسة	خرزة لهم للتأخيد يقلن اخذته بالفُطْسة بالثوباء والعُطْسة *
القُبْلة	ضرب من الخرز يؤخذ بها *
القُبْلة	ما تتخذها الساحرة لتقبل به وجه الانسان على صاحبه *
القُليب	خرزة للتأخيد *
الكابج	ما استقبلك مما يتطير منه *
الكادس	ما يتطير به من الفال والعطاس وغيرهما والقعيد من الطبّا وهو الذى يجى من خلفك ويتشام به ونحوه الداكس *
الكبْدة	خرزة للحب *
الكُحْلة	خرزة للتأخيد او للعين *
الأُجام	ما يتطير منه *
الأنْحَج	لحجه بعينه اصابه بها *
اللُعْطة	اسم من لعطه بسهم او بعين اصابه *
اللَمّة	يقال اصابته من الحنّ لَمّة اى من اقليل والعين اللامّة المصيبة بالسوء *

الحاوى المتكهن الطارق بالحصى *	الماقط
العُودَة *	المَجْرول
الكاهنة *	المُسْتَنْشَة
خرزة كان النساء يتحبسن بها *	المُهْرَة
رقية يعالج بها المجنون او المريض *	النُشْرَة
التفائف فى العقد السواحر *	
شى يعلق على الصبي لخوف النظرة *	النُفْرَة
أخذ كالسحر وليس به *	البِيزْنَج
الصدى وهو طائر يخرج من راس المقتول بزعم الجاهلية *	الهامة
خرزة يؤخذ بها الرجال *	الهَبْرَة
الخط يُخط فى الارض للكهانة *	الهَجِيج
دائرة فى الفرس يتشام بها *	الهَقْعَة
خرزة للتاخذ *	الهَمْرَة
خرزة للتاخذ *	الهَمْمَة
خرزة م كالوجهة * قلت الظاهر انها للوجهة *	الوجه
خرزة للتاخذ او للرجوع بعد الفرار *	الينجلب
رجل حوآء وحاو يجمع الحيات * قلت هذا غاية ما ذكره صاحب	الحاوى
القاموس فى حى وى والظاهر انه واوى ولكن ضعفه فى الواو بقوله قيل	
ومنه الحية لتحتويها الخ وقوله يجمع الحيات كانه لحظ فيه معنى حوى	
لا يناسب ما قاله فى تفسير الجَنَفَش وعبارته * او حية عظيمة ضخمة	
الراس رقشآ ركداً اذا حويتها انتفخ وريدها * فهو صريح هنا فى الرقية	
وقد ذكرت ذلك وما اشبهه فى كتاب مفرد *	

الفصل السابع عشر

في الثلج



لا غرو ان يجد بعض القارئین كلامی فی هذا الفصل باردا لانی كتبه فی يوم عبوس قمطير * ذی زمهریر * والثلج اذ ذاك ساقط علی السطوح * وقد سدّ الطرق ودخل فی البیوت والصروح * وكاد یطفئ النار * ویذهب بالاصطبار * ویمنی بالقمر والقمار * غیر انه لا ینكر احد ان شارب الثلج او آكله او اللعب به یحسّ منه بحرارة * وكذلك قاری كلامی فانه وان وجده باردا فلا بدّ وان یحتمی علیّ من هذه البرودة * فیکون قد حصل الغرض وهو تسخین دماغه * ولا سیما اذا كان قد بقیت فیہ بقیة غیظ وحدة من الفصل المتقدم * ولكنی لم اقصد فیما حکيته الا الصدق * ولو خطر ببالی ان آتی افکا وعضیة لارعیت ذلك فی قصیة وختمتها بدعاً ومدح لاحد البخلاء * ومن مارانی فی ذلك فلیسال القسیس نفسه * الا ان الثلج یخالف كلامی من جهة انه یسقط علی الاسود فیبیتضه وكلامی قد سقط علی القرطاس فسوده * وكلاهما فی ظنی یروق العین وكلاهما یجتمعان فی هذه الجهة * وهی ان الثلج لا تطلع علیه الشمس ایاماً الا ویذوب * وكذا كلامی فانه لا یکاد یبقی منه شی فی راس القاری بعد تنقمة او عند ظهور بُوح علیه * وهناك جهة اخرى تضمّهما * وهوان الثلج بعد سقوطه ینشا عنه الصحو وانجلاً الجو * وكذلك كلامی فانه بعد تساقطه من راسی ینشا عنه انجلاً جو فکری وصحو بالی واستعداده الی

ما يروق ويروع * فعلى كل حال تجد المشابهة هنا فى موقعها وعذرى
فى محله * وبعد فانى ارى لاغنياء المثرين يتخذون فى ديارهم
الفسيحة مساكن للصيف واخرى للشاء وكنا للمبيت واخر للاستحمام *
ومن لم يكن له من غيرهم آلا بيت واحد فغير جدير بان يزار فيه آلا
حين يكون بيته موافقا لوقت الزيارة * او يكون وقت الزيارة موافقا
لبيته * فبناء على ذلك ينبغى للعلماء اقتداء باكابرهم لاغنياء ان يتخذوا
لهم فى رؤسهم الفيحاء مواطن متعددة مختلفة لما ياتى عليهم من الكلام البارد
والفاتر والحميم * وفى وقت ثوران الدم وهيجان الطبع يقراون البارد
تقليلا مما حركهم من بواث الحرارة * وفى وقت السكون يتلون الحميم * او
بالعكس على مذهب من يداوى الشى بجنسه لا بضده * لا يقال ان
القارى يضع وقته فى تمييز البارد والحميم من هذه الفصول * اذ لا
يستوعب مضمونها الا اذا اتى على آخرها * بخلاف سائر الكتب فانه لا
يتعمد فيها الكلام البارد فهى على منهاج واحد * فانى اقول ان كل فصل
من تلك الفصول له عنوان يدل عليه دلالة قطعية كدلالة الدخان على
النار * فمن درى العنوان فقد درى الفصل كله * مثال ذلك اذا مر
بك فى احد الفصول ترجمة البالوعة او البلوعة او البلاءة او البربخ او
الارذبة فلا بد لك من ان تفطن الى ان حمارا من حمر الدير قد غطس
فيها للتعريب او الترجمة * لا انه لا ينبغى للقارى اذا درى مغزى
الفصل من العنوان ان يضرب عن قرائته * ثم يقول متبجحا بين اقترانه

واخوانه قد قرأت كتاب الساق على الساق وفهمت معانيه كلها * فان ذلك (١) افس الرجل
يكون كقول مُقنس (١) قد رايت اليوم الامير اعزه الله وكلمته مع انه لم يكن راى ادعى الى قنس
منه لا قذاله عن بعد * ولم يتح له تقبيل يده الشريفة * او كان ذلك الامير قد شريف (اي اصل)
ساله عن شى فتلثم فى الجواب او تروى فيه فسب آباء واجداده ولعنه وهو حنسييس

وتهدده بالصلب او بَسْمَل عينيه * او كقول هَبْنَع (المزهو للاحق المحب
لمحادثة النساء) قد رايت اليوم فلانة * ولما ان واجهتنى وقفت وتنفست
الصعداء * مع انها تكون قد وقفت لتبصق او انها تنفست الصعداء
بُهرًا * بل الاولى ان ينوى القارى عند افتتاحه هذا الكتاب ان يتصفح
كله من اوله الى آخره حتى حواشيه وعدد صفحاته * ويعتقد ان لكل
مولى اسلوبا * وانه لا يمكن لاحد ان يعجب الناس كلهم * اذ لاهوا
متفاوتة والاراء مختلفة * ومن الاسرار التى بقيت مكتومة عنى انك تجد
بعض المولفين فائز الحركة غير ذى نشاط ولا مرج * قليل الارتياع الى ما
يبحث على التهاوش والتناوش * متقاعس الهمة عن السبح والحركة *
ناظرا الى الحوادث كلها نظر المتوقع لها * وهو مع ذلك اذا اخذ القلم
انبص كل عرق فى القارى وحرك كل ساكن * ومنهم من تراه نزفا حركا
ذا تترع وتسرع وحفد وضمان واقبال وادبار وسعى وتهافت * ومعالجة
ومبادرة ومزاحمة ومزاهمة ومسابقة ومحاشرة * ثم هو ان قال شيا سقط
من راسه على ذهن القارى سقوط الثلج حتى يكاد ان يخمد منه ذكاه *
فلما تأملت فى ذلك وتحققته ارتبت فى كون سقوط الثلج ناشئا
عن فرط برودة متكونة فى الهواء وقلت بل لعل سببه فرط حرارة
حزت فى صدر الجوعلى سكان هذه الارض * ووافروغرتكون فى حشاه
فلفظه عليهم نالجا انتقاماً منهم عما ياتونه فى الليالى الباردة من المنكرات *
وذلك ان بعضهم يحاول عكس الطبيعة فيسخن فراشه باداة فيها نار *
وبعضهم باداة فيها ماء جيم * وبعضهم باداة فيها شراب * واخرون باخرى
فيها لحم * وربما كان من ذلك اللحم لحم خنزير اجلك الله * فمن
اجل ذلك اسقط الجوعلى عليهم الثلج المتراكم منعاً لهم من الخروج من
ديارهم لاستعمال هذه الادوات لكى يستريح من فسادهم ولويومين *

لا انه قد فاتته ان كثيرا من هؤلاء الناس يتخذون اداة للاداة او اداة
لاداة لادوات * مثال الاول ما اذا تربع الغنى فى دسته وتدثر بفروته
وقال لغلامه سر يا غلام الى محل كذا وأتني منه باداة لتسخين فراشى هذه
الليلة * فيذهب الغلام يطأ الوحول والثلوج ورجل سيده نظيفة * ومثال
الثانى ما اذا كان السيد جواداً سخياً فيبعث غلامه فى مركب له او فى
آخر مما يستاجر من الطرق * او اذا كان ذا سيادة وامارة ويريد ان
يكتم سره عن غلامه * لان لذة الخادم انما هى الثلب فى عرض مخدمه
وجعل نفسه اولى بالمخدومية منه * فيستعمل ذلك السيد آخر او اخرين
او آخر فى مكان غلامه * ويكون قد بعث اليهم من قبل ذلك بهدية
على يد خادمه اظهارا لمكارمه * او انه اعطاهم اياها من يده * فيكون سقوط
الثلج على اى حال كان سببا فى التسخين والحرارة * لانه اذا اعتبر فى
حق المخدم كان سببا فى اتخاذ الاداة * وان اعتبر فى حق الخادم
وغيره ممن سد مسدده كان موجبا للحسد * وهو من اعظم المؤثرات
تسخينا واجآء * ومع كونه اى الثلج يرى ساقطا على كل موضع فى المدينة دون
تمييز دار عن دار فان لفظه فى الحقيقة لا يصيب الا رؤس بعض الناس *
وكان الاولى ان يطرد حكمه فيعم لا مثل احكام اللفظ الارضى فانها تجرى
على قوم دون قوم * والفرق بين اللفظين هو ان الثلج لما كان سقوطه
او لفظه من علو الى سفلى كان المظنون به انه يتصوب على جميع الروس
بشدة * فيشمل الكبير منها والصغير والمسقط منها والمسموط * فاما الاحكام
والتقوانين الارضية فمن حيث كان لفظها من سفلى الى علو اى من روس
ناس مسودين الى روس ناس سائدين * لم يكن من المحتمل ان يكون
تبعثها قويا حتى يبلغ ذوى الرفعة والعلآ الذين يمر السحاب من

تحت قُذِّلهم * ثم ان الثلج معما يتبعه في الواقع من الصنك والمشفة
 لمن الفه فقد يروق لعين من لم يكن رآه * فقد بلغنا ان بعض
 الصعاليك كان مرة صيفا عند اناس لم يكرموه ولم يحتفلوا به اذ كان
 دونهم في المعارف والنباهة * وكان بلدهم لا يسقط فيه الثلج البتة * فلما
 فصل من عندهم الى بلاد اخرى راى فيها الرزق وعين بها الثلج كبر
 لرويته وهلل واعجب به غاية الاعجاب * حتى زعم انه منة من الله خص
 بها ذلك الصقع تمزية له على غيره * كما انه تعالى حرم منها بلد مصيفه
 الاول * وكذلك كلامى ههنا فانه معما فيه من الاستطراد والحشو والالفاظ
 المضغوطة بين المعانى ومن المغازى المعقودة بالتلميح والتلويح * والتحويل
 والتلميح * فقد يروق لخاطر من لم يكن قد الفى هذا التخليط بل ربما
 يحمله الاعجاب به على تحديده ومحاكاته * ولكن هيهات فان الباب قد
 اغلق في وجوه المتحدّين * على انى لست ازعم انى اول كاتب في
 الدنيا نهج هذه الطريقة واسعها المتناعسين * لا انى رايت جميع المؤلفين
 في سهوة كنى قد قيدوا انفسهم بسلسلة نفس من التالىف واحدة * لكنى
 لا اعلم لان هل غيروا اسلوبهم أو لا * اذ قد مضى على بعه فراقهم اكثر
 من خمس سنين * فكان العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة قد عرف
 سائر الحلق حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه ان يسمى حلقيا *
 بناء على انه مشى ورا القوم وحذا حذوهم * فاذا قد تقرر ذلك فاعلم انى
 قد خرجت من السلسلة فما انا بحلقى ولا بستمى ولا اكون امام القوم
 فان الثانية انحس من الاولى * وانما انا مستقبل لما استحسنت * آخذ
 بناصية ما استظرفت * رافض مكلف العادة *



الفصل الثامن عشر

في النحس



لقد ارحت سن القلم من كدم اسم الفارياق قليلا بعد ان تركته مع القسيس الربيط * وتلهمت بالكلام على البلج لما داخلني من فرط الحدة عليهما معا * اما على القسيس فلكونه خان صديقه الذي اواه الى منزله في حرمة * وكان ينبغي له ان يذهب الى مواجرة او يفعل كسائر القسيسين من اهل حرمة * اذ لو كان الله تعالى رزق ذلك التاجر ولدا على نيته اى فتح له رحم امراته كما تقول التوراة لكان اربعة ارباع هذا الولد من القسيس والباقي وهو اسم من التاجر * فيكون قد اقام نفسه مقام من يرب النفل * مع ان اول ذكر فاتح رحم كما تقول التوراة مبارك ومعظم عند جميع الامم * ولهذا كان حق الورثة عند الانكليز للبكر اى لفاتح الرحم * فكيف يحاول القسيس هنا جمع اللعنة والبركة على راس مخلوق واحد * ان ذلك لا محال * واما على الفارياق فلانه هو الذي كان السبب في افشاء هذا السر بها ابداه من العناد والتصلب في حفظ ابياته التي لا اشك في انه ارتكب فيها المين والغلو والمبالغة المردودة لغير نفع * وهو مع ذلك يحسب انه يحسن صنعا * فاما مشابهة الولد اباه في الخلق هل هي دلالة قطعية على كونه ابنه فغير متفق عليها * فذهب بعض

الى انها ليست علامة كافية * لان لآم قد يحتمل فى حالة كونها مسافحة
ان تكون مفكرة فى زوجها ومتصورة له فيأتى توزيع الجنين بحسب
هذا التصور * وذهب بعض الى ان لآم وحدها لا فاعلية لها في التوزيع
فقد يأتى بعض الاولاد مشابها لعمه او خاله او لآخر ممن لم تكن امه قد
رأته قط * ولان ينبغي لى ان استمر فى القصة * وان عرضها على مسامع
القارى من دون اجراض احدا بنص * فاقول قد تقدم فى اول هذا
الكتاب ان الفاريق ولد والطالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنها
الى التيس * والسرطان واقف على قرن الثور * فاعلم هنا ان النحس على
قسمين نحس ملازم ونحس مفارق * فالنحس الملازم ما لزم للانسان في
يقظته ومنامه واكله وشربه وغدوه ورواحه وفى كل ما يأتية * والنحس
المفارق ما خالف ذلك اعنى ما لزم للانسان في حال دون حال *
واعرف ما يكون لزومه فى الاحوال الخطيرة الشان كالزواج والسفر وتاليه
كتاب ونحو ذلك * ثم ان ماهيات النحس الملازم مختلفة ايضا * فمنه
ما يكون كالقعدة المحكاة * ومنه كالربقة ومنه كالسمار * ومنه كالوتد ومنه
كالشبك * ومنه كالقفل بلا مفتاح ومنه كالغراء ومنه كالعجمار * ومنه كاللجاذ
ومنه كالشراس * ومنه كالذبى والطبق او كالرومة او الشرط والزاق *
ومنه كالجلد ومنه كالدم السارى فى جميع اوصال الجسد ومفاصله *
وجناحه وسلائله * وسناسنه وشلاشله * وتراثبه وتراقبه * وشراسيفه وبوانيه *
وغضارينه وحوانيه * وربلاته ومذاخره * وعصلاته ونواشره * وعصبه وبوادره *
واعصاله ومرادغه * وسافينه وناعوره * ووريدة وتينيه * واسهرية واخذعية *
ومريه وفليقه * وحلقومه وبخاعه * ونائطه ونخاعه * واوداجه وذفراه *
ونفنته وشطاه * ورواهشه وشرابينه * ونسيبيه واشلائه * وعموده واشوائه *

فَنَحَسُ الْفَارِیَاقِ کَانَ مِنْ هَذَا النُّوعِ * غَیْرَ اَنَّهُ لَا یَنْبَغِیْ اَنْ یَفْهَمَ هُنَا اَنَّهُ کَانَ
 دُمُویَا اِیْ کَثِیرَ الدَّمِ اَوْ مَحَبَّاتٍ لِّسَفْکِهِ اَوْ وَّلَاجًا فِیْهِ * فَانَّهُ کَانَ مِنْزَعًا عَنْ هَذِهِ
 الصِّفَاتِ کُلِّهَا * وَاِنَّمَا کَانَ نَحْسُهُ کَالِدَمِّ مِنْ جِهَةِ اَنَّهُ کَانَ مُلَازِمًا لَهُ فِی
 جَمِیعِ اَحْوَالِهِ * فَقَدْ حَکَى وَاَنْ یَّکُنْ کَاذِبًا فَعَلِیْهِ کَذِبُهُ اَنَّهُ بَاتَ لَیْلَةً وَقَدْ
 رَأَى فِی الْمَنَامِ اَنَّهُ شَرِبَ مَثْلُوجًا ثُمَّ شَرِبَ عَقْبَهُ سَخِینًا فَاصْبَحَ یَشْکُو مِنْ
 وَجَعٍ فِی اَصْرَاسِهِ شَدِیدٍ وَمِنْ بَحْجٍ فِی حَلْقِهِ * وَکَانَ یَحْلُمُ اَنَّهُ یَنْتَهَرُ مِنْ
 قَنَةِ جَبَلٍ اَوْ یَسْقُطُ عَنْ طَهِرْجَمَلٍ فِیْغْدُو وَطَهِرَهُ مُسْتَقْوَسٌ * وَکَانَ اِذَا حَلَمَ اَنَّهُ
 اَکَلَ الْکَامِخَ مَغْسَهُ فِی لَیْلَتِهِ * اَوْ شَرِبَ اُجَاجًا اَوْ زَعَاقًا قَا * اَوْ اَشْتَمَ رَوَاحِ
 کَرِیْهَةً غَثَتْ نَفْسُهُ * وَکَانَ اِذَا حَدَّثَهُ اَحَدٌ بِاَنَّهُ رَأَى فِی حَدِیْقَتِهِ رُبْحَلَةً رَأَى
 هُوَ فِی الْمَنَامِ لَیْلَتَهُ تَلْکَ اَنَّهُ یَیْ

وَيْلٌ وَادٌ فِی جَهَنَّمَ اَوْ بُرٌّ اَوْ بَابٌ لَهَا *

اَوْ فِی الْمَوْبِقِ وَادٌ فِیْهَا *

اَوْ فِی الْفَلَقِ جَهَنَّمَ اَوْ جَبٌّ فِیْهَا *

اَوْ فِی بُؤْلَسَ سَجِّینَ فِیْهَا *

اَوْ فِی سَجِّینَ وَادٌ فِیْهَا *

اَوْ فِی اِثَامَ وَادٌ فِیْهَا *

اَوْ فِی الْحَطْمَةِ بَابٌ لَهَا *

اَوْ فِی غَیٍّ وَادٌ فِیْهَا اَوْ نَهْرٌ *

اَوْ فِی الصُّعُودِ جَبَلٌ فِیْهَا * وَحَوْلُهُ

لَبِیْنِیْ اِسْمُ بَنَتِ ابْلِیْسَ *

اَوْ زَلْزَلُور اَحَدُ اَوْلَادِ ابْلِیْسَ الْخَمْسَةِ *

اَوْ مَسْطُوطٌ وَلَدُ ابْلِیْسَ یَغْرِیْ عَلَی الْعَضْبِ *

او السُّرُوح	شيطان اعمى يسكن البحر *
او خَنْزَب	شيطان *
او السُّرْفَح	اسم شيطان *
او الجِثَم	الشيطان او الشياطين *
او نُهَم	شيطان *
او هِيَاه	من اسماء الشياطين *
او الحُجَاب	اسم شيطان *
او الازَب	اسم شيطان *
او اَزَب العقبة	اسم شيطان *
او الهَرَّاء	اسم شيطان موكل بقتيل الاحلام *
او الوَلْهَان	شيطان يغري بكثرة صب الماء في الوضوء *
او الخُبْث والخبائث	ذكور الشياطين واناها *
او السُّفِيف	ابليس ويسمى ايضا المبطل وكنيته ابو مرة وابو قتره *
او عمرو	اسم شيطان الفرزدق *
او القَلَوُط	من اولاد الجن والشياطين *
او الشَّيْصَان والبَلَّاز والقازو الخابل والخَنَاس والوسواس والفتان والاعْجَدع *	
وكان اذا بصر من كوة بيته بمكامة مكامة خيل لم في المنام انه ييم	
ارض خافية	بها جن *
او في البراص	منازل الجن *
او في البَلُوقة موضع بناحية البحرين فوق كاطية يزعمون انه من مساكن الجن *	
او في الباقر	موضع برمل عالم كثير الجن *
او العازف	ع سمى لانه تعزف به الجن *

أو في الحَوْش	بلاد الجن *
أو في وِبَار	وبار كقطام وقد يصرف ارض بين اليمن ورمال يبرين
	سميت بوبار بن إرم لما اهلك الله تعالى عاداً ورمث
	محلّتهم الجن فلا ينزلها احد منا *
أو في عُبقر	ع كثير الجن *
أو في جَبهم	ع كثير الجن * ولديه
الشَّيْصَبَان	قبيلة من الجن *
أو بنو هَنَام	قبيلة من الجن *
أو بنو غَزَوَان	حى من الجن *
أو دَهْرَش	اسم ابي قبيلة من الجن *
أو أَحَقَب	اسم جنى من الذين استمعوا القرآن *
أو زَمِزَمَة	قطعة من الجن *
أو الشَّق	جنس من الجن *
أو شِقْنَق	رئيس للجن *
أو العِسل	قبيلة من الجن *
أو العِسر	قبيلة من الجن وهو ايضا اسم ارض للجن *
أو السَّعْلَة والعِيسَجُور والشَّهَام	ساحرة الجن *
أو السَّعْلَق	أم السَّعَالِي *
أو العُصْرُفُوط	من ذوات الجن *
أو النُّظْرَة	الطائف من الجن *
أو الزُّوْبَة	رئيس للجن *
أو الخافى والخافية والخافيا	الجن وكذا النَجَل *

او التابع والتابعة الجنى والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب *

او العكَنكع والكعنكع الغول الذكر *

او الخيدع الغول الخداعة *

او السلثم والصيدانة والخيلع والخيلع والخولع والخيتعور والسمرمرة والسَمع

والعولق والعولق والهيرة والهيرة والملة والعفانة (كلها من اسما الغول) *

او العتريس الغول الذكر *

او التمسح المارد الخبيث *

او الدرقم اسم الدجال وهو ايضا المسيح كسكين *

او الطغموس المارد من الشيطان والخبيث من الغيلان *

او الزبانية جمع زبئية وهو متمرد لانس والجن ومثله العكب *

او الحيزبون وكان صاحبنا وهم في هذه فاني لم اجدها في القاموس

فكيف يمكن رؤيتها في المنام * واسمها غير موجود في قاموس الكلام * مع ان

المص رحه وزن عليها الحيزبور والخيتعور والقيدحور والعجلوف والعيطول

والهيجبوس والجهيق والزيزفون والحيثلوط والعصفوط * ثم انه كان اذا

سمع خبة تكلم رجلا بمنطق رخم سمع في الليل غريفا وهسايس وتهويدا

وزيزما وهدهدا وزهزجا وزى زى * (كلها من اصوات الجن) واذا راى

جارية تردى نصف النهار (١) جاء في نصف الليل الكابوس والجائرم

والدوفان والنيدل والباروك والدثان والدثاني * وراى ليلة ما ان قد زفت

اليه عروس فاتاه تيس وجعل ينطحه بقرنيه فاستيقظ فاذا بقرن راسه مرضوض *

وراى ليلة اخرى ان قد وجد على شاطئ نهر دنانير ودراهم فمد يده واخذ

منها خمسة عشر درهما لا غير * فلما عبر الشط الثانى راى شيخا بيده

كرة يديرها * فكان كلما ادارها اخذ الفارياق في ظهره وجع شديد كوجع

(١) ردت الجارية

رفعت رجلا

ومشت على اخرى

تلعب *

الدأ المعروف فى بلاد الشام بالوثاب * فلما رمى بالدرهم من يده من
شدة ما اصابه سكن عنه الوجع * وراى ليلة اخرى ان رجلا مغربيا اتحفه بشى
قتلقفه فى الحال مشرقى وذهب به * قال والى لان لم يرجع به مع انتظارى له
كل ليلة * وقس على ذلك سائر احلامه * ومما قاله فى الحلم نظما *

كان همومى وهى تحت مخدتى اذا بت تغرى بى الهرا لتذُرته
تقول على اليوم كان بواله وان عليك الليل ذا ان تخثرته
وقال

أسر اذا انقضى يومى لانى ارجى فيه احلاما تسر
فاحلم ابنى اسعى واشقى فليلى مثل يومى او اشتر
وقال ايضا

ويارب حتى فى المنام ترعنى باصغات احلام تسوء وتزعج
فياليتنى اشقى نهارى وفى الكرى أسر برويا من احب وابه

وعن له يوما ان يمدح بعض ذوى السيادة والسعادة * فلما حظى بلثم اعتابه
الشريفة وانشده القصيدة رجع القهقرى على عادة اهل بلاده من ان الصغير
لا يرى الكبير قفاه * اشارة الى انه لا قذال الا قذال الكبير * ثم جاء
الحاجب يقول ان الامير ادام الله دولته * وخلد صولته * وجعل الشمس
والقمر نعلا لفرسه * وجعل يومه خيرا من امسه * وجعل ظله ممدودا على الارض
ظليلا * وجعل طرف الكون بتراب نعاله مكحولا * وجعل الثريا مقرا لرجليه *
والعيق شراكا لنعليه * وجعل الوجود باسمه متهجا * وبابه لكل لا نذرتجا
مرتجى * وجعل — فلم يتمالك الفاريق ان بادره وقال دعنى من جعل
ياجعل * ماذا يقول الامير * قال يقول الامير المعظم * الخطير المكرم * ذو

ألا الغامرة * والنعم الوافرة * من اذا قال فعل * واذا سئل اعطى فاجزل *
 واذا تنحنج القى الرعب فى قلوب اعاديه * واذا سئل خفقت فرقا افئدة
 شائيه * واذا مخط ارتج المكان لهيبته * واذا حبق تزلزل المجلس لحبقته *
 فقال الفاريق اق لهذه الراحة الخبيثة يا خبيث قل ما يقوله الامير *
 وارحنى من هذا التعير * لقد برزت على الشعرا * بهذا الغلو ولا طرا * قال
 انه يقول لك انك قد احسنت فى ابيات القصيدة وابدعت ما شئت *
 لانك شبهته بالقمر والبحر والاسد والسيف الماضى والطود الراسخ والسيل
 المنهمر ما هو خليق بالانصاف به * ألا فى بيت واحد جعلته فيه قوادا *
 قال كيف ذلك جل الامير عن القيادة * قال نعم انك قلت انه يوجد بالمال
 والنفاس ويولى الابرار * وقلت فى بيت آخر انه محمد الذكر محمود
 المناقب وهو غير محمد ولا محمود * وبسبب هذا الخطا الفاحش حرمك
 من رؤيته * قال هذه عادة الشعرا انهم لا يزالون يتلمظون بذكر الخرائد
 والمحامد * وليس المقصود بذلك نسبة القيادة الى الممدوح * قال هذا غاية
 ما عندى فلا تطمع بعد فى المثل بحضرة اميرنا المبجل * فمن ثم رجع
 الفاريق محروما من هذا المغنم الهنى * وبلغ منه الغيظ ان اضله عن
 الطريق المستقيم * فسار فى طريق آخر وما وصل الى منزله الا بعد اللتيا
 والتى * واخذ يفكر فى نحس طالعه وشؤم قلمه * فظهر لهوسه ان القلم
 انحس شى يتخذ الانسان سببا لمصالحه * وان اشفى الاسكاف انفع
 منه * وان تقديم النون عليه فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ان هو
 ألا اشارة الى النحس * وان ما قاله المنجم فى طالعه صحيح * فانه اول
 المرأة التى زفت اليه فى المنام بالعقرب * والجدى بالتيس الذى كان
 ينطحه * والسرطان بنفسه اذ رجع القهقرى من عند الامير فكاد ان يعثر

بحصير مجلسه السامى لولا ان تمسك ببعض اوتاده الشريفة * وأول الثور
بالامير الممدوح * لا ان العبارة الاولى وهى قول المنجم نحس النحوس غير
محصورة فى حادث واحد * اذ هى تستغرق جميع الاحوال والحوادث كما
سيرد بيانه * وذلك ان الفاريق لما سمع من نجيته الذى قايسه على
الاعتراف ان المساومة فى قيل وقال هى من البياعات الرابعة * والاسباب
الناجحة * خلج فى صدره ان يجرب تنفيق ما عنده من البضاعة المزجاة *
لا انه لم يعرضها من أول وهلة على احد المشتريين من الجشالة كما فعل
صاحبه * بل اخذ فى تقليبها وتقليتها وتمشيطها وتنسيلها من جهة واستشفافها
من اخرى * فظهر له انها قديمة قد ركت بحيث لا يكاد احد ان يرغب
فيها * واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يفدّد على شراء السلع القديمة وعلى
اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها * وادعى انه يقدر ان يعيدها الى
لونها الاول * وانه لا يعجزه شى من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه
اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها *
وانه اى العنقاش لما بلغه فى بلاده فساد تلك السلع اقبل حفدا الى تلك
البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات ما يرفأ كل خرق
ويعيد كل لون نافض * فسار اليه الفاريق عجلا الى المقايضة واطاه على
ابدال ما عنده من السلعة القديمة باخرى جديدة راقت لعينه * فقد
يقال لكل جديد بهجة * ثم قفل الى منزله مسرورا بصفتته * فلما علم اهله
وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا * لعمر رب الجنود ما جرت
العادة فى بلادنا بتغيير البياعات ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها *
ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصقع وكان من الضوطرة الكبار * فكانما
كان سكينا سقط على حلقومه * او خردلا دخل فى خرطوميه * فهاج وازبد *

وابرق وارعد * وماج واضطرب * وضج وصخب * وآلب وحزب * وبربر
 وثرثر * واقبل وادبر * وزجر ونهر * ووثب وطر * وقتل لحيته من الفيظ
 حتى صارت كالمقرعه * واغرى كل حنتوف مثله بان يبيع معه * ونادى
 يا خيل الله على الكفار * انهم صالوا النار * كيف تجرّوا هذا الشقى المنحوس *
 المعتوه المهلوس * على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له جائلقه * وسلكه
 فيه بطريقه * وكيف اقدم بوقاحته * وصفاقة وجهه وقباحته * على معاملة
 ذلك العنقاش اللثيم * ومبايعته ما ورثه من ابائه من الزمن القديم * اليس
 فى بلادنا صلب * وادهاق ويلب * هلموا به مهانا * اجلدوه عريانا *
 اطرحوه نيرانا * القموة حيتانا * اطعموه دمانا * اقطعوا منه لسانا * اسقوه الزنائى *
 على به الآن لان * فابتدر بعض الحاضرين وقال انا آتيك بهذا الجعشوش
 باسرع من رد طرفك اليك * ثم ولى حفدا الى الفارياق فوجده مكبا على
 قراءة الدفتر الذى فيه ائمان السلعة * فتناوله بالسيف فاصاب فروته * ثم
 سيق الفارياق الى الجزار المشار اليه * فلما بصر به انتفخت اوداجه واتسع
 منخره وتعددت اسرّة جبينه واصفرت شفّته * ورقص شارباة واحرت
 حدقتاه * واحترقت اسنانه ودارت بينهما هذه المحاورة *
 قال الصوطار ويلك يامغبون * ما دعاك الى المساومة فى سلعتك *
 الفارياق اذا كانت هى سلعتى كما اقررت فما الذى يمنعنى من ذلك *
 الصوطار ضللت * هى سلعتك من حيث انك ورثتها من ابائك لا من
 حيث ان لك حق التصرف فيها *
 الفارياق هذا خلاف العادة والحق فان ما يرثه الانسان يحق له التصرف فيه *
 الصوطار كذبت * انك انما ورثتها لتحفظها لا لتضيعها ولا لتبادل بها *
 الفارياق هى ميرائى افعّل به ما اشآ *

الضوطار قُبَحْتُ * انى انا القيم عليه الصائن له من الشوائب *
 الفارياق ما بلغنا عن احد انه تولى ميراث غيره لا اذا كان الوارث غير راشد *
 الضوطار غويت * انك انت غير رشيد وانا وليك ووصيك وكفيلك ووكيلك
 وحسيبك *

الفارياق ما الدليل على انى لست من الراشدين ومن ذا الذى جعلك
 وصيًا ووليًا *

الضوطار زغْتُ * انما الدليل على غوايتك وضلالك هو انك تبدلت به
 متاعا غيره * واما كونى وصيًا فان جميع امثالى يشهدون لى به
 كما انى انا ايضا اشهد لهم بانهم اوليا غيرك *

الفارياق ليس تبديل شى باخر دليلا على الضلال والزيغ اذا كان المبدل
 والمبدل منه من جنس واحد * ولا سيما انى رايت لون القديم
 يوشك ان ينصل وقد ركت رقعته فتبدلته بما هو ازهى واقوى *
 الضوطار كفرت * انه غشى على بصرك فما تستطيع ان تفرق بين الالوان *
 الفارياق كيف ذلك ولى عينان ناظرتان ويدان لامستان *

الضوطار عميت * فان الحواس قد تغش ولا سيما حاسة البصر *
 الفارياق اذا كانت حواسى قد غشت فكيف سلمت حواسك من الغش
 وانت بشر مثلى *

الضوطار جُنْتُ * انى وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل من طرف شيخ
 السوق * وقد افادنى مما اودع الله فيه من الاسرار العجيبة ان
 لا يطرا على غبن ولا غش لا وتبينته لانه هو منزّه عن الغش *
 فقال الفارياق وكان به فافاة * واين شيخ الفسوق هذا ثم استدرك كلامه وقال
 انما اردت شيخ السوق * فلا تكن زيادة هذه الثمانين موجبة لحد الثمانين *

الضوطار لُغنت * هو بعيد عنا بيننا وبينه البحار وجبال * غير ان انفاسه
القدسية تسرى فينا *

الفاريق كيف به اذا مرض او جنّ او مسّه طائف من الجن او اصابه
برسام * فكيف يمكنه والحالة هذه تمييز المتاع الردى
من الجيد *

الضوطار هلكت * ما هو ببلو للعوارض لانه بواب رتاج عظيم وببيده
مزلاجان عظيمان لاحكام الباب من قبل ومن دُبر *
الفاريق ليس هذا بدليل فان كل انسان في العالم يمكنه ان يصير بوابا ذا
مزلاجين *

الضوطار فسقت وفجرت * انه هو وحده مستبّد بهذه الخطّة اذ قد
فوضت اليه من المالك الامر *

الفاريق متى كان ذلك *

الضوطار صُلبت * مذ الفى سنة تقريبا *

الفاريق أو عاش هذا الشيخ الفى سنة *

الضوطار الحدث * انما انتقلت اليه بالوراثة *

الفاريق ممتن ورثها أمن ابيه وجده *

الضوطار نكلت * من انسان لا يُعدّ في اهله *

الفاريق هذا امر عجيب كيف يرث الانسان شيا من رجل غريب فان

الغريب اذا مات عن غير وارث انتقل ماله الى بيت المال

فهو اولى به من رجل على حدته *

الضوطار عذبت * هذا سرّ ليس لك ان تبحث فيه *

الفاريق ما الدليل على كونه سرّا *

الضوطار افحشت * هذا هو الدليل * وعند ذلك قام عجلاً واتى بكتاب
واخذ يقلب فيه من اوله الى اخره حتى يجد فيه مطلوبه اذ لم
يكن كثير الدراسة له * الى ان وجد عبارة مضمونها ان المالك
كان احب مرة رجلاً فوهبه هبات شتى من جملتها كاس وطست
وعصا فى راسها صورة ثعبان وجبة وثبان ونعلان وباب له مزلاجان *
وقال له قد وهبتك هذه كلها فاستعملها واهناً بها *

الفاريق لعمرى ليس فى هذه الهبة ما يدل على سر * هذا وقد مات كل
من الواهب والموهوب له وفقد الموهوب كله * فكيف لم يبق
الا المزلاجان فقط وقد ضاع الباب وهما لا ينفعان من دونه شياً *
الضوطار فندت * لم يبق لنا فى غير المزلاجين من حاجة *

الفاريق بحق هذين المزلاجين عليك يا سيدى لا ما اريتنى الكاس
مرة فى العمر وحسب * ولك على بعد ذلك الامر التامة * فلما
ان ضغط الضوطار بين هذا السلب ولا يجاب استشاط وغراً وهم ان يالحق
الفاريق بالباب والكاس لولا ان دعاه داع الى اللوس * فقام ناشطاً ووكل به
بعض الاوغاد وكان وقتئذ يتصور جوعاً فرأى ان رؤية قعر القدر فى المطبخ
اشهى اليه من النظر الى وجه الفاريق * فتغافل عنه فتملص الفاريق من
هذه الورطة واقبل يهرول الى الخرجى وقال له * لقد خسرت تجارتى معك
فان البضاعة كادت تمنينى بمبضع * فابتغى منك الاقالة * أو لا فان يكن
عندك فى الخرج راس يلائم جثتى حين تعدم هذا فارنى اياه ليسكن روعى *
اذ لا يمكن لى ان اعيش بلا راس * فاما ان لم يكن فى الخرج غير اللسان
فما لى به حاجة هذا متاعك فضمه اليك * فقال له الخرجى ما هكذا حق
التعامل * ينبغى ان تصبر على ما ياحقك من تبعة الصفقة كما هو داب

جميع المتبايعين عندنا * وتلك من بعض خواص هذه التجارة * ولكن لا
تخفى فان من خواصها ايضا ان تنقى الواقعى لها وتحفظ المحافظ عليها *
فيكون له بها غنى عن الراس اذا نقف * وعن العينين اذا سُملتا * وعن
اللسان اذا استل * وعن الساقين اذا غمزتا بالدهق * وعن اليدين اذا غلتا
بالكبل * وعن العنق اذا وقصت * والكبد اذا فُرصت * قال ما ارى ما
ترى فان الاسف لا يحيى مائتا * والندم لا يرد فائتا * فان يكن عندك
مخزن آمن فيه من العدو على السلعة فأوئى اليه * ولا فهذا فراق بينى
وبينك * فاطرق الخرجى ساعة ثم دخل به حجرة صغيرة وأغلق الباب *
واخذ يمتحن الفاريق كما سيرد بيانه فى الفصل الاثنى *





فى الحس والحركة



قد جرت عادة الناس جميعاً بان يقولوا اذا احبوا شيا او اشتاقوا الى شى ان .
قلبي يحب هذا الشى * او يحسن بمحبة هذا الشى * او يشتهى ذلك الشى *
ولست ادرى علة هذا الاستعمال * فان القلب انما هو عضو فى الجسم من
جملة الاعضاء فلا يمكن ان تكون حاسيتها كلها مجموعة فيه * وبيانه ان
من احب مثلاً لونا من الطعام بخصوصه فلينظر فى ادوات الاكل الباعثة
على اشتهاه * ومن احب امرأة فلينظر فى الاداة الباعثة على اشتهاها *
وما يميل اليه الطبع وهو غير محتاج الى اعمال اداة ظاهرة وذلك كحب
الرئاسة والسعادة والدين ينبغى ان يحمل على الراس * اذ هى امور معنوية
لا علاقة لها بتلك البضعة اى القلب * وكما ان الطحال الذى هو وزير
المينة لا تعلق له بهذه الامور * فكذلك كان وزير الميسرة اى القلب *
الا انه لما كانت حركة القلب اسرع من غيره لكونه اقرب الى الرئة التى
هى حرز التنفس * ظن الناس ان القلب اصل فى جميع احوال الانسان واشواقه *
ومن عادتهم اجتناباً للبحث عن كثرة الاسباب والعلل واليقن للحقائق
ان يقتصروا على سبب واحد من الاسباب المتعددة * وينسبوا اليه كل ما
تسبب عن غيره * كما تنسب الشعراء مثلاً دواعى النحس الى الدهر ودواعى اليبس

والفراق الى الغراب * وبناء على هذا الاعتقاد اى نسبة لاهواء كلها الى القلب اراد الخرجى ان يمتحن قلب الفاريق ليعلم هل نبض فيه حب السلعة الجديدة نبضا قويا أولا * فجعل يقول له هل تحس فى قلبك بان السلعة الجديدة خير من الاولى * وهل يضطرب فرحا وسرورا عندما تسمع بذكرها * وهل ينسط ويتسع وينشرح عند خطورها هذه ببالك * وينقبض ويضيق ويتصام عند ذكر تلك * وهل عند قرأتك دفتر الاثمان يُخَيِّل لك أن قد طُبِع فيه اى فى قلبك كل حرف من حروف الدفتر * حتى لو اعوزك وجوده سَدَّت تلك الحروف مسدّة * وهل يضطرم ويتوقد مرة ويدوب ويضمحل اخرى * ثم يعود اقوى مما كان عليه كالسندل المعروف * وهل تحس ايضا بان ناخسا ينخسه * وواخزا يخزه * وعاصرا يعصره * وراهصا يرهصه * وممزقا يمزقه * وضاعطا يضغطه * فقال له الفاريق اما الاضطراب والخفقان فانه دائما على مثل هذه الحالة * وهو عُرْضة لذلك فى حالتي الفرج والترح فان ادنى شى يوتر فيه * واما التوقد والذوبان فلا ادري * فقال المراد بالتوقد هنا وبالنخز والعصر الحميّة والتحمّس والتهوُس وتخيّل ما هو معدوم موجودا وما هو موهوم يقينا * ومثل ذلك مثل من يسافر فى فلاة لا ماء فيها فيبلغ منه الظمّ ان يتصور السراب ماء وشعاع الشمس نُقْبْزا * ولا يزال يُمنى نفسه بوجدان الماء حتى يقطع المفازة * فان شدة التخيّل والتهوُس تعين للانسان على تحمّل المكاره والمشاق * فيكون رازحا تحت ثقلها وهو يحسب انه من المتكئين على الارائك * فيستوى بذلك عنده المجاز والحقيقة والمحسوس وغير المحسوس * حتى يحسب الصّفْر خوانا والنعش عرشا والخازوق او الصليب منبرا * وربما كان ذا زوجة وعيال فيتّخذهم متخذ الماعون من الخزف فيغادرهم ويجرى فى البلدان القاصية لترويج السلعة * ويستغنى عن اهله واخوانه ورهطه

بما لديه فى الخرج * فيحمله على كتفه مستبشرا مسرورا ويضرب فى
مناكب الارض طولا وعرضا * فكل من مر به من عباد الله عرض عليه الشركة
والمضاربة * ولا يزال دأبه كذلك حتى يقضى نحبه وطوبى له ان مات
على هذه الحالة * الخرج الخرج * ما لنا سواه من حرفة ولا شغل *
السلعة السلعة * ليس لنا غيرها من جعل * ثم طفق يبكى وينتحب *
فلما افاق بعد حين ساله الفاريق هل عندكم معاشر الخرجيين سوق
وشيخ للسوق * قال لا * قال ومن يقوم لكم المتاع قال كل منا يقوم متاعه
بنفسه ولا نحتاج الى آخر * فتعجب الفاريق وقال فى نفسه ان فى هذا
لعجبا * فان قوما من هولاء الصعافيق لهم شيخ سوق وما لهم خرج * وقوما
لهم خرج وليس لهم شيخ * ولكن لعل صاحبي هذا على الحق * اذ لو لم
يكن كذلك لما تكلف حمل الخرج من اقصى البلاد وتجشم اخطار السفر
وغیره * ثم نخزه الخناس ان الخرجى ربما لم يجد محترفا فى بلاده فجاء
بما عنده لينفقه فى بلاد اخرى * فان تاجرا لو استبضع من بلده مثلا خزا
او كرباسا الى بلد آخر لم يحكم له بانه قدم الى هذا البلد حبا باهله *
فقد جرت العادة بان المتسبين يطوفون فى كل الاقطار * ثم فكر فى
ان اناة الخرجى وما هو عليه من الرزانة والصبر لا بد وان يكون قريبها
الرشد والحزم * بخلاف النزق والطيش فانه لا يكون الا قرين الغواية
والضلال * فمن ثم حكم بان الخرجى كان على هدى وذلك لاناته وحلمه *
وان المطران كان من الضالين لجذته وتترعه * ثم قال للخرجى قد وعيت
ياسيدى كل ما اوعيته اذننى * وما ارى الحق الا معك * وانى مشايحك
ومتابعك وحامل للخرج معك * ولكن اجرنى من هولاء الصعافيق فانهم
كالا سود الضارية لا تاخذهم فى خلق الله رافة ولا شفقة * وعندهم ان اهلاك

نفس غيرة على الدين يكسبهم عند الله زُلْفَى * وقد تمسكوا بظاهر اقوال
من الانجيل فيما راوه موافقا لغرضهم وزائدا في جاههم وسلطانهم * فيقولون
ان المسيح بقوله ما جئت لالقي على الارض سلما لكن سيفا انما رخص لهم
في اعمال هذه الاداة في رقاب الناس ردّا لهم الى طريقة الحق * وقد
نبذوا وآء ظهورهم خلاصة الدين وجوهرة ونتيجته * وهى الالفة بين جميع
الناس والمحبة والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى * وما صعب على من
زاغ وعمى عن الحق ان يستخرج من كل كتاب وحيا كان او غير وحى ما
يوافق غرضه وفساد عقيدته * فان باب التاويل واسع * يجوز لان لامير
الجبل اذا شاخ ولم يعد التدثر بالثياب يدفنه ان يتكوى ببنت عذراء
جميلة اى يتدفأ بها ويصطلى ببحر جسدها كما فعل الملك داود * ام
يجوز له اذا حارب الدروز وانتصر عليهم ان يقتل نساءهم المتزوجات
واطفالهم ويستحي اباكرهم لتفجر بهن فحول جنده * كما فعل موسى باهل
مدين على ما ذكر فى الفصل الحادى والثلاثين من سفر العدد * ام يجوز
له ان يتزوج بالف امرأة ما بين ملكة وسرية كما فعل سليمان * ام
يجوز لاحد من القسيسين ان ينكح زانية ويولدها النفل كما فعل النبى
هوشع * ام يسوغ لاحد من الولاة ان يقتل من اعدائه كل رجل وكل امرأة
وكل طفل رضيع * كما فعل شاول بالعمالقة عن امر رب الجنود * حتى ان
الرب غضب عليه لعدم قتله خيار الشاء والانعام ولابقائه على اجاج ملك العمالقة
وندم على انه ملكه على بنى اسرائيل فقام صمويل وقطع الملك قطعا امام
الرب فى جلجال * هذا وانى قد قرأت فى فهرست التوراة المطبوعة فى رومية
فى حرف الهاء ما نصه * ينبغى لنا (اى لاهل كنيسة رومية) ان نهلك الهراطقة *
اى المبتدعين او المشاحنين * واستشهدوا على ذلك بما كان يجرى بين

اليهود واعدائهم من القتال والقتل ولاغتيال على ما سبق ذكره * فان يكن دين النصارى يحل قتل الرجال والنساء والاطفال والفجور بالابكار من النساء ويبسح التوثب على عقار الغير من دون دعوة الى الدين بل مجرد تنو وظم كما كان يحلله دين اليهود * فلاى سبب نُسَخه اذا وابطل احكامه * لكن دين النصارى مبنى على مكارم الاخلاق * وغايتة من اوله الى آخرة انقاء السلم بين الناس * وحثهم على الصلاح والخير * ولا فلنرجع يهودا * فلما سمع الخرجى ذلك رأى ان ورا هذا الكلام لباقعة * فحرص على انقاذ الفارياق من ايدى العتاة * وارتأى ان يبعثه الى جزيرة تسمى جزيرة الملوط استمأنا فيها * فركب الفارياق فى سفينة صغيرة سائرة الى الاسكندرية * فلما ان سارت به غير بعيد هاج البحر واضطرب بالسفينة فلزم صاحبنا فراشه من الدوار * وطفق يشكو من الم البحر وينوح قائلا *

فواح الفارياق وشكواه

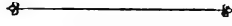
ويلى من السفر ومما اشتق منه ما كان اغنانى عن مقاساة هذا الضرلاليم * ما كان اغنانى عن هذه المساومة التى سامتنى هذا الكرب العظيم * ماذا وسوس الى حتى دخلت بين الضواطرة ولا عائدة لى من هذا الفضول الذميم * لقد ولدت فى الدنيا وعشت زمانا ولم يخطر ببالى ما اختلف فيه عَباَم وبعيم * فلاى شى دخلت فى هذه المضايق وتورطت فى هذا الشر العقيم * هل كان يعينى ما تهاثر عليه اهل المشرقين من فساد رايبهم

وخلقهم اللّيم * لهفى على القلم وان يكن فى شقه شقّ وحول مجاهه الوّيم *
لهفى على الحمار الذى كان يزقع ويرفس من لى بذلك البهيم * لعله لان
احسن حالا منى ولعله فى نعيم مقيم * وانا اليوم بما فرطت ملّيم * من
لى بالخان والاخوان فيهم كل بزيع نديم * زمان لا شغل الا معاقرة المدام
والتطريب والترنيم * ليتنى قلت ما قال الناس وعبدت معهم البعيم *
(استغفر الله قد كفر صاحبنا) ليس كل وقت وقت جدال ومناقشة خصيم *
لقد نصحنى المطران بقوله ان الحواس قد تغش فى الضليل والجسيم *
والغبي والحكيم * والجاهل والعليم * انه يعرف الحق ويقول غيره خوف
كل عتل زنيم * اذ الجاهلون لا يعجبهم الا التصيل والتهيم * الم يقل لى
انك لا تقدر على تجديد القديم * وعلى تقويم ما لا يستقيم * نعم ان
الحواس تغش وسيان فى ذلك السفه والحليم * والكريم واللّيم * ثم وقف قليلا
حتى يورد امثلة على هذا واذا به يقول * ان القبيحة الشوها اذا نظرت
وجهاها فى مرآة تقول ان كنت شوها عند بعض فانى حسنا عند آخرين *
ولذلك قال صاحب القاموس الشوها العابسة والجميلة صدة * وان القناف
اذا نظر جلود انفه قال يحتمل ان بعض الحسان يرغبن فيه وما يرين به
أمتا ولا عوجا * وان سادتنا القباح من الملوك والملكات وذوى السعادة
والجدة لا يصورهم المصورون الا حسانا * وهم لا ينظرون انفسهم فى
العناس الا كما صوّرهم المصورون * وانا لنرى الشمس طالعة ولما تكن
قد طلعت كما يقول الرياضيون * ونرى العصا فى الماء معوجة وهى غير ذات
عوج * وان السراب يرى الشخص انين * وان بعض الالوان يبدو بلونين *
وان السحرة يخيلون للناظرين انهم يمشون على الماء ويدخلون فى النار
ولا يحترقون * ومن يك فى سفينة ماهرة قبالة ديار وعقار فانه يرى

ما يقابله فى الارض متحركا ماشيا وهو ساكن ثابت * ومن يقعد فى
شباك منارج لشباك آخر مساو له فى الارتفاع فانه ينظره اعلى من شباكه *
ولعل صاحبى الخرجى كان بكاؤه لداع غير داعى السلعة * فانه يبلغنى عن
اللاعبين واللاعبات فى الملاهى انهم يبكون ويضحكون ايان شاوا فلعل
البكا عندهم من الصنائع التى يتعلمونها على صغر * ماذا يفيدنى الخرج
لان * الدعوة ويتركنى * الحبه ويبغضنى * الحمله وينبذنى * فلما ابتدا
هذه السفاهة التى تعد عند الخرجيين كفرا * وعند السوقيين تسبيحا *
وعند المتوسطين بينهم سفاهة ناشئة عن الجزع * اذ الناس لم يتفقوا
الى لان الاعلى الخلاف * ماتت به السفينة ميده شديدة يحسبها
الخرجيون انتقاما من الرب * والسوقيون عارضا من العوارض * فجعل
يصرخ ويقول لا ياشيخ السوق عفوا بحق لحيتك التى عند الحلاقين
لا ما اجرتنى * ياخرج * ياسلعة * يادفتر * ياصواطرة * ياصافقة *
يانتاجى السلعة * ياصباغها * يامسديها يامأحميها يامنيرها يامطرزها
ياموشها يارقامها يارقائها ياشصاريها ياخياطها ياكفافيها ياشراحيها
يانشاريها ياطوائها ياقساميها (١) يالفافيها ياملفقيها * تداركونى
بحقكم قد هلكتم * فما كاد يتم هذا الدعاء الا ومالت به السفينة ميلا
تدحرج بها راسه الصغير كالبطيخة * فجعل يصرخ ويستغيث ويقول لقد
عذيت عن التفديد * هذا اثره ظهر من اول الطريق فكيف يكون فى
آخرة * ثم غشى عليه وصار يهذى ويقول الخُر الخُر * فسمعه احد الركاب
يكرر ذلك فظن انه يشكو من احد الاخبشين فى فراشه * فلما لم يجد شيئا
قال هو يهذى من الالم وتركه * ثم قدر الله ان سكن البحر وصفا الجوى وظهرت
بعد ساعات ارض الاسكندرية * فجاء ذلك الرجل وبشر الفاريق برؤية

(١) القسامى من
يطوى الثياب اول
طيتها حتى تنكسر
على طيه *

الارض * فقام متجلدا وغسل وجهه وبذل نياحه * فلما خرجوا من السفينة
سبقهم الفاريقي وما كاد يطا الارض حتى تناول منها حصاة والتقمها وقال
هذه أمي * واليها أتي * فيها ولدت وفيها اموت * ثم انه توجه الى خرجى
كان فى المدينة وأدى اليه كتاب توصية من الخرجى الآخر * ولبث عنده
ينتظر سفينة تسافر الى تلك الجزيرة * فلنهنه بوضوئه سالما آمنا * ولنقدم
عرض حال للسدة الاميرية * والحضرة الملكية * حضرة بطرك الطائفة المارونية
كأنا ما كان * ثم نخرج قليلا على السوقيين والخرجيين ونذكر الفرق بينهم *



قد تفلت الفاريقي من ناديك * وانملص من بين اياديكم * وعنجر فى
وجوهكم جميعا واصبح لا يخاف لكم وعيدا * وبقي الآن ان اذكركم ما
اشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على اخى المرحوم اسعد *
اذ اودعتموه السجن فى داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين * وبعد
ان اذقتموه جميع ضروب الذل والهوان والبوس والضنك فى صومعة
صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور او يستنشق
الهواء الذين يمن بهما الخالق على الابرار والفجار من عبادة قضى نحبه
وما كان سجنكم له الا لمخالفته لكم فى اشياء لا تقتضى عذابا ولا عتابا *
وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدنى * اما الذين فان المسيح ورسله

لم يأمروا بسجن من كان يخالف كلامهم وانما كانوا يعتزلونهم فقط * ولو كان دين النصرى نشا على هذه القساوة الوحشية التى اتصفتم بها الان انتم رعاة التائهيين وهداة الصائين لما آمن به احد * اذ لا احد من الناس يَصْبُوْا اذا كان يرى الدين الذى خرج اليه خيرا من الذى خرج منه * وكل انسان فى الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوعد والتأويق والتشنيع ليس من الخير فى شى * وناهيك ان المسيح ورسله اقروا ذوى السيادة على سيادتهم وإمرتهم * ولم يكن دابهم الا الحص على مكارم الاخلاق ولا امر بالبر والدعة والسلم والاناة والحلم * فانها هى المراد من كل دين عُرف بين الناس * واما المدنى فلان اخى اسعد لم يات منكرا ولا ارتكب خيانة فى حق جاره او اميره او فى حق الدولة * ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعى * فاساة البطرك اليه انما هى اساة الى ذات مولانا السلطان * لانا جميعا عبيد له مستامنون فى امانه وحكمه * وكلنا فى الحقوق سوا * اذ البطرك ليس له حق فى ان يخطف من بيتى درهما واحدا لو شاء فانى له ان يخطف الارواح * وهب ان اخى جادل فى الدين وناظر وقال انكم على ضلال فليس لكم ان تميتوه بسبب هذا * وانما كان يجب عليكم ان تنقضوا ادلتهم وتدهضوا حجته بالكلام او الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تخشون تبعته * ولا فكان الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك * بل اصررت على عتوكم فى تنكيله وزعمت ان فراره من داركم مرة لنجاة نفسه كان زيادة فى جانيته وجريته فزدم تجبرا عليه وظلما * وكاتى بكم معاشر السفها تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة محمدة يُندب اليها * ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاعطهاد والاجبار على شى لا

يزيد المصطهد وشيعته آلا كلفا بما اضطهد عليه * ولاسيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه القاهر له على ضلال * او انه متحل بالعلم والفضائل وقزينه عطل عنها * فقد فأنكم على هذا العلم الدينى والسياسى * وعرضتم عرضكم للنفذ والتسويد * وذكركم للمقت والتفنيذ * ما دامت السماء سماء والارض ارضا * وان اخى رحمه الله وان يكن قد مات فذكره لن يموت * وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشd والبصيرة ذكر معه ايضا سو فعلكم وافحاشكم وفلوكم وجهلكم وشناعتكم * وقد لعمرى اخرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحمة على سفك الدم اكثر مما لوبقى حيا * وحسبك بالخواجاء ميخائيل مشاقه الاكرم وبغيره من ذوى الفضل والبراعة مثالا * الم تأخذكم يا غلاط الاعناق رافة فى شبابه وجماله * الم تتأثر قلوبكم التارزة لصفرة وجهه حين حبتموه عن النور والهواء * وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته * وحين لم يبق من تزارته غير الجلد والعظم وبخلتم عليه ايضا ان تطلقوه بهما * الم تشفقوا عليه اذ رايتم انامله قد صنيت لعوز ما كان يتمتع به حُمرديركم * ولقد طالما والله اخذت القلم فخطت ما يعجب به الملوك * ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فيكم ارتجالا والفرق يتصبب من جبينه ذاك الصليت * ولشد ما ابكى سامعيه تذكيرا ونزهيدا * وطالما التى وعرب لكم كتبا ركيكة وعلم حمقى رهبانكم واخرجهم من ظلمات الجهل * الم يخز وجوهكم الصفيقة ما كان يتفرق فى وجهه من ماء الحيا فكان اشد خفرا من مخدرة * وأنه كان عزيزا فى اهله * مكرما عند الامراء محببا الى الخاصة والعامة * نزيه النفس * كريم الخلق * فصير اللهجة * انيس المحضر * أمثله يحبس ست سنين ويذل وينكل ويموت والله يعلم باى شى مات * ما بال الكنائس الفرنساوية

والنمساوية والانكليزية والمسكوبية والرومية الارثوذكسية والرومية الملكية
والقبطية واليعقوبية والنسطورية والدرزية والمتوالية والانصارية واليهودية لا
تفعل هذه الفظاعة والشناعة التى تفعلها الكنيسة المارونية * ام هى
وحدها على الحق والناس اجمعون على الباطل * الستم تزعمون ان ملك
فرنسا هو مجير الدين وناصره * والناس من اهل مملكته الكاثوليكين
ما زالوا يطبعون كتباً ينددون فيها بعيوب رؤساء كنيستهم وقبائحهم
وسفاهتهم وفحشهم وشراهم والحادث * بل ان كثيرا منهم قد ألفوا تواريخ
خاصة بما كان عليه الباباوات من الفسق والفجور وسوء التصرف *
وبكفرهم بخلود النفس والوحى وبالهية المسيح * فمنهم من قال ان البابا
ارمادىوس الثامن ويعرف بدوق صقوى رقى الى درجة بابا وهو عامى *
ومنهم من قال ان مجمع باسيل انما كان انعقاده لخلع البابا يوجين وانهم
حكموا عليه بالعصيان والارتشاق والبذع ونكث اليمين * ومنهم من
قال ان البابا نيقولاوس الاول كان قد حرم كونتار مطران كولون لمخالفته
له فى المجمع الذى عقد فى مئزر سنة ٨٦٤ * فكتب المطران المذكور
رسائل الى جميع كنائسه يقول فيها * ان المولى نيقولاوس الذى اتخذ
له لقب بابا ويحسب نفسه انه بابا وسلطان معا وان يكن قد حرما
فقد علونا على سفاهته * ومنهم من قال ان امبروسيوس حاكم ميلان
حصل على درجة مطران مع انه كان غير صحيح الاعتقاد بدين النصارى *
ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثامن ارسل نوبا من طرفه الى القسطنطينية *
فعقدوا ثم مجمعا اجتمع فيه اربعمئة اسقف وكلهم حكموا ببراءة فوثيوس
وانه جدير برتبة مطران * ومنهم من قال ان البابا اسطفانوس السادس
امر بان تنبش جثة فرموسيوس اسقف بورطو من القبر لانه كان قد اثار

شُعْبَا على سلفه البابا يوحنا الثامن * ثم حكم عليه حالة كونه ميتا بقطع راسه وثلاث من اصابه والقيت جثته في طيبر * وان البابا سرجيوس كان قد استرثر لاجدورة ام ماروزيا التي تزوجت بمركز طوسكاني * وانه اى البابا اولاد ماروزيا هذه ولدا رعاها عنده داخل قصره من دون محاشاة احد من اهل رومية * ثم تزوجت ماروزيا بعد ذلك بهوك ملك ارس وعملت على قتل البابا يوحنا العاشر لانه كان يهوى اختها * فخنقته بين فراشين واستبدت بالامر * ثم انحالت ان ولت هذه الرتبة ثم قتله في السجن بعد شهر * ثم ولت من بعده رجلا خامل الذكر فولى بعض سنين ثم عزله وتصب يوحنا الحادى عشر وهو ابنها من سرجيوس الثالث وكان قد اتى عليه اربع وعشرون سنة لا غير * وشرطت عليه ان لا يباشر من لا حكام لا ما كان مختصا برتبة الباباوية * وانها سمّت زوجها ثم تزوجت بسلفها ملك لومباردى وفوضت اليه الحكم * فقام احد ولدها من زوجها الاول وشغب عليها اهل رومية وحبسها وابنها البابا فى صانت انجلو * وانه ولي بعده اسطقانوس الثامن * غير انه لما كان بغضا عند الرومانيين لكونه من جرمانية شوها وجهه فلم يقدر بعدها على الظهور بين الناس * ثم انتخب ابن ولد ماروزيا المسمى اكطافيانوس وله من العمر ثمانى عشرة سنة وسمى من بعد ذلك يوحنا الثانى عشر * وكان خليعا ماجنا فتحاشا مستهترا منهمكا فى اللذات وهوى النفس مولعا بركوب الخيل والفروسية * وانما لم يخل ذلك بامور الكنيسة لان اكثر الدول والكنائس كان على هذه الحال * وان او ثولا امبراطور لما علم ان هذا البابا قد اضر العيان وكان اهل ايطاليا قد استدعوا حضوره لاصلاح ما اختل من احوالهم توجه من بافيا الى رومية * وبعد ان استتب له الامر فى المدينة عقد مجمعا

حضر فيه البابا بنفسه وكثير من امراء جرمانية ورومية واربعون اسقفا وسبعة عشر كردينا لا وذلك في كنيسة مار بطرس * وشكى البابا بحضرتهم اجمعين انه فسق بعدة نساء وخصوصا ايتنت التي ماتت وهي نفسا * وانه قد مطرنية طودى لغلام كان سته عشر سنين لا غير * وانه كان يبيع الرتب والدرجات الكنائسية بيعا وسمل عيني اشبينه في المعمودية سمل * وجب اي خصي احد الكرادلة او الكردينالات جبا * ثم قتله * وانه لم يكن يؤمن بالمسيح وغير ذلك مما اوجب على الامبراطور خلعه ونصب ليو الثامن في مكانه * لانه لم يكده الامبراطور يخرج من رومية حتى هاج البابا عليه اهل المدينة * وعقد مجمعا خلعه فيه ليو الثامن وامر بقطع يد الكردينال الذي كتب الشكوى عليه * وقطع ايضا لسان الكاتب الذي كان يقيّد الحوادث وانفذه وانتين من اصابعه * ثم قتل البابا يوحنا الثاني عشر وهو معانق لامرأة وكان القاتل له على ما قيل زوجها * ثم ان القنصل كريستينوس ابن البابا يوحنا العاشر من ماروزيا جيش اهل رومية على اوئو الثاني وسجن بندكتوس وكان من حزب الامبراطور فمات في السجن * فلما بلغ ذلك مسامع اوئو ولي يوحنا الرابع عشر * فقام عليه بونييفاس السابع الذي كان ولي الرئاسة من قبل القنصل وقتله * وبقي القنصل مستقلا بتدبير الامور ومباشرة الاحكام الى ان قام غريغوريوس ابن اخت الامبراطور وخلع اوئو الثالث * ثم احتال عليه الامبراطور وضرب عنقه وامر بان تغلق جثته من القدمين * وسملت عينا البابا يوحنا الخامس عشر الذي كان انتخبه الرومانيون وقطع انفه ثم رمى به من ذروة قلعة صانت انجلو * ثم عرضت الرئاسة الباباوية على البيع فاشترها كل من بندكتوس الثامن ويوحنا التاسع عشر واحدا بعد واحد * وكانا اخوي مركز

طوسكاني * ثم اشتريت لولد سته عشر سنين وهو بندكتوس التاسع * ثم
انتخب بابا وان اخران وكان احدهما يكفر الاخر ويحرمه * ثم اصطلحا
على ان يتقاسما دخل الكنيسة فيما بينهما وان يعيش كل منهما مع سريته *
ومنهم من قال ان كنيسة رومية اصدرت مرة منشورا حكمت فيه على بعض
ملوك فرنسا بان يطلق امراته ويباشر دواعي التوبة سبع سنين * وانه
لما شهر المنشور في المملكة سقطت حرمة الملك من عيون الناس فتجنته
الخاصة والعامة حتى لم يبق عنده غير خادمين * ومنهم من قال ان البابا
غريغوريوس السابع عقد مجمعا في رومية على آنرى الرابع سلطان جرمانية
وقال فيه * قد خلعت آنرى عن ولاية النمسا وايطاليا وأعفيت جميع
النصارى من الطاعة له ونقضت عهدهم له * ولست آذن لاحد فى ان
يخدمه باعتبار انه ملك ذو سلطان * وان آنرى لما ضاق بذلك ذُرعا
اضطر الى الذهاب الى رومية * فلما قدم على البابا وجده خاليا بالكنتس
ماتيلدة فى كانوزا (١) فوق السلطان يستاذن فى الدخول لدى الباب ولم يكن
معه احد يخفّره * فلما دخل المقام الاول اعترضه بعض حشم البابا ونزعوا
عنه حلتة الملكية والبسوه ثوبا من الشعر * ووقف ايضا ينتظر الاذن فى
صحن القصر حافيا وكان ذلك فى قلب الشتاء * ثم ألزم ان يصوم ثلاثة
ايام قبل تقبيل قدم البابا * فلما انقضت الايام الثلاثة دخل به الى مجلس
البابا فوعده بالعفو بشرط ان ينتظر ما يحكم به عليه فى مجلس اغوسبرغ *
الى ان قال ثم مات البابا المذكور وخلفه رئيس دير سُمى اوربانوس
الثانى * وكان مثل سلفه فى العتوّ والتجبر * فمن ثم جعل يحترّس ابْنى
آنرى على قتال ابيهما * وهذه ثانى مرة هاج البابا فيها الابداء على ابايهم *
فقاما عليه واودعاه السجن ثم فر منه ومات فى لياج مسكينا ذليلا * ومنهم

(١) الكنتس مونث
الكنت من القاب
الشرف عند
الافرنج *

من قال ان آنرى السادس ولد فريدريك الثانى سار الى رومية ليتوجه
البابا سيلستانوس * ولما كان الامبراطور متطاطاً لتقبيل قدمه وعلى راسه
تاج الملك رفع البابا رجله ورفس بها التاج عن راسه فوقع على الارض وكان
سن البابا وقتئذ ستاً وثمانين سنة * ومنهم من قال ان بعض الباباوات
واظنه اينوصنت الثالث حرم الملك لويس واباه * غير ان مطارين فرنسا
نسخوا حكمه وامروا بالغائه * وان البابا اينوصنت الرابع عقد المجمع
الثالث عشر على الامبراطور فريدريك الثانى وذلك فى سنة ١٢٤٥ وحكم
عليه فيه بكفرة وبانه كان يتسرى بجوارى مسلمات * فناضل عن الامبراطور
خطابوه وحزبه وردوا على البابا انه افتض بنتاً وارثى غير مرة * ومنهم
من قال ان البابا المذكور اغرى طبيب الامبراطور المشار اليه بان يدس
له السم فى طعامه * وان البابا لوقيوس الثانى ولى مرة حصار رومية بنفسه
ومات من رمية جمر على راسه * وان البابا الكليمنطوس الخامس عسكران
يجول فى فينى وليون لجمع المال ومعه عشيقته * وان راهباً من
الدومينيقيين سم الامبراطور آنرى عن امر البابا وذلك فى القربان * وانه
فى سنة ١٢٠٠ تزام باباوان على الرئاسة وجمع كل منهما حزبه للقتال وعلى
راية كل صورة المفاتيح * وان احدهما تصرف فى آنية كنيسة مار بطرس
وانفقها فى ابهة الحرب * وان البابا اوربانوس كان يعذب كل من خالفه
من الكرادلة او الكردينالات * وفى ذلك الوقت انكرت دولة فرنسا رئاسة
البابا واستبدت اساقفتها بامور رعيتهم * ومنهم من قال ان البابا يوحنا
الثالث والعشرين شكى بانه سم سلفه وباع الوظائف الكناسية وقتل
عدة ابرياء * وانه كان كافراً ولوطياً معا * فمن ثم خلع بحضرة الامبراطور *
الى غير ذلك مما يضيق عنه هذا الكتاب فانى لم اضعه فى الدين وانما

أوردت ما مَرَّبَكَ على سبيل الاستطراد * فان كان ما قاله هؤلاء المؤلفون
من الفرنسيين حقاً كان اخي ابر من هؤلاء الأئمة واتقى * اذ لم يُشكَّ
قط بانه لاط او زنى او سم احدا او هاج لآباً على ابائهم ليقتلوه * او انه
اختلس انية الكنائس او طغا وتجبّر على سلطانه او ارتشى * وانما هي
مما حكَات جرت بينه وبين بطركه على اشياء غير مقيسة ولا معدودة ولا
موزونة ولا مكيلة * فانت تقول مثلاً ان دركات قنوبيين المودية الى
سجين ثلث * وهو قال ثلثمائة * وانا اقول ثلثة آلاف * فما مدخل السجن
هنا والعذاب * وان كان ما قالوه كذباً وافترافاً كان ذلك ادعى الى تنكيلهم
ولاقتصاص منهم * لافتراءهم على احبار الله وخلفائه فواحش لمن يستطيع عبادة
الفتيش ان ياتوا باقطع منها * مع انا لم نر احدا منهم عذب او نُفى او
استفّر من دارة او أنف من محضرة * بل قد طُبعت كتبهم المرة بعد المرة *
وسعرها في الاسواق كسعر كتب العلم * ولعل قائلاً يقول ان عرصك هذا
موجه الى البطرك المتولى لان وهو من اهل الفصل والمكارم وليس هو الذى
سجن اخاك وقتله وانما كان سلفه * قلت عندى علم ذلك * غير انه ما
دام هو يعتقد بان ما فعله سلفه كان صواباً فهو شريك له ولا يلبث ان
يعامل من يقتدى باخى معاملة سلفه * وكذلك يعم اللوم جميع المطارنة
والاساقفة والقسيسين والرهبان ان كانوا يصوّبون ما فعله البطرك المتوفى *
وكنت اودّ لو اختم هذا العرض بعتاب اوجهه الى حضرة المطران بولس
مسعد ابن خالى وخال اخي وكاتب اسرار البطرك * ولكنى خشيت لان من
الاطالة * وفيما قلت ما يغنى اللبيب *



الفصل العشرون

في الفرق بين السوقيين والخرجيين

❖❖❖

اعلم ان للسوقيين شهرة عظيمة في جميع الاقطار * وذلك انهم احتكروا السلعة منذ القديم في مخازن لهم * وقالوا كل من لم يشتري من مخازننا انزلنا به القصاص * ثم انهم اخفوا دفتر اسعار البياعات عن المشتريين وغالوا بثمن الاصناف واشطوا * فكانوا يتقاضون من المشتري اضعاف القيمة * ثم اتخذوا لهم معامل ومخازن في جميع الامصار وجعلوها مظلمة خالية عن الكوى ومنافذ النور * فكانوا يبيعون منها من غير ان يبدو حقيقة لون السلعة ورقعتها * وكانوا يجعلون ما يبيعونه من اصنافها ملفوفة مطروفا فياخذه الشاري وينطلق به ولا يرى منه شيا * وكان عندهم من النساجين والخياطين والرفائين والصبّاعين ما يفوق العدد * فكان هؤلاء يصنعون لهم كل ما يامرونهم به * وانفق في بعض السنين ان وقع موات ذريع في الماشية وامحلت البلاد فقل الصوف والحريير عندهم وكادت الانوال والمعامل تتعطل * فارتأى رجل منهم من اهل الجصافة والحذق ان يستعمل الشعر وبعض اصناف الحشيش بدل ما اعوزهم من الحريير وغيره * وجآ عمله هذا متقنا فحكما حتى اشتبه على اكثر الناس * ثم ان نفرا من المعسرين الذين حملهم الصنك في المعيشة على توسيع دائرة الفكر والنظر في الامور والتيسير لها * (فان جل العلماء والمستنيطين من الصعايك)

ذهبوا يوما الى بعض المخازن لشراء ما لزم لهم وجاءوا بما اشتروه الى منازلهم ملفوفا مصونا على العادة * وكان احدهم يهوى امرأة يريد ان يتزوج بها وقد اشترى لها منديلا * فلما اهداها اياه بحضرتهم وكانت ذات استشراف واستطلاع واستكشاف للمستور كما هو شان سائر النساء * اخذت المنديل وقبل ان تشكره على معرفه اذنته من نور السراج اذ كانت زيارتها له في الليل * فرأت فيه خللا كبيرا مع ان النور كان طفيفا پوشك ان ينطفئ * واذا بها صرخت تقول * بشئ من باعك هذا انه قد غبنك * ان فيه خللا مثل الذي قد فتنك * فلما سمعوا ذلك تنبهوا فاخذ بعضهم ينسل جاجته * وصار الاخر يقيس ثوبه على قامته وهلم جرا * فظهر لهم ان البضاعة ليست على وفق مرادهم * لان من ذهب ليشترى حاجة بلون احمر وجدها سودا * ومن اراد ثوبا طويلا وجدته قصيرا * ومن اراد حريرا وجدته كرباسا * فرجعوا بها في الغد الى الباعة وقالوا لهم قد بعتمونا ما لم نرده * واوردوا لهم عللا واسبابا للاقالة * فقال صاحب المنديل لقد كدتم تسودون وجهي عند محبوبيتي البيضاء * وكادت تغاضبني لما اتحفثها من سقط المتاع ^{لولا} لانها طمعت فيما يكون خيرا منه * فقالت لهم الباعة انما بعناكم ما طلبتم ولكن على ابصاركم غشاوة فلستم تبصرون اللون ولا الرقعة ولا تعرفون المقادير ولا المقاييس * فقال من اشترى الثوب كيف يمكن ان يجبل لانما قامته ويعرفها آخر غيره * وقال صاحب اللون الاسود انما اردت اللون الاحمر وها ان ثوبك اسود ورفيقاي هذان يشهدان لي وها هو واضح لكل ذي عينين * فقال له البائع انت اعمى لا تميز ^{ال}الوان ثم ذهب لياتيه بلماك ليكحله به فابى ذلك وقال لا بل انت عمى اعمى * وقال من اشترى الكرباس بدل الحرير هب ان البصر يغش افيخفى اللبس على لاعمى * فليج بينهم الجدل والعناد وملأوا المكان صخبا وضجيجا * وفيما هم

على ذلك اذا برجل اقبل يسعى وهو يلث بُهراً وقد اندلع لسانه ووضع
يديه على كشحيه * فما كاد يدخل الحانوت حتى سقط لا يستطيع حراكا
وغدا يثن ويقول اه امراتى اه امراتى * ثم غشى عليه ساعة * فلما افاق ادار نظره
يمنة ويسرة فرأى غريمه * فلم يتمالك ان وثب من مجثمه وقال * يا اهل
الفساد * ومروجى الكساد * ومسبى الفتن بين المرء وزوجته * ومفرقى
الاب عن ابنه وابنته * وغابى لاغرار من الشارين * ومبرقى وجوه
المصريين * كيف حل لكم من الله ان تغشوني وتبيعوني ما لا حاجة لى
به * انى اتيتكم بالامس اطلب منكم ان تبيعوني لهما لاتخذ منه مرقا
لزوجتى لانها عليلة مذ ايام * فبعتموني كسر خبز وقلتم لى اند لحم غريض *
فلما اوكدت النار لاطبخه اذا به خبز * فباتت امراتى من غير ان تذوق
شيا وقد اصبحت لا حراك بها آلا بلسانها * فبى لا تزال تلعن تلك الساعة
التي راتنى فيها قبل الزواج * وتسب القيس الذى كان السبب فيه *
وقد حلفت انها اذا برئت من مرضها لتامرّن النساء جميعا بان يكن مع
ازواجهن ضجعا مفسلات مناشيص (١) وكأنه لما قال ذلك فار دمه فى
دماغه فوثب من مكانه وكاد ان يبطش بالبائع * لولا ان تدارك بعض
الصناع فى الحانوت * فلما تلمّص البائع من يديه صعد منبرا وقال * اسمعوا
ايها الخصماء * ولا تعجلوا الى اللؤم فانه من داب اللؤما * ان عيونكم قد
غشى عليها فهي تبصر الاحمر اسود * وذوقكم قد فسد فعندكم ان اللحم
خبز مفتاد * وعقلكم قد رك وحرض فانتم تحسبون الحرير فطنا * والجوهر
عنها * فما يتصفنا آلا قيم السوق * فهلموا اليه وآلا فانتم من اهل الكفر
والفسوق * فلما سمعوا مقالته وعلموا ان محاكمته لهم عند شيخ السوق
شطط لكونه اضعف منهم بصرا وبصيرة لهرمه * التهبوا غيظا فجعلوا يركسون
لا تمتنع ويشوشونها ويبعثونها ويمزقون كل ما قدروا عليه ويطأون ما امكن لهم
زوجها فى فراشها *

(١) الضجع جمع

ضجوع وهى المرأة

المخالفة لزوجها *

قلت وهو غريب

فان اشتاقه من

ضجع فكان يقتضى

ان يكون معناه

الطاعة * والمفسلة

المرأة التى اذا اريد

غشيانها قالت انا

حائض لترده

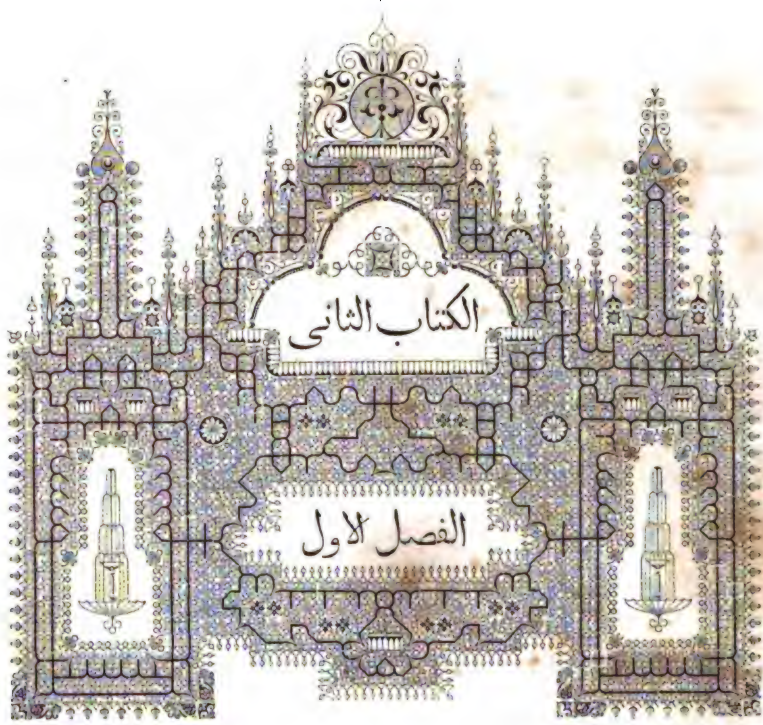
والمناشيص جمع

منشاص للتي تمنع

زوجها فى فراشها *

وطوة * ويكسرون كل ما اصابوا من معدّ وصندوق وكؤس واكواب وخرجوا
وهم سامدون * ثم تواطوا على ان يعقدوا مجلسا تلك الليلة ليتدبروا في
امورهم * فلما كان المساء اجتمعوا وقالوا قد اتضح لنا ان هؤلاء الباعة
ظالمون غابنون * وان حواسنا لم تر الشئ الا على ما هو عليه * فشكروا لله
ولصاحبة المنديل التي هدتنا الى هذا * فتعالوا نستقلّ بامورنا ونعمل
لنا مخازن ومعامل كما عملوا هم * ثم اتخذوا لهم شيعة واخذانا * واصحابا
واعوانا * واسقطوا عنهم من السعر ما امال اليهم كثيرا من الناس * وقالوا
لهم ان عهدنا اليكم ان نبيعكم البضاعة بمرأى اعينكم ولمس ايديكم وذوق
السنتكم * ومن لم يرض شيئا اشتراه فانّا نبذله له بما هو خير منه * ثم
بحثوا عن الدفتر ونشروه في جميع البلاد واستعملوا لذلك وسائل مختلفة *
وقالوا للناس هاوكم الدفتر الانور * والدستور الاكبر * فلا تشتروا منا حاجة
الا على مقتضى تسعيرة * ولا تذهبوا الى شيخ السوق فانه هالك في
غرورة * فرضى الناس بما اشترطه هؤلاء على انفسهم * وانفصلوا عن
الشيخ المذكور ومن حزه * وغدا كل من الحزبين يكذب حريفة ويسوّى
عليه ويخطئه ويسفهه ويحمّره ويفنّده ويخرفه ويلعنه ويكفره ويؤنمه
ويفسّقه * وسبحان من يداول الايام * بين الانام *





في درجة جلود



قد القيت عني والحمد لله الكتاب الاول وارحت يافوخى من حمله *
وما كدت اصدق ان اصل الى الثانى فاني لقيت منه الدوار * ولا سيما
حين خست البحر مشيعا للفاريق تفضلا وتكرما * اذ لم يكن مفروضا
على ان ارافقه في كل مكان * وقد مضى على حين بعد وصوله الى
الاسكندرية والتقامه الحصاة من الارض ولسان قلمي يتمطق * ونغر دواتي
مطبق * حتى عاد الى نشاطي فاستأنفت لانشأ ورايت ان ابتدئ هذا
الكتاب الثانى بشئ ثقیل ليكون عند الناس اكثر اعتبارا * واطول اذكارا *
وكما انى ابتدأت الكتاب الاول بما يدل على المامى بشئ من العلويات

ان كنت لما تنس ما مَرَّ بك * استحسنت لان ان آخذ فى شى من
السفليات لاجل المطابقة * هذا ولما كان الحجر من الجواهر المنيعة المفيدة
راق لى ان ادحرج منه هنا جلودا من اعلى قننة افكارى الى اسفل حضيض
المسامع * فان وقفت تنظر الى تصوّبه من دون ان تتعرض له وتحاول
توقيفه مَرَّ بك كما تمر السعادة على * اى من غير ان يصيبك منه شى *
ولا اى ان استسهلت حبسه عن منحذرة كَرَّ عليك ودفعك تحته * والعياذ
بالله مما ورا هذا الدفع * فانظر اليه ها هو متحرك للسقوط * ها هو متصوب *
فالحذر الحذر * قف بعيدا واسمع من دويته ما يقول * ان من نظر
بعين المعقول الى هذه الدنيا والى ما اختلف فيها واختلف من الاحوال
والاطوار * والجواهر والاعراض * والاطوار والاعراض * والعادات والمذاهب *
والمراتب والمناصب * وجد ان كل شى يمر عليه منها يفوق كنهه
ادراكه ويفوت تأمله * وان حواسنا وان تكن قد ألقت اشياء لم تغادر
الالفه عليها محلا للتعجب منها * الا ان تلكم الاشياء لا تنفك فى نفس
الامر عن كونها معجبة محيرة * ومن تبصر فى ادنى ما يكون منها حق
التبصر راي نفسه كمن قد اهل ادا فرض تعين عليه * انظر مثلا الى اختلاف
صروب النبات فى الارض فكم فيه من الازهار البديعة الصنعة العجيبة
الكينة * من دون ان نعلم لها منفعة خصوصية * الى اختلاف انواع
الحيوان من دبابات وهوام وحشرات وغيرها * فان منها ما هو حسن الشكل
ولا فائدة منه ومنها ما هو قبيح والحاجة اليه ماسة * وانظر فى السماء الى
هذه النجوم درارنها كوكب درىء ويضم متوقد متلالى *
وخنسا الخنس الكواكب كلها او السيارة او النجوم الخمسة الخ *
وبينياتها الكواكب البيانيات التى لا تنزل الشمس بها ولا القمر *

وتوائمها تتوائم النجوم واللؤلؤ ما تشابك منها *
وبروجها معروف *
وثنيها الثنين بياض خفى فى السما يكون جسده فى ستة بروج
ومجرتها وذبذبة فى البرج السابع النج *
ورجمها باب السما أو شرجها *
وأعلاطها النجوم التى يرمى بها *
وإنائها أعلاط الكواكب الدارى التى لا اسماء لها *
وخسانها لانات صغار النجوم *
وأنوائها النجوم لا تغرب كالجدى والقطب وبنات نعش والفرقدين *
وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق *
التى يرجع البصر عنها وهو كليل * والى اختلاف سكن الناس وروسهم * فانك لا
تكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره * ولا تجد بين رؤسهم اى عقولهم راسا
يشبه غيره * فمن عباد الله هؤلاء من اختار المخالطة والمقارفة * والمحاشرة
والمزاحمة * والمضاغطة والمصادمة * وال مباراة والمعاجمة * والملاهسة والمداحمة *
والمجاحسة والمداغمة * والمزاعمة والمداهمة * والمساومة والمزاهمة * على
اختلاف فيها * وذلك كالتجار والنساء * ومنهم من قابلهم بصد ذلك فاختار
العزلة والانفراد كالنساك والزهاد * ومنهم من جعل دابه التهافت على
اليمين والافتراء * والغلو والاطراء * كالشعراء والمستاجرين لمدح الملوك فيما
يطبعونه من هذه الوقائع الاخبارية * ومنهم من قابلهم بصد فآثر الصدق
والتحرى * والتحقيق والتروى * والقول الفصل والمطابقة بين الماضى
والحاضر والاتى * وذلك كاهل الفلسفة والحكمة والرياضة * ومنهم من

يعمل النهار كله ويكدّ بكلتا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة *
 وذلك كاصحاب الصنائع الشاقة * ومنهم من لا يحرك يده ولا رجليه ولا كتفه
 ولا راسه وانما ينطق فى بعض ايام الاسبوع بكلمات ثم يقضى سائر الايام
 مستريحاً متنعمياً * مترفها متترفاً * وذلك كالخطباء والوقاظ والمرشدين
 الى الدين * ومنهم من يفتك ويبطش ويخرج ويقتل كالجند * ومنهم
 من يعالج ويداوى ويشفى ويحيى كالأساة وأولياء الله تعالى اهل الكرامات
 والمعجزات * ومنهم من يُستأجر للتطبيق * ومنهم للتحميل * ومنهم للايلاء *
 ومنهم للالحاد * ومنهم للتفريق * ومنهم للتأليف بين الأحاد * ومنهم
 من يتكوى فى بيته فلا يكاد يخرج منه الا لضرورة * ومنهم من يصعد
 الجبال والادقال * والمناير والاشجار * ومنهم من يهبط لادوية والبواليع
 والمراحيض * ومنهم من يسهر الليالى فى تأليف كتاب * ومنهم من لا يذوق
 النوم حتى يحرقه * ومنهم من يسود ومن يُسَاد * ومنهم من يقود ومن يقاد *
 ومع هذا التنافى والتباين فمال مساعيهم وحركاتها كلها الى شى واحد *
 وهو ادخال الانسان خنابتيه غداة كل يوم فى رائحة كريهة قبل ان
 يستنشق روائح الازهار * ويتمتع بمتوع النهار * واعجب من جميع ما
 مرّ بك من هذه الاحوال حالنا اصحابنا السوقيين والخرجيين * فان
 حرفة لمّا كانت لا تتوقف الا على استعمال اداتين فقط * اى الخيطة
 والقسم دون افتقار الى آلة اخرى * وكان مورد اقوالهم * ومصدر جدالهم *
 ومبنى انتحالهم * وجلّ راس مالهم * قولهم يحتمل ان يكون هذا الشى من
 باب المجاز لاسنادى او اللغوى * او من مجاز المجاز او الكناية * او من
 حمل النظير على النظير * او النقيض على النقيض * او من باب ذكر اللازم
 وارادة الملزوم او بالعكس * او من قبيل ذكر البعض وارادة الكل او بالعكس *

او من نوع اسلوب الحكيم * او من باب التهكم * او من طاقة التلميح * او
من كوة الالتفات * او من خرق الحشو * او من خرت الادماج * او من
خصاص الاكتفاء * او من شق الاحتباك * او من ستم عكس التشبيه * او
من خلل سوق المعلوم مساق غيره * او من فتحات التجريد * او من فرجة
الاستطراد * او من ثقب التورية * لم يكن من اللائق بهم ان يخلطوا
هذه الآوات وتلك اللوات بشى

من العرادات العرادة شى اصغر من المنجنيق *
والدبابات الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع فى اصل الحصن
فينقبون وهم فى جوفها *
والذراجات الدبابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال *
والمنجنيقات المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنيق معربة والمنجنيق
المنجنيق *

والنفاطات النفاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط *
والخطار المنجنيق والذى يطعن بالرمح *
والسبطانات السبطانة قناة جوفاً يرمى بها الطير *
والضبر جلد يغشى خشباً فيها رجال تقرب الى الحصون
للقتل *

والقفع جنة من خشب يدخل تحتها الرجال يمشون به فى الحرب
الى الحصون *

والجلائق الذى يرمى به ونحو البراقيل والبنادق *
والحسك اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى بهول العسكر تعمل
على مثال الحسك المعروف *

والقردمانى	قباً محشو يتخذ للحرب وسلاح كانت الاكاسرة تدخرها فى
	خزائنها والدروع الغليظة *
والتجفاف	آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان *
واليلب	البترسة او الدروع من الجلود *
والسرد	اسم جامع للدروع *
والدرق	الثروس من جلود بلا خشب ولا عتب ونحوه الخجف *
والحرشف	الرجالة وما يزين به السلاح *
والعتلات	العتلة العصا الضخمة من حديد لها راس مفلطح يهدم بها
	الحائط *
والمسفات	المسفة آلة يقلع بها البناء *
والفلق	مقطرة السجان وهى خشبة فيها خروق على قدر سعة الساق *
والخنازر	الخنزرة فاس عظيمة يكسر بها الحجارة *
والعدرا	شى من حديد يعذب به الانسان لاقرار بامر ونحوه *
والمقاطر	المقطرة خشبة فيها خروق على قدر سعة ارجل المحبوسين *
والمولدس	المرداس آلة يدك بها الحائط والارض *
والدهق	خشبتيان يغمز بهما الساق *
والصاقور	الفاس العظيمة *
والملاطس	الملاطس المعول الغليظ *
والمقاريس	المقراض السكين المعقرب الراس *
والملاوط	الملاوط عصا يضرب بها *
والمقامع	المقيعة خشبة يضرب بها الانسان على راسه *
والمقافع	المقفعة خشبة يضرب بها الاصابع *

والحدأة * الفاس ذات الرايين *
 والبنقار * حديدة كالفاس *
 والمهامز * المهمزة المقرعة او العصا *
 والعرافيص * العرفاص السوط يعاقب به السلطان *
 والمخافق * المخفقة الدرة او سوط من خشب *
 ولا بالرماح الطاعنات والسيوف الباترات والنبال الصاردات والنصال
 المدميات والمقادع المولمات والمقارع المضنيات والصلب المهلكات
 والخوازيق النافذات والاغلال المصلصات والنييران المتاججات والغارات
 والغزوات والنكايات والكسبات والاستلابات والافتصاصات والائكالات
 والعداوات والمشاحنات وآخر الجميع بالركاكت * فكم لعمري من دم
 سفكوا * وجند اهلكوا * وعرض هتكوا * وحرمة انتهكوا * وذى اهل ربكوا *
 وعزب همكوا * ونساء ايموا * واولاد يتيموا * وبيوت خربوا * واموال نهبوا *
 ومصون اذالوا * وحرز نالوا * ومستور فضحوا * وحرام اباحوا * فهل فعل
 ذلك من قبلهم سُدنة
 الانصاب * الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح
 لغير الله تعالى *
 والكعبات * الكعبات او ذوالكعبات بيت كان لربيعة كانوا يطوفون فيه *
 والربة * كعبة لمذبح *
 وبس * بيت لطفان بناها ظالم بن اسعد لما راى قريشا يطوفون
 بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت واخذ
 حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا
 على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة

واجترأ به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبى فقتل

ظالما وهدم بناء * -

وعَبْدَةُ مَرْحَبِ صَنَمٌ كَانَ بِحَضْرَمَوْتَ *

وَالْغَبَّابِ صَنَمٌ *

وَالْغَبَّابِ صَنَمٌ *

وَيُغُوْثِ صَنَمٌ كَانَ لَمَذْجِ *

وَالْبَجَّةِ وَالسَّجَّةِ صَنَمَانِ *

وَسَعْدِ صَنَمٌ كَانَ لِبْنَى مُلْكَانِ *

وَوَدِّ صَنَمٌ وَيَضُمُ *

وَأَزَرَ صَنَمٌ *

وَبَاخِرِ صَنَمٌ عَبْدَتُهُ الْأَزْدُ وَيَكْسِرُ *

وَجِهَارِ صَنَمٌ كَانَ لِهَوَازِنِ *

وَالدَّوَّارِ صَنَمٌ وَيَضُمُ *

وَالدَّارِ صَنَمٌ سَمَّى بِهِ عَبْدُ الدَّارِ أَبُو بَطْنِ *

وَسُعَيْرِ صَنَمٌ *

وَالْأَقْيَصِ صَنَمٌ *

وَكَثْرَى صَنَمٌ لِحَدِيسٍ وَطَسَمُ كَسْرَةُ نَهْشَلِ بْنِ الرَّئِيسِ وَلِحَقِّقِ بِالنَّبِيِّ

صَلَعَمُ فَاسَلَمُ *

وَالضُّمَارِ صَنَمٌ عَبْدَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ وَرَهْطِهِ *

وَنَسْرِ صَنَمٌ كَانَ لَذَى الْكِلَاعِ بَارِضِ هَمِيرِ *

وَالشَّمْسِ صَنَمٌ قَدِيمٌ *

وَعُيَّانِسِ صَنَمٌ لِحَوْلَانِ كَانُوا يَقْسِمُونَ لَهُ مِنْ أَنْعَامِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ *

والفلس	صنم لطيتى *
وجريش	صنم كان فى الجاهلية *
والخلصة	صنم كان فى بيت يدعى الكعبة اليمانية لختنم *
وعوض	صنم لبكر بن وائل *
واساف	صنم وضعه عمر بن لحي على الصفا *
ونائلة	صنم آخر وضعه على المروة وكان يذبح عليهما (فى قول) *
والمحرق	صنم لبكر بن وائل *
والشارق	صنم فى الجاهلية *
والبعل	صنم كان لقوم الياس عم *
وسواع	صنم عبد فى زمن نوح عم فدفنه الطوفان فاستشاره ابليس
	فعبد وصار له ذيل وحج اليه *
والكسعة	صنم *
والعوف	صنم *
وذى الكفين	صنم كان لدوس *
ومناف *	صنم *
ويعوق	صنم لقوم نوح او كان رجلا من صالحى زمانه فلما مات
	جزعوا عليه فاتاهم الشيطان فى صورة انسان فقال امثله
	لكم فى محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به
	وبسبعة من بعده من صالحهم ثم تمادى بهم الامر الى
	ان اتخذوا تلك الامثلة اصناما يعبدونها *
والاشهل	صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحي من العرب *
وهبل	صنم كان فى الكعبة *

ويايِّل	صنم *
والبُعِيم	صنم والتمثال من الخشب والدمية من الصِّبْغ *
والأَسْجَم	صنم *
ونَهْم	صنم لِمْزِيْنَة وبه سموا عبد نهم *
وعائِم	صنم *
والضُّيْزَن	صنم *
والمَدَّان	صنم *
والجَبَّة	صنم *
واللات	صنم لشقيف سَمَى بالذى كان يَلتَ عنده السويق بالسمن ثم خفف وهو فى حديث عروة الرِّبَّة *
وذى الشَّرَى	صنم لَدَوْس *
والعَزَى	صنم او سُمُرَة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عِرْق الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه نَبَا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلَّع خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرَة *
وَمَنَاة	صنم *
والآلهة	الحية والاصنام والهلال والشمس ويثلث كالآلهة *
والطاغوت	اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عُبِد من دون الله *
والمُزُون	الصنم وما يتخذ ويعبد — والموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزِين *

والجبت والصنم والكاهن والساحر والسحر والذى لا خير فيه وكل ما
عُبد من دون الله تعالى *

او عبدة الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
وفردود والفرقد والذئب والكتد والعواذ والحصار والاحور والزبرة والأطفار
والعذر والمعرة والأعيار والنشرة والجوزا والبرجيس والتياسين والميسان
والسنيق والشرطين والفارطين والأثافي والعيوق والعوقين والصرفة
والطرفة والابيض والصباغ والهقعة والهنة والردي والمعلف والناقة
والنسقين والسماكين وشهيل والشولة والعوكلين والمِرزمين والسلم
والبطين والقدر والحية والتحايب والخراطين والخبا وسهى والشاة
والعواء وكوى *

فكان يجب عليهم ان يجمعوا رأيهم على امر واحد ويقولوا من حيث ان
حرفتنا لا تحتاج بحمد الله الى قياس وعدد كحرفة الطبيعيين والمهندسين
والرياضيين * فانهم ايان طلب المناقش منهم دليلا بادروا حالا الى
البرهان بالمقادير والمساحة والحساب * فانصبوا انفسهم وانفس سائلهم *
كان حقا علينا ان ننهج منهاجا مريحا يقربنا ومعاملينا الى الغرض المقصود *
وهو ان نيسر اسباب تعلم هذه الحرفة لكل مضطر اليها منهم * فمن شأ
بعد ذلك ان يلبس قبا او جبة مع سراويلات من تحتها او ثبان فليصنعها
هو باى لون اعجبه وبأى شكل راق له * اذ ليس من الرشد ان يعترض
لانسان انسانا آخر مثله فى كيفية لبسه او فى ذوقه ومناحه * لان ابن
ادم من يوم يستهل بالبكاء الى ان يبلغ اربع عشرة سنة يعيش مستغنيا
عنا غير مفتقر الى ما رسمنا به عليه * اذ الغريزة تهديه الى ما يلائمه
ويصلح له * لا ترى ان الطفل اذا خلى وطبعه لم يلبس الكتان الرفيع فى

الشتاء وان كان مطرزا * ولا الفرو في القبط وان كان مزركشا * وانه متى
جاع طلب الاكل * ومتى نعى نام * وان طربته بجميع آلات الطرب
والانغام * ومتى ظمى شرب * ومتى تعب استراح فهو فى غنى عنا من
اصل الفطرة * حتى انه يمكنه بخول الله تعالى ان يعيش مائة وعشرين عاما
وشهرا من دون رؤية وجه احد منا او مشاهدة تاجه وحلته الفاخرة
وخاتمه النفيس وعصاه المفضضة * فلندع الناس اذا فى دعوتهم وسلامتهم
وشغلهم * ولا نتطفل عليهم ولا نكلفهم ما لا طاقة لهم به * اذ لو شاء الله
ان يحوج الطفل الينا لادحى اليه ان يسأل ابويه من وقت ترعرعه عن
اسمائنا ومقامنا * وعما نحن عليه من المماحكة والجدال * والكيل والقال *
والشاحن والتشاجر * والتناقر والتنافر * والتلاعن والتهاوتر * والتدابير والتهاجر *
واحسن من تركه على هذه الحالة ما اذا غنيا بتأديبه وتربيته وتهذيبه
وتعليمه صنعة تنفعه فى تحصيل معيشته ومعيشة والديه * كالقراءة والخط
والحساب والادب والطب والتصوير * وما اذا نصحنا له ان يسعى فى
خير نفسه وخير ابويه ومعارفه وجنسه وكل من صدق عليه انه انسان بقطع
النظر عن هيئات اللباس وتفاوت الالوان والبلاد * لان اللبيب الرشيد
لا ينظر الى الانسان الا لكونه متصفا بالانسانية مثله * ومن اعتبر الامور
الطارئة عليه كالالوان والطعام والزى فانه يتباعد عن مركز البشرية كثيرا *
وانما يتم حسن صنعنا هذا كله ما اذا صنعناه حسبة لوجه الله تعالى *
غير طالبي الجزاء والهدايا * ولا النذور والعطايا * لان كثيرا من الاطباء
يداوون المعسرين مجانا * فترى احدهم يغادر طعامه وفراشه ويذهب
الى مريض محموم او به جذرى او طاعون احتسابا عند الله * اذ الناس
كلهم عيال على الله * واحبهم الى الله انفعهم لعياله * هذا ما كان ينبغى

ان يقولوه * وهذا ما اقله انا * تأمل فى خرجى اقبل يطوف البحار ولا مصار *
ويجول فى الجبال والقفار * ويعرض نفسه ونفس من ينحاز اليه للسب
والقذف والعداوة والمشاحنة * وما ذلك الا ليقول للناس انه اعرف منهم
باحوالهم * واذا سُئل عن دوا لعين رمدت * او ساق قرحت * او أدرة
انتفخت * او اصبع دميت * او اذا قيل له ما ترى فى من كثرت عياله *
وقل ماله * وعظه زمانه * وجار عليه سلطانه * فمضى بالجوع * وحرم الهجوع *
واصبح يمشى والناس ينظرون جهوته * ويتجنبون خلطته * ولا يستعملونه
ولا يستخدمونه * لما تقرر فى عقولهم من ان الفقير لا يحسن عملا *
وقد اصبحت اولاده يكون ويتصورون * وامراته تشكو وتسترحم ولا راحم
لها لكون شبابها قد ذهب فى تربية اولادها * او قيل له هل عندك من
ماوى لصيف عرير * ما له من نصير * قال ما جئتمكم لهذا وانما قدمت
اليكم لانظر فى انواكم التى تسجون عليها بضاعتكم وفى الوانها التى لا
تشاكل ما عندى فى الخرج من اللون الناصع * وما ان يهتنى النظر فيما
فيه راحتكم وانما الراحة فيما به تعبكم * ولو تعطلت جميع معاملكم
لاقتصاركم على لونى الذى ابرزه لكم راموزا وعنوانا واستوجبتم بذلك
لوم التجار والحراث والحكام لم يكن على فى ذلك من شى * وهذا سوقى
يضع احدى عينيه على فم جاره والاخرى على عينيه * ثم يغل يديه
ورجليه * ويقول له اليوم يجب عليك ان تتنحس * (١) لان شيخ السوق (١) التنحس ترك
اصبح متخما يشكو وجعا فى معدته وامعانه واضراسه وهو نحس * فينبغى اكل اللحم *
ان نجانبه ونمسك معه * لا يحل لك اليوم ان تنظر * لان الشيخ المشار
اليه اضربه طول السهر البارحة مع ندماته ونديمات فغدا وباحدى
عينيه الكريمتين رمد او عمش * لا يحل لك اليوم ان تعمل بيديك *

ولا ان تحرك رجلك * ولا ان تسمع باذنك * او تستنشق بمنخريك
لان السوق اليوم لم تقم والبياعات لم تنفق * ثم هو اذا قيل له افلا
تصلح بين زيد وزوجته فقد خاصمته بالامس بعد ان جأت من حانوتك
العالى وتماسكا بالشعور * وحلفت المرأة لثمينه بحيزبون او لشكونه الى
احد اصحابك الضواطرة الكبار * او ان عمرا التاجر قد حبس مذ يومين
لكونه دان بعض الامراء ولم يمكن له ان يحاكمه ويستوفى منه حقه * ففلسه
القاضي واركبه حمارا فى الاسواق ووجهه الى دبر الحمار * او ان فلانا قد مرض
ولزم فراشه لانه ناقض بعض خدام الامير فنكل به الامير ضربا بالعصى على رجله
وصفعا بالنعال على القذال * فغدا لا حراك به وقد ورمت رجلاه وانتفخ
قفاه * لم يكن منه الا قوله ما دام السوق وشيخه سالمين فالدينا كلها
سالة * والمصالح مستتبّة والسوق مرفوعة وقائمة * والبطون ملأى
والافواه لاقمه * والاضراس خاضمه * والمعد هاضمه * ولايدى غانمه *
والافراح دائمه * والخيرات متراكمه * والروسا حارمه * والعناية عاصمه *
والقادات بالذور متزاحمه * والوقوف شاملة عامه * وثغور الامانى باسمه *
والسلامة خاتمه * الى السوق * الى السوق * فهو حرز العلوق * وذخر الحقوق *
فى الصندوق * فى الصندوق * فهو اولى من الصبوح والغبوق * وقد
طالما والله امتلأ هذا الصندوق ذهبا وجواهر ثم افرغ على تهاثر
وتراوات ومباحث فارغة وامور سخيصة * فقد بلغنا ان بعض ضواطرة
السوق انفق فى مدة ست سنين قضاها بالبحث والجدال على شكل
قُبعة كذا وكذا بدرة من المال * وتفصيل ذلك انه نظر نفسه ذات يوم
فى المرأة وكان قد تعلّم مبادئ الهندسة والهيئة * فرأى راسه مدورا
كالبطيخة * فراق له ان يتخذ قُبعة مدورة على هيئة راسه * لان المدور

يلأثم المدور كما تقرر في الأصول * فرآه بعض مزامله من سوق آخر
 وكان اعظم منه قدرا ووجاهة وافر علما * فسخر منه وقال له من وسوس
 اليك يا ابن قُبعة * حتى لبست هذه القُبعة (١) * مع ان شكل راسك مخروط *
 فقال له قد ضللت بل هو اكثر استدارة من راسك كما يشهد لي بذلك
 شيخ السوق * قال كذبت بل هو مخروط وان كنت كثير العنس اليه واني
 اهدى من شيخك واقوم طريقا * قال كفرت وعيت عن معرفة نفسك فاني لك
 ان تعرف غيرك * قال تبدعت بل انت عبه كبه وقد حقت وسفحت
 في عدم قبولك النصيح * فاليوم ترى الناس المدور من المخروط * والساطر
 من المسروط * ثم لج بينهما العناد وتقابضا بالازياق والحيوب والاقلاع *
 ثم بالجم ثم بالاعراض * فمزق كل منهما عرض صاحبه اى عدوة * ثم
 صاحبا واستغاثا وتشاكيا لدى الحاكم وتباهلا وتهاترا * فلما ثبت للحاكم
 ان فعلهما فعل الشباذقة (٢) راي ان مداواتهما بغرامة رابية * اولى من
 حصرهما في الزاوية * فانصرف كل منهما وقد غرم كذا وكذا بدرة * ثم
 ان الضوطار الاول اتخذ له بعد ذلك قُبعة بين بين * اى نصفها مدور
 ونصفها مخروط بحيث لا يقدر على تمييزها الا الجهيذ التحرير * والناقد
 الخبير * وآب الى حانوته كمن قفل من غزوة * او اسر الدحية * (رئيس
 الجند) او كذلك الديك الغالب * واول ما اطل على السوق امر جميع
 القبعيين ان يخرجوا لملاقاته بالتقليس لا بالتقليس (٣) * فخرجوا على تلك
 الحالة وهم يضجون ويقولون * اليوم عيد القبعه * اليوم يرم الفرقة *
 ياتمه ياتمه * فبصر بهم اعوان الحاكم في ذلك الصقع فظنوا انهم خلعوا
 ربقة الطاعة * وشقوا عصا الجماعه * فبادروهم بالات الآز والبخر والبخر
 والبز والبز والبز والبز والجرز والجرز والحز والحز والحز والحز والرز والرز
 ولقبه *

(١) ابن قُبعة وقابعا
 وصف بالحمق *

(٢) الشبذق من
 يتخبطه الشيطان
 من المس *

(٣) التقليس استقبال
 الولاة عند قدومهم
 باصناف اللهو وان
 يضع الرجل يديه
 على صدره ويخضع *

والتقليس مبالغة
 لقسه اى عابه
 ولقبه *

والرز والشخز والشرز والشفز والشكر والضحز والصفز والطعز والعرز والقحز والقلز
واللبز واللتز واللز واللكز واللقز واللمز واللهز والمحز والمرز والمهز والنحز والنخز
والنغز والنكز والنهز والوخز والوكز والوقز والوهز والهبز والهرز والهمز والرهز*
حتى جعلوهم عبرة للمعتبر* وفر الصوطار بقبعته وقد اوقع قومه فى الخزى
والعار مما اصاب الرجال من الرز ولحق النساء من الزيادة* ومع ذلك
كله فلم يجده شيخ السوق المستعز به شيا* بل ظل مكبا على تعايطى لافيون
لطول ارقه وتبييته* وقد سد اذنيه ببعض اوراق دفاتر السوق لئلا
يسمع صراخ المستجيرين به او يوقظه احد من سباته* فهو راقد الى هذا
اليوم اى يوم تدوين هذه الواقعة* فان افاق فللقارى ان يقيد ذلك فى اخر
هذا الفصل فقد تركت له محلا*

انتهت درجة الجلود والحمد لواجب الوجود*



الفصل الثانى

في سلام وكلام *

— ❦ —

عمت صباحا يافاريق * كيف انت * وكيف رايت لاسكندرية * هل
تبيئت نساها من رجالها فان النساء في بلدكم لا يتبرعن * وكيف وجدت
ماكلها ومشاربها وملابسها وهواها وماها ومنازها واکرام اهلها للغرباء * الم
يزل براسك الدوار * وعلى لسانك هجو الاسفار * قال اما موقع المدينة
فانيق لكونه على البحر * وقد زادت بهجة بكثرة الغرباء فيها فترى روس
ناس مغطاة بطراير * واخرى بطرايش * واخرى بكمام وغيرها بمقاعط *
واخرى ببرانس وغيرها بعمائم * واخرى باصناع وغيرها بعصائب * واخرى
بعمارات وغيرها بمداميج * واخرى بنصاف وغيرها بتقعات * واخرى بقلانس
وغیرها ببراطل * واخرى بسبوب وغيرها باراڤيس (١) * واخرى باراڤيس
وغیرها بخنابغ * واخرى بقنابغ وغيرها بدنيات واخرى بصواقع * وغيرها
بصمد واخرى بصوامع * وغيرها بمشامذ واخرى بمشاوذ * وغيرها ببرانيط
على شكل الشقيط والشبابيط والصفاريط والضماريط والقلاليط والعصاريط
والعذافيط والعماريط والقماعيط * ومنهم من له سراويلات طويلة مفرسحة
تكنس ما خلفه وما قدّاه * ومنهم من لا سراويلات له فبعطه باد والناس
يتنسخون بما امامه * ومنهم من له ثياب * ومنهم من له ائب * ومنهم

(١) الارصوة قلنسوة

كالبيخة *

بوئر ومنهم بهميان * ومنهم برجل (السراويل الطاق) ومنهم باندرورد *
 ومنهم بدقارة او دقور * ومنهم من يركب الحمير والبغال * وغيرهم على
 الخيل والجمال * والابل في ازدحام * والناس في التظام * فينبغي للسائر
 بينهم ان لا يفتر من الدعاء بقوله اللهم أجز * اللهم احفظ * اللهم الطف *
 توكلت على الله * استعنت بالله * اعوذ بالله * فاما براقع النساء فهي
 وان كانت تخفى جمال بعضهن الا انها تريح العين ايضا من قبح سائرهن *
 غير ان تستر القبيحات اكثر * لان المليحة لا يكون عليها اذا خرجت من
 قفصها ان تطير في الاسواق من دون ان تتمكن الناظرين من رؤية
 ملامحها * لينظروا حسنها وجمالها ويكبروا لافترارها * فيقولوا ما شا الله *
 تبارك الله * جل الله * الله الله * حتى اذا رجعت الى منزلها اعتقدت ان
 جميع اهل البلد قد شغفوا بها حبا * فبانت تنتظر منهم الهدايا والصلوات *
 والاشعار والمواليات * فكلما غنى مغن انصت الى غنائه وسمعت اسمها
 يشبب به * فاذا بكرت في اليوم القابل الى الاسواق ورات الناس مكبين
 على اشغالهم تعجبت من بقائهم اصحاحا قادرين على السعى والحركة *
 فزادت لهم في كشف مسافرها * وقسامتها ومحاجرها * وفتنتهم باشاراتها
 وايمانها * وراراتها وايمانها * ورمزها ولمزها * وهجلها وغمزها * وغنجها
 ودلالها * ونيها وعجبها * وزهوها وشكلها * وتدعها وتصغيرها * ودعجتها
 ودغنجتها * وتبغجها ودهمجتها * وشزرها وخزرها * وشنفها وحدقلتها *
 وشفونها وازلاقها * واستكفافها واستشفافها * واستيضاحها واستشرافها *
 وخلاعتها وخيلاتها * وتمايلها وتهاديها * وتغدننا وتغاطفها * وتثنيها وتاودها *
 وتدلكها وتحودها * وتذيلها وتعليها * وتفتلها وتقتلها * وتذبلها وترفلها *
 وتبخسرها وتخطلها * وتفخسها وتدهكرها * وتبهكنها وتهذخرها * وتخلعها

وتفككها * وميحه وحككها * وتداديها وتغطرها * وتوذفها وتغصفها *
 ودألها ووهازتها * وآلها وهادتها * وخيزلاها وخيزراها * وزأبها وأوزأها *
 ومطيطآنها وكردحائها * وهبيخاها وعجيساها * وهربذاها وحيداها * وهبصاها
 وجبصاها * وفنجلأها وهبلاها * وخبقأها ودبقأها * وعرقلاها وهبقأها * وعيشلتيها
 وقمطراها * وسبطراها * وتبدحها وترنحها * وخندفتها وخزفتها * وخطرفتها
 وبادلتها * وبجلدتها وبهدلتها * وذحذحتها وحرقلتها * وحركلتها وهركلتها *
 ورابلتها ورهبلتها * وقهبلتها وكسملتها * وقندلتها وحنكلتها * وعردلتها
 وهيقلتها * وخذعلتها ودربلتها * وزيحلتها ووكونتها * ووذوذتها *
 وذوذوتها وزوزكتها * ورهوكتها وفرنكتها * ومكمتها ورهذنتها * وكنتكتها
 وبرقطتها * وقمرطتها وحرقتتها * وزهرمتها وحذلمتها * ودعمرتها وزهلقتها *
 وترهيتها وتعجبها * وتبهرسها وتهبرسها * وتغطرسها وتهطرسها * وتكدسها
 وترهوكها * وتهالكها وتهكيلها * وتفرکہا وتومزها * وتهيمها وأنفها * ورسمها
 وزوفها * وزيفها وهوجلها * وحتكانها وعتكانها * وزيكانها وزوكانها * ورفلانها
 وملدانها * وزيفانها وذالانها * وريسانها وكتفانها * وميسانها وتزابيها *
 وهمذانيها وتشرطلها * وتعذلقتها وتخزلجها * وحقطها ولبطها * وبفزها وقفزها
 ونقزها مقبله مدبرة * وزاد طمعها ايضا في الهدايا * قال وقد نظمت في
 البرق بيتين ما اظن احدا سبقني اليهما وهما *

لا يحسب الغرُّ البراقع للنسا منعالهن عن التماذى فى الهوى
 ان السفينة انما تجرى اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا

فاما رجالها فان للترك سطوة على العرب وتجبرا * حتى ان العربى لا يحل
 له ان ينظر الى وجه تركى كما لا يحل له ان ينظر الى حرم غيره * واذا

اتفق في نوادر الدهر ان تركيا وعربيا تماشيا اخذ العربي بالسنة
المفروضة * وهي ان يمشى عن يسار التركي محتشما خاشعا ناكسا متحاقرا
متصاعرا متضائلا قافا متقبضا متقبضا متقفصا متشمصا متحمصا متحرفصا
مكتزا متكاولا متازحا متقرفعا متقرفعا مرقعا متقفعا متكنبنا مقعنصا متقوصا
مستزما معرنفطا مقرنفظا متجعفنا متجعفنا مرزنا مرمزا مقمنا مكبنا
متخبلا متقاعسا مراعا مكرحا متضاتا متصصا متزانا مقربعا مدنفسا
مطمربا مطرسا متكرفسا منقفشا مقنفشا متحويا معرنا متخشلا آزبا
لازبا كانعا كانعا متشاجبا مصعبنا مجربنا مجربنا متدخدخا * فاذا عطس
التركي قال له العربي رحمك الله * واذا تنحج قال حرسك الله * واذا
مخط قال وقاك الله * واذا عثر عثر الآخر معه اجلالا له وقال نعشك الله لا
نعشنا * وقد سمعت ان الترك هنا عقدوا مجلس شورى استقروا بهم فيه لدى
المذاكرة على ان يتخذوا لهم مركبا وطيبا من ظهور العرب فانهم جربوا
سروج الخيل وبرازع الجمال واكفها واقتاب الابل وبواصرها وحصرها وسائر
انواع المحامل من

كفل	مركب للرجال *
وشجار	مركب يتخذ للشيخ الكبير ومن منعه العلة من الحركة *
وجذج	مركب للنساء كالمحقة *
وأجلح	هودج ما له راس مرتفع *
وحوف	شي كالهودج وليس به *
وقر	مركب للرجال والهودج *
ومحقة	مركب للنساء *
وفرار	مركب من مراكب النساء *

وَحْمَل	هودج *
وَجَلال	مركب للنساء *
وَكْدَن	مركب لهن *
وَقْعَش	مركب كالهودج *
وَمَحارة	شبه الهودج *
وَقْعْدَة	مركب لهن *
وَكْثَر	الهودج الصغير *
وَمِثْرَة	ج مواثر مراكب تتخذ من الحرير والديباج *
وَرِجَازَة	مركب اصغر من الهودج *
وَعَرِيش	كالهودج *
وَعِيط	مركب *
وَجَزَق	مركب شبيهه بالباصر *
وَبَلْبَلَة	هودج للحرائر *
وَجَقْل	هودج *
وَتَوَامَة	من مراكب النساء ج تَوَامَات *
وَفُودج	الهودج ومركب العروس *

ومن رَحْل وعجلة وعرش وشرَجع ومِرْفَة ومنَصّة وسرير ونعش فوجدوها كلها لا تصلح لهم * ورايت مرة تركيا يقود جوقة من العرب بخيط من الكاغذ وهم كلهم يقودون له * استغفر الله مرادى ان اقول ينقادون له * ولم ادر ما سبب تكبر هؤلاء الترك هنا على العرب * مع ان النبی صلعم كان عربيا * والقرآن انزل باللسان العربی * ولائمة والخلفا الراشدين والعلماء كانوا كلهم عربا *

غير انى اظن ان اكثر الشرك يجهل ذلك فيحسبون ان النبى صلعم كان
يقول شويله بويله * او بقالم قبالم * او

غطالق قاب خى دلها طغالق باق يخ بلها
صفالق پاه خشت وكرد فصالق هاپ دركلها
دخا زاوشت قلدى نك خدا شاوزت قردلها
اشكرهم كى والل قلاقلها بلابلها

لا والل * ما هذا كان لسان النبى ولا لسان الصحابة والتابعين والائمة
الراشدين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين امين وبعده امين * فاما
ماوها فما احسن راسه وانجعه * لا انه قذر الذنب تنجسه حيوانات
الارض باجمعها * وطيور السماء بجملتها * حتى ان سمك البحر اذا اصابته
هيصة طفر الى راس هذا الذنب فالقى فيه ما اثقله * فاما اكلمها فالقول
والعدس والحمص والزن والدوسر والقرينآ والحرفى والجلبان والباقلى
والحنبل والدجو والخلر والبلس والبيقة والترمس والحرم والشبرم واللوبيا
وكل ما يحبطنى به البطن * وذلك ان اهلها لا يرون فى الخمائص حسنا *
حتى ان النساء فيما بلغنى يتخذن معجونا من الجعل وياكلنه فى كل غداة
لكى يسمنن ويكون لهن عكن مطويات * واضر ما لاقيت فيها قيقر قيعار *
قدم اليها من بعض البلاد الحميرية وتعرف بجماعة من النصارى فيها *
فصار يدخل ديارهم ويسامرهم * فلما لم يجد عند احدهم كتابا اقام نفسه
بينهم مقام العالم فقال انه يعرف علم الفاعل والمفعول وحساب الجمل *
واتخذ له كتب بعضها من غير ابتداء وبعضها بغير ختام وبعضها مخروم او

محمو * فكان اذا خاطبه احد فى شى عمد الى بعض هذه الكتب ففتحه ونظر فيه ثم يقول * نعم ان هذا الشى هو من الاشياء التى اختلف فيها العلماء * فان بعض مشايخنا فى الديار الحميرية يتهجأه كذا * وبعضهم فى الديار الشامية كذا * ولما يستقر رأيهم عليه فاذا استقر فلا بد من ان يخبرونى به * قال الفارياق وقد سمعت مرة من استفزة باعث من الشغل يساله عن الوقت * فقال له ساعة وخمس دقائق اما الساعة فقد اشتق منها الساعى وعيسى * اما الساعى فلكون السعى كلمة يتوقف على الساعات * اذ لا يمكن لاحد ان يعمل عملاً خلوا من الوقت * فان كان لا لافعال والحركات محصورة فى الزمان كانحصار — ثم ادرك نظره ليشبهه بشئ فرأى كوزاً لبعض الصبيان * فقال كانحصار المآ فى هذا الكز * ثم رأى زنبيلاً لصبى اخر فقال او كانحصار غداً هذا الولد فى هذا الزنبيل * واما عيسى فلكونه اشتمل على جميع المعارف والعلوم اشتمال الساعة على الدقائق * ثم ان قولى خمس حقيقة معناه اربعة بعدها واحد او ثلثة قبلها اثنان ولك ان تعكس * وانما قالوا خمس دقائق ولم يقولوا خمسة طلباً للتخفيف والعجلة فى الكلام * فان بطول الالفاظ يضيع الوقت * وقولى دقائق هو جمع دقيقة وهو مشتق من الدقيق للطحين * اذ بينهما شبه ومناسبة بجامع النعومة * ثم ان هناك الفاظ كثيرة تدل على الوقت وهى المساء والليل والصبح والضحى والظهر والعصر والدهر والابد والحين والاوان والزمن * اما الست الاولى ففيها فرق واما لالاخيرة فلا * فاعترضه رجل من اولئك الكبراً وقال قد رايتى يا استاذنا ما قلت * فان كلاً من جاريتى وستى لها فرق * فضحك الشيخ من حماقته وقال له ان كلامى هنا فيما حواه الزمان لا فيما

حواء المكان * فسأله آخر قائلًا أين جامع النعومة هذا الذى ذكرت ان فيه الدقيق * فضحك ايضا وقال اعلم ان لفظة جامع تسمى عندنا معاشر العلماء اسم فاعل اى الذى يتولى فعل شى ايا كان * لكنى طالما عزمتم على ان اناقشهم فى هذه التسمية * لان من يموت او ينام مثلاً لا يصح ان يقال فيه انه فاعل الموت او النوم * فقولى جامع على القاعدة المعلومة عندنا هو اسم لمن جمع شيا * حتى ان الكنيسة يصح ان يطلق عليها لفظ الجامع لانها تجمع الناس * فلما قال ذلك اكفهرت وجوه السامعين * قال فسمعت بعضهم يجهم قائلًا * ما اظن الشيخ صحيح الاعتقاد بدين النصارى * فقد اصابنا اسأفتنا فى حظرهم الناس ان يتبحروا فى العلوم ولا سيما علم المنطق هذا الذى يذكره شيخنا * فقد قيل من تمنطق تزندق * ثم انصرف عنه الجميع مدهمدين * وسأله مرة قسيس عن اشتقاق الصلوة * فقال له القسيس من لاصلاً لان المصلى يحرق الشيطان بدعائه * فقال له القسيس اذا كان ماوى الشيطان سقر مذ الوف سنين ولم يحترق فكيف تحرقه صلوة المصلى * فتناول بعض الكتب ليقبس منه جواب ذلك فاذا به يقول * قال احد علماء الرهبان الاحتراق على نوعين * احتراق حتى كمن يحترق بالنار * ومعنوى كمن يحترق بحب العذرة * ثم وقف وتاوه قائلًا * قد اخطأ سيدنا الراهب * لان العذراً يجب مدها * فقال القسيس وقد حنق عليه كيف يجب مدها اذا لم تشأ * قال ويلى عليك انت لا تعرف المدة والقصر فى الكلام واطفال الحارة فى بلادنا يعرفون ذلك * قال بلى ان اقتصار الكلام مع من يخطئ الرهبان مزية * ثم تولى من عنده مددما * قال الفاريابى وقال

لى مرة قد يظهر لى ان حق استعمال دعا اذا اريد به معنى الصلوة ان يتعدى بعلى * فيقال دعوت عليه كما يقال صليت عليه * قال فقلت له لا يلزم من كون فعل يوافق فعلا آخر فى معناه ان يوافقه فى التعدية * فغض بذلك ولم يفهمه * وشكا اليه مرة رجل من معارفه اسهالا آلمه * فقال له يغالطه او يسليه * اجد الله على ذلك ليتنى مثلك * قال كيف هو ان طال قتل واسال الجسم كله * فقال له انه مئة من الله * الم تسمع كل ملهوف يقول يارب سهل * فقال التاجر انا ما عنيت التسهيل بل الاسهال * فقال هما بمعنى واحد لان افعل وفعل كلاهما يأتیان للتعدية * كما تقول انزلته ونزلته * ولان كلاً من التسهيل والاسهال فيه معنى السهولة * وكتب مرة الى بعض المطارين العظام * المعروض ياسيدنا بعد تقبيل اردافكم الشريفة * وجل نعالكم المنيقة اللطيفة * الطريفة النظيفة الرهيفة العفيفة المرصوفة المعروفة المخصوفة * قال فقلت له ما اردت بالارداف هنا * فقال هى فى عرف المطران بمعنى الراحة * ثم لم يلبث ان بعث اليه ذلك المطران ببركة وكتاب اطرا فيه على علمه وفضائله جدا فمما كتب اليه * قد قدم على مكتوبكم الابننى وانا خارج عن الكنيسة فما قرأته حتى دخلت الصومعة واولجت فيها * فلما اتيت على اخرها علمت انك صاحب الفضول * مولف الفضول * جامع بين الفروع والاصول * طويل اللسان * قصير اليدان * (عن المحرمات) واسع الجبين * عميق الدين * عريض الصدر * مجوف الفكر * وكتب فى آخرة * اطال الله بقاءك * وقباك * وهناك وهناك * والسلام ختام * والختام سلام * والبركة الرسولية تشملكم اولا وثانيا الى عاشر * فجعل يبدى هذا الكتاب لجميع معارفه وخصوصا لمن كانوا خرجوا من

عنده مغضبين لتقريره على لفظة الجامع * فلما وجدوها فى كلام المطران
زال عنهم الاشكال والريب فى صحة استعمالها * وزاد الرجل عندهم
وجاهة وجلالاً * فاما سؤالك عن كرم اهل هذه البلدة فانهم كانوا فى ظهور آبائهم
على غاية من السماحة والجود * الا انهم لما برزوا الى عالم التجارة وخالطوا
اصحاب هذى البرانيط اخذوا عنهم الحرص والبخل والثأمة والرئع * بل
برزوا على مشايخهم * وانهم اذا ضمهم مجلس لم يكن منهم الا الحديث
عن البيع والشرأ * فيقول احدهم قد جآنى اليوم جندى من الترك فى
الصباح ليشتري شيا فتطيرت من صباحه واستفتاحه * اذ لا يخفى عنكم
ان الجندى يستدين ولا يقضى دينه * واذا تكرم بنقد الثمن فما يعطى
التاجر الا نصفه * فقلت له ما عندى مطلوبك يا افندى * وانما اردت
تفخيمه بهذا اللقب ليتادب معى * فما كان منه الا ان دخل الحانوت وبعثر
البضاعة كلها واخذ ما اراد منها وما لم يرد * ثم ولى وهو يسبنى * فيقول
آخر وانا ايضا جرى لى مع سيدة من نساء الترك واقعة * وذلك انها بكرت
على اليوم وهى تنوء بحليها * واقبلت باسمه الى وقالت هل عندك ياسيدى
حرير مزرکش * قلت وقد استبشرت عندى * فقالت ارنى المتاع
فاريثها اياه * فتداركتنى بالخف وقالت امثلى يرى هذا * ارنى غير
ذلك * فاريثها ما اعجبها فاخذته وقالت ابعث معى من يقبض الثمن *
فبعثت غلامى فتبعها حتى دخلت دارا كبيرة وامرت حاجبها بضرب الغلام
وايلامه * الا ان الحاجب لما كان من الترك وراى الغلام امرد لم يطاوعه
قلبه على ضربه لكن انفذ فيه امر سيدته بما اوصل اليه من لاذى والالم *
وهكذا ينقضى نهارهم بالمكره وليلهم بذكره * واظن ان التاجر يطرب
بمجرد ذكر البيع والشرأ وان لم يكن فيه ربح * فاما ما جرى لى

بعد وصولي فاني نزلت عند خرجي من اصحاب صاحبي الاول * فتبوات
 جرة بالقرب من جرتي * فكنت اسمعه كل ليلة يضرب امراته بالة فتبدي
 الانين والحنين * والرنين والحنين * فكان يهيجني فعله الى البطش به *
 وكثيرا ما فكرت في ان اقوم من فراشي لكنني خشيت ان يصيبني ما
 اصاب ذاك الاعجمي المتطبب الذي جاور قوما من القبط * وانه سمع
 ذات ليلة صراخ امرأة من جاراته فظن ان لدغتها عقرب وذلك لكثرة وجود
 العقارب في بيوت مصر * فقام الى قنينة دواء تابطها واقل يجرى *
 فلما فتح الباب وجد رجلا على امرأة يعالجها باصبعه كما هي عادة القوم *
 فلما رأى الطبيب ذلك دهش فوقعت القنينة من يده وانكسرت *
 وكان هذا الخرجي ابيض اللون ازرق العينين مع صغرواستدارة فيهما *
 دقيق ارنبة الالف مع عوج في قصبته * غليظ الشفتين * وانما تكلفت
 لوصفه لك ليبقى نموذجا عندك تقيس عليه جميع من تراه من الخرجيين
 وغيرهم * وكان قد اتخذ فوق سطح منزله هرما صغيرا مرصوفا من قناني
 الخمر الفارغة * فكان سطحه اعلى سطوح الجيران * قال ثم عن له يوما
 ان يكلفني انشا خطبة في مدح الخرج لكي اتلوها في مخطب صغير كان
 قد استاجره * فلما فرغت منها عرضتها عليه فذهب بها الى قيعر قيعار *
 فقال له ما مرادك ان تصنع بهذه اللاحية الخرجية * قال يتلوها منشئها
 على الناس فما رايتك فيها * قال هي حسنة الا ان عيبها هو ان لا يفهمها
 احد الا انا وهو * ونحن قد قراناها فلا موجب لاعادتها * فعدل عن ذلك *
 قال واتفق لي وانا مقيم عنده اني خرجت في عشة من عشايا الصيف
 البهيجة امشي وحدي ويدي نسخة الدفتر * ولما كان راسي قد حفل
 بالافكار فيما انا عليه من فرقة لاهل ولاحباب وذكر الوطن * والتفرب عنه

لغير سبب من اسباب المعاش سوى لخصام سوقى وخرجى على قال وقيل *
اوغلت فى المشى فانتهيت الى ظاهر المدينة وكان يتبعنى رجل قد رأى
نسخة الدفتر فعرفها فاضمر ليمينتى بداهية * فاقبل الى يكلمنى ثم عطى
بى يمنة ويسرة وهو يعللنى بالكلام حتى انتهينا الى مكان خال * فتركنى
هناك ~~قال~~ الى ان على ان اقضى هنا مصلحة * فحاولت الوجوع الى مقرى
واذا بمرب عظيم من الكلاب جرت وهى تنسج ~~من~~ منى * فهولت
عليها بالكتاب فهجمت على هجمة السوقى ~~على~~ خرجى * ثم تحاصوا
جسمى وثيابى والكتاب فبعضهم عقى * وبعضهم اذنى * وبعضهم جر *
وبعضهم تهدد فى المرة الثانية * فما كدت اتملص من بين ايديهم الا
وثوبى وجلدى ممزق على ممزق * وقد مزق الدفتر ايضا وراقه وجلده *
فلما رجعت الى منزلى ورانى الخرجى على هذه الحالة لم يكثر بشانى
او انه لم يرنى من فرط اشتغاله بالخرج * وانما علم انى رجعت خلوا
من الدفتر فاعتقد انى اعطيته لاحد * ففرح بذلك جدا ورغب فى ان
يجعلنى عنده فى مصلحة خرجية * لكن رأى من الواجب ان يشاور
صاحبه فمن ثم كتب اليه فى شانى * فابى ذاك وقال لا بد من تفسيرى
الى الجزيرة * لان النية استقرت على هذا من قبل * وما حسن تغيير
النيات * فعزم مضيفى على اجراء ذلك وما انا منتظر السفينة *



الفصل الثالث

في انقلاع الفاريق من الاسكندرية



من نحن صاحبنا انه عند سفره الى تلك الجزيرة لم تكن خاصية البخار قد
مُعرفت عند الافرنج * فكان سفر البحر موكولا الى الريح ان شات قبت وان
شات لم تهب * كما يقال صاحب ابن عباد

وانما هي ريح لست تضبطها اذ لست انت سليمان بن داود

فمن ثم ركب الفاريق في سفينة ريحية من هذا النوع وكلن في مدة السفر يتعلم
بعض الفاظ من لغة اصحاب السفينة مما يختص بالتحية والسلام * من جملة ذلك
دعاً يقولونه عند شرب الخمر على المائدة وهو قولهم طابت صحتك * الا ان
لفظ الصحة عندهم يقرب من لفظ جهنم فكان يقول طابت جهنمك * فكانوا
يضحكون منه وكان هو يسبهم بقلبه ويقول * قاتل الله هؤلاء العلوج انهم
يقيمون في بلادنا سنين ولا يحسنون النطق بلغتنا * فيلفظون السين اذا
سبقها حركة زايا وحروف الحلق وغيرها محالة ونحن لا نضحك منهم *
وقد سمعت ان بعض قسيسهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان
يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال * ايها الكوم
« كد فات الوكت لان ولكنى اهتم فيكم نهار لاهد الكابل ان شا الله » *

ثم سار الى بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والتمس منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن ظهر قلبه او يتلوها تلاوة * وحشد الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر فقال * « بسم الله الرحمن » * ثم كأنه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى وان الكاتب انما كتب ذلك على طريقته * فاستدرك كلامه وقال * « لا لا ما بدّيش اقول مسلما بيכול » لاسلام بسم الله الرحمن الرحيم بل كما تكول النصارى بسم الاب والابن والروح القدس * يا اولادى المباركين الهادرين هنا لسماء هتبتى * « وكبول نسيهتّى وموهزتى * ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول بلزات لآلم * « اهبرونى هتّى اكسر من هتابكم فلا يتدجّر اهد من توله ولا يتآلم * ولا « فهبزى فرسة سنهت لى اليوم * ازكرفيها النساء والرجال تزكير من لا يكشّى اللوم * وانزروهم يوم الهشر والحساب * يوم لا ينفا مال ولا أسهاب * « ولا سُهال ولا جواب * ايلموا رهمكم الله ان الدنيا زايله * ومتامها « باتله * وهالاتها هايله * ومهايلها سافله * فكونوا منها على هزر * ولا « يُدلكم ما آجب منها وما سر * اسرفوا أنّها نزر كم * ولا تاكلوا بها وتترك * « افهسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا روسكم الى المهدة * ووازبوا الى السلوات فى الديك والشدة * كدموا للكنائس نوزورك ولوكليله * واستهينوا « بالكديسين هال الفتيله * لتكزوا من المهن والمسايب * وتنفسوا من الكرنب « والنوايب (١) اهرموا كسييكم واساكتكم ووكروهم واكتدوا بهم * واركيوهم ولاهزوهم « ترشدوا بسايهم وركسهم وداهم * يا ايها النّسارى ان ديننا هو الهك * وواده هو « لاسذك * وكيره هو لأكذك * وسوكه هو لانفك * لا تكالتوا هولاء « الكرجيين * الذين اندسوا فيكم مزهين * يتزببون فى ادلاككم عن « الزرات المستكيم * بما يزهررون لكم من الورا والكلك الهليم * لا انهم

(١) الكرنب مصحفة
عن الكرب *

« هم الزباب الكاتفة المتردية بلباس الهملان * الجايلون فى كل كُتَر
 « وُسْك ينسبون الينا الزيك والبهتان * وهم ازيك من سلك تريكا *
 « واكذب من كُش سديكا * وكان رفيكا * الى ان قال ايها الكاركون فى
 « بهار الهتايا * تجنبوا ما يفدى بكم اليها فان آكبتها ألكم بلايا ورزايا *
 « لا فاسرموا ازبابها سرما * وكاوموا اركايبها آزما * واستاسلوا جزرها رهزا *
 « واكلوا مَكْوَيَاتِهَا تنالوا ركزا * لازباب لازباب * فاكثروا الازباب * حتى
 « تهلسوا فى يوم الحساب * من الكساس ولازاب * » (اى اقطعوا الاسباب
 حتى تخلصوا فى يوم الحساب من القصاص والعذاب) ومع ذلك فلم
 يصفعه احد من السامعين بل استمر الى آخر الخطبة على هذا النمط * لا
 ان امرأة لبيبة كانت قد تزوجت مذ عهد قريب لما سمعت الفقرة الاخيرة
 غضبت وقالت * الا لا بارك الله فى يوم راينا فيه وجوه هولاء العجم فقد
 احتكروا خيراتنا وارزاقنا * وافسدوا بلادنا وسابقوا ناسنا الى تحصيل
 ازائهم من ارضنا * وعلموا من عرفهم منا البخل والحرص والطيش والسفاهة *
 وما لعمرى حصلوا على هذا الغنى الجزيل الا لجشعهم وشحهم * فقد سمعنا
 ان الرجل منهم اذا جلس على المائدة مع اولاده ياكل اللحم ويرمى
 بالعظام اليهم ليمششوها * ولكونهم حراميين غبانين فى البيع غشاشين *
 وقد بلغنى ان اخوانهم فى بلادهم انجس منهم وافسق * وهذا النجس
 لان يغرى بعولتنا بارتكاب الفاحشة لتخلوله الساحة فيفعل ما يشاء *
 فانى اعلم عيس اليقين ان هولاء المنابريين انما يقولون بافواههم ما ليس
 فى قلوبهم * وانهم ليعلمون الناس الزهد فى الدنيا والجُبَّ وهم احرص
 الثقلين عليها واقرم الخلق الى البعال * فما جزاؤه لان لا قطع لسانه
 حتى يعرف الم القطع * لعمرى ان لانسان لا يهون عليه احيانا ان يثلم

اطفاره لكونها منه * ولذلك كانت اخواتنا نساء لا فرنج يرتبين اطفارهن
 ويفتخرن بها مع انها لا تلبث ان تنبت * فكيف يجوز قطع ما يعمر به
 الكون * (طيب الله انفاسك يا حديثة عهد بالزواج * وعتيقة نقد للعلاج *
 ليت النساء كلهن مثلك وليتنى الثم شفتيك) ثم لما خرج القسيس من
 الكنيسة اذا بالناس جميعا اهرعوا لتقبيل يده وذيله * وشكروه على ما افادهم
 من المعاني البديعة بقطع النظر عن غيرها * لما تقرر في عقولهم من ان
 من خواص دين النصارى ان تكون كتبه ركيكة فاسدة ما امكن * لان
 قوة الدين تقتضيه لتحصل المطابقة كما افاده المطران اتناسيوس
 الشونجى الحلبي البشكاني الشلاقي الشولقي الانقاضي النشافي المشقسي
 اللطاعي النطاعي المصنوي الحتفلي الارشمي الثرثمي القديحي التخمى
 الامعى فى بعض مولفاته المسمى بالحكاكه فى الركاه * قال الفارياق
 واذا قد ابتلاني الله بعشرة هولا اللئام فلا بد لي من مجاملتهم ومخالفتهم
 الى ان يمين على بالنجاة منهم * قلت وحيث قد مر ما قاله الفارياق فى
 سفرته الاولى فلا موجب لان لاعادة ذكر شكواه هنا من الم البحر * وانما
 نقول انه فى خلال معاناته ومقاساته حلف لا يركب بعدها فى شى من
 مراكب البحر * من

الجفا	السفينة الخالية	ذكره صاحب القاموس فى المهموز *
والمرزاب	السفينة العظيمة او الطويلة *	
والرَبْزَب	ضرب من السفن *	
والبارجة	السفينة الكبيرة للقتال *	
والخليج	سفينة صغيرة دون العُدُولى *	
والطراد	السفينة الصغيرة السريعة *	

والمُعَبَّدة	السفينة المثيرة *
والغامد	السفينة المشحونة كالأميد *
والدَسْرَا	السفينة تدسر الماء بصدورها ج دُسَر *
والزُرْزُور	المركب الضيق *
والزَنْبَرِي	الضخم من السفن *
والقُرْقُور	السفينة الطويلة أو العظيمة *
والكار	سفن منحدرية فيها طعام *
والهَرُحُور	ضرب من السفن *
والقادس	السفينة العظيمة *
والبُوصِي	ضرب من السفن *
والصَّلْعة	السفينة الكبيرة *
والنَّهْبُوع	السفينة الطويلة السريعة الجري البحرية ويقال لها
	الدونيح معرَب *
وذاث الرَفِي	سفن كان يعبر عليها وهي ان تُضَدَّ سفينتان أو ثلث للملك *
والشُّدْف	مركب م بالحجاز *
والحَرَّاقَة	ج حَرَّاقَات سفن فيها مرامي نيران *
والزُّورُق	السفينة الصغيرة *
والبرَّاكِيَة	ضرب من السفن *
والعَدُولِيَّة	سفن منسوبة الى عَدُولِيَّة بالبحرين أو —
والجَرْم	زورق يمني *
والخَن	السفينة الفارغة *
والشُّونَة	المركب المعد للجهاد في البحر *

والتلوى	ضرب من السفن صغير ذكره فى ت ل و *
والجفاية	السفينة الخالية ذكره فى ج ف ي *
والخلية	السفينة العظيمة او التى تسير من غير ان يسيرها ملاح او التي يتبعها زورق صغير *
والشذا	ضرب من السفن *
الى الركوة	الزورق الصغير *
والقارب	السفينة الصغيرة *
والرمت	خشب يضم بعضه الى بعض ويركب فى البحر *
والطوف	قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهية السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها *
والعامة	عيدان مشدودة تركب فى البحر ويعبر عليها فى النهر ويقال لها ايضا العامة *

وانه بعد وصوله الى مرسى الجزيرة اعد له فيه مكان حسن لتطهير انفاسه
به مدة اربعين يوما * اذ قد جرت العادة عندهم بان من قدم اليهم من
البلاد المشرقية وقد استنشق هواها فلا بد وان ينثره فى المرسى قبل
دخوله البلد * فاقام فيها ياكل ويشرب مع اثنين من اعيان الانكليز ممن
ركبوا فى السفينة * وطاب له العيش معهما لانهما كانا قد ساجا فى بلدان
كثيرة من المشرق واخذا عن اهلها الكرم * ثم بعد انقضاء المدة جآ
الخرجى واخذه الى منزله بالمدينة * وكان المذكور قد فقد زوجته من
يوم نوى تسفير الفاريق اليه * فلزم الحداد والتعشف * ولزمته الكابة
والتاسف * وأن لا ياكل غير لحم الخنزير اعلى الله شانك عن ذكره *
وانما امر طباحه بان يتفنن فيه * فيوما كان يطبخ له راسه * ويوما رجليه *

ويوما كبده * ويوما طحاله * حتى ياتى على جميع آرابه ثم يستأنف من
الراس * وانت خبير بان نصارى الشام يحاكون المسلمين فى كل شى
ما خلا الامور الدينية * فمن ثم كان لحم الخنزير عندهم منكرا * فلما جلس
الفارياق على المائدة وجآ الطباخ بارب من هذا الحيوان الكريه ظن
ان الخرجى يمازحه بآرآنه اياه شيا لم يعرفه * فامتنع ان ياكل منه طمعا
فى ان ينال من غيره * واذا بالخرجى قضى فرض الغداء وشرع حالآ فى
الصلوة والشكر للبارى تعالى على ما رزقه * فقال الفارياق فى نفسه قد
اخطا والله صاحبي * فانه وضع الشكر فى غير موضعه اذ الشنآ على
الخالق سبحانه لاجل فاحشة او اكل سحت لا يجوز * وفى اليوم الثانى
جاء الطباخ بعضو آخر * فالتقمه وشكر عليه ايضا * فقال الفارياق للطباخ
لم يشكر الله صاحبنا على اكل الخنزير * قال ولم لا وقد اوجب على نفسه
ان يشكره على كل حال وعلى كل شى كما ورد فى بعض كتب الدين * حتى انه
كان يقضى هذا الفرض بعد ان يبيت مع زوجته * قال وهل شكر له على
موتها * قال نعم فانه يعتقد انها لان فى حصن ابراهيم * قال اما انا فلو
كان لى امرأة لما اردت ان تكون فى حصن احد * ثم ان دولة الخنزير
اعتزت وعظمت * ومصارين الفارياق ضويت وذوت * فكان يقضى النهار
كله على الخبز والجبن * ثم بلغه ان خبز المدينة يعجن بالارجل ولكن
بارجل الرجال لا النساء فجعل يقلل منه ما امكن * حتى اصتر به الهزال *
وصدئت اضراسه من قلة الاستعمال * فوقع منها اثنان من كل جانب
واحدا * وهذا اول انصاف فعله الجوع على وجه الارض * اذ لو كانا وقعا
من جانب واحد لثقل احد الجانبين وخف الاخر فلم تحصل الموازنة
فى حركات الجسم * اما المدينة فان القادم اليها من بلاد الشرق

يستحسنها ويستعظمها * والقادم اليها من بلاد الافرنج يحتقرها ويستصغرها *
واعظم ما حمل الفاريق فيها على العجب صنفان صنف القسيسين وصنف
النساء * اما القسيسون فلكثرتهم فانك ترى لاسواق والمنازة غاصّة بهم *
ولهم على روسهم قبعات مثلثة الزوايا لا تشبه قبعات السوقيين في الشام *
وسراويلهم اشبه بالتبايين فانها الى ركبهم فقط * وسيقانهم مغطاة بجوارب
سود * والظاهر انها عظيمة لان جميع القسيسين في هذه الجزيرة معلقون
سمان * وقد جرت العادة عندهم ايضا بان القسيسين واهل الفضل والكمال
من غيرهم يحلقون شواربهم ولحاهم * وانما يجب على القسيسين خاصة
ان يلبسوا سراويلات قصيرة مزينة حتى يمكن للناظر ان يتبين ما وراها *
فاما النساء فلاختلاف زيهن عن سائر نساء البلاد المشرقية والافرنجية *
ولان كثيرا منهن لهن شوارب ولحى صغيرة ولا يحلقنها ولا ينتفنها * وقد
سمعت ان كثيرا من الافرنج يحبون النساء المتذكرات * فلعل هذا الخبر
الغريب بلغ ايضا مسامعهن * كيف لا واهواء الرجال لا تخفى عن النساء *
والحسن فيهن قليل جدا * وانقيادهن الى القسيسين غريب * فان المرأة
منهن تؤثر قسيسها على زوجها واولادها واهلها جميعا * ولا يمكن ان تتخذ
طعاما فاخرا من دون ان تهديه باكورته حتى اذا اكل منه اكلت هي *
وقد بلغنى ان امرأة سوقية متزوجة اى من حزب شين السوق رات رجلا
جميلا من الخرجيين فاستخسرتهم فيهم * وقالت لو دخل هذا الرجل كنائسنا
لزادت به بهجة ورونقا * فارسلت اليه عجوزا تدعوه اليها فلبى الفتى
دعوتها * لان عداوة السوقيين والخرجيين انما هي مقصورة على
الصواطرة والنجشيين والمحترفيين لا مبلغ لها عند الرجال والنساء *
ففاضت معه في الحديث الى ان قالت له ان كنت تتبع طريقتنا فانى

امتنك من نفسى ولا امنع عنك شيا * فقال لها الشاب اما الذهاب الى الكنيسة فاهون ما يكون على لكونها قريبة من منزلى * واما الاعتقاد فكلينى الى نيتى * فانى آنف من هذا الاعتراف الذى يكلفكم به القسيسون من اهل كنيستكم * وليس من طبعى الكذب والتدليس حتى اعترف للقيس بالصغائر واكنم عند الكبائر * كما يفعله كثير من السوقيين * او اذكر له ما لم افعله واخفى عنه ما فعلته * فتاوتت المرأة عند ذلك واطرقت وهى تفكر وتحرك راسها * ثم قالت لا باس انا ليكفيها منك الظاهر كما افادنيه قيسى * ثم تعانقا وتعاشقا وجعل يتردد عليها وعلى الكنيسة معا * حتى ان الزواني فى هذه الجزيرة متهوسات فى الدين * فانك تجد فى بيت كل واحدة منهن عدة تماثيل وصور لمن يعبدونه من القديسين والقديسات * فاذا دخل الى احدهن فاسق ليفجر بها قلبت تلك التماثيل فادارت وجوها الى الحائط لكيلا تنظر ما تفعله فتشهد عليها بالفجور فى يوم النشور * قال ومن خصائص اهل هذه الجزيرة انهم يبغضون الغريب ويحبون ماله وهو غريب * فان مال الانسان عبارة عن حياته ودمه وذاته * حتى ان الانكليز اذا سالوا عن كمية ما يملكه الانسان من المال قالوا كم قيمة هذا الرجل * فيقال قيمته مثلاً الى ذهب * فكيف يتأتى لاحد ان يبغض آخر ويحب حياته * وانهم يتجادلون كل غريب قدم اليهم * فياخذه واحد منهم بيده اليمنى ليريه النساء * ويمسكه الآخر بالآخرى ليريه الكنائس والدولة لمن غلب * ومن خصائصهم ايضا انهم يتكلمون بلغة قدرة طفسة منتنة بحيث ان المتكلم يشم منه رائحة البحر اول ما يفوه * والرجال والنساء فى ذلك سوا * واذا استنكھت امرأة جميلة وهى ساكتة نشيت منها عرفا ذكيا * فاذا استنطقتها استحالت الى

بُخْر * ومنها انه اذا اصببت احدى النساء بدآء فى احد اعضائها ذهبت الى الصانع وامرته بان يصوغ لها مثال ذلك العضو من فصة اودهب لتهديه للكنيسة * ومن كانت معسرة صاغته من الشمع ونحوه * ومن ذلك ان حلق اللحى والشوارب مندوب وحلق ما سواهما محرم * حتى ان القسيسين ياحتون على النساء فى السؤال كثيرا حين يعترفن لهم عن قضيتى التنف والحلق ويحرزونهن من ارتكاب ذلك * ومنها ان لاهل الكنائس عادة ان يخرجوا فى ايام معلومة بما فى كنائسهم من الدمى والتماثيل على ثقلها وضخمها * يحملونها على اكتاف المتحمسين فى الدين فيجرون بها فى الشوارع وهم ضاجون * واغرب من ذلك انهم يوقدون امامها الشموع حين يود كل انسان ان ياولى الى كهف فى بطن الارض من شدة توهج الشمس * وغير ذلك كثير مما حمل الفاريلى على العجب * لان اهل بلاده مع كونهم سوقيين ولهم حرص زائد على عداوة الخرجيين لا يفعلون ذلك * وج ثبت عنده ان الخرجيين هم على الهدى الا فى اكل الخنزير * وان السوقيين على هلال ماعدا استحسان نساءهم لفيسانى الخرجيين * الا انه ليس من طريقة فى الدنيا الا وفيها ما يحمد وما يذم * وان الانسان تراه فى بعض الامور عاقلا رشيدا وفى غيرها جاهلا غويا * فسبحان المتصف وحده بالكمال * وانما ينبغى للناقد المنصف ان ينظر الى الجانب الانفع ويقابله بغيره * فان راى نفعه اكثر من ضرره حكم له بالفضل * لا ان يمتنى نفسه بان يجد شيئا من الاشياء كاملا قال الشاعر

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

هذا وكما ان الجوع اسقط من فم صاحبنا الضرب المستجيع ضررين *

كذلك اسقطت مشاهدة تلك الامور من راسه اعتبار السوقيين وبنى عثم
من كلا جانبي الدين والرشاد * فظهر له ان افعالهم اخرى ان تكون
افعال المجانين * فلهذا ضاق صدره في بلادهم وعيل صبره * مع احتياجه
الى الطعام الطيب الذى كان الفه في الشام والى لباس يليق به * فان
الخرجى افاده ان المفددين على السلع الخرجية لا ينبغي لهم
التحقل بالمبوس * اذ المقصود من الخرج انما هو حمله فقط * مع ان
السوقيين يحسبون ان الخرجيين يستجلبون اليهم المفددين بالمال
والهدايا * فلهذا كان الفاريق دائم الحزن والاسف * فلم يمكنه وقتئذ
ان يتعلم لسان الخرجيين وانما تعلم منهم بعض الفاظ تخص ترويج السلعة
فقط * هذا وقد كان عند الخرجى المذكور خُرْجِيّ لَئيم * شكس الاخلاق
اصفر الوجه * ازرق العينين دقيق اربعة لانف كبير لاسنان * راي
الفاريق يوما ينظر من طاقة له الى سطوح الجيران فنزغده الشيطان ان
يستر الطاقة * فلما رآها الفاريق مسمرة تفال بانها خاتمة النحس * وهكذا
كان * فانه مرض بعدها بايام قليلة * فاشار الطبيب على الخرجى بان
يسفره الى مصر * فسافر من ثم ومعد كتاب توصية الى خرجى آخر *



الفصل الرابع

في منصّة دونها غصّة



ما زال البحر بحرا * ما برحت الريح ريحا * ما انفك طالع الفارياق
هابطا * ما فتى لسانه فارطا * فلما بلغ الى الاسكندرية وجد في محل
الخروجي القديم خرجيا آخر قد دخل في مضايق ذميمة لم يرض الشيخ
خليل بن ايبك الصفدى ان يدخل فيها * فتخلف عن تقدمه وخبت
ريحه بين اقرانه * والحامل له على ذلك انه رأى هوّ البلاد شديد
الحرارة عليه * فارتأى ان يتخذ له هرمين يتسلقهما حين يحتتر * كما ان
سلفه اتخذ هرما من الدنان * فافرج عليهما من اللجين ما يسيل به واد *
فشاع اسرافه هناك وملّه اصحابه * ثم سافر الفارياق من الاسكندرية الى
مصر وادى كتاب التوصية للخروجي * فانزله في دار رفيق له وكانت محاذية
لدار رجل من الشاميين كان يجتمع عنده كل ليلة جماعة من المغنيين
والعازفين بالآلات الطرب * فكان الفارياق يسمع الغنا من حجرته * فهاج به
الوجد والغرام * وتذكر اوقاته بالشام * وحنّ وصبا الى مجالس الأنس *
وحيل له انه انتقل من عالم الجن الى عالم الأنس * واسفرت له الدنيا
عن لذات مبتكرة * وشهوات مدخرة * وافراح صافية * وامانى وافية * فنسى
ما كبده في البحر من الدوار والفواق * وفي الجزيرة من الجوع وتسمير الطاق *

وما اصابه من بُحْجِ التفديد * وتترج التقليد * وراى لدولة مصر بهجة
ورونقا * وفى عيشها رغدا مغدقا * فكان الناس كلهم مُعْرِسون * او
مفاخرون ومنافسون * ولنسائها كياسة وظرفا وجمالا * ولطفنا ولينا ودلالا *
وتنيتها واختيالا * يخطر فى الطرق بالحبر كالمنشآت * فيجعلن مجموع
الهم على القلب فى شتات * وما انا باول واصف لهن انهن خلّابات للعقول *
غلّابات للفحول * فقد وصفن بذلك كل ناظم ونائر * وذكر محالهن كل
من حاولهن من الاكابر والاصاغر * وفى المثل السائر * تراب مصر من
ذهب * وغيدها نِعَم اللَّعْب * وانها لمن غلب * واعجب ما يرى من
احوالهن * حين يخرجن من جمالهن * ويتفلّتن من عكالهن * ما اذا
ركبن الحمير الفارحة العالية * واستوين فوقها على منصة مضتخة بالغالية *
فترى عرفهن قد ملأ الخياشيم * وحور اعينهن يذكر الناس بحور جنات
النعيم * فكل من ينظر حورية منهن يكبر عند رؤيتها * ويستصغر الدنيا
بجمال طلعتها * ومنهم من يهلل لالتفاتنها * ويستح عند حركتها * ومنهم
من يتمنى ان يكون ممسكا بركابها * او ماسا لجلبابها * او حاملا لنعالها *
او رافعا لاذيالنّها * او بطانة لحبرتها * او بوابا لحجرتها * او رسولا بينها
وبين عاشقها * او تبعا لتبعها ومرافقها * او مشاطا يسوى فرقها * او
خياط يرقع خرقها * او صائغا يصوغ لها سوارا * او حدّادا يصنع لها مسمارا *
او بلّانيا يدلك بدنها * او هنا آخر يدانى هُنا * وهى من فوق تلك
المنصة تتعزّز وتتمنع * وتشفن وتتطلع * فترمى هذا بنظرة فتدنيه *
وذاك بغمرة فتصبيه وتسبيه * فتعطل على التجار اشغالهم * وتبلبل
من ذوى البطالة بالهم * حتى كان الحمار من تحتها يعرف قدر
من حمل * ويدرى ما غرض من كبر لرويتها وهلل * فهو لا ينهق ولا يسمع

له شخير * ولا يكرف كسائر الحمير * بل يسمد على الخيل كبرا * ويمشى
الخيلاً زهواً وفخراً * اما قائد الحمار فانه يرى ان قائد الجيش دونه في
المنزلة * وان الناس لفي افتقار اليه فهو الذي لا بد له من عائد وصلة *
كيف لا وهو الموصوف بالسياسة * والقيادة والفراسة * وهنا قضية نسيت
ان اذكرها * فلا بد من ان اقيدها في هذا الموضع واحررها * وهى ان
القلوب بروية المتبرعات * اولع منها بروية المسفرات * وذلك ان العين
اذا رأت وجها جميلا وان يكن رائعا شائقا غاية ما يمكن * فان المخيلة
تستقر عليه وتسكن * فاما عند تبصر للوجه المحجوب * مع اعتقاد القلب
بان صاحبه من الجنس المحبب * ولا سيما اذا قام الدليل عليه بحلاوة
العينين * وبالهذب وبزجج الحاجبين * فان المخيلة تطير بالافكار عليه *
ولا تجد لها من امد تنتهى اليه * فيقول الخاطر (انتهى السجع لانه ملا
الصفحة) لعل هذا الوجه

أُنْعَبَانِي لَا نَعْبَانِ وَلَا نَعْبَانِي الوجه الفخم فى حسن وبهاض *
او ذوانسبات يقال فى وجهه انسبات اى طول وامتداد *
او هو مصفح المصفح من الوجوه السهل الحسن *
او متمعّد المتمعّد من الوجوه الظاهر البشرة الحسن السحنة *
او مدثر يقال دثر وجهه تدنيرا تلالا *
او ملوّز الملوّز من الوجوه الحسن المليح *
او مخروط المخروط من الوجوه ما فيه طول *
او ساجع الساجع الوجه المعتدل الحسن الخلقة *
او عنمى الوجه الحسن الاحمر *
او فدغم الفدغم الوجه الممتلى الحسن *

او ذو كلثمة الكلثمة اجتماع لحم الوجه بلا جهومة *
او مُسنون يقال رجل مسنون الوجه ممّلسه حسنه سهله *
ولعله جامع لجميع سمات الوسامة فاشتمل على خدين اسيلين * اسجحين
او مكتلين * وفي كل خد اذا صحت غمزة او هزّمة او شجرة او عكوة او
غرّمة او فحصة او فيهما
علّطة العلطة واللعطة سواد تخطه المرأة في وجهها زينة *
او في كل منهما خال عم حسنه * وعز فتنه *
او فيهما او في احدهما خداد (ميسم في الخد) او ترخ (الشرط اللين) *
او وخص او عدّ او طبّظاب * الوخص بشرة تخرج في وجه الجارية
الملliche والطبّظاب بثر في وجوه الملاح ومثله العدّ *
واشتمل ايضا على ثغر منصّب * ذى شنب ورثل وحبب * ثغر منصّب
مستوى النبتة والشنّب ما ورقة وبرد وعدوبة في الاسنان
اونقط بياض فيها او حدة الانياب كالغرب تراها كالمنشار
والرثل بياض الاسنان وكثرة مائها والحبب تنصد الاسنان
وما جرى عليها من الماء كقطع القوارير *
او على تفليج في ثنايا من الدرّ * ذات اشر ووشر * اشر الاسنان
واشرها التحزيز الذي يكون فيها خلقة او مستعملا يقال اشتر
المرأة اسنانها واشترتها والوشر تحديد المرأة اسنانها وترقيقها *
او ان لها بثرّة * تنهالك في حبها بثرّة * العثرة اشر الاسنان ودقة في
غروبها ونقآ وما يجري عليه — والريقة العذبة وهي ايضا
نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وغبر *
او ان بذقنها نونة تعوذ بسورة ن * او ان شفتها ريا او حوا او نكة *

او ان فيها لَعَسا او ذَبِبا * او يتصَبَّب منها العسل تصَبَّبا *
او ان فيها ثُرْمَله * تنشَف من الوله * الثرْمَلَة النقرة في ظاهر الشفة
العليا والنكعة من الشفاه الشديدة الحمرة *
او ان في طُرْمَتِها طُرْمًا * الطُرْمَة النبوة وسط الشفة العليا والطرم الشهد
والزبد والعسل *
او ان لها تُرْفَه * اشهى واعز من الترفه * الترفه هنة ناتئة وسط الشفة
العليا خلقة وهى ايضا النعمة والطعام الطيب والشى الطريف
تنخص به صاحبك *
او ان لها عُرْعُرَة * على مثلها تهون الغرغرة * العرعره ما بين المنخرين *
او خَوْرَمَة * تطيب بها النفس عن الخُرْمَة * الخورمة مقدم الانف او
ما بين المنخرين والخُرْمَة واحدة الخرم وهو نبت كاللوبيا
بنفسجى اللون شمه والنظر اليه مفرح جدا ومن امسكه معه
احبه كل ناظر اليه ويتخذ من زهرة دهن ينفع لما ذكر *
او نُثْرَة * عليها تنثر البدره * النثرة الخيشوم وما والاها او الفرجة بين
الشاربين جبال ونثرة الانف *
او ان لمراعفها غَفْرًا * يكسر شوكة الاجرا * المراعف الانف وحواليه
والغفر زبر الثوب *
او ان لها خُنْعَبَة * تشدّ العظام الوربة * الخنعبه النونة او الهنة
المتدلية وسط الشفة العليا او الشق ما بين الشاربين
حيال الوتره ويقال فيها ايضا الخُنْعَبَة *
او عُرْتَبَة * تصح بها القلوب الوصبة * العرتبة الانف او ما لان منه او
الدائرة تحته وسط الشفة او طرف ونثرة الانف *

او عَرْتَمَة * هي للحسن سمة * العرْتَمَة مقدم الانف او ما بين وترته
والشفة او الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا ومثلها الهرْثَمَة *
او ان على ملامظها وملاغمها لَغْمَا * ينفى سَدْمَا * ويشفى سَقْمَا * الملامظ ما
حول الشفة والملاغم ما حول الفم كالملامح واللغم الطيب القليل *
او لعل لها نَبْرَة * هي تمام النضرة * النبرة وسط النقرة في طاهر الشفة
والنضرة الحسن *

او تُقْرَة * يطيل الصب عليها زفرة * التفرة مثلثة الاول النقرة في وسط
الشفة العليا *

او جِرْثَمَة * تذر القلوب بها مغرمة * الحثرمة الدائرة تحت الانف وسط
الشفة العليا او الارنية او طرفها *

او وِثِيرَة * تُفْدَى بالف وِثِيرَة * الوِثِيرَة حجاب ما بين المنخرين *
او ان لها خيشوما يبرى كمها * ويطرى ومها * الخيشوم من الانف
ما فوق نحرته من القصبة وما تحتها من خشارم الراس
والومه شدة الحر *

او قَسَامَة * يمضى بها العاشق اقسامه * القسامة الحسن والوجه — او
الانف وناحيته او وسط الانف النخ *

او ان لها دَلْفَا * يصح دنفا * الدلف صغير الانف واستواء الارنية او
صغرة في دقة او غلط واستواء في طرفه ليس بجَدَّ غليظ *

او خَسَا تغيب له الخنس * الخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع
قليل في الارنية وهي خنساً والخنس الكواكب كلها او السيارة *

او كان انفها مُصْفَحَا * المصفح من الانوف المعتدل القصبة *
او اشم * الشم ارتفاع قسبة الانف وحسنها واستواء اعلاها وانتصاب الارنية *

او ان به قَنَى * قنى الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه
 اونتو وسط القصبة وضيق المنخرين هو اقنى وهى قنْيَا *
 او ان به غُرْضِينَ * يلهيان عن التغريض واللَّحِينَ * غرضا الانف ما
 انحدر من القصبة من جانبيه جميعا والتغريض اكل اللحم
 الغريض والتفكه *

او ان لها ناظرين * نفديهما بالناظرين * الناظران عرقان على حرفى لانف *
 او ناحرتين * نذيل لهما النحور والمقلتين * الباحرتان عرقان فى اللُحَى
 وصلعان من اضلاع الصدر او هما الواهنتان والترقوتان *
 او حافزا * يشرح قلبا حالزا * ويتلحز له الشاعر تَلَحْزَا * الحافز حيث
 ينشئ من الشدق وقلب حالز ضيق والتلحز تحلب فيك
 من اكل رمانة حامضة ونحوها شهوة لذلك كالتلحز *
 او ان خنابتيها * تحوم القلوب عليها * الخنابتان طرفا الانف *
 او ان لها صامغين * هما قرة العين * ورى الغين * الصامغان والصماغان
 والصمغان جانبا الفم وهما ملتقى الشفتين مما يلى الشدقين
 وهما ايضا السامغان لغة فى الصاد والغين العطش * وياليت
 شعرى هل يتكوّن فيهما صمغ شهد حتى سمي بهذا وهل
 هما منطبقان او منفتحان وهل يتلحز لهما الشاعر المسكين كما
 تلحز من الحافزين الله اعلم *

ثم يقول او ان لها حُترة * يديم الصب اليهما حُترة * الحُترة مجتمع الشدقين
 والحرر تحديد النظر * فهل من تلّزج معه *
 او ان لها ماصغين * يعوّذان من العين * الماصغان اصول اللحيين
 عند منبت الاضراس *

او غُنبَة * تَهْدَى الخَلْقَ سُنْبَهُ * الغنبة على مافى القاموس واحدة الغنَب

وهى دارات اوساط اشداق الغلمان الملاح * لكتنى رايت

رَبَّة البرقع اولى بها فلا عكاس ولا مِكاس * على هذا الاختلاس *

والتهنيد التصبى والتشويق والسنبه الدهر *

ولعل عارضها * يتيم معارضها * العارض صفحة الخد وجانب الوجه *

او ان لها علاطا * يشغف من ناظره نياطا * العلاط صفحة العنق والنياط

الفواد *

او بلدة * تفتن اهل البلدة * البلدة نقاوة ما بين الحاجبين وثغرة

النحر وما حولها او وسطها *

او ان لها محاجر * تباع لها المحاجر * المحجر من العين ما دار بها

والمحاجر الثانية ما حول القرية *

او اسارير * يعنوها من جلس على السرير * الاسارير محاسن الوجه

والخدان والوجنتان *

او ان طليتها تبرى الطليآ * الطلية العنق او اصلها والطليآ قرحة كالثوبآ *

ولديديها اللدود * اللديدان صفحتا العنق دون الاذنين واللدود وجع

ياخذ فى الفم والحلق *

ولزيرها اللز * اللزير مجتمع اللحم فوق الزور واللز الطعن *

ومفاهاها اعز الى ذى مسغبة من الفهيرة * المفاهر لحم الصدر والفهيرة

محض يلقى فيه الرصف فاذا غلا ذر عليه الدقيق وسيط *

وان سالفيتها تغنيان عن السلاف * السالفة ناحية مقدم العنق من لدن

معلق القرط الى قلت الترقوة *

ونحرجها عن نحر النهار * نحر النهار والشهر اولد *

وتراثبها عن الأثراب * التراثب عظام الصدر او ما ولى الترقوتين منه ولا تراثب
واحدھا تَرَب وهو اللدّة * ويصح ان تكون ايضا بكسر الهمزة
مصدر اترب الرجل اى كثر ماله فليسال القائل عن ايهما اراد *
الى غير ذلك من الاحتمالات التى لا بدّ منها لخصيف العقل المستحكم الراى *
وانما اطلت الكلام هنا لكونى ناقلا له عن تبصر الوجه المحبوب * ودهش
عن الاصابة فسال فمه سعابيب *

وغاية ما اقله انا ان من شاعر امرأة ليلا ولم يرها كما جرى لسيدنا
يعقوب عم وقع له ما وقع لصاحبنا هذا المكثّر من اللغات والآثات والآوات *
ولقائل ان يقول ان هذه القضية معكوسة فى شان المرأة اللابسة * فان
النظر اذا وقع عليها وهى متسترة وقفت معه المخيلة عند حدّ ما * بخلاف
العريانة فان المخيلة والقلب عند النظر اليها يطيران عليها ولا يقفان على
حدّ فالمخيلة تتنمور اشيا والقلب يشتهى اشيا اخرى * وللمحجب ان يقول
ان ذلك انما نشأ عن الفرق الحاصل بين الوجه والجسم * فان الجسم من
حيث كونه اكبر من الوجه اقضى طيران المخيلة اليه * وحومان القلب عليه *
ورّد هذا القول جماعة منهم الصباياتى والمباعلى والالغزى وابو آر * بان كبر
الجسم هنا ليس سببا للطيران والحومان * اذ لو لم يبد منه الا موضع واحد
لكفى * فبقى الاشكال غير مدفوع * واجيب بان العلة فى ذلك انما هى لكون
الجسم جسما والوجه وجهها * وسفّه هذا القول فانه تحصيل للحاصل * وقيل
انما هو لكون الوجه محلّا لاكثر الحواس * ففيه مخزن الشم والذوق والبصر
وقريب منه مخزن السمع * وارتضاء جماعة منهم العزهى واليتاى والذوخى *
ورّد بان هذه الحواس لا مدخل لها هنا * فان المراد من كونية المرأة لا
يتوقف عليها اصالة فهى مستغنى عنها * وقيل انما هو لكون الجسم يحترى

اشكالا كثيرة * فيه الشكل القمقى والرمانى والقروطى والطارى والخاتمى
والقبنى والعمودى والهدفى والصادى والميمى والمدرج والمخروط والهلالى
ومنفرج الزاوية * وردّ بانه كقول من قال انه اكبر من الوجه وجوابه كجوابه *
وقيل انما هو لكون العادة لاغلبية هي ان يكون الوجه حاسرا والجسم
مستورا * فاذا راي الانسان ما خالف العادة هاجت خواطره وطارت افكاره *
وقيل غير ذلك والله اعلم * ويحتمل ان هذه القاعدة التى استدركت ذكرها
غير صحيحة فياليتنى نسيتهما فان ذكرها اوجب المناقشة بين العلماء *
والحاصل ان الغرام البرقى لما باض وفرخ فى راس الفاريق غرّدت اطياره
عليه لان يتخذ له آلة لهو * فما عتم ان تآبط له طنبورا صغيرا من السوق *
وجعل يعزف به فى شبّاك له مطّل على دار رجل من القبط * وكان عند
الخرجى خادم مسلم قد عشق ابنة القبطى فغار عليها من الطنبور * فسعى
بالفاريق الى سيدة قائلا اذا سمع المارون فى الطريق صوت الطنبور من
دارك ظنوا انها دسكرة او حانة او ثكنة (مركز الاجناد ومجتمعهم على لواصاحبهم
الخ) لا دار للخرجيين * لان هذه الآلة لا يستعملها غير الترك * فشكره
الخرجى على ذلك واستصوب ما قاله واوعز الى الفاريق بالغاء الآلة * فالغاها
وجعل يفكر فى التملّص من ايدى هذه الزمرة التى لم يبرح اذاها واصلا
اليه من كل شبّاك سوا فى الجزيرة والارض * ثم بعد ايام قليلة هرب الخادم
بالبت وتزوج بها بعد ان اسلمت والحمد لله رب العالمين *



الفصل الخامس

في وصف مصر



قد وصف مصر كثير من المورخين المتقدمين * ومدحها جم غفير من
الشعرا الغابرين * وها انا اليوم واصفها ومدحها بما لم يسبقني اليه احد
من العالمين * فاقول انها مصر من الامصار * او مدينة من المدن * او
مدرة من المدر * او كورة من الكور * او قصبه من القصب * او بحرة من
البحر * او ماهة من الماهات * او قرية من القرى * او قارية من القوارى *
او عاصمة من العواصم * او صقع من الاصقاع * او دار من الديار * او بلدة
من البلاد * او بلد من البلاد * او قطر من الاقطار * او شى من الاشياء *
غير ان اهلها يقولون انها مصر الامصار * ومدينة المدن * وعاصمة العواصم *
وشى الاشياء الى آخرة * وما ادرى فرق ذلك * وكيف كان فانها مدينة غاصة
باللذات السائغة * متدفقة بالشهوات السابغة * توافق المحرورين من
الرجال خلافا لما قاله عبد اللطيف البغدادى * يجد بها الغريب ملهى
وسكنا * وينسى عندها اهلا ووطنا * ومن خواصها ان ما يذهب من اجسام
رجالها يدخل فى اجسام نساها * فترى فيها النساء سمانا كالاقط بالسمن
على الجوع * والرجال كالحشف بالشيرج على الشبع * ومنها ان اسواقها
لاتشبه رجالها البتة * فان لاهلها لطافة وظرافة وادبا وكياسة وشمائل

مرضية واخلاقاً زكية * واسواقها عارية عن ذلك راساً * ومنها ان مآها لا يشبه عيشها اى خبزها * فان الاول عذب والثانى تافه * ومنها ان العالم فيها عالم ولا ديب اديب والفقير فقيه والشاعر شاعر والفاقد فاسق والفاجر فاجر * ومنها ان نساءها يمشين تارة على الارض كسائر النساء وتارة على السقف وعلى الحيطان * ومنها تذكر المونث وتأنث المذكر مع ان اهلها متقنون للعلم واى اتقان * ومنها ان حماماتها لا تنزل تقرا فيها سورة او سورتان من القرآن فيها ذكر الكواب والطائفين بها * فالخارج منها يخرج طاهراً وجنباً * واعجب من ذلك ان كثيراً من رجالها ليس لهم قلوب * وقد عوض الواحد منهم عن قلبه بكتفين وظهريين واربعة ايدى واربعة ارجل * ومن ذلك ان كثيراً من البنات اللاتى يغسلن اقمصتهن فى بعض مجارى النيل يتعممن بمصانهن بعد غسلهن ويمشين عريانات * ومنها ان قوما منهم بلغهم ان نساء الصين يتخذن او بالحري يتخذ لهن قوالب من حديد لتصغير ارجلهن عن المقدار المعهود * فجعلوا يشذبون اصابعهم واعتقدوا ان اليد اذا كان بها اربع اصابع فقط كانت اخف للعمل وانفع لصاحبها * مع ان الاصابع والكفوف عندهم ليست مما يكسب حتى تقضى عليهم بزيادة النفقة * كما هو شان الافرنج الذين لا يغادرون عضواً من اعضائهم الا ويكسونه احتفالاً به وتقخيماً له او حذراً عليه من العدوى * ومن ذلك اى من الخواص لا من الاعضاء ان البنات اللاتى يستخدمن فى الميرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك * يحملنه على روسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات صادحات مادحات مازحات * غير آحات ولا ترحات ولا دالحات ولا رازحات ولا كالحات ولا نائحات * ومن كان نصيبها من الآجر نظمت عليه موالا اجرياً * او من

الجس غنت له اغنية جسية * كانما هن سائرات فى زفاف عروس *
ومن ذلك ان فيها ديوانين عظيمين يقال لكل منهما الديوان المخدمى *
فالديوان الاول قيّمه رجل يجهز للرجال ما يلزمهم لتبريد فرشهم من هو *
والديوان الثانى وهو دونه فى القدر والشان قيمته امرأة تجهز لهم ما يلزمهم
لتسخينهم من هى * واصل منشى الديوان الاول عجمى * وقد صار الان
من الشهرة والنباهة عند العرب بحيث انك لا تنزال تسمع بذكره والثنا
عليه فى كل مقام ولا يكاد يخلو منه مجلس انس او غنا او ادب * ومن ذلك
ان البرنيطة فيها تنمى وتعظم * وتغلظ وتضخم * وتوسع وتطول وتعرض
وتعمق * فاذا رايتها على راس لابسها حسبتها شونة * قال الفاريابى وكثيرا
ما كنت اتعجب من ذلك واقول * كيف صح فى الامكان وبدا للعيان
ان مثل هذه الروس الدمية * الضئيلة الذمية * الخسيسة اللئيمة * المهينة
المليمة * المستنكرة المشؤمة * المستقدرة المهووة * المستقبحة المستفظة *
المستمجة المستنعة * المسترذلة المستبعدة * تقل هذه البرانيط المكرمة *
وكيف انماها هوا مصر وكبرها الى هذا المقدار * وقد طالما كانت فى
بلادها لا تساوى قارورة الفراش * ولا توازن ناقورة الفراش * وكيف كانت
هناك كالنرب فاصبحت هنا كالنبر * يا هوا مصر يانارها ياماها ياترايا صيرى
طربوشى هذا برنيطة وان يكن احسن منها عند الله والناس وافضل *
واجل وامثل * وللعين ايبى واكمل * وعلى الراس اطبق * وبالجسم اليق *
وغير ذى قرون تشملق لتشلق * ويوزرق عليها لترزق * قال فلم يغن
عنى النداء شيا وبقي راسى مطربشا * وطرف دهرى مطرفشا * ومن ذلك
ان قوما من الهككا المهاكيك فيها يمرأون ويسرقعون لحاهم ويزاحمون
ذوات البراقع على مورد الاناثية * فتراهم يتحففون ويهجلون ويتبازون

ويوككون ويوزوزون ويباغمون وهم اقبح خلق الله * ومن ذلك ان
 لصابط البلد شفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم * وذلك انه يامر
 جميع السالكين في طرقها ليلاً ان يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة
 مقمرة * خيفة ان يعثروا بشى في اسواق المدينة فيسقطوا في هوة اوجب
 فتتكسر ارجلهم او تندق اعناقهم * ومن وجد ليلاً يطوف من غير ذوى
 البرانيط وليس بيده فانوس غلت رجله الى يده * ويده الى عنقه * وعنقه
 الى حبل * والحبل الى وتد * والتد الى حائط * والحائط الى ناكر ونكير * وتصلية
 سكير * ومن ذلك ان لبنى حنا فيها اسلوبا في الكتابة لا يعرفه احد الا
 هم * ولهم حروف كحروفنا هذه الا انها لا تقرا الا اذا ادخلها الانسان
 في عينه كذلك رايتهم يفعلون * ومنها انه اذا مات منهم احد فلا يزال
 اهل البيت يندبونه وينوحون عليه حتى يؤوب اليهم ووطبه ملآن من
 الطرخ * ومن خصائصها ايضا ان البغاث بها يستنسر * والذباب
 يستقر * والناقة تستبعر * والحش يستمهر * والهرة يستنمر * بشرط ان
 تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة * ومن ذلك ان كثيرا من
 اهلها يرون ان كثرة الافكار في الراس * يكثر عنها الهموم والاكدار او بالعكس *
 وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور * كما ان الرجل الطويل
 يتناول البعيد من الثمر وغيره * وان تلك الكثرة سبب في الاقلال * وهذا
 الطول موجب لقصر الاجال * واوردوا على ذلك براهين سديدة * قالوا
 ان العقل في الراس كالنور في الفتيلة * فما دام النور موقدا فلا بد وان
 تنفذ الفتيلة ولا يمكن ابقاؤها الا باطفاء النور * او كالماء في الوادى *
 فاذا دام الماء جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب في البحر فمتى حُسن
 بقى * او كالفلوس في الكيس * فما دام المفلس اى صاحب الفلوس يمتد

يده الى كيسه وينفق منه فنى ما عنده * لا ان تربط يده عن الكيس
او يربط الكيس عن يده * او كالتيس النازى * فانه اذا دام نزوه نزفت
مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه * فمن ثم اصطلحوا على طريقة
لتوقيف جريان العقل فى ميدان الدماغ حيناً من الاحيان ليتوفر لهم فى
غيره * وذلك بشرب شى من الحشيش او بمضغه او بالنظر اليه او بذكر
اسمه * فحين يتعاطونه تنغيب عنهم الهموم ويحضر السرور * وتولى الاحزان *
ويرقص المكان * فمن يرهم على هذه الحالة ودّ لو يكتب فى زمريتهم ويدخل
فى دأريتهم وان يكن قاضى القضاة * ومن ذلك ان طرقها لا تزال غاصة
بالابل المحملة * فينبغى للسائر فيها اذا راها مقبلة ان يخلى لها الطريق *
أو لا فلا يامن ان يفقد احدى عينيه * وقد ينشأ عن هذا الزحام فوائد
كما فى حكاية المرأة التى سارت مع امها لتحضر عرس اختها فطالعتها من محلها *



الفصل السادس

في لا شى



قد كنت اظن انى اذا تركت الفارياق واخذت فى وصف مصر
استريح فاذا هوى او اياها * فينبغى لى لان ان امكث فى ظل
هذا الفصل الوجيز قليلا لانض عنى غبار التعب ثم اقوم ان شا الله تعالى *

الفصل السابع

في وصف مصر



قد قمت حامدا لله شاكرا * فاين القلم والدواة حتى اصف هذه المدينة
السعيدة الجديرة بالمدح من كل من رآها * لانها بلد الخير ومعدن الفضل
والكرم * اهلها ذوو لطف وادب واحسان الى الغريب * وفى كلامهم من
الركة ما يغنى الحزين عن التطريب * اذا حيّوك فقد احيوك * وان سلموا
عليك فقد سلموك * وان زاروك زادوك شوقا الى رويتهم * وان زرتهم فسحوا لك
صدورهم فضلا عن مجالسهم * اما علماءها فان مدحهم قد انتشر فى الافاق *
وفات فخر من سواهم وفاق * بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفص
الجناح وبشاشة الوجه ما لا يمكن المبالغة فى اطرائه * ولكل نوع من

الناس عندهم اكرام يليق به سواء كان من النصارى او من غيرهم * وربما خاطبهم بقولهم ياسيدى ولا يستنكفون من زيارتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم خلافا لعادة المسلمين فى الديار الشامية * وبذلك لهم الفضل على غيرهم * وكان هذه المزية وهى حسن الخلق ورقة الطبع امر مركز فى جميع اهل مصر * فان لعامتهم ايضا مخالقة ومجاملة * وكلهم فصيح اللهجة بين الكلام سريع الجواب * حلو المفاكهة والمطارحة * واكثرهم يميل الى هذا النوع الذى يسمونه الانقاط * وكأنه المجاززة وهى مفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى * فان من لم يكن قد تدرب فيه لا يمكنه ان يفهم منه شيا وان يكن شاعرا * وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغناوهم اشجى ما يكون * فلا يمكن لمن ألفه ان يطرب بغيره * وكذلك آلتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها * واعظمها عندهم هو العود وقل اعتناؤهم بالناي * ولهم فى ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون من المغيبات * غير انى اذم من غنائهم شيا واحدا * وهو تكرير لفظة واحدة من بيت او موال مرارا متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام * ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن * وبعبس ذلك طريقة اهل تونس فان غنائهم اشبه بالتوتيل * وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب فى الاندلس * ومما ينبغى ان يذكر هنا ان النصارى المولودين فى بلاد الاسلام الناهجين منهمج المسلمين فى العادات والاخلاق هم ابدا دونهم فى الفصاحة والادب والجمال والكياسة والطرافة والنظافة * لا انهم انشط منهم على السفر والتجارة والصنائع واكثر اقدا ما وجلدا على تعاطى الاعمال الشاقة * وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفى النصارى شره عظيم الى اتخاذ الديار الرحيبة * وقنية الخيل النجيبة * والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر

لا حد لها * فاذا دخلت دار نصراني من المتمولين بمصر رايت عنده
عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اعلی ما يكون * وقدر
نصفها من الاراكيل الثمينة * وثلاث غرفات مفروشات باحسن ما يكون من
القماش * وآنية فضة للطعام والشراب والرائحة * واسرة عالية وطیئة وثيابا
فاخرة وغير ذلك * ومع هذا فلا تجد عنده كتابا * ولو ان مشتريا شاء ان
يشترى شيئا من تاجر مسلم لوجد سعرة ارخص من بضاعة النصراني بربع
الشن * ولكن وجود هذه الشراة انما هو في الغالب عند النصارى الغربا *
فاما القبط فانهم اشبه بالمسلمين * وقيل من تعاطى المتجر منهم * اما دولة
مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من لاية والعز والفخر والكرم
والمجد * فكان للمتسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكسب والشحن
بما لم يعهد في دولة غيرها * وكان واليها يولى المراتب العلية وسمات
الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى ما عدا اليهود * خلافا لدولة
تونس فان شرفها عم الجميع * ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب
الحرف وما يناله اهل الوظائف من البرزق العميم فكانت الاسعار بمصر
رخيصة جدا فلهذا كنت ترى الناس قصرتهم وعميمهم مقبلين على الشغل
واللهو معا * فالبساتين غاصة باهل الخلعة والقصوف * ومحال القهوة مجمع
للحباب * والاعراس مسموع فيها الغنا والالت الطرب من كل طرف * والرجال
يخطرون بالخز والديباج * والنساء ينون بما عليهن من الحلی * والخيل
والبغال والحمر مسرجة ومكسوة بالحريز المزركش * الا ان صاحبنا الفاريق
لم يكد يدخل ارضا سعيدة الا ويخرج منها وقد تغير حالها * فارجع معي
لان لنخلص من ايدي الخرجيين * فاني تركته يحاول ذلك مذ حين *

الفصل الثامن

في اشعاره انتهى وصف مصر

قد غادرنا اى انا جماعة المؤلفين الفاريق يحاول ان ينفذ الخرج عن
 طهره * واني لان من دونهم علمت انه يأت ليلة وهو يفكر في ان كل شى
 اثبتته الصنعة فلا بد من ان تقلقله الاحوال * فمن ثم عزم على القفلة *
 فخرج في الصباح من معزفه واخذ يطوف في الاسواق ويحرك كتفيه
 عند كل خطوة ويقول * لقلبت لاطرحت * لاركسته لادحت * انه انقض
 ظهري اى قرح اى عقر * هل انا اليوم حمار لحمار بالنكر * فراه بعض
 الظرفاء وهو يحرك منكبيه فقال لا بد لهذا من شان فاقبل اليه ولفظ
 له المقال حتى استخرج سره من سترته * وعلم حاله وسبب سفرته * فقال
 له لا عليك فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة * ولكن لا بد للفوز
 بذلك من حركة * قال وای حركة اعظم مما ترى * قال بل الامر دون
 ذلك * الك اذن واعية * وفكرة مدركة وقدم ساعية * قال اجل * قال
 فاسمع اذا ما اقول لك * ان بهذا المصر شاعرا مقلدا من النصارى له وجهة
 ونباهة عند جميع الاعيان * قال ما هذه صفة شاعر وما ارى كلامك الا
 متناقض الطرفين * فكيف فك هذا المعنى وتاويل هذه الاجية * قال لا
 تناقض فانه شاعر بالطبع لا بالصنعة * والفرق بين ذلك ان الشاعر

بالصنعة هو من يتكسب بشعره فيمدح هذا ويكذب على هذا حتى ينال
منهما شيا * فاما الشاعر بالطبع فانما هو الذى يقول الشعر لباعث من
البواعث دون تكلف وانتظار للجائزة * قال ليس هذا الفرق مما ذكره
الآمدى * قال ابعث الامدى الى آمد واسمع منى * قال قد امدته فما
الرشد * قال نصحى لك ان تكتب كتابا الى هذا العلامة وتلتمس منه
فيما تطرى به عليه مواجهته * فاذا تكرم بذلك فاذكر له ج ما انت تعانيه
واستجد به * فلا بد من ان يجيبك * فانه رجل متصف بكارم الاخلاق
ويحب دفدغة الافتخار * ولا سيما انه يرغب فى مجالسة ذوى الادب
وتيسير اسباب معيشتهم * فتلطف اليه فى المقال * وانا ضامن لك ان
تفوز منه بالامال * فشكره الفارياب على نصيحته ورجع الى محله راضيا
مستبشرا * فلما جن الليل اخذ القلم والقرطاس وكتب ما نصه *

اهدى سلاما لو تحمله النسيم لعطر الافاق * ولو جعل للبدر هالة لما اعتراه
المحاق * ولو مزجت به الصهباء لما اعقب شربها صداعا * ولو استشفه
مريض او لقيه لما لقي برحاً واوجاعا * ولو علق على شجرة لزهت فى
الحال اوراقها ولو فى الخريف * ولو سقيه الروض لانبت من كل زهر بهيج
طريف * ولو جعل على اوتار عود لاطربت دون عازف * ولو تغنى به فى
مجلس لاغنى عن المسموم والمعاذف * ولو علق فى الآذان لكان شنوفا *
ولو صقل به سيف كليل لجماء رهيفا * ولو مثل لكان حدائق ورياضا *
وسلسيلا ومحاضا * ولو نيط بالعمائم لاغنى عن التمام * ولو تختتم به
ولها لاجزاء مجزأ السلوان * ولو كتب على رجام لآلهى التاكل عن النواح *
او على خصر هيفا لقام لها مقام الرشاح * او على انف مزكوم لما احوجه
الى السعوط * او على ساق اعرج لكان له من قفزه سبق وفروط * او على

لسان ابكم لانحلت عقدته * او على كف بخيل لهان عليه فى البذل ذهبه
وفضته * او على أجاج لعاد فراتا * او على رمل لانبت الريحان نباتا *
وتحيات فاخرة * ذكية عاطرة * ارق من النسيم * واحلى من التسنيم *
واشهى من العافية على بدن السقيم * واجلى للعين من الائمى * واغلى
للناقد من العسجد * واصفى من المآ الزلال * واعلق بالقلب من امل
الوصال * واشغل للبال * من هوى ذى دلال * وازهر من نور الصباح *
وازهى من نور الافاح * واعبق من شذا الراح * وامن من الجوهر النفيس *
واعز عند البستى من التجنيس * وعند ابى العتاهية من الزهديات *
وعند ابى نواس من الخمریات * وعند الفرزدق من الفخريات *
وعند جرير من الغزليات * وعند ابى تمام من الحكم * وعند المتنبى
من جزل الكلم * تهدى الى الجناب المكرم * المقام المحترم * ملاذ الملهوفين *
مستغاث المضيئين * ثمال المظلومين * ملجأ المهضومين * منهل
القاصدين * مورد الطالبين * ادام الله سعده * وخلد مجده * وبعد ياسيدى
فانى قدمت هذه الديار وانا حامل لخروج قد انقص ظهري * وعيل
به صبرى * ولم اجد من يرحضه عنى ولو قليلا * ولست اجد بنفسى
الى التخلص منه سبيلا * وقد هديت الى نور معروفك فى جنح هذا العباس *
وانبئت انك انت وحدك معتقى من هذا الارتباس * دون سائر
الناس * فهل تسمح لى بان ازور ناديك الكريم * وابث اليك مشافهة
ما بى من البث المقيم * والضرالاليم * فانك اهل لان تاخذ بيد من
لا ناصر له * وان تصطنعه لك بالشفاعة تحقق امله * وتنيله ما امله *
وان تتخذة لك ما عاش رهين شكر * ممنون برك * فهو يرجو ذلك
منك رجاء من لاذ بعقوة فحرك * فان رايت ان تفعل فذلك من

احسانك * وطول امتنانك * والسلام * وكتب عنوانه يشرف بانامل
سيدى الاكرم الاحسب الافخم لاوحد الافضل الاسعد الامثل الارشد
الاكمل الامجد الاجل الخواجا فلان ادام الله بقاءه بالعرز والنعم *
فاما بلغت هذه الرسالة الى الخواجا المذكور وطالع ما فى شرح
السلام من التشابيه المتكلفة لم يتمالك ان صحك منها وقهقهه *
وقال لبعض جلسائه ممن التم بالادب * سبحان الله قد رايت اكثر
الكتاب يتهوسون فى اهدا السلام والتحيات للمخاطب كانما هم مهدون له
عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمان * فتراهم يشبهونه بما ليس
يشبهه * ويغرقونه فى الاغراق ويغفلونه فى الغلوحتى ياتى مبلولا
محروقا * وربما جاوا بفقرتين متماثلتين فى المعنى كقول صاحب
هذه الرسالة لان ثمال المظلومين ملجا المهضومين * ثم اذا انتقلوا
من السلام الى الغرض اجادوا الكلام الى الغاية * وما ادرى ما الذى
حسن لارباب فن الانشأ ان يضعوا وقتهم بهذه الاستعارات
والتشبيهات المبتذلة * وينظم الفقر المتماثلة فى المعنى * مع ان
العالم يتأتى له ان يبدى علمه بعبارة واحدة اذا كانت رشيقة اللفظ
بليغة المعنى * وهذه الف ومائتا سنة قد مضت وما زلنا نرى
زيدا يلوك ما لفظه عمرو * وعمرا يمضغ ما قاله زيد * فقد سرى هذا
الداء فى جميع الكتاب * اما تفخيم المخاطب فى العنوان بالاجل
والامجد والاسعد ولاوحد وما اشبه ذلك فله وجه * وذلك انه لم تجر
العادة فى بلادنا بان يكون تبليغ الكتب على يد البريد * وانما تبعث
مع اشخاص ليست لهم خبرة بالطرق ولا بالديار فانها كما لا يخفى
عاطلة عن التسمية خطأ * فاذا حملها رجل لا يعرف القراءة طفق يسال

كل من لقيه فى الطريق عن اسم المخاطب * فان لم يكن العنوان
دالاً عليه التمس على القارى * فان كثيراً من الناس مشتركون فى الاسماء وان
كانوا مختلفين فى المكارم والاخلاق * فضلاً عن ذلك فقد يتفق
ان مبلغ الكتاب بعد ان يكون قد سال غير واحد عن اسم المخاطب
ووجدهم كلهم اميين * وبعد ان يكون قد اصاع نصف نهارة فى
البحث عن الطريق * فلا يكاد يهتدى اليه الا ويجد عوناً يترصده *
حتى اذا لمح تعلقه وبعثه الى احدى الجهات التى اراد * فيبقى
الكتاب عنده ثم ينتقل منه الى غيره * وربما لقي غيره ما لقيه هو فينتقل
الكتاب الى آخر وهلم جرا * فكان لا بد من الاستقصاء فى العنوان عن
صفات المخاطب * فقال له جلسه اذن يجب ياسيدى ان يذكر فى
العنوان جميع الصفات * فيقال للمخاطب مثلاً اذا كان جميلاً كيتسا
غنياً رشيقاً القدر كبير العمامة عريض الحزام * الجميل الكيس الغنى الى
آخرة * فقال اما وصف انسان بالجمال والغنى فهو من الموبقات له *
واما بغير ذلك ككبر العمامة وعرض الحزام فليس من الصفات المخصصة
اذ الناس فى ذلك سواء * وما خالف ذلك فما اولاه بالاستعمال وستراه
عن قريب مستعملاً ان شاء الله * وهو وان يكن احياناً من المضحكات وذلك
كان تصف رجلاً مثلاً بالزُبَيْتَةِ والكُثْبَةِ والحِطَاوِيَّةَ والشَّرْبُثِيَّةَ والكِرْنِيفِيَّةَ
والزَّهْبِيَّةَ والزُّخْرِيَّةَ والسَّنْطَبِيَّةَ والعُرْزِيَّةَ والعُشْبِيَّةَ والعُطْبِيَّةَ
والجُحُوطِيَّةَ والأَزْطِيَّةَ والسَّنَاطِيَّةَ والفُسْحِيَّةَ والجُهْضِيَّةَ والبرطامية والحِثْرِيَّةَ
الا انه احسن من ايقاع اللبس فى صفات المخاطب * فقد بلغنى ان كثيراً
من الكتب التى تضمنت مقاصد مهمة لما لم يدان عنوانها بالنص والتوقيف
على ذات المرسل اليه فتحت ليعلم صاحبها * فكانت سبباً فى ضرر المرسل

والمرسل اليه * انتهت محاورتهما * واعلم هنا ان الخواجا المذكور لما
بلغته الوكة الفاريق كان مريضا فلهذا لم يجبه على الفور * فبقى الفاريق
ينتظر جوابه اياما حتى اعتقد ان سجه كله ذهب باطلا * اذ لم يكن
يعلم السبب وكان في خلال ذلك دائم الفكر والقلق * فانا لان ادعه
في هذه الحالة منتظر الجواب * وادع صاحبه يتداوى حتى يطيب *
واعرج قليلا على منازل الالقاب والقاب المنزلة المتعارفة

وقتئذ بشرط ان تسمحوا الى بان

انتقل الى فصل

اخر

وهو

*



الفصل التاسع

فيما اشرت اليه



حد القلب عند المشرقين انه هنة نائثة او زنمة او علاوة زائدة متبدلة
تناط بكونية الانسان * وعليه قول صاحب القاموس العلاقي الاقارب
لانهما تعلق على الناس * وعند المغربيين اى الافرنج انه جليدة تُكوّر
فى الجسم * وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة
وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها * فاما الجليدة فلا يمكن
فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى صاحبه * وحاشية ذلك اذ الشرح
لا بد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى * ان الزنمة عند اهل الشرق
غير موروثة الا ما ندر * فان لكل قاعدة شذوذا * والجليدة عند الافرنج
متوارثة كابرا عن صاغر * مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندى
والاغا بل الملك انما هو محصور فى ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى
ولده * فقد يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتباً او نوتياً * فاما
عند الافرنج فلا يصح ان يقال لابن المريكز مريكز او مريكزى * وقد
يجتمع مطلق الزنمة والجليدة فى جهة بقطع النظر عن كون الاولى متناهية
والثانية غير متناهية * وذلك ان اصل كل منهما فى الغالب اُكُل يحدث
فى ابدان ذوى الامر والنهى لهيجان الدم عليهم * فلا يمكن تسكين هذا

الهيجان وحكّ هذا الأكال لا باحداث الهنة او الجليلة * وبيانه ان الملك اذا غضب مثلاً على زيد من الزيددين لذنوب اقترفه * ثم بعث اليه ذلك الزيد بشفيح عريان ليترضاه سكتن هذا الاستشفاع ثورة ذلك الغضب * واختلطت الكيفية الهيجانية بالماهية العربية فانتجتا جليلة لمن كان يخاف سلخ جلده * فتحلى بها بين اقرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول القرون عليه * والغالب فى الجليلة ان تحتاج الى جسمين * جسم مغضوب عليه وجسم شافع فيه * والغالب فى الهنة ان تحتاج الى جسم واحد فقط * ومن الهنات هنات كنائسية وهى على نوعين * ترابية وهوائية * فالترابية ما كان لها مستقر او اصل فى التراب فتسمى فيه وتثمر * وذلك كان يكون جانليق من الجبالقة مستقراً فى دار او دير * وله امرأة على اناس يودون اليه عشورا ونحوه * فهو يامر فيهم وينهى ويحكم ويقضى بحسب الاقتضاء او بحسب ما يعن له * ولا بد وان يكون عنده كاتب يعي اسراره * وطباخ يشد فقاره * وخازن يخزن ديناره * وسجن يحبس فيه من خالفه فى رايه او انكر عليه اطواره * وما اشبه ذلك * والهوائية عكس ما تقدم وذلك كهنة المطران اثناسيوس الشتونجى صاحب كتاب الحكاكة فى الركاكة * فان سيده قلده هذه الهنة ليحكم بها فى مدينة طرابلس الشام * غيرانه ليس فى هذه المدينة احد من اهل مذهبه حتى يودى اليه عشورا او يطبخ له طعاما او يكتب له رسالة * فهو متقلد بها لمجرد الزينة فقط جريا على عادة بعض المتقدمين الذين كانوا يطلقون هنة لاميير * على راعى الحمير * وزنمة الملك * على شيخ قرية عَفِك * والغرض من ذلك كله انفراد شخص عن غيره بصفة ما * واذا قد عرفت ذلك فاعلم ان الخواجا والمعلم والشيخ ليست القابا معدودة فى الهنات ولا فى الجليلات

اذ ليس فى تحصيلها ما يحتاج الى شفيح او اختلاط اكلّى بماهية
عربية * وانما هى خرقة تستر عورة الاسم الذى اطلق على المسمى وهى
غير مخيطة فيه ولا مكفوفة ولا مشرّجة ولا ملفوفة * بل هى كالبطاقة شدت
الى لابستها ليُعرف بها سعة * الا انه كثيرا ما يقع الغلط فى الصاقها بمن
ليس بينه وبينها من علاقة * فاهل مصر مثلا يطلقون لفظة معلم على
نصارى القبط * وكلهم غير معلّم ولا معلّم اذا قلنا انه مشتق من العلم *
فابا اذا كان اشتقاقها من العلامة فلا مشاحة * ولفظة خواجا على غيرهم
واصل معناها كالمعلّم فبقى الاعتراض فى محله * فاما لفظ الشيخ فانه فى
الاصل صفة من اسن * ثم اطلق على من تقدم فى العلم وغيره مجازا
عن تقدم فى السن * فان الطاعن فى السن يستحصى عقله ويستحكم
رايه وان انكره النساء * فنقلت مزيتته الى من باشر العلم * والذى يظهر
لى بعد التأمل ان فى الهنات والجليدات لضررا عظيما على من تحلّى
بها وخلا عنها * الدليل الاول ان المتصى بها يعتقد بمجامع قلبه انه
افضل من غيره خلقا وخلقا * فينظر اليه نظردى القرن الى الآجّم * ويستكفى
بهذه السمة الظاهرة عن ادراك المناقب المحمودة والمزايا الباطنة ويخذ
بها الى البلادة واللذات الموبقة * الثانى انه لو نشبت فيه ربة زحل
يوما من الايام ودارت بدوائره فان لم يجد ذات جليلة مثله لم يمكنه
الجلد مع غيرها * وربما كان يهوى جارية عنده جميلة فى المطبخ او فى
الاسطبل فيحرم منها ابوه او منصبه او اهله او اميره فيقع تعطيل على اهل
الجمال * وهو امر مكروه بل قد جزم بتحريم جميع العلماء * الثالث انه
قد يتفق ان يتزوج بذات جليلة معسرة مثله غير موسرة * فاذا ولدت
له اولادا لم يمكن ان يحضر لهم شيخا يعلمهم فى داره * ويستحصى ان

يبعثهم الى المكتب ليتعلموا مع جملة اولاد الناس * فتغدو اولاده من
العجاوات ويتسلسل ذلك في ذريتهم الى ما شا الله * الرابع ان الهنة
والجليدة تقضيان على المتصف بهما بنفقات لاقة * وتكاليف شاقة *
تنصى به الى التفریط والاسراف * والتهالك والاشراف * وربما اوصلته
اخيرا الى انشطة جبل من مسد * الخامس ان الانسان من اصل الفطرة
ليس له هنة ولا جليدة فاحداثهما فيه بعد ذلك امر مغاير للطبيعة * او في
الاقل من الفضول او من البطر * وهناك ادلة اخرى اضربنا عن ايرادها
خوف الاطالة * فقد تبين لك ان الخواجا المشار اليه كان غير
ذى هنة ولا جليدة * ولعله كان يحصل على

احدهما لولا ميله بالطبع الى

الادب * ولكن

لكل شى

آفة *



الفصل العاشر

في طبيب

صلى الله ما بك من السقم يا خواجا ينصر او مسح او مزح * على حد من
قرا الصراط والسرط والزراط * ومن قال اجعل فديتك بصاقا او بساقا
او بزاقا * انك غادرت الفارياب في وسواس وبلبال * فهو ينتظر
الجواب منك في الغدو والاصال * قال اني ليحزنني كثيرا ان قد بلغني
كتاب صاحبك وانا محموم موجع الراس فلم يمكن لي ان اعجل اليه بالجواب *
وكان بودي لو افعلك ذلك معما كنت اعانيه غير ان الطبيب رسول عزرائيل
منعني من الحركة * ولكن لا بد من ان تسمع قصتي مع هذا القرنان * وهي
اني اتخمت يوما من اكلة برغل اخذتها بحذا فيرها فاصبحت وبى غثيان *
واتفق ان زارني في صباح ذلك اليوم بعض الامراء الذين ينبغي ان
يقال لما اثبتوه نعم في موضع لا ولما نفوه لا في موضع نعم * فراني على
تلك الحالة فقال ما بك * فاخبرته الخبر * فقال عليك بطيبي الساعة
فهو امهر الاطباء لانه قدم من باريس منذ ايام * ولولا ذلك لما اتخذته
طيبيا لي ولاهلي * قلت من عادتني ان اصبر على المرض الخفيف اياما
واستعين على معالجته بالاحتماء والتوقي فقد يكون في ذلك ما يغني عن
العلاج * فاني ارى هؤلاء الاطباء يعالجون الامراض بالخرص والتخمين * فما

يهتدون الى العلة والمعلول لا بعد ان تبلغ الروح الحلقوم * فيجربون مرة دواءً ومرة اخرى غيره * قال لولا ان المرض قد بلغ منك ما قلت هذا الكلام فلا بد من احضاره لان * وما زال بى حتى بعثت اليه خادمي حياً ونجلاً * ثم خطر ببالي ان الآدب عندنا من فرط كرمه قد يجبر المادوب على الاكل * وربما القمه بيده ما تعافه نفسه * ولكن لم اسمع ان احداً تكبرم بان يجبر غيره على علاج * فلم اتمالك ان ضحككت * قال ما اصحكك * قلت لاشئ * قال ما احد يصحك من لا شئ فلا بد وان يكون هناك شئ * قلت فكثرت فى ذلك الطبيب الذى عاد مريضاً فقال لاهله آجركم الله فى مريضكم * فقالوا انه لم يميت بعد * قال يموت ان شا الله * فضحككت * قال لا عليك فان هذا الطبيب ليس مثل ذاك * وبعد فانك عزب ليس لك اهل حتى يقول لهم ذلك * ثم ما عثم الخادم ان جا به وهو اشد منى مرضاً ونحولا * فالظاهر انه لم يكن له شغل حتى يخرج من دارة * فلما ان دخل جس نبضى ونظر الى لسانى ثم زوى ما بين حاجبيه واطرق الى الارض وهو يهتس اى يحدث نفسه * ثم رفع راسه وقال لخادمي هات الطست * قلت ما تريد ان تفعل وانا صاحب جثتى افلا تشاورنى * قال انه الفصد او الرس * قلت هداك الله يا شيخ انها اكلة برغل مع اللحم مما تسميه الناس كبيبة * قال انا اعرف ذلك انا اعرف * انكم يا اهل الشام كلکم تموتون بهذه الكبة * فقد شيعت بها حين كنت فى بلادكم اكثر من مئة جنازة * نعم هى الكبة * قلت فى عجمانك ان شا الله * قال لا تدخل الكبة فى عجبنى مطلقاً * فالتفت الى الامير وضحككت فظهر لى انه هو ايضا لم يفهم * وفى الاختصار فانه ما زال هو والامير يخطآن رابى حتى استسلمت للهلكة ومددت يدى * فاعمل فيها مبضعه اعمال السكين

فى بطيخة * فخرج الدم متبعقا حتى دخل فى عينيه فاطلق يدي وذهب
ليغسل وجهه * ثم جآ بعد هنيهة وقد غشى على * فتداركنى خادمى بمآ
الزهر وغنيرة ولا مير ناظر الى دخان تبغه والطبيب يسارة * فلما افقت
ربط يدي وخرج مع لامير وقالوا احترز لنفسك فاننا نعودك عن قريب *
فقلت فى نفسى لا اعادكما الله * فلما كان الغد جآ الطبيب متابطا
اعشابا * فقلت ما هذه الاعشاب * قال حقنة قلت تكفينى واحدة *
قال ان الامير ~~يول~~ لك ينبغى ان تحتقن ان لم يكن لنفعلك فلاكرامه *
فقلت فى نفسى لا باس باكرامه فى الحقنة * لا انه قد خالى العادة
مرة اخرى فان عادة المزور ان يحلف الزائر باسم الله واسما ملكته ورسله
وكتبه واليوم الآخر وبالبعث ان ياكل او يشرب شيا على اسمه * وهذا
زائر يلح على بالاحتقان * ثم استعملت الحقنة * ثم وافانى اليوم القابل
ومعه حقنة * فقلت وما بيدك * قال مسهل مما اصنعه للامير * فاستففت *
ثم جانى فى الغد وليس بيده شى * فاستبشرت وقلت له قد وهنت
منى القوى بقوة المسهل * قال ينبغى ان تتخذ اليوم حقا ما فى غاية
السخونة لكى تعرق وقد جربتته فى ذوى الامير فوجدته بعد المسهل
انفع ما يكون * ثم تولى هو بنفسه تسخين الماء وانزلنى فى مغطس كنت
اتخذته لنفسى * فلما دخلته لفحنى حرة حتى غشى على بعد ان سمط
جلدى * فأخرجت منه على رُمق من الحياة * فتداركنى خادمى بالمشومات
حتى افقت * ثم جانى فى الغد وليس بيده شى ففرحت ايضا وقلت
لعله قد نفذ ما فى وطاب علاجه وكان الحمام آخر ما عنده * فسالتنى
عن حالى * فقلت هو كما ترى * قال عليل * قلت ولتى عليل * قال
ينبغى ان تفصد * فسقط على كلامه كجلود صخر حطه السيل من عل *

وقلت كانك تهتم باعادة ما صنعته أولاً فمتى ينتهى هذا الدور * قال لا
بد ان احد هذه العلوج (جمع علاج) يزيل ما بك * قلت اجل اما الاول
فهو انت واما الثانى فهو دى او روحى * ثم تجلّدت وتمنعت وقلت
له قل للامير انى والحمد لله عزب فلأى سبب يحاول تفسيرى سرى فلم
يفهم * وقال انى اريد ان افصدك لا ان انقل عنك * قلت فانا لا
اريد فارحنى اراحك الله * فاولانى كشفه وولّى * ثم لم يلبث ان بعث
الى برقعة الحساب وتقاضانى فيه خمسمائة قرش * فانه زعم ان عنده
ناسا فى الريف من الفلاحين يجمعون له تلك الاعشاب مع انها مما
ينبت على حيطان ديار القاهرة * وما كفاه ذلك حتى توعدنى بانى اذا
تأخرت عن قضائه كما تأخرت عن الفصد الثانى يرفع القضية الى ديوان
قنصله * فنقدته المبلغ المذكور بتمامه وقلت لا بارك الله فى الساعة التى
ارتنا وجوه العجم وادبارهم * وها انا اليوم والحمد لله احسن حالا * ومرادى ان
اجتمع بصاحبك * ولكن لا بد من اكرامه قبل الزيارة * ثم انه امر غلامه
بان ينتقى تختا من الثياب الفاخرة وان يتوجه بها الى الفارياق * فانه
كان وقتئذ مبرنطا * ثم كتب له رسالة وجيزة مع ابیات قليلة تتضمن
استدعاءه الى مجلسه فى اليوم القابل * وتفصيل ذلك ياتى فى الفصل التالى *



الفصل الحادى عشر

يے انجامز ما وعدنا به

كان للفاريابى صاحب من الديار الشامية يتردد عليه * * فلما وفد الخادم بالرسالة وتخت الثياب كان هو حاضرا * فقال للفاريابى انا اذهب معك الى الخواجا ينصرف فقد سمعت بذكره غير مرة واحب ان اراه * فقال له الفاريابى ولكن لعل فى الآزوا آساة ادب فى حق المَـزور * (١) فان المدعو لا يليق به ان يستصحب احدا معه * قال لا بأس فان هذه عادة الافرنج فاما فى مصر فيمكن للمدعو ان يستصحب ايا شاء * والمستصحب ايضا اذا لقي واحدا فى الطريق من معارفه ان يستصعبه * ولهذا ايضا ان يستصحب آخر والاخر آخر حتى يصيروا سلسلة اصحاب * بحيث لا يكون فى السلسلة حلقة انشوية * وكلهم يكلمون المَـزور من دون محاشاة وينالون منه الاكرام ويترحب بهم * ولا يمكن ان يسال احدا منهم فيقول له وانت ما حاجتك واى كتاب وصاة عندك الى * وما اسم زوجتك او اختك وما سنهن * وفى اى خارة يسكن كما تفعل اصحابك الافرنج * فلا تخش من الرجل جُـبها * وبعد فان لنا عليه دالة الادب * فهى تغنيننا عن دالة النسب * فاجابه الى ذلك وسارا اليه معا * والفاريابى يرفل بشيابه وقد اتخذ له عمامة كبيرة * فتذكر يومئذ عمامته بالشام وسقطته تلك المشؤمة *

(١) ازوى الرجل
جآ ومعه آخر *

فلما استقروا بمجلس المشار اليه بعد الترحيب والتلقى بالبشر والبشاشة * وبعد
معاينة اوحشتنا لآنستنا * ومداركة آنستنا لاوحشتنا * ومواترة سلامات
طيبين * وموالة طيبين سلامات * كما جرت العادة عند الخاصة والعامة *
قال الخواجا للفارياق قد سرتنى قدومك الى هذه الديار والله سبحانه
وتعالى قد اسبغ على نعمته لاشركك فيها * فقد قال الشاعر

قالوا البعال الذى يشتهى فاجبتهم هذا ضلال بيت
اسداً معروف الى ذى حاجة اشهى وابقى وهو امرهتين

على انى لا اقول ان بك حاجة الى لكنى لحننت من شكاوك انك محتاج الى ذى
مروة يواسيك او يسليك او يتوجع * وقد وجب على القيام بما يسليك ما
انت معانيه * سواء كان ذلك بالمواساة او بالنصيحة * ولا سيما انه قد
ظهر لى انك منشغ فى طلب العلم * وقد عانيت القريض * ولكن فى كلامك
ما انتقدته عليك * وليس هذا وقت نقد وتقييد * وانما اسالك اى
كتاب من الادب قرأت * فابتدر صاحبه وقال قرا كتاب بحث المطالب *
فقال له لقد عجلت فى الجواب * فان هذا الكتاب فى النحر لا فى
لادب * لا انكم ياتلاميذ الجبل تحسبون ان من قرا هذا الكتاب فكانما
قد استوعب العربية كلها دون افتقار معه الى شى من كتب اللغة ولادب
والشروح * وان الطالب منكم اذا اراد ان ينمق كتابا او خطبة فانما
يستعمل بعض اسجاع مبتذلة ساكنة الروى * خيفة ان يلتبس عليه المرفوع
بالمنصوب * ويتطال الى بعض استعارات باردة * وتشبيهات جامدة *
حشوها الالفاظ الركيكة والمعانى المتقلقلة من دون معرفة ما يستعمل من الفعل
ثلاثيا او رباعيا * وما يتعدى به من حروف الجر * فعند قوله هذا تذكر

الفاريق قول المطران لقيعرقيعار واولجت فيها * فذكرها للخوaja
المذكور فغلب عليه الضحك حتى فحص الارض برجله * ثم قال نعم وان
لفى كتب الكنيسة كلها اغلاطا فاصحة من هذا النوع * فقد قرأت في
كتاب منها عن بعض الرهبان انه كان من التواضع على جانب عظيم حتى
انه كان كلما مر عليه رئيسه يقوم وينتصب عليه * اى له * وعن آخر انه بلغه
عن راهبة ما انها كانت ذات كرامات ومشاهدات * فكان يستمنى دائما ان
يراها * اى يتمنى * وعن آخر انه كان خرج من ديرة وغاب عنه مدة
طويلة ثم رجع فوجد رئيسه الاول قد مات وولى رئاسته احد اصحابه *
وانه بعد ان تفاوضا وتباشرا قلده الرئيس خدمة تهيب الرهبان ليلا *
اى ايقاظهم من هب اذا قام * وعن بعض المطارنة انه كان اذا وعظ في
الكنيسة ينتعظ له كل من يسمعه * اى يتعظ * وغير ذلك مما لا يحصى بل
قد ورد في الانجيل وكلام الرسل كلام فاسد المعنى ومنشاء فيما اظن
جهل المعربين * فمن ذلك ما ورد في انجيل متى خطابا عن المسيح
عم * احذروا لا يضلكم احد فانه سيأتى باسمى كثيرون قائلين انا هو
المسيح فلا تصدقوهم * والمراد ان يقال ان كثيرا ينتحلون اسمى فيدعى
كل منهم بانه هو المسيح * وشتان ما بين الكلامين * وفي رسالة مار بولس
الى تيموثاوس * ولتكن الشماسة ازواج زوجة واحدة * ومقتضاة اشتراك
الشماسة فى بضع واحد * معاذ الله ان يكون كلامى هذا ازدرآ بالدين
وانما اوردت ذلك شاهدا على جهل من عرب والى من اهل ملتنا * نعم
ان بعض المطارنة قد الفوا تاليف مفيدة جودوا عبارتها وحرروا معانيها *
لا ان الجمهور من اهل الكنيسة جهال اغبياء لا يعجبهم لا الكلام الفاسد
الركيك * ولقد افضى بنا هذا الاستطراد الى غير الغرض * فلنعد الى ما كنا

بصدده وهو اسعافك ايها الحديد بما يريحك من حمل الخرج * هل لك
 فى ان تكون كاتباً ضد رجل من السراة الاغنياً يريد ان ينشى ممدحا
 يكتب فيه بلغات مختلفة مساعيه ومعاليه * فيكون شغلك فيه فى كل يوم نظم
 بيتين او اكثر بحسب الاقتضاء * قال فقلت انى ياسيدى ما بلغت
 من العلم ما يوصلنى الى هذه الرتبة * ونحن هنا فى بلد العلم والادب
 فاحشى ان يتصدى لى قوم يزيفون كلامى ويخطئوننى * فاحجل والله
 بعدها من ان انظر الى وجه مخلوق من البشر * فانى رجل احب الخمول
 وان بضاعتى فى ذلك لمزجة * قال لا تخش من ذلك فان اهل مصر
 وان كانوا قد نقصوا حد العلم وبرعوا فى الفضل والادب على غيرهم * لا
 انهم لا يتعنتون على الناظم او النائر بلفظة يخل فيها عفا * او بمعنى
 يخطى فيه سهوا * فانهم اهل سماح ومياسرة * على ان من نبغ فى الشعر
 ان لم يلق من ينتقد قوله مرة ومن يخطئه اخرى فلا يمكنه ان يصل
 الى مرتبة الشعراء المجيدين * ولو بقى ينظم ابياتا ويدعها سمعه فقط لما
 عرف الخطا من الصواب قط * فلا يكاد احد يصيب الا عن خطأ * وقد
 جرت العادة بين الشعراء بان ما يستهجنه بعضهم من المعانى والالفاظ
 يستحسنه البعض الآخر * فلا يزال الشاعر والمولى بين اثنين عاذل
 وعاذر * ومخطئ ومصوب * ومفسق ومبرى * ومعترض ومناضل * ورائق
 وفائق * وممزق ورافئ * وخارق وراقع * وحاضر ومسوغ * ومضيق وموسع
 وقائل لم وقائل لأن * حتى ترجح حسناته سيئاته * وتتداول الناس ابياته *
 وقد طالما حاول الشهرة اناس بالقول المردود * والكلام المقصود * فمنهم
 من نظم ابياتا مهملة اى عارية عن النقط فاهملت * ومنهم من التزم فيها
 الحبك بان يجعل فى اول كل بيت منها حرفا من حروف اسم الممدوح

فتركك والغيت * ومنهم من جعل دابه التجنيس والتوريات البعيدة فردت
وزيفت * واكتفوا من ذلك بمجرد الشهرة بين قومهم ولم يبالوا بالتعرض
للوم والسفنيذ * وانى اعيزك من ان تعدّ فى جملة هؤلاء * فانى رايت
فى انشائك نزوات افكار لطيفة تدل على قريحة جيدة * وسليقة متوقدة *
وبعد فمن ذا الذى ماسآ قط * قال فقلت والله ان لك على لمنين
عظيمين * لاولى عنايتك بمعاشى * والثانية تنشطك اياى الى النظم *
فقد كنت جزمت بان لا اقول الشعر الا مكتوما عن الناس وها انا لك
ياسيدى من الشاكرين * وبكرمك من الزائرين * ثم

انصرف من عنده داعيا له وقد اصمر

مفارقة الخرجى

فى اليوم

القابل

*



الفصل الثانى عشر

في أبيات سرية

لم يكن لصاحبنا الفاريق عند الخرجى من الاثقال الا جثته فقط * فلذا
 تابط طنبوره ووضع دوانه فى حزامه وقال له * قد اغانى الله وارانى طريقا
 غير التى طرقتها لى انت وحزبك الخرجيون * فانا اليوم مفارقتك لا
 محالة * قال كيف تفارقتى ومساكات اليك فى شى * قال هذا الطنبور
 يشهد عليك بانك سوتنى * قال ان العازف به لا تقبل له شهادة فكيف
 تصح شهادته هو مع كونه سببا فى جرح شهادة صاحبه * قال بل تصح
 كما صحت شهادة جبرابانك * وانه لينطق بمساويك كما نطقت
 جذك * ويدك حصون عناقيتك كما دك المدن بوق ربيبك * قال ما
 هذا الكلام * قال وحى والهام * قال لا باس فى ان تعزف به فقد علمت
 ان الخادم عن حسد شكاك * قال بل انى عازف به عند من يقولون لى
 زد ويعاد واحسنت والله * لا عند عجم لا يذكرون اسم الله الا فى الابتهاال *
 قال قد خلطت واشططت * قال قد قرطت وقسطت * قال انك كنود * قال
 انك من اليهود * ثم ولى عنه وهو سامد الراس جاحظ العينين من الغيظ *
 وسار واكثرى محلا آوى فيه الطنبور وتوجه الى الممدح * فما استقر به
 المجلس لا وورد بشير اليه وبيده رقعة فيها بيتان يراد ترجمتهما *

فلما عُرِضا على مترجمي اللغات العجمية وادّيت ترجمتهما الى جهبذ
 الممدوح انتهت النوبة اخيرا الى الفاريابي * فاخذ القلم وكتب
 ركب السرى اليوم خير جواده ياليتنا منا امتطى اكتافا
 اذ ليس فينا رامي او رافس بل كلنا يغدو به رفافا
 فلما قابل الجهبذ هذين البيتين بالاصل وجدهما يشتملان على المعنى
 اشتمال البطن على الجنين او الامعاء على العفج * مع عدم الحشو بالالفاظ
 التي يستعملها الشعراء غالبا لسد ما في ابياتهم من الحلل * فاعجب بهما
 جدا وقال * هما حريان بان يفضلنا على الترجمة العجمية * فاني لا ارى فيها
 لا معاطلة لالفاظ ولكن لعل هذه عادة القوم فدعهم وعاداتهم * غير انه لما
 اشتهر البيتان عند اهل النقد اعترض بعض ان قوله رامي او رافس من
 الالفاظ المترادفة فتكون الاولى او الثانية لغوا * فالاولى ان يقال جامع
 او رامي وفيه مع ذلك سجع * واجيب بان للفظه رامي معاني كثيرة منها
 الثور له قرنان واسم فاعل من رمح اذا طعن بالرمح او صار ذا رمح *
 ورمح البرق لمع * ورد بان الثور ليس له مدخل هنا بقرنيه * فان الناس
 لا تركب الثيران وان اشار اليه المتنبي في الغبب * واسم الفاعل بمعنى
 طاعن لا يناسب المقام * لان المركوب لا يكون طاعنا * ثم ورد في اليوم
 القابل بشيرتان معه رقعة فيها بيتان اخران فقال الفاريابي
 قام السرى مبكرا لصبوحة فارتجت الارضون من تبكيره
 او ما ترى ذى الشمس من شباكه مدت اليه شعاعها لسروره
 فاعترض على البيت الثانى انه غير لفق للاول * واجيب بانه متفرع عليه
 ومرتبطة به * لان الارضين لما ارتجت وخشى العالمون سطوته ترزته
 الشمس بشعاعها * ورد بان ترضى الشمس كان متراخيا عن ارتجاج الارضين

فلا يفيد * واجيب بان الترتضى حاصل على اى حال كان * فان الشمس لا
يمكنها ان تطلع قبل وقت الطلوع * وصحك قوم من هذا التعليل * ثم ورد
فى اليوم الثالث بشير آخر فقال الفارياب

نام السرى مهناً بالامس لم يخطر بخاطره الشريف هموم
ان نام نامت امة الثقلين او ان قام قامت والكبرى جريم
فاعترض على لفظة الثقلين انها ثقيلة * وان امة حقها ان تكون ائمة *
ورد بان اللفظة خفيفة ولا عبرة فى كونها مشتقة من الشغل * ثم ورد
فى اليوم الرابع بشير آخر فقال

شرب السرى فحل شرب السكر فاستغن عن فتوى الفقيه المنكر
واذا اصر على الخلاف محرم فاعمد الى حد الحسام لا بتر
فاعترض عليه انه مبالغة قبيحة تفضى الى الكفر وتعطيل الشرع * واجيب
عنه بانه طبق الاصل * ثم ورد فى اليوم الخامس بشير آخر فقال
خرج السرى مع السرىة ماشيا غلسا الى الحمام كى يتنعما
من كان يدعك مرة جسميهما خلقت يداه على المدى ان تلثما
فاعترض عليه ان الاولى ان يقال ماشيين * ورد بانه لا محذور منه فان
السرى هو الاصل بدليل تغليب ماشيين * ثم اعترض ان الافصح ان
يقال جسمهما او اجسامهما * واجيب بان الافصح لا ينفى الفصح * ثم
قيل انه ارتكب ضرورة بحذف حرف الجر فى المصراع الاخير اذ حق
الكلام ان يكون خلقت يداه بان * على ان تشنية اليد هنا لا معنى لها
فان الداعك لا يدعك بكلتا يديه * واجيب بانه لا مانع من حذف الجر
مع أن * وان التشنية للايذان بان كل الجوارح مخلوقة لخدمة الممدوح *
ثم ورد فى اليوم السادس بشير آخر فقال

خلع السرى اليوم نعليه على مثن عليه مبالغ في مدحه
فاستبشروا ياعصبة الشعراء من هذا السخاء بيمنه وبسنحه
فاعترض عليه بان اليمن والسنح بمعنى واحد * واجيب بانه كقول الشاعر
والفى قولها كذبا ومينا * ثم ورد فى اليوم السابع بشير آخر فقال
حك السرى اليوم اسفل جسمه باظافر ظفرت بكل مؤمل
فالناس بين مصفر ومزتل ومدفئ ومزمر ومطبل
فاعترض عليه صرف اظافر * واجيب بان ذلك غير محطور لاسيما وقد وليها
قوله ظفرت * ثم ورد فى اليوم الثامن بشير آخر فقال
طوبى لمن فى الناس اصبح حالقا راس السرى لاحلس الماحوسا
لا زال محفوا بلطف الله ما حلت له شعرا شريفا موسى
فاعترض عليه بان الماحوس غير وارد فى صفة الراس * واجيب بانه لا
باس به هنا للجناس * ثم قيل ان محفوا مع ذكر الراس ثقيلة * واجيب
بانها خفيفة بالنسبة الى راس السرى * قلت وكان الاولى ان يعاب عليه
قوله طوبى لمن * فانه مطلق لا يفيد ان السرى خلق راسه فى يوم
معيّن * غير ان الجناس فى المصراع الثانى شفع فى البيت كله * ثم ورد
فى اليوم التاسع بشير آخر فقال

بسم الزمان عن المنى وتنورا لما استحتم سرتينا وتنورا
ان المعالى من اسافله زهت والشعر بالشعرا اكسب مفخرا
فاستحسن هذان البيتان جدا لما فيهما من المطابقة والجناس التام
وغيره لا قوله مفخرا * ثم ورد فى اليوم العاشر بشير آخر فقال
قحب السرى واى شهم ماجد بين البرية مثله لا يقحب
ذى سنة فرضت على كل الورى ان المخالف منهم ليصذب

فغيب عليه لفظة قحب واجيب بانها فصيحة بمعنى سعل * ثم ورد في
اليوم الحادى عشر بشير آخر فقال

عطس السرى فكلنا يبكى دما وارناعت الارصون والافلاك
حرس الاله دماغه عن عطسة اخرى ثموت برعبها الاملاك

ثم ورد فى اليوم الثانى عشر بشير آخر فقال

فسى الامير فائى عرف عاطر فى الكون فاح وائى مسك ديفا
ياليت اعضا العباد جميعهم تغدو لنشوة ذا العبير انوفا

فغيب عليه قوله فسى * اذ التكثير هنا لا معنى له * واجيب بان القليل
المنسوب الى السرى كثير * وعليه بظلام للعبيد * فان ادنى ما يكون من
الظلم فى حق البارى تعالى كثير * ثم ورد فى اليوم الثالث عشر مبشران فقال
حبى السرى اليم فى وقت الضحى والجو اذ كن ليس يسفر عن شرق
فتعطرت ارجاونا باريجيه فكان من حبق له عرف الحبق
فاستحسننا لما فيهما من التجنيس * ثم ورد فى اليوم الرابع عشر مبشران
اخران فقال

قد أسهل اليوم السرى فكلنا فرح ففى اسهاله التسهيل
فاستبضعوا خزا اليه مطرزا وتسابقوا ان البطى قتيل

فاستحسن البيت الاول للجناس * وعيب عليه قوله مطرزا * اذ التطريز
هنا لا موجب له بل فيه ايلام * واجيب بانه طبق الاصل * وان حق
الترجمة ان لا تزيد على الاصل المترجم منه فى المعنى ولا تنقص عنه ولا
سيما فى الامور المهمة الخطيرة * وقد كان يجب ان يعاب عليه قوله
فكلنا فرح وان علله بقوله ففى اسهاله التسهيل * اذ المتبادر ان التسهيل
مسبب عن حنف الممدوح وكان الجناس شفع فيه *

ثم ان الفاريق بعد انقضاء هذه المدة الذكية رأى من الواجب ان يزور صاحبه ويخبره بما جرى له * فلما تشرف بمجلسه ساله الخواجا عن حاله * فقال له قد كنت اود ياسيدي ان ازورك قبل الان لكن خشيت ان يعلق بناديك اثر من الراحة التي شملتني * فقال له لا ضير في ذلك ولا سيما اذا تعودت عليها * وان ناديتي لا يبرح كل يوم يعقب به امثالها من زيارة امثال السرى وهذا شان امّ دُفار * ولكن كيف حالك من جهة المعيشة * قال قد اكرتيت لى دارا صغيرة واشترت حمارا * واتخذت خادمة لتصلح لى الدار * وخادما ليصلح الحمار * وانا لان بجاهك وفصلك فى احسن حال ثم انصرف من عنده داعيا له *

(سّر بينى وبين القارى)

قد كان طبيب الجزيرة نصح للفاريق ان يجانب النساء اى يبتعد عنهن لانه يلصق بجنبهن فان فى قربهن حينا له فالفى قوله كذبا ومينا *



الفصل الثالث عشر

في مقامة مقعدة



لا يمكن لي ان ابيت الليلة مستريحا حتى انظم اليوم مقامة * فقد عودت
قلمي في هذا الموضع موالاة السجع * وترصيع الفقر الرائعة للعقل الرائقة
للسمع * الشائقة للطبع * فاقول *

حدث الهارس بن هثام قال * بينا انا امشي في اسواق مصر واسرح ناظري
في محاسنها * واتهافت على النظر الى جمال شوافنها * فتدركني جمال
مدانها * فالطأ بقرار حائط واضبأ بآخر * واجعل يدي تارة على عيني
وتارة على ما هو اصغر منها او اكبر * اذ اوما الى فتى من حانوت له *
عليه لوائح هية ومنزله * وخوبة في الترائب متخلله * غير متخلله * فقال ان شئت
ان تصعد الى هنا الى ان ينفص زحام الابل * وتنساع غصة هذا الازل
الازل * فانك لدينا لمن المقربين * واني باكرامك لقمين * فوجدت
دعوته كدعوة الداعي بحى على الفلاح * وقلت ما يابى السماح * الا من
فاته الصلاح * وعيه عن النجاح * كيف لا وقد اوشكت جوارحي ان تعود
مجروحه * وضاق باحمال ابلكم الارض وهي فسيحه * فابتسم ابتسامة
اسفرت عن لحن للقول سريع * وطبع الى ايلاء المعروف ذريع * ثم صعدت
اليه فوجدت عنده نفرا عليهم عمائم مختلفة * ولهم وجوه مؤتلفة * فلما

سلمت متودداً وتبوات ما بينهم مقعداً * قال رب الحانوت هل لك فى
ان تنتظم معنا فى سلك جدال قد شغلنا من الضحى * وجعلنا له الآذان
كثفال الرحى * فهو دائر على كل متا بالمناوبه * ومستدر ك ختامه بأوله
بالمعاقبه * دون ذرك ومعاقبه * اذ ليس فيه افضاً الى البحث في
الاديان * وانما هو امر مباح لكل انسان * فقلت ان كان مرجعه الى العقل
فقد كلفتمونى إذا * وشططتم فى انتظامى معكم جداً * اذ لست بصاحب
اسفار * بل حليف تطواف واسفار * وان كان الى الطبع فان بى لطبعاً
سليماً * وخلقا قوياً * قال هذا الثانى هو مركز دائرته * وفيصل محاورته *
قلت فاملاً اذنى اذا من جدالك * وألقى على اعدال عدالك * قال اعلم * فرج
الله عنك كل غم * انى انا والحمد لله من المسلمين المومنين بالله وبرسوله *
وبوحيه وتنزيله * وان صاحبه هذا الودود * وأشار الى احد القعود * هو
من النصارى والآخ من اليهود * والآخ ائمة ما له اعتقاد ولا جود * وأنا
قد تنازعنا كاس البحث فى الزواج * وافضنا فيه كما تفيض من عرفات
الحجاج * اما النصرانى فانه يزعم ان طلاق المرأة مفسدة من اعظم المفاسد *
ومندمة تمنى المطلق بالنقص والمكايد * ووجه فسادها على مقتضى زعمه *
وقدر فهمه * ان الزوجة اذا علمت انها تكون عند زوجها كالممتاع المنتقل *
وكثوب المبتذل * موقوفة على بادرة تفرط منها * او هفوة تنقل عنها * لم تخلص له
سريرتها * ولن تمحص له مودتها * بل تعيش معه ما عاشت فى انقباض
وايجاس * ووحشة وابتناس * ونكد وياس * وتدليس والباس * واذا
انزلته منزل مبتاعها * واعتقدت ان متاعه غير متاعها * وانه لا يلبث
ان يلاعنها او يبارئها * او يخالعهها او يكسوها ثياب التَّجَمَّة * ويقول لها
الحقى باهلك * او استفلحى بامرك * او انت على كظهر اتمى * او

جبلك على غاربك * وعودى الى كناسك * عند اهلك وناسك * فما انت
 لى باهل * وما انا لك ببعل * لم تحرص له على حاجة ولا على سر * ولم
 يهتبا ما ينزل به من الشر * وربما خانتته فى عرصه وماله * وكادت له
 مكيدة فضحتته بها بين اقرانه وامثاله * وهناك محذور آخر * ادهى وانكر *
 وانكى واضر * وامض وامر * وهو ان المرأة اذا فركت زوجها بان رأت منه
 ما تخاف غائلته * لم يهتبا ان تربي عياله او تستكفى عائلته * فان المرأة
 لا تحب ولدها الا اذا احبت بعلمها * ولا تحب بعلمها الا اذا ادام وصلها *
 وآتاه سؤلها * ومن كان له زوجة لم يؤلها فواده * ولم ينخل لها وداده *
 فالتخذته عدوا خصيما * لا اليها حميما * فهو جدير بان يرثى له شامته *
 ويرجع عنه سامته * فان صدره والحالة هذه مورد الشجون * ورأسه منبت
 القرون * ومنزله منزل الاكدار * وحالته فى الجملة حالة اهل النار * الا انى
 اعترض على مذهب من حظر الطلاق * وتقييد بزوجه دون اطلاق * بان
 الزوجة اذا علمت ان جسم زوجها قد أدم فيها * واصبح سره فى فيها *
 فصارا فردا لا زوجا * سوا هبطا وهدة او صعدا اوجا * وانه لا يفك هذا
 الالتحام الا بمقراض الحمام * ولا تحل عقدة هذه الكينة * الا بالحلل جميع
 اجزاء الطينة * وانها اذا مرضت مرض هو معها * واذا رأت رايها فلا بد له
 من ان يواطئها عليه ويجامعها * نشزت عليه وتثمرت * وطغت وتجبرت *
 فتارة تسومه شرا لباس وحلى * وتارة تتعنت عليه بامر تذيبه فيه الصلّى *
 فويل له اذا حبا * ثم ويلان اذا أبى * وان غاب عنها ليلة قامت قيامة
 كيدها عليه * وان تشاغل عنها بامر له فيه نفع جرّت جميع المضار اليه *
 فدابه التودّد اليها والتملق * والمداراة والترفق * ومجاملته لها اذا جفت *
 ومخالفتها اياها اذا انفت * وتأنّسه معها اذا تذكرت * وتضععه منها اذا

تشترت * وهل يطيب عيش لمن علم انه طوع لهوى غيره * وان لا مناص له من صيرة * فاما شان الاولاد * وهو الداعي الى تحمّل هذا الكُباد * فان الزوجين اذا كانا على حالة النفور والعناد * والخلاف والجداد * لم تكن تربيتهما لولدهما الا اغراءً بالاعتدأ بهما * وتدريباً على الفساد بسببهما * فيكون اهمالهم من غير تربية عند طلاق امهم أولى * وان الوفاق هو المصلحة الاولى * على انا نعلم من التجربة * منذ سنّ الله تعالى الزواج وحبيبه * ان المرأة اذا علمت ان لزوجها استطاعة على طلاقها * وتملصاً من وثاقها * حرصت على ان تتحجب اليه وتلاينه * وتياسره وتخاذنه * وتخالقه وتداريه * وتتلافاه وتراضيه * وتجاهله وتسانيه * خيفة ان يتنصص عيشها بفراقه * او تحرم من خلاقه * فان لم يحصل بينهما الوفاق * فالطلاق الطلاق * وراى صاحبنا هذا اليهودى قريب مما رايت * فلا يخالف الا فى اسباب الطلاق وهي كيت وكيت * فاما صاحبنا الآمعة * فانه متردد فى هذه القضية المنكعة * فتارة يقول ان الطلاق ادعى الى الراحة * وتارة انه موجب لنكد العيش وصفق الراحة * وطورا يزعم ان المتعة او الزواج الى اجل مستى اوفق * حتى اذا انقضى يجدد العهد بينهما ويوثق * الى ان يتفارقا عن تراض * ويقضيا لهما وعليهما ولا قاض * فهو اخف على الشَّبع * وانفى للحرج * وان يكن يفعله بعض الهمج * وحينئذ يقول بل التسرى اسر * واهناً واقراً * ان لم يكن من القرينة مفرّ * واونة يختار لاقتصار على خويمة رُعبوبة * وآونة على وحدة العزوبة * والتناول مما تنفِزه به الفرص المرقوبة * واخرى على جب الآلة * ان كان الحب ينحى من الحباله * قال وذلك انى صعدت فى درجات هذه الخطّة ونزلت فى دركاتها * وعانيت صروباً من اخطارها وهلكاتها * فوجدت عند كل درجة منها مهواة تغيب فيها

الاحلام * وتضيع الافهام * وتنهى القوى * ويستطاب النوى * ويصغر كل
عظيم من البلاء * حتى كان هذه الحاجة ليست من الخوج فى شى * وما
لها به من صلة لحي * فهي داء لا آسى له * وثوب قشيب مسموم يسر
ناظره وحامله * لكن يقرح احواله ومفاصله * وكل امر فى الدنيا فانما
يصح قياسه على عقول الكيسى من الناس * ويعالج بالصبر او الياس * لا هذه
الخوبة فان المرجع فيها الى الطباع * ولا يفيد معه رشد ولا زماع * ثم ان
انيس الثكلى * وقال واني ازيد على ما قاله لامة قولا * ولا اخشى من
احدكم عذلا * فاقول ولكم تصدعت قلوب من ذلك الصدع * واشتقت
من ذلك الوماح مشاق لا يطيقها طبع * وكم من رؤس لاجله دعت ورضت *
وعقول افنت وحرضت * واعناق دقت * وعيون لقت * واسنان هُتمت *
وانوف شربت * وشعور ندفث * ولحي نثفت * وايدٍ قطعت * وانساب
ضيعت * وكتائب كتبت * وكتب كتبت * (حاشية من جملتها هذا الكتاب)
وخيل ركضت * وسيوف ومضت * ورماح شرعت * واحزاب تترعت *
وجبال دكت ونسفت * وبيوت اقوت وعفت * واملاك حربت *
وملوك استخربت * وبلدان خربت * بل امم تهاكت وفيت * وقرون
اندرجت ونسيت * ثم تاوه وقال وسلعة نفدت * ودنانير نُقدت * قال
الهارس فعلمت انه قد صدعه الصدع بماله * وعظه بلهائه عند تغلغله فيه
وايغاله * ولذلك كان يفيض فى حديثه ويخوض فيه * ليعلم هل من مصاب
مثله وعنده علم ما يشفيه * ثم التفت الى مستعبرا * وقال وانت فما ترى *
قلت والله انها الاحدى الكبر * ومعضلة تفيض لها العبر * قد طالما ارتبك
فيها العالم التحرير * وضل عن علمها اللبيب الخبير * لا جرم ان معرفة
الافلاك وكواكبها * وايشاء معادن الارض وعجائبها * واسرارها وغرائبها *

لَأَهْوَنَ عَلَيَّ مَنْ أَنْ أَقُولَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ نَعَمْ أَوْ لَا * فَمَا أَرَى إِلَّا سَكَوتِي
عَنْهَا أَوَّلَى * ثُمَّ بَيْنَا هُمْ يُوجِبُونَ وَيَسْلُبُونَ * وَيُوجِزُونَ وَيَسْهَبُونَ * إِذَا
بِالْفَارِيَّاقِ مَرَّ عَلَيْنَا رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ فَارَةً * سَامِدٌ سَامَهُ * فَلَمَّا بَصُرْتُ بِهِ قُلْتُ .
لَهُ نَزَالُ نَزَالٌ * وَحَيَّ عَلَى هَذَا الْعَدَالِ * فَمَا نَرَى غَيْرَكَ جَدِيرًا بِإِيضَاحِهِ *
وَبِشَفَاتِنَا مِنْ ضَمَاحِهِ * قَالَ فِي أَيْ أَمْرٍ مَرِيحٍ كُنْتُمْ تَخْضَعُونَ * وَعَنْ أَيْ
نَكْرٍ مَشِيحٍ أَنْتُمْ تَحْجِضُونَ * قُلْنَا لَهُ فِي الزَّوْجِ * فَهَلَمْ الْعِلَاجُ * فَأَبْتَدَرَ وَقَالَ *
عَلَى ارْتِجَالٍ *

مَسْأَلَةُ الزَّوْجِ كَانَتْ ثُمَّ لَا تَنْزَالُ طُولَ الدَّهْرِ أَمْرًا مُعْضَلًا
أَنْ يَكُنَ الطَّلَاقُ يَوْمًا حَلًّا لِلزَّوْجِ أَيْآنَ ابْتِغَاةٍ فَعَلًا
فَلَيْسَ عِنْدِي رَشْدًا أَنْ تُحْظَلَ زَوْجَتُهُ عَنْهُ وَلَا أَنْ تُعْضَلَ
أَنْ لَمْ يَصِيبَا لِلوَفَاقِ سَبِيلًا فَدَعَهُمَا فَلْيَفْعَلَا مَا اعْتَدَلَا
أَيَّانَ شَاءَا طَلَقَا وَانْفَصَلَا

قَالَ فَضَحِكْنَا مِنْ افْتِحَارِهِ مَا لَمْ يَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ * وَقُلْنَا لَهُ إِلَى حِمَارِكَ عَنْ
كِتَابٍ * فَمَا نَرَى رَأْيَكَ إِلَّا بِدْعًا * وَلَقَدْ اسْتَأْجَبْتُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْتُ سَمْعًا *
ثُمَّ تَفَرَّقْنَا كَمَا اجْتَمَعْنَا * وَعَجِبْنَا مِمَّا سَمِعْنَا *

»



الفصل الرابع عشر

في تفسير ما غمض من الفاظ هذه المقامة ومعانيها



ليس في لغتنا هذه الشريفة ولا في لغة امة اخرى من الامم لفظة تدل على فاعل ومفعول او فاعلين اشتركا في فعل واحد للذتهما ونفعهما * واحتاجا الى من يدخل عليهما ليتعرف منهما اى رفع ونصب يجري بينهما * وبيان ان لفظة الزواج عندنا معناها ضم واحد الى آخر حتى يصير كل واحد منهما زوجا لصاحبه * ولكن من دون قيد مكان ولا زمان * فلو تزوج زيد بهند في سهل او على قنة جبل او في كهف في يوم الاحد او لائنين او السبت بشرط التراضي بان يكتب الرجل للمرأة صكا موذنا بزواجه بها او يشهد على ذلك رجلين لصح * هكذا كانت سنة السلف المتقدمين من الانبياء وغيرهم كما هو مسطور في تواريخهم * بل لم يكونوا يقيدون انفسهم لا بالصك ولا بالشهود * اما لفظ النكاح فمعناه احرار امرأة على اى وجه كان * وذلك لان عرب الجاهلية لم يكن عندهم آداب للنكاح والطعام وغيرهما حتى جاء الشرع فعرّفه وميز الحلال من الحرام منه * قال ابو البقاء في الكليات — ولكن لم اجده في فصل النون فان رايته في غيره انجزت ما وعدت به * وكنت اريد استشهد بكلامه على ان اسم النكاح لم يزل الى الان مستعملا وانه في كتب الفقه اكثر من ان يحصى *

وهو حجة على من انكره من النصارى وعلى من استعاذ من ذكره * وانما استعملته العلماء من دون محاشاة لاسباب * الاول انه استعمل قديما من الجاهلية فابنته العاقلة * الثانى لوروده في القرآن * الثالث لاشتماله على اربعة احرف وفاقا للطبائع والعناصر والجهات * الرابع لورودها في اسرار سور القرآن * فالنون في ن والقلم وما يسطرون والكاف في كيعص والالف في الم والحاء في حم * الخامس انك اذا قلبت هذه اللفظة بدا لك منها معنيان شريفان * الاول اسم فاعل من حيى والثانى فعل امر من كان * وبه برزت الموجودات الى العيان * وتجلت الحقائق لذوى العرفان * السادس لخفة اللفظ وحلاوته * السابع لكون اوله يدل على آخرة وآخرة على اوله * وقد سمي هذا النوع بعضهم دلالة الاول على الاخر وبالعكس * قال وفائدته انه لو استشهد القاضى احدا على فاعله فنطق بالنون والكاف ثم غشى عليه او على القاضى تاحزا لذلك * عرف من بقى غير مغشى عليه بالمجلس القاضى ما اراده القائل * وكذلك لو طرا عليه عند ادا الشهادة ما قطعه عن الكلام شوقا وهيبة فلم يسمع منه الا الالف والحاء لدل هذا الجزء الاخير مع قلة حروفه على جميع ما يراد من المدلول * قلت وهو تعليل بديع غير ان هذه التسمية لا توجد في كتب البيانين والبديعيين * ولست احب الالفاظ الطويلة فالاولى ان ينحت له لفظ من تلك الجملة بحيث يسلم الطرف * فان قلت بل قد استعملت الفاظا طويلة جدا في وصف البرنيطة بقولك المستقبحة المستفظة مع انه كان يمكنك ان تصفها بالفاظ قصيرة * قلت كان ذلك من باب مراعاة النظر * فان طول البرنيطة يقتضيه * فاما مدلول اللفظ الذى نحن بصدده فانه قصير * ثم انى كنت ابتدأت كلاما في اول هذا الفصل ولم انهم فان القلم زلق بى الى معنى آخر على عادته *

واظن ان الجناب الرفيع او الحضرة السنية لم يفهماه فمن ثم اقول لان *
انه اذا كان المراد من الزواج ان كلا من الزوجين يزواج صاحبه لنفسه
لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليان ياكل فخذ الدجاجة
لأم على * لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذوقبعة فيقول للمرأة لا تتزوجي
هذا لكونه لم يسم بطرس * ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسم
مريم * او ان يقول هذا يوم لاحد لا يصح فيه الزواج * وهذه جرة لا يحل
فيها البعال * وآلا لصح ان يقول لهما ارياني الميل في المكحلة * ومثل
هذا الكلام لعمري لا يليق باحد ان يقوله أو يكتبه * ثم ان المرأة هي من
الاشياء التي لكثرة تكرر النظر اليها كالشمس والقمر لم يؤد العقل حق
اعتبارها * وبيانه ان الله عز وجل خلق المرأة من الرجل لتكون بمنزلة
معين له على مصالحه المعاشية ومونس له في وحشته وهمومه * لا انا نرى
ان هذه العلة لاصلية كثيرا ما تستحيل عن صيغتها الاولوية حتى ان بلاد
الرجل وهمه ووحشته ونجسه وشقاوته وحرمانه بل هلاكه يكون من هذه
المرأة * فتنقلب تلك الاعانة احانة * وتاخيصة ان الانسان ولديه
هذه الدنيا محتاجا الى اشياء كثيرة لازمة لحفظ حياته * وذلك كالاكل والشرب
والنوم والدفء * والى اشياء اخرى غير لازمة للحياة وانما هي لتقويم طبعه
حتى لا يختل * وذلك كالضحك والكلام واللهو وسماع الغناء واتخاذ المرأة * لا ان
هذا الاخير مع كونه جعل في الاصل لتقويم الطبيعة * اذ يمكن للرجل ان يعيش
حينما من دونه * فقد غلب على سائر اللوازم المعاشية التي لا بد منها * الا ترى
ان من يحلم بامرأة يجد منها في الحلم ما يجده منها في اليقظة * وليس
كذلك من يحلم بانه اكل عسلا او شرب سلافا * بل وقوع هذا نادر جدا
حتى للجائع والعطشان * وقد طالما رصيت اصحابنا الشعرا بطيف الخيال

من المحبوب * وما احد منهم رضى على جوعه بان يبعث اليه ممدوحه
بكاس مدام فى الحلم او ثريدة * واذا تناول الانسان طعاما طيبا لونا
كان او لونين بقى عدة ساعات مكتفيا بما ناله غير مفكر فى القدر ولا
فيما يقتدر فيها * حتى يعاوده الجوع فيطفق ج يفكر فى تناول
طعام آخر * ولكن لم يسمع عن احد من الناس فى حالتى الجوع والشبع
انه كان كلما رأى طائرا فى الجواشتهى ان يقع على سقوده فى البيت
حتى يسترطه * او انه كان لا يزال يبصص فى دكاكين الطباخين والبدالين
والزياتين ويلاوص من ثقبوب اقفالهم ومن خصاص ابوابهم وشقوق
حيطانهم على ما عندهم من اصناف الماكول * نعم ان الجائع فى بلادنا
يحسب كل مستدير رغيفا كما يقال * وفى بعض بلاد الافرنج ربما حسب
ايضا المستدير والمطاول وذا شق كظلف الشاة وذلك لتفننهم فى اشكاله *
غير ان الجائع الى النساء ليس له شكل ينتهى اليه * وكذلك قضية الشرب
فان الظمان بعد ان يروى غليله بالما فاذا جى اليه بكاس من التسنيم عافه *
وكذلك البردان المحتاج الى الدف فانه متى لبس ما يدفنه من الثياب
ويجمله بين الناس لم يتطال بعد ذلك الى كل ثوب ينظره فى دكاكين
التجار معرضا للبيع * ولو رأى مثلا قوس قزح او روضة مدبجة بالازهار
البهيجة لم يتمن ان تكون الوانها فى سزاويله او قميصه * وانما يراها
ويستحسنها مجرد استحسان من دون ان يشغل بها خاطره ولبه * ولا
يحلم ليلته تلك انه رأى روضة انيقة او يتصور وهو متوسد على فراشه انها
لو كانت حبال محدته لزد ذلك فى تنعيمه او عمره * وقس على ذلك
النائم اذا نام كفايته على فراش غير وطي فان منظر الفراش الوثير بعده
لا يهتمه * والحاصل ان للانسان عقلا فى يافوخه يدل على ما ينفعه ويضره

ويسوءه ويسره * وان في كل من معدته وحلقومه ميزانا قويا يزن به ما هو محتاج اليه من الطعام والشراب * وبه يدري مضمون قولهم رب اكله حرمت اكلات * فاما في امر المرأة فالقانع العزوف يغدو شرها رغيبا * والرشيد غويا * والحليم سفيها * والمهتدى ضالا * والحكيم عيها * والعالم جاهلا * والفصيح عييا وبالعكس * والصبور جزوعا ولا عكس * والفتى شيخا ولا عكس * والغنى فقيرا وبالعكس * والفظ لطيفا ولا عكس * والسمين نحيفا وبالعكس * والمعافي مبتلى ولا عكس * والمتشبت متغشرا وبالعكس * والبخيل كريما ولا عكس * والساكن متحركا وبالعكس * والطرده عكسا وبالعكس * وهلم جرا * واذا راي امرأة تبغضه فربما احبها * او تجفوه كلف بها * او تعرض عنه تعرض لها * او تملق اليه وتملثه فتن بها * او ترميه بحقيبتها على ثقلها جن بها * الا ولو حضر مجلسا كان فيه

امراة وصيئة حسنة نظيفة *

وهيئة حسنة الهيئة *

ومُخْبَآة الجارية المخدرة لم تتزوج بعد *

وذبابة الجارية المهزولة المايحة الخفيفة الروح *

وجربا الجارية المايحة *

وخدبة ضخمة *

وخرعوب الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضاء اللينة الجسيمة

اللحمة الرقيقة العظم *

وخنبة الجارية الغنجة الرخيمة *

ورطبة معروف *

وسرقة المرأة الجسيمة الطويلة *

وشطبة	الطويلة الحسنة الخلق *
وشطبة	الجارية الحسنة الغضة الطويلة *
وشنبا	ذات شنب وقد ذكر تحت البرقع *
وصقبة	الطويلة التارة *
وصهبآ	الصهب حمرة او شقرة في الشعر كالصهبة والصهوبة *
وعجبا	المرأة يتعجب من حسنها *
وقبا	الدقيقة الخصر الضامرة البطن *
وككابة	المرأة السمينة *
ومكدوبة	النقية البياض *
وكاعب	التي نهذ نديها *
ولعوب	الحسنة الدل *
وطبآ	العظيمة الشدى والوطب الشدى العظيم *
وهذبآ	الكثيرة شعر الهدب *
وذات صلوة	الصلت الجبين الواضح وقد صلت ككرم *
وصموت الخخالين	غليظة الساقين لا يسمع لهما حس *
وخوآ	الحديثة الناعمة *
وبلجآ	البلجة نقاوة ما بين الحاجبين هو ابلج وهي بلجآ *
ومبهاج	حسنة *
وجائعة الوشاح	ضامرة البطن ومثله غرئى الوشاح *
وخدلجة	المرأة الممتلئة الذراعين والساقين *
ودعجآ	الدعج سواد العين مع سعتها *
ورجرجاة	يترجرج عليها لحمها *

- وزجآ الزج محرّكة دقة الحاجبين فى طول والنعت ازج وزجآ *
 ومُعْذَلْجَة الممثلّة الناعمة الحسنّة الخلق *
 ومفلّجة الاسنان الفلج تباعد ما بين الاسنان *
 وبَيْدَح بادِن ونحوه بَلْدَح *
 ودُخُوج عَظِيمة *
 وذات سَجَاحَة سَجَح الخَد سهل ولان وطال فى اعتدال *
 ودُمْلَاحَة الضخمة النَّارَة *
 وصلْدَحة عريضة وكذا سلطحة وصلطحة *
 وفُقَاح المرأة الحسنّة الخلق *
 ومُضَاحَة البيضا اللون الحسنته *
 وبَيْدُخَة نَارَة *
 وبُلاخِيّة عَظِيمة او شريفة *
 وصَمِخَة المرأة الغُصّة *
 وطُباخِيّة الشّابة المكتنزة *
 وفتحآ الاخلاف ناقه فتحآ الاخلاف ارتفعت اخلافها قِبَل بطنها
 ذمّ وفى المرأة والضرع مدح *
 وفُرْصَاحَة ضخمة عريضة او طويلة عَظِيمة الثديين *
 وقُفَاح المرأة الحادّرة الحسنّة الخلق *
 ولُباخِيّة لحيمة *
 وهَبَّيخَة الناعمة النَّارَة *
 وبُحْدَاة المرأة التامة القصب كالبُحْدَى *
 وبرُخْدَاة الجارية الناعمة النَّارَة *

ومبرندة	الكثيرة اللحم *
وئادة	المكتنزة الكثيرة اللحم *
وئودة	السمينة النامة الخلق وكذا الثهودة والفوودة *
وئهمد	السمينة العظيمة *
وجدآ	الصغيرة الثديين *
وجيدآ	الطويلة الجيد الدقيقته *
وبصة المجرد	بصة عند التجرد *
وخبندة	جارية خبندة تامة القصب او تارة ممتلئة او ثقيلة الوركين
	وساق خبندة مستديرة ممتلئة *
وخريد	الخريد البكر لم تمس او الخفرة الطويلة السكوت الخافضة
	الصوت المسترة كالخريدة والخرود *
	(تنبيه المرأة الجشوب الدردحة الضمزر الهبرة العكبرة القعسوس الجباعة
	الذمة اكثر دلا وغنجا من جميع هولا)
ورخودة	اللينة العظام السمينة *
ورعيد	رخصة *
ورهيذة	الشابة الرخصة الناعمة *
وعبرد	الجارية البيضا الناعمة ترتج من نعمتها *
وعصاد	المرأة الغليظة العصد *
وعمدة	الشابة الممتلئة شابا كالعمدانية *
وغادة	المرأة الناعمة اللينة البينة الغيد *
وغيدآ	المتثنية لنا *
ومقصدة	المرأة التامة العظيمة تعجب كل احد والتي الى القصر *

ومادة	الجارية الناعمة *
وممسودة	مجدولة الخلق *
وأملود	المرأة الناعمة اللينة *
وناهد	كاعب *
وبهيرة	السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة وكذا البهيلة
وبشيرة	جميلة *
ومبشورة	الحسنة الخلق واللون *
وتارة	ممتلئة الجسم *
وترة	الحسناء الرعنا *
ومحاشرة	الضخمة الحادرة الجسيمة العبل المفاصل العظيمة الخلق *
وجهرآ	مونث لاجهرو هو الحسن المنظر والجسم التامه والاحول
	المليح الحولة *
وحادرة	السمينة او الحسنة الجميلة *
واخورية	البيضا الناعمة *
وحوارية	الحواريات نساء لامصار *
وحورآ	الحور ان يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير
	حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حوالها او الخ *
وذات تدهكر	ترجرج *
ومذهمة	المرأة المكتلة المجتمعمة *
ومزنة	طويلة جسيمة *
وزهرآ	المرأة المشرقة الوجه *
ومسبورة	الحسنة الهيئة *

ومسمورة	الجارية المعصوبة الجسد غير رخوة اللحم *
وشُغْفِرَ	المرأة الحسنآ *
وصَيَّرَ	الحسنة الصورة *
وعَبَّرَ	تارة جميلة *
وعَهِدَ	الرقيقة البشرة الناصعة البيلض والسمينة الممتلئة الجسم
	كالعهر والجامعة للحسن فى الجسم والخلق *
وعَجَّجَ جَرَّةً	المكتلة الخفيفة الروح *
ومُعَصَّرَ	التى بلغت شبابها وادركت او دخلت فى الحيض او
	راهقت العشرين *
وغَرَّآ	بيضا وكذا فرآ *
وذات افترار	افتتر ضحك ضحكا حسنا *
وفَزَّرَآ	المتلئة لحما وشحما او التى قاربت لادراك *
وقُفَاخِرِيَّةً	النبيلة العظيمة من النساء *
ومُزْمَرَةٌ	المرمورة والمرارة الجارية الناعمة الرجراجة *
ومُشَرَّةً لَاعِصَاً	رَيَا *
ومُطَرَّةً	لازمة للسواك او للتنظف والاعتسال *
وذات مكرة	المكرة الساق الغليظة الحسنآ *
ومُكْوَرَةٌ	المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين او المدمجة
	الخلق الشديدة البضعة *
ومَارِيَّةً	بيضا بَرَاقةً (من مار) *
وذات نُصْرَةٍ	حسن وبهجة *
وَوَثِيرَةٌ	الوثيرة الكثيرة اللحم او الموافقة للمضاجعة *

(تنبيه المرأة الرُبسة الدِعْفصة الدِنْقصة التُنْبِصَة الصَّلَة الطَهْمَل الصَّلَف	
الصُّوْكَة الرِّصْعَا القَشْوَانَة الكُرْوَا أَكْثَر دَلَا وَغَجَا مِنْ جَمِيع هَوَلَاء *	
وَهَذِكِر المَرَاة التِي إِذَا مَشَتْ حَرَّكَت لَحْمَهَا وَعَظَامَهَا *	
وَهَيَذُكُور	الكثيرة اللحم والشابة الضخمة الحسنة الدَل كَالْهُدُكُورَة
وَبِلَز	المراة الضخمة او الخفيفة *
وَعُكْمُوزَة	الحادرة الثارة *
وَعَمَّازَة	الجارية الحسنة الغمز للاعصا *
وَكِنَّاز	كثيرة اللحم صُلْبَة *
وَأَنَسَة	الجارية الطيبة النَّفْس *
وَبَيَّهَس	الحسنة المشى *
وَحُرُوس	البكر في اول حملها *
وَحَنَسَاء	تقدم ذكرها تحت البرقع *
وَمُرْكَس	الجارية طلع نهدا فاذا اجتمع وضخم فقد نهد *
وَعِطْمُوس	المراة الجميلة او الحسنة الطويلة الثارة كَالْعُطْمُوس *
وَعَلْطَمِيس	الجارية الثارة الحسنة القوام *
وَعَانِس	التي طال مكثها في اهلها بعد ادراكها حتى خرجت من
	عداد الابكار *
وَقُدْمُوسَة	ضخمة عظيمة *
وَقِرْطَاس	الجارية البيضاء المديدة القامة *
وَكَنِيسَة	المراة الحسناء *
وَلَعْسَاء	من في لونها ادنى سواد *
وَلَمِيس	الليئة الملمس *

وَعَشَّة	المرأة الطويلة القليلة اللحم أو الدقيقة عظام اليد والرجل *
وخرْبُصَة	المرأة الشابة الثَّارَة *
وَدُخُوص	الجارية الممتلئة شحما *
ورُخْصَة	معروف *
وَبَضْبَاضة بُضَة	الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة *
وخرْبُصَة	الجارية الحديثة السن الحسنه البيضاء الثَّارَة *
وَرُضْرَاضة	فى معنى رجراجة *
وَعَشَة غصينة الطرف	العَشَة الناضرة والغصيص من الطرف الفاتر *
وفارض	ضخمة *
وَفَضْفَاضة	الجارية اللحية الجسمية الطويلة *
وَمُفَاضة	الضخمة البطن *
وُخُوطَانَة	جارية خوطانة وخوطانية كالغصن طولاً ونعمة *
وَسَبْطَة الجسم	حسنة القَد *
وَسَطَة	حسنة القوام طويلة *
وَشْنَاط	المرأة الحسنه اللون والقوام *
وَذَات عَنط وَعِيط	طويلة العنق حسنة *
وَذَات شَنَاط	مكتنزة اللحم كثيرته *
وَمُلْعَطَة	الجارية السمينة الطويلة الجسمية *
وَبَتْعَا	الشديدة المفاصل والمواصل من الجسد *
وَبَرْبُعة	فائقة الجمال والعقل *
وَبَزِيعَة	ظريفة مليحة كَيْسَة *
وَمُتَلِّع	الحسناً لأنها تتلع رأسها تتعرض للناظرين إليها *

وسَيْعَة	الجميلة اللينة المفاصل اللطيفة العظام *
وشَبَعَى الخالخال والسوار	ضخمة تملأها سمنًا *
وشَمُوع	مَزَاحَة لُعُوب *
وصَمْعَا	الصغيرة لاذن والاذن الصغيرة اللطيفة المنصمة الى الراس *
وضَرَعَا	عظيمة الضرع *
وفرَّعَا	تامة الشعر *
ولَعَة	عفيفة مائجة *
ولاعة	التي تغازل ولا تتمكنك (قلت لانها تلوع مغازلها بذلك) *
وأَنُوف	طيبة رائحة لانف *
وَحَضْرَف	المرأة الضخمة اللحية الكبيرة الثديين *
وذَلْفَا	تقدم ذكر الذلفى تحت البرقع *
وذَات سَجْف	السجف دقة الخصر وخصامة البطن *
وسُرْعُوف	المرأة الطويلة الناعمة *
وسَيْفَانَة	الطويلة المشوقة الصامرة *
وطرِيفَة	الطرف انما هو فى اللسان او حسن الوجه والهيئة او يكون فى الوجه واللسان او البزاعة وذكا القلب او الجذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال والفتيات الزولات لا الشيوخ ولا السادة *
وقِرْصَافَة	القرصافة من النساء التى تتدحرج كانها كرة *
وقِصَاف	المرأة الضخمة *
ولَفَا	واحدة اللف للجوارى السمان الطوال *
وحسنة المعارف والموقنين	المعارف الوجه وما يظهر من المرأة والموقفان

الوجه والقدم او العينان واليدان وما لا بد لها من اظهاره *	ومَهْفُفَةٌ
ضامرة البطن دقيقة الخصر *	وهَيْفًا
الهَيْفُ ضمير البطن ورقة الخاصرة *	وبَرَاقَةٍ
الحسناء لها بهجة وبريق كالابريق *	وبُهْلَقٍ
المرأة الحمراء جدا *	وحَارُوقٍ
نعت محمود للمرأة عند الجماع *	ومُخْرَبِقٍ
الطويلة العظيمة او السريعة المشى *	ورَشِيقَةٍ
حسنة القَد لطيفته *	ورَقْرَاقَةٍ
التي كان الماء يجري في وجهها *	ورُزُوقَةٍ
حسناً تعجب *	وسَوْقًا
الطويلة الساقين او الحسنتهما *	وعَبِقَةٍ
المرأة التي اذا تطيّبت بادنى طيب لم يذهب عنها اياما *	وعَانِقٍ
الجارية اول ما ادركت *	وعَشْنَقَةٍ
طويلة ليست بصخمة ولا مُثْقَلَةٌ *	وغُبْرَقَةِ العَيْنِينَ
واسعتهما شديدة سواد سوادهما *	وغُرَانِقٍ
امرأة غرائق وغرائقة شابة ممتلئة *	وذَاتِ غُرْنَقَةٍ
وذات غُرْنَقَةٍ غزل بالعَيْنِينَ *	وذَاتِ لَمَّةٍ غُرَانِقَةٍ
ذات لَمَّةٍ غُرَانِقَةٍ ناعمة تفيثها الريح *	وفُنُقٍ
جارية فنق ومفناق منعمة *	ولَبِقَةٍ
الحسنة الدل واللبسة *	ومُلْصَقَةٍ
الضيقة المتلاحمة *	ولَهْقَةٍ
شديدة البياض *	

(تنبيه المرأة الطرّبة المتخبجة الرّغادية العكبا ذات الحردبة والستطبة
البلّغة الخرنا الحنطوب العكبرة المثدنة الخطلا اكثر دلا وغبجا من جميع هولاء)*

- ومشوقة * خفيفة اللحم *
ورودكة * حسنا في عنفوان شبابها *
وصبرك * المرأة العظيمة الفخدين *
وصكصاكة * قصيرة مكتنزة *
وصناكة * الصلبة المفصوبة اللحم *
ومعروركة * متداخلة *
وهكوككة * القصيرة الملززة او السمينه *
وعصنك * اللقا التي صاق ملتقى فخذها مع ترارتها *
وعاتكة * المرأة المحمرة من الطيب *
ومفلك * التي استدار نديها *
ومكماكة * المكماكة والكمكامة القصيرة المجتمعة الخلق *
وهبركة * الجارية الناعمة *
واسيلة الخدين * الاسيل من الخدود الطويل المسترسل *
ومبتلة * الجميلة كانها بقل حسنها على اعضائها اى قطع والتي لم
يركب بعض لحمها بعضا وفي اعضائها استرسال *
ونهككة * المرأة الغضة الناعمة *
وجمول جملا * الجمول السمينه والجملا الجميلة والحسنه الخلق من كل
حيوان *
وحذلة * المرأة الغليظة الساق المستديرتها او الممتلئة لاعضا لحما
في دقة عظام كالحذلا *

وَحَلَّةُ المرأة الخفيفة *
 وَدَحْلَةٌ الضخمة النارة *
 وَدُمُحْلَةٌ السمينة او الحسنة الخلق *
 وَمُكْسَالٌ نعت للجارية المنعمة لا تكاد تبرح من مجلسها مدح *
 وَرَخِيمَةٌ رُخْتُ الجارية صارت سهلة المنطق فهي رخيمة ورخيم *
 وَرَقِيمَةٌ المرأة العاقلة البرزة وفي ب ر ز امرأة بَرَزَةٌ بارزة الحاسن
 او متجاهرة كهلة جليلة الخ *
 وَمِيسَانَةُ الضُّحَى مدح ونحوه نُورُوم الضحى *
 وحسنة الخفيفين اى صوتها وائر وطئها يقال اذا حسن من المرأة خفيها
 حسن سائرها *

وِغَانِيَّةُ المرأة التى تَطْلُبُ ولا تطلب او التى غنيت بحسنها عن الزينة *
 (تنبيه المرأة الفُرْزُحُ القِيلُعُ الجُنْجُلُ الجَزْمَلُ الحَمَكَةُ الخَنْشَلُ الجَبَلَةُ
 الجَهْلَةُ الحَنَكَةُ القَيْعَلَةُ اكثر غنجا وتدعا من جميع هولا) *
 وسياىى تشمة وصف الحسان فى الفصل السادس عشر من الكتاب الرابع
 اذ لم يبق لى من حراك وقوة لذلك واحسب القارى نظيرى * وانما
 اقول * نعم لو كان فى ذلك المجلس السعيد جميع هولا الحسان على
 اختلاف الوانهن لود ان ينظمن كلهن فى سلك واحد ويجعله فى عنقه
 كسبحة اولياء الله المفردين * ومن مارانى فى ذلك رجعت الى قصة سيدنا
 سليمان عم * فانه معما اوتى من الحكمة * وما ادراك ما الحكمة * فقد
 كان سلكه يشتمل على الف امرأة * منهن ثلثمائة سريات والباقى سريات *
 فكان له فى كل يوم امراتان ونصف وكسور * ألا ولو انه اى الرجل راي
 الشمس طالعة والبدر بازغا والكواكب مضيئة لكان اول ما يخطر بباله

ان يقول * لقد تزينت هذه السماَ بهذه النيرات البهية * فمتى تزين
جرتى بواحدة من اخواتهن او بائنتين او بثلاث او بعشر او بالسبعة
كلها * ولو راى غوطه او ربوة او جبلين متناولين او نوا او حشة او هدفا
او شقبا او قوزا او دُعصا او كُوَلا او خُوَطا يتاود او بحرا يتموج او عوطبا
او طاووسا او تفاحا او رمانا او عقد در منظوم او شيا آخر يروق العين
لسبق وهمه الى امرأة * بل ربما تصور واحدة لم يكن قد راها قط ولا وجود
لها فى الاعيان * ولو راى سفينة ماخرة فى اليم وعليها شراعها لشبهها
بامرأة ترفل بشايبها فى الطرق كما كان داب احد الخرجيين المتورعين *
ولو راى حمامتين تتزاقان وتتلاسان قال ليت لى الان من ارقها وتزقنى
ولاسنها وتلاسننى وانقرها وتنقرنى * ولو راى ابا برائل بين ضغادرة
يلقمهن مما لديه * ويصفق لهن بجناحيه ويجشئل اليهن ويتجفل ثم يحلج بينهن
لود ان يكون نظيره * وحسبك بذلك من دناة واهانة لهذه الصورة
البشرية التى يقال فيها انها خلقت على مثال الخالق تعالى عن الشبيه
والنظير * الا ولو انك القيته فى جب سيدنا يوسف * وفى فلك سيدنا
نوح * وفى بطن حوت سيدنا يونس * وعلى ناقة سيدنا صالح * ومع
اصحاب الكهف * لصرخ قائلا المرأة المرأة * ومن لى بالمرأة *

ولو انزلته فى بُانة الروضة المعشبة *

ورقمة الروضة وجانب الوادى او مجتمع مائه *

ودقيرة الروضة الحسناء العميمة النبات *

ووديفة الروضة الخضراء *

وغلباء الحديقة المتكاثفة *

وعُلاجوم البستان الكثير النحل *

وَمُخَرَفَةٌ	البستان *
وحديقة	الروضة ذات الشجر *
وفي حُجْرَةٍ وَعِلْيَةٍ وغرفة ومقصورة وخدر وَحُجْلَةٍ وَمَنْصَةِ *	
وسِدَار	شبه الخدر والموصد الخدر *
وَحُشَّة	القبة العظيمة *
وَحُجْبَةٌ	كالقبة *
وعَرْش	الخيمة والبيت الذى يستظل به كالعرش *
وكِرْح	بيت الراهب ومثله الركح *
وكُوْح	البيت المستم من قصب *
وصومعة	بيت للنصارى *
ورِيع	الصومعة *
وفَنَزَر	بيت يتخذ على خشبة طولها نحو ستين ذراعا للربينة *
ويَهْو	البيت المقدم امام البيوت *
وحَلَّة	جماعة بيوت الناس او مئة بيت والمجلس والمجتمع *
وفُسْطَاط	السرادق من الابنية ومثله المضرب *
وكِبْس	بيت من طين *
وحَفْش	البيت الصغير جدا *
وحَجَز	البيت الصغير من الطين *
وَحَص	البيت من القصب او — *
ورَدْه	البيت الذى لا اعظم منه *
ومَجْلُوْه	البيت الذى لا باب فيه ولا ستر *
وَوَام	البيت الدفى *

وَأَقْنَة	بيت من حجر *
وَطْرَاف	البيت من آدم *
وَوَسْوَط	بيت من بيوت الشعر أو هو أصغرهما *
وَطْنَى	السقيفة تشرع فوق باب الدار *
وَنَزْل	ما هيئ للصيف أن ينزل عليه *
وَمَغْنَى	المنزل الذي غنى به أهله ثم طعنوا أو عام *
وَمَعْهَد	المنزل المعهود به الشئ *
وَمَعَان	المبأة والمنزل *
وَنَدَى	مجلس القوم نهارا أو — *
وَمَرْتَبَع	الموضع يرتبكون فيه في الربيع *
وَمَصِيف وَمَشَى	معروف *
وَدُسْكُرَة	بناء كالقصر حوله بيوت أو — *
وَمَشْرِقَة	موضع القعود في الشمس بالشَّاء *
وَمَضْحَاة	ارض مضحاة لا تكاد تغيب عنها الشمس *
وِظْلَة	شئ كالصفة يستتر به من الحر والبرد *
وَمَشْرَبَة	الغرفة والعلية والصفة *
وَسُعْنَة	الزقن أو مطلق المظلة *
وَمِظْلَة	الكبير من الاخبية *
وَسَابَاط	سقيفة بين دارين تحتها طريق *
وَعِرْزَال	بيت صغير يتخذ للملك اذا قاتل الخ *
وَكَبْن	البيت *
وَقَيْطُون	المخدع *

وَسَرْب	الجفیر تحت الارض *
وَدِيمَاس	الکَنّ والسَّرْب والحمام *
وَبُرْج	معروف *
وَصُهْوَة	البرج فی اعلى الرابية *
وَصَرَح	القصر وكل بناّ عال *
وَعَقْر	البناّ المرتفع *
وَطَرِّبَال	كل بناّ عال *
وَأَزَج	ضرب من الابنية *
وَايوان	الصفة العظيمة كالازج *
وَرِوَاق	بيت كالفسطاط او سقف فی مقدم البيت *
وَأَجْم	كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن *
وَكَعْبَة	الغرفة وكل بيت مربع *
وَأُطْم	القصر وكل حصن مبنی بحجارة وكل بيت مربع مسطح *
وَوَشِيع	عریش يبنى للرئيس فی المعسكر *
وَسُنَيْق	بيت محصّن *
وَجَوْسِق	القصر *
وَدَوْشَق	البيت ليس بكبير ولا صغير او البيت الضخم *
وَقَهْقُور	بناّ من حجارة طويل *
وَبُعْبُور	الحجر الذى يذبح عليه القربان للصنم *
وَزُور	مجلس الغنا *
وَبَد	بيت الصنم *
وَزُون	الموضع تجمع فید الاصنام وتنصب وتزین *

- ومسجد * معروف
- وكنيسة * معروف
- وفهر * مدراس اليهود. تجتمع اليه في عيدهم او — *
- ومدراس * الموضوع يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود *
- وفي كوكبان * حصن باليمن رضع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب *
- والجوسق * دار بنيت للمتندر في دار الخلافة في وسطها بركة من الرصاص ثلثون ذراعاً في عشرين *
- وقصر النعمان الذي بناه السنيار * هو رجل اسكاف بنى قصراً للنعمان ابن امرئ القيس فلما فرغ القاه من اعلاه لسلاً يبني لغيره مثله او هو غلام لأحيحة بنى أطمه فلما فرغ قال له لقد احكمته قال اني لاعرف فيه حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره فسأله عن الحجر فآراه موضعه فدفعه احيحة من لاطم فخر ميتاً *
- والجعفرى * قصر للمتوكل قرب سر من رأى *
- والمارد * حصن بدومة الجندل *
- والأبلق * حصن بتيماً قصدتهما الزبا فعجزت فقالت تمرد مارد وعز الأبلق *
- وصرواح * حصن بناه الجن لبلقيس *
- ودار الخيزران * بمكة بنيتها خيزران جارية الخليفة *
- وقصر بهرام جور * من حجر واحد قرب همدان *
- وقصر غفراً * بالشام *
- والبديع * بناه عظيم للمتوكل بسر من رأى *
- وزعيرة * حصن قرب الكرك *
- وقصر عسل * بالبصرة *

والنَّد	حصن باليمن *
والغَفَر	حصن بها *
وسَمْدَان	حصن بها عظيم *
والشَّحْب	حصن بها *
وثرَبَان	حصن بها *
وهِرَّان	حصن بها *
وشَوَاحِط	حصن بها *
والمَوْهَبَة	حصن بها *
والظُّفَيْر	حصن يمانى صنعا *
ولُسَيْس	حصن باليمن *
والنُّجَيْر	حصن قرب حضرموت *
وَعُمْدَان	قصر باليمن بناءه يشرح باربعة وجوه احر وابيض واصفر واخضر وبني داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقف اربعون ذراعا * لما انفك ان يصرخ ويقول المرأة المرأة * ومن لى بالمرأة * ولا عيش الا مع المرأة * ولو انزلته فى احدى الجنان الاربع *
شُعْب بَوَّان	د باليمن كثيرة الاشجار والمياه تنسبه دمشق *
وصنعا	بساتين نزهة واماكن مثمرة يسمرقند *
والسُّغْد	جبل قرب الموصل من اعمر الجبال بالفواكه والطيور *
والشُّعْرَان	بستان ومال كان لعمر بن العاص على ثلثة اميال من وَجْ
والوَهْط	كان يعرّش على الف الف خشبة شراً كل خشبة درهم *
وبَلَّسِيَة	د شرقى الاندلس محفوف بالجنان لا ترى الا مياهها تدفع ولا تسمع الا اطيارا تسجع *

وَمُرْسِيَةٍ	د اسلامى بالمغرب كثير المنازة والبساتين *
وَمَآئِينَ	بلد بناء نوح عم لما خرج من السفينة ومعد ثمانون نفسا *
وَجَابَلُصَ	د بالمغرب ليس وراه انسى *
وَالرَّاهُونَ	جبل بالهند هبط عليه آدم عم *
وَالْجُودَى	جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عم *
وَقَافٍ	جبل محيط بالارض او من زمرد وما من بلد لا وفيه عرق منه وعليه ملك اذا اراد الله ان يهلك قوما امره فحرك فخصف بهم *
وَالْقَيْقُ	جبل محيط بالدنيا ومثله القيق *
وَالسَّاهِرَةِ	ارض يجردها الله يوم القيامة * لما انفك يصرخ ويقول المرأة المرأة * ومن لى بالمرأة * ولاعيش لامع المرأة * بل لو صعد الى باب للتوبة فى السما *
وَالْمِشْرِيقِ	شجرة فى الجنة *
وَطُوبَى	فى السما السابعة تصعد اليه ارواح المومنين جمع على *
وَعَلِيِّينَ	البيت المعمور فى السما الرابعة *
وَالضَّرَاحِ	اسم للسما السابعة او الرابعة او الاولى *
وَبُرْقُعٍ	اسم للسما الرابعة *
وَالْحَاقُورَةِ	اسم للسما الثالثة *
وَالصَّاقُورَةِ	السما السابعة وكذا عروبا وفيها سدرة المنتهى *
وَالْغُرْفَةِ	بحر من الريح تحت العرش فيه ملكة من الريح معهم رماح من الريح ناظرين الى العرش تسيبهم سبحانه ربنا الاعلى *
وَالْأَعْرَافِ	سور بين الجنة والنار * لاخذ يزعق بمجامع خلقه ويقول

وَمُرَامِرَا	اول من وضع الخط العربى *
وَابَا عُرْوَةَ	رجل كان يصيح بالاسد فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه *
وَطَحْمُورَث	ملك من عظماء الفرس ملك سبعمائة سنة *
وَالْوَصَّاح	رجل ملك الارض وكانت امه جنية فالحق بالجن *
وَالرَّابِضَةُ	ملسكة هبطوا مع ادم وبقية جلة الحجّة لا تخلو الارض منهم *
وَالْيَسْرُوح	اصل اللقاح شبيه بصورة انسان *
وَسُكَيْنَةُ	اسم البقرة الداخلة انف نمرود *
وِطَاحِيَّة	نملة كلمت سليمان عم *
وَعِجْلُوف	اسم النملة المذكورة فى القرآن *
وَالْتَحَس	دابة بحرية تنجى الغريق تمكّنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين *
وَالْجَسَّاسَةُ	دابة تكون فى الجزائر تجسّس الاخبار فتأتى بها الدجال
وَالرَّيْح	طائر كبير يحمل الكركدن *
وَالْكِرْكِدَن	دابة تحمل الفيل على قرننها *
وَالزُّبَيْرَى	دابة تحمل الفيل بقرنها *
وَالْعَقَام	سمك وحية تسكن البحر ويأتى الاسود من البر فيصفر على الشط فتخرج اليه العقام فيتلاويان ثم يفترقان فيذهب كل منهما الى منزله *
وَبَنَت طَّبَق	ساحفأة تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف وتبيض بيضة تنقف عن حية *
وَالْفَلَّان	طائر يصيد القردة *

والْبَلْتِ طائر محترق الريش ان وقعت ريشة منه فى الطير احرقته *
والسَّمْدَل طائر بالهند لا يحترق بالنار *
والْتِهَيْط طائر اغبر يتعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول انا اموت
انا اموت *

والْأَنّ طائر كالحمام صوته انين أَوْه *
والزَّماح طائر ياخذ الصبي من مهده *
والْهَدِيل فرخ على عهد نوح عمّ مات عطشا او صاده جارج من الطير
فما من حمامة الا وهى تبكى عليه *

والْقَرْقَنَّة طائر يسمح بجلحيه على عيني القنذع الديوث فيزداد لنا *
والْفُقْنَس طائر عظيم بمنقاره اربعون ثقباً يصوت بكل الانغام
والالحان العجيبة المطربة ياتى الى راس جبل فيجمع من
الحطب ما شاء ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوما ويجمع
اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون ثم يصعد الى الحطب
ويصفق بجناحيه فينقذ منه نار ويحترق الحطب
والطائر ويبقى رمادا فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا
فى الشفاء * لمدّ عنقه وجعل اصابعه فى اذنيه واذن صارخا *
هاى هاى المرأة المرأة * ارونى المرأة * ما يجزئنى شى عن
المرأة * ولو انك لاعتبه

بالْجَنَابَى لعبة للصبيان *
وحَدْبْدَبَى لعبة للنبيط *
والطَّبَّابَة خشبة عريضة يلعب بها بالكرة *
والْقَرْطَبَى ضرب من اللعب ونوع من الصراع *

والكَبْكَب	لعبة *
والكُؤْبَة	النرد او الشطرنج *
والهَبْهَاب	لعبة للصبيان *
وَكُتْكُتَى	لعبة *
وَالْبَحْيَى	لعبة بالبُحَّاءَة اى التراب *
وَالْكُتْكُتَى	لعبة بالتراب *
وَالطَّ	لعبة للصبيان يرمون بخشبة مستديرة تسمى المِطْطَة *
وَاللَّوْءَة	خرقة تجمع ويلعب بها *
وَالْأَنْبُوءَة	لعبة يدفنون شيا فى حفير فمن استخرجه غلب *
وَالشُّطْرَنْج	معروف *
وَالْخَرْيَج	لعبة يقال لها خَرَج خَرَج *
وَالْفَنْزَج	رقص للعجم *
وَالْقَحْجَقَة	لعبة يقال لها عَظْم وَضَاح *
وَالْكُتْبَة	لعبة ياخذ الصبى خرقة فيدورها كأنها كرة *
وَالْكَجْكَجَة	لعبة تسمى است الكلبة *
وَالجُمَاح	ثمرة تجعل على راس خشبة يلعب بها الصبيان *
وَالجَمْع	رمى الصبى الكعب بالكعب حتى يزيله عن مكانه *
وَدِجْنِدِج	لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها فمن اخطاها قام على رجل وجل سبع مرات *
وَالذَّاح	نقش يلوح للصبيان يعللون به ومنه الدنيا داحَة *
وَالرَّجَاحَة	جل يعلق ويركبه الصبيان *
وَالدُّبَاح	لعبة *

والدماغ	لعبة للاعراب *
والمطخة	خشبة يلعب بها الصبيان *
والطريدة	لعبة تسميها العامة المسة والضبطة فاذا وقعت يد اللاعب من آخر على بدنه راسه او كتفه فهي المسة واذا وقعت على الرجل فهي لاسن *
والنرد	معروف *
والمواغة	لعبة وان تفعل كفعل صاحبك *
والباقر	لعبة *
والبقيرى	لعبة *
والجبرى	لعبة للصبيان وهوان يحمل الصبي بين اثنين على ايديهما *
والحاجورة	لعبة تخط الصبيان خطا مدرورا ويقف فيه صبي ويحيطون به لياخذوه *
والذكر	لعبة للزنج والحش *
والسحارة	شى يلعب به الصبيان *
والسدر	لعبة للصبيان *
والعرعة	لعبة للصبيان *
والشعارير	لعبة *
والنجار	لعبة للصبيان او الصواب الميجار *
والشوز	خشبة يلعب بها بالكجة *
العرز	عرز لفلان قبض على شى فى كفه ضامًا عليه اصابعه يريه منه شيا لينظر اليه ولا يريه كلد *
والفقيرى	لعبة للصبيان ينضون خشبة ويتقافزون عليها *

والنِّقَار	لعبة لهم يتنافزون فيها اى يتواثبون *
والبُكْسَة	الكجّة *
والخَوَالِس	لعبة للصبيان *
والدُّسَة	لعبة *
والدَعْكُسَة	لعبة للمجوس كالرقص *
والفِسْفِسِي	لعبة لهم *
والفَاعُوس	لعبة لهم *
والبُوصَا	لعبة لهم ياخذون عودا فى راسه نار فيديرونه على رؤسهم *
والرَّقَاصَة	لعبة *
والخُوطَة	لعبة تسمى الدارة *
والخُطَة	لعبة للاعراب *
والضُّبْطَة	لعبة لهم *
والتَّضْرُط	وهو ان تتركب احدا وتخرج رجلك من تحت ابطيه وتجعلهما على عنقه *
والتَّضْرِيطِيَة	لعبة لهم *
والمَقْط	مقط الكرة ضرب بها الارض ثم اخذها *
والبَرِصَاع	دَوَامَة الصبيان وكل خشبة يُدْحَى بها *
والتَّرْمَع	الخُذْرُوف *
وَقَلْوَيْع	لعبة لهم *
والجُخْفَة	اللعبة بالكرة *
والخُذْرُوف	شى يدوره الصبي بخيط فى يديه فيسمع له دوى ويسمى ايضا الخُذْرَة والقرصافة والخُذْرُوف ايضا طين يعجن

- يعمل شبيها بالسكر يلعب به الصبيان *
- والزُخْلُوفَةُ تزلج الصبيان من فوق التل الى اسفله *
- والعياف العياف والطريدة لعبتان لهم *
- وقاصّة قرصافة لعبة لهم *
- والحزقة ضرب من اللعب *
- والدبوق لعبة *
- والزُخْلُوفَةُ الارجوحة *
- والشفقة لعبة وهوان يكسع انسانا من خلفه فيصرعه *
- والعفة لعبة *
- والعقة التي يلعب بها الصبيان *
- والفرق لعب السدر *
- والكرّك لعبة لهم *
- ودبى حجل لعبة *
- والدخيلآ لعبة لهم *
- والدرقلة لعبة للصبيان *
- والدركلة لعبة للعجم او ضرب من الرقص او هي حبشية *
- والفئال لعبة للصبيان يخبئون الشئ فى التراب ثم يقسمونه ويقولون
فى ايها هو *
- والفيال لعبة لفتيان العرب *
- والدّمة لعبة *
- والدّوامة التي يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى ايضا المرصاع *
- والمرغمة لعبة لهم *

والشَّحْمَة	لعبة لهم *
وعَظْم وصَاح	لعبة لهم *
والمِهْزَام	عود يجعل فى راسه نار يلعبون به *
والبُرْطَنَة	ضرب من اللهب كالبرطمة *
والتُّون	خرقة يلعب عليها بالكحجة *
والطَّبْن	لعبة لهم *
والقِنِين	لعبة للروم يتقامر بها *
والكُبْنَة	لعبة *
والذَّمَة	لعبة للصبيان *
والمِجْدَا	خشبة مدورة تلعب بها الاعراب *
والمخاساة	خاساة لاعبه بالحجوز فردا او زوجا *
والقُرَة	لعبة *
والقُلَة	عودان يلعب بهما الصبيان *
لشجر فاه وشحاه وعجاء وزاد صراخا وضجيجا وهو يقول المرأة المرأة * الا	
فلاعبونى بالمرأة * ولو انك طربت	
بالرَّباب	معروف *
والعُرْطَة	العود او الطنبور او الطبل او طبل الحبشة *
والكُوبَة	البربط والطبل الصغير المختصر *
والدَّرَنَج	شى كالطنبور يضرب به *
والصَّنَج	شى يتخذ من صُفْر يضرب احدهما على الاخر وآلة باوتار
	يضرب بها معرب والصيار صوت الصنج *
والوَنَج	ضرب من الاوتار او العود او المعزف *

والعود	معروف *
والمزمار	ما يزمر به ويقال له ايضا الزمخر والزنبق والصليب
	والثيب والقصابة والهبنوقة *
والمزهر	العود يضرب به *
والشبور	البوق ويقال له ايضا القبع والقشع والقنع والصور *
والطنبور	معروف *
والكنارات	العيدان او الدفوف او الطبول او الطنبور *
والكوس	الطبل *
والبربط	العود *
والشياح	مزمار الراعى *
والهيرعة	اليراعة يزمر بها الراعى *
والدف	معروف *
والمسشقة	آلة يضرب بها الصنج ونحوه *
والعركل	الدف والطبل *
والصفانة	من الملاهي معربة *
والطبن	الطنبور او العود *
والقنين	الطنبور *
والكوان	العود او الصنج *
والون	الصنج *
لطل فاغرافاه وهو يزعم ويقول المرأة المرأة *	لا فطربوني بالمرأة * ولو اطعمته
الجوداب	طعام يتخذ من سكر ورز ولحم *
والثيب	لاقط خلط رطبه بيابسه *

والكباب	معروف *
والسُتوت	الزبد والجبن والعسل وضرب من التمر *
واللَفَيْتَة	العصيدة المغلظة او مرقه تشبه الحيس *
والنَفَيْتَة	طعام اغلظ من السخينة *
والعُلانة	سمن واقط يخلط *
والغَبَيْثَة	لت لاقط بالسمن كالعبيثه *
والسكباج	معروف *
والطَبَاهِجَة	اللحم المشرح *
والنابجة	طعام جاهلي *
والأَخِيخَة	دقيق يعالج بالسمن او الزيت *
والقَفِيخَة	طعام يعالج بالتمر ولاهالة *
والكامخ	ادام *
والثريد	معروف *
والرشيدية	طعام معروف فارسيته رشته *
والرَّهِيْدَة	البَر يدق ويصب عليه لبن *
والشَّهِيْدَة	البَرَق المشوى *
والقَدِيد	اللحم المشرر المقدد *
والْحَنِيذ	حنذ الشاة شواها وجعل فوقها جارة محمأة لينضجها فهي حنيز *
والزُّمَورْد	طعام من البيض واللحم ويسمى ايضا الميسر *
والبرابير	طعام يتخذ من فريك السنبل والحليب *
والبُورَانِيَة	طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون *
والجاشريّة	طعام *

والمُجَاعِر	ما يتخذ من العجين كالتماثيل فيجعلونها في الرب اذا طبخوه *
والْحَرِيرَة	دقيق يطبخ بلبن او دسم *
والمُحَكَّر	السمن بالعسل يلصقهما الصبي *
والمُخْبَر	الطعام المدسم والخبرة والثريدة الضخمة — والطعام واللحم وما قَدَم من شئ وطعام يحمله المسافر في سفرته وقصعة فيها خبز ولحم بين اربعة او خمسة *
والْخَزِيرَة	شبه عصيدة باحم *
والمُصْجِرَة	اللبن الحليب يغلى ثم يصب عليه السمن *
والمُغْذِرَة	دقيق يحلب عليه لبن ثم يحشى بالرضف *
والمُفْرَفَر	سويق من تمر الينبوت *
والمُرِّي	ادام الكامنح *
والمُضِيرَة	مريقة تطبخ باللبن المضير *
والتَّجِيرَة	لبن يخلط بطحين او سمن *
والتَّوْغِير	لبن يغلى ويطبخ *
والتَّخَامِيز	مرق السكاج *
والتَّخْنِيز	الثريد من الخبز الفطير *
والمُرْزَز	الطعام المعالج بالرز *
والبُيْسِيَة	لت لاقط المطحون بالسمن *
والتَّحْمِيسَة	القلية *
والتَّحْيِيس	تمر يخلط بسمن واقط فتعجن شديدا *
والتَّكْسِيس	لحم يجفف على الحجارة فاذا يبس دق فيضير كالسويق *
والتَّهْرِيسَة	معروف *

طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويفسل في زنبيل ويجعل في جرة ويطين ويجعل في تنور *	والبوش
السويق وحنطة تطحن قليلا فتجعل في قدر ويلقى فيه لحم او تمر فيطبخ *	والجشيش
السمين من الشوا *	والرشرش
طعام من اللبن وحب الحنظل ونحوه *	والقميشة
طعام يعمل من اللحم والشحم في قطعة مكورة من كرش البعير *	والمكرشة
طعام من الرز والسمك *	والكوشان
الأمص والاميص طعام يتخذ من لحم عجل بجلده او مرق السكباچ المبرد المصفى من الدهن *	والأمص
طعام من التمر والسمن ويسمى ايضا البروك *	والخبيص
ضرب من الطعام *	والعص
طبخ الحمّاض باللبن فيجفف فيوكل في القيط *	والكريص
طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل او يكون من لحم الطير خاصة *	والمصوص
شى يتخذ من المخيض الغنمى *	والأقط
طعام يفرق فيه الزيت كثيرا *	والمبرقط
لارز يطبخ باللبن معرب *	والبيط
الجدى اذا سلخ فشوى *	والخليط
الجدى اذا نزع شعرة فشوى *	والسميط
حسا كالحريرة *	والسريطا
مرقة كثر ماؤها ونهرها اى بصلها وحصها وسائر الحبوب *	والسويطا

والنَّشِيط	لحم يهوى للقوم *
والْحَدِيعَة	طعام لهم *
والْحَدِيعَة	طعام بالشام من اللحم مشتق من خذع اى حَزَز وقطع والْمَحْذَعُ الْهَوَاءُ *
وَالْحَلْءُ	لحم يطبخ بالتوابل فى وعاء من جلد او القديد المشوى فى وعاء باهالته *
وَالرَّصِيعَة	البر يدق بالفهر ويبل ويطبخ بالسمن *
وَالرَّصِيعَة	حنطة تدق فيصب عليها السمن فيوكل *
وَالثَّمِغَة	ما رَق من الطعام واختلط بالودك *
وَالْحَطِيفَة	دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ *
وَالصَّفْصَفَة	السكباجة *
وَالطَّحْرَف	حسا رقيق دون العصيدة *
وَالْمَوْخِف	طعام من اقط مطحون يذر على ماء ثم يهب عليه السمن *
وَالْأَلْوَقَة	طعام طيب او زبد برطب *
وَالْحَرُوقَة	طعام اغلط من الحسا *
وَالْمَدَقَّة	من الطعام مولدة *
وَالرَّوْذَق	الحمل السميظ وما طبخ من لحم وخلط باخلاطه *
وَالزَّرِيقَا	الثريدة بلبن وزيت *
وَالسَّلِيقَة	الذرة تدق وتصلح او لاقط خلط به طرائث وما سلق من البقول ونحوها *
وَالسُوبِق	معروف *
وَالشَّارِق	ما اقتطع من اللحم صغارا وطبخ *

والوشيق	لحم يقدد حتى ييبس او يُغلى اغلاة ثم يقدد ويحمل فى الاسفار *
والوليقة	طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن *
والذليک	طعام من الزبد واللبن او زبد وتمر ونبات وتمر الورد الاحمر يخلفه ويحلو كانه رطب اله *
والربیكة	اقط بتمر وسمن *
والسهيكة	طعام *
والفريك	طعام يفرك ويلت بسمن وغيره *
واللبیكة	اقط ودقيق او تمر وسمن يخلط *
والودیكة	دقيق يشاط بشحم *
والبکیلة	دقيق بالرب او بالسمن والتمر *
والحدل	حب شجر ويختبز *
والطفیشل	نوع من المرق *
والعوکل	ضرب من الادام *
والزوم	طعام لاهل اليمن من اللبن لذيذ *
واباعاصم	السويق والسكباچ *
والهلام	طعام من لحم عجل بجلده او مرق السكباچ المبرد المصفى من الدهن *
والسخينة	طعام رقيق يتخذ من دقيق *
والکبان	طعام من الذرة لليمنيين *
والتلينة	حساء يتخذ من نخالة ولبن وعسل *
والجلية	تمر يعالج باللبن *

والأرّة	القديد ولحم يغلى بالخل أغلّة فيحمل في السفر *
والأصية	طعام كالحسى بالتمر *
والإطرية	طعام كالخيوط من الدقيق *
والكدى	لبن ينقع فيه التمر تسمن به البنات * ولو اطعمته من أنواع
الكماة الذبح	والفرحانة والقرحان والغرد وبنات أوبر والجماميس والفقع
والبرنيق	والذعلوق والقبل والعرجون والعهرن ومن أنواع السمك الثباب
والهازبى	والكنعت والكنعد والخباط وهى اولاده والبنيث والمدج والأبدج
والقّد	والغوبر والزيمير والزنجور والأشبور والطنز والانقليس والجوفى
واللحم	وابا مرينا *
والصلباح	سمك طويل دقيق *
والحافيرة	سمكة سوداء *
والجبرى	سمك طويل املس لا ياكله اليهود وليس عليه فصوص *
والضرصران	سمك املس *
والغارة	سمكة طويلة *
والقيصانة	سمكة صفراء مستديرة *
والشوط	سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين الممس صغير الراس
	كانه بربط *
والجبتس	سمكة بين البياض والصفرة *
والصلعة	سمكة صغيرة خضراء قصيرة العظم *
والحفة	سمكة بيضاء شاقة *
والعفة	سمكة جرداء بيضاء طعم مطبوخها كالارز *
والخذاق	سمكة لها ذوائب كالخيوط *

والحاقول	سمك اخضر طويل *
والقشن	سمكة عريضة قدر راحة *
والغلا	سمك قصير *
والهق	السمك الصغار الهاربة *
والبلم	صغار السمك *
والصحنة	ادام يتخذ من السمك الصغار *
والصير	الصحنة او شبهها والسمكات الملوحة يعمل منها الصجنة *
والحرید	السمك المقدد *
والقريب	السمك المملوح ما دام فى طرآته *
والطرينخ	سمك صغار تعالج بالملح *
والخساس	سمك صغار تجفف *
والنشوط	سمك يقر فى مآ وملح *
والأريبان	سمك كالبدود *
والصعقر	بيض السمك *
والسكل	سمكة سودا ضخمة *
والزجر	سمك عظام *
والبال	الحوت العظيم *
والأطوم	سمكة بحرية غليظة *
والجيدرة	سمكة كالزنجى الاسود الضخم *
والبنك	دابة كالدلفين *
والجمل	سمكة طولها ثلثون ذراعا *
والليآ	سمكة تتخذ منها الترسة الجيدة وهو ايضا شى كالحمص

شديد البياض توصف به المرأة *	
تقدم ذكرها في الغرائب * ومن المحار	والنخس
اصداق بحرية فيها شئ يوكل *	السليج
ضرب من محار البحر *	والدلاع
دويبة بحرية لها صدفة *	والقرنق
لحم يكون في جوف الصدف * ومن انواع الخبز	والجمحل
خبز الملة ومثله المفتاد والمضابة والطرموس والاصطكمة	الطرموث
والاصطكمة * ومن الغرائب هنا ان صاحب القاموس اورد	
التى بالكسر بعد ا ش م والتى بالضم بعد ص ط م *	
الريقة من الخبز وكذا الصريقة *	والرئاححة
خبز شبه القطائف *	واللحوج
خبزة انبخانية ضخمة *	والانبخاني
الثريدة الضخمة *	والخبزة
الخبز المطلقى بالكاسخ *	والمشطور
الكعك *	والساجن
الثريد من الخبز الفطير *	والخنيز
اليابس الرخو من الخبز كالرشراش *	والرشرش
الخبز الرخو اللين *	والهشاش
الخبزة المشحمة ونحوها المرولة *	والمرطقة
الخبز الرقيق *	والرقاق
خبز الارز المرقق *	والضغيفة
الخبزة المنضجة * ومن اجناس اللبن	والملى

اللبن الدسم الحلو ومثله السَّلَج والسَّمْج والسَّمْجِج *	السَّمْج
لبن المعز والضأن يخلطان أو لبن الناقة والشاة *	والقُطْبِيَّة
ما لَا يَدْرَى أحامض هو أم حقيق من طيبه *	والشَّيْط
اللبن الرائب الثخين ومثله لبن عَجَلَط وعثلط وعذلط وعكَلَط	والجُلْعَطِيط
وعَلَط * تقدم نحوى بغض كان يتكلم بالاعراب الى لبان	
فَقَالَ يالْبَانِ اعندك لبن عَثَلَط علبط عجلط فقال له اللبان	
تنصرف أو تُصَفَع *	
الزبدة المجمعة البيضاء *	والكَفْخَة
الزبد الذائب مع اللبن *	واللِّبَاخَة
الزبدة الرقيقة *	والقَشْدَة
القشدة والتمر والسويق يخلص به السمن *	والقَلْدَة
الزبد الرقيق *	والنَّهَيْد
اللبن الحليب تصب عليه الاهالة *	والعَكِيس
اللبن الذى ظهر زبدته *	والمِيرة
لبن العنز والنعجة يخلط بينهما *	والنَّخِيسَة
الحليب ما دام فى المُنْحَصَة *	والْإِمْحَاض
ضرب من لاقط أو لبن يغلط فيصير شبيها بالجبن الطرى *	وَالْحَالُوم
	ومن الحلواء
تمر يخرج نواه ويعجن بلبن ولاقط بالسكر والكعك *	الوَطِيَّة
طعام وشراب من العَرَفْط حلو *	والعَبِيبَة
السكر *	وَالْبُرْت
العسل والمقل *	وَالضَّيْح

والمَلَح	عسل في جَلَنار المَطَّ *
والعَقِيد	طعام يُعَقَد بالعسل *
والفَارِد	أبيض السكر وأجوده *
والقَنْد	عسل قَصَب السكر *
والفَانِذ	ضرب من الحلوآ *
والصَّقَر	عسل الرُّطَب والدبس *
والأكْبَر	شئ كانه خبيص يابس ليس بشديد الحلاوة يجي به النحل *
والفالوذ	م ويسمى ايضا الرُعْدِي والمُزْعَز والزَّلِيل والكمَص والمُزْعَفَر *
والمَادِي	العسل الأبيض أو الجديد أو خالصه وجيده *
والمُسِير	حلوآ *
واللوزِينج	معروف معرب *
والوَجِيز	ثريد العسل *
واللَّوَص	الفالوذ والعسل *
والسِرْطَرَاط	الفالوذ أو الخبيص *
والمَجِيع	تمر يعجن بلبن *
والقَطَائِف	معروف *
والكُرْسَفَى	نوع من العسل *
والطَّرْم	الشهد والزبد والعسل *
والمَن	كل طَل ينزل من السما على شجر أو حجر يحلو وينعقد عسلا
	ويجف جفاف الصمغ النح *
والزَّلَابِيَّة	حلوآ معروف * ومن الثمر
الصَّرْبَة	شئ كراس السنور فيه شئ كالدبس يمص ويوكل *

والعُتْرَب	شجر كالزمان يوكل *
والبُوت	شجر نباته كالزعرور *
والرُثَا	عنب له حب طوال *
والجُوح	البطيخ الشامي *
والصَدَح	ثمرة أشد حرة من العناب *
والمَلَاَحِي	عنب ابيض طويل ونوع من التين *
والعُجْد	الزبيب او ضرب منه *
والفِرْصَاد	التوت او حله او احره *
والقَشْد	نبت يشبه القثا او الخيار *
والكَشْد	حب يوكل *
والمَرِيد	التمر ينقع في اللبن *
والمَغْد	تمر يشبه الخيار *
والْحَنَاز	المشمش *
وَالصُّفْرِيَّة	تمر يمانى يجفف بُسْرًا فيقع موقع السكر في السوق *
وَالضَّيِير	العنب الذابل *
وَالزُّنْبَار	التين الحلواني *
وَالسُّكَّر	من احسن العنب *
وَالزَّرْعَاء	ضرب من الخوخ *
وَالشَّعْرَاء	ضرب منه ايضا *
وَالْبَغْتَر	شي ينضجه الثمام والعُشْر والرْمَث كالعسل وكذا المَغْفَر *
وَالغَوْفَر	البطيخ الخريفي او نوع منه *
وَالْقَبَر	عنب ابيض طويل *

والمَرَمَار الرمان الكثير الماء لا شحم له *
 والنَّهْر العنب الابيض والكَلَفِي عنب ابيض فيه خضرة *
 والجَوْزَة ضرب من العنب *
 والمِشْلُوز المِشْمَش الحلو *
 والبَلَس نمر كالتين *
 والصَّغَابِيس صغار القثآ أو نبات كالهليون *
 والمَيْس نوع من الزبيب *
 والكِشْمَش عنب صغار لا عجم له الين من العنب *
 والضُرُوع عنب ابيض كبار الحب *
 والأَقْمَاعِي عنب ابيض يصفر اخيرا حبه كالورس *
 والمَيْعَة شجرة كالتفاح لها ثمرة بيضا أكبر من الجوز توكل ولب
 نواها دسم يعصر منه الميعة السائلة (فى قول)
 والغاف شجر له نمر حلو جدا *
 والباسق ثمرة طيبة صفرا *
 والرازقِي العنب الملاحى *
 لزاد شحرفم وزعيقا ولغطا وزباطا وضجيجا وهويقول المرأة المرأة * لا
 فاحسونى المرأة * ولو انك سقيته من الشراب
 الرحيق ممزوجا بالبند الرحيق الخمر او طيبها او الخالص او الصافى
 والبند الذى يسكر من الماء *
 والسُّلْسُل ممزوجة بالسلسل السلسل الماء العذب ومن الخمر اللينة *
 والمِسْطَار مزاجها العُضْرُس المِسْطَار الخمر الصارعة لشاربها والعُضْرُس
 الماء البارد العذب والثلج *

والإِسْفِنْط مزاجها النَّقِيزُ الاسْفِنْط المطيب من عصير العنب او ضرب
من الاشربة او اعلى الخمر* والنقر المآ الصافي العذب *
والخرطوم ممزوجة بالمآ الزلال الخرطوم الخمر السريعة ومآ زلال كغراب
سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس *
والمعْتَقَّة مزاجها الفُرات المعْتَقَّة الخمر القديمة والفرات المآ
العذب جدًا *

والملث	شراب طبخ حتى ذهب ثلثاه *
والفُصَيْح	عصير العنب وشراب يتخذ من بُسر مفضوخ *
والفَقْد	شراب من زبيب او عسل كالفُقْدَد *
والمَقْدَى	شراب من عسل *
والداذِي	شراب الفساق *
والجُمُهوري	شراب مسكر او نبىذ العنب اتت عليه ثلث سنين *
والخُسْرَوَانِي	شراب *
والسُكَّر	الخمر ونبىذ يتخذ من التمر *
وَالْغُبَيْرَا	السُّكَّرُكَّة وهى شراب من الذرة *
والمَزْر	نبىذ الذرة والشعير *
والكُسَيْس	نبىذ التمر *
والبُتْع	نبىذ العسل المشد او سلالة العنب *
وَالسَّقْرَق	شراب يتخذ من الذرة او من الشعير والحبوب *
والجُحَّة	نبىذ الشعير *
وَالْفُقَاع	هذا الذى يشرب لما يرتفع فى راسه من الزبد *
والباذق	ما طبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدا *

والخَلِيطَيْنِ ما يَنْبَذُ مِنَ البُسْرِ والتمر معاً او من العنب والزبيب او منه
ومن التمر ونحو ذلك *
والصَّرِيّ المَاءُ مِنَ البسر الاحمر والاصفر يصبونه على النبق فيتخذون
منه نبيذا *

والعَكْبَى سويق المقل *
والأَطْوَاقُ لبن النارجيل وهو مسكر جدا سكر معتدلا ما لم يبرز شاربه
للريح فان برز افطر سكرة الخ *
والصَّغْفُ شراب من العسل او يشدخ العنب فيطرح ثم يغلى *
والنبق دقيق يخرج من لب جذع النخلة حلوى يقوى بالدبس ثم
يجعل نبيذا *

والسَّلِيلُ الشراب الخالص *
والمَعْمُولُ المعمول من الشراب ما فيه اللبن والعسل *
والطَّلَاُ الخمر وخائر المنصف وهو الشراب طبخ حتى ذهب نصفه *
لعربد وزاد صراخا وصياحا وهو يقول المرأة المرأة * الا فاسقوني المرأة *
بل لو سقيته من الفحفاح والكوتر * ومن رحيق مختوم * مزاجه من تسنيم *
وجعلته فى جملة من يطوف عليهم ولدان مخلدون * باكواب وباريق
وكاس من معين * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * فى
سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وما مسكوب * وفاكهة كثيرة *
لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * وعنده جنتان * ذواتا افنان *
فيهما عينان تجريان * فيهما من كل فاكهة زوجان * من دونهما جنتان *
مدها متتان * فيهما عينان نصاحتان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فيهن
خيرات حسان * فيها فاكهة والنخل ذات الاكام * والحب ذو العصف

والريحان * بين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان * بين
متكئين على فرش بطائنها من استبرق * وعلى فرش موضونة * يستقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منشورا * عاليهم ثياب
سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة * لما رايتهم والحالة هذه
راضيا من دون المرأة * فاعوذ بالله من هذا الانسان * ومع ذلك اى
مع كون وجود الطعام والشراب للرجل الزم من وجود المرأة اذ الاول
مخلوق لحفظ الحياة والثانى لتقويم الطبيعة على ما سبق ذكره * فان وجود
المرأة اصعب منهما واكثر تعذرا واغلى سعرا * اذ الطعام والشراب يوجدان
فى كل مكان وزمان * حتى ان اهل سقر لهم طعام من الرقوم والمُهْل
والضريع * وشراب من غسيل * وظل من يحوم * ولكن ليس لهم نساء
من مارج من النار او من الشياطين * ولا وجود للمرأة ايضا فى السفينة
ولا فى دير الرهبان الا نادرا * ولا لراكب فرس او جار او جمل او بغل *
ولا لساع على القدم * ولا لمباشر الحرب ولا لمسجون * ولا لقبيح الخلقة
الا اذا كان جميل الدينار والجلال * ولا لشاعر مملق وان تملقهن وسهر
الليالى فى وصف محاسنهن والششب بها * ولا لمن به تشويلة وترويلية
وزلقية وزمالقية وزهلقية وتيتائية واذليلائية ونعنية وهلوكية وشكازية وتيتلية
وعينية وحرىكية وطمسلية ومنجوفية وحضورية وسرسية وعجيرية وذوذخية
وحوقلية وهوذلية وخواخية وعذيوطية وعضيوطية وعظيوطية وتيتية وتومتية
وصفيطية ومجائية وعتولية * فان قيل ان الادرم لا خبز له ايضا * قلت
يمكن ان يدق له الخبز ناعما فيمضغه ويجترؤ به * ولكن كيف السبيل
الى مضع المرأة مع التيتائية واخواتها * ثم انه كما وقعت البلبلتة عن ذات

المرأة وحارت العقول فى السر الذى اودعه الله فيها * من جهة انها اول
الاسباب فى عمران الكون وخرابه * اذ لا يكاد يحدث فى العالم
خطب جليل الا وتراها من خلله واقفة وآه او بالحرى مضطجعة * كذلك
حصل التشويش والتخليط فى اسمها * فالمرأة فى لغتنا الشريفة مشتقة
من مرؤ الطعام اذا صار مرثيا هنيئا جيد المغبة * الا انها كثيرا ما تكون
طعاما ذا غصة وشجا وتخمة وتختير وتختير * ثم ان همزها للوصل ووصلها للهمز *
وجمعها من غير لفظ المفرد وهو متعدد * وفى بعض اللغات هى ويل الرجل *
وفى بعضها سؤاة * فاما الزوجة وهى المفهوم منها انها امرأة وزيدة او
نصف امرأة ونصف رجل فقد خصت ترصيا لها باسماء كثيرة * من ذلك
القرينة واشتقاقها معلوم * والعازبة واشتقاقها من عزب اى بعد لانها
تعزب عن ابويها الى زوجها او بالعكس او عنه الى غيره * والحرمة *
واللحاف لانها تدفى الرجل بحرجسدها كما سيأتى * والحدادة والنضر
والعرس والحليلة واللباس والجبل والحال والخضلة والشاعة والحنة والرُبص
والنعل ولست ارضى بهذه فالأولى محوها * ومن الغريب انها سميت
لباسا ولحافا ولم تسم سروالا * قال بعض العلماء اذا اراد الله ان يقضى
خيرا على الارض قيض له امرأة فكانت الوسيلة الى اجرآته * واذا اراد
الشیطان ان يقضى شرا توسل اليه ايضا بامرأة * وقد اختلفوا فى تاويل
هذا القول * فالخرجيون على ان دخول المرأة فى قضية ملك الانكليز كان
للخير المحض * والسوقيون على انه كان للشر الجهنمى * وكذلك قضية
ملكى الانكليز وقضية ايرين زوجة ليو الرابع وثيودورة زوجة ناوفيلوس *
وغير ذلك مما لا يحصى * واعلم هنا انه لم تجر العادة بان يتخذ من
النساء بابا او مطران او رئيس جيش او رئيس سفينة او قاض * وذلك لانتقاء

باسهـن وسطوتهن * فان الرجال مستعبدون للنساء بالطبع خلوا من هذه
المراتب العلية فكيف بهن اذا ولينها * فان قيل ان الافرنج يتخذون
منهن ملكات ويفاحون * قلت قد تقرر عندهم انه اذا كان رئيس
الدولة انثى كانت ادارة الاحكام والعمل كله لذكر * ولعل ذلك من مشاكل
الامور الانثوية فان هذا التعليل يصدق ايضا على كون البابا وغيره يتخذ
من النساء * ولعل قد اطلت الكلام هنا على النساء مع انه ربما يوجد فيهن
قصار غير جديرات بالطويل منه * فينبغي لي الان تطليقهن والعود الى ما
كنت بصدده * وساعدوا اليهن في موضع آخر ان شا الله *

الفصل الخامس عشر

في ذلك الموضع





في ذلك الموضع بعينه

✽✽✽

لم يطاوعني القلم على الانتقال من هذا الموضع الشهي الى الكلام في
الفاريق وامثاله * بل لعله هو نفسه يروم ذلك ايثارا له على ذاته * فلا
بد اذا من الرجوع الى وصف النساء من دون اعتذار اليه فاقول * قال
بعض الفحول من العلماء ان المرأة اشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم
وافضل واكرم * اما وجه كونها اشرف فلان شاهدهي تانيشها واقفان في محل
مرفوع * بحيث يمكن لها ان تراهما او تريهما ايان شات من دون
تطاطي راس وانحناء * وفي ذلك من العز والشرف ما لا يخفى * لا ترى
ان بعض الادباء قال ان من عز لا ان يقولها لانسان وهو رافع راسه * ومن
ذل نعم ان يقولها وهو خافضه * اما شاهدا الرجل فهما منكوسان في محل
منخفض بحيث لا يقدر ان يراهما الا اذا تطاطا وانحنى * واما وجه كونها
افخم فلان ساقيا اللتين هما عمودان لهيكل الجسم * وبطنها الذي هو
منبت لتكوين النسمة * وعجزها الذي هو مورد للاعجاز * تكون افخم
من ساقى الرجل وبطنه وعجزه * واما وجه كونها انبل فلانها تنبل بما يلقي
اليها مدة تسعة اشهر * واما وجه كونها احلم فلان سمة الحلم ترى في
شاهدهي تانيشها * واما وجه كونها افضل فلانها خلقت من الرجل وعقبه *

وهو خلق من تراب * لكنها اذا ماتت (معاذ الله من ذلك) تستحيل الى
تراب كالرجل لا الى اصلها الذى اخذت منه اى لاتصير رجلا ولا ضلعا *
واما وجه كونها اكرم فلانها ارق فوادا وارحم قلبا والين طبعا * فاذا رأت
احدا محتاجا الى شى من عندها لم تنصن به عليه * وناهيك ما جاء عن مادم
السيدة زبيدة اذ قال

ازبيدة ابنة جعفر طوبى لزاترك المشاب
تعطين من رجليك ما تعطى لأكف من الرقاب

فلما انكر الوصفاً عليه ذلك وهموا بضربه انتهرتهم واحسنت اليه لعلها
انه لم يخطئ الوصف * وقال فحل اخر ان المرأة تعمّر فى الغالب اكثر
من الرجل * وسبب ذلك انها لما كانت مفطورة على اللين والطفولة
والنعومة كان لها ان تتلقى ما يستقبلها من الحوادث بالصبر والثبات *
فتكون به مئلا اى تارة تميل الى هذا الشق وتارة الى ذلك * فمثلا كمثل
الغصن الرطيب يميل مع الريح فلا ينقص * فاما الرجل فانه لما كان
مفطورا على القسوة واليبوسة فمتى دهمه امر تصلب له واقتسح فلا يلبث
ان يعطب به * فمثله كمثل الشجرة اليابسة اذا قويت عليها الريح * قال
ومن خواصها ايضا ان الخمرة لا تبلغ منها قدر ما تبلغ من الرجل *
واختلفوا فى تعليل ذلك * فذهب قوم الى ان فى دم المرأة قوة جاذبية
تغلب على الخمر فتجذبه سفلا فلا يصعد الى دماغها * وزعم بعض ان
فى المرأة نوعا من الخمر يسمى رصاها وهو فيها قوى جدا * بحيث اذا
خالطه الشراب اتى شراب كان ذهب بقوته * والقطرة من هذا النوع تباع
احيانا ببذرة واحيانا براس انسان او بعنقه * ومن خواصها ان شعرها

يكون اطول من شعر الرجل * وشعرها ابلغ من شعرة * وشعرها ادق * ومشاعرتها
انفع * اما الاول فلم يختلف فيه اثنان * واما الثانى فلانها اذا قالت
شعرا فانما تقوله فى رجل فهو يعجب الرجال ويبلغ منهم بالطبع * ويعجب
النساء بالطبع والصنعة ايضا * ولعل ذلك مشكل آخر من المشاكل الانثوية *
فانى ارى هذا التعليل يصدق على الرجل فانه انما يقول الشعر فى امرأة *
ويمكن ان يجاب بان الشاعر المجيد اكثر شعرة يكون فى غير الغزل * وذلك
كاختلاق مدح يقتريه على امير * او وصف مجلس انس او حرب ونحوه *
واما الثالث فلانها اذا مرت مثلا بحانوت بزاز ورات بزا شفافا اترنجى
اللون * فاول ما تلمحه تقول لك هذا يصلح لليل * وربما كان فكرك
وقتئذ فى كتاب تطالعه او فى شرآ حمار تركبه * واذا رات ديباجا اخضر
قالت بديها هذا يصلح للشتآ * او كتانا ابيض فاخرا خصصته بالصيف * ثم
اذا مرت بدكان جوهري او اذا تهوست انت واخذتها اليه قالت لك
على الفور هذا الحجر الماس يصلح لان يجعل فصا فى خاتم للبنصر * وهذه
الياقوتة فى خاتم للخنصر * وهذه الزمرذة فى خاتم للمتوسطة * وهذا
الفيروز فى خاتم للسبابة * وهذه الفريدة فى خاتم للابهام * وهذه
اللالى الكبيرة لقلادة فى العنق * وهذه الصغيرة لسوار * وهذه السلاسل
الذهب المرصعة توضع فى العنق مع القلادة وتدلى الى الخصر ويعلق بها
ساعة من ذهب * وهذه الشنوف الثقيلة للشتآ * وتلك الخفيفة
للصيف * وهذه المتوسطة للربيع والخريف * وفكرك لم يزل مشغولا
بالحمار * فان قيل ان الكاف فى فكرك خطاب مطلق لكل قارى
وربما تشرف كتابك هذا بمطالعة امير او غيره من السادة العظام فلا يصح
توجيه الخطاب اليه * لان الامير لا يفكر فى الحمير * قلت قد ورد فى

سفر التكوين فى الفصل السادس والثلاثين ان عاتة من ولد سكير الحورى
كان يرعى حمير ابنيه زبيون وكان اميرا * بل قد علق عليه فى بعض
النسخ جلاّ دوك وهو اعظم من الامير * ثم انها اى المرأة لم تلبث حالة
كونها ناظرة الى تلك الجواهر ان تقسم اهل المصر جميعا الى خمسة اقسام
القسم الاول فى تهيئة الجواهر *

من التجاب ما اذيب مرة من حجر الفضة *
والشخلة خرز بيض تشاكل اللولو او الحلى يتخذ من الليف والخرز
وقد تسمى الجارية مشخلة بما عليها من الخرز وليس على
بنائها شى * قلت وفى محفوظى ان ابن الاثير حكاه بتقديم
النخا على الشين دون ها *

والضئب حب اللولو *
والقصب ما كان مستطيلا من الجواهر والدّر الرطب والزبرجد
الرطب المرصع بالياقوت *

واليشب حجر معروف *
والبهت حجر معروف *
والكبريت الياقوت الاحمر والذهب او جوهر معدنه خلف التبت بواى
النمل وفى ت ب ت تبت كسكر بلاد بالمشرق ينسب
اليها المسك الاذفر *

والياقوت معروف *
والذهنج جوهر كالزمرذ *
والزبرج جوهر او الزينة من وشى *
والزبرجد الزبرجد *

والصليجة	سبيكة الفضة المصفاة *
والمَرَّجان	م وتعريفه في القاموس انه صغار اللولو *
والخرايد	الخريدة اللولة لم تثقب *
والفريد	الشذر يفصل بين اللولو والذهب ج فرائد والجوهرة النفيسة والدر *
والجُذاذ	حجارة الذهب *
والبُلُور	جوهر معروف *
والتبر	الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة او ما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ ومكسر الزجاج وكل جوهر يستعمل من النحاس والصفرة *
والسيرا	الذهب الخالص *
والشذر	قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا اذابة او خرز يفصل بها النظم او هو اللولو الصغار *
والشمور	الماس *
والعمرة	الشذرة من خرز يفصل بها النظم *
والنصار	الجوهرة الخالص من التبر *
والخرز	الجوهرة وما ينظم *
والفلز	نحاس ابيض — او جواهر الارض كلها او ما ينفيه الكبير من كل ما يذاب منها *
والهبرزي	الذهب الخالص *
والترامس	الجمان *
والحص	اللولة ونحوها الخوصة *

ما اخلصته من الذهب والفضة *	والجِلاص
مآ الذهب *	والدَّليص
خرز بيض صغار يلبسها الصغار *	والنَّخَص
اللؤلؤ والصدف *	والشَّع
الخرز اليماني الصيني *	والجَزَع
ضرب من الودع *	والزَّلِيل
ضرب من العقيق *	والينع
الذهب وكمال حسن الشئ *	والزَّخَرَف
الفضة الخالصة *	والصَّرِيف
السفيقة الصربية الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوهما *	والسَّفائق
معروف *	والعقيق
اللؤلؤ والدر الصافي وخرز معروف *	والنَّصَل
البلّور *	والْحَوْمَة
اللؤلؤ او هنوات اشكال اللؤلؤ من فضة او خرز بَيَض بما الفضة *	والجُمان
جواهر الزجاج *	والْمِينَا
اللؤلؤ وحصى ابيض والمهّاة البلورة *	والْمُهْو
الزجاج ويقصر او القوارير وجر ابيض ارخي من الرخام —	والنِّهَاء
وضرب من الخرز *	

القسم الثاني في عمل الحلّي

راس المكحلة *	من البُوبُو
القلادة *	والأَرَبَة
حلي *	والأَرْنَب

والمعقب	القرط ومثله الرعثة ج رعاث *
والهجة	خرزة او لولة تعلق في الاذن *
والدملج	معروف *
واليارج	القلب او السوار *
والجانح	الجانح من الدر نظم يعرض او كل ما جعلته في نظام *
والداح	سوار ذو قوى *
والسنيح	الدر او خيطه قبل ان ينظم فيه والحلى *
والوشاح	كرسان من لولو وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر واديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها *
والوضح	حلى من الفضة *
والفتحة	خاتم كبير في اليد او الرجل او حلقة من فضة كالحاتم *
والخلدة	السوار والقرط *
والزراد	المخنقة *
والعضاد	الدملج كالمعضاد *
والعقد	معروف *
والقلادة	ما جعل في العنق *
والمنجد	حلى مكلل بالفصوص وهو من لولو وذهب او قرنفل ياخذ من العنق الى اسفل الثديين يقع على موضع النجاد *
والمسجور	من اللولو المنظوم المسترسل *
والسفيرة	قلادة بعري من ذهب وفضة *
والشعيرة	هنة تصاغ من فضة او حديد على شكل الشعيرة النخ *

والعُتْرَة	قلادة تعجن بالمسك والافاويه *
والعُمر	الشنف *
والتَّقْصَار	القلادة ج تقاصير *
والكُسْبَر	المُسْك من العاج كالسوار *
والقَفَّاز	— او ضرب من الحلى لليدين والرجلين *
والجُبْس	سوار من فضة يجعل فى وسط القرام *
والسُّلْس	— او القُرْط من الحلى *
والشُّمْس	ضرب من القلائد *
والقُدَّاس	شى يعمل كالجمان من الفضة *
والكَبِيس	حَلَى مجوف محشوطيبا *
والقلادة المكرَّسة	وهى ان ينظم اللولو والخرز فى خيط ثم يضما بفصول بخرز كبار *
والنَّقَرِس	شى يتخذ على صنعة الورد تغرزة المرأة فى راسها *
والخَرْبِصِص	القرط والحبة من الحلى *
والخُرْص	حلقة الذهب والفضة او حلقة القرط او الحلقة الصغيرة من الحلى *
والخَوْط	خيط مفتول من لونين اسود واحمر فيه خرزات وهلال من فضة تشده المرأة فى وسطها لئلا تصيبها العين *
والسِّمْط	قلادة اطول من المخنقة *
والعَلْطَة	القلادة *
والقُرْط	الشنف او المعلق فى شحمة الاذن *
واللَّط	القلادة من حب الحنظل المصبغ *

والأنواط	المعاليق *
والرُصِيعَة	حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة في سيف او سرج او غيرها *
والشَّنْف	القرط الاعلى او معلق في قوف الاذن او معلق في اعلاها *
والنُطْفَة	القرط او اللولة *
والوَقْف	سوار من عاج *
والجَزَاق	السوار الغليظ *
والجَلَق	خاتم من فضة بلا فض وهو ايضا خاتم المُلْك *
والْمِخْنَقَة	القلادة وكذا المزنقة والمعنقة *
والْحَوَق	حلقة القُوط والشنف *
والذَّيْشَق	كل حلي من فضة بيضا خالصة *
والزَّنَاق	كل رباط تحت الحنك *
والسَّوْذَق	السوار والقلْب *
والطَّارِقَة	قلادة *
والطَّوْق	معروف *
والْقَلَقِي	ضرب من القلائد *
والْمَسْك	الاسورة والخلخال *
والجَدِيل	الوشاح *
والْحُبْلَة	ضرب من الحلي *
والجِجَل	الخالخال *
والْمُرْسَلَة	قلادة طويلة تقع على الصدر او القلادة فيها الخرز *
والسِدْل	السمط من الدر يطول الى الصدر *

حلى من لؤلؤ وفضة يشبه بعضه بعضاً يُقَرَّبُ به النساءُ الواحد شكلاً *	والأشكال
القلادة كالطميل لأنها تَطْمَلُ أى تَلَطِّخُ بالطيب *	والطميل
شئ من عاج مستدير يتلألؤ يعلّق فى صدر المرأة *	والقَبْلُ
ما تشدّه المرأة فى رأسها *	والقِرْمَلُ
شبه عصاة تزين بالجوهر *	والإكيل
ضرب من الحلى *	والمحال
ضرب من الحلى *	والنخل
الألوان المختلفة وزينة التصاوير والنقوش الخ *	والتهاويل
حبل للمرأة فيه لوان مزين بجوهر *	والبريم
توائم اللؤلؤ ما تشابك منها *	والتوائم
اللولة والقرط فيه حبة كبيرة *	والتؤمة
معروف *	والخاتم
القلادة *	والعصمة
القلادة ونوع من الصياغة فى المخانق او بنات كرم حلى	والكُرم
كان يتخذ فى الجاهلية *	
كل خيط نظم خرزاً *	والأنظام
القلادة *	والثكنة
سفيفة من آدم ينسج وفيها خرز من كل لون تتوشحه المرأة *	والجمان
الخلخال *	والبرة
القلادة او التى توضع فى عنق الغلام *	والرى
العقد من الدر او اللولة *	والونبة
روس الاسورة والخلخال	الى الحُشَل

القسم الثالث فى عمل الطيب واتخاذ المشموم

من الأناب	المسك او عطر يضاهيه *
والجَلَاب	مَا الرود *
والزَّرْنَب	طيب او شجر طيب الرائحة *
والكَرْكَب	نبات طيب الرائحة *
والمَلَاب	عطر او الزعفران *
والشَّت	نبت طيب الريح يُدْبَغ به *
وَالْيَنْجُوج	عود البخور *
وَالرَّبَاحَى	جنس من الكافور *
والمَرْنَج	اجود عود البخور *
وَالرَّيْحَان	نبت طيب الرائحة او كل نبت كذلك *
والشَّيْح	نبت طيب الرائحة *
وَالصِّيَّاح	عطر او غَسَل *
وَالنُّضُوح	طيب *
وَالسَّايِخَة	عطر كانه قشر منسلخ ودهن ثمر البان قبل ان يربَّب *
وَاللَّيْخَة	نافجة المسك *
وَاللَّخَاحَة	طيب م *
وَالسَّعْد	طيب م *
وَالرَّزْد	شجر طيب الرائحة والعود والآس *
وَالزَّبَاد	م ويسمى الزَّهْم *
وَالْعَبْد	نبات طيب الرائحة *
وَالْقَنْدِيد	العنبر والكافور والمسك وطيب يعمل بالزعفران *

طيب م *	والند
دهن والغسل المطيب *	والحنيد
شجر له ورد يطيب به الدهن *	والكاذى
نبت طيب الريح *	والبهار
دهن يتخذ من الزيت بافاويه الطيب *	والخطار
الورس واشيا من الطيب *	والخمرة
عطر *	والذرية
نبت طيب الرائحة *	والزبر
حشيش طيب الريح *	والاذخر
عطر *	والساهرة
الريحان الفارسي *	والضمران
العود او المطري منه *	والمطير
شى من العطر كانه ظفر مقتلف من اصله *	والظفار
الزعفران او اخلاط من الطيب *	والعبير
النرجس والياسمين ونبت آخر *	والعبر
الطيب *	والعطر
الريحان يزين به مجلس الشراب *	والعمار
روث دابة بحرية او نبع عين فيه *	والعنبر
نبت طيب او هو الغريآ *	والغرا
طيب او الكبابة *	والفاغرة
العود الذى يتبخر به *	والقطر
نبت طيب نورة كنور الاقحوان والطلع او وعآوه وطيب م	والكافور

يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين النخ *	والسريين
ورد م *	والعجوز
ضرب من الطيب *	والبلسان
شجر صغار كشجر الحنّاء لا ينبت آلا بعين شمس ظاهر	
القاهرة يتنافس في دهنها *	
نبات طيب الرائحة *	والقلسان
نبات طيب الرائحة ويسمى ايضا الرأس *	والقنس
الجيري ويقال له المنشور والنام *	والهيس
طيب تجعله المرأة في مشطها *	والمرقوقش
الورس والزعفران *	والحص
البان ودهن الخردل *	والسعيط
عود هندي وعربي *	والقسط
ضرب من الطيب *	والضياع
عطر كالمائعة *	والميعة
صبغ فيه من افواه الطيب *	والنقوع
نبات طيب الرائحة *	والعوف
ضرب من الطيب *	والخلاق
ضرب من الطيب *	والرجيق
طيب م *	والبنك
طيب يتخذ من الرامك *	والسك
المسك المشموع اى المخلوط بالعنبر *	
ضرب من الطيب *	والتشل

الرَّعْلَة	اكليل من ريحان وآس *
السَّنْبِل	نبات طيب الرائحة *
القُنْدُول	شجر بالشام لزهرة دهن شريف *
النَّدَل	العود او اجوده كالفندلى *
البِشَام	شجر عطر الرائحة *
البَهْرَمَان	العصفر والحنّا *
البُومَة	شجرة اطيّب رائحة من لآس *
الجَيِّمَان	الزعفران وكذا الرِّيِّهَان *
الخُزَامَى	خَيْرَى البر *
الصُّرْم	شجر طيب الريح *
المَكْتُومَة	دهن يجعل فيه الزعفران او الكَثَم *
اللَّطِيْمَة	المسك *
الْمَنْشَم	عطر شاقّ الدق او قرون السنبِل *
النَّمَام	نبت طيب *
المَهْضُومَة	طيب يخلط بالمسك والبان *
الْأَشْنَة	عطر ابيض مما يلتف على شجر البلوط والصنوبر *
الْبَان	شجر لحب ثمره دهن طيب *
الجَفْن	شجر طيب الرائحة *
الْحَنُون	الفاغية او نور كل شجر *
الرَّقُون	الحنّا والزعفران *
الكُثْنَة	شى يتخذ من آس واغصان خلاى تبسط وينصد عليها الرياحين اصله كُثْنَا او هى نَوْرْدَجَة من القصب والاغصان

والرطبة الوريقة تحزم ويجعل جوفها النور قلت ونحوها الكثرة *	والسوسن	شى تجعله النساء فى الغسلة لروسهن *
والغالية	طيب م *	
والفاغية	النمالة وزهر الحنّا والافعا الروائح الطيبة *	
والفاغية	نور الحنّا او يغرس غصن الحنّا مقلوبا فيثمر زهرا اطيب من الحنّا فذلك الفاغية *	
والكبّا	عود البخور او ضرب منه *	
والكاذى	دهن ونبت طيب الرائحة *	
واللوة	العود يتبخر به *	
والقدا	شى يطيب به كالبخور *	

القسم الرابع فى عمل الآنية والادوات والمتاع والفرش

من الغرب	جام من الفضة *	
والشفارج	الطبق فيه الفيخات والسكرجات *	
والصراحيات	آنية للخمر *	
والمطافح	المغارف *	
والبهار	اناء كالاباريق *	
والطرجهارة	شبه كاس يشرب فيه ونحوه الطرجهالة والفنجانة ويقال للفنجانة الصغيرة سؤملة *	
والشوارف	وعا الخمر من خابية ونحوها *	
والاكواب	والاباريق والقوارير والكؤوس والاقداح والطاس والصحون والعُتد	
والخروس	والصيعان والدنان والصحاف والقصاص والزُجج والقوارى	
والجفان	والعُلاب والبواطى والمآكل والقعب والنواجيد والعُساس والعُسس	

والفِدام والعُسوف *	
والجَهْمَة	القدر الضخمة *
والهَيْطَلَة	القدر من صفر *
والمرْجَل	القدر من الحجارة والنحاس *
والكَفَّت	القدر الصغيرة *
والهَيْجَاب	القدر العظيمة وكذا البساط *
والتَّامُورَة	الابريق والحقة والثميمة المشدودة الراس *
والقَعْن	الجفنة يعجن فيها *
والجَام	م ونحوه الصاع *
والمَكُوك	طاس يشرب به *
والعِيزَار	صرب من اقداح الزجاج *
والسُّعُوف	الاقداح الكبار وامتعة البيت وكل شى جاد وبلغ من مملوك او علق او دار فهو سَعْف وبالتسكين السلعة *
والوَرَسِيّ	من اجود اقداح النصار *
والزُّورَا	اناء من فضة *
والفائور	الطست او الخوان من رخام او فضة والناجود والباطية *
والقُدْمُور	الخوان من فضة *
والدَيْسِق	خوان من فضة *
والقَرَقَار	إناء *
والمُثَبَّنَة	كيس تضع فيه المرأة مرآتها واداتها *
وَالْعِكْمُ	نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها *
وَالقُشُوة	قفة من خوص لعطر المرأة *

والجُونة	سَقَطَ مَغْشَى بَجَلْدِ ظَرْفٍ لِلطَّيْبِ *
والْعَتِيدَة	الطَّبْلَة أَوْ الْحَقَّة يَكُونُ فِيهَا طَيْبُ الرَّجُلِ وَالْعُرُوسِ وَكَذَا الشَّرِيطُ *
والدَّرَج	جَفَشَ النِّسَاءَ الْوَاحِدَةَ بِهَا *
والصَّوَان	مَا يَصَانُ فِيهِ الثَّوبُ *
والتُّخْت	وَعَا تَصَانُ فِيهِ الثِّيَابُ وَنَحْوُهُ الْعَيْبَةُ وَالْمَبْنَاءُ *
والأَسْطَان	آنِيَةُ الصَّفَرِ *
والأَبْرَن	حَوْضٌ يَغْتَسَلُ فِيهِ وَقَدْ يَتَّخِذُ مِنْ نَحَاسٍ *
والشَّجَاب	خَشَبَاتٌ مَنْصُوبَةٌ تَوْضَعُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ *
والْعُدْن	الْعِدَانُ الْقَضِيبُ تَعْلَقُ عَلَيْهِ الثِّيَابُ *
والتَّقْدَانَة	غُلَافُ الْمَكْحَلَةِ وَخَرِيطَةٌ مِنْ أَدَمٍ لِلْعَطْرِ وَغَيْرِهِ *
والْحَنَاجِيد	الْحُنَّجُودُ قَارُورَةٌ طَوِيلَةٌ لِلذَّرِيرَةِ وَوَعَا كَالسَّقَطِ الصَّغِيرِ وَنَحْوُهُ الْحُنَّجُورُ *
والبَز	الثِّيَابُ أَوْ مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الثِّيَابِ وَنَحْوِهَا *
والْعَقَار	مَتَاعُ الْبَيْتِ وَنَضْدُهُ الَّذِي لَا يَبْتَذِلُ إِلَّا فِي الْأَعْيَادِ *
والتَّقَل	كُلُّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ *
والبَتَات	الْجِهَازُ وَمَتَاعُ الْبَيْتِ وَنَحْوُهُ الْمَحَاشِ وَالْأَثْلَةُ وَالشَّدْبُ وَالزَّلْزَلُ وَالْأَهْرَةُ وَالرِّهَاطُ وَالسُّفَاطَةُ وَيُقَالُ لِقِمَاشِ الْبَيْتِ خَاشٍ مَاشٍ وَقَاشٍ مَاشٍ وَقَرَبُوشُ *
والتَّجْد	مَا يَنْجَدُ بِهِ الْبَيْتُ مِنْ بُسْطٍ وَفَرْشٍ *
والتَّضْد	السَّرِيرُ يَنْضَدُ عَلَيْهِ *
والتَّضِيدَة	الْوَسَادَةُ وَمَا حَشِيَ مِنَ الْمَتَاعِ *

والْبُورِيَّة	الحصير المنسوج *
والمِسْور	متكا من ادم *
والبَقْرَى	ضرب من البسط *
والرَّفْرَف	ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط — والفراش
	والوسادة والبسط *
والزَّيَّة	البساط *
والنَّط	ضرب من البسط *
والمُسْحِيَّة	نوع من البسط *
والْأَرْض	بساط ضخم من صوف او وبر *
والنَّسْج	السجادات *
والزَّرَابِي	النَّمارق والبسط او كل ما اتكى عليه الواحد زَرْبِي *
والتَّحَال	الطنافس الحيرية *
والتَّمارِق	الوسادة والميثرة والطنفسة *
والتَّزْنُوك	ضرب من البسط *
والتَّوْرَاك	نوب يزين به التَّوْرُك وهو الموضع الذى يجعل عليه
	الراكب رجله *
والتَّراطِل	التَّراطلة المظلة الضيقة *
والتَّظَلُّل	الظَّلة العاشية وشى يستتر به من الحر والبرد *
والتَّماطر	المِطر نوب صوف يتوقى به من المطر كالممطرة *
والتَّزْفَان	الزَّفْن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر
	البحر ونداءه *
والتَّسْرَادِقَات	السرادق الذى يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف

ولا بد كذلك من اتخاذ السيف للحمّام وهي حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل * ثم تزين تلك الدار السعيدة

بالفسيفساء والسرّنج * الفسيفساء ألوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل * والسرّنج شئ من الصنعة كالفسيفساء * وبسرر مرّمة أى مزينة بالجواهر ونحوها وبمجلّات ومنصّات وبارائك وعروش وكراسى وطوارق من

العاج عظم الفيل *

والساج شجر * خشب اسود للقصاع او هو لآبنوس او الساسم او خشب الجوز * والشيزى

والسمر شجر معروف *

والنضار خشب للوانى *

والعيزار شجر *

والضبار شجر البلوط *

والساسم شجر اسود او لآبنوس *

والثروع شجر جلى يسمو *

والشوط شجر تتخذ منه القسي او ضرب من النبع *

والضبر شجر جوز البر *

والصومر شجر الباذروج *

والصنار الدلب *

والسلام شجر * قيل لاعرابى السلام عليك قال الجشحات عليك قيل ما

هذا جواب قال هما شجران مرّان وانت جعلت على واحد

فجعلت عليك الآخر *

والكنهيل شجر عظام *

شجر كالاس ورقا وحبا او هو الشمشاذ *	والْبَقْس
شجر للقسي *	والنَّشْم
السدر البرى وشجر آخر *	والضَّال
شجر يقال له بالفارسية خوش ساي *	والْبَقْس
شجر كالصنوبر ارزن من الابنوس *	والْبَش
شجر صلب *	والشُّحْس
شجر عظام *	والْمَيْس
شجر يعمل منه البرابط ولاعواد *	والوَّعْس
شجر جبلى خشبه متين *	والقَطْف
ثم تزين بقوارير من البلور *	
ضرب من النحاس *	والْقَطْر
النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد *	والْقِلْز
نحاس ابيض تجعل منه القدور المفرغة او — *	والْقِلْز
شى كالرخام لا انه دونه فى اللين *	والْبَلْط
حجارة باليمن تضي ما وراها كالزجاج *	والْبَلْق
جر ابيض كالرخام *	والْحَكْكَ
جر ابيض ارخى من الرخام *	والنِّهَاء
اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد ونحوهما *	والْمَهْل
ضرب من الحجارة املس *	والْمَيْصَم
ثم تمام زينة هذا المكان الشريف واثاب محشو بالعُشْر والجُرَيْمِلَة * الوثاب	
السريبر والفراش * والعُشْر شجر يحشى فى المتخاد ويخرج من زهرة وشعبه	
سكر * والحريملة شجرة تنشق جراوها عن الين قطن ويحشى به المتخاد	

الملوك * غير انى ارتكبت هنا غلطا فاحشا فى تاخيرى ذكر الفراش وهو
اول ما يخطر ببال المرأة عند دخولها بلدا * وهنا تم اثاث الدار *
وفكر ك لم يزل مشغولا بالحمار *

القسم الخامس فى عمل الثياب

الترقيبة	وهى ثياب بيض من كتان مصر *
والجلباب	القميص وثوب واسع للمرأة *
والسكب	ضرب من الثياب *
والسلاّب	الثياب السود *
والقصب	ثياب ناعمة من كتان *
واللبية	ثوب كالبقيرة *
والنقبة	ثوب كالازار *
والبطماج	ما كان احد طرفيه مخملا او وسطه مخمل وطرفاه منيران *
والمعرجة	المخططة فى التواء *
والمونوجة	ثياب رخوة الغزل والنسج *
والهبرج	الموشى من الثياب *
والمترحة	المترح من الثياب ما صبغ صبغا مشعا *
والوجيح	الصفيق من الثياب *
والخوخة	ضرب من الثياب اخضر *
والولينج	ثوب من كتان *
والثفايد	ضرب من الثياب *
والجماد	ضرب من الثياب *
والمعصدة	المعصد ثوب له علم فى موضع العضد *

والفرند	ثوب م *
والمقرمدة	ثوب مقرمد مطلى بشبه الزعفران *
والمجسدة	المصبوغة بالزعفران *
والمقدية	ثياب م *
والمهردية	المصبوغة بعروق الهرد *
واللاذة	ثوب حرير صينى *
والبطرية	الثياب البيض الواسعة *
والحصير	ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب مأخذه لحسنه *
والخسروانية	نوع من الثياب *
والدثار	ما فوق الشعار من الثياب *
والسابرية	الثياب الرقيقة الجيدة *
والمسيرة	المسير ثوب فيه خطوط *
والصدرة	ثوب م *
والصدار	ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر *
والعقرية	عقربلدة ثيابها فى غاية الحسن *
والمعجر	ثوب تعتجر به المرأة وثوب يمانى *
والعشارية	ثوب عشارى طوله عشرة اذرع *
والعقار	ضرب من الثياب احمر *
والبطرية	ثياب كتان بيض *
والممر	ضرب من تقطيع ثياب النساء *
والمنيرة	المنسوجة على تبرين *
والباغزية	ثياب من الخز او الحرير *

والتَّوْزِيَّةُ	منسوبة *
والمُرْعَزَةُ	المرعزي الزغب الذي تحت شعر العنز *
والمطرزة	المعلمة *
والمفروزة	ثوب مفروز له تطاريف *
والقرمزية	المصبوغة بالقرمز *
والقَمَزُ	ثياب من صوف احر كالمرعزي وربما يخالطها الحرير *
والتَّيْسِيَّةُ	تنيس د تنسب اليه الثياب الفاخرة *
والمُدْمَقْسَةُ	الدَّمَقْسُ لا يريسم او القز او الديباج او الكتان *
والقَسِيَّةُ	منسوبة الى قس من ارض مصر *
والكِرْبَاسُ	ثوب من القطن الابيض *
والمُلْسَلَسَةُ	الموشاة المخططة *
والتَّوْسِيَّةُ	نرسية بالعراق *
والمورسة	المصبوغة بالورس *
والأكياش	الثوب الذي اعيد غزله مثل الخز والصوف *
والمأجشون	الثياب المصبغة *
والمقفصة	المخططة كهيئة القفص *
والمحرصة	المصبوغة بالأجريس للعصفر *
والعُرْضِيَّةُ	جنس من الثياب *
والمِعْرَضُ	ثوب تجلى فيه الجارية *
والرَّيْطَةُ	كل ملأة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب لين رقيق *
والمِسْجَلَاتُ	ثياب كتان موشية وكان وشيه خاتم *

والسُط	ثوب من صوف وبالكسر الثوب ليست له بطانة طيلسان *
والمقطّعات	القصار من الثياب — او برود عليها وشى *
والمردّعة	التي فيها اثر طيب *
والصدّيع	ثوب يلبس تحت الدرع *
والمصلّعة	المسيرة المخططة وما جعل وشيها على هيئة الاضلاع *
والنّصع	ثوب ابيض *
والموشّعة	المعلّمة *
والشرافيّ	ثياب بيض *
والشّف	ويكسر الثوب الرقيق *
والبندقيّة	ثياب كتان رفيعة *
والمحقّقة	الحكمة النسج *
والخزّ رانق	الثياب البيض *
والدّبيقيّة	دبيق د بمصر *
والرّثاق	ثوبان يرتقان بحواشيهما
والرازقية	ثياب كتان بيض *
والمزبرقة	المصبوغة بحمرة او صفرة *
والعلّقة	ثوب بلا كمين — او الثوب النفيس *
واللفاق	ثوبان يلفق احدهما بالآخر *
والمحبّكة	الموثقة المخططة *
والمجّول	ثوب للنساء *
والحمّلة	الثوب المحمل كالكساء ونحوه كالخميل *
والحال	الثوب الناعم وبرد يمنى *

والدَّرَقْل	ثياب كالارمنية *
والمَرَجَل	ثياب فيها صور المراحل *
والمَرَجَل	ضرب من ثياب الوشى (اورد صاحب القاموس التى بكسر الجيم فى رج ل والثى بفتحها فى مادة على حدثها) *
والمَرْمَلَة	المرققة *
والمَسْحَل	ثوب ابيض من قطن ونحوه المَسْحَل *
والمُسْلَسَلَة	ثوب مسلسل فيه وشى مخطط *
والمَعْقَل	الثوب الاحمر *
والمفلقلة	الموشاة كالفلقل *
والمُسْطَلَانِيَة	ثياب منسوبة الى عامل *
والمُصِيلَة	الثوب المخطط *
والمهلهلة	الريقة *
والمَمِيَّة	منسوبة *
والمُزَم	جنس من الثياب والثوب المفتول الغزل طاقين *
والمُجَهَرِيَّة	ثياب منسوبة من نحو البسط او هى من الكتان *
والمُرْسَمَة	المخططة *
والمُرْقَمَة	المخططة والرقم ضرب من الوشى او الخرز او البرود *
والمَعَم	المرط الاحمر او كل ثوب احمر *
والمَقْدَم	ثوب احمر *
والمِقْرَام	ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش او ستر رقيق كالمقْرَم *
وابى قلمون	ثوب رومى يتلون الوانا *
والمَلْحَم	جنس من الثياب *

والنَّيْمَ	كل لَيْن من عيش او ثوب *
والْأَخْنَى	الثوب المخطط *
والدَّفْنَى	ثوب مخطط *
والأَرْجَوَان	ثياب حر *
والسَّبْنَى	ثياب من حرير فيها امثال الانترج *
والشُّتُون	الليننة من الثياب *
والشاذكونة	ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن *
والمُعْرَجَنَة	المصوّر فيها اشكال العرجون *
والمعِينَة	ما كان فى وشيها ترابيع صغار كعيون الوحش *
والمفَنَنَة	ثوب مفتن فيه طرائق ليست من جنسه *
والمفَوَّهَة	المصبوغة بالفوة (عبارة القاموس فى ف وه والفوة كسكر عروق رفاق طوال حر يصبغ بها النخ وفى ف وى الفوة كالفوة عروق يصبغ بها) *
والتَّوْهَى	ثياب بيض *
والنَّهْنَة	الثوب الرقيق النسج *
والمُلهَلَة	الملهله من الثياب كالمهلل *
والموجَّهَة	ما كان لها وجهان *
والمَحْشَأُ	كسآ غليظ او ابيض صغير يتزر به او ازار يشتمل به *
والتَّيْجَة	كسآ اسود *
والخُصِيع	كسآ من صوف *
والإصْرِيج	كسآ اصفر والخز الاحمر *
والمُسَبَّح	الكسآ القوى الشديد ونحوه المشبَّح *

والسَّيِّح	الكسآ المخطط كالمسيح *
والبجاد	كسآ مخطط *
والبرجد	كسآ غليظ *
والجوديا	الكسآ *
والأغشر	ما كثر صوفه من الأكسية *
والخميصه	كسآ اسود مربع له علمان *
والبرط	كسآ من صوف او خز ج مروط *
والشملة	كسآ دون التقطيفه *
والطميل	الكسآ الاسود والثوب المشبع صبغا *
والماري	كسآ صغير له خطوط مرسله *
والشرعي	ضرب من البرود *
والعصب	ضرب من البرود *
والمكعب	الموشى من البرود والاثواب والثوب المطوى الشديد الادراج *
والجلج	ضرب من البرود المخططة *
والشيخ	برد يعنى *
والقرح	ضرب من البرود *
والسعيدية	ضرب من برود اليمن *
والسند	ضرب من البرود *
والبقير	برد يشق فيلبس بلا كمين كالبقيرة *
والجبر	ضرب من برود اليمن مفردة حبرة كعنة *
والخبير	البرد الموشى والثوب الجديد *
والسيرا	نوع من البرود فيه خطوط صفرا او يخالطه حرير *

والمطير	ضرب من البرود *
والقطر	ضرب منها *
والمشيز	المخطط بحمرة *
والمريش	البرد الموشى *
والقوف	ضرب من برود اليمن وبرد مقوف رقيق او فيه خطوط بيض *
والنصيف	الخمار ومن البرد ما له لونان *
والبركة	برد يمنى *
والمرجل	برد يمنى *
والمرحل	ما فيه تصاوير رحل *
والشخمة	البرود المخططة بالصفرة *
والأنحمى	برد معروف *
والمسهم	البرد المخطط *
والقطيفة	رداء مخمل *
والمطرّف	رداء من خز مربع له اعلان *
والجنيّة	رداء من خز *
والجيم	الديباج *
والسندس	ضرب من البزبون او ضرب من رقيق الديباج *
والاستبرق	الديباج الغليظ او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حرير صفاق *
والمشجر	المشجر من الديباج ما كان فيه نقش كهيئة الشجر *
والسب	شقة رقيقة كالسبيبة *
والطريدة	شقة مستطيلة من الحرير *
والسرق	شقق الحرير الابيض او عامة *

والبَّت	الطيلسان من خز ونحوه *
والسُدوس	الطيلسان الاخضر *
والطَّلَس	الطيلسان الاسود *
والطاق	الطيلسان او الاخضر *
والساج	الطيلسان الاخضر والاسود *
والصُتِيَّة	الملحفة او ثوب يمينى *
والشَوَذَر	الملحفة والاَثَب *
والذَّوَّاج	اللحاف الذى يلبس *
والمِشْمَال	ملحفة *
واللِّفَاع	الملحفة او الكسآ او النطع او الردآ وكل ما تتلفع به المرأة *
والمُرْجَل	ازار خز فيه عَلم *
والمُدَارَة	الازار الموشى *
والْحَقْو	الازار ومثله الخِصَار *
والصِّدَاد	ما اصطدت به المرأة وهو الستر *
والْفَوْط	ثياب تجلب من السند ومازر مخططة *
والدِّئَار	ما فوق الشعار من الثياب *
والْحَلَل	واحدتها حَلَّة وهى ازار وردآ وبرد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانه *
والسَّرْبَال	القميص او الدرع او كل ما لبس *
والْقُرْطَق	لبس م *
وَالْيَلْمَق	القبآ معرب يلمه *
وَالْقَرَقَر	لباس المرأة *

والقُرْزَح	لباس كان لِنسائهم *
والمِفْضَل	المِفْضَل والمِفْضَلَة والقُضَل الثوب الذى تتفصل فيه المرأة
	اى تتوشح *
والبِحَاب	شى تعلق به المرأة الحُلَى وتشدّه فى وسطها كالحَقَب *
والبِطَاق	شقة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها فترسل لالعى على لاسفل
	الى الارض ولاسفل ينجر على الارض النخ *
والمِجَنّ	الوشاح وقد تقدم فى باب الحلى *
والآثَب	برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين والبقيرة
	ودرع المرأة *
والجُوب	درع المرأة اى قميصها *
والأُصْدَة	قميص يلبس تحت الثوب *
والخَيْلَع	القميص بلا كمّ *
والرّادعة	قميص قد لَمَعَ بالزعفران او بالطيب *
والقَمَص السنبلانية	اى السابغة الطول او منسوبة الى بلد بالروم *
والشِعَار	ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد ويفتح *
والقِدْعة	المِجُول وهى الدّراعة الصغيرة *
والجَيْد	المدرعة الصغيرة *
والغِلالة	شعار تحت الثوب كالفلة *
والهَفاف	الهَفاف من القميص الرقيق الشفاف كالهَفاف *
والشَلِيل	الغِلالة تلبس تحت الدرع *
والقُرْقُل	قميص للنساء او ثوب لا كمّى له *
والعِطاية	ما تغطت به المرأة من حشو الثياب كغلالة ونحوها *

والفرّوة	معروف *
والسَّبَّجُونَة	فروة من الغالب *
والشَّعْرَاء	الفروة *
والسُّتْقَة	فروة طويلة الكم *
والخَيْعَل	الفرو أو ثوب غير مخيط الفرجين أو درع يخاط الخ *
والمُعْقَب	الخِمار للمرأة *
والتَّقَاب	ما تنتقب به المرأة *
والخِمار	النصف وهو العمامة وكل ما غطى الرأس *
وَالْوَصَاصِ	البراقع الصغار *
والمِقْنَعَة	ما تنقع به المرأة رأسها والقناع أوسع منها *
وَالْعِصَابَة	ما عَصَب به والعمامة *
وَالسَّيْدَارَة	الوقاية تحت المقنعة والعصابة *
وَالْعِمَارَة	كل شى على الرأس *
وَالْعَمَر	منديل تغطى به الحرة رأسها *
وَالْخُبْنَعَة	مقنعة صغيرة للمرأة *
وَالْبُخْنَق	خرقة تشقنق بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكيها لتقى الخِمار من الدهن والدهن من الغبار والبرقع والبرنس الصغيران *
وَالصِّقَاع	البرقع — وخرقة تقى الخِمار من الدهن كالصوقعة ونحوها الغفارة *
وَالْقَنْبَع	خرقة تخاط شبيهة بالبرنس والخنبعة أو شبهها *
وَالْقَنْزَعَة	التي تتخذها المرأة على رأسها كالقندعة *

والهنيء	شبه مقنعة للجوارى وقد خيط مقدمها *
والقرزل	الشيء تتخذها المرأة فوق رأسها كالقنزعة *
والجئة	خرقة تلبسها المرأة تغطي رأسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبى الصدر وفيه عينان مجوستان كالبرقع *
والساختين	الخفاف وبشي كالطياس *
والجراميق	الجرموق الذى يلبس فوق الخف *
والكوث	القفش الذى يلبس فى الرجل اى الخف القصير *
والران	كالخف لانه لا قدم له وهو اطول من الخف *
والجورب	لغافة الرجل وجوربه البسته اياه *
والقفاز	شيء يعمل لليدين يحشى بقطن تلبسهما المرأة للبرد او ضرب من الحلوى النخ *
وتنام هذا كله ثلثمائة وخمسة وستون حبسا ومثلها مقام *	الجبس سوار من فضة يجعل فى وسط القرام *
والأرباني	الخز لا دكن *
والسنا	ضرب من الحرير *
والأردن	ضرب من الخز *
والطارونى	ضرب منه والطرن الخز *
والقتين	الخز المطبوخ الابيض *
والبرس	القطن او شبيه به او قطن البردى *
والشريع	الكتان الجيد *
والقز	الابريسم وهو الدقمس ويقال ايضا الدقمس والمدقس *

وقد زل بى القلم هنا ايضا زلة ثانية فان السراويل يجب تقديمها على جميع ما سواها ليطابق الذكر الفكر * ثم انك اذا اخذتها الى ساحات المدينة واسواقها حيث تزدحم الناس * فاول ما تلمح فهدا غسانيا غسانيا تقول هذا يصلح لان يكون زير نساء ولان يركب الجياد ويتقلد السيف ويعتقل الرمح ويطعن به * او غلاما مترعرا قالت هذا يصلح لان يربى فى المدرسة الزيرية حتى ينبغ * او كهلا قالت وهذا جدير بان يقعد فى بيته ويتعاطى الغزل والنسيب ليجتهد ما يلزم لتلاميذ المدرسة منه * او شيخا هما هوما قالت وهذا قمين بان يكون مشيرا فى الامور التى تعسر على الاغرار من التجريجين فيكفيهم النصب فى ايشائها * فان لم يلف عنده الراى السديد فليدرج فى كفن ويرمس * هذا وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار او بالاكاف * فاما وجهه كونه مشاعرتها انفع فلانه قد جرت عادة من شاخ من ذوى الامر والنهى انه اذا جف دمهم وضوى لحمهم حتى لم يعد التدثر بالثياب يدفئهم * شاعروا واحدة من هولاء النواعم فاستغنوا بحرها عن حرارة الدثار والنار ولا بازير * ولا حسن فى ذلك ان تكون جارية عذرا * وقد اختلفوا فى علة الحرارة ومآثها * فبعضهم على ان نفسها من فيها هو الذى يدفى المرقور * واعترض بان هذا النفس لا بد وان يختلط بالشنب فيبرد * وغيرهم على ان منفذ الحرارة انما هو من المسام التى ينبت فيها الشعر * فان المرأة لما كانت مفتوحة المسام كان صعود الحرارة منها ابلغ * بخلاف الرجل فان مسامه مسدودة بما له من الشعر * ورد بان الامرء مثل المرأة فى كونه مفتوحها ولم يقل احد بان مشاعرتها تدفى * وذهب بعض الى ان الحرارة انما هى من النفس من انفها * وقال قوم من المتهافتين على الجنس انها من

موضع آخر * قال فى القاموس تكوى الرجل بامراته تدقا واصطلى بحر
جسدها * قلت ومع حرص المؤلف على جمع الالفاظ الغريبة النادرة لم
يذكر فعلا يدل على اصطلا المرأة بحرارة جسد الرجل * ولهذا اى لاجل
ان فى جسم المرأة من الحرارة ما لا يوجد فى جسم الرجل كان اخف
ما يكون من الدثار يدفئها ولو فى الصبر * والرجل اذ ذاك يكهى
ويقفق ويقرع ويتقرق * ومثله غرابة ان اكلمها يكون اقل من
اكل الرجل ولحمها اكثر من لحمه * قال المتكلمون ووافقهم على ذلك لاطبا
النطاسيون * ان مما فضل الله سبحانه المرأة به ان جعل فيها قوة على
حج الخصم وهداية الصال الى الدين القويم * واوردوا على ذلك شاهدا
ما جرى لذلك المعتزلى مع امراته * وذلك ان بعض المشاهير من علماء
المعتزلة الذين يزعمون ان افعال العبد ليست مخلوقة لله كان يجادل
اهل السنة ويورد لهم من الادلة والبراهين على تاييد مذهبه ما يربكهم
به * فانبرت له امرأة لبسة سنية وقالت لقومها زوجونى به فاخصمه فى
ليلة واحدة ان شاء الله فبات معها تلك الليلة على الحادة * حتى اذا
قضى لها الفرض ثم تنفل بعده وتطوع وطن انه قد استحق الثواب وخلق
بالافتماض * قالت له واين الرابع والخامس والعاشر ياشرواض * فتجلد
لاخر ثم قال قد نفذ ما فى الوطاب * فلا ملام ولا عتاب * قالت امثلك
من يبدى هذا الاعتذار * وانت تقول ان الافعال غير مخلوقة للواحد
القهار * قال قد نبهت من كان غافلا * وهديت من كان ضالا * انى عديت
عن مذهبي القديم * وقد هدانى الله الى الصراط المستقيم * قلت
ويعلم من كتب التاريخ ان المرأة لها اعظم مدخل فى دخول النصرانية
فى بلاد الافرنج * قال بعض الظرفاء من الادباء ان المرأة اذا رامت

ان تشتري حاجة او تستقضى احدا شيا لم يلزمها ان تنقد البائع او
القاضى مالا * وانما تنقده العين من العين * قال ولذلك جآ هذا الحرف
بالمعنيين * بخلاف الرجل فانه اذا اراد قضا شى ايا كان ولا سيما
النشئة فلا بد وان يحل عقده بنفائات الدرهم او الدينار * وانها ايضا
اذا توخمت على شى تحبه وهى حبلى ظهر ذلك الشى المتوخم عليه فى
الولد * فينبغى للاب ان يتفقد ولده ليعلم اى شكل من الاشكال بدا فى
اجسامهم * وما انكره منها فليكنه * قال وان القدرة الخالقية قد اوجدت
لها من النبات وغيره اشكالا كثيرة تقر بها عينها وينشرح صدرها اذا نظرتها
او لمستها * وليس للرجل شى من هذه الخصائص * وان امراة واحدة اذا
كانت فى مجلس قد اجتمع فيه عشرون رجلا امكن لها ان تهتدهم
كلهم اجمعين * فتصبى هذا بلفظة * وذلك بلحظة * وذا بغمرة * وذاك
بهمجة * وآخر بخزرة * وغيره بتحشيفة * وآخر باسجادة * وغيره بزفرة * وآخر
بالسفانة * وغيره بليّة جيد * وآخر بشمة * وغيره بنزرة * وآخر
بعضة على لسانها * وغيره باخراجه ونضنضته * وآخر بضم شفتيها
وانفاصهما * وغيره بعرض عارضها * وآخر بتفتيى شعرها * وغيره بابتسامه *
وأخر بصحكة * وغيره بتهقهة * فيقوم الجميع عنها راضين * وابرع ما تكون
المرأة ما اذا جلست بين زمرة من الفتيان يغازلونها ويداعبونها
ويتملقونها * قال ومن خصائصها ايضا انها تعرف ما فى قلوب الرجال *
فلذلك تفتنهم بوكوتها وحركتها وتعمدهم وتصبهم * وتبلمهم وتشجيهم *
وتحسهم وتبلمهم * وتطربهم وتشغلهم * وتعبدهم وتهتدهم * وتسيمهم
وتشوقهم وتروعهم * وتعوقهم وتلوعهم * وتوزقهم وتسبيهم *
وتشرقهم وتشبيهم * وتحلمهم وتسحرهم * وتحربهم وتبهرهم * وتبيعهم

وتشترهم * وتجميعهم وتصديهم * وتقلبهم وتفادهم * وتراهم وتصدرهم *
وتكبدهم وتطحلهم * وتمعدهم وتخذهم * وتبطنهم وتستههم * فاما ما
قيل في خصائص فرنستها من انها تحسن اعمال البيت كالخياطة والتطريز
وغیره فمذكور في كثير من الكتب فعليك بمراجعتها * انتهى الكلام
الان على المرأة بغير مرآ على ان عندي منه ما عند الفراء من حتى *
قال بعض معانيه العلماء المرأة كلها شر * وشر ما فيها انه لا بد منها *

قلت وهو كحلم جحى نصفه صدق ونصفه كذب *

فالصادق منه قوله انه

لا بد

منها

*



الفصل السابع عشر

یہ رنّا جار



اهلاً بك يا فاريق اين انت وفيّم كنت هذه المدة الطويلة — في
نظم الابيات السرية — ولكن هذا معلوم عندي ولم اسالك الا عن امر
حديث — قد فجعت بالامس بحمار لي وسالت عنه الجيران فلم يقل
احد منهم انه سرقه * فاكترت مناديا بدرهم فجعل ينادي في الاسواق
الا قد فرّ اليم جار الفاريق وختلى قيده في الوتد فهل منكم من رآه *
فلم يجبه احد الا بقوله ما اكثر الحمير لآبقة اليوم من بيوت موالها *
فلما عاد الى هذه البشري بلغ مني الغيظ كل مبلغ * وآليت ان لا انظر
بعدها في وجه حمار سوا كان حقيقيا او مجازيا * فقد قال بعض
ائمة اللغة ان من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها ان يقال
للرجل الجاهل جار * ثم اخذت اريه بهذه الابيات وهي

راح الحمار وختلى القيد في الوتد	وما راي ائسره في الناس من احد
فهل انا راكب من بعده وتدا	ام مجزئي قيده لو كان من مسد
ام كيى ادخل دارا كان لي سكنا	فيها وانزل عندي منزل الولد
سرهدته بيدي كالطفل من شفق	كالطفل من شفق سرهدته بيدي
وجئت بشعير لا يخالطه	ناس ولا عسجد خوفا من الدرد

وكان يوقظني منه النهاق اذا استثقلت نوما بصوت مطرب غرد
 كم حاد بي عن مضيق حين ابصر من حولي الجمال تبلى الارض بالزبد
 وسار بي في طريق بلّ جانبها اهل الجمال بما الورد وهو ندى
 وكم جرى فارها اذ لاح عن بعد زفاف خود اليها بالغ لامد
 واذ تبسّين نعيشا للجنّازة لم يمرر به مع اليم النخس في الكند
 ما ضل يوما عن استقرار معلفه اكان في روضة غنّا ام جرد
 قد رايتني حذقه حتى ظننت به نسخة مثل بعض الخلق عن احد
 وما شكا قط من وخز ولا ضعفت رجلاه عن جوب وعث طال او جدّد
 شلت يدا من به وليّ وغادرني امشي وانشب في احوال ذا البلد
 اعالم انني من بعده جزع وان فرقت نار على كبدي
 وان صوت المنادي اليوم يزعم ان البس اكافك في جنح الدجى وعد
 لا يغفرّ لك رعد انت واجده عند الحرامى خصمى فيك من حسد
 فانما ذا لحيين انت تعلمه مادام شهرا على طرّف ولا عتد
 يفديك كل حار ندى من بطر اوضح من لغب او خار من جهد
 او حار من شبق قلاب جفلة كراف بول قديم جقى كالقيد
 مصنع الراس ممشوق القوائم لم يحرن اذا سُمته خسفا ولم يجد
 آية انه بالطرق اعرف من مولا ان لم يعقه القيد ذو العقد
 ياليت لى خصلة من ذيله اثرا ارنو اليها كما يرني الى الخرد

قال فقلت له لقد ضاع شعرك في الحمار العادى * كما ضاع الدرهم في
 المنادى * قال اما الدرهم فقد ضاع حقا واما الحمار فلا * قلت كيف
 ذلك والدار منه بلقع * قال من عادتي اني اذا فقدت شيئا وذكرته في

الشعر خيل لي اني عوّضت عنه * فان لم اذكره بقيت متحسّرا على
فقدته * قلت او يقوم النثر مقام النظم * قال ربما يقوم عند بعض الناس *
فقد بلغني ان كثيرا من المؤلفين كانوا يحاولون ادراك اوطار حرمهم
منها قلّة ذات اليد فالفوا فيها كتباً واستغنوا بها عنها * قلت من قال
ذلك * قال هم قائلوه * قلت هذا محض كذب فاني الفت في النساء
كذا وكذا رسالة وما خطر ببالي قط اني عوّضت عن واحدة ممن وصفت *
قال ولم الفتها اذا * قلت لم يكن لي من شغل ولا حركة * ووجدت
الزمان على طويلا ولا سيما الليالي من دون مباشرة شئ ما فلفقت ما كان
يخطر ببالي * قال وهلا تفرّج لان بتأليفك اذا قرأته او اذا سمعت ان
الناس يقرأونه * قلت بل اضحك من سخف عقلي وقتئذ * فاني قد
عرّضت عرضي لالسن القادحين فضلا عن كوني اضعفت اوقاتي عبثا فيما لم
يجدني نفعاً * وقد بلغني ان كثيرا من المتزوجين سآهم ما قلته في النساء
وذكر مكايدهن فاستظهروا على بجماعة من العلماء عابوا على تبويب كتبي
وخطأوني في عبارتها * وكنت ايضا حكيت كلاما عن بعض النساء بلفظه
فقالوا لا ينبغي ان يحكى الكلام بلفظه في الكتب وغير ذلك مما ندمني
كثيرا * قال قد سمعت ان الناس لا يزالون يعادون المؤلف حال حياته *
فاذا مات حرصوا على كلمة يائرونها عنه كما قال الشاعر

ترى الفتى يتكر فضل الفتى ما دام حيا فاذا ما ذهب
لجّ به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

قلت وما نفع هذا الحرص لمن مات * قال لا نفع منه غير اني ارى ان
في النظم للذة عظيمة * ولا بد وان يكون النشر ايضا مثله فانهما كليهما

يخرجان من مخرج واحد * افلا تقول بصحة ذلك * قلت انى اقول
باللذة فى التاليف من جهة ان المؤلف يعرف شيا جهله غيره * ولا شك
ان فى معرفة الحقائق لذة * غير انه يقابلها من الالام ما يرجحها *
وذلك ان المؤلف اذا عرف مثلاً حقيقة واراد ان يعرف غيره اياها
وجد اكثر الناس قد صموا عن سماعها * ومثل ذلك مثل طبيب نصوح
راى اهل بلده يستحمون بالماء البارد فى حال كونهم محمومين *
فنصح لهم ان لا يفعلوا ذلك فأبوا وقالوا ان هذه البرودة تزيل الحرارة *
فهو من جهة أنه عارف بالحقيقة مسرور * ومن جهة انه يرى غيره
فى ضلال عنها محزون * وسروره لنفسه لا يوازن حزنه على
غيره * لا ترى ان اهل العلم كلهم ضعاف صاؤون قليلوا الكلام والنوم
والاكل والضحك * وان الجهال سمان تآرون اصحاء كثيروا الاكل والنوم
وغيره مما جعل لتقويم الطبيعة * قال فما بال لاطباء سمان ايضا وهم
بمنزلة العلماء فى كونهم يعلمون من المنافع ما يجهله غيرهم * قلت ان
الطبيب لا يرى الناس حين ياكلون ويشربون ويباعلون * وانما
يراهم حين يمرضون فلا تحزنه افعالهم * فاما العالم فانه فى كل وقت
ومكان يرى من العامة ما يدل على ضلالهم وجهلهم * فلا يمكنه والحالة
هذه الا ان يتأسف على ما هم فيه من الغباوة والغفلة * قال افتقول
اذا بالجهل * قلت هنيئاً لمن رضى به * قال وما قولك فى الشعر *
قلت ان كان هو لمصلحة اى لشي يعود الى القيام بأودك فبعم هو * وان
يكن عن مجرد هوس وميل الى التجنيس والترصيع ايان رايت امرأة جميلة
او وردة او روضة كما هو داب اكثر الشعراء يتكلفون للنظم فى كل ما لاح
لهم * او كثرائك الحمار الآن فتركه اولى * قال ولكن احسن الشعر ما

جاء عن هوس اى عن السليقة لا بالتكلف * فانى حين امدح السرى
اجد فى ضم لفظة الى اخرى ما يجده المعانى لضم نقيضين مختلفين *
وليس كذلك ما نظمته فى الحمار * فانى نظمت فيه هذه المراثية فى
ساعة من الزمن * قلت ولكن الناس لا ينظرون الا الى الظاهر *
فقصيدتك فى الحمار يسمونها جارية * وابياتك فى السرى سرية *
قال ان كان الامر كما ذكرت فلم رغبت عن التاليف ولكن لافى النساء فان
ذلك امر مستفيض * قلت اما اولاً فلان المؤلف يوقع نفسه فى كلاليب
السنة الناس فيمزقون عرضه وجلده كما ذكرت لك انفا * والثانى فان
حقيقة اسم المؤلف غير محمود * فهو عند من يعلم حقيقة معناه بمعنى
الملقى واكثر الناس يضحكون من هذا الحرف * فيحسبون انه من
التاليف بين شخصين * وانما يقولون لمن تعاطى ذلك شيخ * وهو
ايضا مكروه عند بعض الناس وخصوصا عند النساء * واحسن اللقب
هنا فيما ارى عند النصارى قسيس وعند المسلمين بيك * اما القسيس
فلان كل الناس تلثم يده وتترك بذلك * وان المرأة من القبط لتغسل
رجلى القسيس بيديها بما الزهر ثم توعى مآما فى زجاجة * وانه
متى جاع حمل امعاه الى دار احد من معارفه فاستقبلته زوجته بالبشاشة
والاكرام فزعبها اى زعب * واذا شأ ان يبقى فى بيته لعارض
من العوارض بعث غلامه بعلامة الى احد البيوت فجاء منها بغداً
ينظم فيه شعراً عصرنا قصائد * فاما البيك فانه وان يكن مقامه بين
الناس كريماً الا انه لا يمكنه ان يبلغ من البيوت ما يبلغه القسيس *
اذ لا يتأتى له ان يمشى وحده * فلا بد وان يمشى معه اثنان عن
اليمن والشمال وهما وان اظهرا له الخضوع والاحترام ففى قلوبهما

مند حزازات تبعثهما على مراقبته والتعنت عليه * اللهم لا اذا تزيتا
بزي خادم له وجه فظاهر اللباس يجبى عنه العين * قال هيهات ان
اصير قسيسا * هيهات ان اصير بيكا * اما حرفة القسيس فانها لا تصلح
لى لانى لا احب الركافة * واما صفة البيك فانى لا اصلح لها فان
القدرة لازلية لم ترتض لى منذ لازل بالبوكية للبيكية * وما بقى
امامى الا الشيخية * قد توكلت على الله * قلت انى مفارقتك
على ان تخبرنى بما سيحدث لك فى شيخيتك *
قال سافعل ذلك

ان شا

الله

*



الفصل الثامن عشر

في الوان مختلفة من المرض



ثم لازم الفاريابي نظم الابيات وهو حريض على الاتسام بسمة شيخ * فعن
له ان يقرأ النحو على بعض المشايخ لما انه رأى ان القدر الذي كان
تعلمه منه في بلاده لا يكفي لممدح السرى * وفي ذلك الشهر الذي نوى
فيه القراءة أصيب برمد اليم * فلما افاق شرع في العلم فقرأ على الشيخ مصطفى
كتبا صغيرة في النحو والصرف * ثم اشتد به داء الديدان الذي سببه
فيما قيل اكل اللحم نيئا * وتلك عادة مشهورة عند اهل الشام * فكان
يتمتع منه وقت القراءة والشيخ يظن ان ذلك من اختلاف المسائل وكثرة
التعليل * حتى قال له مرة سبحان الله ما احدثوا على هذا الفن لا
ويتمتع * فقال له ليس التمتع كله ياسيدى الشيخ من زيد وعمرو *
فان لجماعة الديدان ايضا مدخلا * فاني لا اكل شيئا ولا وسبقوا معدتي
اليه * قال لا بأس عليك عسى ان يخف عنك ببركة العلم * واتفق
للفاريابي وقتئذ ان سأل احد معارفه ان يقرأ على الشيخ المذكور ذلك
الكتاب الذي تقرأه النصارى في الجبل * وهو كتاب بحث المطالب *
فلما ختمه الشمس من الشيخ ان يكتب له اجازة اقراؤه في بلاده * فكتب
له اجازة وعرضها على الفاريابي * فحين تصفحها رأى فيها خطأ في اللغة

والاعراب * فاستاذن من شيخه ان يوقفه على الغلط * فلما وقف عليه قال
ساكتب له غدا اخرى * ثم كتب له اجازة غيرها فلما امعن الفاريابي فيها
النظر اذا بها كالاولى * فنبه شيخه على ما فيها * فقال له اكتب له انت
عنى ما شئت * فكتب له ما اعجب به * على ان الشيخ كان مضطلعا
بفن النحوى غاية ما يكون * فكان يقضى ساعة تامة فى شرح جملة غير تامة *
لا انه لم يكن يزاول الانشاء والتاليف فكان علمه كله فى صدره وعلى
لسانه ولا يكاد يخرج منه الى القلم شى * ثم بعد قراءة النحو على النسق
المذكور راجع الفاريابي وجع العينين * فلما افاق رآى ان يقرأ شرح
التلخيص فى المعانى * فشرع فيه مع الشيخ اجد * فلم يسر فيه قليلا
حتى اصابته الحكمة ولم يكن قد عرفها فى مبادئها فلماذا استمر على القراءة *
حتى اذا كان الشيخ آخذاً مرة فى شرح مسألة معضلة ثارت الحكمة فى
بدن الفاريابي فجعل يحك بكتفا يديه * فالتفت اليه الشيخ فرآه منهمكا
فى الحك * فقال له ما بالك تحك وانت على ما يظهر لى غير منتبه
لثقل واجيب * هل نحن لان فى محاكاة الالفاظ او فى محاكاة الاعضاء *
قال لا تواخذنى ياسيدى فانى ارى لذة الحك مانعة لى من التنبه
لغيره * قال أو بك الحكمة * قال لعلها هى * فنظر الشيخ الى يديه فقال
هى والله فينبغى ان تقتصر فى بيتك وتطلى جسمك بخبر الكلاب
فليس لها من علاج سواه * فلزم الفاريابي بيته وجعل يطلى بدنه كل يوم
بالخبر المشار اليه ويقعد فى الشمس ساعات حتى لقي من ذلك غذاب
الهون * ثم لما افاق رجع الى القراءة * وبعد ان ختم الكتاب عاودقه
صريبة الرمد * ثم نقر فى راسه ان يقرأ شرح السلم للاخضرى فى
المنطق * فشرع فى قرآته على الشيخ محمود فاصابته الهیضة وهى الداء

المسمى فى مصر بالهوا الاصفر * فبقى ثلثة ايام لا يعى ولا يعقل من الدنيا شيا ولا يقدر على النطق * سوى انه سمعه خادمه مرة يهذى ويقول كلية موجبة كبرى * فظن انه يستعظم مصيبتنه فيقول انها كبرى * ولم يكن احد اصيب بهذا الداء فى مصر * فلما مضت ثلثون يوما انتشر فى البلد وعم بلاوه والعياذ بالله فكان يموت به كل يوم الوف * ووقستد عرف الفاريق انه كان المقدم فى هذه البلية وغيره التالى كما تقول المناطق * وان الديدان التى كان يقاسى منها هى التى عجلت له بهذا الداء فجعل هوبها * فجعل اى الفاريق يركب حماره ويطوف فى الاسواق وكأنه آمن من المقدور * (حاشية لم يكن هذا الحمار ذلك الذى استحق الرثا والتابين بل كان ممن يحق له التقريظ) فسار الى قرية فى الريف ومعه خادمه وخادمته * فعلم به بعض ولاة البلاد فاستدعى به وبالخادم والخادمة * وقال له أى لبيب هل هذا وقت الموت او وقت الايلاد حتى جئت بهذه الجارية هنا * قال انا مداح السرى وقد اتيت لاسرح ناظرى فى نضرة الريف فاجيد مدحه بعد موت من يموت * فقد ضقت بالمدينة ذرعا وخشيت على قريحتى العقم * قال ما هذه واثار الى الخادمة * قال هى اخت هذا يعنى الخادم * قال وما هذا * قال خولت هذا يعنى الحمار * فالتفت لاميير الى الخادم فرأى عليه طلاوة * فقال له من حيث انك شاعر السرى او شعوروه فلا تثريب عليك * وانما ينبغى ان تترك الخادم هنا فانه يصلح لخدمتى * قال لك على الامر فخذ * فاستبد به لاميير تلك الليلة وساله عن الفاريق ما تحا * فقال له الخادم والله ياسيدى انه رجل طيب غير انى اظن انه اعجبى فانى لا اكاد افهمه حين يتكلم بلغتنا * فلما اصبح الصباح تاهب الفاريق للرجوع فلم

يجد الحمار * فطن انه لحق بالاول * فجعل يبحث عنه فوجده قد خرج مع جارا آخر من حمار الامير الى سهل وهو تحته يزقع وينخر * فلما ان رآه على حالة المفعولية غلبه الضحك فقال * قد ورد في الحديث ان الناس على دين ملوكهم * الا انه لم يقل احد قط ان الحمير على مذهب اصحابها * ولكن بالغير ولا بالمعير * ثم رجع الى الدار فوجد خادمه وخادمته ينتظرانه * وقال له الخادم قد سرحني الامير فانه لم يرني اهلا لخدمته الا ليلة واحدة وها انا الآن حر * ثم ان الفاريق بعد ان هتا الامير ومراة رجع الى مصر وكان البلاء قد خف * فسال عن شيخه المنطقي ف قيل له انه حتى لم يقص من القضايا * فرجع اليه واتم معه ما كان ابتدا به * فلما بلغ آخر درجة من السلم عاودته ضريبة الرمد فلزم بيته * فلما افاق رأى ان يتعلم شيامن الفقه وعلم الكلام * فبدا بالكنز وبالرسالة السنوسية فمرض — فراه بعض معارفه من الفرنساوية فساله عن سبب ضعفه فاخبره الخبر * فقال له انا اشفيك منه باذن الله ولكن على شرط ان تعلم ابني العربية * فقال حبا وكرامة * فشرع مذ ذلك الوقت في تعليمه وفي تعاطي الدوا من عند ابيه * ولكن لا بدّ لتفصيل ذلك من فصل على حدته



الفصل التاسع عشر

في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب



كان هذا الرجل طبيبا مشهورا ببصر * ولكن شهرته في دانه اكثر منها في
دوائه * وذلك انه كان قد تزوج جارية تارة على كبر سنه فاولدها بنتا
وصبيا * ثم عجز عن ادا حقها فجعل دابه الملاطفة لها والتملق * وتلك
عادة الرجل مع المرأة من انه كلما قصر في اعتابها وارضائها في الحقوق
الزوجية زاد حرصه عليها وكلفه بها وتردبه لها * توهم ان هذا يسد عند
المرأة مسد ذلك * وكذا حاله معها اذا كان يخونها ويرام اخرى * كما
ان داب المرأة ان تزيد شهشتها وعروبيتها لزوجها بزيادة اشباع
اياها واطفاف الكيل لها * او تملقه لها اذا كانت تخونه * وبناء على ذلك
قال الطبيب لزوجته يوما من الايام * ياهذي اني ارى ان قد صدي
مفتاحي عن قفلك * وان ستك وترارك تقتضيان ان تتخذى لك
آلة رصاعية لتتلهى بها حتى يحين حينى فتتزوجى بآخر * والا فاني
اخاف ان تفركيني وتطيرى من عندي كما يطير الحمام * وقد يهون
على ان اخسر منك شيئا واحدا ولا اخسر بك بجمالك * فانك ام ولدى *
ومحل سري من كبدى * فلا اطيق فراقك * فاختارى لنفسك من شئت
اتك به بقريه * فضحكت المرأة عند ذلك * ثم قال ومن حيث اني

معروف فى هذا البلد بانى طبيب فاذا راي الجيران رجلا قادما الى بل رجلا فلا يكون عليك شبهة * فضحكت المرأة ايضا لقوله رجالا * قال فان الناس يقرعون باب الطبيب ولو فى نصف الليل * وهنا ضحكت ايضا * ثم تمادى فى الكلام معها الى ان قال ولا تظنى انى انا وحدى تفردت بهذه العادة * فان امثالى من اهل بلادى يفعلون كذلك وهنا قهقهت * فلما فرغ من بقية خطبته على هذا النسق طنت زوجته أولا انه قصد بذلك ان يستطلع سرها ويتصيدها بزلة * فبكت من شدة الغيظ وقالت له ازعمتنى بغيا حتى تقابلنى بمثل هذا الكلام وتسيى بى الظن * قال حاشا لله من ذلك * وانما تكلمت معك بمقتضى الطبع فتدبرى قولى بعد حين وردى على الجواب * فانصرفت المرأة من حضرته وهى واجمة مرتابة * ثم مضت عليهما ايام غير قليلة والرجل لا يهارش ولا يعاظم * ولا يلعب ولا يباعل * فقلقت جدا لهذه الحال * وضاق صدرها عن صبر الاعتزال * واخذت تفكر فيما قاله لها زوجها * فتبعلت له يوما من الايام وتبرجت وتعطرت وقصدت غرفته وهى تقول فى نفسها * اليوم يكون برزخ الحالتين * ويفصل الحدين * فان لم تكن منه مباحلة ذكّرت به بما قال * فتلقاها بالبشر والبشاشة واجلسها بجانبه وعرف انها كرمّت * اذ راي قد علت عينيها حجرة وهما ترارثان وفى صوتها تهّدج اى رعدة واضطراب * فلما استقرت بادرها بالكلام بان قال هل تبصرت فيما قلته لك منذ ايام * قالت نعم ولكن اما عندك فضلة تغنينى عن هذا الامر * قال ما عندى والله من وشل ولا فضلة * ولا تمد ولا نملّة * ولم يبق لى امل لاصلاح شانى فى ناعوط ما لا فى لحم السقنقور ولا فى شحم الورل ذلكا ولا فى الزنجبيل ولا الفلفل ولا التامول

ولا القاقلة ولا الراسن ولا الفوفل ولا القرنفل ولا السنبل ولا المصطكى
 ولا الجوزبوا ولا الهال ولا الرازيانج ولا فى عاقر قرحا ولا فى حب الصنوبر
 ولا الحمص ولا الكابلى ولا البليج ولا دارفلل ولا السمسم ولا الخولنجان
 ولا البسباسة ولا دهن البلسان ولا خصى الثعلب ولا فى بيض العصافير
 ولا فى دهن السوسن ولا فى القلقاس ولا فى اصل النرجس منقوعا فى
 الحليب ليلتين ولا فى الكرفس مدقوقا بزرة بالسكر والسمن ولا فى لبس
 الثوب المورس ولا فى اكل اصل اللوف ولا فى الضجع معصورا مائة
 فى اللبن الرائب ولا فى البورق مدوقا بالعسل او فى دهن الزنبق ولا
 فى البندق الهندى ولا فى الهمقاق مقلوا ولا فى علك البطم والينبوت ولا
 فى المسك مدوقا بدهن الجيرى ولا فى البهمن ولا فى الجزر ولا فى
 الهليون ولا فى الاملج ولا فى البسفارذانج ولا فى اخضر الباقلى بالزنجبيل
 ولا فى القلقل مدقوقا بالسمسم معجونا بالعسل ولا فى صمغ الكندى ولا
 فى المقل ولا فى ثمر البطم ولا فى التبخير بخفيف لحم الرخم مخلوطا
 بنخردل سبع مرات ولا فى حب الزلم ولا فى لب القرطم ولا فى معك
 العنم ولا فى الموز ولا فى مسح دماغ الخفاش بالاخصين ولا فى لحم
 الحمام ولا فى قرفة القرنفل ولا لما صننت عليك بشى لما تعلمين من
 فرط محبتى لك * فقالت له اذا كان الامر ياسيدى كما ذكرت فانى
 اختار قسيسا * قال اى وسواس وسوس اليك هذا الاختيار الذى ليس من
 الخير فى شى * قالت اما اولا فلان الناس لا يسيئون به الظن اذا راوه
 داخلا الى كل يوم * والثانى انه يقال ان مادة القسيس متوفرة فيه * قال قد
 غويت ومع ذلك فانى اخشى منه على ولدى فانه ربما يغريهما بخلافى
 حالة كونى مخالفا له فى معتقده فالاولى ان تختارى آخر * قالت

انت طبيب تعرف الصحيح من العليل والقوى من الضعيف فاختر لي
 من تشاء فاني ارضى بكل ما ترضى به انت * قال بارك الله فيك * ثم
 قبلها من فرحه ووعدا بانجاز عدته في اليوم القابل * وما كاد يسفر الفجر
 الا وهو فوق حماره يقصد بعض اصحابه * فلما اجتمع به قال له ان لي
 عندك حاجة جئت التمسها منك * قال قل ما بدا لك * قال على شرط
 ان لا تحببني * قال سابدل مجهودي كله ان شا الله في قضائها * فاخذ
 يده ج توثيقا للعهد ثم قال له اني اريد ان تكون خليفتي في زوجتي *
 فقال له الرجل هل بدا لك سفر عن مصر وان تترك زوجتك هنا *
 قال لا وانما تكون خلافتك عني في حضوري * فاستأ الرجل وقال او
 خامرك ريب في صداقتي لك حتى اضمرت استطلاع سري * وخفي
 امرى * فعقد ذلك صرح له بالقضية والحق عليه في القدوم معه * ولما ان
 قدما انعقد البيع بحضرة كل من الزوج والزوجة وتم التراضي * وصار
 الرجل مذ ذلك الوقت يتردد على دار الخلافة وبقي كذلك مدة * ثم
 ان الزوجة لما ملته كما هي عادة النساء وظهر له ذلك من قلة احتفالها
 به مرة ومن اعتذارها اليه اخرى * جرى هو ايضا على عادة الرجال من
 انه افشى سرها لصاحب له * فجرى هذا ايضا على جد امثاله وجعل
 يتودد اليها وقام عندها مقام الاول * ثم ملته فافشى سرها * ثم جاءها اخر
 فقبلته * ثم آخر وآخر حتى صاروا جماعة عظيمة * ثم تراجع اليها احباؤها
 الاولون وانهمكت في التبديل والتغيير حتى صارت دار الطبيب
 كالمشرفة * ولم تكن هذه القضية قد شهرت في مبادئها عند الجيران
 اذ كانوا يظنون ان القوم ياتون ليشداوا من علل بهم * ولكنها علمت
 بعد ذلك * وكان سببه ان الطبيب اتخذ له دارا اخرى خارج البلد

ليصيف فيها * وترك امراته في الدار الاولى والزائرون على ما كانوا عليه من الورود والصدور * فتنبه ج الناس لذلك * وفي هذا الوقت اى ورود الخلق الى هذا المغنم البارد كان الفارياق المسكين يتردد على منزل الطبيب ليعلم ابنه ويتداوى * فظن الناس انه من جملة الزائرين * وتقلدوا ائمه في اعناقهم الى يوم الدين * فانه كان معطلا وفعله مألغى عن العمل * وبقي على تلك الحالة مدة من دون ان يرى فائدة من العلاج * فكان الطبيب اراد ان تطول المدة عليه الى غاية تعليم ابنه * فمن ثم اقتصر الفارياق عن التردد اليه وتداوى عند غيره وشفى * وفي خلال ذلك سافر الى الاسكندرية لمصلحة ما * فاجتمع فيها بواحد من الخرجيين الصالحين * فساله هذا ان يرجع معه الى مصر ليعلم عنده بعض تلاميذ فاجابه الى ذلك * وانما رغب فيه لكون الخرجيين لا يوخرون اجرة من يعمل لهم * وفي اثناء هذا عن له ان يقرأ علم العروض * فاخذ في قراءة شرح الكافي على الشيخ محمد * فما كاد يختمه حتى فشا الطاعون بمصر * فاشتد بالمولى الخرجي الحرص على حياته ابقاء للمصلحة الخرجية كما زعم * فمن ثم رآى ان يتباعد عن وهددة الفخ قليلا لكيلا ينطبق عليه فيجمع الخرجيون امثاله يفقده فيكون فقده سببا في فقد غيره * اذ قد تقرر عندهم ان شدة الحزن تميمت * فجعل الفارياق مع الخرجيين الخرجيين ومع رجل لبيب ذى خبرة بالعلاج المانع من عدوى الطاعون * ثم استصحب ما لزم له وفر الى الصعيد وتفصيل ذلك في الفصل الاتي *



الفصل العشرون

في معجزات وكرامات



كان عند الخرجي المذكور خادمة رعبوبة من اهل بلادة * فلما عزم على الفرار رأى ان يغادرها في منزله لتصون حاجته فيه * وانما أبى ان يستصحبها معه لانه كان متزوجا بامرأة هي دونها في الحسن * كما جرت العادة في بلاد لافرنج من ان الخادمة غالبا تكون فوق مخدومتها في القسامة والجمال ودونها في الدراية والمعارف * فوقع في خاطر زوجته انه اذا نشبت فيها عوالق الفح أو لا ربما اتخذ زوجها تلك الخويدمة في فراشها وطاب عنها نفسا * وان أول شئ تتعلمه البنت من امها قبل زواجها هو منع الاسباب التي تبعث زوجها على الاستغناء عن شخصها او عن ذكرها * ولذلك كان من عادة نساء لافرنج ان يهدين الى بعولتهن صورهن وان كانت شنيعة ليجعلوها في قمصهم * او خصلا من شعورهن وان تكن جراً ليتختموا بها * ثم بدا مشكل آخر * وهو ان الخادمة اذا بقيت وحدها في الدار لم تامن من ان يتسور عليها احد في الليل فيقع المحذور * ويحمى التنور * ويكسر المخبور * ويمد المجزور * ويطم المحفور * ويذال المذخور * ويحترث البور * وتفك الطلاس من المسحور * ويفتق المشصور * ويسمد الصعبر * ويوسع الصنبر * ويغثر المطمور *

وتذلل العسور * ويصدع الفاور * ويخرب القهقور * وينقر فى الناقور *
فتتلم شوكة الزبور * فارتأى بعد ان رفع يديه بالابتهاال الى الله تعالى
ان يضم اليها رجلا من اهل بلاده نحيفا قشعوما * اعتقاد انه لا يقدر على
ارتكاب شى من الافعال التى جرت هذه القوافى المتعددة * وذلك من
جملة الاغلاط الفاضحة التى اشتهرت بين الناس * اعنى انهم يظنون
فى الغالب من دون مراجعة النساء والاستشهاد بقولهن ان النحيف لا
يقدر على ما يقدر عليه السمين * وكان الاولى ان لا يستبدوا براهم فى
ذلك * فمكث القشعوم مع الخادمة فى انا عيش * اما ما كان من
الخارجيين فان مخرجهم اى مرتبهم وكل بهم ذلك الرجل اللبيب *
واوعز اليه فى ان يحظرهم عن الخروج * وان لا يدع احدا من اقاربهم
يدخل اليهم * وان يستخدم رجلا يشتري لهم ما يلزمهم من الخارج *
ولا يستلم منه شيا الا بعد ان يغمره فى الخل او يتخره بالشيخ * وغير
ذلك مما عرف فى اصطلاح الافرنج لمنع اسباب الوباء * وكان هذا
الوكيل من مشاهير علماء ملته * وكان فى مبدا امره كافرا لا يعتقد بدين
من الاديان * لكنه كان حميد الخصال حسن الاخلاق * غير انه كفره
حال بينه وبين رزقه فاضطر الى ان ينحاز الى الخارجيين من اهل بلاده *
ففرحوا بهدايته كثيرا * واحسنوا اليه احسانا وفيرا * فانقلب هزله جدّا
وتمكن من الوسوس والاهام حتى اعتقد اخيرا انه اهل للكرامات
والمعجزات * فكان يتمنى ان تسنح له فرصة لذلك * واتفق فى هذا الاوان
ان مات بالطاعون ذلك الخادم الذى كان يشتري لوازم الدار * فلما
جاء الدفانون ليحملوه اعترضهم الوكيل من داخل الدار * فخافوا ان
يخالفوه لكونه من الافرنج فان لهم عند اهل مصر حرمة زائدة * ثم انه

مضى الى موضع منفرد وجثا على ركبتيه وهو يدعو الله سبحانه وتعالى لان
يحقق له صدق عقيدته * ثم فتح الباب وخرج والقى نفسه على جثة
الميت وجعل فمه فى اذنه وهو يناديه قائلا * يا عبد الجليل (اسم الميت)
انى ادعوك باسم المسيح ابن الله لان تعود من ظلمة الموت الى نور
الحياة * ثم اصغى لستمع الجواب فلم يجبه احد * فاشار الى الدفانيين
أن اصبروا * ثم سار الى ذلك الموضع الذى صلى فيه أولا * وغير ركعته
بان جعل فمه بين فخذييه وهو يجمعهم فى الدعاء وذلك على منوال
الياس النبى حين صلى لانزال المطر بعد ان قتل انبياء بعل * وكان عددهم
اربعمائة وخمسين نبيا على ما ذكر فى الفصل الثامن عشر من سفر الملوك
الاول * الا ان بين الداعيين فرقا * وهوان النبى صلى هكذا بعد
القتل وصاحبنا هذا قبل للاحيا * وكان الاولى ان يرفع عبد الجليل الى
غرفة كما فعل النبى المذكور بابن الارملة التى كانت تعوله * وكان
دعاؤه الى الله للاحيا ان قال ايها الرب الهى اجلبت الشر ايضا على
هذه المرأة بقتل ابنها النح * ثم انه شبح يديه حتى صارت جثته على
شكل صليب * ثم قام ناشطا مسرورا واسرع فى ان القى جثته على
الميت واعاد فى اذنيه كلامه الاول * فلما لم يجبه احد ورأى الميت
لم يزل مفتوح الفم مطبق الجفنين ولم يمش مرة هنا ومرة هناك ولم يعطس
سبع عطسات كما عطس ابن المرأة الذى احياه النبى اليسع على ما
ذكر فى الفصل الرابع من سفر الملوك الثانى * ذهب الى المطبخ وامر
الطباخ بان يصنع له مرققة على الفور * فلما صبت المرققة اقبل بها الى
عبد الجليل وجعل يفرغ منها فى حلقه وذلك مشغول عنه بناكر ونكير *
فلما اعياه امره امر الدفانيين ان يحملوه وقال ما على ذنب فى كونى

لم ارد ان ابعثه وانما الذنب عليه * ثم اقبل الى حجرة الفاريق وقال له
لا تواخذنى يا خليلى بعجزى عن احياء الخادم فان زمن الانشار لما يبلغ *
ولكنى لا اترأخى فى عقيدتى بان افعل ذلك المرة لآتية ان شا الله *
فلما سمع الفاريق ذلك اضطرب باله وثار دمه غيظا وحزنا * فاصابه فى
ذلك اليوم الداء الفاشى * فخرج تحت ابطه سلعة كاللترجة وحمّ واخذ
صداع اليم * فاما الوكيل فلم يصبه شى * وذلك من الاسرار التى يعجز
عن ادراكها الحكماء * ثم ان الفاريق كان حال مرضه يفكر فيما جرى
عليه وهو وحيد غريب لا مونس عنده يسليه * ولا طبيب يداويه * وكان
يقول فى نفسه اذا مت على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبى هذه التى
سهرت الليالى على نسخها * نعم ان الموت على كل حال صعب مكروه
غير ان موت الفتى مثلى غربيا اصعب * وانى قد ابتليت والحمد لله
فى هذه المدينة بجميع انواع الادواء المصبوغة بلون الحمام * فاذا فسح
الله لآل فى اجلى فلا افارق هذه الدنيا الا قرير العين بنجل يرئى *
وان لم يكن عندى من حطام الدنيا غير الكتب * كيف لا وقد جاء عن
ابيشلوم ولد سيدنا داود انه بنى له جدارا ليذكر به بعد موته اذ لم
يكن له خلف * فلانزوجن فان لم ياتنى خلف فالطوب بمصر كثير * اللهم
يسر * غوثك يا كريم * يارجان يارحيم * ثم لما كان يعين النظر فى حال
الزواج ويتصور مشاقه وشدائده التى كان يرى اوداءه ومعارفه يقاسونها
ويستون من باهظ جلها * يرجع عن عزمه ويصخر من استحالة عقله وضعف
فههم لضعف جسمه * ثم يعتذر لنفسه بان كل انسان اذا عاش مدة حياته
على راي لم يوافق راي الجماعة * وكان يعتقد وهو حتى صحيح الجسم
معافى انهم كلهم على ضلال وانه هو وحده على هدى * فاذا ادركه ضعف

جسم لم يلبث ان يتغير عقله فيميل عن مذهبه الاول * كما جرى لبيون
الفيلسوف وكثير غيره من الحكماء والفلاسفة * ثم ان الله تعالى تدارك
الفارياق برجته * ومن عليه بالشفاء من علته * فقام من فراشه كانما قام
من جدته واقبل على الطنبور يعزف به ويغنى * فدعه الان على هذه
الحالة ولا تنغص عليه عيشه * وشمر اذيا لك معي

انطفر فوق هذا الاجيج المتاجج

امامنا فيما

يلى

هذا

*





فے اصرام اتون



او ما كفى بنى آدم ما هم فيه من الشقا والعنا * والجهد والبلا * والمشقة
والنصب * واللاؤ والتعب * والحрман والنحس * والقنوط والتعس *
يحبلى بهم فى الفرث والرحم * ويولدون فى الارجاع والالم * ويرضعون
فى الضرر * ويفطمون فى الخطر * ويحبون فيعثرون * ويدرجون فيتدهورون *
ريمشون فيكلون * ويكدون فيملون * ويبطلون فيتضورون * اذا جاعوا
خاروا ووها * واذا اكلوا اتحموا وجرأوا * واذا ظمأوا صوا * واذا شربوا
غلثوا وغنثوا وخشروا * واذا ارقوا ذابوا قلقا وكمدا * واذا ناموا ذهب
العمر منهم سدى * واذا همروا ملهم اهلهم واخوانهم * واذا اختصروا

حسروهم تحسيرا ربما احانهم * ثم هم بين ذلك في تحصيل اسباب
 المعاش ساعون * وفي التظاهر باللباس والزينة معنون * والعزب منهم
 متهافت على امرأة تكون له اهلا * وذو اهل همه بزوجه وتربية ولده
 طفلا وكهلا * فاذا مرضوا مرض * واذا حزنوا حزن وجرض * وويل له ان
 تكن زوجته بزرآ * او كانت عاقرا وذمآ * وراى غيره من المشزوجين
 بين ذوى طلعة ناصرة * وشمائل سارة * فيقول فى نفسه انما لذة الدنيا
 البنون * وانى ميت بلا خلف واتى منون * وكم من سقط ظفر وهن
 الجسم كله * وكم لقلع صرس ذهب الصبر او جله * ما عدا الادواء المتعصلة *
 والعلل المتأصلة * وتخالى الازمان وحول الاحوال * وتعاقب الاحزان ودؤل
 الحال * على هذا الجسم الوانى البال * ففى الشتاء يكون عرضة للريح
 والزكام والبلغم والرطوبات * والبول والعفونات * وفى الصيف للصفرا
 والحمى والصداع * والثرهل والاستنقاع * وفى الربيع لهيجان الدم وتبيغ
 ونزغته * وفى الخريف لتحرك السوداء واذى الهواء وندغته * ثم ان
 منهم من يولد ويعرض له من العيوب والامراض

الجنا	اشراف الكاهل على الصدر *
او الفسا	خروج الصدر وتواء الختلة *
والفتا	دخول الظهر وخروج الصدر *
والحدب	معروف *
والحسبة	ان يبيض جلد الرجل من دآ فتفسد شعرته فيصير ابيض واجمر
والحصبة	بشر يخرج بالجسد *
والشبت	دآ م *
والضرب	دآ فى الشفة *

والطَّنَب	طول فى الرجلين فى استرخاء وطول فى الظهر *
والعَكَب	غلظ فى الشفة واللسان *
والغُصْبَة	بخصة تكون بالجفن الاعلى خلقة *
والغُصَاب	داء او الجُدْرى *
والغَلَب	غلظ العنق *
والقَلَب	انقلاب الشفة *
والقَلَاب	داء القلب *
والقَوْبَا	الذى يظهر فى الجسد ويخرج عليه *
والكَتَب	غلظ يعلو الرجل واليد *
والكُوب	دقة العنق وعظم الراس *
والناقبة	داء للانسان من طول الضجة *
والجَوْتُ	عظم البطن فى اعلاه او استرخاء اسفله *
والخَوْتُ	استرخاء البطن *
والضَمَج	آفة تصيب الانسان وهو ايضا هيجان المايون *
والعِنَاج	وجع الصلب *
والفَحَج	تدانى صدور القدمين فى المشى وتباعد العقبين والفحج والفحج اقبح منه *
واللَحَج	اسوأ الغمص *
والمَجَج	استرخاء الشدقين *
والجَلَج	انحسار الشعر عن جانبي الراس *
والصَفَح	عرض فاحش فى الجهة *
والنَظَف	علة يكوى منها الانسان *

تباعدا ما بين الاليتين *	والفرجة
عرض الراس والارنية *	والقطن
شق فى الشفة السفلى *	والقطن
أكال فى لاسنان *	والقادح
صفرة لاسنان *	والقطن
الزمانة فى اليدين والرجلين *	والكسح
الخص فى العين *	والسج
شدة سيلان العين وفسادها *	والمرح
احتراق باطن الركبة لخشونة الثوب او اصطكاك الربتين	والمسح
ومثله المشح *	
احتراق فى باطن الفخذين *	والوذح
خروج الصدر ودخول الظهر *	والبزح
وجع ياخذ فى الظهر *	والرلحة
استرخا المفاصل او عرض الكف والقدم وطولهما *	والفتخ
نفخة الورم من داء يحدث *	والنفاخ
عدم الشعر *	والجرد
ذهاب لاسنان *	والدرد
تقاعس فى الذقن *	والردة
داء من شرب الماء *	والسواد
طول العنق والظهر *	والقود
وجع الكبد *	والكباد
داء فى ارجل الناس وافخاذهم *	واللهد

والآذر	الآذر والمادور من ينفثق صفاقه فيقع قُصْبُهُ في صَفْنِهِ
	الحج وفعله كفرح *
والبجر	خروج السرة وعظم البطن *
والبخر	التن في الفم *
والباسور	م ج بواسير *
والحخر	البثور وحشرت العين خرج في اجفانها حبّ اجر *
والحدرة	قرحة تخرج ببياض الجفن *
والحصر والحصر	الحصر احتباس ذى البطن وبالتحريك ضيق الصدر
	والبخل والعي في المنطق *
والحفر	سلاق في اصول الاسنان *
والحمرة	ورم من جنس الطواعين *
والمنحجر	داء في البطن *
والأخضر	داء في العين *
والذهر	اسوداد الاسنان ومثله التذير *
والزجير	استطلاق البطن *
والزعر	تفريق الشعر وقتله *
والزور	عوج الزور والازور من به ذلك والناظر بموخر عينيده *
والشتر	انقلاب الجفن من اعلى واسفل وانشقاقه او استرخا أسفله *
والصغر	صغر الراس * *
والصفر	داء في البطن يصفر الوجه *
والظفر	داء في العين *
والظهر	داء الظهر *

والعور	معروف *
والتقطير	عدم استمساك البول *
والقصر	يبس في العنق *
والمعر	قلة الشعر *
والناسور	علة في المآقي وعلة في حوالى المقعدة وعلة في اللثة *
والكزاز	دآء من شدة البرد *
والسلاس	ذهاب العقل *
والفُقاس	دآء في المفاصل *
والفطس	انفراش الأنف في الوجه *
والقُص	خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحذب *
والقُص	عظم الروثة *
والقُنْصَة	شدة العنق في قصرها كالاحذب *
والكُسُس	قصر الاسنان او صغرها او لصوقها بسنوخها *
والنُقُرس	ورم ووجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين *
والهوس	طرف من الجنون *
والحمش	دقة الساقين *
والحفش	صغر العينين وضعف البصر خلقة او فساد في الجفون بلا وجع او ان يبصر بالليل دون النهار *
والبدوش	ظلمة البصر وضيق العين *
والرُمش	جرة في الجفون مع ماء يسيل *
والطرش	اهون الصمم *
والطشاش	دآء كالزكام *

والعطاش	دآء لا يروى صاحبه *
والعمش	ضعف البصر مع سيلان الدمع فى اكثر الاوقات *
والمدش	رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها *
والنمش	نقط بيض وسود او بقع تنقع فى المجلد تخالف لونه *
والبنخص	لحم ناتئ فوق العينين او تحتها كهيشة النفخة والبنخص
	انقلاب الاجفان *
والبرص	معروف *
والنقص	وجع العصب من كثرة المشى *
والخاصة	دآء يتناثر منه الشعر *
والخوص	صيق فى موخر العينين او فى احدهما *
والخوص	غور العينين *
والخيص	صغر احدى العينين *
والرّمص	وسخ ابيض يجتمع فى الموق *
والشوصة	وجع فى البطن او ريح تعتقب فى الاصلاح او ورم فى جباهها *
والغمص	ما سال من الرمص *
والقبص	وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة *
والقرماص	قصر الخدين *
والقفص	حوصة فى المعدة من شرب الماء على التمر وحرارة فى الحلق *
والنخص	تغضن كثير فى اعلى الجفن *
والنخص	كون الجفن الاعلى لحима *
واللصص	تقارب المنكبين ولاسان *
والمامة	دآء ياخذ الصبي من شعرات على سنان الفقار الخ *

والمَعَص	التواء في عصب الرجل *
والمَغَص	معروف *
والمَقَص	قصر العنق *
والْمَحْرَض	فساد المعدة والبدن والمذهب والعقل *
والْمَهْرَض	الحصف يخرج على البدن من الحر *
والْمُخْبَاط	داء كالجنون *
والْأَذْوِطِيَّة	الاذوط الناقص الذقن *
وَالْأَسْطِيَّة	الاسط الطويل الرجلين *
وَالسَّرَطَان	ورم سوداوى يستدى مثل اللوزة واصغر فاذا كبر ظهر عليه عروق حمراء وخضر شبيه بارجل السرطان لا مطمع في برئه وانما يعالج لسلا يزاد *
وَالضَرْط	خفة اللحية ورقة الحاجب *
وَالضُوط	عوج في الفم *
وَالطَّرَط	خفة شعر العينين والحاجبين والاهداب *
وَالْقَطَط	قصر الشعر وجعودته *
وَالْمَرْط	خفة الشعر *
وَالْمَعْط	عدم الشعر *
وَالْمُخْط	خروج المقللة او عظمها *
وَالْبُشَع	ظهور الدم في الشفتين وانقلاب الشفة عند الضحك *
وَالْجَلَع	عدم انضمام الشفتين *
وَالْحَلَع	التواء العرقوب *
وَالرَّسَع	فساد في الاجفان *

الرمع	اصفرار في وجه المرأة من دآ يصيب بظرها *
والزلع	شقاق في ظاهر القدم كالسلع *
والزمع	الزيادة في الاصابع *
والصداع	وجع الرأس *
والصلع	انحسار شعر مقدم الرأس *
والنصوع	تشقق الشعر *
والقرع	معروف *
والقفع	ارتداد اصابع الرجل الى القدم *
والقلع	دآ في الفم *
والقمع	فساد في موق العين واحمرار او بثرة تخرج في اصول الاشعار *
والكتع	رجوع الاصابع الى الكف *
والكنع	احمرار الشفة وكثرة دمها حتى تكاد تنقلب *
والكلع	شقاق ووسخ في القدم *
والكوع	اقبال الرسغين على المنكبين *
والشحع	استرخاء الجسم *
واللطع	بياض في باطن الشفة النخ *
والوكم	اقبال الابهام على السبابة من الرجل *
والهنع	انحناء في القامة *
والبنع	ظهور الدم في الجسد *
والذلع	انقلاب الشفة *
والقدغ	التواء في القدم *
والقوغ	منخم في الفم *

والْوَبْغُ	هَبْرِيَةِ الرَّاسِ *
وَالْجَنْفُ	الْجَنْفُ فِي الزُّورِ دُخُولُ أَحَدِ شَقِيهِ وَانْهْصَامُهُ مَعَ اعْتِدَالِ الْآخَرِ *
وَالْحَشْفَةُ	قَرْحَةٌ تَخْرُجُ بِحُلُقِ الْإِنْسَانِ *
وَالْحَنْفُ	الْأَعْوَجَاجُ فِي الرَّجْلِ *
وَالْحَنْفُ	انْهْصَامُ أَحَدِ جَانِبَيْ الصَّدْرِ أَوْ الظَّهْرِ *
وَالسَّافُ	تَشَقُّقٌ وَتَشَعُّثٌ مَا حَوْلَ الْأُظْفَارِ *
وَالسَّعْفَةُ	قُرُوحٌ تَخْرُجُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ وَوَجْهِهِ *
وَالشَّافَةُ	قَرْحَةٌ تَخْرُجُ فِي اسْفَلِ الْقَدَمِ فَتَكْوِي فَتَذْهَبُ أَوْ إِذَا قُطِعَتْ مَاتَ صَاحِبُهَا *
وَالشَّنْفُ	انْقِلَابُ الشَّفَةِ الْعُلْيَا مِنْ أَعْلَى *
وَالطَّرْفَةُ	نَقْطَةٌ حُمْرًا مِنْ الدَّمِ تَحْدُثُ فِي الْعَيْنِ مِنْ ضَرْبَةٍ وَغَيْرِهَا *
وَالنَّصْفُ	اسْتِرْخَآءٌ فِي الْأُذُنِ *
وَالنَّطْفُ	كَثْرَةُ شَعْرِ الْحَاجِبِ *
وَالْكُتَافُ	وَجْعُ الْكَتِفِ *
وَالْكَلْفُ	شَيْءٌ يَعْلُو الْوَجْهَ كَالسَّمْسَمِ — وَحَجَرَةٌ كَدْرَةٌ تَعْلُو الْوَجْهَ *
وَالْأَرْقَانُ	آفَةٌ تَصِيبُ الزَّرْعَ وَالْإِنْسَانَ كَالْيَرْقَانِ *
وَالْبَحْقُ	اقْبَحُ الْعُورِ *
وَالْبَهْقُ	بَيَاضٌ رَقِيقٌ ظَاهِرُ الْبَشَرَةِ النَّحْ * *
وَالْحَوْلَقُ	وَجْعٌ فِي حُلُقِ الْإِنْسَانِ *
وَالْحِمَاقُ	الْجَدْرَى أَوْ شَبِيهِهِ *
وَالْخُنَاقُ	دَأٌّ يَمْتَنِعُ مَعَهُ نَفْسُ الْوَسْوَاسِ إِلَى الرُّثَّةِ *
وَالرُّوْقُ	إِنْ تَهَوَّلَ الثَّنَائِيَا الْعُلَى السُّفْلُ *

والسلاق	بثر يخرج على اصول اللسان او تقشر في اصول الاسنان وغلظ في الاجفان *
والشدق	سعة الشدق *
والشمق	مرح الجنون *
والغمقة	داء ياخذ في الصلب *
والفتق	علة في الصفاق *
والفوق	ميل الفم والفرج *
واللسق	لسوق الرثة بالجنب عطشا *
والمشق	ان تصيب احدى الربتين لآخرى *
والودق	نقط حمر تخرج في العين تشرق به او لحمة تعظم فيها او مرض فيها ترم منه الاذن *
والسكك	عيب في الاذن *
والساهك	حكة العين *
والشاكة	ورم في الحلق *
والشوكة	داء م وحمرة تعلقو البدن *
والفرک	استرخا اصل الاذن *
والفكك	انفراج المركب استرخا *
والألل	قصر الاسنان واقبالها على غار الفم كالليل *
والبدل	وجع في البأدلة (اللحمية بين الابط والشدوة) ووجع المفاصل واليدين *
والبوال	داء يكثر منه البول *
والشعل	تراكب الاسنان *

والثَّلَل	تساقط الاسنان *
والْحَذَل	حمرة فى العين وانسلاق وسيلان دمع *
والجَحَل	دآ فى البطن *
والْحَلَل	استرخآ ووجع فى العصب *
والْحَوَل	معروف *
والخَبَل	فساد لاعضآ والفالج *
والخَزَل	الكسرة فى الظهر *
والخُمَال	دآ. فى المفاصل *
والدَّخَل	عظم البطن *
والدَّخَل	ما داخلك من فساد فى عقل او جسم *
والسَّبَل	غشاوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة *
والسَّغَل	السَّغَل الصغير الجثة الدقيق القوائم او المضطرب لاعضآ او السَّيى الخلق والغذا او المتخدد المهزول وقد سغل كفرح فى الكل *
والسَّلَال	م كالسَل *
والسَّوَلَة	استرخآ البطن وغيره *
والصَّحَل	البحح *
والضَّعَل	دقة البدن من تقارب النسب *
والطَّحَل	دآ الطَّحَال *
والطَّلَاطَلَة	سقوط اللهاة حتى لا يسوغ له طعام ولا شراب *
والعَقَل	شى يخرج من قبل النساء كالادرة *
والعَقَل	اصطكاك الركبتين *

والقَابِيل	ما يخرج على الشفة غب الحمى *
والْعَمَل	فساد الجرح من العصاب *
والْقَبَل	اقبال احدى الحدقتين على الاخرى *
والنَمْلَة	بثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرا ويدب الى مكان آخر *
والْأَطَام	حصرة البول والبر من دآ *
والْجَحَام	دآ فى العين *
والْجُذَام	معروف *
والْحَشَم	تغير رائحة الانف من دآ فيه *
والرَّحَم	وجع الرحم *
والسَّرَم	وجع الدبر *
والضَّجَم	عوج فى الفم والشدق والشفة والذقن والعنق *
والْعَسَم	يبس فى مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم *
والْعَم	سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا *
والْفَقَم	تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى *
والقَم	ميل وارتفاع فى الاليتين *
والكَزَم	قصر فى الانف *
والكَشَم	نقصان فى الخلق وفى الحساب *
والْمُوم	اشد الجدرى *
والْبَطْن	دآ البطن *
والثَّفَن	دآ فى الثفنة وهى من لانسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ *
والدَّن	انحناء فى الظهر ودنو وتطامن فى الصدر والعنق *

والزمن	العاهة ونحوه الضمن *
والتسوّن	استرخاً البطن *
والقعن	قصر فاحش فى الأنف *
والآه والماهة	الآهة الحصبة والماهة الجدرى *
والجله	انحسار الشعر عن مقدم الراس *
والشوة	طول العنق وقصرها ضد *
والقوة	سعة الفم *
والقرة	القرة فى الجسد كالقلىح فى الاسنان *
والقمه	قلة شهوة الطعام كالقمهم *
والمره	فساد العين لترك الكحل *
والبله	قلة الفطنة *
والتله	الحيرة والوله وهو ذهاب العقل حزنا *
والدله	ذهاب الفواد من همّ ونحوه *
والبرا	انحناء فى الظهر عند العجز او اشراف وسط الظهر على الاست *
والجحو	سعة الجلد واسترخاؤه *
والجلا	دون الصلع *
والجوى	دأ فى الصدر *
والحصاة	اشتداد البول فى المثانة حتى يصير كالحصاة *
والحقوة	وجع فى البطن من اكل اللحم *
والخذى	استرخا الاذن وانكسارها *
والرئية	وجع المفاصل واليدين والرجلين او ورم فى القوائم او منعك الالتفات من كبر او وجع *

والشَّرى بثور صغار جر حكاكة *
 والشَّغا اختلاف نبته لاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج *
 والصَّوى دقة الجسم وقلة الجسم خلقة او الهزال *
 والطنى طنى لزق طحاله ورنثه بالاضلاع من الجانب الايسر *
 والفغا ميل فى الفم *
 والقعا هو ان تشرف الارنية ثم تنقى نحو القصة *
 والقطى دأ فى العجز *
 والقوة دأ فى الوجه *
 واللوى وجع فى المعدة واعوجاج فى الظهر *
 وغير ذلك من العيوب كأن يكون لاسنان قشعوما او مقرما او زعبلا او
 سَقَطَرى او نغاشيا او اِزْبا او دميما * ومن لادوآ التى لم يُعرَف لها بعدُ
 اسم * ومحال ان تحيط بها كلها حالة كونها غير مستقصاة هذه الثمانية
 والعشرون حرفا * واصعب ما فيها واضر الكع والتشويل * وقد زاد
 معاصرونا على ذلك الداء الزرنبى مما خلت عنه لغتنا الشريفة * واعد
 فاقول الم يكف بنى ادم ان مدى عمرهم قصير * وهمم فيه طويل كثير *
 وامرهم عسير * لكل منهم من العناء والجهد واللوع * ما يكفيه وآخرين معه *
 فطالب العلم يسهر الليالى فى تبیین مشاكل * وايضاح مسائل * وذو
 الصنعة يقضى نهاره كله مكبا على عمله ذا سخط * حتى ينال كفافه فقط *
 وذو الامارة مشغول البال باحكامه وسياسته * والرئيس ذوهم برئاسته *
 والملك موجس من وزرائه ان يتخالفوا عليه فيستقوه ما به هلاكه * والوزراء
 خائفون منه ان ينقم عليهم فتدور بهم افلاكه * والتاجر يبكر الى محترفه
 وهو مشفق من كساد بضاعته * والطبيب يخشى ان تُرشد الناس فيستغنوا

عن براعته * فتعفن عثاقيره * وتاجن مياه زجاجاته ويفسد ذروره *
وسفوفه ولعوقه ووجوره * والقاضى يستعيز من قدوم من تفتنه من الغيد
بجمالها * وتربكه فى مسائل غير مذكورة فى كتابه فيعلق بجمالها * ويتحير
من احوالها * والربان يحذر من عصف الارواح * والزاجل من شب نار
الحرب التى وقودها الارواح * فكلما راي سلطانه متغيرا * وخاطره مكدرا *
قال اللهم اكفنى غير الدهر * واجعل هذا الكدر عارضا يزول قبل العصر *
فانى ارى فى وجه ملكى واميرى سيماء القتال * والرسم بمنزلة الابطال *
وانا ذو صاحبة وعيال * واملاك واموال * اللهم اكف السنة الاجانب عن
القدح فيه * والتقى فى قلوبهم رعبه وامح من صدره ما يوغره ويزفيه *
والحارث يوجل من كثرة الامطار * وهبوب الاعصار * والمعلم من رغبة
الناس عن العلم الى الجهل * والمتعلم من عقبة الكتاب * وعاقبة الكتاب *
الشاقه لما عنده من نمد الجلد * والحاطر له عن اللهو والدد * والمغنى
والعازف بالآلات الطرب من وقوع الفلأ * او استيلاء الحزن على قلوب
الاغنياء * واللاعب من اهتدا الناس الى الجد * والشاعر من الفائه ممدوحه
كالجمر الصلد * او محبوبه ذا جفا وصد * والمولى مثلى من مجانين
(اى يشفق من مجانين لا انه هو منهم) يتصدون له فيحرقون كتابه *
ويخرقون اهابه * والزوج من فرار زوجته وكساد ابنته * وهما من بخله
وحرمانهما من ثروته * والقسيس من كتب الفلاسفة * والفلاسفة من
وعيد القسيس وبوادره العاصفة * ورعوده القاصفة * وفى الجملة فكل ذى
حرفة يخاف من انحراف نفعا عن جانبه * وكل يدعو الله لصلاح حاله
ولو بفساد حال صاحبه * اذ لا تكاد تتم مصلحة من هذه المصالح المذكورة *
الا وينجر معها مفسدة بالضرورة * كما قال ابو الطيب المتنبى مصائب

قوم عند قوم فوائد * ومع ذلك فكل يزعم انه محق فيما ساله * جدير
بنوال ما امله * وان لغته فى ذلك عند الحق سبحانه وتعالى * اصدق مقالا *
نعم اعود فاقول * وان طال المقول * او ما كفى الناس الخوف من الموت
يفاجئهم وهم فى دعة واطمئنان * او يفجعهم بفقد ما لديهم عزيز من
اهل وولد واخوان * وخلان وحيوان * اذ بعض الناس يكلفون بالخيال
والطير والسنابير والكلاب * كلفهم بالاهل ولاصحاب * او الرعب من ان
يسقط احدهم عن ظهر دابته فتندق عنقه * او تسرى النار فى بيته
فيحترق تالده وطريفه فيعدم رزقه * او يقع فى تيار فيجفأ به الى ما
شا الله * او تخسف به الارض * او ينخر عليه السقف من فوق * او
تبلغه الوكة من مسافة مائتى فرسخ فتقلقه وتورقه وربما ابكته دما *
او ياتيه سارق فيسرق متاعه الذى هو قوام معيشته * او يفقد ما فى
كيسه او هميانه فى الطريق * او ينشب فى عينه عود فيعطلها * او تتشنج
به عضلة فيعد بعدها من سقط المتاع * او ياكل شيا ضارا فيودى به * او
شرابا مسموما فيسقط امعاءه وارباه * او يرى جميلة فيورقه جمالها فيصبح وهو
هائم متيم يشكو للطبيب من سقامه * وللشاعر من غرامه * فلا هذا يطعمه
ويمتيه * ولا ذاك ينفعه ويشفيه * اوقبيحة فتدهمه مرعبة * ويلازمه القمه عن
المادبة * او تنبجه الكلاب وتخرق ثيابه فيبدو وذمه * او يسيل دمه *
او يكون جالسا يوما على التخت * فيسمع له صريف التخت * فيسود
وجهه بين اخوانه وعترته * واهل قريته وكورته * وربما نبزه بالخصفى
او الغضفى او النضفى او الحبقى او الحبقى او الخفقى او العفقى او الغفقى
او الحصى او الخصى او الرذمى * او يقع عليه الكابوس ليلا فيقف
جريان دمه على قلبه فيهلك ليلته * نعم الم يكفهم هذا كله حتى طفق

بعضهم يجهز على بعض كتاب الحُدس والتخمين * ويجرد عليه مقاب
 الخرص والتزكين * فاقبل قوم منهم على قوم برماح الطعن مشرعة * وبسيوف اللعن
 مبضعة * وببصال الجدل فائدة نارقة * وبنبال الجلال صاردة خاسقة *
 فقال بعض لا ان درجات السما مئة وخمس * فقال غيره لا انها مئة
 واربع * فقال اخر لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان وسمل العينين *
 وسل لا نثيين * انما هي مئة وست * ثم قام اخر وقال لا ان دركات
 سقر ستمائة وست وستون * فقام غيره وقال لا انها ستمائة وخسون *
 فقال اخر لقد كذبتما والحدثما وضللتما واستوجبتما غل اليمين والرجلين *
 ونتف الشعيرين * انما هي ستمائة وسبع وستون * ثم قام اخر وقال لا
 ان قرن الشيطان ثلثمائة وخسة وخسون ذراعا * فقال آخر هذا افك
 واضح * وبهتان فاضح * بل هو ثلثمائة وستة وخسون * فقال اخر
 وكسور * ثم قال اخر لا انه من حديد لكونه ثقيلا على الناس يعثيهم *
 فاجابه غيره لا انه من ذهب لكونه يضلهم ويفويهم فقال اخر بل هو من
 اليقطين لانه ينمي ثم يذوى * ويكبر ثم يصغر * ويطول ثم يقصر * ثم قام
 آخر على راس سلم عال وقال بصوت جبير لا ان بكم ايها الناس لجليدة
 ينبغي قطعها بحجر محدد لا كبير ولا صغير * فقال آخر بل بسكين ماض
 لا طويل ولا قصير * فقال آخر لقد سفهتما انما هي عزيزة علينا * كريمة
 لدينا * لا يصح قطعها بحجر ولا سكين * ولا خدشها بشى ولو من رقين *
 فانما هي متصلة بالوريد ومنعقدة بالرئتين * ومن قطعها فقد كفر *
 واستوجب نار سقر * فقال آخر بل قطعها واجب فانها من الزوائد *
 فاعترضه القائل بعدم القطع انا لا نرى شيئا غيرها يقطع فما وجه تخصيصها
 بالقطع * قال بل الشوارب تحفى ولاظفار تقلم * قال ولكنها بعد ذلك

تثبت وتلك لا * قال انما دليلى القطعى على وجوب القطع عدم نفعها
لصاحبها * قال لم يخلق الله شيا عبثا من غير نفع * قال بل خلقك اياك
لغير فائدة * قال لا بل انت مخلوق عبثا * ثم حشد كل من الفريقين
بخيله ورجله * وتلاقى كل من الجيشين بسلاحه ومُحله * فمن بين
قارع بحدّ الحسام * ورام بالسهام * وباطش بيده وقاذع بلسانه
وهاج بقلمه * فالروس متناثرة * والدماء جارية ولاعصا متطايرة *
والعرض مهتور والحرمات مهتكة * والمال مسلوب والديهار مخربة *
والحزازات فى الصدور كامنة * والمشاحنة ظاهرة وباطنة * والخيول مُسرّجة *
والكمأة مدّجة * والطرق معطلة * والارض محملة * والفرص للانتقام
مرقوبة * والدعوات فى الليالى مشبوبة * ياايها الناس اعتبروا بمن
فات * كيف صار الى الرفات * وان منهم من كان يذكر اسمه فى حياته
بالبركات * فاصبح يذكر باللعنات * ومنهم من كان يحسب فى قومه سراجا
وهاجا * فصار يحسب دخانا وعجاجا * ومنهم من كان ياكل حتى ينتفخ
بطنه وتحتظ عيناه * ويتسجلج لسانه وترتخى شفتاه * فصار لان الدود
ياكله * وبعض الحشرات يستوبله * ياايها الناس * وجمهوركم فى سبات
والباقي فى نعاس * فرار من غرور النفس * وحذار من قورور الرمس *
وبدار الى تقديم عمل صالح يقربكم الى الله * ويلأم بعضكم ببعض وانتم
فى الحياة * اتموتون وفى قلوبكم الحقد على خصمكم * وفى افواهكم اللعن
على مخالفكم فى زعمكم * الم يقل لكم الحق كونوا ياعباد على الارض
أخوانا فانكم من اب واحد وأم واحدة وانكم جميعا لمتيتون * سواكنتم
ذوى وجوه سمر او حمر او صفر او سود او بيض انكم كلكم بشر انكم كلكم
فانون * انكم ناظرون ولا مسمون وسامعون وشامون وطاعمون * ما بال

الْجَلِيدَى مِنْكُمْ يَشْنَأُ الْإِجْلِيدَى * وَالْحَدِيدَى مِنْكُمْ يَمُوتُ الْيَقِطِينَى أَفْلا
تَتَوَادَعُونَ * أَلَمْ أَظْهَرْ لَكُمْ فِى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا * وَفِى بَزْوِغِ الْكَوَاكِبِ
وَمَغِيبِهَا * وَفِى سَكُونِ الرِّيحِ وَهَبِيبِهَا * وَفِى خُودِ النَّارِ وَشَبُوبِهَا * وَفِى زَخْرِ
الْمِيَاهِ وَنُضُوبِهَا * وَفِى صُرُوفِ الدَّهْرِ وَخُطُوبِهِ * وَهَمُومِهِ وَكُرُوبِهِ * وَفِى
سَوَادِ الشَّعْرِ وَمُشِيبِهِ * وَفِى هَرَمِ الْجِسْمِ وَشَحُوبِهِ * وَفِى أَكْزَامَانِ إِذَا تَوَالَتْ *
وَالْأَحْوَالِ إِذَا حَالَتْ * وَالِدُولِ إِذَا دَالَتْ * وَفِى الْغِيَاضِ إِذَا أَهْجَجَتْ *
وَالرِّيَاضِ إِذَا دَبَجَتْ * وَالْأَشْجَارِ إِذَا أَوْرَقَتْ وَجَرَدَتْ * وَالْأَطْيَارِ إِذَا
زَقَزَقَتْ وَغَرَدَتْ * وَفِى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ * وَالْقَلَمِ إِذَا مَشَقَ * لَيْسَ لِعَمْرِى
بَيْنَ الْوَحْشِ الضَّارِيَةِ وَالطَّيْرِ الْكَاسِرَةِ مَا بَيْنَكُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ *
وَالضَّغْنِ وَالشَّحْنَاءِ * أَذْكُرُوا يَوْمَ أَنْ صَعِدَ خَطِيبُكُمْ الْمَنْبَرَ * وَعَبَسَ وَبَسَرَ *
وَتَوَعَّدَ وَتَنَكَّرَ * وَخَطَا وَكَفَّرَ * وَحَضَّ عَلَى الْقِتَالِ وَذَمَّرَ * ثُمَّ دَعَا فَاسْتَغْفَرَ *
وَأَسْتَخَارَ اللَّهَ وَاسْتَبَشَرَ * فَاعْرِضْ عَلَى حَيْرَانِكُمْ * وَأَنْتَهَكْتُمْ حُرْمَاتِ
أَخْوَانِكُمْ * وَفَرَقْتُمْ بَيْنَ الْإِمِّ وَرَضِيعِهَا * وَالْمَرْأَةِ وَضَجِيعِهَا * وَبَيْنَ الْآبِ
وَوَلَدِهِ * وَسَبَدَةٍ وَلَبَدَةٍ * أَذْكُرُوا يَوْمَ أَنْ حَشَدَ رَئِيسُكُمْ إِلَيْهِ أَعْوَانَهُ *
وَهَاجَ أَهْلُهُ وَأَخْدَانَهُ * عَلَى أَنْ يَخُونُ سُلْطَانَهُ * وَأَيَّ خِيَانَةٍ * وَمَا
ذَلِكَ إِلَّا لِمُخَالَفَتِهِ لَهُ فِى الْحَزْرِ وَالتَّقْدِيرِ * وَالتَّوِيلِ وَالتَّعْبِيرِ * وَالتَّخْرِيجِ
وَالْتَفْسِيرِ * أَذْكُرُوا يَوْمَ أَنْ أَعْلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِعَلَائِمِ الْجِهَادِ * وَقَلْتُمْ هَذِهِ
حَرْبُ اللَّهِ هَذَا قِتَالُ لِرِضَى رَبِّ الْعِبَادِ * هَذَا يَوْمُ كَسْبِ الثَّوَابِ * وَالنَّجَاةِ
مِنَ الْعَذَابِ * فَافِضُوا إِلَى الْعَدْرِ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ * وَاسْتَنْمُوا عِنْدَ اللَّهِ
أَجْرَ هَذَا الْبَرِّ * أَذْكُرُوا يَوْمَ أَنْ تَنَازَعْتُمْ عَلَى لَوْنِ طَعَامٍ تَأْكُلُونَهُ * وَشَكْلِ
شَرَابٍ تَشْرَبُونَهُ * وَرَحْضَةِ جَسْمٍ تَغْسِلُونَهُ * وَنَوْعِ فِرَاشٍ تَتَوَسَّدُونَهُ *
وَرَقْعَةِ ثَوْبٍ تَلْبَسُونَهُ * وَوَجْهِ كَلَامٍ تَحْكُمُونَهُ * وَمَتَاعٍ تَسْتَعْمَلُونَهُ * الْإِخْلَافِ

فى هذه الدنيا فطرتكم * ام بالخصام والمعاداة أمرتم * ما بال علما الرياضة
والهندسة والتنجيم لا يختلفون فى ادلتهم * وان اختلفوا لم يشبوا النار
لتحقيق نحلتهن * وانتم تشبونها عند كل فرصة تسخ لكم * ووههم يسبق
اليه فكركم * وكان الاولى ان تتواطوا على راي واحد كما تواطأ اولئك *
وان تُسنوا لعباد الله مصالحهم لا ان تدخلوهم فى هذه الملاحك *
وتربكوهم فى هذه المراكب * وان تهدوهم الى اقوم المسالك * لا ان
تلبسوا عليهم فى هذه الحوالك * دعوهم يشتغلوا بأسباب معيشتهم * ولا تكلفوهم
ادراك ما فوق طاقتكم وطاقتهن * واعملوا انتم ايضا بايديكم ساعتين اذا علمتم
بالسنتكم النصناسة ساعة * واجمعوا امركم عند تفرق اهوائكم على
اللفة والطاعة * انسيتم ما جآ فى الزبور الذى به تلهجون * وتهذون
وتذبرون * وهو قوله ما احسن لآخوة ان تسكن جميعا فى بيت واحد
كالدهن النازل على اللحية لحية هرون * لا ولا تحرموا ما حلل الله لكم
من الطيبات * ولا تتلاوصوا الى معرفة ما لغيركم من الهفوات * ولا
تبيعوا املاك السماوات * وانتم على الارض من ذوى البطالة والترهات *
ليس على السوقى ان يتزوج خرجية من حرج * ولا على الخرجى ان
يتزوج سوقية من مَرَج * فان اختلاف الحزر فيما لا يعلم * لا يكون
مانعا للفوز بهذا المغنم * الذى يدريه من تعلم ومن لم يتعلم * او لم
تعلموا ان الارجام من الرحمة اشتقت * والى المصاهرة شقت * وعلى
الانساب انطبقت * والى التأخى والتآلف خلقت * وبالتواذ اخصت *
ولانتهاز فرص الحظ فرصت * فما لكم عنها تتباعدون * وتتقاعسون
وتتقاعدون * ولم انتم هولآ فى بحر الشك والظن تسبحون *
وتستبضعون تجارة الخرص وتربحون * لا يسمع الله دعا احد منكم

في الشرق لا اذا كان يستصوبه اهل الغرب * ولا يفيزكم بالآخرة لا
اذا تالفتم في الدنيا على هذا الضرب * فليصافح اذا اخضر الراس
منكم اسوده * ومدورة ذو القُبعة مخروطه ذا اللبدة * وليُصَفِّ كل منكم
لاخيه نيته وودّه * ويحفظ له عهده * واذا قد اتفقتم على المخلوق فلا
تختلفوا على الخالق * فهو رب المغارب والمشرق * وانه ليريد ان
المشرقي منكم اذا سافر الى المغرب يرى اهله فيه له اهلا * وشمله شملا *
فاقبلوا النصيحة * واسمعوا ما يمر بكم بعدها من العبارات
الفصيحة * والمعاني المليحة * في هذا

الفصل الذي

سميته





في العشق والزواج

❖ ❖ ❖

قد ذكرت في آخر الكتاب الثاني ان الفاريق ابتلاه الله بامراض كثيرة وكتب وفيرة ثم انجاه منها جميعا * وانه بعد ان رأى نفسه معافى منها اطمان خاطره واخذ الى الغنا * ولان ينبغي ان اذكر ختام هذه النوبة * وعاقبة هذه الحوبة * وتفصيل ذلك ان الدار التي كان فيها الخريجون كانت محاذية لدار بعض التجار * وكان له بنت تحب السماع واللهو والطرب وترتاح الى الغنا جدا * فكانت اذا سمعت الفاريق يغنى او يعزف في غرفته تصعد الى سطح دارها وتنصت الى ان يفرغ فتنزل الى حجرتها * فلما علم الفاريق ان صعودها كان لاجله اذ لم يكن احد غيره يظن به التعرض لها صبت اليها نفسه ونزغ فيها نازغ من الهوى * غير انه كان من طبعه النفور من الزواج حتى انه كان يحسب المتزوجين اشقى الناس * لان الحالة الزوجية لا يبدو منها في الغالب سوى صعوباتها ومشاقها * وكان اذا قيل له فلان تزوج تاخذه به رافة ويرثي له كما يرثي لمن دار به تيار شديد او رزى برزية كبرى * فتنازع فيه جاعلا الهوى والحذر * فرجت كفة الاول الثاني فرأى ان مجرد النظر اولى من التعرض باشارة تدل على انه ذو عبوة وهيام * ومكثا على ذلك مدة وهو احذر من القربى *

حتى اذا كان يوم وراها تمسح محاجرها بمنديل اما من حر الشمس او من
 غيره اعتقد بمجامع قلبه انها تمسح دموعها شوقا اليه * فانفتقت بناثق
 الصبر من صدره * وهاج به الوجد لازالة حذره * وقال في نفسه ايقابل
 احد غيرى دموع باكية بالاعراض * وهل وراّ الدموع غير الهوى * كيف
 لا تذيبني وما قلبي بجلمد * ولا انا بمخلد * وقد علمت ان اعظم لذات
 الحياة ما اذا وجد للانسان له خدينا نوتا * وقرينا صفيا * وانا غريب
 محتاج الى مؤنس في وحشتي * ورفيق في وحدتي * ومن مؤنس مثل
 الزوجة * واتي خير في العزوبة لمن رزقه الله قوته وخوْجه * وبمثل هذه
 الخواطر السريعة وطن نفسه على تحمّل اعباء الهوى من اى جهة كانت *
 فمن ثم فتح باب الاشارة بينهما * فمن بين يد توضع على القلب مرة وعلى
 الخد اخرى * واصبع تقرن باخرى * وذراعين تشجان مع تنفس وزفير *
 وشفتين تضمان * ورأس يهتز وغير ذلك مما يتعلل به المبتدئون في الحب *
 فاما المتناهون فلا يرضيهم الا الهصر بالفودين كما نص عليه الاستاذ امر
 القيس * ودامت دولة الاشارة بينهما اياما مديدة من دون كلام * فلما
 عجزت الايدي وسائر الجوارح عن ترجمة ما في القلب وخصوصا لبعد
 ما بينهما احتالا على ان يجتمعا في مكان بحيث يرى المحب حبيبه *
 فلما بصر بها عن قريب وجدها والفضل لمخترع الزى المصرى عُدلة
 جَزَلَة * اذ لو كانت متردين بالزى لافرنجى لما عرف هل كان ما في
 صدرها عَظْمًا او بَرَسًا او قَطْنًا * او خُرْفَعًا او عُطْمًا * او بَيْلَمًا * او قَشْبَرًا
 او حَرِيرًا او نُوْدَلًا (١) * او كان ما وراها عَظَامَةً او لَحْمًا وشحما * قال
 الصوفى ونفايته وهاتان الصفتان اعنى العُندَلِيَّة والجَزَلِيَّة احسن ما يراد من المرأة * فان
 الاولى تشفع في الكون الامامى والثانية في الكون الخلفى * قلت وقد

(١) العَظْمُ الصوف
 او المصبوغ الوانا
 والبرس القطن او
 شبيه به او قطن
 البردى والخرفع
 القطن المندوف
 والعظم الصوف
 المنفوش والبيلم
 قطن البردى وقطن
 القصب والقشبر اردا
 الصوف ونفايته
 والنودال المدى *

جاء عن سيدنا سليمان عم مدح العندلية بقوله في الفصل الخامس من سفر
لامثال فليرويتك ثدياها في كل حين * ولقائل ان يقول ان العهن
واخوانه مع وجود اليد والجت (١) اذا جمع الجسمين مكان لا يمنع من تحقق
الصفتين المذكورتين * والجواب ان ذلك محذور غالبا في البلاد المشرقية
ولا سيما من اول مرة * فاما عند غيرهم فلا محذور منه ولذلك شاع استعمال
العظامات عندهم بلا نكير * ثم حيث تقدم لنا في الكتاب الاول وصف
الحمار على اسلوب افرنجي فلا باس هنا ايضا في وصف الرجل قبيل
الزواج على النسق المذكور فنقول * انه مدة تغله بغبطة الزواج وتلحزه
من لذاته * لا يخطر بباله شئ من مستانف آفاته * وانما يخطر في
حده * ويقول في نفسه * ان حالتي لا تكون كحالة معارفى وجيرانى *
الذين تزوجوا واخطأهم الامانى * اذ هم لم يودوا الزواج حقه * ولم ياخذوا
في اسبابه بالثقة * لان منهم من باعل * وهو غير كفو لهذا العمل * اما لصفر
راحتة * او لعدم سماحته * او لمباينة سته عن سن زوجته * او لضعف
فى آتة * او لانه كان من الزماقية على شفا * او كان مُصْلَفَا او مُشْفَقَا (٢) *
او لان اميرة كان يغيبه عن وطنه * او لان جارة كان يخالفه الى عطنه *
او لان امه كانت رقيبا على امراته * او لان امامه كان ضيزنا له على
مائدته * فلذلك ثار بينهما النقار * وطال النفار * فَقَدَ القميصان
من قُبَل ومن دُبُر * ونسف الشعران والصخب كثر * وخذش الجلدان
خدشا بالظفر * وانتن الريحان من فوق السرر * اما انا فانى بحمد
الله خال عن هذه الخلال * فلا تحول لى مع زوجتى حال * ولا تنزاجنى
فيها الرجال * ولا يعتريها منى ملال * فرضاى رضاها * ومناى منها * وما
انا بادرى ولا ابخر * ولا احذب ولا اخنب * وان لى يدين اعلم بهما

(١) الجت جس

الكبش ليعرف

سمنه من هزاله *

(٢) المصلف من لا

تحظى عنده امرأة

وهو ايضا الذى

ثقلت روحه وقَلَّ

خيرة والمشفق

من به رعدة واختلاط

غيرة واشفاقا على

حرمه *

ورجلين أسعى عليهما * وأن يكن بى من عيب فى خلقى * يستره عنى
حسن خلقى * فانى لا اعارضها فى طعامها * ولا فى لباسها ومنامها * بحيث
تنام الى جنبى * وتتخذ من الملبوس ما يليق بها وبى * فما ينعنى
من اتخاذ قرينة * تكون على هذه الصفة الميمونة * حتى اذا سمع الناس
بان زوجى عروب * وعرضها عندى مصون ووجهها عن المراءود محبوب *
حسدونى على هذه النعمة السابعة * فكان لى كل غصة من العيش سائغة *
ولا يخفى كم فى كيد الحسود من لذة * لا تتقاس عنها الالذة * ما
عدا ارتياح النفس الى الجنس الانيس * الذى قربه للقلب تزويج
وللكرب تنفيس * وأن امرا يقاسى النهار جهدة * ثم يبيت فى الليل
وحده * من ذون ضجيج له تنفخ فى انفه * وتسخن دمه من امامه
ومن خلفه * لجدير بان يحصى مع الاموات * ويلقى بين الرفات *
هذا وانى استغنى برضها عن الشراب * وبشم شعرها عن المسك والعلاب *
فانهم قالوا ان الرائحة الانثوية تستنشق من منابت الشعرو بها نشوة
الحواس * سوا كان فى المغابن او فى الراس * واجتزى بحر جسدها عن
الوقود للاصطلا * وبالرنو اليها عن الائمى والجلآ * فيتوفر على كل يوم
فى اقل درهم * انفق نصفه على الحمام كل غداة فيبقى لى النصف
الآخر وذلك خير عم * وغنى اتم * فاما ما يقال فى كيد النساء * واعنائهن
الرجال بما يعز على الاسا * فليس ذلك على عمومه * ولا تقرر حكم الا
واستثنى امور من تعميمه * فلعل اول من اخرجته هذا الاستثناء * وسن
للاعزاب على الزواج الثنا * كيف لا وانا ذو فصاحة وتبيان * ودهآ
وجنان * فما يعينى شى من نكرها * ولا تخفى عنى خافية من امرها *
فاعارضها واجها * واريا ان لى عليها قفية تضطرها الى طاعنى وتحوجها *

فان قلت لها اليوم يصوم فيه المباعلون * ويتبتل المفاعلون * قالت
انا اول من صام * وآخر من نام * وان قلت لا يجمل بالمحصنة ان
تتبرج * قالت ولا ان تتعجج * وان قلت ان حق الزوجة على زوجها
فى كل اسبوع مرة * قالت وتبقى ايضا عفيفة حرة * وان قلت ليس
الحلى لازم للعرس * قالت ولا الديباج شر لبس * وفى الجملة فان
عيشى معها يكون رغيدا * وحالى سعيدا * وحظى مديدا * وطعامى
مريئا * وشرابى هنيئا * وثوبى وضيئا * وفرشى وطيبا * وبيتى مانوسا *
ومتاعى محروسا * وطرفى قريبا * وشانى مذكورا * وسعى ميمونا * وقصدى
مامونا * فحتى هل الزواج * بلعوب مغناج * طلعتها علاج * من الافلاج *
وضجعتها انهاج * الى الافلاج * انتهى * وانا اقول ان مما غرس فى هذه
الطينة البشرية اللئيمة ان الرجل متى وطن نفسه على الزواج حبب الله اليه
زوجه على اية حالة كانت حتى يراها احسن الناس خلقا وخلقا * لا بل
يرى نفسه انه قد ترفع عن اقرانه * وتمزى على اخوانه * حتى يستحسن
ما كان من قبل يستعظمه * وانه قد صار انسانا جديدا يجدر بان يجدد له
وجه الارض * وبنا على ذلك لم يعد الفاريق يرضى بالاغانى والاشعار
المتعارفة بل استبدل الاولى باخرى جديدة من نظمه * ونظم خلال ذلك
قصيدتين حاول فيهما اختراع اسلوب غريب فجاتا طيختيتين كما سترى
ذلك * ولو استطاع ان يخترع كلاما جديدا يعبر به عن غرامد وحديث
شانه لفعل * وكان اذا راي رجلا متزوجا يهيب به وينشده

انا فى حلبة الزواج المجلى انما انت فُسكل قاشور
ان قدحى يفوز عما قريب انما قدحك السفيح يبور

أو عزبا قال له

ياايها الاعزاب انى رافض دين العزوبة فاقصدوا بمثاليا
ليس الغنى الا البعال فبادروا ياقوم واستغنوا بمثل بعاليا

وتهوس يوما لان ينظم ديوانا يشتمل على ابيات مفردة تهافتا على احداث
شى غريب فنظم اربعة ابيات ثم امسك * وهى

ساعة البعد عنك شهر وعام الوصل يمضى كانما هو ساعه
انتجم الليل الطويل صباة وتجمى لنجوم ذى تفليك
ويخفق منى القلب ان هبت الصبا ويذكرنى البدر المنير محياك
الا ليت شعرى كم يقاسى من النوى وانحائه قلب يذوب تجلدا

ومن الفضول هنا ان نقول انه كان يقول لخطيبته انك ملأت عيني قرة *
وانى اراك احسن الخلق * وانا ليغبطنا الناس * وانك تغنينى عن الغنى *
وانى بقربك سعيد * وبعيدك عميد * وانا نكون ابدا كما نحن
لان * وانك ذات ملاحة تشغل الخلى * وانى اغار عليك من النسيم
يفيى شعرك هذا الدجى * وانا لجسمان فى روح واحد او روحان فى
جسم واحد * وانك لثرين متى كل يوم محبا جديدا * وانى لارى فيك
كل وقت حسنا حديثا * وانا نكون قدوة للمتزوجين والعاشقين *
الى غير ذلك من الكلام المتعارف عند امثاله * قال خير ايام الانسان فى
حياته هى المدة التى تتقدم الزواج والثى تليه * قلت ومبلغها عند
الافرنج شهر يسمونه قمر العسل وهو بعد الزواج * ومبلغها عندنا معاشر
العرب شهران يقال لهما قمر العسل * حتى اذا امتلات الخلية عادت:

كل نحلة زنبورا ورجع كل شى الى اصله * واقول ان المحبة هى مما غرس فى الطبيعة البشرية من يوم الوضع فى المهد الى يوم الوضع على النعش * فلا بد لهذا المخلوق لادى من ان يحب ذاتا من الذوات او شيا من الاشياء او معنى من المعانى * وكلما زاد حبه فى قسيم منها نقص فى قسيمه الآخر * وقد يكون احدها سببا فى زيادة حبه للآخر * مثال ذلك من كلف بالشعر او الغناء او التصوير فكلفه هذا يكون باعثا له على حب الذات الجميلة * ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وان تقل رغبته فى النساء بل ربما لهن عنهن بالكلية * ومن كلف بالخيال المطهمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حب الذات أو لا * وعد بعضهم من هذا النوع السرابية وهم المنظفون للمراحيض * واسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كلف من هوى النفس * فهذه ثلث حالات متسببة عن ثلثة اسباب * وهناك ايضا ثلث احوال اخرى باعتبار القلة والكثرة وما بينهما * الاولى متعادلة وهى ان يحب المحب محبوبه كنفسه * فلا تطيب نفسه بشى ولا تهنئه لذة الا اذا كان محبوبه مشاركا له فى تلك اللذة * وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبُعیده * ولا تخلو هذه الصفة عن الرشد والبصيرة * الثانية المتعدية اى المجاوزة للمتعادلة * وذلك كأن يحب المحب حبيبته اكثر من نفسه * وذلك صفة الالب والام فى حب ولدهما وصفة بعض العشاق * اما الالب فانه يفدى ولده بروحه ويحرم نفسه من اللذات والمسرات حتى يمتعه بها * فاذا رأى نفسه عاجزا عن الاكل والبعال ورأى ابنه ياكل ويباعل لذ له ذلك * وهو مع هذا غير محال ايضا عن الرشد والتمييز * فاما العاشق فانه قد يؤثر معشوقه على نفسه غير ان

افعاله تكون مختلفة فى غير محلها ووقتها * والثالثة معلومة وهى ان يحب
الانسان محبوبه مع ايثار نفسه عليه وهو الاغلب * وهناك ايضا ثلث احوال
اخرى مكانية وهى القرب والبعد والتوسط * ولها تأثيرات مختلفة بحسب
اختلاف طباع الناس * فالصادق الود يحب فى حالتى القرب والبعد
على حدّ سوى * بل ربما كان البعاد مهيجا له الى زيادة الشوق والغرام *
وما احسن قول من قال فى هذا المعنى

كان الهوى شمس ابى ان يردّها مهابة نوى لا بل تزيد بها حرّا

فاما الطرف الشنق فانه لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا * وثلث اخرى
زمانية وهى الصبى والشباب والكهولة * فمحبة الصبى اسرع واعلى *
ومحبة الشباب احترّ واقوى * ومحبة الكهولة اقروادوم * والكهيل يقدر محاسن
محبوبه ومنافعه اكثر * ومحبتة له تكون امّرواحلى * فالمرارة لعلمه انه قد
عرّض نفسه للوم اللاتمين وعذل العاذلين من الاحداث والاغوار * ولاشفاقه
دائما من ملل محبوبه اياه * فقلبه ابدا واجب * وهمّه بشأنه ناصب *
والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه كما تقدم * ولكون هواه والحالة هذه
راهنا متمكنا فهو يعتقد بمجامع قلبه انه ساع فى اسباب سعادته وحظه *
ولها ايضا ثلث حالات اخرى باعتبار الاستطاعة وعدمها اعنى اليسر والعسر وحالة
ما بينهما * اما الموسر فان محبته ابرد واحول * لان غناه يحمله على
استبدال محبوبه والتقل من حال الى حال * فلتحذر النساء المحصنات هذا الصنف
من الناس وان ماس بهن ماسه * لا اذا كن لا يخفن على سرهن وعرضهن *
لان الغنى يستحلّ افشا لاسرار * كما يستحلّ خزن الدينار * وعنده ان
كل شى عبد درجته * وطوع نهمه * فاما الفقير فان محبته اشط واشد

وَالْوَع * لان فقرة من حيث كان مانعا له من ازالة الموانع التى تحول
بينه وبين محبوبه لا يلبث ان يفضى به الى اليأس او الحبال او الى
الانتحار * فاما المتوسط فان حبه اعدل واصح * ولها ايضا ثلث حالات
اخرى وهى الذل والعز والمساواة * فالذل غالبا صفة العاشق والعز صفة
المعشوق * ومن اعجب انواع المحبة الحب المختلط بالبغض * وذلك
كان يهوى رجل امرأة وهى تهوى غيره وتتمنع عليه * فيهيج به وجده
الى وصلها تشفيا منها * فان فاز به غلبت محبته على كراهيته ولا فلا *
ولا يزال هذا دابه حتى يسلو عنها * والغالب ان المحب لا يسلو محبوبه
اذا عامله بالصد والحرمان الا اذا ظفر باخر شبیه له فى خلقه وخلقه
وهيات ذلك * فاما بواعث المحبة فقد تكون عن نظرة واحدة تقع من
قلب الناظر موقعا مكيئا * فتخلج فيه من محركات الوجد والشوق ما
تحتاجه عشرة مدة مديدة * وعندى انه لا بد وان يكون المحب قد تصور
فى عقله سابقا صفات وكيفيات من الحسن فصبا اليها * حتى اذا شاهدها
حقيقة فى ذات من الذوات كما كان تصورهما علق بها قلبه وخاطره
فكان كمن وجد ضالّة ينشدها * وقد تكون المحبة عن طول سماع عن
شخص فيسترسل السامع اليه شيا فشيا حتى يكلف به * واكثر اسباب
المحبة النظر والعشرة * واعلم ان كثيرا من الناس قد عشقوا الصور الجميلة
فى الذكور والاناث لغير دعاية وفسق * وانما هو ارتياح نفس ووجد بال *
ويؤيده ما ورد فى الاثر * من عشق فكتم فعف فمات مات شهيدا *
والعاشق فى هذه الحالة يرضى من معشوقه بادننى شى * فالقبلة عنده
نصروفتح وغنيمه * قال الشريف الرضى

سلوا مضجعى عنى وعنهما فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

قلت لو كان لى تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وعننى * وقال ابن
الفارض رحمه

كم بات طوع يدى والوصل يجمعنا فى بردته التقي لا نعرف الدنسا

وهذا العشق يسمى عند الافرنج العشق الافلاطونى نسبة الى افلاطون
الحكيم * ولا حقيقة له عندهم وانما هو مجرد تسمية * ويعرف عندنا
بالهوى العذرى * نسبة الى عذرة قبيلة فى اليمن لا الى عذرة الجارية
اى بكارتها وافتصاصها وشى آخر منها * ويروى عن مجنون ليلى انها
انتبه يوما وجعلت تحدثه فقال لها اليك عنى فانى مشغول بهواك *
وللمتنبى فى هذا المعنى

فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلاَمِ فَكَانَ شَغْلِي عَنْكَ بَلْ

واحق النساء بان تُعشَق وتُعزَّز التى جمعت الى حسن خلقها الادب وحسن
المنطق والصوت * واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما جآ
فى بعض المواليات المصرية * فانه والحالة هذه يقدم على اصعب الاعمال
واعظم المساعى * ويباشرها من دون ان يشعر بها * لان فكره ابدا مشغول
بمحاسن حبيبه * فلورفع صخرة فى هذه الحالة على عاتقه بل فندأ لتوهم
انه رافع نعال محبوبه او بالحرى رجليه * ثم انه معما يلحق المحبة من
طوارى التنغيص والخيبة والحرمان وخصوصا مضض الغيرة فان عيش
الخلى لا خير فيه * لان الحب يبعث على المروة والنخوة والشهامة
والكرم * ويلهم المحب المعانى اللطيفة والخواطر الدقيقة * ويكسبه
الاخلاق المرضية * ويستوحيه الى عمل شى عظيم يذكر به اسمه ويحمد هانده

ولا سيما عند محبوبته * وقلما رايت عاشقا به جفّا وفظاظة او رثّ. وبلادة
او دناءة وخساسة * قال بعض العزّيين واطنه من التيتائيتين * لو لم يمنع
من عشق المرأة شى بعد التعفف والتورّع سوى الاضطرار الى حبها لكفى * لان
الانسان متى علم انه مستخر لحب شى ومكلف به مله بالطبع ونفر منه *
قال فيكون حب المرأة على هذا مغايرا للطبع * هذا اذا كان الرجل شهما
عزير النفس على الهمة * فاما الاوباش من الناس فلا معرفة لهم بقدر
انفسهم فهم يتساقطون على حب المرأة حيثما عنت لهم وكيفما اتفق *
قلت هو كلام من لم يذوق الحب او من كان مفركا * ولو سمع انشى
تقول له يوما اجل ياروحى هذا الحمل من الحطب على راسك * او
احب يا عيني على اشتك كالولد الصغير للباها حاملا وزحّنفًا (١) * ثم ان (١) الزحّنف الزاحف
للعشاق مذاهب مختلفة فى العشق * فمنهم من يهوى ذات التصنع على استه *
والتمويه والعجب * ومنهم من لا يعجبه ذلك وانما يؤثر الحسن الطبيعى *
وان يكون فى محبوبته بعض الغفلة والبلاهة * والى هذا اشار المتنبى بقوله
حسن الحضارة مجلوب بتطرئة وفى البداوة حسن غير مجلوب

ومثل الاول مثل من يُقدّم له لون من الطعام وبه قمه فيحتاج الى التفحفة
والتقشيت * ومثل الثانى مثل من به سيفنيّة وسرطميّة (٢) قلا يمنعه عدم (٢) سيفنيّة طائر
التفحفة والتوابل من ان يلسو ويلوس ويلثى ثم ياحس قعر الجفنة
بعد فراغه منها * فاما رغبة بعض الناس فى الغفول والبلاهة فانها مبنية
على ان المحب لا يزال يقترح من محبوبته اشياء كثيرة تبعث اليها الحاجة *
فمتى كانت ذات دهاً وذكاه خشى ان تملّه وتحرمه * ومنهم من يزيد الواسع الحلق
فى المرأة غراما اذا كانت ذات عزة وشرة ومعاصرة * فيكون السريع البلع *

استرضاهما ادعى الى النشاط والسعى * وهذا يفعله فى الغالب من يتفرغ
 للهوى ويتصدى له من كل جهة * ومنهم من يعشق المرأة لانسامها بسمه
 شرف وسيادة او وجاهة * وذلك داب ذوى الطموح والاستطاعة * ومن
 هذا الصنف من اذا رأى امرأة وصيعة الشان تشبه امرأة شريفة عشقها
 لاجل حصول المشابهة فقط * ويقال لاهل هذا المذهب المشبهية * وهو فى النساء
 اكثر فان المرأة لا تكاد ترى رجلاً لا وتقول لعله يشبه بعض الامراء الغابرين
 او الحاضرين او الآتين * ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملاينة *
 وذلك شان ذوى الرفق والرقّة * ومنهم من يعشق من على طلعتها
 اثار الحزن والكآبة والفكرة * وهو مذهب ذوى الحنين والطرب * ومنهم
 من يعشق ذات البشر والطلاقة والانس * وهو خلق المحزونين المتشّسين *
 فان النظر الى مثل هذه ينفى الهم * ويجلو الكرب والغم * ومنهم من
 يعشق من بها مرح ونزق وطيش وثرثرة وقهقهة * وهو داب السفها
 والجهلا * ومنهم من يعشق المرأة لادبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها
 وسرعة جوابها * وهو مذهب العلماء والادبا * ومنهم من يعشق من تكون
 كثيرة الحلى والتأنق فى الملبوس كثيرة الغنج والتمويه * وهو طريقة ذوى
 السرف والشطط * ومنهم من يعشق الماحنة المتهتكة المستهترة * وهو
 شان الفساق الفجار * ومنهم من يعشق الخيتعور الشهوانية المتلعة
 الطفسة * وهو خلق من بلغ منه العهر كل مبلغ * ومنهم من يعشق اللاعة
 الخريدة العفيفة ابتغاء ان يفسدها ثم يتباهى بذلك بين اقرانه * فاذا
 رضيت له ملها او ارادها ان تكون على غير تلك الحال * وهو عندى
 شر من عاشق المتوهجة * ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة
 كلها فى محبوبته بحسب اختلاف الاحوال * هذا فى الخلق فاما فى

الخلق فالنحيف يهوى السميننة وبالعكس * ولاسمر يحب البيصآ
وبالعكس * والطويل يحب القصيرة وبالعكس * والاملط يحب الكثيرة
الشعر وبالعكس * اما النساء فاحب الرجال اليهن الفارس لا تتبع * الشجاع
الاروع * فاما الغنى والفقر فلا صابط لهما فان الغنى يتهافت على حب
الفقيرة كما يتهافت على حب الغنية * بل البخيل من الاغنيآ يوترح حب
الفقيرة طمعا فى ان يرضيها بالقليل من المال * والغالب ايضا ايشار
حب الجيل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التى تتصور
المخيلة وجودها فيه دون غيره * الا اذا منع مانع جهل بلغته فمح يحصل
للمخيلة انقباض فى تماديها * وكما ان لطف النساء وقلظتهن تعجب
الرجال ولا سيما فى الفراش كذلك كان يعجب النساء من الرجال ترارتهن
وشيطمتهم * فلا تكاد امرأة ترى رجلا على هذه الصفة الا وتقول فى
قلبها عند هذا كفايتى وغناى * وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم
الطول من الطول * غير ان النساء على الاعم يجنين اللذات من كل مجنى
ويكرعن من مواردها ما ساع وما اغص * فمثلهن كمثل النحلة تجنى من
الزهر وان يكن على الدمن * فاما الغيرة فهى خلق طبيعى فى كل بشر
اذا كان سليم الذوق * فان الانسان يغار على متاعه من ان ينتهكه
غيره فكيف على حرمة * وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على
نسائهم فليس على اطلاقه * فان منهم من يقتل زوجته ونفسه معا اذا
علم منها خيانة * نعم انهم يتساهلون معهم فى امور كثيرة ربما تعدد عند
المشرقيين قيادة * لا انها فى نفس الامر وقاية من الخيانة * اذ قد
تقرر عندهم ان الرجل اذا حظر امراته عن الخروج وعن معاشرة الغير اغراها
بالضمد * بخلاف ما اذا ارضاها بهذه اللذات الخارجية * ثم انه لما

علم اجتماع المستعسلين اى الفاريق والبنت خلافا للعادة المألوفة ذاقت
 امها من ذلك مزاراة الصاب * فاستشارت بعض اصدقائها فى امرها
 فقالوا لها لسنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لانه من الخرجيين * وانت
 من اعز بيت من السوقيين وهما لا يجتمعان * فقالت لهم ليس هو
 من جرثومة الخرجيين بل هو دخيل فيهم * قالوا لا فرق فى ذلك فان
 رائحة الخرج ساطعة منه وقد ملأت خياشيمنا وحذروها منه غاية التحذير *
 مع انى قد حذرتهم وامثالهم فى الفصل الذى مر من هذا الفصول * فلما
 علمت البنت بذلك نبض فيها نبض الخلاف وقالت ليست هذه الفروق
 من مصالح النساء * وانما هى مصالحة من اتخذها وسيلة للمعاش والجاه *
 والمقصود من الزواج انما هو التراضى والوفاق بين الرجل والمرأة * وان
 ابستم ذلك فيها انا اندركم انى لست من السوقيين فى شى * فرأت
 امها ان تغيب بها اياما عن ذلك المحل رجا ان يبعثها البعد على
 السلوان * فهاجت ج جميع عواصف الهوى فى كل من العاسل والمعسول *
 واليه اشار ابو نواس بقوله * دع عنك لومى فان اللوم اغراء * فلما رأت لآم
 ان لا اشارة * تمنع البنت من الاشتهارة * ولا جزر * يكفها عن الجزر * (١)
 رجعت الى منزلها واستندعت بالفاريق وقالت له * قد علمت ان
 السوقيين لا يبعون مصاهرتك * فان كان عزمك على ان تتزوج ابنتى
 ينبغى لك ان تتسوق ولو يوما واحدا * قال لا باس * فعلى هذا تسوق
 يوم عقد الزواج وقرت عين كل منها ومن البنت * ثم احضرت آلات
 الطرب ليلاً وادبرت الكؤس وزها مجلس الانس والسرور * والفاريق
 مواظب فيه على خدمة ادارة الكاس ومعيد على العازفين الاطراً وقول آه
 وايد واوه * حتى اذا كلت يده ولسانه ورأى ان عزم الشرب ان يسهرها

(١) الجزر شور
 العسل من خليته

الليلة كلها الى الصباح انسل من بينهم وصعد الى السطح لكى يستريح *
 وكانت الليلة مقمرة من ليالى الصيف * فلما ابطا عليهم ظنوا انه تفلت
 من الأربّة فاخذوا فى التفتيش عليه كما يفتش على امرأة فالك او فارك *
 فلما وجدوه وعلّموا ان نيته مخالفة لنيّتهم اخلوا له ولعروسه حجرة وهموا
 بالانصراف * فقالت لآم لا او تنظروا باعينكم البصيرة * (١)
 وسبب ذلك ان عادة اهل مصر فى الغالب هى ان يتزوج الرجل
 المرأة من دون ان يعاشرها ويعرف اخلاقها * وانما ينظر
 اليها نظرة واحدة بان تناوله مثلا فنجان قهوة او كأس شراب
 بحضرة امها * فان اعجبته خطبها من اهلها وآل كفى رجله عن زيارتهم *
 ومنهم من يتزوج ولم يكن رأى امراته قط * وذلك بان يبعث اليها امه
 او عجوزا من اقاربه ومعارفه او قسيسا فيصفونها له بمقتضى ذوقهم
 وخبرتهم * والغالب ان امّ البنت ترشى القسيس ليحيد صفة بنتها
 فيرقب الرجل فى التزوج بها * ومنهم من يتزوج امرأة قاطنة
 فى بلاد بعيدة فيبعث الى احد معارفه فى تلك الجهة ليصفها له فى
 كتاب ثم يستخير الله ويرتبق * ومع ذلك فان عيش هؤلاء المتزوجين
 على هذا النمط يكون هنيئا * فاما فى بلاد الشام فعادة اهل المدن كعادة
 اهل مصر وعادة اهل الجبل مغايرة * فان الرجل هناك يتمكن من رؤية المرأة
 ومعرفة اخلاقها * هذا ولما كان الفاريق قد تعدّى حدود العادة بمصر
 فى كونه اجتمع بالبنت مرارا عديدة فى حضور امها وفى غيابها * ارادت
 امها ان تنفى عنها العار باظهار علامة البكارة * حتى يشيع خبر برآة البنت
 فى جميع البلاد * فان اكثر الناس لا شغل لهم آلا الكلام * فاجتمعت تلك
 الزمرة ورآ الباب بعد ان جمعوا بين العروسين * وطفق الواحد منهم

(١) شى من الدم
 يستدل به على
 الرميّة ودم البكر *

ينادى ويقول افتح الباب يا ابا مزلاج * فطن الفاريق انه يريد
الدخول عليهما ليعلمه كيف يكون العمل * ففتح له فقال له ما هذا
الباب عنيت وانما اردت باب الفرج * فرجع الى عروسه واذا باخر
يقول لُجِ القبة يا ولّاج * وآخر ثَجِر الطعنة يا بجاج * وغيره اروى الصدى
يا ثجاج * وآخر ازل الزغب يا حلاج * وغيره افرغ السجل يا خلّاج —
اسرع الوطء يا زلاج — املأ الوطب يا زمّاج — ملل الملمول يا معّاج —
اغطس فى اللجة يا غاطس — افقس البيضة يا فاقس — أجل المسواك
يا وامس — تسور السور يا معافس — روض المهرة يا فارس * وما زالوا به حتى
شام ابا عُمَيْر وناول امها البصيرة * فتهللت منهم الوجوه فرحا وحبورا *
وصفقت الايدي استبشارا وسرورا * ونطقت لالسن بالتبرئة * وخطموها
بالتهنئة * ثم انصرفوا وكانهم قد قفلوا من غزوة غانمين * وكادت لام
نظول عن الارض شبرا لهذا الفتح المبين *

القصيدتان الطيختان

ما كنت اول عاشق بين الورى	تبع العشيقة من امام ومن ورا	
ورأى البكا له معينا شافيا	يوما ويوما اضحك المستعبرا	
ويكون مصروع الغرام مزّبا	متكّسا مستقبلا مستدبرا	التزبب التزديد فى
ومحبشا ومحبشا ومدهفشا	ومكتّسا ومزنجرا ومعجرا	الكلام كالتربيب
ومزّنا ومغنيا ومصفرا	ومشببا ومطبلا ومزمررا	وزبب فمه اجتمع
وفيينة متشاببا متمطيا	وفيينة متقاعسا مقعنصرا	الريق فى صامغيه
واذا راى رايا رشيدا كان فى	ابرامه مترهشا متاخرا	والتكسس التكلف
فالعشق عقل العقل عن صيورة	حتى يضل عن الصواب ويبطرا	

قد كنت أعجب أن يقولوا شاعر ذو جنة وإخال ذلك مفترى
 حتى لقيت صويحبي كليهما فاذا هما من طينة قد صورا
 خلق الجمال لعين صب جنة ولقلبه نارا تزيد تسعرا
 لا غرو أن يغدو لحمرة وجه من يهوى وقد جل الغرام محمرا
 ياليت يغنى المرء يوما واحدا عنهم من شئ يباع ويشترى
 ليت الجمال لهم مثل الملح في قدر الطعام مهتوعا أن كثيرا
 بل ليتهم خلقن اقبح ما يرى كيلا نهيم تحيرا وتخييرا
 ليت الكواكب كن هضلا حبذا الطرطب مع لا ياكبادى منظرا
 ياليت ذى الهيفاء دردحة وذى الدهسآ فالحسة فيهننا الكرى
 ليت العيون النجل صيقة وما فى الشجر من در نظم صفرا
 ياليت كانت كل ساق فعمة عود الشكاعى بل ادق واصمرا
 ياليت لم يصلت جبين فوقه شعر كليل كل غر غمرا
 ياليت ما فى الجيد من عظم بدا وقصا لاعيننا وشيا منكرا
 والحسن ان القبح احسن ما محما اذ ليس يبكى العين ما منه يرى
 فلاى داع كان شغل عقولنا وقلوبنا بهوى الوئاثر اكثرا
 ولم اخترصن بكل علق مضنة وبكل حلى فاخر دون الورى
 وبم ارتفعن على الرجال تطاولا ولهن تحت تقدما وتاخرا
 والى تم تطبر الفحول وقد طغت افعالهن تحير المتصبرا
 منا خرجن وعقلنا يخرجن اذ يدخلن او يخرجن سفه من مرى
 ولاى شئ لم يكن قود على من لحظها قلب المتيق قد فرى
 ولاى شئ حل رشف الريق من نغر الرشوف وكان ذلك مسكرا
 وعلى م تغتز الشنات على شج يمسى ويصبح بالغرام محسرا

الدردحة المرأة
 التى طولها وعرضها
 سوا والدهسآ العجزآ
 والفاحسة المرأة
 الصغيرة العجز*

سلاها لالتنور فاركما انبغى فى كل شهر ام تاخر اشهرا
 اين المعالى والمكارم اين من فخر الانام بعزة وتجبرا
 يقتاده اسم الخود ان ذكرت له طوعا وكرها وهو يهزم عسكرا
 واذا تجشأ ساعة فى وجهه من اى سم قال انشى عنبرا
 ولربما عشق الكبير فجتن من ريح من الحسنات نفعم منخرا
 ولو ان ذا القرنين جارى كيدها لراى الى قرنيه قرنا آخرا
 لولا النساء لما رايت مخطا ومسفها ومفسقا ومفجرا
 ومفلسا ومجبها ومعتنا ومكشخنا ومجرتا ومعزرا
 ومتيما ومهيما ومسهما ومدتما ومدتما ومشهرا
 ولما تناثرت الجماجم فى الوغى تحت السنايك وهى تورى المغفرا
 ولما عفت دول بهن لبت فبيتها الدمار فاصبحت تحت الثرى
 املت على حوادث الامم التى غبرت فقلت مقال من قد حررا
 يارب قد فتن النساء عقولنا فامسح محاسنهن قبحا يزدرى
 او فاجعلن غشاوة تغشى على ابصارنا او لا فاعم المبصرا
 او فانصنا او فابصنا او فالصنا او فاخصنا طبعنا بصاء بالحرى

التجبيه ان تحمر
 وجوه الزانيين
 ويحملا على بعير
 او حار ويخالق
 بين وجوهها وكان
 القياس ان يقابل
 بين وجوهها لانه
 من التجبيه
 والكشخان الديوث

الشانبة

لمن اشكو وقلبي اليوم من اكبر اعداى
 لمن اشكو وعقلي اليوم معقول باهوآى
 وطرفى مبسل لتي ولتي جالب دآى
 ولتوامى من كانوا اذا غبت او دآى
 ولأواى من ألأو عن ألأى من ألأى

وكشخنه قال له
 ياكشخان *

وقد افسد آرابى جميعا بعضها الآى
 راي نار الهوى تذكو لاحراق واصلا
 فما بالى باصلاى تلظيها واسلاى
 يقول الحنف من لمج وكونى ميت احياء
 احب الى من عيشى يوما عيش تيتاء
 حياة الصرى تكدير وصفوتها باصفا
 وما ينجع نصح فيه لو كان باثلا
 فهل من حكم ما بيننا يقررو بافتا
 عواديه ودعواه باصباحى وامساى
 وثورته ورثاته لاخلزاي واختاى
 طغا خطبى فما لى اليو م من آس واسواى
 فباسواى لا ينفك من لهج باسوا
 فلا يشغلکم هجوى وتقريطى واطراى
 فراسى اليوم امرة لداعى نكس اهواى
 فلا مطمع فى رشد خليع رق اغواء
 اذا وقصت به عنقى فلا تشكوا لاذماى
 وان شجت به راسى فلا تبكوا لادماى
 وان هثمت به سنى فلا تعموا عن الماء
 وان بُخقت به عيني فلا تكروا لاعماى
 جرى المقدور من قدم بتضليلى واشقاى
 فلو شآ لابقانى معافى اى ابقا
 ولو شآ لاعمانى عن لقا سرقا

دعوا ذا الوجد يشقيني ويمنيني باشفآ
وهذا العشق يضنيني ولا تُعنوا باشفآ
فذا عظمى وذا جلدى وذا شانى وانشآ
فما يدخل ما بينى وبين هوى باحشآ
سوى فظ فصولى زينم شر مشآ
اذا اسمعتكم عتبأ فعدونى من الشآ
ولا تبّقوا على طوقى وجلبابى واعضآ
فان القدم من يسمع ذا عذل باغضآ
وان الحر من يسمع عتبأ تلوارضآ

الآغانى

يابدر مالك ثان فى حسنك الفتان
فارجم فتى ولهان مبلبل البال
عذب بما ترضاه لا الجفا اخشاه
قد طال ما اصلاه وانت لى سالى
يا يوسف الحسن حوشيت من سجن
هددت بالحزن اركان امالى
من ذا الذى افراك بصد من يهواك
الطرف منه باك وجسمه بالى
حاتم ذا الهجران والصد والحرمان
حسن بلا احسان كالسرى بالال
محبك الواجد منك الرضى فاقد

يا ليتنى واجد اِتهام عذالى
اصناني السهد وعزنى الوجد
ما القصد ما القصد سواك يا غالى
يا فائن العشاق باللحظ والاحداق
تبارك الخلاق لحسنك الكالى
افديك بالمال والروح والآل
رضاك اشهى لى من طول آجالى

غيرة

ما ترى عيني مثيلك يارشا فارحم قتيلك
لم يرم الا سلامك ثم ان شئت جميلك
كل ما فيك مليح كبدى منه جريح
بليت تفدى مقامك والهوى فيها صحيح
انت لى يا بدر سالى وانسا للهجر صالى
من يذق يوما غرامك لم يذق طعم الليالى
يارشا صد دلالة وجوابى منه لا لا
اسمع العبد كلامك وارقب المولى تعالى
فيك تعبىدى وذلى وهيامى اصل ضلّى
ليت من غيرة رامك يبتلى بالهجر مثلى
صقت بالهجران ذرعا ولشوقى كان ادعى
لم ازل ارعى ذمامك وذمامى لست ترعى
ان يكن وصل فعذنى فيك قد احسنت ظنى

اسأل الله دوامك فهو لى اشهى تمنى
يامليك الحسن طراً يعرض المملوك امرا
أدعه يوماً غلامك ان له اجریت ذكرا
طال بالباب مثولى والتفات منك سولى
من رأى يوماً قوامك راح صبا ذا نحول
انما بدرى غزال فاتنى منه الدلال
ياعدولى دع ملامك انما العشق حلال

غیره

اللقا طبيبى يامن لى سبيت والهوى نصيبى من يوم انتشيت
ان فى شحوبى شكوى لو رثيت ياصنو القصيب ما هذا الجفا
يوسف الجمال ذا الهوى صعب تهت بالدلال شانك العجب
ان تسلم عن حالى ينفع العتب او بقيت سالى لم يفد دوا
من جل الصدود صرت فى ذى الحال من مطل الوعود صار جسمى بال
ادمعى شهودى واشتغال البال ليس من محيد عن حكم الهوى
قد رثى لى الا لى لما عادنى وعلا نواحى مما آدنى
وجهك الصباحى صلاً زادنى يازين الملاح انعم باللقا
مر بما تشاه تلقنى مطيع تلقنى فداه جهد المستطيع
ولعى اذكاه شكلك البديع جسدى اضناه منك قول لا
من يجد كوجدى يدرك قصتى ليس غير الوعد منك حصتى
بعض هذا الصد اصل غصتى انا فيك وجدى مبتلى انا

غيرة

يافاتر الجفون ما بدا لك	حتى جفوت عاشقا جمالك
وياقضي البان ما امالك	عن مغرم موئل وصالك
عذب بما ترصاه ياغزالي	الا الجفا شماتة العذال
انعم بوصل منك يوما بالي	انعم طول العمر ربي بالك
علام تجفوني وما لي ذنب	وما لقلبي عن هواك قلب
بحق من اولاك ما تحب	دعني اقبل مرة اذ يالك
لم يبق لي على الصدود طوق	وعال صبري عنك هذا الشوق
وليس لي الى سواك تنوق	وهل لعيني ان ترى امثالك
احرمت طرفي في الليالي غمضا	وقلت ارضى الله ان يرضى
ياهل ترى صدك عني فرضا	فمن بقتلي يارشا افتى لك
ناشدتك الله انلني سولي	وكن رفيقا بي يامامولي
يكفي الذي تراه من نحولي	يعيد رب العرش منه حالك

غيرة

يا بدر قل لي	هذا الهجران	تغوى اليه	ام امنيه
جد لي بوصل	ياغنص البان	توجر عليه	او في النيه
ما القصد الا	يوما مراك	فالصب صار	في بلييه
لا تخش عذلا	ممن اغراك	فهو امار	بالاذيسه
نعمت بالا	انعم بالي	ياذا الجفون	الهندييه
وطبت حالا	طيب حالي	فلي شجون	في الطويه
فقت الاناما	بما حويت	من الخصال	الملكيه

ومنك راما عبد سبيت بذا الدلال قرب الطيه
 كم ذا المطال ولا وصال ليست تزام ذى السجيه
 هذى الفعال يارب الخال وذا الغرام لى منيته
 انت المراد دون الانام لا ند لك فى البريه
 فما سعاد بين الوسام انت ملك او حوريه

غيره

الى هنا يابدر لى انت المنى كل جنى منك الرضى الا انا
 يافاتنى بالدل لما تخطر وشاجنى اذ جرت شزرا تنظر
 قد شاقنى منك المحيا الازهر واستاقنى وجدى الى حد المنا
 بى كلما القاك عنى معرضا وجد نما لكن جسمى امرضا
 ياذا اللمى جتام لا تبدى الرضى صل مغرما البسته هذا الضنا
 سبحان من آتاك ذا الحسن الفريد كم قد فتى صبا به امسى عييد
 انت الحسن والشوق فى قلبى يزيد ان الشجن للعظم منى او هنا
 كلت فى ذا العشق تبريح الجوى حتى تقى لكن هيهات الوفا
 هل منصفى مما به يقضى الهوى او مسعفى خدن على نيل المنى
 يابدر لا تسمع مقال العاذل وارع الولا ناهيك وجدى قاتلى
 فقت الملا حسنا وفق بالنائل جد بالطلا من فيك يا حلوا الجنى

غيره

اذا امر الهوى رابك فلا تفتح له بابك
 ولا تشغل به دابك يسمك الحزن والهنا
 اتيت العشق من بابك وعلت باكوابه

فما قد ذقت من صابه دعانى لم اذق طعما
هو العشق له مبدا ولا تلقى له حدا
يذيق العاشق السهدا ويبلى الجلد والعظما
ايا من قد كوى قلبى بهذا الدلّ والعجب
اذا لم تستمع عتبى فمن اشكو له السقما
تناهى بى الذى اجد من الشوق الذى يقْد
فدتك الروح والجسد فكن يوما معى سلما
لقد افرطت فى هجرى وملكت الهوى امرى
فلا والله ما ادرى اسحرا كان ام حلما
عسى او علّ ان تشفى عليلا منك يستشفى
ونيران الهوى تطفى فقل تظفا وخذ مهما
غدا مصناك يا حبّ له صبر ولا قلب
ودمع فيك منصب لان يُسقى بفيك الما

غيرة

طيرى لا غير لا اسلو عنه ساعه يا اهل الخير هلا رستم من راعه
دمعى سكّب ونار شوقى لا تخبو ولى قلب للهوى ييدى الطاءه
انا الهائم عن حبّ السوى صائم ليلى قائم لا اغفى فيه ساعه
اشكو الوجدا ولم تزد الا صدا فارحم عبدا قد نوّعت اوجاعه
مالى صبر وكيف صبرى يا بدر وذا الهجر اشقى نفسى الطماءه
طغا الهجران وما يشفى الصب الولهان مثل السلوان لكن نفسى نزعاه
ارانى البين انواع الضنا والحين وعشق الزين منى فوق الاسطاءه
دوام الصد لم يترك للمضى جد وليس القد ينشى فيه اطماءه

غیره

لو لم تدم بلوایا	لم تستمع شکوایا
ولا درى مبکایا	من فى الهوى یاحنانى
اکثرت من صدودى	یا مخلصا وعودى
لم ترع لى عهدى	ولم تسئل عن شانى
اعرضت عنى کبرا	وکان وصلى احرى
لقد عدمت الصبرا	من فرط ما دهانى
حملتنى اثقالا	وطبت عنى بالا
قل لى نعم اولالا	فالمطل قد اضنانى
یا مفرد الجمال	یا بدر احسن حالى
شمت بى عذالى	اما کفى اشجانى
سبحان من قد ابدع	هذا المحيا الاروع
والحسن طرا اودع	فى طرفک الفتان
ان الهوى هو ان	تضنى به لا بدان
ما اختاره انسان	لا وکان العانى
مولای یا مولایا	یا منتهى منایا
لا تتخذ سواىا	وتسلى بثنایى



الفصل الثالث

في العدوى

قد تقدم في المقامة الاولى ان عدوى الشرافشى من عدوى الخير * وان
الاجرب قد يعدى اهل المصر جميعا بخلاف الصحيح فانه لا يعدى احدا
من جيرانه * وهذا يرى ايضا في الامراض العقلية والقلبية * وشاهدة على ما قالوه
ان معلمى الصبيان لكثرة معاشرتهم ومخالطتهم اياهم ترك عقولهم ويافن
رايهم * وكذلك المكثرون من مخالطة النساء فان قلوبهم ترق وطباعهم
تتخث * فيتجردون عن تلك الشهامة والبسالة المختصة بالحريدين من
الناس * وقد اعرف كثيرا من ابنا جنسى الذين عاشروا الافرنج لم تسترق
طباعهم منهم الا الرذائل دون الفضائل * فصار احدهم لا يقوم عن المائدة
الا وقد مسح الصحيفة التى اكل منها مسحا لا تحتاج معه الى غسل * واذا
حضر مجلسا انحى على احد شقيه وزقع زقعة يدوى منها المجلس *
وربما غسلها بعد ذلك بقوله سكوزى اى اعذرونى * ومنهم من يلبس هذه
النعال الافرنجية * ويطأ بها وسادتك هذه العربية * او يرخى شعره كشعر
المرأة واول ما يستقر به مجلس ينزع قبعته ويطفق يزرع فى جبرتك
ما يتناثر من هبريته * ومنهم من اذا صم مجلس بين اخوانه ومعارفه
او غيرهم ورأى فيه اديبين يتساجلان او يرويان النوادر الغريبة اخذ

فى النصفير * ولكن تصفيرا مختلاً خلاصيا اى غير افرنجى مُحْت ولا عربى
 حَتْم * اذ لم يكن قد عاش القوم مدة طويلة تمكنه من تحصيل هذا الفن
 الجليل * ومنهم من يمد رجله اذا قعد فى وجه جليسه * ومنهم من ياتيك
 زائراً ولا يبصر ينظر فى كل هنيهة الى ساعته اشارة الى انه كثير الاشغال
 جمّ المصالح * مع انه يلبث عندك حتى يراك تهتم من النعاس * او
 يراك قد حملت وسادتك وقلت شفى الله مريضكم * كما قال الاخفش
 لمن عادوه فى مرضه * مع ان للافرنج فضائل كثيرة لا تنكر * منها انهم
 يرون فى استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيباً * ومنها انه اذا
 زار احدهم خيلاً له وراه مشغولاً رجع على عقبه من حيث جاء فلا يقعد
 ينتظره حتى يفرغ من شغله * بل لو وجده متفرغاً خفف قعوده عنده
 ما امكن * واذا رأى على مائدته كراريس او صحفا لم يتلقفها ليقراها
 ويفهم مضمونها * ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض او كانت
 زوجته قد وضعت او مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام
 والكلام فيما لا طائل تحته * ومنها ان احدهم لا يتزوج امرأة الا بعد ان
 يراها ويعاشرها * وانهم يبوسون ايدى النساء ووجوه بناتهن وما يرون
 فى ذلك معرة وانحطاط قدر * وانه ليس عندهم أَوْشَن (١) ولا ضَيْفَن ولا
 مُزَو * ولا يقول احدهم لصاحبه اعزنى منديلك كى امخط فيه او آلتك كى
 احتقن بها * ومنها تساهلهم مع المؤلفين وحلهم ما يصدر منهم من الجهل
 والخطا مُحْمَل السهو او الاغراب * فلا يتعنتون مثلاً على من قال فلان
 شَمَ النرجس وحبى * او حبى وشم النرجس * او شم فحبى او ثم حبى *
 والمولفون عندنا لا يجوزون ذلك * وفى كتاب ألفه احد معارفى من
 الديار الشامية باللغة الانكليزية فى احوال تلك البلاد واخلاق اهلها *

(١) الرجل الذى
 ياتى الرجل ويقعد
 معه وياكل طعامه *

بعد ان وضيء غرسا حضرة في دمشق ذكر انهم ختموا العرس باغنية لم
يزك ذاكرها لها بخروفا * وقد رأى تفصلاً منه ان يترجمها الى اللغة
المذكورة * وهي في الحقيقة موشية في امرأة اذكر منها بيتين وهما

بالله يا قبر هل زالت محاسنها وهل تغير ذاك المنظر النضر
ما انت يا قبر بستان ولا فلك فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانكليز خلوا روايته على الاغراب ولم يحفظه احد منهم
بقوله كنى يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع
ان يختصوا اعراضهم بالمواثي الصبكية * ولكن لو كانت زوايته هذه في اللغة
العربية وبلغت مسامع اهلها لعقدوا عليه مجلسين احدهما عامي والاخرها قس
ففي العامي يقول اخذهم ما بها الله يا حى مرثيه في خطام العرس استمعوا
ياناس وتعجبوا من خذلق هذا الراوى * فيقول الاخر اى والله مرثيه
بدل الغنا عمركم ياناس سمعوا كلام زى دا * فيقول غيره لا حول ولا قوة
لا بالله ما لقيش المغفل دى الا الرنا يحمله فى ختام العرس * فيقول
آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يمكنه ففله اعظم من دى اهل العرس يختصوا
فرحهم بمزجه وما يعطروا * فيقول غيره الله على دى الراوى هو مضلل
ولا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دى ويملا كتابه بالهجو
والكلام الفارغ * فيقول آخر ياسلام دى والله اغرب ما سمعت ان الناس
يستعملوا النواع عوض الغنا والبكا عوض الضحك والصفع على القفا بدل
المصافحة باليد * فيقول غيره ولكن الناس دول اللى غروا كتابه جبر ولا
مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانيا) يا خواجا (او اذا كان
مسلم او مستسلما) يا افندى اهل بلادك يتطهروا ويشاموا كير فما يصحش

فى التصفير * ولكن تصفيرا مختلا خلاسيا اى غير افرنجى مَحْت ولا عربى
 حَتْم * اذ لم يكن قد عاش القوم مدة طويلة تمكنه من تحصيل هذا الفن
 الجليل * ومنهم من يمد رجله اذا قعد فى وجه جليسه * ومنهم من ياتيك
 زائرا ولا يسرح ينظر فى كل هنيهة الى ساعته اشارة الى انه كثير الاشغال
 جَم المصالح * مع انه يلبث عندك حتى يراك تهتَم من النعاس * او
 يراك قد حلت وسادتك وقلت شفى الله مريضكم * كما قال الاخفش
 لمن عادوه فى مرضه * مع ان للافرنج فضائل كثيرة لا تنكر * منها انهم
 يرون فى استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيبا * ومنها انه اذا
 زار احدهم خليله وراه مشغولا رجع على عقبه من حيث جا فلا يقعد
 ينتظره حتى يفرغ من شغله * بل لو وجده متفرغا خفف قعوده عنده
 ما امكن * واذا راي على مائدته كراريس او صحفا لم يتلقفها ليقراها
 ويفهم مضمونها * ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض او كانت
 زوجته قد وضعت او مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام
 والكلام فيما لا طائل تحته * ومنها ان احدهم لا يتزوج امرأة الا بعد ان
 يراها ويعاشرها * وانهم يوسون ايدى النساء ووجوه بناتهن وما يرون
 فى ذلك معرفة وانحطاط قدر * وانه ليس عندهم أَوْشَن (١) ولا ضَيْفَن ولا
 مُزَو * ولا يقول احدهم لصاحبه اعزنى مندليك كى امخط فيه او آلتك كى
 احتقن بها * ومنها تساهلهم مع المؤلفين وحلهم ما يصدر منهم من الجهل
 والخطا مُحَمَل السهو او الاغراب * فلا يتعنتون مثلا على من قال فلان
 شَم النرجس وحبى * او حبى وشم النرجس * او شم فحبى او ثم حبى *
 والمولفون عندنا لا يجوزون ذلك * وفى كتاب الفه احد معارفى من
 الديار الشامية باللغة الانكليزية فى احوال تلك البلاد واخلاق اهلها *

(١) الرجل الذى
 ياتى الرجل ويقعد
 معه وياكل طعامه *

بعد ان وضيء غرسا حضرة في دمشق ذكر انهم ختموا العرس باغنية لم
يزك ذاكرا لها بخروفها * وقد رأى تفصلا منه ان يترجمها الى اللغة
المذكورة * وهي في الحقيقة موشاة في امرأة اذكر منها بيتين وهما

بالله يا قبر هل زالت محاسنها وهل تغير ذاك المنظر النضر
ما انت يا قبرستان ولا فلك فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانكليز غلبوا روايته على الاغراب ولم يحفظه احد منهم
بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع
ان يختصوا اعراضهم بالمواهي المبكية * ولكن لو كانت روايته هذه في اللغة
العربية وبلغت مسامع اهلها لعقدوا عليه مجلسين احدهما عامي والاخرهاقني
ففي العامي يقولون احدهم ما شاء الله ياخي مرثيه في خطام العرس استمعوا
ياناس وتعجبوا من خذق هذا الراوي * فيقول الاخر افي والله مرثيه
بدل الغنا عمركم ياناس سمعوا كلام زي دا * فيقول غيره لا حول ولا قوة
الا بالله ما لقيش المغفل دي الا الرثا يجعله في ختام العرس * فيقول
آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يكتش ففله اعظم من دي اهل العرس يختصوا
فرخهم بمزنيه وما يعطروا * فيقول غيره الله على دي الراوي هو مغفل
ولا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دي ويلا كتابه بالهجر
والكلام الفارغ * فيقول آخر ياسلام دي والله اغرب ما سمعت ان الناس
يستعملوا النوايح عوض الغنا والبكا عوض الضحك والصفع على القفا بدل
المصافحة باليد * فيقول غيره ولكن الناس دول اللي غروا كتابه جبر ولا
مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصوانيا) ياخواجا (او اذا كان
مسلم او مستسلما) يا افندي اهل بلادك يتطيروا ويتشاموا كثير فما يصحش

ان الرثا عندهم يستعمل في الاعراس * فيقول الاخر سبحان الله هو جار
 ضحك على حير ياخي خلونا منه * فيقول غيره لا اله الا الله نحب نعرف
 السيرة ايه ان كان كلامه دا جد ولا مزح * فيقول آخر مزح آراي اللي هو
 طابعه في كتاب ينباع في الدكاكين ومصور عليه صورته بسيف وجايل
 وازرار * فيقول غيره بقا نقول آراي يبقى لانكليز يبلعوا كل شى يستفرغه
 في حلقهم الغريب اللي عنده سيف بازرار وحمايل * فيقول آخر اظن
 الافرنج كلهم يصدقوا الخرافات * فيقول آخر ياخي دا باب واسع اول
 الكلام واخرة غفله من الراوى وحماقه من السامعين * الى غير ذلك من
 الانتقاد والتعنت * فاما في المجلس الخاصى فان القضية تبلغ فيه مبلغا
 اعظم من ذلك واطهر * فانهم يصورونها في صور فتاوى علمية واجوبة
 فقهية فيستفتى اعظم ادباء المجلس قائلا * ما قول امام الادب * وتاج
 الالباب * في مؤلف زعم ان اهل الشام يستعملون المرائى في ختام اعراسهم *
 فهل تقبل له شهادة او لا * الجواب * لا تقبل له شهادة عندنا على ذنب
 جار * وان باع كل نسخة من كتابه عند الافرنج بدينار * صورة استفتا آخر *
 ما قول عمدة المصنفين * وقدوة المؤلفين * في مدع ادعى انه سمع بكنتا
 اذنيه مرثية تنشد في ختام عرس في الشام الشريف * فهل يصدق كلامه
 وتجوز مطالعة كتابه او لا * الجواب * لا يصدق ولا يوثق بما رآه بعينه
 لا في الليل ولا في النهار * ولا بما سمعه باذنيه وان كانتا كاذني الحمار *
 استفتا آخر * ما قول من كلامه مزيل للايهام * وموضح للابهام * في
 كاتب اودع في كتاب ألفه كثيرا من الروايات الهذاهذية (١) والحكايات
 الاقناسية * وزعم في جملة ما قاله ان اهل الشام ينشدون المرائى في
 ختام اعراسهم * فهل يحمل كتابه كله على هذا الكذب او لا * الجواب *

(١) الهذاهذ الذين
 يقولون لكل من
 راوه هذا منهم او
 من خدمهم *

من كذب فى قضية معلومة مثل هذه فاحرى به ان يكون كاذبا فى سائر القضايا فالاولى حمل كتابه كله على الكذب * استفتا آخر ما قول اجل النقاد * وجة ذوى الرشاد * فى رجل آلف كتابا ذكر فيه انه يعرف كثيرا من الامراء والوزراء * والقضاة والعلماء * وانهم له اصحاب وخلان * وانساب واخوان * ثم ذكر فى موضع من الكتاب انه حضر عرسا فى دمشق المحروسة كان مزينا بالزهور والرياحين * والمغنيات والمغنين * وكان ختام ما غنوا به مرثية قيلت فى امرأة * فهل على فرض كونه كاذبا فى هذه تشفع له معرفته بالوزراء فى تصديقه بغيرها * الجواب * ما هو بصادق فى هذه ولا فى غيرها ولا تشفع له معرفته بالامراء فى شى كما ورد

لن تنفع الراوى آلافك نحلته بانه يعرف الاعيان والامرا

استفتا آخر * ما قول من لا يعلو قول على قوله * ولا يقطع امر لا يفصله * فى رجل ذى رؤا * وسراويلات مفرسحة من امام ومن وراء * آلف كتابا ضمنه ما سمعه وما رآه فى بلاده * وكان من جملة ذلك قوله انه رأى عروسا تزف وتنشد بين يديها مرثية فى امرأة * فهل يعتمد على رؤائه بالاخذ فى روايته * الجواب * ليست الرواية من الرؤا * ولا يعتمد على زيه * فى الاخبار عن ميتة وحيه * كما ورد

لن تنفع الراوى آلافك حلته ولا سراويله ان فاه اوسطرا

استفتا آخر * ما قول عمدة الانام * عفا عنه الملك العلام * فى رجل تصدقه العجم * وتأخذ بكلامه فى كل امر اهم * وثقر عيون نسايم بالنظر الى لحيته * وسراويلاته وحليته * وكشرفته وجلقته * وخرسته وجلعته * فيخلبن

خلبا * وياسرهن غراما وحا * ألف كتابا اودعه من اخبار اهل بلاده اى
بلادنا ما شاقهن واعجهن * وشهاهن وعربهن * فمن جملة ذلك ائند
شهد محفلا حفيلا * وعرسا جليلا * قيد زرين بالانوار الزاهرة * والوجوه
الناصرة * والمآكل القديه * والمشارب الهنيه * والمشروبات الذكيه * فلما
شرع فى زفاف العروس الى بعلها * واستبشرت الوجوه بفتح قبيلها *
اذا بمنشدين ومنشديات * ومطربين ومطربات * وقفوا بين يدي العروس *
وعلى وجوههم سيما الحزن والعبوس * وشرعوا ينشدون مرثية طويلة * فى
امراة توفيت مئذ سنين غير قليلة * فهل يصدق وصفه * ويشفع له فيه
خلبه الاعاجم وصرفه * وحزبه منهم وحلقه * وقدامه وخلقه * الجواب *
لا يوخذ بكلامه فيما افتراه * وان كان له اخيان من العجم على عدد
شعرات قفاه * كما ورد

لن تنفع الرواى لآفاك شيعته من الاعاجم لا يدرون ما هذا

مع ان كلام المؤلف لم يضرب باهل بلاده شيئا يوجب التعجب عليه * فغاية
ما يقال فيه انه نسبهم الى وضع الشئ فى غير محله * ولكن هذه عادتهم
فى التعجب فلا يكاد يسلم منهم مؤلف * ولو ان صاحب هذا الكتاب
المذكور قال للانكليز ان الرجال فى بلاده يلبسون اللينف والخصوص *
والنساء يتزين بالخزف والشقف * ويتكلمن وافواههن مطبقة * وينظرن
وعيونهن مغمضة * ويسمعن واذانهن مسدودة * ويرقدن ساعة فى الضحى *
ونصف ساعة فى الظهر * وساعة ورعا فى العصر * وساعتين لا رعا فى
المساء وثلاث ساعات لا نلنا فى الليل * لعدوا بذلك منه اغرابا *
ومن هذا القهيل اى من قهيل استراق الانسان مئذم عشيرة دون محامدة

كان اظهار البصرة اى علامة البكارة المشار اليها * فانها عدوى سرت الى
نصارى المشرق من اليهود على ما ذكر فى كتبهم * مع ان لهذا الجيل
ايضا فضائل كثيرة عرفت بها من قديم الزمان الى الان * منها درايتهم
بجميع الاموال والحواهر ومعاطاتهم الخوف الخفيفة اللطيفة كالصيرفية
والنقد والقرض * وصيغ ما هو قديم من الثياب حتى ياتى جديدا * ومن
ذلك حب بعضهم بعضا بحيث ان الغريب فيهم من جنسهم لا يحتاج
الى ان يتكفف ما فى ايدي الناس ممن سواهم * ولا يخاف ان يعوزه
المال وهو بين ظهرانيهم فيتقوت بالجدور * او يكون خلطا فيبيع عرضه
للجاناب * بل يلقي فى كل بلد نزله وكان فيه اناس من جيله اهلا وسكنا *
ومنها انهم قد اصطاحوا على لغة يعبرون بها عما يخطر ببالهم من المصالح
العاشية * ولا فرق بين يهودى من اقصى المغرب وآخر من اقصى
المشرق فى الاخلاق والاطوار والعادات والراى * بخلاف النصارى فان
النصرانى المشرقى اذا قدم الى بلاد النصارى الغربيتين فاول ما يحثونه
عند رؤيتهم له قيلهم هذا يهودى او تركى * ثم هو اذا احتاج الى مسبت
او طعام من عندهم ابلغوه الى رئيس ديوان البوليس فصانه هناك فى
موضع لا نور فيه ولا هوا الى ان يقضى عليه القاضى * كما جرى هذه
الهيئة على امير القفّة الذى قدم من دير القمر الى باريس * وان يكن
موسرا وجاء بلادهم للتفرج عليها غبنه منهم من غبن وخدعه من خدع وشوقه
من سرق وقامه من قمر حتى يرجع الى وطنه منتوفا مسلوخا * فكيف تركت
نصارى الشرق جميع هذه الصفات التى اتصفت بها اليهود وتعلموا منهم تلك
الخصلة التى لا يتأتى عنها الا الغصة والحسد * فهل يسوغ للغنى فى
مذهب من المذاهب ان ياخذ دنائره فى يديه ويعبث بها فى عين

الفقير الصعلوك حالة كونه لا يملك منها قراضة * اوللشبعان ان يلّوح
 بشريدته للجائع اللاهس * فان قلت ان ذلك امر طبيعي وان العلامة
 انما يراها في الغالب المتزوجون فلا وجه للحسد * قلت لو كانت
 هذه العادة طبيعية لكنا نراها مستعملة عند جميع الامم * وهولّا الافرنج
 الذين هم اكثر دراية وعلما في الطبيعيات لا يستعملونها * لا بل يفتنون
 مستعملها ويقولون ان العُقر يكون غالبا سببا في العُقر (١) * وان العروس
 منهم اول ما يحس بالانشوطة قد عقدت في عنقه ياخذ عروسه ويعتزل
 بها في ناحية لا يبصره فيها احد من خلق الله مجانبه لاسباب الحسد *
 الموجب للنقص والكمد * فلا يرون ان سرور شخص واحد يكون سببا
 في حزن جماعة * وانما قلت بالانشوطة لان عقدة الزواج عندهم تنحلّ
 باسباب كثيرة * فاما قولك ان العلامة انما يراها المتزوجون فلا وجه
 للحسد فهو كلام من حاول المغالطة والتوريب والمؤاربة * او هو ولا
 مواخذة بما اقول كلام من لا بصيرة له ولا خبير * فقد اجمع العلماء كلهم
 المتبلّغ منهم والمقتدر والمتكفّ والمعتز والعريان وذو الرعايل والمسجون
 والمكبّل والمشكّو والمرغم انفسه على ان المتزوج اضيق عينا بالحسد من
 العزب * وذلك ان كل انسان يظن ان غيره في حرفته اسعد منه حالا
 فلا يفكر الا في وجه اسعديته دون اشقويته * ولما كانت ليلة الدخول
 بالعروس من الليالي الغرّاء وان تكن حالكة كانت مظنة لان تنشى
 الحسد في صدر الخبير بها من دون تذكير لما يعقبها * وفي المثل وما
 ينبسك مثل خبير * هذا وانى استميج العفو من الجناب الاكرم * المقرّ
 الافخم * حضرة الصير المكرم * عما اريد ان اساله عنه على وجه الاستفادة
 لا الانتقاد فاقول * من اين تعلم ياذا البصيرة ان تلك البصيرة التي

(١) العُقر استبراً
 المرأة لينظر اكرام
 غير بكر *

يخضب بها المنديل ويعقد على عَلم ايذانا ببكارة البنت هي علامة
البكارة * افليس من الممكن ان يكون ليلة الدخول بها قد فار التنور * وفاض
المسجور * او بقيت منه عقابيل * دبح بها ذلك المنديل * او يكون
الرجل قد ذبح عصفورا او جرح احدى اصابعه اذا كان هو الذى سبق الى
اقتطاف تلك الوردة * او ان تكون البنت قد ادخرت فى ذلك الصوان
شيا من الدم * فان قلت ان الرجل يعرف ذلك بمجرد التذوق *
قلت لعمرى ولعمر ابيك ان تلك الساعة ليست وقت وعى ومعقول *
بل وقت دهشة وذ هول * ولا سيما اذا وقف وراء الباب جماعة يضجون
ويعججون * وياسججون * فافد الجواب عن ذلك * وها انا منتظرة
من هنا وهناك



الفصل الرابع

في التورية



من عادة امثالي من المؤلفين ان يتهفروا احيانا ويطغروا فوق مدة من الزمان ويلفّقوا واقعة جرت قبلها باخرى بعدها * وذلك ينسني عندهم التورية اى جعل الشى رآ * وانهم ايضا يبتدون بذكر صفات الشخص الذى بنوا عليه مولفهم منذ ابتدائه مناغاة محبوبته الى وقت خفوته فى الزواج * ويذكرون فى خلال ذلك امورا طويلة مملة وذلك كصفرة وجهه عند لقاءها وتغير حركات نبضه وبهره وبعه عن الجواب وبعثه اليها عجزا او كتابا واجتماعه بها فى مكان كذا وزمان كذا * وكثيفها الوانا عند قوله لها الفراش * الضم * العناق * الساق على الساق * الرضب * الملاسنه * البعال وما اشبه ذلك * وربما اساءوا الادب ايضا فى حق كلاب ولام * فانهم كثيرا ما يصرحون بان لام ترضى بان تكون ابنتها فتنة لناظرها * وتتساهل معها فى تهديد زمرة من الرجال لتقاسمها منهم شطرا * وان كلاب من حيث ان حجره فى حجر امراته لا فى راسه لا يمكنه منع تلك الاسباب * وان الخدمة لا يكونون الا ذوى حذل مع المرأة على الرجل * فالخوادم للاقتداء بسيرة سيدتهن والخدامون للطمع فيها * وفى الجملة فانهم يجعلون بيت البنت المعشوقة دسكرة وماخورا وحابورا

ومنبها لجميع انواع الفساد والحيل والمكايد * وكل من اخواني هؤلاء المؤلفين يخترع حيلة من راسه ويعزوها الى غيره * اما الطفرة الى ورا فغندى انه لا باس بها اذا كان المؤلف راي مذهب التاليف قد سدد امامه ثم يعود الى ما كان عليه * واما تبليغ الرجل الى سرير عروسه ثم اطباق الكتاب عليهما من دون ملاوطة لمعرفة احوالهما بعد ذلك فلست ارضى به * اذ لا بد لي من ان اعرف ما جرى عليهما بعد الزواج * فان كثيرا من النساء اللاتي يحسبن اننا قبل تولي هذه الرتبة الشريفة يصرن بعدها رجالا كما ان الرجال تصير نساء * من اجل ذلك رايت ان اتتبع الفاريابي بعد زواجه اكثر من تتبعي اياه قبله * اذ الكلام على اثنين ادعى الى العجب منه على واحد * فاما الاسفاف للامور الخسيسة والدعلة والدنوق فليس من شأني * فاذن لي اذا ياسيدي ورخصي لي ياسيدتي في ان استعمل الطفرة واقول * ان الفاريابي حين كان مرتباً بريقة الحب قبل الزواج كان قد استدعى به احد الخرجيين في جزيرة البخرى في الجزيرة التي يتكلم اهلها بلغة متنة * ليكون عنده بمنزلة معبر للاحلام باجرة اكثر مما كان له عند الخرجي بمصر * فمن ثم عزم على السفروطالع به خطيبته قبل الدخول بها بمدة * فقالت لا باس فان للرجل حقاً على امرائه ان يستصحبها حيث شاء * وان كل بقعة من الارض تكون لها في صحبته مغنى ووطنا * ثم اخبر امها بذلك فرضيت * فلما وقع المقذور بالزواج وأحكيت عقده قال الفاريابي لزوجه ينبغي لنا الان ان نتأهب للسفر * لان احلام الخرجي قد تكاثرت في راسه ويخشى ان يفوته تغييرها * فقالت أو ذلك من جد * هل جرت عادة النساء بان يسافرن عقب الزواج ويعرضن انفسهن للعثم

والخطر * اليس فى مصر مندوحة عن الغربة والسفر * كيف افارق اخوانى
واهلى واذهب الى بلاد مالى بها من صديق ولا خدين * قال ما غررت
بك ولا قلت لك شيا غير ما قلته من قبل * قالت ما كنت لاعلم من
الزواج ما اعلمه الان * فقد شبهه الناس بالسعوط الذى يعطيه الطبيب
للنائم او للسكران حتى يفيق * قد علمت لان ان المرأة لم تخلق
للسفر وانما خلق السفر لها * قال انى وعدت الرجل بان اسافر اليه فلا بد
من انجاز الوعد * فقد يقال فى المثل ان الرجل يربط بلسانه لا بقرنه *
ومع ذلك فان خرجنا هذا مسافر معنا بامراته فانت مثلها * قالت ما انا
كزوجة الخرجى فانى لان حديثه الصبغ وفى برزخ البكر والمتزوجة * ولم
اسم بعد من الارض حتى ادخل البحر * فلما علمت امها بذلك الحث
عليها فى السفر * فقالت دعونى اذا استشير طبيبا لاعلم هل سفر البحر يضر
بالمتزوجة حديثا أو لا * فجى بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال *
انكم يانصارى الشرق تنذرون النذور للكنائس رجاء ان يمن عليكم
صاحب الكنيسة بالحبل او الشفاء من بعض الامراض * واما نحن فننذر
للبحر * فان النساء عندنا حين ييأسن من الحبل يقصدن ظهر هذا الولي
ويلتمسن بركته * فمنهن من ترجع حبلى بفد ومنهن من تضع توأمين *
ولا سيما اذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنساء يطعمهن ما يشتهين *
فقال الفاريق فى نفسه اللهم اجعل ربان سفينتنا عنيفا شرسا نكدا
شكسا فظا عسرا * فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت الى السفر *
فمن ثم اخذوا له الالهة وسافروا الى الاسكندرية * اما السفر من بولاق فى
القنچ فانه من اعظم اللذات التى ينشرح لها الصدر * فان النيل لا يكون
لا ساجيا * ورئيس القنجة يقف قبالة كل قرية ليتزودوا منها الدجاج

والفاكهة الطريفة واللبن والبيض وغير ذلك * وناهيك بما آلتيل عذوبة ومصحة *
فالراكب في احدى هذه القنج لا يزال طول نهاره آكلاً مسروراً قريراً العين
بما يراه من نضرة الريف وخصب القرى * حتى يودّ لو تطول مدة سفره
فيه وان كان في قضا أمر مهم * فاغتنم الفاريق ج هذه الفرصة وامعن
في قضا لاعذبين ونسى مصر ولذاتها * ونعيمها وجاماتها * برمدها
وأفاتها * والكتب ومشايخها * والاخراج وتختاخها * والمكاتب وبرابخها *
والطنبور واوتارة * والعمار وفرارة * والطبيب وقنذعيته * وصاحب
المعجزة وهجرعيته * والسرى ورائحته * والوبا وجائحته * وما زال على
هذه الحالة حتى وصل الى الاسكندرية شبعان ريان * وقد

تزود ما يقوم بحاجة البطالة في البحر

الملح * وفاز ونجح اى

فوز واى

نبح

*



الفصل الخامس

في سفر وتصحيح غلط اشهر



كان الخرجي رفيق الفاريق في السفر قد كتب كتابا من مصر الى بعض معارفه بالاسكندرية ليهيئ له نُزْلاً * فلما وصلوا اليها اقاموا فيه مدة ينتظرون ورود سفينة النار التي تسافر الى الجزيرة * وكانوا جميعا ياكلون على مائدة واحدة ويتفاوضون في المصالح الخرجية وفي السفر وغيره * وكانت زوجة الفاريق لا تدري شيا سوى بيت اهلها * ولا تتكلم في امر الا فيما جرى لها مع امها اولامها مع الخادمة او لهذه معها * وكانت اذا اخبرت مثلاً بان الخادمة ذهبت الى السوق لشترى شيا تخللت كل جملة بضحكة طويلة * فاقتضى لاجبارها من الوقت نحو ما كان اقتضى للخادمة من الذهاب ولاياب * وسبب ذلك ان البنات في مصر والشام لا يعاشرن احدا سوى الخوادم واهل البيت * اما امهاتهن فلا يطالعهن بشئ من امور الدنيا مخافة ان تنجلي الغشاة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها * فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير * ولما كن هولاََ يرين ان في اخبار البنات بما يهوين ويملن اليه بالطبع خيراً لهن عظيماً * فاذا رات احداهن مثلاً فتى جميلاً بادرت من ساعتها الى البنت وقالت لها * قد رايت اليوم ياسيدتي

شابا مليحا طريفا لا يصلح لآ لك * وانه حين نظرنى وقف وشخص الى
وكانه كان يريد ان يكلمنى * واخاله عرف انك انت سيدتى * فاذا
رايته المرة لآتية كلمته * واشباه ذلك من الكلام مما يجعل البنت ذات
صُلَع معها اذا غضبت منها لآم * ولا يخفى ان البنات اذا كن جاهلات
بالقرآة والكتابة وحسن المحاضرة وبآداب المجلس والمائدة وغيرها * فلا
بد وان يتعوض عن هذا الجهل بمعرفة الحيل والمكايد التى يتخذنها
وسيلة لما يرمن * فان البنت اذا اشتغلت بقرآة فن من الفنون او
بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط الحيل * فاما اذا لم
يكن لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة فان افكارهن
واهواهن كلها تتجمع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهن وسندا *
فكلما هن عندهن اصدق من كلام امهاتهن * فالأولى عندي انا العبد
الحقير ان تشغل البنت باحد الفنون والعلوم النافعة سوا كان ذلك
عقليا او يدويا * الأثرى ان لآنى مفطورة على حب الذكر والذكر على لآنى *
فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع احوالهم *
بل ربما افضى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم ولآنقياد اليهم من
دون نظرفى العواقب * بخلاف ما اذا كن تآدبن بالمحامد والعلم
اللائق بهن فانهن ج يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصر وتدبر *
وهناك قضية اخرى وهى ان النساء اذا علمن من انفسهن انهن اكفاء
الرجال فى الدراية والمعارف تتبرسن دونهم بمعارفهن وتحصن بها عند
تطاول الرجال عليهن * بل الرجال انفسهم يشعرون بفضلهن فيرتدعون عن
ان يهتكوا حجاب التآدب معهن * مغال ذلك اذا اجتمع غلام وبنت فى
خلوة وكان الغلام قد قرا ودري والبنت لم تعرف شيئا غير ذكر اللباس

والزينة والخروج الى البستان * لم يلبث الغلام ان يتعدى طور الادب معها لاعتقاده انها لم تخلق فى الدنيا آلا لقصاً وطرة منها * بخلاف ما اذا رآها ذات رأى رشيد * وقول سديد * وفكرة مصيبة * وفهم للامور البعيدة والقريبة * وحسن محاضرة وجواب عتيد * ومعارضات وممانات فانه والجمالة هذه يهابها ويحترمها * وليس كلامى هذا مخالفا لما قلته فى اغصاب الشوافن * وانشاب البرائن * وانما العبرة باختلاف وسائل العلم * والمراد من هذا الاستطراد كله ان نقول ان زوجة الفارياب وان يكن قد فاتها كثير من معلومات الرجال والنساء فقد ابدت من المعارضة لآتمها عند تصادم مصلحة الزواج بمفسدة خرجية الفارياب ما افهم المجادل * وابكم المناضل * لكنها بقيت فى غير ذلك جاهلة * فان الفارياب لما كان ذات يوم على المائدة اخبره الخرجى بقدم سفينة النار وحته على التاهب للسفر * فسمعت بذكر سفينة النار فقالت ما معنى هذا * فقَالَ لها الخرجى هي سفينة ذات الواح ودُسُرُ وانما تسير بقوة بخار النار * قالت واين النار * قال فى قمين بها * قالت ياللداهية كيف اسافر فى سفينة فيها قمين واعرض نفسى للنار * اليس السفر من هنا الى الجزيرة يكون فى القنج كسفرنا من بولاق * قال ان القنج لا تصلح للبحر الكبير * قالت اما انا فلا اسافر ويسافر من يريد ان يحترق * فترضاها الخرجى وزوجته فابت * فلما حان الرقاد اضطجعت فى الفراش وادارت وجهها الى وجه الحائط * وهذا هو المقصود من هذا الفصل تنبيهها للناس على ان هذه العادة هي من جملة العادات التى اخطاوا استعمالها * اذ ليس فى الادبار شى يدل على الغيظ * بل لاقبال هو المظنة له * فان المرأة اذا واجهت زوجها عند الاضطجاع وقطبت وجهها فى وجهه وزوت

ما بين حاجبيها * او شمخت بانفها اوسدت منخريها * او غمضت عينيها كيلا
تشم رائحته وتبصر سحنته او غطتهما بيديها او بكمها او بمنديل كان
ذلك اشارة الى الغيظ * فاما فى تولية الدبر فلا علامة تدل عليه * فان
قلت انها اذا واجهته ربما غثت نفسها من نفسه * اذ الرائحة الكريهة
لا بد وان تفعم المناخر وان سدت فلا محيص عنه الا بالادبار * قلت
لاولى ان تستلقى فيندفع المحذور * وبعد فان الدبر هي من الاشياء
التي طالما عني الناس بتفخيمها وتكبيرها وتعظيمها حسا ومعنى * اما حسا
فلانهم اتخذوا لها الزناجب والمنافع والمرافد والرفائع والاعاجيز والغلائل
والمرافق والعظامات والحشايا والاضاخيم والمصادغ اجتذابا لقلوب
الناظرين * وفتنة لعقول العاشقين * فكيف يكون شى واحد مستعملا
وسيلة للرضى والغضب معا فهو خلف بين * واما معنى فلان العلماء والادباء
وسادتنا الشعراء ما زالوا يتغزلون بها ويتنافسون فى عرضها وسعتها *
حتى ان بعضهم قال

من رأى مثل حبتى تشبه البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرها ثم اردافها غدا

وقال عمرو بن كلثوم

وماكمة يضيق الباب عنها وخصر قد جنت به جنونا

ولقائل هنا ان يقول ان الشاعر لم يصف الخصر الا بكونه موجبا لجنونه *
وان الاشارة الى كونه نحىلا بناء على جنون الناس به اذا كان كذلك
غير ناصئة * واخرى ان يكون هذا المفهوم الضمنى جاريا على وصف
كل عضو * اذ لو قال وماكمة جنت بها جنونا لعلم بالديهة انها تملأ
الباب ويفضل منها شى * وياليت شعرى هل الالف واللام فى الباب

للعهد الجنسي أو الذهني * وهل الامام الزوزنى تعرض لشرح ذلك * ثم انه من اهم ما يشغل بال المرأة ويسهرها الليالى * هو ان تفتن ناظرها بتفخيم ذلك الموضع الرفيع العالى * وربما لهيت عن وجهها وسائر جسدها وغادرت بهلا زينة من فرط اشتغالها به * ولو تَصَمَّر وجهها وذوت عضاضة بدننها لمرض او كبر فقل اعتمادها على محاسنها لم تبرح معتمدة عليه ومتعهدة له * فهو عندها راس مال الخلب والتشويق * وما من امرأة لا وتتمنى ان يكون لها عين فى قفاها لتكون ناظرة اليه ومتعهدة له دائما * ولقد يهون عليها ان تقف ساعة او تمشى ساعتين او ترقص نلثا ولا ان تقعد هنيهة خشية من ان يخشآن او يضر * وانها حين تنظر الى عطفها وهى ماشية او راقصة فما هو الا رمز الى ما ورأته * وان تهدكرها وتبهكنها هما انشب مصلاة يعلق بها قلب الرجل * وذلك لانها تعلم ان الحكمة الخالقية رسمت من الازل بان تكون كثرة اللحم والشحم فى ذلك الموضع * بالنسبة الى سائر البدن لا بالنسبة الى دكاكين السحامين * شائقة للملوك والسلاطين * والامراء والقضاة والائمة والقيسين * والاحبار والموابذة والهرابذة والعلماء والبلغا والخطباء والادباء والشعراء والطارين والصيدلة والعازفين باللات الطرب ولسائر الناس * لا لانهم يتخذون من لحمه كبابا او من شحمه اهالة * او يستصبحون عليه او يتخذون من جلده كوبة (١) * ولكن ملا لعيونهم وشرحا لصدورهم * فان عين ابن ادم مع كونها ضيقة لا يملأوها ما هو اوسع منها واكبر بالف مرة * واشعارا لهم بان حكمتهم فى هذه الدنيا وتنطسهم وعزهم ومجدهم وان علت على لاطواد الشامخة والجمال الشاهقة فما هى الا سافلة عن حضيض هذا الموضع * ألا وانها تعلم انك اذا اجلست مثلا احد هؤلاء الكرام امام

(١) الكوبة الطبل الصغير المختصر ولعله الذى تسميه العامة الدربةكة *

بعض المناصع (١) على سرير مذهب * وضربت عليه قبة مموّهة مزخرفة (٢) مواضع يتخلّى
منمنمة منقّشة مزوقة مكسوة بالحريّر والديباج ومكّلة بالزهور والرياحين * فيها لبول ولحاجة
استنكف ان يقعد هناك نصف ساعة * على انه لا يستنكف ان يقعد
عامة نهاره وليله محاذيا لذاك المقام المنيف * وهو حاسر الراس * مشعث
الشعر * حافى الرجل * فاغر الفم * مندلع اللسان * سائل اللعاب *
محمّل العينين * مشمر الذيل * شابح الذراعين * معوجّ العنق * مؤلّ
لاذنين * فى اقبح هيئة يمكن للانسان ان يتصورها فى حق ذى مقام *
حتى لو سمع نامة من هناك لظن ان السلطان قد بعث اليه بالات الملاهى
يهنّته على هذا الفوز العظيم * والمغنم العقيم * وتصور فى باله ان صوت العود
لم يكن باشجى من غيره لا لكون هذه الآلة قد صنعت على مثال شطر
ذلك الموضع * ولو كان كالشطرين لسمع له منطق باعراب * وان شكل
القبة مأخوذ منه * ورائحة الندّ تروى عنه * وان العرب من زيادة شغفهم
به الحقوا حروفه بالافعال السداسية الدالة على طلب الفعل او التى يعتبر
فيها الشى كونه على حال ما من الاحوال * وان فردسة صدور الرجال
وعرض ظهورهم لا تجدى نفعا مع عرضه * وان المعالى فى السّراة متى
تلح لهم ذات تاكيم يُعدّن مسافلا * وان هذه الحقيبة مع ثقلها سوا
كانت حاملة كما ذهب اليه بعض الشعراء * او كانت محمولة كما هو فى
الواقع فليس ثقلها الا كمثل كيس ذهب على حامله * وانها اسخن لاعضا جميعا
فى الشتاء اذ لا تحتاج الى تدفئة * وباردها فى الصيف * وانها مع كونها
اول ماس للارض عند القعود فلا تزال انعم من الخدين * واملس من
الليدين * فلهذا كانت لذة تقبيلها للمقبل العذرى اعظم من لذة تقبيل
الذقن والانف والعين والجبين * وان الناس يبتذلون لها اسما الملوك

والسلاطين * وذوى السيادة والمعالي وائمة الدين * وعند قوم (اقول
 واستغفر الله) تذال لها الاسماء الحسنی * على ان تسيحهم كل يوم ان
 يقولوا ربنا تقّس اسمك * ألا وانها تعلم ايضا ان كثيرا من البهائم اعقل
 من الناس او اسعد حالاً من اصل الفطرة * فان الذكر من الحيوان غير
 الناطق لا يهيج على هبرتين من اللحم فى انشاء مع احتوائهما على
 القبل والدبر الا فى وقت معلوم * وهذا الذكر من الحيوان الناطق لا
 يزال هائجا عليهما مزبدا لاغما راغيا مترغما هادرا محمما مبقبا مبقبا
 زاغدا ملّعا جالبا لاجبا وربما جنّ ايضا * وما ذلك الا لمجرد وهمّ انها
 باهدافهما تعينانه على خسق الهدف من قبل ولا فما سبب هذا
 الجنون * نعم وتعلم ايضا ان هذا الموضع مع كونه فى حيز الجسم لاسفل
 فهو مواز لخطّ الراس ارتفاعا * اشارة الى ان تسفله لا يحطّ من قدره
 ورفعته * حتى لو فرض انه جعل عند الرجلين لبقيت له هذه المنزلة
 والاعتبار بعينه * حتى ان بعض النساء يرين ان كشفه أوّل من كشف
 الفم لانه اقلّ اذى منه * اذ لم يعلم الى الان ان احدا قُتل بفلته منه
 فاما فلتات اللسان القتالة فلا تعدّ ولا تحصي * وبناء على ذلك كنّ
 يتعمدن الخروج فى اليوم الراح وهو عندهنّ من الاعياد المباركة *
 وبعضهن يرين انه جدير بالحلى والزينة والتنقيش سواء كان ظاهرا
 او مستورا * قال بعض السّاهيين

ياسائلى عن اى جز ، فى المليح اجمل
 لقد روى استاذنا نصفى الجمال الكفل

قال وذلك لاشتماله على اشكال كثيرة * لانك اذا اعتبرت ذروة

الرائقة (١) وحدها ظهر لك الشكل المخروط * وإذا اعتبرتها مزدوجة بالآخرى
تبيين لك نصف دائرة أو شكل هلالى * وإذا نظرت من نقطة العسيب الى غاية
ما يوازيها من سطح الشق الواحد بدا لك المستوى أو المسطح * أو
منه الى ما دون ذلك قابلك المقبب والخط المنحنى * وإذا اعتبرته مع
الأكباب واجهك المجوف وهلم جرا * وليس من سائر أعضاء البدن من
الاشكال ما لهذا * قلت ما اشوق قول الشيخ ناصيف اليازجى لاديب المشهور
وتموجت اردافها فاخو الهوى بين اضطراب الموجتين غريق *
ثم ان الظاهر من وجود اسم المرفد فى لغتنا هذه الجليلة * ومن قول
صاحب القاموس المختم رباط السراويل عند اسفل رجل المرأة * ان
لباس نساء العرب قديما كان كلباس نساء الشام لان * أو لعله كان خاصا
بالحواريات * غير ان قول المتنبى * واعق عما فى سراويلاتها * يفيد
التعميم * بناء على تغزله بالباديات كما اشار اليه بقوله * وفى البداوة حسن
غير مجلوب * وقد تقدم * قال فى القاموس الدبر بالضم وبضمين نقيض
القبل ومن كل شى عقبه وموخره — والاسم والظهر * قلت أسماء حروف
هذه اللفظة لها معان * وهذه الحروف كيفما قلبتها ظهر لك منها ايضا
معنى * وكذا اذا جمعت بين كل حرفين منها * وعددها بحساب الجمل
مزدوج اشارة الى ازدواج الجهتين * كما ان الضمتين اشارة الى الثقل
والرزانة * ومادتها من اغزر المواد * وهل وضعها موخر عن المواخر أو
متقدم عليه أو اشتقاقها من قولهم جئتكم دبر الشهر أى آخره أو اشتقاق
هذا منها خلاف * والظاهر ان الامور المعنوية لاعتبارية مشتقة من
الحسية * وبقي الخلاف فى اشتقاقها من عقب الشى * وقد ورد فى
القرآن ولوا لادبار * وانكرها المطران اتناسيوس الشونجى فى

كتاب الحكاكه فى الركاكه * واعلم ان العرب قد وضعت للدبر ما ينيف على تسعين لفظة ما بين اسم ولقب وكنية * فمن اسمائها ما تقدم فى اثاره الرياح ومن بعض كناها ام سويد وام العزم وام خنور * فلولا انهم انزلوها منزل الاسد والسيف والخنزير فى الباس والفتك والاسكار لما خصوها بذلك * لا يرد هنا ما قاله ذلك الاعرابى فى السنور لعنه الله ما اكثر اسماءه واقل ثمنه * فانا نقول ان قلة ثمن الحيوان لكثرة وجوده لا يقدح فى قيمته ومنافعه * وان كثرة اسمائه هى من حمل النطير على النطير لحصول المشابهة بينه وبين ام ام سويد * من جهة ان السنور هو من الحيوانات الكثرية النتاج * ومن طبعه اللعب والهراش وان يكن يعقبه غير مرة خدش وادما * وخش واصماء * وحش واعما * وله تحمل على المكاره والاذى حتى قيل ان له سبعة ارواح * ولا يعجزه صعود شرف ولا هبوط هوة * وانه اذا شم رائحة شئ اعجبه من الطعام تسلق على جدار ودخل اضيق مكان حتى يظفر به * وانه اذا مرت عليه يد نفش ذنبه واخذ فى خرخرة وهينمة تفصح عن رضاه باللمس * ومن طبعه ايضا النظافة والاكل خفة حياء او خوفا * فان ابيت الا المشاحة كما هو ذاك من اول هذا الكتاب بان قلت ما بال اسماء الداهية والعجوز اذا كثيرة واسماء الشمس والقمر قليلة اذا كانت التسمية مبنية على جلالة المستى او نفعه * قلت اما كثرة اسماء العجوز فباعتبار انها كانت صبية او انها تكون ذريعة لها * واما الداهية فباعتبار خشيتها * والاجلال قد يكون عن خشية كما يكون عن مقة * فاما الشمس والقمر فاسماوهما كثيرة جدا غير انها لم تشتهر عندنا * وليس ذلك باول ظلم فعله الناس فى حق اللغة كما بينته فى كتاب آخر * ثم هذه جملة الاسماء والصفات التى وضعت لام ام سويد وقد

بذلت الجهد فى استقرارها وهى * لأنيشة الخبندة الراجح الرجاح الرّاح
الدّخّة البهّير الشّوترة العجزة العجّز المّعجزة الدّحاس الدّسّ البوصّ
اللفّا الرّكراكة الرّكزاة الوكراكة الصّبرك الصّبناك العصنك الوركا الوركانة
الثقال الجّزلة السّجلاّ المكفال الهركولة المؤكبة لآليّا لآليانة * ومن الغريب
ان صاحب القاموس ذكر لآسته والسّتاهى ولم يتكرم علينا بمؤنهما فانا
انبثما هنا عن اذنه * ومن ذلك نفج الحقيقة * ذات لاهدافى * ذات
التاكيم * ذات الرضراض * من نسوة بلاخ * ولك ان تقول بأنّا وان
لم يذكرها الفيروزابادى لا بمعنى الحمقاء * هذا ما عدا ما يشير الى هذه
الغبطة والسعادة من الالفاظ اشارة صريحة نحو

الجعباء	الضخمة الكبيرة *
الجلنباء	السمينة وكذا الخنضة والخنضبة والكبابة والحوّنا والوعثة *
الجذبّة	الضخمة *
الدخّبة	المكتنزة
السرهبة	الجسيمة *
الطباخية	الشابة المكتنزة *
اللباخية	الاحيية وكذا الدّعكاية *
المبرّدة	الكثيرة اللحم ومثلها الهدكورة *
الثأدة	المكتنزة الكثيرة اللحم *
الثهمد	السمينة العظيمة *
الرّجراجة	التى يترجرج عليها لحمها *
الضمّج	المرأة الضخمة التامة *
البیدح	البادن وكذا البلّدح *

الدُّحُوح	العظيمة *
الدُّمَاحَة	الضخمة التارة *
الصِّلْدَحَة	العريضة *
البَيْدَخَة	التارة *
المُرْمُورَة	الناعمة الرجاجة *
الدُّخُوص	الممتلئة شحما *
الرَّضْرَاضَة	الرجاجة *
البِلِيز	الضخمة *
الدَّجَلَة	الضخمة التارة *
الدُّمَحَلَة	السمينة ومثلها الجُمُول *
الرَّبَلَة	العظيمة الرِّبَلَات *
القِصَاف	العظيمة *
المُزَنَرَة	الطويلة الجسيمة *
المُلَطَّطَة	السمينة الطويلة الجسيمة *
الهَيْكَلَة	العظيمة *
الصُّنَاكَة	الصُّلْبَة المغموسة اللحم *
الكِنَاز	الكثيرة اللحم الصلبة *
المُنَزَرَة	المتصلبة المتشددة *
المُلَزَزَة	المجتمعة الخلق الشديدة الأسر *
الحَنُضْرُف	الضخمة السحيمة الكبيرة الشديدين *
القَهْلَيس	المرأة الضخمة ومثلها المُنْخَنَة *
المُشْخِصَة	الجسيمة *

الدَّيَّاسة اللّحيمة القصيرة *

العانك السمينة *

العَبيلة الغليظة *

المألة السمينة الضخمة *

الورْهة ورهت المرأة كثر شحمها *

وَحْطِيَّة بَظِيَّة سمينة مكتنزة *

وغير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه * فهل لجناب مولانا القاضى المكرم ولا ميرنا المعظم نصف هذه الأسماء والنعوت * انتهى البرهان على الخطأ فى استعمال هذه العادة * واقول الآن انه لما كان ما كان من الأدبار المشار اليه ترضاها الفارياق فى الصباح للسفر واعانه على ذلك الخرجى وامراته ووعدها بروية اشياء بديعة فى الجزيرة تنسيها مكاره الفراق * فرضيت بعون الله وحسن توفيقه وسافروا فى سفينة النار * وقد لطف الله تعالى بان القى القسوة فى قلب الربان عليها * فكان اذا سمعها تنن من لالم يغضب ويزمجر ويتسخط على النساء وسفرهن * غير ان بعض الخدمة وكان جيلا حاول ان ينوب عنه فلم يتم له ذلك لقصر المسافة اذ كانت عبارة عن خمسة ايام * وهى فى البركافية لتصيب خمس بنات وعشر نساء متزوجات وخمس عشرة ارملة * ثم وصلوا الى معتزل الجزيرة واقاموا فيه ثلثين يوما وبعد ذلك دخلوا البلد ونزل كل منهم منزلا لاثقا به *



الفصل السادس

في وليمة وازير متنوعة



واخذ الفاريقي وزوجته يطوفان في شوارع المدينة وهما في زى اهل مصر * وقد اتخذا هو سراويل واسعة يلتقى عليه اسفلها من امام ومن وراء عند المشى * والتحففت هي ببرنس ليغطي كتمها اذ كانا يكتسان الارض * فجعل المآرون واصحاب الدكاكين يتعجبون منهما ولم يكونوا يعرفون زوجته انها امرأة * فكان بعضهم يقول ارجل هذا ام امرأة وبعضهم يشعقهما * وبعضهم يلمس اثوابهما ويحدق في وجوههما ويقول ما راينا كاليم قط * شي لا هو رجل ولا امرأة * فصادفهما رجل من حذاق فقهاء الانكليز يقال له استيفن * فتفرس فيهما فعرف ان الفاريقي رجل وان الفاريقية امرأة * فتقدم اليهما وقال لهما هل لكما يارجل ويا امرأة ان تشغديا عندي يوم الاحد القابل * قالا افضلت * قال ان داري في عبر البحر في محل كذا فهلمّا اليّنا في الصباح قبل الغداء * فلما كان يوم الاحد ركبا في زورق وقصدا منزله فوجداه قد استعد للخروج * فكانّه اراد ان ياتي ببعض معارفه للفرجة على ضيفيه والظاهر انه سكر في الطريق او عند اصحابه فلم يعد * فلما راهما قال لهما قد وجب عليّ ان اذهب في قضا مصلحة * ولكن هذه زوجتي وهولاً بناتي فاستانسا بهن ريشما اعود

ونشغدى جميعا * قال لا باس ثم قعدا مع زوجته * وكان فى المجلس
شأب من الانكليز يناغى احدى بنات الفرسى وهو آخذ بيدها * ثم جعل
يبوسها بحضرة امها والزائرين * فاصفر وجه الفاريابى واحمر وجه زوجته
وبرقت اسرة لام * فقالت الفارياقية لزوجها كيف يبوس البنات هذا
الفتى وما يستحيى منا * فقال لها ليس البوس عند الافرنجى مما يعاب *
فان الزائر منهم اذا دخل بيت احد من اصحابه تعين عليه ان يبوس
زوجته وبناته جميعا ولا سيما اذا كان فى يوم عيد * على ان باس عندهم قد
ترد بمعنى ما يراذ بعدها ولكن هذه عادتهم * قالت ولكن هلا يستحيى
منا حال كوننا غريبين عنه * قال اذا كان الشئ مباحا كانت اباحتها امام
القريب والغريب على حد سوى * او لعل الرجل قد ظن انا لا نعرف
هذه الصنعة فى بلادنا * قالت ما اجهل من ظن هذا فان القبلة عندنا
لا تكون الا مع زفير وثنهده ومض وشتم وتغميض العينين * فاما هذا فانى
اراه يرق خلوا من احساس فعل المستخفى بما تحت يده * قال قد
يظهر لى من القاموس ان المكافحة والملاغفة والمثاغمة والشم والفغم والكغم
والتقبيل انما هو بوس الرجل المرأة فى فمها او التقامه له بمرة *
فقالت حياى الله العرب ائمة القبلة والقبلة * فان تقبيل الجبين كما
يفعل هولاء لا معنى له * ولكن لم كان التقبيل فى غير الفم والخذ خاليا
عن اللذة التى يحس بها المقبل فى هذين الموضعين * قال لان الظمان
لا يرتوى من وضع فمه على اعلى القلة او على جنبها * قالت فعلى ذكر
الظما لم تصف الشعر الرقيق مرة بانه حلومرة بانه يروى الظما وهو
خلفى * قال لعل ذلك من مشكلات الشعر او من معضلات النساء * قالت
فعلى ذكر المشكلات والمعضلات هل يستطيع العاشق شرب الرضاب

من غير الفم * قال اما عند بعض العرب فلا يبعد واما عند الافرنج فينكرونه حتى من الفم * بل لا يعرفون له اسما غير البصاق * قالت فعلى ذكر اختلاف الاسماء ما يقال لهذه الامة التى تزناح الى روية ابنتها على مثل هذه الحالة هل يقال لها قوادة * قال انما القيادة فى الاصل صفة الرجل اذا كان يقود على حرمه * قالت ان وقوع هذا الامر فى شان لام اكثر منه فى شان الرجل * اذ الاتمهات تنشرح صدورهن عند مشاهدة عاشق لاحدى بناتهن * لان لام عند رؤيتها عاشق بنتها تعتقد ان العاشق لا يرى فى البنت جمالا الا ويراه فى امها حالة كونها هى الاصل * وانه لا يكاد يحب الفرع دون محبته لاصله * ثم تماديا فى الحديث حتى حان الظهر فاقبلت احدى بنات الفرضى وبيدها كسرة خبز وقطعة جبن وجعلت تاكل وهى واقفة * ثم تولت وجات اخرى وفعلت مثلها * وكان للفقيه المذكور سبع بنات وعدة صبيان * فلما مضى ساعتان بعد الظهر قالت لام للمدعوين لعلكما جعما فان وقت الغدا قد فات وزوجى ابطا * قالا ننتظره الى ان يجيى * فلما صارت الخامسة اطن جرس الاكل ليجمع المتفرقون من اهل البيت كما هى عادة ذوى العيال من الانكليز * ثم مضت ساعة واعيد اطنان الجرس * وما زالت الساعات تمضى حتى نجزت الساعة الحادية عشرة * وفى خلال ذلك كانت لام تتفقد المطبخ وتساّر البنات كانما نزل بهن نكبة البرامكة * فقال الفارياب لزوجته ان لم نذهب الان لن نجد بعدها زورقا ولا مبيت فى هذا العبر يصلح بنا * ثم نهضا ومسيّا على صاحبة البيت وركبا فى زورق ودخلا البلد عند نصف الليل فتعشيا فى بعض المطاعم عشا فى ضمنه غدا * ثم لما كان بعد ايام قليلة قالت زوجة الفارياب له قد رايت فى هذا البلد

احوالا غريبة * قال ما هي قالت انى ارى الرجال هنا لا يثبت فى
وجوههم الشعر ولا يستحيون * قال كيف ذلك * قالت لم ار فى وجه احد
منهم لحية ولا شاربا فهل هم كلهم مرد * قال اجهلت انهم يحلقون وجوههم
بالموسى فى كل يوم * قالت لاي سبب * قال حتى يعجبوا النساء فانهم
يحبس الخد النقى الناعم * قالت لابل المرأة يلذ لها من الرجل كل
مادّل على الرجولية * وكثرة الشعر فى وجه الرجل هي كعدمه فى وجه
المرأة * قال وما معنى قولك انهم لا يستحيون هل طلب احد منهم منك
فاحشة * قالت ما وقع ذلك بعد * وانما اراهم يحزقون سراويلاتهم
حتى تبدو عورتهم من رآئها * قال وذلك مما يلذ للنساء على مقتضى تقريرك *
قالت نعم ان هذا الزى اقترلعين النساء من زى العرب * فانه يظهر
الفخذين والساقين والبطن والعجز غير ان المغالة فى التزنيق مخلة
بالادب عند من لم تتعود عليه وان يكن فى نفس لامر احسن وافن *
ولكن ما شان هؤلاء القسيسين فانى اراهم اكثر مغالة من العامة بتباينهم
هذه القصيرة فهذا لا يليق برتبتهم * واقبح من ذلك حلقهم بشواربهم
مع ان الشوارب هي زينة لوجه الشاب كما ان اللحية زينة لوجه الشيخ *
فما الذى اغراهم بهذه العادة وهم ليسوا متزوجين حتى يعجبوا نساءهم *
لعمرى لو ان احدا منهم ذهب الى مصر لظنه الناس بعض هؤلاء المخنثين
المدعّوين خوّل الذين ينتفون شعرو وجوههم ويتحففون تشبها بالنساء
فاخرى الله كل رجل يتخنث * قال فقلت وكل امرأة تتذكر * قالت
نعم وكل من يتبع العادات الفاسدة * انظر العادة هنا كيف جعلت حلق
الشعر علامة على الفضل والكمال وعندنا هو سمة النقص والفساد * قال
صدقت ولكن اريد ان اسالك عن شى من حيث ان الكلام افضى بنا

الى ذكر ما يشوق الرجل من المرأة وما يشوق المرأة من الرجل * ومن حيث انى اراك قد نشمت فى علم هذه الفروق فقولى لى بحق السطح (وكان من عادته اذا سالها عن امر مهم ان يحلفها بسر السطح الذى كانت تصعد عليه قبل الزواج) واصدقنى فيما تقولين * هل لذة المرأة حين تنظر الى جسم الرجل كلذة الرجل حين ينظر الى جسم المرأة قالت هما ستيان ولعل الارلى اعظم * قال فقلت كيف ذلك والرجل لا نعومة لبدنه ولا ملوسة * وقد خصت المرأة بمحاسن كثيرة خلا عنها الرجل * وذلك كركة البشرة ودقة الاصابع وتسوية البنان والانامل وقد شبهت بالعسودة والاساريع والعذفوط والعنم * وكالدسع ولين الكعس والدخيس والرواجب وتغطية الرواهش باللحم بحيث يبدو فى كل اشجع نونة * وكطف اليديين وصغر الرجلين ورخاصتها * وامتلأ الرسغين والكعبين وسهولة المشطين * ونعومة العرش والعسيب * وجدل الذراعين ومكر الساقين وعظم الحماطين ودماجة الداغصتين * وضخم الوركين والمكمتين والفخذين والبتيلة والبطن * وكحول الخصر ولطف الكتفين وانحطاط المنكب وصقل الترقوة والترائب والمفاهر * وكالغطف والعطف وصلاتة الجبين وطول الشعر * وكونها رخيمة الصوت ذات نشرخالية عن الحار والريش والغفر والسربة والاسب (١) وكون اذنها صمعا حشرة مشرة تدمرية او مقذدة او موللة مصعنة * وما احلاها ياعينى مشفة * واعظم من ذلك كله وابدع بروز النهدين ونهودها * وجمهما ونفجهما * وتكعبهما وتكعبهما * واصرثابهما وتاوبهما * وتقعهما وتكعبهما * واكتيتابهما وتقيبهما * وتاتبهما وتزيبهما * وتدملكهما وتدملقهما * وتزلقهما وتزلقهما * وسملكتهما وصعلكتهما * وزهلما وتضافطهما * وتفلكتهما وتدملجها * وتمذجها وتضعجها

(١) العسودة دويبة
 بيضاً يشبه بها بنان
 العذارى والاساريع
 دود بيض جر الروس
 يكون في الرمل وفي
 واد يعرف بظبي
 الواحد اسروع
 والعذفوط دويبة
 بيضاً ناعمة يشبه بها
 اصابع الجوارى
 والعنم شجرة جازية
 لها ثمرة جرآ يشبه بها
 البنان المخضوب
 والدسع خفآ
 العرق في اللحم
 والكعس عظام
 السلاى عظام
 البراجم في الاصابع
 والدخيس لحم باطن
 الكف والرواجب
 مفاصل اصول الاصابع
 او قصبها والرواهش

من طهر القدم
 والمفاهر لحم الصدر
 والعطف طول الأشار
 والجار شعر الأنف
 والريش شعر الأذنين
 والغفر شعر العنق
 والثفا والسرة الشعر
 وبسط الصدر إلى البطن
 والداعن السمن
 والامتلا وأن لا يكون
 في الجلود نقصان*

عروق ظاهر الكف
والعيب ظاهر القدم
وهو أيضا عظم
الذنب والعرش

وربّوهما ونبتوهما * وخطوهما ورتبوهما * ونبوهما وكعوبهما * وتموكهما ودموكهما *
 وبزوغهما وصبوغهما * وشخوصهما ودخوصهما * ونبوءهما ونعوجهما *
 وتكوفهما وتقبيهما * وتخذّيهما وتكظّيهما * وتوحيهما وتعاجهما * وتصدرهما
 وتضبيرهما * وانتبارهما وتكوزهما * وتعرّزهما وتلرزهما * وتملسهما وتشرزهما *
 وتعلدّها وتغدهما * وتاصصهما وتدلصهما * واجعانهما وتنشزهما * وتجبّنهما
 وتنشزهما * وتكتلها وتلملمها * وترّيمها وتركركها * وارنكاكها وتشويكها *
 وترهرها وتلّوّهها * وانداماجها وانفراجها * واقبالها واعبالها * وارنبارها
 واكتنازها * ونصمها وعصمها * ودأصمها وضنطها * وقد قيل لهما من
 جملة أسماء كثيرة المرازان لاحتمال رَوْزهما باليد او الفكر * وشبها بالزمان
 والقُرْموط * وشبّهت حلماتها بالسعدان * وقد — قالت قى هنا فقد
 اسهبت فى وصفهما وفانك احسن ما يراى منهما * قلت افيدى * قالت
 لو جئت بكلمة تدل على الشقامهما او قفطهما لكانت خيرا من كثير
 من هذه الصفات * قلت ليس الذنب على فى ذلك فانى لم اجد
 هذه الدرة فى القاموس * ثم قلت هذا وان المرأة اذا كان فى وجهها
 شعر ناعم او زغب ولا سيما على شفتيها تستحب عند جميع الناس *
 فاما الاجرد منا او السناط والازط فمكروه عند الله والناس * قالت اما
 أولا فلان المرأة من حيث كانت تعلم انه لا شى فى الدنيا يستدّ عندها
 مسدّ الرجل كان يشوقها منه ادنى شى * حتى لو نطقت مثلا امام امرأة
 بالرّ بعد قولك اعوذ بالله من الشيطان لسبق وهما الى الرجل * فعلاها
 على الفور لاصفرار او لاجرار بحسب توجيهات خواطرها اليه * وكذا لو
 ابتدأت بنطق الرّ بعد قولك بسم الله * فقلت اللهم لطفك وعصمتك *
 هذا قرحان الطبع وقريحته فكيف بيانعه * ثم قالت اما الصفات

الحسنة الموجودة في المرأة دون الرجل على ما ذكرت انت وشبب به الشعراء وتباهى به المصورون فعدم وجودها فيه ليس بمانع له من ان يُحِبَّ * لان المرأة تعلم انه لا شئ يقر عينها غير الرجل فوجوده على اية صفة كانت مشوق لها كما ذكرت آنفا * الا ترى ان نساء السودان يحببن رجالهن ابلغ من حب النساء لبعولتهن في بلادنا وفي غيرها * ومثل ذلك مثل من عنده كتب كثيرة فيها حكايات ونوادير مختلفة * ومثل آخر ما عنده لا كتاب واحد يطالعه * فصاحب الكتب الكثيرة تراه منتقلا من كتاب الى اخر حتى ياتى على اخرها وما علق بذهنه منها شئ * ثم يمل من اعادة قراتها * وصاحب الكتاب الواحد من حيث كان يعلم انه اذا فرغ من كتابه لا يجد آخر فاذا طالع صفحة منه لن ينتقل منها الا بعد ان يمعن النظر فيها * ويحدث في معانيها * ويحفظها ويعيها ويترسمها ويتذكرها * ويتمثلها ويتدبرها * ويمتحنها ويتوقمها * ويتصورها ويفلّسها ويطلقها * وانما ضربت لك المثل بالكتب لانى اراك مبتلى بالمطالعة * وعندى امثال كثيرة غير ما ذكرت * وبعد فان في الرجل محاسن كثيرة ذاتية ليست في المرأة * منها فردسة صدره والزّباب عليه * وارتفاع كفيه وسعة صدره وشطط قوامه وشج ذراعيه وكثرة العصل فيهما وعظم يديه وكونه قويا شديدا جلدبا زخزبا شصلبا شنزبا عززبا عضلبا قصلبا كثنبا كثنبا قسبا قزبا قعبا هقبقبا اصليبا صفتيبا مصتيبا صنتيبا قنعانا علكدا قسودا ازبر حاشرا ذيمريا سبطرا قبعثرا عبهرا عشنزرا قوعسا صملا عبنبلا جرها ما بهمة حسميا شيطما عجمما عززما عرضما عردمانا عشمرا فسكما شرنبشا قاهيا قنعاسا مجاجلا ذا جهارة وجشة (١) * فهذه كلها نعدّها نحن النساء محاسن في الرجل * وفيه محاسن

(١) سيأتى مرادف هذه الالفاظ في اخر هذا الفصل *

اخرى اعتبارية وهي صعوده المنبر مثلاً خاطباً * وركوبه الجواد وتقلده
السلاح * وما احسن الرجل اذا مشى وسيفه يمس الارض * ثم
قالت لو كنت اعرف القراءة والكتابة لآلفت على الرجال والنساء
اكثر مما آلف في جميع العلوم ذلك الشيخ الذى ذكرت لى اسمه
سابقاً وقد نسيته لكونه ميتاً * قلت هو الامام السيوطى رحمه الله *
قالت نعم اكثر من السيوطى ومن جميع السوطيين * قلت ومن
البسوطيين ايضا * قالت ولكن الذنب على من غادرنى بغير
تعليم * لان العرب يزعمون ان علم القراءة مفسدة للنساء * وان المرأة
اول ما تستطيع ضم حرف الى آخر تجعل منهما كتاباً الى عاشقها *
مع انها لو خليت وطبعها كان لها من حياتها وحشمتها عاضل اشد من
الاب والزوج * بخلاف ما اذا خطرت وجرت فانها لا تنفك تحاول
التملص والتفصى مما حُصرت فيه * فمثلها كمثل المآ كلما زاد انبعثا
وجريانا زاد صفاء وانسياغا * او كمثل السائر المسرع فانه كلما زاد اسرعا
زاد حسه ببرودة الهواء اكثر * قال فقلت فى نفسى والله لقد احسنوا
لو انها تعلمت القراءة والكتابة لما بقى فى شعرى بيت آلا وشطرته
وخمسته على غير ما قصدت * اللهم انقل معارفها الى ما يفيد *
واكفى شراً المزيد *

حاشية من مرادف القوى الشديد او الصلب الشديد وما فى معناها
العُثُفْتُ الكُنُثْتُ الكُنْدْتُ المِكْلْتُ المِلْيْتُ المَغِثُ الضَّافِجُ
العَفْضُجُ العَلْجُ الهَمْزُجُ الصِّلَوْدُجُ الصِّلَنْقُجُ الصَّمْحُجُ الصَّمِيدُجُ
الكِرْدُجُ الكَلْدُجُ الدَّحُوجُ المَجْلَنْدُجُ المَجْلُودُجُ المَجْلُودُجُ الصَّمْحُجُ الصَّمِيدُجُ

الصَّهِيدُ الْعَرَبَةُ الْعَصْلُ الْأَقْوَدُ الذِّفْرُ الذِمْرُ الذِيمَرُ الزَبَرُ الزِيرُ
 الصَّمْعَرِيُّ الصَّبِيرُ الصَّبَطُ الصَّبْغَطِيُّ الْعِزَارُ الْعَشْنَزُ الْقَبْعَتِيُّ
 الْقُنَاصِرُ الْكُمَاتِرُ التَّيَزُ الْجَلْبِزُ الْجَلَاغِزُ الْخَزَاغِزُ الثَّرَامِزُ الدَّخَزُ
 الصُّبَارِزُ الْعَضْمَزُ الْعَلَكَزُ الْعَلَنَكَزُ الْفَيْزُ الْقِلَزُ الْكَلَزُ الْمَلَزُ الْحُمَارُ
 الدَّخْنُسُ الدَّرَاهِسُ الدِّلْهَمْسُ الْمَتَشَمْسُ الْعَتْرَسُ الْعَكْنَدَسُ
 الْعَمْرَسُ الْقَلَمْسُ الْقُنَاعِسُ الْهَكْسُ الْهَمَلْسُ الْفُرَافِصُ الْكَيْصُ
 الْمَتَخَمِطُ الصَّبْنَطِيُّ الصِفْطُ الْعَمَلْطُ الْمَعْلَطُ الصَّلِيعُ الصَنْقُ
 الدَّمَكَمُ الصَّمَكِيكُ الصَّمَلَكُ الْعَبَنَكُ الْعَرَكُ الْجَنَعَدَلُ الْحَوْلُ
 الْعَرْنَدَلُ الْعُنْثَلُ الْكَمْتَلُ الْكُنْبَلُ الْكَنْهَدَلُ الْنَبْتَلُ الْبُهْصَمُ
 الدِّلْظَمُ الْمَرْجَمُ الصَّرْغَامَةُ الْعَرْدَمُ الْفَيْمُ الْقِرْشَمُ الْهَيْزَمُ الْهَيْصَمُ *



الفصل السابع

في الحرّة



قد كان الكلام في الفارياق حالة كونه فردا مُبرِّما فكيف به وقد صار الان زوجا * فارى الان تركه على الحالة الزوجية اولى * لان حديثهما هذا كان في الليل فلا ينبغي التكدير عليهما فيه الى ان يصبحا ويذهب هو الى معبرة اى موضع التعبير الذى عيّن له * ولعل الجنب الكريم ايضا متاهب بعد حرّنة هذه الابازير الى الفراش * فارقد هنيا * وان حلمت ليلتك شيئا فابلغه مسامع الفارياق * فانه اصبح اليوم من كبار المعبرين



الفصل الثامن

في الاحلام



ها هو الفاريق جالسا على كرسى وامامه مائدة عليها كتب كثيرة ليس بينها
صفحة من صحف الطعام * وبين اصابعه قلم طويل وبين يديه
دواة فيها حبر كالزفت * وقد شرع في تفسير احلام رآها رئيس المعبر
في منامه * الحلم الاول رآى الهالج المشار اليه انه سافر الى بلاد الهند
فوجد فرسا فى الطريق طاعنة فى السن ولا سرج عليها * فلما راته الفرس
دنت منه ووقفت وهى تحمحم فجاوزها بعض خطى واذا بها جرت
ورآه * فلما ادركته وقفت ايضا فقال ان لهذه الفرس شانا * انى اريد
ان امسك بناصيتها لانظر ماذا يكون من امرها * فلما مسها تظلمات
له كالمشيرة اليه ان اركب ولا تخف لعدم السرج * فركبها حيث كان
قد اعيا من المشى وسار غير بعيد * واذا هو بدكان سروجى فنزل عنها
واشترى لها سرجا ثم ركب وسار فى مضيق حرج فيه اشجار كثيرة *
فنشب فى راسه بعض اغصان الشجر ومنعه من السير * فحاول ان
يتقدم فلم يمكن له واشفق ان يهزم الفرس للاقدام فوقف يتفكر فيما
عرض له وهو متعجب جدا * واتفق انه مد يده وقتئذ ليحك راسه
فاذا به قد نبت له ستة قرون * اثنان من امام على كل صدغ واحد

وائنان من خلف وائنان فى الوسط * وكان ذلك الغصن مشتبكا بها
كلها * فتوصل الى ان قطع الغصن من الشجرة لكنه بقى ناشبا فى
القرون * ثم سار وهو على هذه الحالة فكان كل من رآه يتعجب منه
ويقول انظروا هذه القرون الستة فى راس هذا الرجل * وهو غير مكترث
بهم * حتى اذا دخل فى مازق مظلم تشرف عليه صخور وجنادل صدم
بعض الصخور اربعة من القرون * فانكسرت وسقطت وبقى له قرنان
من امام فقط * ولكن كان احدهما يميل الى الثانى ويماسه ثم صار
يتحاكان ويصطكان * وكلما اصطكا سُمع لهما صوت عظيم * فاقبلت الناس
من بعيد تنظر اليه وتتفرج عليه * فلما ضاق بهم ذرعا ورأى كثرة
الزحام مانعة له من السير عزم على الرجوع * فابت عليه الفرس ذلك
وصارت تشب وتظفر قُدما * وكلما ركلها برجله ازدادت وثبا وتقديما *
فنظر اليها كالمتعجب منها فاذا بلونها قد تغير عن اصله * فقال فى
نفسه لعل هذه الفرس غير الدابة التى ركبها اولا * فنزل عنها ليكشف
عن سنها * فلما اراد ان يضع يده فى حنكها رفسته وكدمته كدمة شديدة
غشى عليه منها * قال فكان الفرس حين ابصرته مجنولا مصروعا رقت له
فجعلت تنفخ فى منخريه وتلحس مواضع القرون المكسورة منه حتى
افاق قليلا * فطفق يئن ويجأ بالدعا الى الله لان ينجيه مما آلم به *
فاشارت اليه الفرس براسها أن اركب لنرجع من الطريق التى اتينا منها *
فقام متجلدا وركب * فلما وصل الى ذلك الموضع الحرج نبتت فيه
تلك القرون المكسورة وعادت كما كانت * فكان يلمس عليها وهو سائر *
فلما امسى عليه المساء نزل فى خان ليبيت فيه ليلته تلك * وامر صاحب
الخان بان يُعنى بدابته ويحضر له ولها عشا * فلما انتبه صباحا وجد

السرّج قد سرق * فقال لصاحب الخان قد فقدت عندك سرّج فرسى
وما يتأتّى لى ان اركبها بدونه * قال بل انت مبطل فيما تدعيه فانك
حين قدمت كنت معروّيا لها * فلجّ بينهما الخصام وتماسكا بالحيوب *
فلما علم انه لا ينتفع بشى رضى من الغنيمة بالاياب * وقام الى الفرس
وركبها وبقي سائرا الى المساء فوجد خانا آخر فى الطريق فبات فيه *
فلما اصبح الصباح واراد ان يركب لم يجد اللجام * فجرى له مع صاحب
الخان هذا ماجرى له مع ذلك * ثم بات الليلة الثالثة فى محل آخر *
وعند الصباح وجد فرسه بلا ذنب * وبقي كلما بات ليلة يفقد عضوا
من اعضاء الفرس حتى بلغ مدينته ساعيا على القدم وغابت عنه الفرس
بالكلية * فاما القرون فزال منها اربعة بزوال الفرس وبقي منها
الاثنان المتقدمان * .

تعبيرة

لما القى هذا الحلم القرنى على الفاريق اخذ يعث بشاربيه على عادته
 ويفرك جبينه بيده ويزوى ما بين عينيه * الى ان اهتدى الى تعبيرة
فكتب بجانبه ما صورته * هذا ما عبر به العبد الذليل المستى بالفاريق
لجناب المولى المكرم السيد ذاهول بن غافول عن حلمه الذى رآه فى
منامه * ان الفرس كناية عن امرأة * والمشى ولاعيا كناية عن العزوبة *
والسرّج كناية عن ادب المرأة * واللجام عن عرضها * والمكان الحرج
كناية عن الولائم والمآدب والزيارات التى يتجشمها المتزوج ويدخل
فيها راسه ورأس امراته * والغصن كناية عن بعض المدعويين الذين
ينشبون فى الزوجة * والقرون كناية عن الحالة الزوجية التى يكون عليها

الرجل والمرأة * ونبتها واصمحلها كناية عن تغيير تلك الحال ورجوعها الى ما كانت عليه * ومبيته في الخانات كناية عن سفره بزوجه * وغياب الفرس كناية عن فقدتها * وباقي الحلم مفهوم بالفحوى والله اعلم * فلما اخذ التعبير وامعن النظر فيه ملياً رجع الى الفاريق عجلاً وعلى طلعه آثار الغيظ وقال * ان في تعبيرك خطأ من وجوه * الاول ان عبارتك موجزة بخلاف عادة المعبرين * والثاني ان الفرس ليست كناية عن المرأة فان المرأة عندنا لا تكون دون الرجل اى تحته بل هي اعلى منه * فيجب ان يكون تعبيرك بحسب اصطلاحنا لا بحسب اصطلاحكم * والثالث ان اللجام لا يكون كناية عن عرض المرأة فان اللجام انما يوضع في الفم وعرض المرأة لا يكون في فمها * ولكن ينبغي لان ان تدع هذا وتأخذ في تعبير الحلم الثاني * فاجتهد في التحرير ولاسهاب * فحسى ان تصيب وتحرز الثواب *



الفصل التاسع

في الحلم الثاني

راى صاحب المعبر اطل الله بقاءه * وعظم مقامه بين الهالجين واعلاه *
انه اراد يوما ان يكتب خطبة يتلوها على القوم فى يوم عيد * فاخذ القلم
والقرطاس وكتب حرفا واحدا * واذا بامراته تدعوه من جرتها ليَجُورِها *
فترك الكتابة وحفد اليها * فلما جورها ورجع راي ان قد ضَمَّ الى ذلك
الحرف حرف آخر بحبر غير حبرة * فقال فى نفسه ترى من دخل جرتى وخط
هذا الحرف الذى ناسب ما اردت من المعنى * ثم اخذ القلم وكتب حرفا
آخر واذا بامراته تدعوه ليربط لها شراك نعلها * فقام اليها وفعل ما امرته
به ورجع فوجد حرفا آخر قد اضيف الى الثلاثة الاولى حتى تمت به
الكلمة فزاد تعجبه من ذلك * ثم اخذ القلم وكتب كلمة تامة واذا بامراته
تدعوه ايضا ليمشطها الكُعْكَبَة ار والله اعلم المقدّمة * فقام ومشطها برفق
ولين ثم رجع فوجد كلمة تامة اضيفت الى كلمته متلائمة بها * فاخذ القلم
وكتب كلمتين فدعته امراته ليجمّرها * فترك الكتاب وقام ولما رجع وجد
كلمتين تامتين * فلما تكامل له سطر دعته امراته ليعقد لها عظامتها * ثم
رجع فوجد سطرا بجملته * حتى اذا تكامل له صفحة دعته امراته ايضا
ثم رجع فوجد صفحة كاملة * وعند انتهائ الكراس وجد كراسا وقس على

ذلك الى ان كمل الكتاب * وكانت امراته قد فرغت من تفحصها وزينتها *
فحمل الكتاب اليها واخبرها بما جرى له ففرحت بذلك فرحا لا يوصف *
وقالت له انما حصل هذا ببركة خدمتك لى ومساعدتك اياى على
الباسى * فينبغى يا عزيزى ان تواظب عليها * فلما كان فى الغد فعل ما
فعله امس من الكتابة والخدمة ووقع له فيهما عين ما وقع له أولا * فزاد
سرور كل منهما به * فلما حان العيد صعد الى المنبر وتلا الكتاب الاول
فادهش السامعين ببلاغته وانسجام عبارته ودقة معانيه * حتى اذا فرغ
اخذ الناس يطربون عليه ويقولون له ما طرق مسامعنا كلام ابلغ من كلامك
قط * فقال لهم هذا بيمين الشراك فلم يفهموا * ثم رجع الى بيته
مبتهجا متهللا واخبر زوجته بما جرى * فقالت له ان نصحى لك يا عزيزى
ان تجتهد فى الخدمة والكتابة فاذا تكامل لك خمسون كتابا نقصد بها
بعض البلدان البعيدة فتتلقوها هناك * لانه لا يمكن لك فى هذا البلد
ان تتلو خطبة الا فى يوم عيد والاعياد هنا غير كثيرة * ويكون من الخسران
ان تبقى هذه الكتب الجيلة غير متلوة * فقال لها الراى ما رايت * ثم
انهما تجهزا للسفر الى بعض البلاد المشرقية ومعهما تلك الكتب قد ضمنت
صناديق من خشب الساج نفيسة وانفقا عليها مبلغا جزيلا * فلما بلغا
طيتهما اكريا لهما دارا رحبة مطلّة على الحدائق الناضرة * وارسل مناديا
ينادى فى الاسواق ان احضروا ياقوم خطبة المولى ذاهول بن غافول فى
يوم كذا وساعة كذا * لسمعكم من المعانى البديعة ما لم يطرق مسامعكم
قط * فحشدت اليه الناس افواجا افواجا * ولما استقروا فى المجلس صعد سلما
كان قد نصب له فيه * وفتح ذلك الكتاب الاول الذى كان اعجب به
قومه واذا به محمول يشتمل لا على الحروف التى كتبها بيده * فحاول

ان يصل بعضها ببعض ليستخرج منها معنى ما فلم يمكن له * فنزل عن المنبر خجلاً وهكذا انتبه من نومه *

التعبير

هذا ما يعبره العبد الفقير الفاريق للمولى ذاهول بن غافول * ان ما توهّمته من ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات والكراريس والاسفار الى كلامك الذى اعجب به قومك لم يصلح فى غير بلادك لارتباطه بربط العظمة والشراك * والله اعلم * فلما بلغت هذه العبارة للمشار اليه اقبل الى الفاريق وهو يخطب الارض برجله ويشمخ بانفه قائلاً * هذا التعبير افسد من التعبير الاول * وهذه العبارة اخصر من تلك فلا يكاد احد يفهم ما تقول * واذا كان تعبير الاحلام غامضاً مبهماً كلاحلام فلا موجب لاستخدام معبرين وتكليف الناس قراءة ما لا يفهم * فقال له الفاريق هكذا جرت العادة فى بلادنا التى هى معدن الاحلام ومنبت التعبير * فان روسكم لم تكتسب هذه الخاصية الا من روسنا * ولولا نحن لما عرفتم ان تحملوا مدة حياتكم كلها ولا حلماً واحداً * قال فكان الرجل انتبه من غفلته وسكن من ثورته * ثم قال قد بقى عليك الان حلم واحد فهلكه *



الفصل العاشر

في الحلم الثالث



راى صاحب المعبر اطلال الله مدة نيابته عن الهالچين * وحقق احلامه
مع الفالچين * أن قد نصب له ذات يوم سلم عال يشتمل على منة
درجة ليصعد اليه ويخطب القوم من اعلاه * فلما خلق لحيته وشاربيه
ولبس ثيابه السلمية ارسل من جمع القوم الى موضع معين * وكانوا كلهم
قد علموا بذلك من قبل وسبقوه اليه * لما انه لبث ساعة ينتظر امراته
حتى تقوم من الفراش فيرتمها ويعانقها قبل توجهه * ثم تأتبط كتابه
واقبل يجرى الى ذلك المحشد العظيم ولم يلتفت يمنة ولا يسرة *
فلما بلغ الموضع وراى السلم منصوبا والناس مجتمعين حوله كاد يطير من
الفرح * فقال فى نفسه هذه فرصة ما سمح الزمان لغيرى بمثلها * فسارده
اليوم هولا القوم الى بيوتهم بقلوب مثل قلبى واخلاق كاخلاقى * ولو لم
اعمل من الصالحات غير هذا لكفى * فقد كتب اجرى عند الله * ثم
تمادى فى الافكار * وتامل من الاستبشار * واستقبل السلم وهو مدهوش *
وما كاد يصل اليه الا وقد مدّ رجله متفشحا الى اول درجة منه من دون
ان يسلم على احد من الحاضرين * ثم افتتح الخطبة بقوله * الحمد
لله الذى امر بنصب السلم وارتضاه له عرشا * فسمع احد القيام هذا

لاستهلال فانكزة * وقال لمن كان يليه ما اظن خطيبنا اليوم لا معتوها *
فلست اشأ ان اسمع منه اكثر من هذا ثم ولى * فصعد الخطيب الدرجة
الثانية وقال * وجمع الناس الى هذا المحفل المبارك وكلهم فارش اذنيه
للاستماع فرشا * فسمع كلامه آخر من الوقوف فقال هذه الفقرة شر
من الاولى * فاني لا ابالي بكون السلم عرشا او نعشا وانما اغضب لاذنى
ان افرشها ثم ولى * وما زال الخطيب يقول عند صعود كل درجة فقرة
ركيكة مثل هذه وينفض عنه شخص وهو غير منتبه لما شمله من الفرح
الذى اذهله عن رؤيتهم حتى بلغ درجة المئة وقد انفض الناس كلهم عنه *
فلما استقر عليها التفت يمينا وشمالا فلم ير احدا * فقال فى نفسه قد
الفت خطبتي وجمعت لها القوم * وها هم قد تولوا وبقيت الخطبة معى *
فمالى لا اتلوها جهرا فى هذا الموضع الشريف المترفع عن نجاسات الارض
وقدزها * فان لم يسمعوها هم يسمعها الله وملسكته * فانه يقال كلما بعد
الانسان عن الارض زاد تقربه الى السماء * ولست ارى موضعا يصلح
للخطب اكثر من هذا * ولعل احدا من المارين يلتقط كلمة مما اقول
فتكون سببا فى خلاص نفسه ونفوس ذويه وجيرانه ومعارفه * فان لفظة
واحدة من فم واحد قد يكون فيها الموت والحياة * ومن العيب ان
اعود الى زوجتى واقول لها ان الخطبة بقيت غير متلوة * ثم انه مسح
عرقه واصلى صوته وثيابه بعد ان جعل الخطبة على الكتاب وجثا يصلى
قليلًا ويدعو الله لان يلهم احدا من الناس ان يمر به ويسمعه * ثم قام
ناشطا مسرورا وقال * اسمعوا يا اخوتى لاحبا وانصتوا اليوم لما انا قائله
لكم * واتفق وقتئذ ان مر به رجل من الشعراء الغاوين * فلما سمعه
يقول ذلك ولم ير عنده احدا وقف وقال من اطلع هذا المجنون الى راس

هذا السلم * واين اخوته الذين يخاطبهم ام عساه يكلم الجن في الهوا
ان في هذا لعجبا * ثم صاح به ان انزل يارجل ولا تعرض نفسك للهز
والسخرية اذ ليس يسمعك من عباد الله احد * فلم ينتبه له الخطيب
لانه كان شاخص البصر نحو السماء * فاعتقد الرجل بان به لُماً * فاراد
ان ينزله باية وسيلة كانت واخذ في قطع اوتاد السلم واطنابه * فلم يشعر
الا والسلم قد تقوض وسقط وسقط معه الخطيب وكتابه على راسه اى على
راس الشاعر * فتهشم كل منهما وتحطم *

التعبير

لا ينبغي للخطيب ان يكون ثنائرا * وان داوم المولى الطراد على الثروة
فلا يامن من ان يسقط سقطة تدق بها عنقه والله اعلم *
فكان هذا التعبير انكى له واقهر مما تقدم وذلك لنيه عن كثرة الكلام
ولوجازة العبارة * فلما كان بعد ايام جاءه برقعة فيها ما صورته *
حلمت ان رجلا من اصحابي قد اهدى الى قنبيطا مما ينبت في سهل
الاردن * فاتخذت منه عشا وبّت فرايت انى دككت اسوار مدينة في
الجو تشبه مدينة اريحا في حصانتها ومناعتها * فكتب الفاريق بجانبه

اذا ما تعشى القنبيط جراضم رمى الجو من برج استه بجلاهق
فيفعم ثقبى منخريه عجاجها فيرجع ايضا سبكها كالبنادق

فطالع امراته بذلك فقالت لعل الرجل قد ألف الان هوا البلاد فانى
اراه ابتدا يصيب * وقد ذهبت عنه تلك الحدة التى كانت تظهر سابقا
في حركاته وكلامه * فساجره انا الان بنفسى في حلم رايته البارحة *

ثم اخذت رقعة وكتبت فيها * رات السيدة ورهآ زوجة السيد ذاهول بن
غافول ان بيدها قفلا مصقولا مجلّوا ذا ثقبوب كثيرة * وييد زوجها
مفتاح ذو ثقب واحد وقد صدئ * فكتب الفاريق تحت

المرء والمرأة سيان فى الميل الى العشق وحبّ السفاح
لكنّ ذا مفتاحه قد يهى وتلك مامون لها الانفتاح

فلما اطلعت على المعنى قالت لزوجها هذا ما خطر ببالى قبل تعبيرة *
فما اقربه لان الى الصواب فجذ له هذه الرقعة لآخرى * فتناولها
الفاريق واذا فيها * رات السيدة ورهآ ان قد كتبت على جبين زوجها
عدد اثنين * فلما ابصر نفسه فى المرأة حاول ان يحوهما * فبادرته
وامسكت يده فلم يقدر لآ على محو واحد فقط * ولكن بقى لآخر غير
ظاهر ظهورا بينا * فكتب تحته

فرض على الزوج ان يكفى حليته فى كل ليل ونفل بعده يرضى
فان تبدل لفظ الفرض بالرفض تبدلت هى معنى العرض بالعرض

فاستحسن البيتين جدا ثم ناولت زوجها رقعة اخرى كتبت فيها *
رات السيدة ورهآ سيدة السيد ذاهول بن غافول انها ترى لاسود بعينها
المنى ابيض * ولابيض بعينها اليسرى اسود * فكتب تحته

رضا الزوج صعب اى صعب ولا سيما اذا رات المبعنا
فتنظر فيك كل الحسن قبحا وتنظر فيه كل القبح حسنا

فاستطرفتهما وقالت لزوجها اراه يحسن تعبيرا للاحلام النسائية القصيرة *

فاحلم لى لان يا عزيزى حلما قصيرا واكتبه فى رقعة وانا اناوله اياها لننظر
هل يستمر على هذه الطريقة معك او لا * فلما كان الغد جآته برقعة فيها *
رؤى فى المنام شى مطاول * ثم ظهر لعين الرأى مستديرا ثم مطاولا ثم
مستديرا وهلم جرآ * فكتب الفارياق تحته

قد كنت احسب هيئة الدنيا نظير الفرج اذ فى القدر يشتهان
حتى استبانوا انها كالاست تد ويرآ فقلت تقارب الشهبان

فلما اطلع زوجته عليهما ضحكت وقالت اراه لا يتآدب لا معنى * وانه
ليشتم لامور النسائية شما فان هو آلا زير نساء * ولكن لا باس فى ان
تجربه بحلم اخر وبعد ذلك نرى ما الذى ينبغي ان نصنعه معه * فلما
كان الغد جآه برقعة فيها * قد رايت ان يدا خطت على صدغى عدد
ثلثة ثم توارت * فمددت يدى الى صدغى لاحكه فمحت من العدد
ستين فصار الباقي واحدا ذا عوج * فكتب الفارياق تحته

تكلفنى زوجى ثلثا ولم أطق سوى صرعة والعجز من ذاك لا منى
فقلبى وطرفى لا يملآن بثة كمهبلها لكن ذلك لا يغنى

فاخذ الجواب واقبل يهرول الى امراته * فلما اطلعت عليه ضحكت وقالت
انه لا يزداد معك آلا جنونا وسفاهة * فينبغى لان ان تدعه حتى حين وقم
انت الى الصرعة * فقاما اليها واستراح الفارياق منهما اياما *



الفصل الحادى عشر

في اصلاح البحر

— ❦ —

كان قد بلغ مسامع حاكم الجزيرة ان الفاريق قدم اليها لتعبير لاحلام
وانه خبير بهذا الفن جدا * وان به ملكة ايضا على اصلاح البحر *
فبعث اليه ذات يوم بعض حجاجه يقول له ان الحاكم يدعوك اليه اليوم
لمسألة مهمة فلا بد من ان تنفذ عليه * فلما حانت الساعة توجه الفاريق
اليه وهو موجس من ان يكون الحاكم قد حلم حلما حكما جليلا يعسر
عليه تعبيرة * لان العظماء لا يحلمون الا الاحلام العظيمة * فهم منزهون
عن جلاهي القنبيط ووهي المفتاح والصرع وغير ذلك من الاحوال
الخسيسة اللائقة بالصعاليك * فلما مثل بمجلس الحاكم قال له قد بلغني
قدومك الى هذه الجزيرة عند الخرجى * وانه قد ضايقك بكثرة احلامه
وما كفاه ذلك حتى علم زوجته ايضا ان تحلم مثله * فهل لك الان في
تعاطى مصلحة لدينا تخفف عنك احلامه وتثقل كيسك * قال ما هي
ياسيدى * قال ان عندنا في هذه الجزيرة قوما بخرنا لا يطيق احد ان
يفهم منهم شيا اذا نفوهوا لشدة بخرهم * وقد سمعت انك قادر على
علاجهم فهل لك في اصلاحهم ولك عندنا المكافاة الحسنة * قال الامر
اليك ياسيدى ولكنى كاهن المعبر * قال انى باعث لان الى الخرجى

من يخبره بذلك فلا تخش منه ضيرا * قال جزاك الله خيرا * انك اهل
 للخير والفصل * ثم انصرف من حضرته من غير ان يرجع القهقري * لان حكام
 الافرنج لا يتكروا على الرجل ان يروا منه قفاه او ظهره او بطنه لا بل
 بطونهم اظهر من ظهورهم * فلما بلغ الى منزله واخبر زوجته بذلك وكانت
 قد ابتدأت تهتجى قالت * بورك من يوم انى رايت فيه بدكان
 جوهرى عقدا نفيسا * وكانى رايت عليه حروفا ظهر لى انها ك س ب
 ال ب خ ر فهل يخرج منها معنى * قال يخرج منها معنى انى اشتريه
 لك من الدراهم التى تحصل لى من وظيفة البحر * قالت نعم فانى
 كنت اسمع اتمى تقول لابی ان الرجل اذا بذل راس ما يتحصل بيده
 من الاموال فى شرا حلى ولباس لزوجته بارك الله له فى ذنبها * اى
 فى ذنب الاموال لا فى ذنب امراته * قال فما الفائدة اذا من هذا
 البذل اذا لم تشمل البركة الطرفين * قالت لزيادة جمال زوجته * قال
 اما انا فراض بما فىك من الحسن الطبيعى فلمن هذه الزيادة * قالت
 هى تزيدك حبا الى * وتبعث غيرك ايضا على ان يحسدوك على *
 ويتمنوا لو انى كنت لهم * قال اللهم اكفنى شر الميزيد * ولكن لا بد من
 شرا العقد * فهو اولى من انحلال العقد * فوعدها بذلك فاتبعت
 بحمد الله تعالى ولمست جيدها * فلما مضى الشهر وقبض المرتب له
 انجز لها وعده * فقالت هو من دراهم البحر ولكنه احسن من الند *
 لقد قسم الله بيننا اعدل قسمة خذانت دراهم الهلج واعطنى دراهم
 البحر * فقد رضيت بهم * قال فقلت لها لا تقولى بهم ولكن بها *
 فان بهم يرجع الى البحر * قال فهينمت بكلام لم اسمعه كله وانما
 سمعت من آخره قولها واى ضرر من هم * فقلت لبا واى حيزبون

انت * فالتفتت الى الباب فلم تر احدا فقالت اين الزبون * ثم
استمر الفاريق في الوظيفتين المذكورتين معبرا ومصاحبا مدة مكنته
من حل مشاكل زوجته * واتخذ له متاعا فاخرا وآنية حسنة وصار يدعو
الناس ويصنع لهم ولائم * وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين
في خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنساء بحضرته * وكان من جملة
المدعوين الفاريق وزوجته * فلما رأت الرجال يرقصون وهم محاصرون
للنساء قالت لزوجها * هل هولا النساء أزواج هولا الرجال * قال منهن
هكذا ومنهن بخلاف ذلك * قالت وكيف يخاصرونهن اذا * قال هذه
عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الأفرنج * قالت وبعد المخاصرة ما يكون
منهم * قال لا ادري ولكن بعد انقضاء الناس يذهب كل الى منزله *
قالت اشهد بالله انه ما خاصر رجل امرأة الا وباطنها * قال لا
تسيى الظن انها عادة قد مشوا عليها * قالت نعم هي عادة ونعمت
العادة * ولكن كيف يكون احساس المرأة حين يلمسها رجل جميل
في خصرها * قال فقلت لا ادري انما انا رجل لا امرأة * قالت ولكن
انا ادري ان الخصر انما جعله الله في الوسط مركزا للاحاساس الفوقي
والتحتي * ولذلك كانت النساء عند الرقص والقرص في اى موضع
كان من اجسامهن يبدین الحركة من الخصر * ثم تنفست الصعدا
وقالت * ياليت اهلى علموني الرقص * فما ارى فيه لانشى
نقص * فقلت لو فتحت الصاد في كل من المصراعين لكان بيتا
مطلقا * فقالت ياللفضيحة بين الانام * اتقول هذا الكلام في مثل
هذا المقام * قلت هيت الى البيت * فقد كفاني ما سمعت
الليلة وما رايت * قالت لا بد من ان ارى ختام الرقص * قال فلبثنا

الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهى سائرة * نساء مع رجال
راقصات * رجال مع نساء راقصون * راقصات راقصون راقصون
راقصات * فقلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات * قالت الرجال
والنساء والبنون والبنات * كيف — متى — اين — ثم بعد ايام
ورد على الفارياب حلم مشكل فى وحش ذى قرون واذناب كثيرة
وشيات وبقع شتى فى جلده * واراد صاحب المعبران يعرف تاويل
كل قرن وسر كل بقعة * فعسر عليه ايشاؤه فذهب الى منزله
مبتثسا متسخطا * فقالت له زوجته ما بك * قال هم ونكد * قالت
ما سببه * قال كلما تخلصت من ورطة وحلت فى اخرى شر منها *
قد كنت من قبل مداحا للسرى بما لم ارد * ثم صرت عشير المجانين *
ثم معتبر الاحلام * ثم مصلح البحر * وكل ذلك على غير ما ارون فما
انكد هذه المعيشة واصيق هذه الدنيا على * اليس فى الارض مندوحة
عن هذا * قالت خفف عليك ياسيدى ان كل انسان فى الدنيا
له نصيب من الحزن والهم * حتى المرأة ايضا لا تخلو من الهم فداياها
كل يوم ان تزجج حاجبيها * وتكحل عينيها * وتورد خديها * وتخفف
خطوقديمها * وتنظر فى المرأة مئة مرة كيلا ترى شعرة قد انفردت
عن سائر شعرها * ثم تخاطب نفسها فى المرأة وتضحك وتتبسم
وتهلل وتغمز وتلوى جيدها وعطفها وتتنفس الصعدا وفير ذلك *
لتعلم كيف تبدو منها هذه الافعال فى عيون الناس * قال فقلت
اهذا وقت الجّد ام الهزل * انا اقول لك ان للوحش اذنا با وقرونا
وشيات لا تحتمل التاويل * وانت تذكرين الغمز والابتسام والتكحيل *
قالت ليس فى كل يوم ياتيك وحش مثل هذا وانما هم النساء فى كل

صباح ومساءً ضربة لازب * وحسبنا بالغربة هما وحزنا * قلت اما انت
قريرة العين هنا وقد تمتعت بالحرية فى الخروج وحدك * وفى
رؤية الناس وفى رؤيتهم لك بما لم تعهديه من قبل فى دولة البرقع
والحبرة * قالت انما ينغصنى كوني لا استطيع ان ابلغ اهل مصر اى
النصارى منهم قبطيهم وشاميهم ما يراد من الزواج مما لم يعرفوه
بعد * فانهم يحسبون ان الله تعالى انما خلق المرأة لمرضاة الرجل
فى فراشه وخدمته وخدمة بيته * فترى طلعة الرجل منهم اذا جاء
منزله وواجه امراته كطلعته حين غاب عنها سوا * وانه ليقعد بعيدا
عنها قعدة المستريب المتفك * واذا نظر اليها فما ينظر الا الى
شعرها ليرى هل به شعث او لا * ثم هو لا يصلح لها امام الناس
اذا شعثته الريح وغيرها * ولا يلبسها ولا ياخذ بذراعها اذا تماشا *
بل قلما يمشى معها الا اذا سارت لتنظرا لها غيرة عليها من ان
يكلمها احد فى الطريق او يراها فترجع حلى من النظر بفخذ ومن
الكلام بتوامين * فاذا حضر الطعام تعشى وهو ساكت وجم كانا ياكل
شيا مسموما * وربما كلفها غسل رجليه قبل النوم او تكبيسهما حتى
يجيئه النعاس * وهو فى خلال ذلك يرمش ويرصك ويتشآب
ويتمطى * ثم يرقد دون عفز ولا حفز * وكلما كان عيد لاحد مناجيف
الرهبان تأبل عنها * ويلزمها ان تقول له بحضرة الناس نعم ياسيدى *
واحسننت ياسيدى * وربما كان ذلك السيد سيدا عملا * او كان من
اكبر الحمقى وكانت هى رشيدة لبيبة فلا يسعها الا ان تتبعل له *
ولا يمكنها اذا رأت منه غواية ان تردّه الى طريق الصواب * فقد
تقرر فى عقول النوكى المأفك ان عصيانهن النساء طاعة لله حسنة *

حتى اذا وقع منكوسا على ام راسه رجع الى امراته باللوم والتبكي * قال
قلت قد روى عن النخعي انه قال من اشراط الساعة طاعة النساء *
فقلت كاني بالافرنج قد حشروا ويحشرون الليلة * ثم استمرت تقول
واقبح من هذا كله ان الرجل عندنا اذا كان كهلا لا يستحي ان يتزوج
ببنت لم يات عليها بعد نصف عمره * فاذا استقرت عنده شرع
في تربيتها وتنبيتها وتوليدها من ذى أنف وعاملها بالنفاق
والدهان * فقد يكون خبيثا فاجرا ويوهما انه ذو صلاح وتقوى
يتورع من الله والسماع وعشرة الفتيان الكئيبين * وما يخطر بباله
ان مغايرة السن بين الرجل وامراته هي من اعظم الاسباب الباعثة
لها على فكره * بل يعتقد ان مجرد كونه فاعلا وكونها هي مفعولا
يقضى له بالمزية والفضل عليها * فقلت ان دعوى الفاعلية ما اراها
آباطلا * فان المفاقمة والمباضة والمواقعة واخواتها تدل على ان
الفعل مشترك بين اثنين * وانما الافضلية باعتبار البادى * قالت
ليس لايتبدأ متعينا على واحد دون الآخر فايتهما بدا صح * فلا مزية
لاحدهما على صاحبه * هذا وكمن مرة لمجرد هذا الوهم يغادر الرجل
امراته وحدها في البيت ويقضى ليلته عند احد اصحابه * فيتعاطى معه
المدام حتى يسكر ويذهب ما عنده من قليل العقل * فلا يقدر على الرجوع
آا اذا حل بين اثنين كالجنازة * ثم هولا يفرق بين ان تكون
زوجه حبلى او غير حبلى * فتراه يكلمها وهي في تلك الحالة بعين
الكلام الذى كان يكلمها به من قبل * وربما دق عليها كالضارب فمناها
بمَرَعْبَة * او اسمعها الضَّبْطَى والضَّبْطَى والضَّبْطَى وايه وذُخْدَخ
وهَجَاجِيْكَ وهذا ذيك * او كان عليها دُبُوَاء او لَزَاقا او طَبَاقا او عَبَاقا او

عَايَا او عَابَا * فنهاية رفقہ بها وشفقتہ علیہا انما هو ان يشتري لها جارية او يستخدم وصيفة * وليس المقصود بذلك مجرد تخفيف الشغل عنها وانما المقصود جعل لامة او الخادمة رقيقة عليها حتى لا تخونه في عرضه * ولا اقول في ماله لانه لا يخرج من البيت الا بعد ان يقفل عناديقه * مع ان الجارية لا تكون الا ذات صلح مع سيدتها عليه وان شتمتها بين يديه واهانتها * لانها لا يهمها كون سيدتها تحب واحدا من الرجال او اثنين او عشرة * بل يهمها ان تنال عندها الطيب من الماكول والمشروب * فاذا كانت زلة سيدتها كما يقال تحت يدها ادلت عليها بتلك الزلة وتجرات على ان تطلب منها ما تشاء * لا بل تتمنى ان سيدتها تكثر من العشاق ما استطاعت * لانها تؤمل منهم الصلة والاحسان * ومعلوم انه كلما كثرت العشاق كثرت الصلات * وبعد فان من طبع النساء في كل زمان ومكان الارتياح الى شواغل الهوى وبواعث العشق * وان يرين اهل الدنيا كلها مسترسلين اليها ومنهمكين فيها * فالجارية التي تكون عند سيدة حرة على فرض صحة ذلك لا تلبث ان تغضب سيدتها حتى تغرى زوجها ببيعها فيقع نصيبها عند اخرى غير حرة * غير ان الرجال مغفلون * نعم هم مغفلون * فاما تبجحهم بكونهم يشترون لازواجهم حليا في ربيع يسرهم فذلك عائد الى خيرهم * لانهم لا يلبثون ان يسلبونهن اياها في خريف عسرهم وافلاسهم * فاية امرأة ترضى لنفسها بان تقعد في بيتها كالفرس المسرح المعد للركوب وهي محرومة من معاشرة الناس * قال فقلت والله ما قلت كلاما احسن من هذا * وهذه اثار النجابة بدت تسطع من طباعك فحيّاك الله وبيّاك * قالت

وما بياك قلت ليس بشئ * قالت ولكنها عندي حسنة للازدواج * قلت
كانك تقولين انه من قبيل تزويج لفظة باخرى فيشم منه رائحة
الزواج * قالت نعم الزواج سار حتى في الالفاظ * قلت ولكن بقى لى
عليك اعتراض وهو انك عرضت فى اول خطبتك هذه البليغة التى
افادتني اكثر من خطب صاحب المعبر بانى اصلح شعرك وثيابك امام
الناس * او بانه يلزمنى ان افعل ذلك وهو مما فات فكبرى * قالت
انك لما تفعله ولكن ستفعله ان شاء الله عن قريب * فانى

اراك تقدر النساء ولا تبخسن حقهن

وانى واحدة من عباد

الله هؤلاء

*



الفصل الثاني عشر

في سفر ومحاوره



ثم لما كان الغد ذهب الفاريق الى المعبر وهو موجس من تعبير الوحش *
فجاءه الرئيس يقول قد عنى ان اسافر الى ارض الشام لاجل تغيير
الهوا * فان هوا ذلك القطر طيب ولا حلام فيه تصح ويسهل تعبيرها *
وانى اراك مثلى ضعيف القوى ناحل الجسم فتجهز للسفر فعسى الله
ان يوفق لنا اسبابه ونعود بخير * فاستاذن الفاريق الحاكم فى ذلك
فاذن له كرما وتفضلا * فاقبل على زوجته يودعها ويقول * عهدى اليك
يا زوجتى بادى بدء ان تتذكرى السطح فيبعثك على حفظ العهد
والوداد * وان تعنى بامر ولدى * الذى اغادر عندك معه كبدى * واذا
اتاك فاسق بنبا عنى فتثبتي * اى اذا قال لك غدا احد من حسدنى
عليك قد مات زوجك فى البحر واكله الحوت ولم يبق فى عالم الوجود
سوى اسمه فلا تركنى اليه * قبل ان يرد اليك كتاب منى تعتمدين عليه *
قالت ولكن كيف تكتب لى اذا كان الخبر صحيحا * قال فقلت يكتبه
لك صاحب المعبر * ولكنى ارجو ان اصل سالما وتقر عيني بروية اهلى
واهلك وابلغهم سلامك * قالت ألا تعين لى مدة لارسال الكتاب * قلت شهرين *
قالت هذا دهر دهاير اية امرأة تصبر شهرين * قلت نحن سائرون فى سفينة

الريح فان الطبيب قال لصاحب المعبر انها اوفق من سفينة النار
لما فى هذه من رائحة الفحم التى تضر بالمصدورين * قالت افعل ما
بدا لك ولكن احذر من ان تفيق وتهوى غيرى * قلت انما احذر
من الثانية لا من الاولى * قالت لا بل منى فاحذر * قلت انما عنيت
انى احذر من الهوى * قالت نعم اياك وآياه فانه يزيدك ضنى * قلت
ليست البلاد التى نقصدها مظنة لذلك كهذه الجزيرة * قالت النساء
والرجال فى جميع البلاد سوا * ولا سيما انك لان فى زى غريب والنساء
كلهن يتهافتن على الغريب * كما ان الرجال يتهافتون على الغريبة *
قلت قد فهمت هذا التعريض غير ان المرأة المصونة اذا دخلت بين
جيشين تخرج كما دخلت * قالت نعم تدخل امرأة وتخرج امرأة *
قلت واين المصونة اراك حذفتها * قالت فى زمن الفطحل * قلت
وما الفطحل * قالت دهر لم يخلق الناس فيه بعد * قلت من اين علمت
هذه اللفظة الغريبة * قالت سمعتك مرة تقولها فحفظتها وهو دليل على
التهافت على الغريب * ثم سكنت مفكرة ثم ضحكت * فقلت لها مم
تضحكين امن الفطحل * قالت لا وانما ذكرت حكاية عن امرأة سافر عنها
زوجها فضحكت * قلت وما هى * قالت كانت امرأة متزوجة برجل
يريبها فى بعض احواله ولم تكن على يقين مما رايها منه * واتفق
انه سافر عنها فحزنت لفراقه لكنها ظلت واجدة عليه * فجعلت مرة تدعو
له واخرى تدعو عليه * وقالت ان كان بريئا بلغته دعواتى الصالحة
والآ فيالحقه غيرها * فقلت هل فى نيتك اذا ان تحاكيها * قالت معاذ
الله ان ادعو * قلت قولى لك او عليك حتى يفهم المعنى * قالت عليك *
قلت لله انت ما ارى لى من يدريك منجى * فالتفت الى الباب وقالت

ما جآ احد * قلت دعيني بحقك من الزبون ومن من جآ فانا الان
على جناح السفر * قالت سر في امن الله ولا ترتب فان للهزل وقتا
وللجد وقتا وعرض المرأة هو من الاخير * قلت وهذا ايضا كلام موجه
كانك تقولين انه ليس من الامور المقدمة * قالت لا كن مطمئنا سوا
كان من هذا او ذاك فانك ستجدني كما فارقتنى ان شا الله * قال
فودعتها والدمع هامل على جيدها وبكت هي ايضا لفراقى فانها كانت
اول غيبة عنها * وكان من خلقها اذا بكت ان تبدو في طلعتها لوائح
وجد شائقة * وملامح حسن رائقة * والنساء اشوق ما يكون اذا بكين *
ولكن لا يكن كلامى هذا باعثا على ضربهن شلت يدا من مشهن عن
غضب * قال فتزايد بكآى لبكائها واحسست ج بلوعة الفراق * ثم اقلعنا
وما كادت تغيب الارض عنا حتى ثارت لواعج الاشواق فى صدرى وخطر
ببالى كل ما قالته لى مصبوغا بالوساوس والهواجس * قال ومن كان جلس
بيته لم يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته فاعمة منخرية لم يدر ما الم الفراق *
بعد ليلالى الوصل والعناق * ولا سيما اذا جرى ذلك اول مرة * فينبغى
اذا ان اصور لخطر صاحبنا هذا الحسبى المغومى بعض ما يقاسيه المحب من
لوعة البين * عسى ان يرق قلبه فيدعو لجميع النائين عن احبابهم
بقرب الوصل وجمع الشمل فاقول * ان الفراق طالت مدته ام قصرت
قربت طبيته ام بعدت عبارة عن فصل احد المتواصلين وحرمانه من انس
صاحبه * وقد تكون لوعته اشد من لوعة الموت * لان فراق الميت مقرون
بالاسف والتحسر * وفراق الحي بهما وبالغيرة ايضا * وهى فى مقابلة اليأس
المتسبب عن فراق الميت بل هى اشد مضضا منه * هذا فى حق
المتزوجين المتحابين فاما فى حق الكارهين فلا اسف ولا حسرة على

كلا الحالين * ثم ان المحب المفارق اذا فارق حبيبته ورغد عيشه فى غير وطنه * من طعام لذيذ ياكله او مسامرة مطربة او سماع غنا يتلذذ بهما او رؤية اشيا بدیعة ووجوه ناضرة سنيعة تنقر بها عينه * فاول ما يخطر بباله انما هو حبيبته التآى فيقول فى نفسه * ألا ليتته لان حاضر عندى ليشاركنى فى هذا النعيم * فانى احسبه اليوم محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد * فكيف يتأتى لى ان الهوى وافرح وهو محزون * وكيف يمرتنى الطعام ويسوغ لى الشراب * وهو لان لعله مُقَدِّعُهُما وحشة واكتسابا * الى غير ذلك من الخواطر المكدرة * والافكار المحسرة * فاما اذا قاسى جهدا ونكدا بعد فراقه فانه يقول * ويئبا لى وويحا وويحا وويسا وويلا وويها * ان عيشى لان نكد ذميم * وحالتى موحشة وفوادى كليم * وقد جرى بينى وبين اليفى لاتفاق على ان نكون شركا فى السرا والصرا * والنعماء والباسا * واحسبه لان مفتقا منقما * مترفا مترفها * برثا برجا برثا طرجا * يسامرة فى الليل كل ربيز ظريف * ويجالسه فى النهار كل كيس لبيب * لا وكانى به اى بها تبتسم الان ابتسامة رضى واعجاب لمن اطرا على محاسنها وجمالها فقال لها * ليتك كنت تتخذين عوذة لثردت عنك عين الحسود * فانى لا اسمح بهذا الوجه المنير الوضاح ان يراه كل احد من الناس * ولا ينكر ان يتشبهق عليك من ابتلى بامرأة دمية فان العين حق وان جمالك فريد * فما يكون جوابها له الا ان تقول له * ما احسن عينيك فانهما تريان الشى كما هو * فاما عينا زوجى فان عليهما غشاوة * وان من مذهبه الفاسد ان يقول ان العين اذا الفت شيا مهما كان بديعا فى الحسن قل اشتياق النفس اليه * او كما تقول العامة ما تملكه اليد تزهد فيه النفس * غير انى اخشى

من انك اذا اكرت من النظر الى والقرب متى لا تلبث ان تتمذهب
بمذهبه فترانى على غير ما انا عليه لان * فيقول لها معاذ الله هذا كلام
الجهال * فاما الصادقون مثلى فى الحب * وهيهات مثلى * فانهم ابدا
يتمثلون بقول ابى نواس

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدته نظرا

وانى اشهد الله على وهو خير الشاهدين * وملئته المقربين * وانبياءه
ورسله المكرمين * انك اذا عاشرتني العمر كله فلن ترى عيني بشرا احسن
منك * فتقول له هذا شان الرجال دائما من انهم يتملقون المرأة ليفتنوها
ويخدعوها * فمرة يقولون لها تبارك الخلاق * ومرة افدى الغزال الشارد *
ومرة ياسعد من كنت له * او طوبى لمن راي طيفك فى المنام * وثارة
ينظرون اليها وقد غرغت اعينهم بالدمع * وثارة يزفرون وينحبون * كل
ذلك حتى يتمكنوا منها مرة او مرتين ثم هم من بعد ذلك عنها معرضون *
وبسرها بائحون * فحنن منكم على حذر * ولا يخفى علينا ما بطن منكم
وما ظهر * فيقول لها معاذ الله * حاش لله * استغفر الله * ما شانى شان
المتملقين الملاذين * ولا طبعى طبع الفاسقين * بل ان لسانى فى هواك
ليقصر عن بيان ما تجنه سرائرى * وما يخطر بخاطرى * فياليتنى اعرف
لغة اعتر بها عن فرط وجدى بك وتوقانى اليك * ولو اطلعت على ضميرى
لصدقتى وعلمت انى لست كاحد الناس وان غرامى فوق كل غرام *
فاطلى عشتري ولو بذون وصال ليتأكد لك صحة ما اقول * فتقول له
وقد فتحت لهاثها وزال ضرسها * وما الفائدة فى ذلك فان المرأة ليست
نجما يرصد طلوعه وغروبه * ولا برقاً يشام ليعلم هل هو خلب او ماطر *

ولا اجية يحاول فكها وايشاؤها * وما يهتها ان تكون اجمل من سائر
النساء وجهها وانما يهتها ان تكون اشوق للرجال وافتن * فان التشويق
لا يتوقف على الجمال قدر ما يتوقف على حسن الشائل والمحاضرة
والملاطفة والموانسة والغنج والدلال والافترار والحدقلة والترنجم والغرنقة
والوكوة والتراد * فيقول لها نعم سبحان من جمع جميع هذه الاوصاف
الحميدة في ذاتك الفريدة * فكل ما فيك شائق وكل ما في مشوق *
فتقول له وقد ازدهر وجهها سرورا واعجابا * قد يقال ان نبض العاشق
يكون مضطربا فدعني اجس نبضك لاعلم هل ما قلته صدق او لا * فيقول
لها نعم نعم خذي يدي فحسبها واجعلي يدك الاخرى على قلبي *
فتفعل ذلك * فيقول دعيني اذا افعل بك كما فعلت بي لتكشف
هذه الحقيقة لكل منا * فتجهت وتحمر عند سماعها قوله افعل بك
ويضطرب نبضها ثم تسكن وتمتد له يدها * فيحسبها باحدى يديه ثم
يضع الثانية على قلبها ثم يرفعها قليلا وقد احمر حملاقه واندلع لسانه *
ثم يزفر زفرة طويلة ويقول

لك الله من قرموطه ملأت يدي لقا بسها قبض على كرة الارض
لأسحمها انسان مقلتي الفدا وكل عزيز من متاع ومن عرض

فتقول له وقد دغدغت ولكن عروق الانسان النابضة فيه ليست في
يده وقلبه فقط بل هي في سائر اعضائه * فينبغي على هذا ان نجس كل
عضو فينا لنعلم آتينا اكثر حركة وانتفاضا ونغصانا ونبضا وآزا ونبضا وأزوحا
وحبسا * اذ لا يصح الحكم على شئ الا بعد الاستقراء والاستقصاء * فيقول
لها وقد طرب وجدا وجبورا نعم نعم نعم القول ما قلت * غير انه لما كان

لأنسان يجهل حاله وكان من طبعه ان يلاحظ فى غيره ما لا يلاحظه فى نفسه * كان لا بد من ان يكون هذا الاستقراء بالتخالف اى — فتبتدئه قائلة قد فهمت ما عنيته وهو معلوم بالبديهية ومستغن عن التفسير وهذا هو الذى قصدت * فهات يدك وخذ يدى * حتى اذا جالت لايدى بالبحث والجس * والمث والممس * والنجت والنجش * والبحث والمعش * والضبط واللمش * والطمث والملش * والفحث والفتش * والقبط والتمش * والمرث والمرش * والمغث والمعش * والنبت والنبش * والنقث والنكش * والنث والنتش * قالت وقد قوى حبصها ألا هيت لك * الا هيت لك * فان قولك على اى الحالين صدق * فيقول لها لبيك وسعديك لقد طالما شجحت يدى بالدعا لان اسمع هذه الدعوة المنعشة وهذه النعمة المطربة — أعلى هذا كان الفراق * ام من اجل هذا حسنت لى السفر بان قلت لى ذات ليلة انى ارى بك يارجل فتورا * فلو سافرت الى ارض طيبة الهوا. لعاد اليك نشاطك القديم * فعدنا الى ذلك النعيم * افكانت هذه حيلة منك على تغييبى ليخلو لك الميدان فتمرحى فيه كيفما شئت وتتعاطى علم جس النبض وحركات الاعضاء * الم يكن لى نبض كسائر الناس فتتعلمى به هذا العلم الجليل * ام تزعمين انه ضعيف لا يصلح لان يتعلم عليه * على انه ان يكن قد ضعف فانما ضعف بتسبك * وعهدى به من قبل ليلة عرسنا له ضربان وانتفاض وانغاض * افهكذا يفعل المتفارقون * وبمثل هذا يخون المترافعون * ايجل لك من الله ان تشتمى لان وانا فى حالة البؤس والشقاء * بطراً تجس العروق واننى عرق المجسة ان بى عروا * الم يكفى ما كنت اقايسه معك فى البيت حين كنت اغدو منه كادحا * وارجع اليه رازحا * وكانت همومك كلها

على * ولؤمك كله متوجها الى * فكنت انصب لراحتك * وأرق
 لاجاحتك (١) * والغب لشبعى * واجهد لترتعى * وابرد لتدفاى * واقلق
 لتهدأى * واتهجد لتهجدى * وانحل لمغدى * فقد تبين لان آينا
 ذو امانة * ومداينة وخيانة * واذ كنت اقول لك ان الامانة فى النساء
 اقل منها فى الرجال * فان الرجل ابدا مشغول البال * مضجع لاحوال *
 يليه عن اللذات كدّة ونجلى * ويصرفه عن هواه رشده وعقله * والمرأة
 لاهم لها الا تشويق الرجال * وفتنتهم بها فى كل حال * كنت تقولين
 لابل المرأة اكثر حشمة وجيا * واقل نهمة ورثا * واميل طبعا الى التعفف *
 وابعد خلقا عن التكلّف * فان جمعنا الدهر يوما وافضنا فى حديث الرفا *
 والمودة والصفاء * حجتك بما لا تقدرين معه على الجواب * وظهرت
 فضل الرجل على كل ذات نقاب * الحائشات الحائشات * المائعات
 الغادرات * فان ابيت الا الجحد والمكابرة * فالهراوة لدى حاضرة *
 واليد للطم واللکم مبادرة * فاذا امسكت بناصيتى او جيبى * واذعت
 بين الجيران ميبى * جعلت لك من الشجاب صليبا * او من الذأط
 نصيبا (٢) ومتى خطر بباله ذلك هاج به الغيظ كل هياج * وودّ لو يطير الى
 بيته مع العجاج * فيقلب فرجه ترحا و صفاوة تكديرا * قال غير ان للحزن
 فى مبادئه فائدة * وهى ذود شوارد الامال المغررة والامانى المحالة الى
 مراح البصيرة والرشد * بحيث يسكن البال * عن الحزم على موارد الحال *
 ويستقر الحال * على فطم النفس عن الاحتيال * والى هذا اشرت بقولى
 وسأت بمعنى خنق

وربّ حزن يصون القلب عن سفه كما يصون إناء واهيا صدأه
 وما انقضى من لذات الهوى عجلا سيات غايته عندى ومبتدأه

قال واروق الافكار وابدعها ما يخطر في نلثة احوال * الاول فى مبادئ
الحزن * والثانى فى الفراش قبيل النوم * والثالث فى بيت الخلآ *
فان هذه الحال لما كانت عبارة عن تحليل مواد متكاثفة تتنفس عنها
الامعآ والاعفاج * كان هذا التحليل والتنفس اسفل موثرا فى تحليل
ما تعتقد فى طبقات الدماغ العليا فى وقت واحد ومكان واحد * فىكون
بعض المواد ذاهبا سفلا وبعض الصور صعدا * كالبحار الذى يصعد من
الارض فىعقد سحابا مطرا * فقد عرفت مما مر انه يتحصل من
الحزن من الفوائد ما لا يتحصل من الفرح * لان الفرح يبعث
على الطيش والذهول وتشتت الخواطر فى اهواء النفس واطارها المنتشرة *
فهو عبارة عن تعدد اهواء وتغريق خواطر * والحزن عبارة عن
صمتها ولتمها * ولهذا كان جل العلماء من الصعاليك المبتسسين * وقل
من نبغ فى المعارف من الاغنيا والمترفين * الا ان يكون قد غرس فى
طباعهم نوع من الزهد والعزوف المقترن بالحزن * قال واحسن ما سنع
لى من الخواطر انما كان عن بواعث اشجان * وخوالج احزان * اما من
وحشة فراق او من خيبة وحرمان * او من حسد على علم وبراعة اما على
مال وثروة فلا * اللهم لا اذا كان لمصلحة كانشأ مدارس ومؤاساة محتاج *
وانى لاعجب من هولاء الرهبان فانهم معما هم فيه من الوحشة والحرمان
فما احد منهم نبغ فى علم او مائرة * ولو كنت راهبا لملأت الدير نظما
ونثرا والفت على العدس وحده خمسين مقامة * ليت شعرى كيف يمكن
لبشر اذا خلا فى صومعته ورأى تحتها الغياض المدهامة والبحر الساجى
والجوارى المنشآت * وعن يمينه وشماله الجبال الشامخة المكلفة بالثلج
وفوقه الرقيع الصافى وامامه القرى والمنازل * ان يقضى نهارة كله وهو يرمش

وَيَرْضُكَ (١) وَيَتَثَابَ وَيَتَمَطَّى وَيَمْلَأُ مَعْدَتَهُ مِنْ دُونِ تَالِيفٍ وَنَظْمٍ * (١) اَرْضُكَ عَيْنِيهِ
 وَلَا سِيَمَا أَنْ مِنْ حَسَنِ سَاكِنَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ مَا يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيَرْوِّحُ عَنْ غَمُضِهِمَا وَفَتْحِهِمَا
 الْبَالُ * فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَنَاطِرُ الْبَهِيْجَةُ كُلُّهَا لَا تَنْهِيْجُ هَوْلَ النَّسَاكِ عَلَى
 تَالِيفِ كِتَابٍ فَاتَى شَيْءٌ بَعْدَهَا يَهِيْجُهَا * هَذَا وَإِنْ كَثُرَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَدْ
 آفَوْا وَهُمْ فِي الصَّنَكِ تَالِيفٌ بَدِيعَةٌ * يَعْجِزُ عَنْهَا سَكَانُ الْقُصُورِ الْوَسِيعَةِ *
 فَامَا مَا قِيلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتِزِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَوَانِي دَارِهِ
 وَيَشَبُّ بِهَا فَلَيْسَ كُلُّ عَبْدٍ كَعَبْدِ اللَّهِ * فَاتَا نَرَى النَّاسَ لِأَنَّ كُلَّ مَا زَادَ
 ثَرَاهُمْ قَلَّ حِجَاهُ * وَالْحَاصِلُ أَنَّ وَحْشَةَ الْفِرَاقِ تَبْعَثُ الْخَاطِرَ عَلَى ابْتِكَارِ
 الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ * وَكَذَلِكَ الصَّدَّ وَالْهَجْرَانِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْمَطْلِ وَالْعَتَابِ
 وَالشَّفْوَنِ وَالِدَّلَالِ وَالْتِمْنَعِ وَالتَّعَزُّزِ مِنْ طَرَفِ الْمَحْبُوبِ * وَلَكِنْ لَيْسَ
 مَحْصُولُ هَذَا الْحَاصِلِ إِغْرَاءَ الْحَبِيبِ بِهَجْرٍ مِجْبَةٍ حَمَلًا لَهُ عَلَى النِّظْمِ *
 أَوْ تَعَمُّدَ الْفِرَاقِ بَعْدًا لَهُ عَلَى وَصْفٍ مَا يَجِدُهُ مِنَ الشُّوقِ وَاللُّوْعَةِ * فَإِنْ
 أَحْسَنَهُ مَا جَاءَ بِهِ الْمَقَادِيرُ دُونَ تَعَرُّضٍ لَهُ * وَهِيَ أَنَا أَبْرَى نَفْسِيْ عِنْدَ
 الْعَاشِقِينَ وَالْمَتَزَوِّجِينَ وَأَقُولُ * أَنَّهُ إِذَا جَرَى بَيْنَكُمْ وَحْشَةُ أَوْجَبَتْ الْفِرَاقَ *
 أَوْ فِرَاقٌ أَوْجَبَ الْوَحْشَةَ * أَوْ صَدَّ أَوْ هَجَرَ أَوْ لَجَأَ * أَوْ جَدَالَ أَوْ اعْتَلَجَ *
 أَوْ تَقَافَسَ أَوْ تَقَافَسَ (٢) أَوْ صَرَاعَ بِالشُّغْرَبِيَّةِ وَالشُّغْرَبِيَّةِ وَالْقَرْطَبِيِّ وَالْإِلْهَادِ (٢) تَقَافَسَا بِشُعُورِهِمَا
 وَالْدَهْشَةَ وَالظَّهَارِيَّةَ وَالْمُبَاشَّةَ وَالْبَاشَ وَالْعُرْضَةَ وَالنَّقْصَ وَالْمَرَاغَةَ وَالْتَنَسُّفَ تَوَائِبًا وَفَقَسَ فَلَانَا
 وَالتَّعَرُّقَ وَالْإِغْتَالَ فَمَا يَكُونُ عَلَى فِى ذَلِكَ مِنْ عِتَابٍ وَلَا مَلَامٍ * أَنْتَهَى جَذْبُهُ بِشُعْرَةٍ سَفَلَا
 كَلَامِ الْفَارِيَاقِ وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهِ * لَا أَنَّهُ لَمْ يَحْكُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ وَهُمَا يَتَقَافَسَانِ *
 الْحَزْنَ جُزْءًا خَرَعًا كَثِيرَ الْوَسَاوِسِ وَالْهَوَاجِسِ قَلِيلِ الْحِيلَةِ وَالتَّدْبِيرِ غَيْرِ
 نَابِتِ الرَّأْيِ وَلَا مُضَبِّ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ * فَانَّهُ لَمْ تَكُ دَارُ الْجَزِيرَةِ
 تَغْيِيبَ عَنْهُ حَتَّى طَفِقَ يَشْكُو مِنَ النِّسَاءِ وَمِنْ بَطْرَهِنَّ عِنْدَ غِيَابِ بَعُولَتِهِنَّ

عنهن * فسمعه الخرجى وزوجته فقالا له ما بالك تشكولا خوف عليك
من تعبیر الوحش مدة السفر كلها * واذا بلغت ارضكم ان شاء الله فلا
احلم لآ الاحلام البينة * قال ما شكواى من الوحش ولا الجن بل من
لانس * فانى سمعت اليوم كذا واوجست كذا ولعلّى ارجع واجد كذا
او لا اجد كذا او لا ارجع ولا اجد البتة * فلما سمعت زوجته بذلك
ثارت زبانية سقر من انفها فقالت له * هل بلغ من طيشك ان تسيى
الظن فى النساء المتزوجات * قال قد ظنّ فيهن ذلك من قبلى الحليم
الرزين * قالت ليست هذه الحلة عندنا نحن معاشر الافرنج هذا زوجى
ما يخامر ريب فنى * قال ان السيد مشغول بالاحلام بحيث لم يبق
فى راسه موضع لغيرها * اليس ان عالمكم بيرون يقول أخون ما تكون
المرأة ما اذا غاب عنها زوجها * قالت انه شاعر وان كلام الشعرا لا يؤخذ
به فى الحكم على النساء الا اذا كان نسيبا وغزلا * ثم بينما هم كذلك
اذا بالريح هاجت لأمواج فاضطربت السفينة ومادت اى ميد * فلزم كل
مكانه مدة اربعة ايام حتى ذهل كل من ركبها عما وراه وقدامه * وبعد
سفر اثنى عشر يوما بلغوا مدينة بيروت وهم جياع تعبون شاحبون
مبتسسون * والهالج يترقب اول فرصة من الدهر لهبوط الاحلام * فلما
دخلوا البلد كان اول ما طرق مسامعهم من كلام اهلها الركيك قول المخبر
ان اهل الجبل قد خلعوا ربقة الطاعة لوالى مصر وتجنّدوا عليه * فكان
اهل المدينة فى شغب واضطراب * وكان دوار البحر والفرار * لم يزل
يميد براس الفارياق * فصعد الى جهة الجبل ليرى اهله فلقى بظاهر
المدينة عسكر لاهلين مخيما * فهول عليه احدهم باطلاق بندقيته فطار
نصف قلبه من صدره ولم يزد قلب المهول شيا * لكن بعض الناس

يرتاح للاذى وان لم يحصل له به فائدة * ثم لطف الله به وانقذه من
 القوم فبلغ منزل اهله * فلما علم قدومه عند اهل القرية اقبلوا يسلمون عليه
 مثنى وثلاث ورباع * فكان ينظر اليهم ويتعجب منهم لبعد عهده بعاداتهم *
 فان النساء كن ياتين ويقعدن على الارض * فممنهن من كانت تقعد بين
 يديه القُرفصاء او الهَبْنَقَة او الاربعاء او الفرشحة او البرئطة او البرقطة او
 الفرشطة او القَعْفَرَى * او نُبْجاً او احتفازا او امتعاسا او استيفازا او اقعاء
 كَعْدَة القرد وهى مشمرة قميصها فتشقى سراويلاتها عن وِماحها * وهى
 عادة اَلْفَنها ولا يرين فيها عيبا * واكثرهن تبدى نديها سوا كانت كاعبا
 او هضلاً او طرطبة * ويومئذ افرغ عليه شحن المسائل فمن قائلة مالك
 يافاريق نحيلا * ومن قائلة وقد صرت ضيلاً * واخرى ما لسجنتك قد
 كسحت * وغيرها وطلعتك قد قُبِحت — ولاسنانك قد قَابِحت —
 وجهتك لُتِحت — واربتك فُطِحت — واسايرك اَزِحت — وبشرتك
 قُسِحت — وشفتك تَقَرَّحت — وعنقك شُقِحت — وعينك لُجِحت —
 وقامتك تَقَنَّحت — وشعراتك تَصَوَّحت — وعجيزتك رَسِحت —
 وذقنك طُحِحت — ولهجتك قَحَّحِحت * قال فتشامت من هذه القوافى
 وقلت لم يبق بعد تعدد هذا الحت الا ان يقلن وتلك قد نكحت *
 ثم قالت واحدة منهن ايه وهذه هُتَة قد زادت فيك * فقالت اخرى
 اُوّه وهذا شى نقص منك * ثم جعلن يقلبنه ويعرضنه كما يقلب الشارى السلعة *
 وكلهن يقلن بنعمة واحدة يافاريق يافاريق اين الطنبور واوقات السرور *
 اين ابياتك فى العقوص والطنطور * انسييت يوم كذا وليلة كذا * قال
 فكنت مسرورا بموانستهن وسلامة ضماثرهن عن المنكر كما هو خلق نسا
 تلك البلاد * فانهن لا يابسين من لمس الرجال والدنو منهم ومماسه الرُكَب دون

الرَّكَب * لا انه كثرت مسائلهن على * وطال قعودهن بين يدي * وانا
محتاج الى الراحة والانفراد * ومع ذلك فمجلس النساء مونس على كل حال
ولا سيما لمن مضى عليه في البحر اثنا عشر يوماً من دون رؤيتهن * فلو
نتفن بعد هذا العهد الطويل لحبته وشواربه بالمسائل لما لحقه من
ذلك اذى * قال واعجب من ذلك انى كنت ارى لامراً يقعدون
على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد * وربما
اجتزأوا بالبيض والارز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون
شراب ولا فاكهة ولا نقل * وارجلهم طاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا
نعالهم بالقرب منه فتبقى بمرأى منهم * وترى بعض خدومهم يقوم على
روسهم اى بازائها لا فوقها وفي حزامه المعلقة * وآخر فى جيبه الطاس
من فضة اشارة الى غنى الامير والى كونه كاحد الناس غير مستغن
عن اللعق والشرب * وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا
سمير له فيسامره ولا آلة لهو تطربه * وقد يقضى ساعات من النهار
هكذا بل يوماً وإياماً ولا يرى من امرأة اصلاً * حتى تعمش عيناه
ويظلم فكره وتلقس نفسه وتحرض معدته * فاین هذا من مجالس
الافرنج التى تزين بالمتكآت النفيسة وتفرش بالزرابي الفاخرة
وتوطأ بالنعال * ولا تزال الحسان مقلات عليها مدبرات * فمن هيفاً
تشرفها بوطأة * ومن غيداً بطفرة * ومن زهراً بزفنة * ومن وطباً
بحركة * ومن دهساً باضطجاعة * فمن يصبر على هذه الحال * فيامير
الناد * وواحد الامجاد * وراكب الجواد * ورامى الجريد على العباد *
قل لخدامك حامل الطاس ينح نعليك من امامك * بل البسهما وتعال
معى الى بلاد الافرنج لتنظر لامراً منهم مخاضرين لازواجهم واولادهم

سائرين بهم الى المنازعة والحدائق ومواضع اللهو واللعب والطرب * ولا حرج
على ازواجهم ان يبتسمن او يملن اعناقهن او يتفرسن او يوكوكن او يحدقلن
او يحرجلن او يفرجلن او يهرجلن او يهركلن او يتبازين او يكبن * ولا
على اولادهم ان يطفروا ويمرحوا * حتى اذا كحلوا اعينهم بروية الكحل
باتوا ليلتهم تلك على الوئير من الفرش مع وثائهم * ليت شعري لم لا
تضم اليك مع جملة هولاء الحقان والوصفا والبساتنة والساتنة والهبانقة
والمهنة والمناصف والنصف والحفد والمقاتنة والخدم والحشم الذين
حولك ثلاثة نفر من العازفين باللات الطرب * ليجلوا عن خاطرك صدا
هم الوحدة والاعتزال في كل يوم عند الاصيل او في العشا * وأذن لي في
استعطافك لان تاذن لجيرانك في ان ياتوا هم ايضا يطربوا لطربك *
فيدعوا لك بتأييد دولتك * وتخليد غبطتك * ودوام بقائك * وسمو
ارتقائك * وفي ان اسالك لم لا تعين في العام عيدا لمولدك او لمولد
السيدة او الاولاد المحروسين * فيكون يوم فرح وحبور لك ولجميع من
ينتمي اليك * بحيث تصطنع فيه مادية وتدعو اليها دعوة جفلى لا تقرى *
أتى خير في رمي الجريد واصابتك به كتف خويدمك العبد الحقير
او صرسه حتى تعطله عن الاكل وانت لاه عن احسن الرمي واصوبه
واصرده وامرقه * وانت آمن هناك من ان يقال لك برحى برحى بل يقال
لك مرخى مرخى * هذا ما عدا ايلام ابطك الفاخر العاطر برمي الجريد * وما
الفائدة من وقوف الخويدم بين يديك وفي حزامه الملحقة او على
راسه الخوان او على صدره القصعة والباطية او بيده العس والقعب او
على عاتقه المائدة او على عنقه القدر * وانت لا تاكل مع السيدة واولادها
ولا تاخذ ولدك وتضعه على ركبتيك * ولا تحمله على ظهرك ولا تتطاطأ

له ليشب فوق راسك * ولا تحتجره ولا تحتضنه ولا تتوركه ولا تعانقه
ولا تحول له خدك ليوسك * ولا تمكنه من ان يعبت بشاربك او يعص
اصبعك او انفك ليضحك قليلا فاضحك انا كثيرا * ولا تطعمه بيدك
ليعرف انك محسن اليه * ولا تاكل شيا مما يلوكه * ولا تركبه على جحش
وتنقود به الجحش ولا تغنى له فى الليل ليرقد على نغمتك فيقوم فى
الصباح يغنى لك غنا اطرب من غنا الفقيس ومعبد وابى البداح وسواط
والعنت وخيلان وعمر بن بانة والزنام وممدود بن عبد الواسط الربانى
وزلز وعرفان والجراذيين وابنة عفزر وسلامة وشمول وابن جامع السهمي
ودبيس ورقيق وابن محرز والمشدود وهاشم بن سليمان ودحان الاشقر
وطويس وابن شريح والدلال بن عبد النعيم وابن طنبور اليمنى وحكم
الوادى وابرهيم الموصلى * واشجى من

الرئم ومن صوت كل دُعْب غريض الرئم المغنيات المجيدات والغريض
المغنى المجيد ومثله الدعب *

ولا تبابسه ولا تغازله * باباه قال له بابى انت *
ولا تناغيه ولا تباغده * باغده حادثه بصوت رخيم *
ولا تنادغه ولا ترامده * نادغه غازله ورئمت الناقة ولدها عطف على ولزمته *
ولا تنغره ولا ترخمه * نغراصبى دغدغه كنغزة ورخمت المرأة ولدها لاعتبه *
ولا تهينم له ولا ترعمه * رعمه مسح رعامه اى مخاطبه غير ان صاحب القاموس
خصه بالمرأة بل المتبادر من عبارته انه مسح رعام
الرعموم للمرأة الناعمة فالعفو مرجو منهما على كل حال *
ولا ترزم لرزمته * ارزمت الناقة حنت على ولدها والرزمة
صوت الصبي *

- ولا تتجث عليه * تجث عليه رثمه واحبه وتلفى على الشى يواريه *
- ولا تنقرمه ولا تسمته * التقرير تعليم الاكل والتسميت الدعا للعاطس (١) * (١) فى تعريف التقرير
- ولا تُفدى له ولا تُصْهيه * افدى فلان رقص ابنه وأصْهاه دهنه بالسمن ابهام على فان التعليم
- ووضعه فى الشمس * هنا يحتمل ان يكون
- ولا تدسم له نونته * النونة النقرة فى ذقن الصبي الصغير وكذا من العلامة فيكون
- الفحصه وتدسيمها تسويدها كيلا تصيبها العين * الاكل بمعنى الطعام
- ولا تبدى له البججة * البججة شى يفعل عند مناغة الصبي * ويكون المراد به
- ولا الحوفزى * الحوفزى ان تلقى الصبي على اطراف رجله فيرفعه * ما اراده بقوله فى
- ولا تقول له حلقه * قولهم للصبي اذا تجشأ حلقة اى حلق راسك رسم الرشم خشبة
- حلقة بعد حلقة * مكتوبة بالنقر يختتم
- ولا بجباح * بجباح كلمة تنبى عن نفاد الشى وفنائته * بها الطعام وفى رش
- ولا محماح * هو كقولهم بجباح ومثله حنحام وهمهام * م رشم الطعام ختمه
- ولا كنج كنج * يقال عند زجر الصبي عن تناول شى * ولا فهو فى محله *
- ولا تعنى بدنعه * دنع الصبي جهد وجاع واشتهى وطمع وخضع وذلل ولؤم *
- ولا بققته * صوت يصوت به الصبي او يصوت به اذا فرغ *
- ولا تكثرت لبأبانه ولا لببته * بابا الصبي قال بابا وببة حكاية صوته *
- ولا لتغثغته ولا لتغثغته * التغثغة حكاية صوت الضحك والتغثغة
- عص الصبي قبل ان يتفر *
- ولا لتأفاته ولا لدأداته * التأفأة حكاية صوت وهى ايها مشى الطفل والدأداة
- صوت تحريك الصبي فى المهد *
- ولا لدعبه ولا لحتارشه * دعبع حكاية لفظ الطفل الرضيع وحتارش
- الصبي حركاته *

ولا لإذرامه * ادرم الصبي تحركت اسنانه ليستخلف أخر *
ولا لفصيصه ولا لانتداعه * فص الصبي فصيصا اذا بكى بكا ضعيفا وانتدغ
ضحك خفيا *

ولا تبالى ببعقاده * المعقاد خيط فيه خرزات تعلق فى عنق الصبي *
ولا بقرزحلته * من خرز الصبيان *
ولا بدراجته * الدراجة الحال التى يدرج عليها الصبي اذا مشى *
ولا بحقابه * الحقاب خيط يشد فى حقو الصبي لدفع العين *
ولا بصمته * الصمته ما أصمت به الصبي من طعام ونحوه
ومثلها السكته *

فبحق عبوديتى لك ياسيدى ودائى عليك لا ما وضعته يوما على
ركبتك او اركبته على ظهرك * ثم لا باس فى ان تدعه يلعب مع اولاد من
هم متسمون بشرف خدمتك فانه لم يزل بعد صغيرا لا يعلم هذه الفروق *
ثم لا باس ايضا فى ان تسهر هذه الليلة فى حريمك المحترم مع بعض
رجال قريتك وازواجهم ممن يتادبون فى المحاضرة بحضرة النساء * فانى
ارى صدر السيدة قد ضاق من الوحدة وما عندكم من كتب او لهو
حتى ينشرح بها * ولا غرو ان تستفيدا كلاكما من مسامرة رعيكما شيا *
فان راس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من راس لامير عن ان يشتمل
على آراء سديدة مما يخلو عنه راس غيره وان يكن اكبر عمامة منه واغظ
قذالا * وكيف ترجولن تكون السيدة وبناتها ذوات رشد ودراية وهن
مقصورات فى الدار العامة * ام كيف ترضى لهن وحاشاك الجهل والغباوة *
وانتم ياسادتى الحكام والمشايخ والكبراء والمطارنة جربوا مرة ان تجتمعوا
باهلكم وازواجكم مع اهل جيرانكم * (ولكن المطارنة ليس لهم ازواج

لتنزههم عن الواج) وان ترفعوا فرق المذاهب من بينكم فذلك ادعى
لكم الى الحظ والسرور * انما الدنيا نسآ انما الدنيا البنون * اعلما رجكم
الله ان الاجتماع بالنسآ لا يخل بشرف المنصب * اعلما هداكم الله ان
فرق الآراء فى الاديان لا يمنع من اللفة والمخالّة * اعلما اصلحكم الله
ان فى حل لانسان ولده على ظهرة وتطوّقه برجليه اللطيفتين للذة اعظم
من لذة تطويل الجنب وتوسيع الاكمام وتكوير العمامة ومن وقوف الخدمة
وايديهم على صدورهم * اعلما فقهكم الله ان العرب لم تخص حركات
الطفل باسماء الا وهى تريد ان تلاحظوها وتنبهوا لها * حتى انها وضعت
لخدّته حرفين غريبين فى التركيب لا ثالث لهما فى اللغة كلها وهما
الصّصّ والقّقق * اعلما وفقكم الله ان مستر ومسيو وهر وسنيور انعم
منكم بالا واحسن حالا * اعلما نصركم الله ان الفاريق رجع لان الى
بيروت وانى انا العبد الحقير كاتب سيرته مفكّر فى انشاء مقامة تسرّ
العزب منكم والمتزوج معا *

(حاشية اظن سادتنا المشار اليهم ما سمعوا النصيحة فواج كلامى معهم فى الريح)
(تنبيه قد اطلت الكلام فى هذا الفصل الموزن بالفراق ليقابل
فصل الزواج)



الفصل الثالث عشر

في حقامة مقيمة

حدس الهارس بن هنام قال * سؤل لى الختاس * (اعوذ بالله من هذا
 لا فتاح) الذى يوسوس فى صدور الناس * كل غميس وعماس * ان
 تزوجت امرأة خراجه ولاجه * هياجه نباجه * مرغامة معذامة * لؤامة رطامة *
 خبعة طلعة * خليعة جلعة * تجاوب ولاسؤال * وتبارز ولا قتال * وتقترح
 على اشيا يعجز عنها الدينار * وترمينى فى مهالك دونها النار * فكان دابى
 ان اصبر مرة عليها عذيرا * واخرى ان اشكو اليها فلا تزداد الا شرّة ونفورا *
 ولا ينجع العتب فيها نقيرا * فقلت تالله لأجفرنّ عنها واوهم ان بى
 جفورا * او لاصربن فى الارض لاعلم هل ارى لها نظيرا * فاخترت الراى
 الثانى * بعد التعوذ بالمثانى * وخرجت من بيتى كشييا مبتئسا *
 ساخطا على جميع النساء * فيينا انا فى بعض الطريق * اذ مربى سرب
 منهن يخطر بالشوب الصفيق * والحلى ذى البريق * وقد ارجت لارجا
 بطيبن العتيق * فرايت من بينهن الهيفاء والبدين * والغرا الزهرا صرة
 حور العين * ومهندة العنين * فتاقت نفسى الى وصالهن * وتبلبل بالى
 بجمالهن * ونسيت ما لقيت من لكاهى فى البيت * وقلت ليتكن
 لى لو تنفع لى * ثم انشدت

ارى للنساء الماشيات حلاوة فهل هن حلوات كذا فى المقاصير
ولست ارى فى القتي ان مشت وان اقامت سوى مقت وكرة وتمير
اراهها بعينى حيث كانت بعينها فهل ذوعنى غيرى يراها من الحور

فابتدرت الى واحدة منهن لها عنق كعنق الغزال * وحاجب كالهلل *
وقالت خفى عنك فما انت وحدك فى الرجال * ان زوجى قد قال *
افكر فى لئامة طبع زوجى فاكراه كل انثى فى النساء
واحسب انهن مغايرات لها فاحبهن على السواء

ثم التفتت الى اخرى وجبينها يلمع كالصباح * ولحظها يدمى كالصفاح *
وقالت اسمع ما قاله زوجى فى * ولا تك من قارفى *

تخوض زوجى فى كل الفنون وما تخشى خطأ ولا ردا مع الطرفا
تكون غالطة فى كل مسئلة وليس تغلط يوما ان تقول كفى

ثم تقدمت الى اخرى وحبب عرقها كاللآلى * وحالك فرعها كالليالى *
وقالت دونك ما نظمته فى بعلى * وانظر هل يصدق ذلك فى مثلى *

تود زوجى شططا اننى عبد مخيلق لمرضاتها
وان تشهت حاجة لم تنل اكون خلاقا لحاجاتها

ثم دنت منى اخرى وهى تهتز عجباً ودلالا * وتبسم عن شنب ما راي
الناظر له مثالا * وقالت هاك ما انشدنيه كفيحى من اول ليله * آذن
منها بالبور والويله *

لزوجى خلقة أضعاف مالى من الشفتين والفم واللهاة

فكيف يُتاح لى اشباعها وهى تصرخ كل وقت هات هات
فأما أن تصعفى لى اداة وآلا فارتكاب الترهات

ثم اقبلت على الخامسة * وهى من الخفر كالطبية الكانسة * وقالت
انشدك ما قال فى شيخى فى الليلة السادسة * وهو

ان قال غيرى قد يقال زوجة فأننى اقول زوجى دون ها
اذلارى التانيث فى اخلاقها بل الفحول فى العراك دونها

ثم تقدمت السادسة * باشة آنسة * وقالت اروهذين البيتتين * عن
حليلى الذى اعتاد قول المين * وهما

تراقبنى زوجى عليلا وسالما نهارا وليلا نائيا وقريبا
فصرت اذا عانقت فى النوم طيف من احب اراها بالوصيد رقيبا

ثم دلفت السابعة * وكانت ذات حقيبة سابغة وطلعة رائعة * وقالت
وفى معناهما قال زوجى المفتى * واجتزا على بما لم يكن رجل على
امراته يجترى * وذلك قوله

تغار زوجى على حتى اذا راتنى مرضت تمرض
فما راتنى فى حالة ما آلا وكانت لها تعرض

ثم انبرت الثامنة * وهى على ما ظهر لى رافنة زافنة * وقالت قد سمعت
زوجى يتغنى بهذين البيتتين * بعد اسبوعين * وهو مطرق الى الارض
كمن فقد العين * وبُشّر بالحين * وهما

تودّ زوجى ان لى شائين من مفاضحا
هَن جَارِ قازحسا وقرن ثور ناطحا

ثم استقبلتنى التاسعة * وهى تفتّر عن لائى ناصعه * وقالت ونحوهما ما
قاله فى ابو ولدى * وقد حفظه كثيرا فى بلدى وفى غير بلدى *

ان زارنى عالم اوجاهل بدرت زوجى اليه وخاصت معه فى الجدل
فان تجده خبيرا بالبعال تقل كل العلوم انطوت فى صدر ذا الرجل

ثم تصدّت لى العاشرة * وهى ذات قامة معتدلة وعين جائرة * وقالت
واظطع من ذلك * ما ينشده رجلى فى المنازل والمسالك * وهو قوله

ان يزرنى يوما فتى ذو صلاح افسدته زوجى فراح خليعا
او خليع مستهتر اطمعتة وعليه غارت وحامت ولوعا

ثم دعتنى الحادية عشرة * وهى متمائلة مسبكرة * وقالت ان زوجى
الستى الظن * قد جازف الكلام فى بما لاح فى باله وعن * فقال

ترى زوجى الرجال فتتقيهم وليس الامر عن حبّ الصلاح
ولكن خوف ان يغشى عليها من القوم الشديد الى السفاح

ثم مالت الى الثانية عشرة * وكانت قصيرة حادرة * تارة حارة * وقالت
عقما وعقرا * عن مثل زوجى الهرا * فانه هجا النساء طرا * اذ قال

ليس العفاف من النساء سجية لكنه سبب الى الافساد
كالضرس ثقلعه ليسلم غيره وعلى الذى باينت حزنك باد

فقلت لا جرم لا قصدن متاب هولا الشعرا * ولا اتخذنهم لى عشا *
ففسى ان آنس منهم رشدا * واجد عند نارهم هدى * فان من كلامهم
لجكما * ومن آثمهم لأما * وكان من عادتهم ان ينفردوا عن القوم * فى
كل يوم * ويتذاكروا امور الدنيا من العصر الى المساء * ولا سيما امور النساء *
فاستقصيت عن محشدهم * ودللت على مقصدهم * فاذا هم بجملتهم
قاعدون على دكة عند البحر * وقد ضربوا لهم سرادقا يقيهم من الحر *
فسرت اليهم * وسلمت عليهم * وقلت هل لكم فى ان تجالسوا من يمت
اليكم بالوداد * وقد بلغه من كلامكم ما وّخاه اليكم عن رشاد * قالوا مرجبا
بالقادم * وان يكن غير منادم * فلما استقربى المجلس * انبرى واحد
منهم ينبس * قال * لا بد لى من ان انهى ما شرعت فيه * وظهر لكم
مكونه وخافيه * نعم لمن خلق هذا الكون الا لهن * واى رجل ما ناله
محالهن * وعناه وصالهن * ومناه محالهن * فهن المتمتعات بدرز الدنيا
ونعيمها * ولذاتها وطعومها * وحليها وجواهرها * وتحفها ونوادرها * يقتصرن
علينا الممكن والمحال * ويكلفننا امورا دونها دق اعناق الرجال *
لكل عضو من اعضائهن حلى يزينه * وربما اتخذن له ائنين وثلاثة ولا
تريه * ثم ابتسم كاشرا عن نابه * واستمر فى خطابه * وبكل جراحة منا
جراح منهن لا تؤسى * وحزازات لا تنسى * يتهالك فى حبهن المالك
والمملوك * وسوا فى الحاجة اليهن الغنى والصعلوك * وانهن يرمين
الرجال فى مهالك * ومضايق ومراكب * ليكفوهن مونة الاطيبين *
ويفيزوهن بفرض البين * فيخوضون البحار * ويقتحمون القفار * ويعرضون
انفسهم لحد السيف * ولحر الصيف * وبرد الشتاء * وذل الاختاء * ودهمات
الاعداء * ودهمات الأرداء * ومقاساة الظما والسغب * ومعاناة الشقا والتعب *

ومداراة الرقيب * ومباراة المعيب * ولاغضآ عن الشين * ولافضآ الى
الحين * وطالما قفل اقدم الى بيته فوجد فيه قفل عرضه مفتوحا *
وسرآمره مفضوحا * فرأى فى موضعه صَيِّزنا وزبونا * وقرينا وقرونا *
وكثيرا ما آب وقد شتر شدقه * او وقصت عنقه * او كسرت ساقه * او
إئف جلاقه * او ضاع ماله * وسآت حاله * فاول ما تبندره به من الكلام *
قولها له قبل السلام * ابن الطُرفَة * وكم من نُحْلَى وتُحفة * ولو انك
كسوتها حلة بوران * واسكنتها قصر عُمدان * واطعمتها افخر لالوان *
وسقيتها من الرحيق من يد الولدان * وطربتها بالعيدان * ونزتها فى
رياض الجنان * وجلتها على الاكناف * وواليت عليها الاطافى * لما
رايتها عنك راضيه * ولا لحاجتك قاضيه * والويل لك ان ناهزت الخمسين *
وعجزت عن التموين * او بدا الشيب فى عارضك عند الاربعين * او
اصابك مرض فى بعض السنين * وهى عند ذلك تتفتى وتصبى * وتُصبى
من يرضى ومن يأبى * فتغادرك فى الفراش منهوكا * وتلازم الشباك
وتشير منه الى من يلبسها وشيكا * أن اغتنم من الدهر هذه الفرصة * فما
من دونها غصه * اذ هو فى الفراش لا يعقل ولا يعى * ولا يبصر من يكون معى *
ثم تاتى اليه فتقول ارض يارجل فقد ازف رحيلك * وجفاك طبيبك
وخليلك * وملك عائدك ومقيلك * وانت خير ياذا الحليله * بانه لن
يعجزها فى الاجهاز عليه حيله * وانها اذا رامت ان تتخذ فى كل يوم
خليلآ * ألفته ورآ الباب عتيذا فعولا * معاردا وصولآ * فوسيلتها اليه غمرة
بعينها * ومُنيتها لديه شُخبة تطفى اوارم غينها * بخلاف الرجل فانه لا يزال
بحرفته مشغولا * مكبلا بهممه معقولا * او يخشى انقباضا وترويلا * او صرف
درهم لن يجد منه بديلا * فكيف يقال ان الرجل والمرآة فى التكفل بآدل

المعاري سيان * وفي التكلّف لحمل المغارم عديلان * فهل فيكم من
 محبب * عن هذا الامر المريب * فتصدى له الذي هجا النساء جميعا *
 وقال دونك الجواب سريعا * فكن له سميعا * ولالحق مطيعا * انى انما
 هجوت النساء لا من حيث انهن اسعدنا واسلم آفات * او اقدر على
 اللذات * وافوز بالمسرات * بل من حيث انهن خلقن لنا فتنة وضلالا *
 وعذابا ونكالا * فما قلته فيهن فقد قلته عن حسد * وما اقله لان فهو
 عن تحرّ ورشد * ان المرأة ما دامت فى بيت ابويها عانسا * لا تزال
 محظورة لا ترى لها اليفا ولا مؤانسا * واخوها اذ ذاك يرتع ويلعب *
 ويلهو ويطرب * ويسافر ويتغرب * يالف من يالف ويصحب من
 يصحب * وكلما زاد مرحا * زاد ابوه ابتهاجا به وفرحا * فاذا تزوجت
 صارت تحت حظر بعلمها * وصار هو مالك ناصيتها وولى فعلها * فلا تكاد
 تخرج من بيتها الا باذنه * ولا تاتى امرا الا اذا استوثقت فيه من امنه *
 فان قال لها لك ان تفعليه * كان كالمتمنّ عليها بتراث ابيه * وان قال
 لن تفعلى * رجعت وعبرتها كالولي * وبنار حسرتها تصطلى * ثم ان عليها ان
 تتملكه اذا سخط مخافة بطشه * وان تقوم بخدمة رحله وحفشه * وتطبخ
 له كل يوم ما يقترح عليها * وتجدد له من قديم متاعه ما يلقيه اليها *
 وتحفظ نضده * وتقوم اوده * وترتئ ولده * فكم ليلة تبست تداريه فيها
 وهو يملأ المكان غطيّا * وجخيّا ونحيطا * فهي التى ترضعه وتغطمه
 وترشده وتسرهده * وترعاه وتتعهده * وتوقظه وترقده * وتلعبه وتلبيه *
 وتعلله وتراضيه * وتوانسه وتسليه * وتجالسه وتمنيه * وتنظفه وتمشطه *
 وتمرضه وتحوطه * وتمشيه وتحمله * وتستدرجه وتنقله * وتغسله وتلبسه *
 وتعطره وتطوسه * وتدفعه وتلبسه * الباء اطعمه اللبا لاول اللب

وتداند وتهدنه * الدادة التحريك والتسكين ولاهدا التسكين *
وتزفرقه وتباغمه * الزفرقة الترقيص كالزهرقة والمباغمة تقدم ذكرها *
وتربته وتهممه * التربيت ضرب اليد على جنب الصبي قليلا لينام
والهممة تنويم المرأة الطفل بصوتها *

وتهدده وترعمه * هدهد الصبي حركه لينام والترعيم تقدم ذكره *
وتداعبه وتطايبه * وتدندن له وتقاربه * قاربه ناغاه بكلام حسن *
وتهدنه وتصربه * هذن الصبي ارضاه والصرب عقد بطن الصبي
ليسمن *

وتدغره وتضببه * الدغرف المرأة لهأة الصبي باصبها وضبب الصبي
اطعمه الضببة * وهي سمن ورب يجعل له فى عكة *
وتدربه وتذربه * التذريب جل المرأة طفلها حتى يقضى حاجته *
وتقرمه وتجوربه * التقريم تقدم شرحه وجوربه البسه الجورب *
وتجلسه وتنسسه * ننس الصبي قال له اس اس ليبول او يتغوط *
قلت والقياس ان يقال ايسه *

وتعوذه وتنجه * التنجيس تقدم ذكره فى الفصل السادس عشر من
الكتاب الاول *

وتقبطه وترسعه * رسع الصبي شد فى يده او رجله خرزا لدفع العين *
وتزينه وتزهنه * هذا ولولم يكن للمرأة من غصة فى الاجل غير الحبل لكفى *
وذلك لمقاساتها بعده اذا كان من بعلها * ما لا يقدره غير مثلها * ولافتصاحها
به من غيره * على فرض عدم شعورها بضيرة * فقد قالت العلماء ان وضع
المرأة جنينها من غير حليلها غير ذى الم * لكنما يعقبه بعض السدم * ثم
ان المرأة ممنية ما عدا ذلك باحوال عسيرة * واطوار كثيرة * وذلك

كأجلها وجسها وعيقتها وأفلها وتوجبها وكأحشاشها ودحاقها * وإسقاطها
 (١) الأحجال ان ينزل لبن وإزلاقها * قبل الوضع وبعده (١) * وكنفاسها مدّة * هي برزخ بين الموت
المرأة من غير جبل والحيوة وعدّة * وكالقرء الذى يأتيا في كل شهر * وغير مرة يمينها بالبر *
والحسّ وجع يأخذ * لانه اذا تأخر عن وقته اضنى ظهرا * وان قلّ او كثر اضنك صدرها *
النفسا بعد الولادة واذهب صبرها * وكوجها وتفرّثها وتأنفها شهوات في مدة الحمل كثيرة *
والعيفة هي ان تلد لا يمكنها الصبر عنها وان تكن ذات مريّة * وهي ج جائشة النفس
المرأة فيحصر لبنها صبيتها * وجاشيتها ولقتها * واهية القوى * واهنة الشوى * وغير ذلك
 في ثديها فتضعها من العلل والاحوال * التى سلمت منها الرجال * ومن نظر بعين الرشد
جارتها المرأة والمرتين والانصاف * لم يتهمّل للخلاف * قال الهارس فكانّ الخصم انكسرت
والافل ذهاب لبن شوكته * وفترت سورته * فعارض بالمواربه * ثم خشى المشاغبه * فقام
المرضع والتوجيب احدهم وقال حسبنا يا قوم ما سمعنا * ودّعوا الفصل اذا ما رجعنا * ثم انفثوا
انعقاد اللبا في الصرع والادلة معتلة * والعقدة غير منحلة * فقلت عسى ان اصادف من عنده
والاحشاش يبس بذلك الخبر اليقين * واكفى مونة السؤال والتخمين * فقد رايت لاثنين
الولد في البطن كفرسى رهان * وفارسى علم وبيان * بيد انى اخالهما قد نطقا عن الهوى * ولم
والدجاج ان تخرج يتحرّيا الصدق الذى ينبغى لمن حدث ورؤى * واذا بالفارياق *
رحم الناقة بعد يهرول في بعض الاسواق * وبيده زنبيل يودعه من الماكول ما حسن
ولادها والتفرث لعينيه وراق * فامسكت من فرحى بالزنبيل * وقلت الدليل الدليل *
غثيان الحبل * قال هو جوع برّقوع * برّقوع بركوع * لا ينبغى ان يقيم عليه دليل ولا
 برهان * ولا بيّنة ولا شاهدان * وان القاضى نفسه لأجوع الناس الى
اللّمجة * واسبقهم الى الغمجة * وان شئت فقل الى الغنجة * فقلت
 انما الدليل على تلك * ولك الامان على ما فى زنبيلك من الملك *
 قال ما خطبك * وممّ كربك * اخى حديث النساء كنت تخوض مع

الحائضين * وتحرض مع الحارضين * قلت بلى لامر ما جدع قصير أنفد *
وللمقدور غادر الأليف إلفه * ثم أخبرته بما جرى لى فى البيت ومع
النساء وعند الشعراء * وقلت ادفنى الجواب بغير مرآ * فاطرق ساعه *
وقال هاكه على قدر الاستطاعة * فان الجوع قد ابدى فى خراعه * ولم
يغادر بى للشعر خواطر صداعه * وهو

تكافا الزوجان فى اللذات	واستويا فى أرب الحياة
قوى افعدى مثل لهات هات	وطاوى ندى لآت ات
والمرء فى الصبى على الترات	اقدروا أجرا من الفتاة
لأنها كثيرة العلل	غير القروء ساء من شكاة
حتى اذا ما قيل كهل عات	دار لها الدور الى ميقات
غايته الستون للشطات	وبعدها عدا من الرفات
نعم يسوء المرء بين النات	ضعف له اذ ذاك فى الاداة
لكن لها من اعظم الغصات	المجربات جرض الممات
أن تبعتها ياتى من اللدات	وهى تريد فتى الآرات
كل له سهم من الهنات	مؤرب حتى الى الممات

ثم عدا بزنبيله * وجعل يتحوفه ويعيث فى قلبه * قال فصدعنى بالحق
أى صدع * وعلمت انه غير ذى ضلع * فملت الى موادة زوجتى * وتسكين
هوجى ونوجتى * فأتيت منزلى * فوجدتها دآبة فى عملى * فاكبت على
عناقها معانقة المشتاق * وانباتها بما قاله الشاعران والفارياق * فقالت
جزاه الله عنى خيرا * ولا اراه فى غربته ضيرا * ثم اقمنا على الوفاق *
وتعاهدنا على حفظ الرفاق *



الفصل الرابع عشر

في جوع ديثروع ديثروع

~*~

لما رأى الخرجى ان سكناه فى بيروت لا تصلح لجسده ولا لراسه
 عزم على الشخص منى الى الجبل * فالتقى فى روعه ان يسكن فى
 دير للروم * فسار بزوجه وبالفاريق فاقاموا فى قرية تحت الدير
 يومين * وكان يانس بالفاريق بعض الحسان منها ويواكلنه *
 فلما علمت احداهن انه صاعد فى الغد الى الدير طفقت تبكى *
 فكانما ظنت انه نوى الرهبانية * فظهر له انها خالفت عادة النساء
 لانهن يحببن الرهبان اكثر من العامة * فان فتنة النساء العباد
 تتوقف على روم وكيد ابلغ وهو ما يلد للنساء او بالعكس * حتى
 اذا راينهم طوعا لهن رجعن بعد ذلك الى ما كن عليه ليختبرن
 جميع صروب الحب فلا يفوتن منه شى * والحاصل ان الفاريق
 بكى على فراقه هذه ثانى مرة فى عمره حتى صار يحسب فى عداد
 المحبوبين * وانه ذهب فى الغد الى الدير واتخذ له فيه صومعة
 بلا قفل ولا مفتاح فصار من جماعة باعز بائ (الذين ليس
 لابوابهم اغلاق * قلت وهو بنا غريب) وكان ذلك الدير
 منتابا لجميع اهل القرى المحيطة به * فانهم كانوا يودعون فيه امتعتهم
 خوفا من هجوم العساكر المصرية عليهم * لان الدير حرم آمن *

وكانوا اذا جاوا اليه يدخلون جميع الصوامع من غير محاشاة ومن
جملتها صومعة الفارياق * فكانوا اذا وجدوا على فراشه اوراقا فيها
تفسير حلم او غيره تلقفوها وقراوها * فمنهم من كان يفهم منها قدر
ما يدور به لسانه * وآخر قدر ما يدور به راسه * وآخر قدر ما يدور
به جسمه كله فيوليه ظهرة ويخرج * ومنهم قدر ما تدور به يده
فيرفعها ليبطش بالكاتب والمكتوب معا * ومنهم من كان يسخر منها ويقول
انما هي اضغاث احلام * ومنهم من كان يقول انها لا تصلح لوقت
الحرب ولم يجد منهم من استحسنها * وكان يدخل ايضا مع هؤلاء
الدامقين دامتات فيهن من يجب تلقيها باهلا وسهلا ومرحبا * وفيهن
من تجدر بواحد من ذلك فقط * وفيهن من تجدر باثنين مواترة *
وفيهن من لا تصلح لشي * وكل ذلك كان يمكن تحمله اذا جُل
بعضه على بعض * ألا الجوع الذي تسبب عن تعطيل الطرق فانه
كان لا يطاق * مع ان الفارياق كان قد خرج من عنا سفر البحر
الذي مناه بالصيام اياما متوالية * فكان لا بد له من اللجج *
فمن ثم كان يذهب الى القرية وينادى يامن عندها دجاجة للبيع
فتبيعن اياها * فكان بعض النساء يجبنه هذه الدجاجة السارحة
مع الدجاج في الحقل اريد بيعها * فان اردتها فاسع اليها واقبضها
بيدك * فكان يسعى وراء الدجاج ويطفر معها على الجدران * فان
ساعده الحظ على كسر ساق احداها او اعيائها قبض عليها * وكان عند
جريه وآها يجرى معه خاطره فيقول في نفسه * انا اجرى لان وراء
دجاجة فهل زوجتي تجرى في الجزيرة وراء ديش * وينبغي لى ان
اقتى قليلا عند هذا الجرى واقول * قد ذكرت سابقا ان الفارياق
كان ذا هوج ونزق وجزع * فكان من طبعه اذا غاب عن اهله ان لا

يزال يقابل حاله بحالهم بالمقابلة الأطرادية وبالمقابلة الأمتية *
 مثال الاولى قوله انا اجرى وآء دجاجة فهل زوجتى تجرى وآء
 ديش * وقوله مثلا وهو لابس هل هى فى هذا الوقت عريانة * وفى
 حالة كونه قائما هل هى لان مضطجة * وقس على ذلك * ومثال الثانية
 انا اجرى لان وآء دجاجة فهل يجرى وآء ديش * على ان خبز
 الدير والقرى ج كان مخلوطا بالزوان * فكان الفاريق اذا اكل منه
 خيل له انه لم يزل فى السفينة عرضة للتناين * ويتأكد عند ذلك بدخول
 احد الرهبان عليه وهو على تلك الحالة * فلما ضاق بها ذرعا نظم ابينا
 وبعث بها الى رئيس دير غير الدير المذكور وكان يظن ان عنده غنا * وحى

ليت شعرى ماذا يفيد البيان	مع خواء البطون والتبيان
وفنون البديع من غير أكل	تستشيط اللهى بها واللسان
هاك الى استعارة بوزيف	وبخس تخس تفتازان
ايها العربون هبوا فما من	ضرب زيد عدرا يرص الخوان
اين اين الكباب والرز والبر	غل تصعو من فيضهن الجفان
ذهبت دولة الطبيخ وجاءت	نوبة الجوع امها لبنان
يالها من معرة نبعت الدينار ما ان	يعبا به انسان
ليس بيع ولا شرأ بارض	قد قضى عيشها وعاش الزوان
طال مكثى فى الدير حتى كانى	راهب لا ترضى به الرهبان
اذ راونى وحول الكتب والاقلام	مما عنه نهى المطران
انا فى وحشة من الانس وحدى	لا ترانى فلانة وفلان
عيشة لو اريتها فى منام	ما شجتنى من بعدها الالحان

فبعث اليه الرئيس بارغبة لا زوان فيها ومعها هذان البيتان

وصلتني الابيات يافرقيان انما نحن في الدنيا رهبان
ما عندنا طعام كما تشتهي ولا نبيذ ولا نسوان

فهروا اليه الفاريان ليغالبه على تغيير اسمه * فرأى في الدير
احدى نساء الامراء كانت قد جأت الى الدير استئمانا من العساكر *
فلما رآه قال له قد شفع الخبز ياسيدى فى وزن البيتين ولكن
لم غيّر اسمى * ثم تذكر السيدة فقال وقلت ايضا انكم رهبان
وما عندكم نسوان * وها انا ارى عندكم سيدة زهراء قد ملأت
الطنفسة شحما ولحما * قال انما غيّر اسمك لاجل القافية وهو
جائز للشعراء * واما قولى ما عندنا نسوان اى ليس لنا ازواج *
ولكن لا ننكر ان عندنا نساء غيرنا يزرنا احيانا للبركة * قال من
ايكم يحصل ذلك * فلم يفهم لكن السيدة فطنت لذلك ودعته
الى الاركيلة المعروفة فلبث عندها ساعة شفعت فى تغيير اسمه
ايضا وآب الى صومعته راضيا * فوجد رئيس المعبر قد تعكش فى
راسه غصن من اغصان الحلم الاول فزاده خبالا * فكان يقول اذا
سمع صوت الطبول من خيام العسكر واذا ابصر بريق سلاحهم * ألا تسمعون
طبل الشيطان * يضرب به بعض الرهبان * لا تبصرون قرون الشيطان *
كيف تتقعد منها النيران * اذ تحكك بها النسوان * والسيدة
زوجته غير مكترثة بصراخه ولا بتخميم العسكر قرب الدير لان حب
الفصن لم يدع فى قلبها موضعا لغيره * ثم من الله تعالى باصلاح
الحال فسارت العساكر من البلاد وامنت الطرق والمسالك وسكن
صاحب المعبر * فرأى ان يذهب الى مدينة دمشق ويمر ببعلبك
ليرى قلعتها العجيبة * فاكثروا لهم خيلا وبغالا وعزموا على السفر *



فى السفر من الدير



ركب كل من الفاريق والغصن بغلا وكل من السيدة وزوجها فرسا *
وانضم اليهم ركب وساروا يقصدون دمشق * حتى اذا كانوا فى بعض
الطريق اجفل بغل الفاريق لوهم خطر له فقمص به وشمص * فلقاه عن
ظهرة فوق على وركه على صخر فقام يجمع مع الخامعين * فجزع عليه
صاحب المعبر اشفاقا من تعطيل مصالحة التعبير * وشممت به زوجته اذ
كانت تحسبه رقيبا عليها وعلى غصنها * وكذا مساء الرجل قد تكون
مسرة المرأة * وهنا ينبغي ان تضيف الى معلوماتك الواسعة هذه القضية *
وهى انه لا شى من انواع السفر اشق من الركوب على هذه البغال العاتية *
فانها بلا سرج ولا لجم ولا ركب * وقد جعل لها هولا المكارية الحمقى
يدل اللجم حبالا تتصل بسلاسل من حديد جافية * يمسك الراكب
بيده سلسلة فاذا شرد البغل وهنت يد الممسك بها عن كبسه * والعادة
انه متى شرد بغل شرد سائر البغال * ثم اجفل بغل الغصن فمال عن ظهره
وتعلقت رجله بحبل فتدلى راسه يخط على الارض * فذهب ما عند
السيدة من قليل الصبر عنه * ولم يقدر احد على رد البغل * فكنت ترى
عينها فى جهة وقلبها فى جهة اخرى * وكبر منها ما كبر * وصغر ما صغر *

وجف ما جف * وقف ما قف * وابتل ما ابتل * وانحل ما انحل *
واقشعر ما اقشعر * وازبار ما ازبار * وتنغص ما تنغص * وانتفض
ما انتفض * وتنصنص ما تنصنص * وتلمظ ما تلمظ * وتلظظ ما تلظظ *
وضجم ما ضجم * وشخم ما شخم * وغدت تتلملم وتتلوى * وتتقلب
وتتحوى * ودخل فى راسها اول مرة فى عمرها مُنيّة أن تكون رجلا
لتجيرة * ثم هون الله الصعب ووقف البغل فاستوى عليه الغصن
وساروا حتى وصلوا الى بعلبك والفاريق على رمق * فذهب وتنفيا
فى ظل شجرة فهوى به النسيم فنام فنام منهوكا * ثم ركبا وبلغوا دمشق
وهو مريض فاكتوى غرفة فى خان وبقي اياما لا يقدر على الخروج *
فلما نقه توجه الى منزل اهل زوجته وعرفهم بحاله ففرحوا به * ثم عاودته
الحُمى ثم افاق فرأى ان يذهب الى الحمام ليغتسل فلما رجع رجعت
اليه * واتفق انه نزل يوما الى المرحاض فاغشى عليه فيه فوقع وقد دخل
راسه فى شق المرحاض فجعل يصرخ ويقول * ألا ان راسى فى الشق *
الا ان الشق فى راسى * فبادروا اليه فراوه على تلك الحالة * فمنهم
من ضحك منه ومنهم من رقى له * ثم عوفى قليلا فبدا له ولصاحبه
السفر * ولكن لا بدّ لى قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة ان ارهقه
واغسره حتى يصف لنا محاسن نسائها اذ هو لا يحسن شيئا غيره *
فاما الكلام على خواص نبات الارض ومعادنها وهوائها وعدد سكانها
وعلى الامور السياسية فليس من شأنه * قال دخلت دمشق وبى
حتى صحبتنى من بعلبك * وما كدت انقه حتى سافرت منها فلا استطيع
وصف نسائها الا وصفا سقيما * فان رضيتم به اقول * انى لما دخلتها
نزلت فى خان يسمى خان فارس * فعين لى صاحب الخان عجوزا

لخدمتى فاحظت من طبها وشمطها اى خلطها الكلام اللين بالشديد
ان للعجائز يدا طويلة فى المعاملات النسائية * اعنى انهن يدخلن
الديار بحيلة انهن يعن للنساء ثيابا ليكتسبن بها * فيخرجن من
عندهن وقد تعاھدن على تعريتهن راسا * فهن السبب لاقرب والذريعة
الوثقى فى الجمع بين العاشق والمعشوق * فاما نساء المسلمين فقد
ظهر لى فى بادى الراى انهن اجمل من نساء النصارى * كما ان الرجال
من المسلمين اجمل من النصارى وافصح لهجة وكذا هم فى سائر البلاد
الاسلامية * ولون النساء عموما البياض المشرب بالحمرة * والغالب عليهن
الطول والشطاط * غير ان هذا الازار الابيض الذى يتزررن به عند
خروجهن من ديارهن لا يحلو للعين كحبر نساء مصر * وكلاهما مخف
لمحاسن القد ولعلمن يلبسن ذلك عمدا لتامن الرجال فتنتهن * فلهن
الشكر عليه * ولكن ما هذه المغازلة والاتلاع * وما هذا التبهكن والتبدح * افليس
للقلب عينان يبصر بهما ما ورآ ذلك الازار * اخفى الشمس غيم وهى
لولاة لم يمكن لعين ان تراها * فاما زيهن فى الديار فاشوق وافتن ما
يكون * قال وقد ظهر لى ايضا وانا موعوك بالحمى بعد ان خرجت من
الخان وشممت رائحة الزائرات من النصارى انهن موانسات حلوات
الحديث والشماثل مناطيق * حتى اعتقدت ان شفاى يكون بذلك *
ولولا انى خشيت من التبخيل بالاستغناء عن الطبيب ولا سيما ان ابى
كان قد توفى بدمشق فالقى فى روعى انى الحق به لما احتجت الى
علاج آس * وحين كنت اسارق النظر اليهن وانا على الوسادة كنت
المح فى صدورهن حين يتنفسن شيا يربو ويشبو * ثم رايت بعض
ايعان المسلمين يزورون رب الدار وينبسطون معه فى الكلام * وهم من

الهيئة والوقار بمكان * فلا ادري ما الذى حسن للمطوان جرمانوس
فرحات حتى قال فى ديوانه

فكاننى حلب برقة طبعها وكان طبعك بالغلاظة جلق

ولهذا القائل لاجق ان يقول الحلبى شلبى * والشامى شومى * مع ان
اهل الشام ارق طبعاً من اهل حلب وازكى اخلاقاً واطلق لساناً ويذاً
ومحياً واوفر سخاءً وكرماً * والدليل على ذلك ان دمشق مع كون النبى
شرفها بقدمه وكانت مثوى لبعض الصحابة واصبحت وصيلاً للكعبة وما
زالت من ذلك العهد منزلاً للحاج * فان النصارى فيها يتبؤون داخلها
الديار الرحيبة والمنازل الفسيحة * بخلاف النصارى فى حلب فانهم لا
يمكنون من السكنى الا بخارج المدينة ولا يدخلونها الا للبيع والشراء *
هذا وقد حرس الله قطر الشام عن الزلازل التى يكثر وقوعها بحلب * وعن
هذه الحبة المشؤومة المتسببة عن مائها * حتى انها كثيراً ما تشوّه وجه
من يصاب بها * فهل مراد المطران ان يقول ان نصارى حلب وحدهم
ارق طبعاً * ام يصح ان نبخس الناس حقوقهم لاجل السجع والتجنيس * فيقال
مثلاً الجائليق هَندَلِيق * والمطران قَطْران * والقسيس لَهِيس * والراهب
ناهب * والسوقى بوقى * والخرجى ذَرْجى * فاما اللغة فليس لعمرى من
مناسبة بين فصاحة اهل دمشق وركاكة اهل حلب * لان حلب لما
كانت متاخمة لبلاد الترك دخل فى كلام اهلها كثير من الالفاظ العجمية *
كقولهم انجق بيكفى يخرجون الجيم فى انجق مخرج الجيم التركية *
ويتقلنه اى يستعمله * وخوش خيو وما اشبه ذلك * ما عدا لكنتهم
ولخاحتهم فى نطق الالفاظ العربية * ثم ان الفارياق سافر هو وصاحبه

الى بيروت ومنها الى يافا * فدعاها وربان السفينة نائب قنصل الانكليز
بها (هو غير الخواجا اسعد الخياط اللبيب البارع) ليشربوا عنده الماء
بالسكر المعروف بالشربات * مما اشتهر ايضا بهذا الاسم عند المؤلفين
من الافرنج واستعملوه في كتبهم لا في ديارهم * فساروا معه فاحضر لكل
منهم كاسا ثلثي به بحسب ضخامة جثته * فلما فرغت الدعوة اقلعوا
الى الاسكندرية ثم الى الجزيرة واقاموا في معتزلها * فبعث الفاريابي الى
زوجته يخبرها بوصوله ويستدعيها للاعتزال معه * فقالت انا لا احب
الاعتزال ولا الكسل * ثم وافت بعد ذلك ولما استراح الفاريابي من الم
السفر استروح منها راحة النسا *

الفصل السادس عشر

في النشوة



هي راحة ام دفار * استوى فيها ما دب وطار * وسلك في البحار *
وتفصيلها في العنوان فهل انت ذو استذكار *



الفصل السابع عشر

في الحظ على التعرى



ثم دخلا البلد ورجع الفارياق الى التعبير واصلاح البحر * وبعد مدة
وجيزة قدم على صاحب المعبر رجل من العجم قيل انه كان مسلما ثم
تنصر وانه شاعر مقلد ذو شهرة بين علماء فارس * فسار معه الفارياق
ليسلما عليه في المعتزل واذا به جعشوش حتروش حزقة ألحى * فلما دخل
البلد اقام في المعبر فرأى الرئيس بادی بادی ان يحلق لحيته * فجى بالخلق
واعمل فيها الموسى فلما انتهى الى شاربيه سترهما الشاعر بيديه *
فاقبل اليه صاحب المعبر وبيدة كتاب ليحجه منه على لزوم خلق الشوارب *
فدار بينهما البحث والجدال حتى رضى الرئيس بنصف الشعائر * فلما
كان ذات يوم من الايام المشؤمة ذهب الفارياق الى المعبر فوجد
الرئيس قد تعرى من ثيابه بالكلية * وجعل يطوف في الدار على هذه
الحالة ويحض الناس على الاقتداء به ويقول * يا ايها الناس ما جعلت
الثياب الا لستر العورة * ولا عورة لمن كان طاهرا بريئا من الذنوب
والمعاصي * فان آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبراءة لم
يكن له حاجة بالثياب * فلما انتهى الى زوجته ليغريها بالتعري قالت له
ان النساء لا عصمة لهن الا في الليل فلا بد لهن من السترنهارا * فرآه

العجمي على تلك الحالة فسال الفاريابي قائلا ما بال صاحبنا قد غير اليوم
زيه لاسود وتردى بهذا الزيت لاجر * قال هو من جنود الخرج والجند
هنا يلبسون اللباس لاجر * ثم اشتد اللمم بكل منهما واستحكم * فخافت
الزوجة ان يتلاقيا في مازق وينشعب ما بينهما الجدال او الجلال *
فرغبت الى الفاريابي في ان يضم اليه العجمي * وكان الفصن قد قدم
اليها في اثنا ذلك من الديار البشامية وهو مترجم عن جنى شهى * وجذع
قوى * فبواته عندها مقاما كريما * وحاولت ان يخلو لها معه المعبر خلوا
مستديما * ولو بدوام لم يعلها * وفقد اهلها * فاقام الفصن في ارغد عيش
وا هنا حال * وظلت هي معه اشغل من ذات التحيين في اصفى بال *
وظل زوجها يحض على التعرى * وانه من شعار المتزكى المتبرى * ولبث
العجمي في منزل الفاريابي * وانما قبله عنده لدمامته وضعفه ولغلبة السكوت
عليه * فلما كان ذات ليلة وقد راى عند زوجة الفاريابي نساء حسانا
انحلت عقدة لسانه ونطق بكلام دل على انه لم يتنصر عن هدى * وانما
اضطره الى ذلك ابوعمر * ثم بات تلك الليلة وقد اضطرم الغرام في
قلبه فخرج ليلا يقصد غرفة الفاريابية * فاحس به زوجها فبادره بحبل
وهو لا يستطيع دفاعا عن نفسه * فلما كان الغد شاور زوجته في امره *
فقالت اظن ان هذا العجمي انما جن لعدم الزواج وكذا سائر المجانين *
الا ترى انه لما راى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم * قال فقلت
ما ارى الحق معك هذه المرة * فان صاحبنا النخرجي جن من بعد
الزواج * قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلا بالاجلام * ولما تزوج لم
يود الزواج حقه فاقص الحق منه فليعتبر به غيره * قلت من اين علمت
هذا * قالت ان المتزوج لا ينبغي له ان يكون فضوليا يتعرض لغير ما

هو فيه * قلت هذا تعطيل لمصالح الخلق * قالت لا تعطيل فاني لا امنعهم
 عن العمل بل عن فضول الكلام * واللهج بالاحلام * فان التمثل لعلم
 خرق العادات * اجهد من التمثل لعمل عادات الخرق * ألا ولو كان
 الامر الى دوايت المجانين كلهم بالنساء ومن النساء وعن النساء * قلت
 اكل حروف الجر للنساء * قالت نعم كل الجر في النساء * قلت قد
 حذفت الحروف * قالت بل هي باقية * قلت دعيني من المطارحة
 وافتييني في امر هذا المجنون * قالت رده الى المعبر واني اكره طول
 مكثه عندنا مخافة ان احبل فياتي الولد على شكله * قلت ما مدخل
 الجنون في الجنين * قالت او ليس الاولاد ياتون بيضا صباحا ووالدوهم
 قباح * فلولم يكن لعين الام من فاعلية عند توجهها لما كان ذلك * قلت
 هذا راى يودى الى الكفر والمحال * اما الكفر فلانك تزعمين ان للمرأة
 مشاركة في خلق لانسان * واما المحال فلان المرأة لو كان لها فاعلية في
 ذلك لاشبهت الاولاد آباءهم او لجاؤا كلهم صباحا * قالت اما جواب
 الكفر فلا ينكر ان يكون الله عز وجل قد خلق هذه الخاصية في المرأة
 وهو مسبب الاسباب * بمعنى ان القوة الوجيهة التي اودعها فيها الخالق
 القدير تكون ماثرة في كونية الولد * واما جواب المحال فلان المرأة ابدا
 تستهي ان ياتي ولدها على غير هيئة ابيه * وما تراه منهم مشبها اياه
 فالغالب انه البكر * قلت كثر الله من امثالك ما كانك قرأت الكلام الا
 على الاشعري * قالت نعم الكلام هنا في الاشعري لا في الجميش ولا
 النيص * قلت المجنون المجنون * ودعيني من المجنون * فقد كدت
 تلحقيني به بكلامك هذا المعصود * قالت متى كنت تكبر العصد *
 وهو لك غاية القصد * اما المجنون فليس الا ما قلت انطلق به الى المعبر

ودعه هناك من غير ان تخبر به احدا * قال فانطلقت به وادخلته فى
احدى الحجر وقفلت عليه الباب * فلما جاع طفق يعالج الباب ليخرج
فسمعه الخادم فاخرجه * فتوصلت زوجة صاحب المعبر فى ان رجعت
من حيث جآ وعزمت على السفر بزوجه الى بلادها * وناب عنه آخر من
بلادها فى المصالح التعبيرية ولكن لم تطل مدته لاسباب ياتى بيانها *
وقبل ايرادها ينبغى ان نختم هذا الفصل بما نظمه الفارياب حين كان
رئيس المعبر يحض على التقرى وهو

الا تريد صاح ان نجنا	ونخلع اليوم الثياب عنا
ولا ننام ليلنا ان جنا	ولا نسي بالنساء الظنا
ولا نرى متى يجى حنا	وان يغب نقل مريض منا
وان اتانا فاسق وزنا	نركبه الخيل فلا يعنى
ونجعل الزوج له مجنا	تقيه من كل معن عنا
ولا نبالى ان راينا قرنا	قد طن فى اصداعنا ورنا
فقد رايت العقل يضنى الظنا	ويحرم الحر الذى تمنى
ولن ينال الحظ مطمئنا	الا الذى باح بما اكنا
مه ايها الشيخ الذى استا	ما انت والغنا ولاغنا
تدخل فى مضايق وتعنى	وما تبالى لو لقيت وهنا
ماذا لقيت من نذير جنا	ومن طواف ههنا وهنا
وافيتنا فى شهر نحس اخنى	على المحبين فقلنا انا
لم تخل دار بت فيها معنا	من حادث غارة سوء شنا
يشكوك كل ذى عيال منا	اوردتهم من كل رزء فنا

فمن مجانين ابانوا الهتا ومن عليل دنف قد انا
 حتى رثى الصّد له وحنّا قدك اتّداوددت فينا الحزنا
 وقد شحنت المصرهما شحنا فاطعن هداك الله وارحل عنا
 من قبل ان تقطع عنه الطحنا وتنصب العاّ وتنفي اليمنا
 عن بلد من قبل كان امنا واختر بغير ذا المكان كنا
 تاوى اليه مستريحا طمنا فما عليك ان اصبت غبنا
 ثم ودّعا او لقيت ربنا او كنت تاتى هذرا واقنا
 وتنظر القبيح منك حسنا بحيث لا تبصر يوما قرنا
 وكاشحا اخفى عليك صغنا كما اصبت ههنا خبنا
 اصدا منك الضرس ثم السنا لو استطاع لقراك سجنا
 تنصبح فيه للرزايا رهنا شيطانه عليك قد تجنى
 يقول من تبغك قد استا جعلت فى دار الصلوة فرنا
 دخانه عمّ واعمى الرعنا وقال قوم تفلّه اصنّا
 ولحنه يبلغ صرا منا فليبلغ فى دار سواها خدنا
 وما علينا ان سخا او صنّا او ان بكى من شومه او غنى
 او اخلص الدعا لنا او لعنا او خار من جوع وذل وهنا
 او قال صرنا بعد ما قد كنا انك يا مغرور لم تعشقنا
 ولم تعربنا ولم تشقنا فلا جزاك الله خيرا عنا



الفصل الثامن عشر

في بلوعة

لما فرع الفاريق من تعبیر الاحلام كلف ان يترجم كتابا للجنة في بلاد الانكليز * فترجمه لهم بلغتنا هذه العربية على ما اقتضته قواعدها * واتفق وقتئذ ان سافر المطران اتناسيوس الحلبي الشننجي مولف كتاب الحكاكة في الركاكة الى تلك البلاد في بعض مصالح ثرتمية * فتعرف باللجنة المذكورة وافادهم ان لغة الفاريق فاسدة راسا * وذلك لخلوها مما اشترطه على المترجمين والعربيين في كتابه المذكور * وان انصارى يحبون الكلام المعسلط المعسلط * وانه قد ربا في هذه الصنعة مذ عهد طويل وربني فيها كثيرين في مدرسة عين تراز وفي غيرها

وان لاسفار الكنيسة منهجا يخالف اسفار الوري ويغاير
وان لفي اللفظ الركيك تبركا ويئنا لقوم عنهم العار ظاهر
وان غباء اللحن في القول عندهم كما للحن في الايقاع والاصل ظاهر
وان نسبة المولى الى الله منكراً ومن ولوا الادبار كل يحاذر
وان تكاة جمع متكى اتى وان مصونا لا مصانا لنادر
وللشعب دون القوم معنى مشهر وفي ملك لا في ملاك كبائر

وان عبيدا لا عبادا مضافة الى الله اولى ما لذا الحكم ناكرا
وان عذابا كالركاكات جمعه وان لم يرادف باقى الشئ سائر
وما واعطيها قيل بل موعظينها ومن قال ادوا دون ودوا مكابر
ومن رد قل ان شئت صوغ اسم فاعل مرّة كذا قال النصارى الاواخر
ويظهر يلغيه بيان نظيره وصرنا بنيننا بالتذخر كائر
وجمع مضق لاله مستبح وبعد كما للعطف واو تباشر
ومن بعد اذ جزم المضارع واجب ونعت المثنى باللذى متواتر
واثبات ياء الامر من ناقص كما حكا له قس الشوير المعاصر
واثبات نون الرفع فى الفعل بعد كى وأن مستفيض هكذا نص زاخر
ومن بعد يعطى نصب نائب فاعل وجوبا وحذف الفآ فى الشرط دائر

وطلب من اللجنة المذكور ان يفوضوا اليه تعريب الكتاب الذى مر
ذكره ليحظى عند النصارى بالقبول والا فلا * فلما راوه ذا لحيمة ولا سيما
انه متحلّ بجلا مطران والمطران عندهم لا يكون الا عالما فاضلا اعتقدوا
فيه الفضل والعلم وفوضوا اليه العمل * ولهذا السبب خاصة بطل المعبر ولم
يبقى للفارياق الا مرتبة من وظيفة اصلاح البخر * وهنا ينبغي ان يلاحظ
ان الانكليز اشدّ الناس حرصا على الالقباب * فاذا زارهم احد من البلاد
الاجنبية متصفا بلقب امير او شيخ او مطران حظى عندهم الخطوة التامة *
ولا سيما اذا كان يتكلم باللغة الفرنساوية * اما لقب المطران فهو عندهم
من الالقباب التى تغنى صاحبها عن توصية وتنويه * اذ ترجمة هذه
اللفظة تجرى لديهم مجرى قولهم رئيس اساقفة * ومن حصل على هذه
الدرجة منهم حصل على دخل اربعة آلاف ذهب من الليرة * فاما طول

الحمية فهو عند العرب ليس بدليل على الحلم والنباهة كما يتبين من
حكاية المامون مع الفقيه علويه * ولكن عادة العجم غير عادة العرب *
ثم ان الفارياق لما آن وقت بطالته من اصلاح البحر وهو ثلاثة اشهر الصيف
في كل سنة عزم على ان يسافر الى تونس * فركب فى سفينة رئيسها
من اهل الجزيرة الذين هم بين السوقيين والخرجيين مرة * ومرة بينهم
وبين الفلامسة * وبعد سفر اثنى عشر يوما كلها خطر وعناء بلغوا حلق
الواد * فكان بعض الملاحين يقول فى اثناء الطريق انه انما وقع لهم ذلك
بخلاف العادة لكون الرئيس سافر يوم الجمعة خلافا لسائر الربانيين *
فانهم لا يسافرون فيه اصلا اما احتراماً له او تشاؤماً منه * لكن الفارياق
كان يعلم حقيقة السبب وهو هبوط طالعده * وان نية سفره سوا كانت
قريبة او غير قريبة لا يبلغ اليها الا فى مدة اثنى عشر يوما * وانما كنتم ذلك
عنهم * قال اما المدينة فانها ضيقة الاسواق صغيرة الحوانيت * غير انها طيبة
الهوا والماكول والمشروب كثيرة الفواكه * واهلها طيبون خيرون يكرمون
الضيف ويحبون الغريب * وفيها من المغنين والعازفين باللات الطرب
كثير ومعظمهم من اليهود * ونساوهم حسان سمان بيض دعه برغم النصارى
القائلين ان الله لعنهم ومسحهم بعد صلبهم سيدنا عيسى عم ونزع منهم
كل حسن باطنى وظاهرى * غير انى اظن ان القسيسين اذا نظروا يهودية
جزلة بضة ربحلة يبدعون صاحب هذا المذهب ويفتدونه * وانما
يقول ذلك منهم من كان لزق النصرانيات ولم ير غيرهن * ومعلوم ان
النفس ترغب فى الحاضر الموجود عن الغائب المفقود * او لعلمهم
يريدون ان المسح انما نزل بالرجال دون النساء فليسالوا * وان كثيرا
من هؤلاء الغير المسوخات غير بعيدات عن الغصن والهصر * ومن عاداتهن

ان يمشين غير متبرعات مكشوفات السوق * ثم لما ازف رحيل الفارياق
من المدينة قال له بعض معارفه من اهلها لو مدحت واليها المعظم *
فانه اكرم من اعطى وانعم * واكثر الناس ارتياحا الى الجود والمعروف *
قال قد نويت لان السفر فلم يعد ممكنا لى غيره * ثم رجع الى الجزيرة
وكان من جملة الركاب الذين رجعوا معه رجلان نمساويان احدهما
ابن احد التجار لاغنياً والآخر من قواد عسكو البابا * وكان هذا قد اخذ
من الفارياق واحدة من هذه النبجات الدقاق فردها عليه بعد يومين *
فلما استقر الفارياق بمنزله خطر بباله ان ينظم قصيدة فى مدح جناب
المولى المشار اليه * فانشا قصيدة طويلة ذكر فيها كل ما شاقه هناك من
المحاسن ولكن من دون تعرض لذكر محاسن نساء اليهود * فلم يشعر
بعد ايام الا والمولى المشار اليه بعث له بهدية من الماس تضن بها
الملوك على ندمائهم * ومعها كتاب من ناموسه المعظم ووزيره المفخم
مصطفى باشا خزندار هذه صورته

« المحبّ الذى رعى المودة شانه * والكمال سجية قام بها عمله ولسانه *
« لاديب الارب * لاأخذ من كل فن اوفر نصيب * حسن الاخلاق *
« والحائز فى مضمار البلاغة قصب السباق * البارع الفارياق * لا
« زالت محاسنه نيرة الاشراق * وبلاغته كواكب آفاق * اما بعد فان
« ولى نعمتنا ومولانا وسيدنا المشير احد باشا باى اميرالايالة التونسية *
« لا زالت بوجوده محمية * بلغ لرفيع جنبه من ادابكم * قصيدة تحلى
« بها شعركم * وانضح بها فخركم * ويدوم بها ذكركم * فله در منشيها *
« ومبدعها وموشيها * حيث ملك من البلاغة دانيها وقاصيها * والقت
« لديه مقاليدها ونواصيها * والمولى ايده الله حسن لديه موقع خطابكم *

« وائنى على بلائكم وآدابكم * ووجه لكم من حضرته العلية حُكّة تتذكر
 « بها وداده * وإياله وبلاده * فاقبلها من افضاله * ومن نزر نواله * والله
 « يحرسكم بعين عنايته * ويسبل عليكم ستر عاقبته * وكتبه الفقير الى
 « ربه تعالى مصطفى خزنه دار الدولة التونسية فى الرابع والعشرين من
 « ذى الحجة الحرام سنة ١٢٥٧ * »

وفى اثناء ذلك قدم المطران التتونجى الى الجزيرة فبلغ الفارياق قدومه ولم
 يكن عرف ما افتأت عليه به عند الانكليز فذهب ليلتم عليه وادبه الى
 وليمة اعدّها له * واقام المطران فى بعض المنازل يشتغل بترجمة ذلك
 الكتاب الذى زاحم الفارياق عليه * وظل الفارياق ينتابه حينا بعد
 حين وهو غير موجس منه شيا * فلما كان بعد ايام ثارت فى الجّر
 حاصب ومتشغزة ومنسبة منسبة ونكباء وهوبة وخرجوج ونجوجاة ودروج
 وسهوج وشجوجاة وبارح وسناخة وخنذيذ وصرصر ومشتكرة واعاصير
 ومعتكرة وهبارية ورواس وزوابع وزعرعان وهيرع وجفجف وزفزان
 ومفسفة ومسنفة وعواصف وخرقا وزحلق وزهلق وسهوق وحاشكة
 وساهكة ورعليل وطيسل وعياهل وسهام وسفون وورها وميلاه وسافيا * ثم جآ
 على عقبها روائح هنيئة صماحية زنخية سنخية افاخية عبادية نجرية ذفريه
 عدارية امدرية امدرية خنازية طفاسية خطاطية عفاطية عفاطية شياطية
 ناصفية زهمقية خبراكية صلية خيعامية صنمية قنمية عجانة لخنية نجوية
 مختلطة بطمطمانية ولخاخانية ورئية ولغلغانية وقلقلانية وكسكسية وكشكشية *
 واذا بالمطران المزبور قد غاص فى بلوعة فوها فى تعريب ذلك الكتاب *
 ولما كان جاهلا بتصليح الطبع زيادة على جهله باللغة كان لا بد من
 تبليغ هذه الروائح الخبيثة منزل الفارياق * فان مدير المطبعة كان

من اصحابه فكلفه بان يصحح غلط الطبع من دون تعرض لتصحيح الغلط
فى الترجمة * وچ عرف سبب قدوم المطران ومكايدة * فصر بعض هبات
كريمة من تلك الروائح وبعث بها الى اللجنة المذكورة واقام ينتظر
الجواب * ثم اتفق بعد مدة ان قدم الى الجزيرة السيد المعظم سامى
باشا المخيم المشهور بالمناقب الحميدة * وكان للفارياب دالة عليه فصار
اليه ليهنسه بقدمه * فكلفه المشار اليه بان يمكث عنده مدة الاعتزال
فاخبر زوجته بذلك * فقالت له كم مرة اقول لا خير فى الاعتزال * قال
لا باس به اذا كان مع امير فان شرف الاسم يكفى * قالت لا يغنى
الاسم عن الفعل شيا * قال فقلت بل اجتزا به كثير * قالت امع جار
له * قلت لا ادرى * قالت لو كان الاسم يغنى لكنت المرأة تكتب
على موضع من جسمها لفظة امير * قلت اعوض ما يمضى * قالت ولا
فأض على العوض * قلت ما اعجل النساء * قالت وما احبهن للابطأ *
قلت قد كنت اود لو ان الله خلقنى امرأة او انه يصيرنى امرأة فاما لان
فلا اريد اذ لا صبر للنساء كالرجال * ومن يعيش فى هذه الدنيا فلا بد
وان يكون صبورا * قالت لو لم تكن النساء اصبر من الرجال ما كن
يعتمرون فى الارض اكثر منهم على ما ياحقنهن من اوجاع الحبل والولادة *
قلت ليس هذا هو السبب وانما هو ان الصالح من الناس لا تطول حياته
على الارض بخلاف الطالح * قالت هل فى الرجال صلاح وما من فساد
الا والرجال مخترعوه * هل تفسد الاناث فى الاناث ما تفسده الذكور
فى الذكور * وهل يفسد النساء غير الرجال * ومن ذا الذى يتصبأهن
ويتالفهن ويتنقشنهن ويغازلهن ويغويهن بالمال والوداد والوفاء غيرهم *
حتى اذا استوثق احدكم باحدنا فاحرز سرها ذهب فى الحال وباح به *

وربما سكر مع بعض معارفه او تساكر فافتخر امامهم بافشاء ما يجب
 كتمانها وبهتك ما يلزم صونه * ألا وان الرجل منك لم يعتمد على ما خصد
 الله به من القوة والبأس فيعتقد ان له الفضل على المرأة في كل شئ *
 ولو كان الفخر بالقوة لكان الفيل افضل من الانسان * نعم انا ليسرنا ان
 نرى الرجل شيطما ايّدا ولكن لا يليق به والحالة هذه ان ياتى امراته
 الضعيفة المسكينة فيعاملها بالخيرة والدغرة والدنقرة والزنترة والزخرة
 والزمجرة والزهرة والشنزة والشنصرة والشنطرة والشمصرة والعجبرة
 والغذمة والغمرة والغيرة والحزربة والخطبة والخطبة والدحقة والدعرة
 والدنجة والزغبة والسقبة والشغربة والشهجة والصرخبة والصعنبية
 والطغربة والعلبة والعصبة والغسبة والقحطبة والقرطبة والنيرة * ثم اذا ذهب
 الى اخرى او همها انه اسيرها وعانيها وقتها ورقيقها وقينها وقنورها وماهنا
 وقنجلها ومملوكها وذليل حبها ودنف غرامها وعديد عشقها وصريع هيامها
 وميت هواها وشهيد حبها * وان الله تعالى لم يخلقه في الدنيا الا
 لمرضااتها * قال فقلت اذا كان الرجل مخطئا في ذلك فالمرأة غير
 بريئة ايضا لتصديقها اياه وانقيادها له * قالت انما تصدقه من صفا
 سريرتها وسلامة صدرها * فان الصادق لا يرتاب في كلام غيره وان
 الكريم ينخدع * ولو ان الناس سمعوا مثلا بان امرأة متزوجة تحب غير
 زوجها لانكروا عليها ذلك كل الانكار * واستنظوة غاية الاستنظاع * فتقبل
 به الطبول وتزمر الزمور وتكتب الكتب * ولا يبقى في البلد احد لا
 ويروى عنها حكاية او ترحة * فاما اذا سمعوا عن الرجل انه يحب غير
 زوجته فانهم يحملون فعله على وجد مرضى ويعتذرون عنه بقولهم ان
 امراته غير زافنة * او انها جنة منفاص * او ميراص او منشاص * او خذنفرة

او غُبوق * او زخاخة خقوق * او فتقا غقوق * او رتقا غقوق * او
نجاخة فشوش * او منخار حصون * او بخوا انجي * او بخرا رهوى * او
مُخجرة صحيا * او صهوا صهيا * او هرة رفعا * او سلق او متكا * او
قشور او مصوا * او ناسعة شقا * او مهلوسة او لصا * اولية او نجم * او
خيفق ذات علق او قلزم * او حق وعقل او ذقنا * او مقاب او
فجوا * او لقوة او خنوا * او قنشورة او ذنا * او قرع او سلتا * او خور
او قعما * او عاظ او شرماء * او غبله او لخوا * او محية او رضة وغير ذلك
من العيوب ولا يرون فى فعله هذا سماجة * مع ان المرأة اسبابا تحملها
على الشطح اكثر من اسباب الرجل * قلت تفضلى بذكرها كى اجانها *
قالت اولها ما اذا لم يقم الرجل بوقا حق زوجته * وهو حق الزواج
الذى من اجله تترك اباه وامها واهلها ووطنها وبلادها وغير مرة دينها * قلت
اللهم لطفك وعصمتك ثم ماذا * قالت ومنها اهماله امورها وقلة اهتمامه
بما فيه راحتها وانسراح صدرها وتطيب خاطرها * وتلهيتها وتسليتها
وترويتها وتحليتها وتدفتها وتطريتها وناسيتها وتقويتها وتمشيتها
وتغديتها وتمزيتها وتمنيها وتمليتها وتهنتها وتوقيتها * قلت نعم وتعريتها
وتمذيتها وتمريتها وتنديتها ونصيتها وتمسيتها وتنحيها * قالت نعم كل
هذا واكثر حالة كونها اسيرة بيته طول النهار قائمة بخدمته متعهدة
لاموره * وهو يطوف فى البلد من مكان الى مكان وينتقل من سوق
الى سوق * حتى اذا جا منزله انطرح كالمغشى عليه وقال ان الشغل
جهده والجهد شغله وانه عرض له كذا وجرى عليه كذا * مع انه هو
الذى تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا * ومنها رقة فواد
المرأة والشفقة التى فطرها عليها البارى تعالى * فلا يمكن لها ان تقابل

رجلا عن مودته لها لا بالوداد او عن تملقه اليها لا بالميل اليه والاقبال عليه * وناهيك ما فى الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة * قلت واعجب من احتجاجك بهذا الاشتقاق التناسب بين معانى الكيس * قال فى القاموس الكيس خلاف الحمق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة * وبين السرّ والسرور والبسط والشرح والبضع والبضاعة والشعور والمشاركة والملج والقط * وخصوصا بين ابى ادّراس وابى ادريس دامت الفتحة فى اللفظ والمعنى * فقهرته وقالت شرف الله لغتنا الجامعة بين كل متناسبين ومتجانسين * قلت ولكن قد يلزم ذلك احيانا ما يسوء او ما لا يليق * نحو ارّ فانه بمعنى جامع ورمى بالسلاح * وجحّ رمى ببوله ومسح جاريته * ومعط جامع ونشف الشعر وحقق * وجانح جامع وبطنه سحجه وفلانا بالسيف بضع من لحمه بضعة * ومتنح جامع وبساحه رمى * وملح جامع وجذب الشئ قبضا او عضا وتورد فى الباطل * وملق جامع وضرب بالعصا * وجطّ جامع وطرد وصرع وبالعصّة كطه * وخجّ جامع وبساحه رمى * ولخب جامع وفلانا لطمه * ومتر جامع وبساحه رمى * وجلد جامع وفلانا ضربه بالسوط واصاب جلده * وعصد جامع ولوى وفلانا اكرهه على الامر * وضمن جامع وبغائظه رمى * ومحن جامع وضرب * ومشن جامع وخدش * وأسوى أحدث وخزى وفى المرأة أوعب * وكذا حشأ وحطأ وحجأ ورطأ وزكأ ولثأ وغير ذلك مما لا يحصى * قالت كل صعب فى جنب ذاك يهون * ولا بدّ لجانى العسل من ان تآبره النحل * ثم انى فهمت من فحوى كلامك ان هذه الافعال فى لغتنا الشريفة اكثر من ان تعدّ * وان اكثر المعانى قد وضع له فيها الفاظ كثيرة تسميها العلماء اردافية على ما ذكرت

لى سابقا * قلت لم اقل لك هذا وانما قلت مترادفة * وان هذا الفعل بخصوصه له اكثر من مايتى لفظة * فكل لفظ دل على دفع او نهز او ضغط او ادخال دل عليه ايضا * قالت فهل تستطيع ان تذكر لى حرفا يدل بالخصوص على الامتناع عن النساء عفة وتقوى * قلت لم يمر بى حرف بهذا المعنى والا لحفظته فانى مؤلّع بحفظ الحروف النسائية * والظاهر ان العرب لم تكن تعرف ذلك * غير ان تبتّل وبكّم يدلان عليه فى احد معانيهما * قالت فى احد لا يغنى شيا * ثم استمرت تقول ومنها وهو مستفيض عند اكثر النساء ان المرأة اذا احست باعراض زوجها عنها او بفدوره او بالجفوة لها مع تحببها اليه واقبالها عليه وحالة كونها له عطيفا هلوبا بعيجا عربيا متبعلة رعليبا آنسة باهشة متبشيشة متشهشة ذات رشرشة ومشمشة ونشاشة وشوشة مدربخة وازكة منصعة واکعة مصوصا حارقة ان لم اقل علوقا وغير عاذمة مالت الى غير لتغيره وترده الى قديم محبتها * فان من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امراته الا اذا راي الناس يحبرنها * فتكون محبتها لغيره علاجا لمحبهته هو * وهذا يسمى عندنا دغدغة وزغزغة وسفسغة * فاما عيوب الرجل فهى لعمرى اكثر من عيوب المرأة ولو لم يكن به غير الزمالة لكفى * وهل والحالة هذه يجب حل عقدهما او يجوز او يمتنع اقوال * فالنصارى على منعه مع انهم يقولون ان المقصود من الزواج بالذات الانجاب وحفظ النسل * والطبايعيون والفلاسفة على وجوبه اخذا بهذا القول عينه ومراعاة لادّاء حق المرأة الواجب على الرجل وهو امر طبيعى لا بد منه ولا محيص عنه * وبقي الجواز فى عهدة غريمى الزواج * ان شاء بقيا على ما هما عليه والا افترقا وهو الاصلح * ولعمرى ان المرأة التى ترتضى بان تقيم مع زوجها من دون قصا حقها لجديرة بان يعيد لها

عيد في راس كل سنة * اليس ان استاذك صاحب القاموس الذي تستشهد بكلامه في كل مشكل نسوانى قد قال الرجل م والكثير الجماع * فاذا كان الزوج غير رجل فأنى يحل له ان يحوز عنده امرأة لا يودى لها حقها * يحل لرجل ان يقنى دابة اذا لم يقدر على علفها * استغفر الله عن هذا التشبيه * او لصاحب ارض ان يغادر ارضه غير محروثة ولا مزروعة ولا مسقية * افلا يجب على الحاكم الشرعى ان يشتريها منه ويولى عليها من يتعهدا ويستغلا * واذا كان الانتاج وحفظ النسل مشتركا بين الرجل والمرأة بل جل اركانه مختص بها ومتوقف عليها فلم لا يكون الطلاق مشتركا بينهما ايضا اذا اقتضت الاسباب ذلك * اذ الطلاق عندى من غير سبب ان هو الا بطر وسفه * واقبح من ذلك ان روسا النصارى ياذنون فى مثل هذه الحال فى فراق الزوجين * ولكن لا ياذنون لهما فى الزواج وان يكن داء الرجل عضالا لا يرجى له علاج فى مدة انفصاله عن زوجته * فأتى حكمة فى ذلك واى ضرر من تزوجها بغيره ليولدها البنين والبنات * فلعلما ياتى من بنيتها من يفوق غيره بالكسل والركاكة فيصير راهبا او مطرانا * وعسى ان ياتى من بناتها من تتحمس بالوساوس والهواجس والاحلام فتصير راهبة * هذا وقد ورد فى التوراة حكاية عن البارى تعالى انه قال تبكثروا واملاؤا الارض على مبالغة فيه * فان مل الارض بشرا يوجب خرابها لا عمرانها * وقال ماربولس ان المرأة تخلص نفسها بتربيتها البنين الصالحين * فهل تعليق الزوج والزوجة عن الزواج مطابق لنص هذين الحكمين * انظر الى اهل هذه الجزيرة فانك تجد اكثر الرجال منفصلين عن ازواجهم وعائشين بالسفاح * وقسيسوهم مصرّون على ان ذلك اوفق من الزواج الشرعى * مع ان القسيسين لا يعرفون الحقوق الزوجية لانهم

غير متزوجين * ايصح ترئيس روساً على الجند ممن لا يحسنون صنعة الحرب والمبارزة * فقلت لله درك من اين لك هذا كله وقد طالما اشتبه عليك لامرد والمحلق اللحمة عند قدومنا هذه الجزيرة * قالت رب شرارة اضرمت اتونا * انى كنت اعرف من نفسى انى لا البث ان ان ابغ فى هذا * وذلك لكثرة ما كنت ارى واسمع عن المتزوجين من الخلاف والمعاصرة * والشكوالمنافرة * لا سيما وقد رايت لان بلدا غير بلدى وناسا غير ناسى * واختبرت عادات جديدة واحوالا غريبة * فتوقعت تلك الشرارة التى كانت مودعة فى خاطرى تحت دمان الوحدة والانفراد حين هبت عليها نكبا لاهوال المتغايرة والشؤون المتباينة * ولا سيما فى ليلة الرقص التى لا تنسى * ومذج خطر ببالى ان املى عليك كتابا فى حقوق الرجال والنساء ولا بد من الشروع فيه * قال سافعل ذلك ان شاء الله ولكن الامير ينتظر قدومى عليه فى المعتزل غدا فلا بد من التوجه اليه قبل انشا الكتاب * قالت قد تشقيت لان قليلا بما قلته فاذهب اليه وارجو ان لا تعاودنى هذه الاهتقاعة الا وانت هنا * فاستغاث واستوزع * واستعاذ واسترجع * ثم ذهب الى الامير المشار اليه وبعد ان قضى معه مدة الاعتزال سافر معه الى ايطاليا ثم رجع الى الجزيرة محفوا باكرام الامير وانعامه *





في عجائب شتى



بَلْعَيْسِ حَدْبَدَى * عَلِمَصْ خَزَعْلَه * فُلُقْ فُلُقْ عِبْرَه * أَدَبْ بَطِيطْ فِتْكِر *
عَجَبْ فَنَكْ ضَحْكْ يَهْر * هَتْرَهْكَرَادْ بُجْر * زَوْلْ عَيْثَى بَجَلْ طَمْ أَفَتْ
غُرُو فَرَقَى * اِنْ لَانْسَانْ لَا يَعْرِفْ نَفْسَه * هَذَه سَيِّدَتِي الرَّسْحَا الْمَسْحَا الرَّقْعَا
الرَّفْعَا الرَّصْعَا الْمَرْدَا الْمَصْلَا الْمَزْوَا الْعَصْلَا الْبَحْلَا الزَّلَا الْقَعْوَا النَقْوَا الشَّطَا
الضَّهْيَا الْحَحْوَا الْجَبَا الْمِزْلَاجْ الْكُرْوَا الْعُصُوبْ الْمِئْدَاصْ الْفَالْحَصَه تَتَحَد
الْمَرَاوِدْ وَالْحَشَايَا وَكَبَه قَطْنْ تَنْفِجْ بِهِ قَمِصَهَا عَنْ ثَدْيَيْهَا لِتَوْهَمِ النَّاسْ
أَنَّهُ دَهْسَا وَطَبَا * وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ جَاتَكَ يَا سَيِّدَتِي هَذَه الْحَلِيَه الْمُبَارَكَه
وَهَذَا اللَّحْمُ الْقَدَى * وَنَحْنُ نَرَى ذِرَاعِيكَ كَالسَّرَاعَه أَوْ كَعُودِ الشُّكَايَ *
وَعَنْقُكَ كَالْعَصَا وَيَدُكَ كَالْمِشْطِ وَوَجْهَكَ كَالصَّابُونَه الَّتِي غَسَلَ بِهَا الْقَصَارْ
ثِيَابَ الْقَدِيدِيَيْنِ وَالْفَدَّادِيْنَ وَالْدَّاجِ وَالْدَّاجِيَه * وَتَرَانِيكَ كَالْقَفْصِ وَكَتْفَيْكَ
مَوْلَتَيْنِ مَهْلَكَتَيْنِ مَرْقَتَيْنِ مَدْقَتَيْنِ مَحْدَدَتَيْنِ مَقْدَدَتَيْنِ مَسْرَبَتَيْنِ
مَسْرَبَتَيْنِ * فَكَيْفَ غَلَطْتَ فِيكَ الطَّبِيعَه وَسَمَّنَتْكَ فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ
الْكَرِيمَيْنِ وَعَمِيتَ عَنِ الْبَاقِي * وَهَذَه سَيِّدَتِي الْبَلْقُوطَه الدُّعْشُوقَه الزُّلْقُوطَه الْخَنْبَرَه
الزَّبَازَا الْجَعْبَرَه الْحَرْنَقِفَه الدِّنَامَه الرِّفْيَانِ الْعُشْبَه الْحُدْحَه الزُّحْنَه الصُّرْبَه
الرَّوْنَه الْبُهْتَرَه الْحَبَاغَه الْقَمْهَزِيَه الْقَهْقَرِيَه الْبُهْصَلَه الدَّرَامَه الْقَفْنَزَه

الْقُرْنَبُضَةُ الْفَيْئِيلُ الْقَنْسِلُ الْقَعْنَبَةُ الْقَنْبَعَةُ الْقَرْمَةُ الْقُدْعَمَلَةُ الْحَبْطَةُ
الدَّوْدَرَى الْقُرْزُحَةُ الْكَعْتَةُ الْقَلَى الْجَلِيزُ الزَنْقَةُ الْقَنْبُضَةُ الْقَرْزُحَةُ الْحَرْقَةُ
إذا مشت تطفرو وتشب وتطع وتتالع وتعسج وتنبع وتتبالل وتشرتب
وتصلهت وتشمعل وتترقص وتزمل * وتحسب ان الناظرين لا يشبرونها
باعينهم * ولا يفترونها ولا يذرعونها بخواطرم * ولا يدرون اى فراش
يليق بها * وهذه سيدتى السودا المستحمة المدلهمة المطرخمة الفاجة
القائمة الفاجة الدهم المدهامة الحتم المبرطمة الدلما المدلامة السحما
الدجنا الدخنا الحفدلس تطلّى وجهها بالخمرة والغمرة والغممة والحور
والريئة * ثم تصعر خدها للناس وتنظر اليهم شررا * وتتيه عليهم دلالة
وكبرا * فاذا حاولوا ان يروا موضعا آخر من جسمها ادارت لهم ذلك
الموضع المطلّى المحمر * المنقش المزور * وجعلته شافعا فى سائر اعضائها *
واوهمتهم ان المغطى منها اشد بياضا من المكشوف وان لونها فى الليل
يكون ازهى منه فى النهار * ولا سيما عند الخلوة * فانه يزداد بها وجلوة *
وربما حكّت حكاية طويلة تدل على انها لما قامت فى الغداة لم يكن
لها وقت لاصلاح شأنها * فلبست ثيابها على عجل وخرجت وهى لا
تدرى كيف خرجت * وهذه سيدتى العجوز المتهمة * القجلة الشهيرة *
الطهمل اللجة * العفشيل الصهليق * الجلفزير الشفشليق * الخنطير
الشمشليق * الدردبيس الطرطيس * الشلق الجحوط * الشلق الجحوط *
الجربش اللط * الهيعرون الكحك * الهرشفة الجلبج * ذات القنثلة
والقنثلة * والنعثة والنظلة (١) * لم تزل حشورة عزاة تتفتى وتتصّى
وتحرق ثوبها من عند خصرها * وتلهس اذا جلس اليها فتى فى وكراها *
وهذه سيدتى الجميلة البضة الغرا * السنيعة الغضة الغرا * الصبيحة الزهرا *

(١) اسما العجوز

اكثرم ان تعدّ

العهر الغيدآ * الخُضلة الدعجآ * الخريدة الموقونة العجزآ * الرشوف
 الشنبآ * الخُنبَة الذلفآ * السَلَمَة الكاعب * المصقولة الترائب * الحلوة
 لا بتسام * الرخيمة الكلام * التى تسكر بمغازلتها * وتفتن بمباعلتها *
 وتصبى فواد من لم يصبُ عمره * وتتبله وتتيّمه * وتعبده وتهيّمه * وان
 اخذ منها حذرة * واستحضر رشده وصبره * ودينه وحجره * تراها تمشى
 والخفر قد نكس راسها وغض طرفها فاذهلها عن ان تحسن خطوها *
 وتبدى زهوها * وليس بها شى من التغنج والتصرج والتبرج والتفوج
 والتحلج والتدبج والتخفج والتدعلج والتدحرج والتبغنج والتبرجج والتزجج
 والتسرج والتموج والتنفج * مع انها لو دخلت على حضرة الملك لقام
 لها احتفالا * وناولها الميخار والمخصرة اجلالا * وانشدها

فديتك من مملكة علينا يحق لتحتها تخت الخلافه
 خذى تاجى بادنى لثمة من ملاغم فيك او ادنى ارتشافه

او على حضرة ناموسه المفخم * ووزيره المكرم * لدهش عن شغله اكبارا
 لها واعظاما * والقى اليها الخاتم استسلاما * وانشدها

اليك الفصل فى كل الامور على أسرى امير او وزير
 فما الدستور الا دس تور اليك فهل سبيل للشغور

ولو دخلت مجلس قاضى القضاة * لاهدى اليها الكنز والدر وما ملكت
 يداه * وانشد

لها على فى الهوى حطان لا للذكر
 فان لى سؤلين منها ذا وذاك وطرى

ولو دخلت على طبيب يعالج تيتاً لوصف له من رافتها * وشم
سالتها * وانشد

دهن السفنقور والترياق للعلل رصاب فيك وللعين ذى الفجل
حتى اذا لم يدع في الريق من وشل ارشفته الخمر نعم الخمر من بدل
ولو خطرت على منجم لرمي لاسطراب من يده حيرة وذهولا * وببلبة
وغفولا * وانشد

لسنا نرى الا جمالك في الضحى فهو المنير بجنح ليل اطلما
قد بلبل الفلكي منك مفلّك فعليك تقويم الذى ما قوما
او على فيلسوف لذهبت معه حكمته سدى * ولم يجد للصبر عنها
رشدا * وانشد

من حكاك الجسين تقتدح النار كذا مذهب الذى قد تفلسف
وهى دعوى فان جسمي اذا احتك بهذى اسال ما فانزف
او على مهندس لاشكلت عليه الاشكال * وتبلبل منه البال * وانشد

يفدى المكعب منك كل مكعب ومحذب ومقعر فى العالم
ياليت ذا الشكل الهلالى الذى فيك استقر على عمودى القائم

او على منطقي لخرج عن القياس * وخط فى الالتباس * وانشد
على اللديدين منى ساقها وضعت يا حسن ذلك موضوعا ومحمولا
اصبحت نالها ابغى مقدمها اذ كان كل سرور فيه مامولا
او على نحوى لما ميز الفاعل من المفعول * وراى ان معرفة ذلك من
الفضول * وانشد

رويدك اننى ما جئت نكرا لديك وليس لى ذنب فيذكر
برئت من النحاة وحق ربى لقولهم بتغليب المذكر

او على عروضى لتقطع فواده * وكثر زحافه واسناده * وانشد

هتدنى يا ذات كل ملاحه وتركت قلبى بالغرام يعلل
ارعى النجوم الليل فيك واننى مستفعل مستفعل مستفعل

او على شاعر لدلع لسانه تلتزح * ثم تلمظ وتمطق ثم عص بنانه قسما * وانشد

كم تاه صب بفرط العجب والنيه لكن حياوك تاليه وتوليهى
ان يولنى منك تهجيسى مجانسة اجدت توريتى واخترت توجيهى

ألا ولو انها مسحت على عنق كل منى ومنك ايها القارى لاغناها عن
الخصص * ومصح ما بهما من الورم والنفاخ والنقطة والغدد والعقد والقمد
والققد والخثر والعجر والعاذور والبجر والجذر والفجر والكفر والشعر والزور
والخبر والقصر والتعفة والسلع * والتكف والتعب والغلب والذربة والتروء
والعسل والمقط والقسط والتشنج والتجن والتغصف والتغصن والتصفر
والتقبض والقفص والردن والتشن والتكنع والتكربش والتكرش والتكمش
والاشخاص والقره والقله والثأى واليما والحروة والتنج والذباج والرئة
والضواة والزرة والخصعة والشاة والادل والجل والجدل والصمغة والقروح
والخراج والدمل والعينة والبثور والثاليل والخنازير والاثواء والهنع والخبون
والندب والعثم والوكس والحبط والأجور والندم والعرب والعاذر والآثر
والطليا والغلب والعصب والقوباء والجرو والدغام والتخدش والجلف
والحشفة والحفت والقطوف والزرف والكدم والنسوف والغلصمة والحولق
والحلاق والفرك والكتاف والهيص والخناق *

وهذه سيدتى الزنمردة العنجد الدلعوس لآلقة السلقة الملقاع الجففس
الحنفس العنفس البلقع السلفع الهروم المَهْضُضَةُ الشنطيان البنطيان
البهرج الطليف المسجل الطلف الفانكة المنملة المتياح المزجاج المبعنة
الخطالة الخالجة الرادة الرلزة المخنث الهلوك المتهاكة المتهتكة المستهترة
الباعزة الحواسه العواسه الدرديم الدردب المتوهجة المتالعجة اللفوت
العجينة المقفاطة الجلوط الخروط الخلطة الجليع الجلعة الخريع الجالقة
الشبكة الشنيقة المعقاص المعقاص الجنبشة البطرية البطرير الدمرآ
القاشرة الجلبانة العنقفيز السخلوت السأخوت الهمرى النارة الهيعة
الهيرة الهوزورة الزاغية السعوة الساعية الخيتروع الخيتعور العسوس
الضنوط الماجن النجاة الملائنة الشروب القبرة المستعربة المستعربة
المستخبة القفخة الوداح المدربخة المردة الضامد المستعقدة الفخذآ
الثامدة المستدرة المستدرة المستصورة المستطيرة المستظرة الشفرة القبرة
القرور الهوسة المبللاس المنعطة الكربة الواكة التبغى المختلعة القمعة
الهكة الهقة المتهقعة الضبعة الطالع الوتعة الهينغ المستولغة المراغة
الصارف الحلقية المستحلقة المستودقة الحارقة الشبكة المتفككة
المداركة المفلكة المستجيلة المستوبلة المَبْذِم المَدْقِم المَبْلَم المَهْدَم
القطمة الهدمة العظمة المستحرمة الغيْلَم المتوسنة المستأنية الحانية
المتسداة التى قد علم كل واحد من اهل البلد حين تخطر فى اسواقه
وشوارع وزقته ودروبه ورذوبه انها تدعوهم بعينها وبجميع جوارحها الى
التمشير الى القرباب الى الاشغار الى الاقلعاف الى الاشعطاط الى الاشتاذ
الى الإفضآ الى الاقتعآ الى الكفاح الى العراض الى التلبيع الى الدهفشة
الى النشبة الى الهكاع الا السباع الى التشيط الى الحصصمة الى الاسوأ الى

الاياعاب الى الرفش والقفش الى المحش الى المسح الى الإجفان الى الإلفاء
الى الإنقاش الى القزب الى الرلك الى البلك الى المهك الى الهك
والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهق الى الزجل الى الاماهة الى
الرعب الى الخوق الى الدعم الى الرطم الى الكوس الى الاقحاط
الى الومس الى الدفظ الى الدعطة الى السغم الى الاكسال الى الاطمار
الى العفق الى الخفق الى الوجس الى الافهار الى الظلم الى التداوم الى
التسنى الى التقمم الى التجبية الى الابرك الى التدبيخ الى
الانسداد الى الانسراح الى الانشداح الى التنوخ الى الدربخة الى
الدهشة الى المشق الى السلق الى الصلق الى السلقة الى المزد الى
الحرش الى الشقية الى المحارقة الى الكشر الى النخب الى النفشخ الى
الظهارية الى الترفع الى التفشغ الى الفشاغ الى المزمعة الى القرفة الى القرفة
الى الكابوس الى الخط الى العرفة الى التكويد الى الشفر الى التشفير
الى التدليس الى التفخيز الى التحييض الى الحصف الى التلجيف الى دح دح
الى آرا الى آزا الى باط باط تنقعد فى مجلس رئيسة بنات النقى وتطلق
تعييب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطن
ويتحليين ثم يخرجن ويمشين الخيلاً * ولكن أنسيت ياسيدتى يوم قلت
لشيخك ما احد يعشق لآ ويتغير لونه عند ذكر معشوقه * فقال لك
ليس ذلك بمطرد * فكابرت واصررت على قولك فكابر هو ايضا واصر على
انكاره * فقلت له حتى تتجيه لو انك ذكرت لى اسم — ثم انتهت
وسكت * فقبال لك وقد طن قرن دماغه اسم من * فضحك وقلت لا
ادرى * ويوم خرج بك ليفرج عنك الهم فى يوم راح فخرجت وقد كشفت
نصف صدرك ولمعت الترائب والمفاهر واللوعة وهولا يدري لغفلته *

فلما التفت اليك ووجدك على هذه الحالة قلت ان الريح فعلت ذلك * ويوم كان يماشيك فقلت وانت ذاهلة لغلبة الهوى افدى بروحي وجه من اهوى * فلما سالك قلت ما هو الا انت وما انت الا هو * ويوم ارسلت خادمك * ويوم بعثت خادمك * وغداة كتبت رقعة دعوت فيها من شاكك * وصحوة تاخرت * وعشية تعطرت * وساعة اعتذرت * وفينة فرمت * وليلة اوهمت وجمجمت * وفنة همت ومهممت وهينمت * وتوة تزبرجت وتعلمت * وثفنة ارتمت * وفينة زممت وسلمت * وحنة استحرمت حتى دعت * الم تكفي هذه القوافي كلها مكافئة لنظر جارتك من الشباك * وهذا المطران اتناسيوس التتوني قد صار لان مترجما معربا كاتب منشئا * وهو اضيق استا من ان يفعل * ولم يبال ان جر عليه بتعريبه است الكلبة * وقد حسب مصايق الحرف كلها سوا * وتعنى وتعمل * ولهوج ولهوق * وطرمذ وطرطر * وتفتيش وتحتش * وقرمش وفشفش * وهربج وهلج * وسفسف وهمرج * واخترص وثمنم * وتورة وضهيا * وانها ونيأ * وتكسس وتزتب * وتنفج ولبلب * وخرشب وخشرب * وتحذلق وثائب * وتضوك وتزنج * وتندخ وتزنج * ومردل وافجس * ومرطل وطرس * وتنفهق وتشدق * وعفك وبشك * وخرق وخرق * وربك ولبك * وعصد ولفت * وهو اعظم في نفسه من

المتشمة (١) اليس في الكون من برأة وزنجل وسججل وعناس (١) المتشمة امرأة ومنظار ووذيلنة ولجة ومارية وزلقة ومذبة او زجاجة او صفيحة فتشظر وشمت استها ليكون سيداتي هولا فيها وجوههن وما هن عليه من الاحوال * اليس في الشرق احسن لها وفي المثل من سيبويه فيصفع * اما في الغرب من ابن مالك فيقدع * الا اخفش هو اعظم في نفسه فيغار على هذه اللغة * ويرض راس هذه الرزغة * كيف يظن الانسان من المتشمة *

انه عالم ولم يتعلم * واديب ولم يتادب * وفقه ولم يتفقه * نعم انه لا يرى جهله فى مرآة كما يرى وجهه ولكن اليست الكتب هى مرآة العقل * فحتى قرا كتب العلماء ولم يفهمها عرف حدّ ما وصل اليه من العلم * غير ان المطران اثناسيوس الشونجى مطران طرابلس الشام المقيم فى جميع البلدان الا فيها لم يطالع شيئا من مولفات العلماء * فغاية ما علمه من النحو باب الفاعل والمفعول * ومن البيان نوع التجريد * ومن الفقه باب النجاسات * ومن العروض الوند المتحرك * ومن البديع ردّ العجز على الصدر * هذا حدّ ما عرفه وتبحر به فى مدرسة عين تراز حين كان قيّم تلامذتها * فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندرة ثم فراره من لندرة الى مالطة * ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلاق * وتشهيرة هناك وتجربته فى الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطى هذه الحرفة التى الفها مذنين كثيرة * وتسبب فى زمن موسم لندرة فى ان جمع جماعة مغنيين ومغنيات من بيت اشق باش بحلب * واغواؤه اياهم على ان يقصدوا الموسم طمعا فى الربح * ودخوله معهم ومع شركائهم اولا فى شروط المصروف والتجهيز * ثم استرجاعه المبلغ الذى كان اذاه اليهم واشترطه عليهم اشراكهم اياه فى الفائدة من دون ان يشاركهم فى التعب * وذلك فى مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميمة الذى كان سببا فى تخسير رئيسى هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه فى هذا الكتاب * وربما قال قائل هنا انك ايها المؤلف قد عبت على الناس جهلهم انفسهم * وقد اراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فاوردت فيه كلاما لا يليق

بالنساء * فقد تجاوزت ابن ابي عتيق وابن حجاج * قلت الحامل
على ذلك امران * احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة * والثاني
انى قصدت تشويق القارئ من ملأوا حيطان ديارهم من قصب
النبع الى شرا كتاب فى اللغة * فياقرنا وياسامعا * وياراقنا وياعامسا *
قل للمتعنن ان من كان فى فيد مرارة لم يستطيب الحلوة * وبعد
فانى اترامى على اقدام سيدتى المدقم وسيدتى الدعشوقة وسيدتى
الفاحسة وسيدتى المسخمة * واطلب منهم العفوع

طغيان القلم اذ لا يمكن لى ان

ابيت هذه الليلة

وهن على

غضاب

*



الفصل العشرون

في سرقة مطرانية



لما رجع الفاريابي من عند الامير المشار اليه اخبر زوجته بما احسن به اليه وبانه وعده بوظيفة حسنة في مصر * فقالت انا اسبقك اذا وانت تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى اهلي فدعني اسافر اليهم * قال لا بأس فلما ازف الفراق اخذ يودعها ويقول * اذكرى يا زوجتي ان لك في الجزيرة حليلا يرعاك وخليلا لا ينساك * فقالت من لي بهذا * قال فقلت اتي هذا تعنين * قالت انما اعنيك * قلت بل المتبادر غيري * قالت هل الحقائق تتوقف على بوادركم انتم العرب * وما زال دابكم نبش ما في صدور النساء من الاسرار * وفقس ما في يوافيخهن من الافكار * ومواخذتهن بالدث والوهم * ومعاملتهن بالحدس والقسم * ومعالجتهن بالهجس والرعم * والرضخ والرجم * والتذقح واللغم * والرئيس والوغم * بدل العمس والعسم * والجلهزة والرأم * والحزم والوزم * والجمش والفغم * والضم والدعم (١) ولوان الله تعالى يواخذ العباد باللغو مثلكم لما بقي على وجه الارض من بشر * قلت اكثر هذه المشاحنات ناشى عن لغتنا فان كل عبارة منها تحتمل عدة معان لسعتها * قالت ليتها كانت ضيقة * قلت وهذا ايضا من ذاك * قالت وكذا ذاك في هذا * قلت وكذلك

(١) الدث الرجم من الخبر والقسم ان يقع في قلبك الشئ فظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة والرضخ خبر تسمعه ولا تتيقنه وتذقح له تجرم وتجنى عليه ما لم يذنبه والوغم واللغم

والرجم الرجم من الخبر والقسم ان يقع في قلبك الشئ فظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة والرضخ خبر تسمعه ولا تتيقنه وتذقح له تجرم وتجنى عليه ما لم يذنبه والوغم واللغم

عليه * قالت وتحتنه ايضا فالاولى اذا السكوت * قلت ليس عند ذلك *
قالت انتم الرجال كلکم منخاريون فطافطيون رفشيون * قلت من
اين علمت ذلك * قالت قد رجعنا الى الوهم والقسم * قلت بل
فلنعد الى الوداع * قالت نعم انى اسافر وليس لى من آسف عليه *
قلت هل انا فى جملة غير الماسوف عليهم * قال ما انت كاحد
الناس * قلت وهذا ايضا كلام مبهم السميت برجل * قالت فى احد
المعنيين * قلت هل بقى لك على شى * قالت جُمعهُ * قلت اعندك
حساب ذلك فى دفتر * قالت نعم قد غرنا تاحزكم فى الشعر
ياشعرا فزعمناكم قوالين فعالين * فاذا بكم لا تحسنون الا الوصف *
قلت ومن يحسن الفعل * قالت من لا يحسن الوصف * قلت
واين حق الادب * قالت فى مجالس العلماء لا فى مجالع النساء *
قلت ذلك يفضى الى الانبئات * قالت وهذا الى الانبئات *
قلت كيف يمكن الفراق اذا * قالت ان شئت الوزم لان ولا
فدعه الى ان تاتى مصر * قلت كيف يتأتى وزم اعوام * فى ساعات
او ايام * واشفق ان احين وعلى ذبابة * قالت اذا كنت لم تخش
من الدين * فما اخالك تخشى من الحين * قلت لقد اذكرت
ناسيا وطالما حسبت الناس كلهم مثلى * قالت وانت انسييت
ذاكرة لكونى لم ار لى مثلا * قلت اذكرى السطح واصفحى *
قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح * قلت انى اردت السطح
القديم * قالت انما اريد الحديث * قلت يقال فى الامثال لا بركة الا فى
القديم * قالت يقال فى الامثال لكل جديد لذة * قلت كيف الفراق
وفى قلبك صغن * قالت يا حبذا الصغن * قلت اذا كان بمعنى
الشوق الى * قالت نعم هى من الالفاظ الغريبة التى تعلمتها

منك كالعقيون والفتحل والحبرة * قلت لعلك انست من
العقيون العقيان ومن الفتحل الفحل ومن الحبرة الحبرة * قالت لا تانس
الحبرة بالحبرة * قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النعمة *
قالت وقالوا ايضا التسديد من السداد * قلت لم يرد في النهى عن
ذاك امر * قالت هو مقيس على نقيضه * قلت هذا بذر في ارض سباح *
قالت وذلك قراح بلا حرث * قلت الكلام على البذر * قالت لا يمر الطعام
ما دام في الحلق ولا يسوغ الماء الا اذا مر على الزقوم * ثم توادعا بعد
مباراة الذم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزله كئيبا مستوحشا *
لانها كانت كثيرا ما تدله على الرشاد وتنهجه له الراى السديد * ثم لم
يشعر بعد ايام الا وروائح المطران قد انتشرت وهى اشد اذى من
الاولى * فبعث منها قدرا اخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم *
ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شككم كل ذى خيشم * فلما
بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق *
فبدا لهم ان يستدوا مسام المطران عن اخراج ذلك الخبث * وان يحضروا
اليهم الفاريق لاعادة ترجمة الكتاب الذى تقدم ذكره * هذا وقد كان
الفاريق الى فى احوال اهل الجزيرة كتابا وغاب عليهم فيه بعض عادات
ورسم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلاده * وذلك كتغطيسهم
اجراس الكنائس فى ماء المعمودية * واطلاق اسماء القديسين عليها *
وكخروجهم بالدمى والثمايل نهارا وايقاد الشموع امامها وما اشبه هذا *
وكان قد اعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد
عليه * فاتفق ان زارة المطران يوما فراى الكتاب على كرسى وقد عرف
خط مولفه * فغافل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع
منه الاوراق التى اشتملت على ذكر تلك العادات * ثم بعث بها الى رئيس

مصلح البخر وكتب عليها باللغة الطليانية * انظر ايها الرئيس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك أولاً الا ان الرئيس المذكور لما كان لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين فى خدمة الدولة * كان لا بد من اعادة الاوراق الى المؤلف * وكان المطران قد فر من الجزيرة قبل اعادتها وطهر الجومن روائحه * ولو بقى بعد ذلك لعوقب على هذه السرقة معاقبة تليق بامثاله * ووقتئذ عزم الفارياق على السفر لقصاً تلك المصاححة اعنى ترجمة الكتاب وارسل الى زوجته يعلمها بما استقر عليه الراى * وشار عليها بالرجوع اذ كان يرجوانه يبقى فى بلاد الانكليز بعد انهائه الكتاب * غير انه جرت العادة فى بلاد الافرنج بان مدرسى اللغات فى مدارسهم الجامعة لا يكونون الا منهم وان كانوا جاهلين * وبعد ان رجعت الفاريقية تاهب الفارياق للسفر * وها هو الان يوعى القاموس والاشمونى فى صندوقه * وها انا منطلق لقصاً حاجة لا بد منها * فاسمحوا لى ان استريح قليلا *





في اطلاق بحر



من لم يسافر في البحار ويقاس فيه الانواء والامواج فلا يقدر ترفه المعيشة
 في البرحق قدرها * فينبغي لك ايها القارى البرى ان تتصور في بالك كلما
 اعوزك الماء القراح واللحم الغضيف والفاكهة الطريئة والبقول الحسنة
 والخبز اللين ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله * وان
 سفينتهم لا تزال تميد بهم وتشقلب وتضعد وتهبط * فدون كل لقمة
 يسترطونها غصة * وفي كل رقدة يرقدونها مغبة * وانه متى وضع بين
 يدك لون واحد من الطعام فلا تفكر الا فيه * واعتقد ان غيرك يغتذى
 بمثله في تلك الساعة بل باقل منه * فبذلك يحصل لك التاسى والتسلى *

فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامراء وصروح الوزراء وفكرت فيما
ياكلون ويشربون فانك لا ريب تشعب نفسك وتعتيها لغير فائدة *
ولكن اتحسب ان المعتقة التى يشربها الامير الذى من الماء الذى تشربه
انت * حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد * مضطلعا بادارة مصلحة
لك تكفيك واهلك المونة * وحالة كون زوجتك تجلس قبالك او عن
يمينك وشمالك * ولدك الصغير على ركبتيك * تارة يغنى لك * وتارة
يناولك بيده اللطيفة ما سالت عنه امه * واذا خرجت شيعاك الى الباب
واذا قدمت صعدا معك واجلساك على انطفئ متكا فى الدار *
فاما انت ياسيدى الغنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة
حتى ترى بعينيك ما لم تراه فى بلدك * وتسمع باذنك ما لم تسمعه *
وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم
وسياستهم * ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا *
ومتى دخلت بلادهم وكننت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بحقك على تعلم
كلام الخنى منهم أولا * او تستحلى لاسما من اجل المسميات * فان كل لغة
فى الكون فيها الطيب والخبيث * اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات
الانسان وافعاله وافكاره * ومعلوم ان فى هذه ما يحمّد وما يذم * فأجلك
عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا
اسماء بعض الاعضاء وعبارات اخرى سخيفة * لا بل ينبغى لك حين تدخل
بلادهم سالما ان تقصد قبل كل شى المدارس والمطابع وخزائن الكتب
والمستشفيات والمخاطب * اى الاماكن التى يخطب فيها العلماء فى كل
الفنون والعلوم * فمنها ما هو معدّ للخطابة فقط ومنها ما يشتمل على
جميع الآلات والادوات اللازمة لذلك العلم * واذا رجعت بحمده تعالى

الاياعاب الى الرفش والقفش الى المحش الى المسح الى الإجفان الى الإفظآ
الى الإنقاش الى القزب الى الرلك الى البلك الى المهك الى الهك
والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهق الى الزجل الى الاماهة الى
الزعب الى الخوق الى الدعم الى الرطم الى الكوس الى الإقحاط
الى الومس الى الدعظ الى الدعمطة الى السغم الى الإكسال الى الإطمار
الى الغفق الى الخفق الى الوجس الى الإفهار الى الظلم الى التداوم الى
التستى الى التقمقم الى التجبية الى الإبراك الى التدبيخ الى
الإنسداج الى الانسراح الى الانشداح الى التنوخ الى الدرجة الى
الدهشة الى المشق الى السلق الى الصلق الى السلقة الى المزد الى
الحرش الى الشقية الى المحارقة الى الكشر الى النخب الى التفسخ الى
الظهارية الى الترفع الى التفسخ الى الفشاغ الى المزمعة الى القرطة الى القرصة
الى الكابوس الى الخط الى العرفجة الى التكويد الى الشفر الى الشفير
الى التدليس الى التفخيز الى التحيض الى الحسوف الى التلجيف الى دح دح
الى آرا الى آزا الى باط باط تقعد فى مجلس رئيسة بنات النقرى وتطفق
تعييب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطرن
ويتحليين ثم يخرججن ويمشين الحيلآ * ولكن أنسيت ياسيدتى يوم قلت
لشيخك ما احد يعشق آلا ويتغير لونه عند ذكر معشوقه * فقال لك
ليس ذلك بمطرد * فكابرت واصررت على قولك فكابر هو ايضا واصر على
انكاره * فقلت له حتى تحجيه لو انك ذكرت لى اسم — ثم انتبهت
وسكت * فقال لك وقد طن قرن دماغه اسم من * فضحكت وقلت لا
ادرى * ويوم خرج بك ليفرج عنك الهم فى يوم راح فخرجت وقد كشفت
نصف صدرك ولمعت الترائب والمفاخر واللوعة وهولا يدري لغفلته *

فلما التفت اليك ووجدك على هذه الحالة قلت ان الريح فعلت ذلك * ويوم كان يماشيك فقلت وانت ذاهلة لغلبة الهوى افدى بروحي وجه من اهوى * فلما سالك قلت ما هو الا انت وما انت الا هو * ويوم ارسلت خادمك * ويوم بعثت خادمك * وغداة كتبت رقعة دعوت فيها من شاكك * وصحوة تاخرت * وعشية تعطرت * وساعة اعتذرت * وفينة فرمت * وليلة اوهمت وجمجمت * وفنة همت وهمهمت وهينمت * وتوة تزبرجت وتعلمت * وثفنة ارتمت * وفينة زممت وسلمت * وحنة استحمرت حتى دعت * الم تكن هذه القوافي كلها مكافئة لنظرجارتك من الشباك * وهذا المطران اتناسيوس التتوني قد صار الان مترجما معربا كاتباً منشئاً * وهو اضيق استا من ان يفعل * ولم يبال ان جر عليه بتعريبه است الكلبة * وقد حسب مضايق الحرف كلها سوا * وتعنى وتعمل * ولهوج ولهوق * وطرمذ وطرطر * وتفتيش وتحرش * وقرمش وفشفش * وهربج وهلج * وسفسف وهمرج * واخترص وثئم * وتورة وضها * وانها ونيأ * وتكسس وتزتب * وتنفج ولبلب * وخرشب وخشرب * وتحذلق وثائب * وتصوك وتزنج * وتندخ وتزنج * ومردل وافجس * ومرطل وطررس * وتنفهق وتشدق * وعفك وبشك * وخرق وخرق * وربك ولبك * وعصد ولفت * وهو اعظم في نفسه من

المتشمة (١) اليس في الكون من مראה رزنجل وسججل وعناس (١) المتشمة امرأة ومنظار ووذيلة ولجة ومارية وزلقة ومذبة او زجاجة او صفيحة فتتظر وشمت استها ليكون سيداتي هولاً فيها وجوههن وما هن عليه من الاحوال * اليس في الشرق احسن لها وفي المثل من سيبويه فيصفع * اما في الغرب من ابن مالك فيقدع * الا اخفش هو اعظم في نفسه فيغار على هذه اللغة * ويرض راس هذه الرزغة * كيف يظن الانسان من المتشمة *

انه عالم ولم يتعلم * واديب ولم يتادب * وفقه ولم يتفقه * نعم انه لا يرى جهله فى مرآة كما يرى وجهه ولكن اليست الكتب هى مرآة العقل * فمتى قرا كتب العلماء ولم يفهمها عرف حد ما وصل اليه من العلم * غير ان المطران اتناسيوس الشونجى مطران طرابلس الشام المقيم فى جميع البلدان الا فيها لم يطالع شيا من مولفات العلماء * فغاية ما علمه من النحو باب الفاعل والمفعول * ومن البيان نوع التجريد * ومن الفقه باب النجاسات * ومن العروض الوند المتحرك * ومن البديع رد العجز على الصدر * هذا حد ما عرفه وتبجح به فى مدرسة عين تراز حين كان قيم تلامذتها * فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندرة ثم فراره من لندرة الى مالطة * ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلاق * وتشهيرة هناك وتجريسه فى الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطى هذه الحرفة التى الفها مذنين كثيرة * وتسببه فى زمن موسم لندرة فى ان جمع جماعة مغنيين ومغنيات من بيت اشق باش بحلب * واغواؤه اياهم على ان يقصدوا الموسم طمعا فى الربح * ودخوله معهم ومع شركائهم اولا فى شروط المصروف والتجهيز * ثم استرجاعه المبلغ الذى كان اذاه اليهم واشترطه عليهم اشراكهم اياه فى الفائدة من دون ان يشاركهم فى التعب * وذلك فى مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذى كان سببا فى تخسير رئيسى هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه فى هذا الكتاب * وربما قال قائل هنا انك ايها الفولى قد عبت على الناس جهلهم انفسهم * وقد اراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فاوردت فيه كلاما لا يليق

بالنساء * فقد تجاوزت ابن ابي عتيق وابن حجاج * قلت الحامل
على ذلك امران * احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة * والثاني
انى قصدت تشويق القارئ من ملأوا حيطان ديارهم من قصب
التبغ الى شراء كتاب فى اللغة * فياقرنا وياسامعا * وياراقنا وياعامسا *
قل للمتعنت ان من كان فى فيه مرارة لم يستطيع الحلوة * وبعد
فانى اترامى على اقدام سيدتى المدقم وسيدتى الدعشوقة وسيدتى
الفاحشة وسيدتى المسخمة * واطلب منهم العفوع

طغيان القلم اذ لا يمكن لى ان

ابيت هذه الليلة

وهن على

غضاب

*



الفصل العشرون

(١١) الدَّثْرُ الرِّجَمُ مِنْ
الْخَبَرِ وَالْقَسَمُ أَنْ يَقَعَ
فِي قَلْبِكَ الشَّيْ فَنَظَنَّهُ
نَمْ يَقْوَى ذَلِكَ الظَّنُّ
فَيَصِيرُ حَقِيقَةً وَالرَّضْخُ
خَبَرٌ تَسْمَعُهُ وَلَا تَسْتَقِيقُهُ
وَتَذْقَحُ لَهُ تَجَرَّمُ
وَتَجَنَّبِي عَلَيْهِ مَا لَمْ
يَذْنِبْهُ وَالْوَعْمُ وَاللَّغْمُ

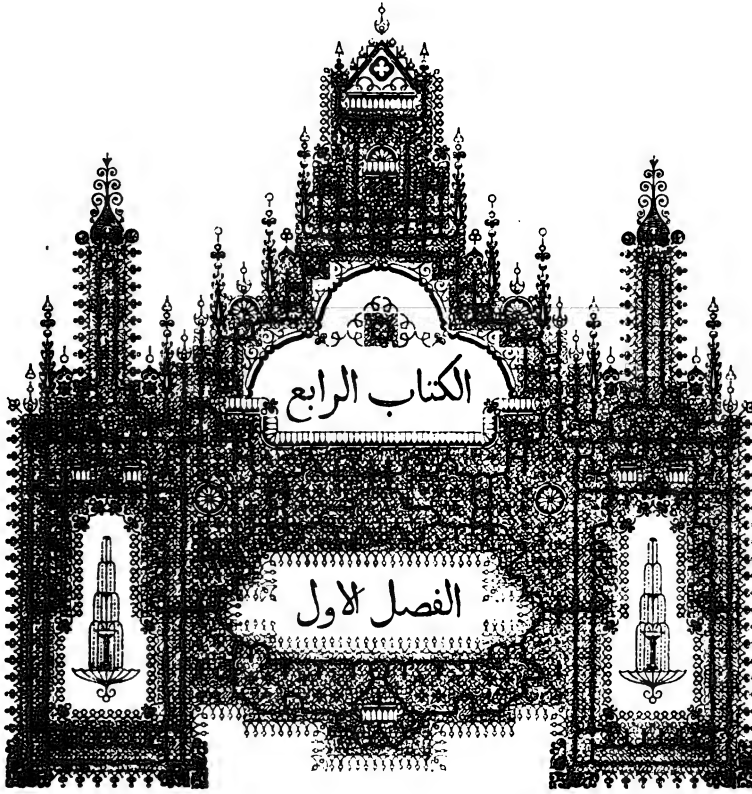
Digitized by Google

عليه * قالت وتحتّه ايضا فالاولى اذا السكوت * قلت ليس عند ذلك *
قالت انتم الرجال كلکم منخاريون فطافطيون رفثيون * قلت من
اين علمت ذلك * قالت قد رجعنا الي الوهم والقسم * قلت بل
فلنعد الى الوداع * قالت نعم انى اسافر وليس لى من آسف عليه *
قلت هل انا فى جملة غير الماسوف عليهم * قال ما انت كاحد
الناس * قلت وهذا ايضا كلام مبهم السميت برجل * قالت فى احد
المعنيين * قلت هل بقى لك على شى * قالت جَمْعُهُ * قلت اعندك
حساب ذلك فى دفتر * قالت نعم قد غرنا تلحزكم فى الشعر
ياشعراء فزعمناكم قوالين فعالين * فاذا بكم لا تحسنون الا الوصف *
قلت ومن يحسن الفعل * قالت من لا يحسن الوصف * قلت
واين حق الادب * قالت فى مجالس العلماء لا فى مجالع النساء *
قلت ذلك يفضى الى الانبئات * قالت وهذا الى الانبئات *
قلت كيف يمكن الفراق اذا * قالت ان شئت الوزم لان ولا
فدعه الى ان تاتى مصر * قلت كيف يتأتى وزم اعوام * فى ساعات
او ايام * واشفق ان احين وعلى ذبابة * قالت اذا كنت لم تخش
من الدين * فما اخالك تخشى من الحين * قلت لقد اذكرت
ناسيا وطالما حسبت الناس كلهم مثلى * قالت وانت انسييت
ذاكرة لكونى لم ار لى مثلا * قلت اذكرى السطح واصفحى *
قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح * قلت انى اردت السطح
القديم * قالت انما اريد الحديث * قلت يقال فى الامثال لا بركة الا فى
القديم * قالت يقال فى الامثال لكل جديد لذة * قلت كيف الفراق
وفى قلبك صغن * قالت يا حبذا الصغن * قلت اذا كان بمعنى
الشوق الى * قالت نعم هى من الالفاظ الغريبة التى تعلمتها

منك كالعقيون والفطحل والحبرة * قلت لعلك انتست من
العقيون العقيان ومن الفطحل الفحل ومن الحبرة الحبرة * قالت لا تانس
الحبرة بالحبرة * قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النعموة *
قالت وقالوا ايضا التسديد من السداد * قلت لم يرد في النهى عن
ذاك امر * قالت هو مقيس على نقيضه * قلت هذا بذر في ارض سباخ *
قالت وذلك قراح بلا حرث * قلت الكلام على البذر * قالت لا يمر الطعام
ما دام في الحلق ولا يسوغ الماء الا اذا مر على الزلقوم * ثم توادعا بعد
مباراة الذم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزله كئيبا مستوحشا *
لأنها كانت كثيرا ما تدله على الرشاد وتنهجه له الراى السديد * ثم لم
يشعر بعد ايام الا وروائح المطران قد انتشرت وهى اشد اذى من
الاولى * فبعث منها قدرا اخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم *
ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شككم كل ذى خيشم * فلما
بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق *
فبدا لهم ان يستدوا مسام المطران عن اخراج ذلك الخبيث * وان يحضروا
اليهم الفاريق لاعادة ترجمة الكتاب الذى تقدم ذكره * هذا وقد كان
الفاريق الى فى احوال اهل الجزيرة كتابا وغاب عليهم فيه بعض عادات
ورسم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلاده * وذلك كتغيطهم
اجراس الكنائس فى ماء المعمودية * واطلاق اسماء القديسين عليها *
وكخروجهم بالدمى والتماثيل نهارا وايقاد الشموع امامها وما اشبه هذا *
وكان قد اعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد
عليه * فاتفق ان زارة المطران يوما فراى الكتاب على كرسى وقد عرف
خط مولفه * فعاقل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع
منه الاوراق التى اشتملت على ذكر تلك العادات * ثم بعث بها الى رئيس

مصلح البحر وكتب عليها باللغة الطليانية * انظر ايها الرئيس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك أولا * الا ان الرئيس المذكور لما كان لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين في خدمة الدولة * كان لا بد من اعادة الاوراق الى المؤلف * وكان المطران قد فر من الجزيرة قبل اعادتها وطهر الجومن روائحه * ولو بقى بعد ذلك لعوقب على هذه السرقة معاقبة تليق بامثاله * ووقتئذ عزم الفارياق على السفر لقصا تلك المصاحبة اعنى ترجمة الكتاب وارسل الى زوجته يعلمها بما استقر عليه الراى * و اشار عليها بالرجوع اذ كان يرجوانه يبقى فى بلاد الانكليز بعد انتهائه الكتاب * غير انه جرت العادة فى بلاد الافرنج بان مدرسى اللغات فى مدارسهم الجامعة لا يكونون الا منهم وان كانوا جاهلين * وبعد ان رجعت الفارياقية تاهب الفارياق للسفر * وها هو الان يوعى القاموس والاشمونى فى صندوقه * وها انا منطلق لقصا حاجة لا بد منها * فاسمحوا لى ان استريح قليلا *





في اطلاق بحر



من لم يسافر في البحار ويقاس فيه الانواء والامواج فلا يقدر ترفه المعيشة
في البرحق قدرها * فينبغي لك ايها القارى البرى ان تتصور في بالك كلما
اعوزك الماء القراح واللحم الغضيف والفاكهة الطريئة والبقول النخلة
والخبز اللين ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله * وان
سفينتهم لا تزال تميد بهم وتتقلب وتضعد وتهبط * فدون كل لقمة
يستوطنها غصة * وفي كل رقدة يرقدونها مفصة * وانه متى وضع بين
يديك لون واحد من الطعام فلا تفكر الا فيه * واعتقد ان غيرك يغتذى
بمثله في تلك الساعة بل باقل منه * فبذلك يحصل لك التاسى والتسلى *

فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامراء وصروح الوزراء وفكرت فيما
ياكلون ويشربون فانك لا ريب تتعب نفسك وتغنيها لغير فائدة *
ولكن اتحسب ان المعتقة التى يشربها الامير الذى من الماء الذى تشربه
انت * حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد * مضطلعا بادارة مصلحة
لك تكفيك واهلك المونة * وحالة كون زوجتك تجلس قبالك او عن
يمينك وشمالك * وولدك الصغير على ركبتيك * تارة يغنى لك * وتارة
ينالوك بيده اللطيفة ما سالت عنه امه * واذا خرجت شيعاك الى الباب
واذا قدمت صعدا معك واجلساك على انطفئ عتقا فى الدار *
فاما انت ياسيدى الغنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة .
حتى ترى بعينيك ما لم تراه فى بلدك * وتسمع باذنيك ما لم تسمعه *
وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم
وسياستهم * ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا *
ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بحقك على تعلم
كلام الخنى منهم أولا * او تستحلى لاسما من اجل المسميات * فان كل لغة
فى الكون فيها الطيب والخبيث * اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات
الانسان وافعاله وافكاره * ومعلوم ان فى هذه ما يُحمد وما يذم * فأجلك
عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا
اسما بعض الاعضاء وعبارات اخرى سخيفة * لا بل ينبغي لك حين تدخل
بلادهم سالما ان تقصد قبل كل شى المدارس والمطابع وخزائن الكتب
والمستشفيات والمخاطب * اى الاماكن التى يخطب فيها العلماء فى كل
الفنون والعلوم * فمنها ما هو معد للخطابة فقط ومنها ما يشتمل على
جميع الالات والادوات اللازمة لذلك العلم * واذا رجعت بحمده تعالى

الى بلدك فاجتهد فى ان تولف رحلة تشهرها بين اهل بلادك لينتفعوا
بها ولكن من دون قصد التكبب ببيعها * وياليتك تشارك بعض اصحابك
من الاغنياء فى انشاء مطبعة تطبع فيها غير ذلك من الكتب المفيدة للرجال
والنساء والاولاد وكل صنف من الناس على حدته * حتى يعرفوا ما لهم وما
عليهم من الحقوق * سوا كانت تلك الكتب عربية او معربة * ولكن
احذر من ان تخط فى نقلك عن العجم الطيب بالخبيث والصحيح
بالمعتل * فان المدن الغنى تكثر فيها الرذائل كما تكثر الفضائل * نعم ان
من هؤلاء الناس لمن يابى ان يرى احدا وهو على الطعام * واذا اضطر
الى رؤيته وهو على تلك الحالة فلا يدعوه للوس شى مما بين يديه *
لكن منهم من يدعوك الى صرحه فى الريف فتقيم فيه الاسبوع
والاسبوعين وانت الامر الناهى * وان منهم لمن يخل عليك برد الشحمة *
واذا دخلت دار صديق منهم وكان فى المجلس جماعة من اصدقائه لم
يعرفوك من قبل فما احد منهم يتحاحل لك فى القيام ولا يعبا بك ولا
يلتفت اليك * لكن منهم من اذا عرفك اهتم بامرك فى حضورك
وغيابك على حد سوى * واذا ائتمنته على سر كتمه لك طول حياته *
وان منهم لمن ينبرك بالالقاء اول ما يقع نظره على شارببك
ولحيثك او على عمايتك او يجذبك من ذيلك من وراء * ولكن
منهم من يتهافت على معرفة الغريب ويرتاح الى الرفق به والاحسان
اليه ويرى اجارته وحمايته فرضا عليه متحتما * وان منهم لمن يسخر منك
اذا راك تاحن فى لغته * ولكن منهم من يحرص على ان يعلمك اياها
مجانا اما بنفسه او بواسطة زوجته وبناته * وعلى ان يعيرك ما يفيدك
من كتب وغيرها ويرشدك الى ما فيه صلاح امرك وتوفيقك * وان منهم

لمن يحسبك قد وافيت بلاده تسابقه على رزقه فيكبح في وجهك وينظر اليك شزرا * لكن منهم من ينزلك في بلدة منزلة صيف يجب اكرامه واحترامه والذب عنه بحيث لا تفصل عنه وفي قلبك ادنى ألم من اهله * وان منهم لمن يستحرك ان تترجم له او تعلمه ثم لا يقول لك احسنت ياترجم او يامعلم * لكن منهم من لا يستحل ان يكلمك من دون ان يودى اليك اجرة فتح فمك وضم شفتيك * وان منهم لمن اذا اضطر الى ان يدعوك الى طعامه ثم رآك قد سعلت سعلة او مخطت مخطاة او فخرت فخرة قال لزوجته ألا ان صيفنا مريض * فلا ينبغي ان تكثري له من الطعام * فتقوم عن المائدة متصورا ويمتن هو عليك بين معارفه بانه صنع لك وليمة في عام كذا وشهر كذا ويوم كذا فيجعل تلك الليلة تاريخا * لكن منهم من اذا عرف انك مقيم في إحدى قرى بلاده حيث لا بيع ولا شراء ولا شيء ينال من البقول والائمار بعث اليك من مبالغه وحداثته ما سد فاك عن الشكوى * كما كان مستردراموند يبعث الى الفارياق حين قدر الله عليه بالسكنى في بعض تلك القرى فكانت شكواه منها تسمع مع دوى الريح * ليت شعري اليس وجود مئة كتاب بدارك في الاقل خيرا من وجود كذا وكذا قصة للتبغ وكذا وكذا اركيلة * مع ان ثمن المئة كتاب لا يوازي ثمن ثلث قطع من الكهربا * اليس وجود مطبعة في بلادك اولى من هذه الطيالس الكشميرية وتلك الفراء السمورية وهذه الآنية النفيسة والحلى الفاخر * فان الانسان اذا نظر الى الحلى لا يستفيد منه شيئا لابدنه ولا لراسه * وغاية فرحه به انما هو الشهر الذي اشتراه فيه فاذا مضت عليه اشهر استوى عنده وسقط المتاع فلم يبق منه ما يسره من وجوده سوى بيعه * فاما الكتاب فانه كلما مرت عليه السنون

زادت قيمته وكثرت منافعه * اوليس اطلعك على التاريخ والجغرافية واداب
الناس زينة لك بين اخوانك ومعارفك تفوق على زينة الجواهر *
اليس تعليم اهلك وذويك شيا من ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة
من كتب الطب يكسبك عند الله اجرا ويومئذ من مضار كثيرة تنطرق اليهم
لجهلهم بها * فان قلت انه ليس عندنا كتب فى العربية تصلح للنساء *
قلت هب ما قلته حقا ولكن اليس عند الافرنج كتب مختصة بالنساء
والاولاد يولفها الرجال الفاضلون المهذبون * فلم تشتري من الافرنج
الخز والمتاع ولا تشتري منهم العلم والحكمة والاداب * ثم انك مهما
بالغت فى ان تبرقع زوجتك عن روية الدنيا فلن تستطيع ان تخفيها
عن قلبها * فان المرأة حيثما كانت وكيفما كانت هى بنت الدنيا وآمها
واختها وصرتها * لا تقل لى ان المرأة اذا كانت شريرة لا يصلحها
الكتاب بل يزيدھا شرّة * واذا كانت صالحة فما بها من حاجة اليه *
فانى اقول ان المرأة كانت اولا بنتا قبل ان صارت امرأة * وان الرجل
كان من قبل ولدا * ولا ينكر احد ان التعليم على صغر * كالنقر فى الحجر *
وانك اذا ربّيت ولدك فى العلم والمعارف والفضائل والمحامد يربون
على ما ربّيتهم عليه * وتكون قد اديت ما فرضه الله عليك من تاديبهم *
فتفارقهم بعد العمر الطويل وخاطرك مجبور وبالك رضى مطمئن * فلم
يبقى لك الا ان تقول ان ابنى لم يعلمنى وكذا جدى لم يعلم ابنى وانى بهما
اقتدى * فاقول لك ان الدنيا فى عهد المرحومين جدك وابيك لم
تكن كما هى الان * اذ لم يكن فى عصرهما سفن النار ودروب الحديد
التي تقرب البعيد * وتجدد العهد * وتصل المقطوع * وتبذل الممنوع *
ولم يكن يلزم للانسان فى ذلك الوقت ان يتعلم لغات كثيرة * فكان

كل من يقول خوش كلدی صفا كلدی يقال فيه انه يصلح لان يكون ترجمانا
فى باب همايون * وكل من كان يكتب خطا دون خطى هذا الذى
سودت به هذا الكتاب * لا الذى تنقراه لان فانى برى من هذه
الحروف * كان يقال عنه انه كاتب ماهر يصلح لان يكون منشى ديوان *
فاما لان فهيات * هذا الفاريق حين نوى السفر من الجزيرة الى بلاد
الانكليز كان بعض الناس يقول له انك سائر الى بلاد لا تطلع عليها الشمس *
وبعضهم يقول الى ارض لا ينبت فيها القمح ولا البقول * ولا يوجد فيها من
الماكل الا اللحم والقلقاس * وبعضهم يقول انى اخاف عليك ان تفقد
فيها رتلك لعدم الهوا * وبعضهم يقول امعاك لعدم الاكل * وبعضهم
صدرك او عضوا آخر غيره * فلما سار اليها وجد الشمس شمسا والهوا هوا *
والما ما * والرجال رجالا والنسا نسا * والديار ماهولة والمدن معمورة *
والارض محروثة اريضة * كثيرة الصوى والاعلام * خصلة الغياض والرّبض
والاجام * ناصرة المروج * زاهية الحقول * غضة البقول * فلو انه سمع
لاولئك الناس لفاته رؤية ذلك اجمع * فان خشيت ان تفوتك هناك
لذة الاركلة ولذة تكبيس الرجلين قبل الرقاد * فاعلم ان ما ترى هناك
من العجائب ينسبك هذا النعيم * ويلهيك عما الفتته فى مقامك الكريم *
كيف ترضى لنفسك ان تفارق هذه الدنيا ولم ترها وانت قادر على
ذلك * وقد قال ابو الطيب المتنبى

ولم ار فى عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

ام كيف تقتصر على معرفة ربع لغة ولا تتشوق الى علم ما يفكر فيه
غيرك * فلعل تحت قبعته افكارا ومعانى لم تخطر بما تحت طربوشك *

بحيث انك اذا استوعبتها تؤدّ لو انك عاصرت صاحبها وتشرفت بمعرفته
وصنعت له مادية فاخرة زينتها بصحاف الرز والبرغل * وكيف تبلغ من
عمرك ثلثين سنة ولم تولّف شيئا يفيد اهل بلادك * فما ارى بين يديك
الا دفاتر بيع وشراء وفناديق دخل وخرج * ورسائل فاسدة المعانى ركيكة
الالفاظ تنظر فيها فى كل صباح ومساء * فاما اذا قصدت السفر لمجرد
التفاخر فقط بان تقول مثلا فى مجلس زارك فيه اصحابك الكرماء *
واقرانك العظما * قد رايت مدينة كذا وشاهدت شوارعها النظيفة
الواسعة وديارها الرحيبة ومراكبها الحسنة واسواقها البهيجة وخيلها
المطهّمة ونسائها الرائعة وعساكرها الجرارة * واكثت فيها فى اليوم الاول
كذا وشربت فى اليوم الثانى كذا * ثم ذهبنا بعد ذلك الى بعض الملاهي
ثم الى احدى الملهيّات * وبت معها على فراش وطى * وكان قبالة السريـر
مرآة كبيرة فى طول الفراش وعرضه فكنت ارى نفسى فيها كما كنت فى
الفراش * ثم قمت فى الصباح وجاتنا خادمة صبيحة بصبح او فطور *
ثم عدت الى محلى فوجدت فيه فلانا ينتظرنى وكان ذلك نحو الساعة
الحادية عشرة اى قبل الظهر بساعة * فتوجهنا معا الى البستان المسمى
بالبستان السلطانى * وبينما نحن نمشى فيه وننظر الى الشجر الباسقة
والزهور المدبجة اذا بالفتاة التى بت عندها تماشى رجلا يغازلها * فلما
راتنى تبسمت وسلمت على * وكان سلامها لم يسؤ الرجل فانه نزع
لى قبعته فعجبت جدا من عدم غيرته * اذ لو كانت الفتاة عندى
لحجبتها عن النور * فذلك كله يسمى فى العربية هَذْرًا وَهْرًا وَهْفًا وَهْرَجًا
وَهَاجًا وَسَقَطًا وَهَيْشًا وَتَغَا وَخَطَلًا وَاخْلًا وَلُخَى وَطَفَانِينَ وَهَذْيَانًا وَثَوْرَةً
وَفَرْفَرَةً وَحَذْرَةً وَهَرْمَةً وَهَرْمَةً وَخَرْبَةً وَخَطْلَبَةً وَغَيْذَرَةً وَشَمْجَةً وَنَفْرَجَةً

وهمرجة وثغشغة وفقفقة ولقلقلة ووقوقة وهتمنة وفى المتعارف عند العامة فشارا وعلكا * اذا لا فائدة فيه لاحد من الناس * بخلاف ما اذا قلت لهم ان الغيسانى من الرجال هناك اذا حضر مجلسا فيه نساء لا يغمز احداهن بعينه ولا يتبظرم ولا يبتهر (١) * ولا يقول لها انه يزور النساء المحصنات بعلم بعولتهن وبغير علمهم وياكل عندهن ويشرب * ثم يخلو بهن فى مضاجعهن ويرجع الى منزله مسرورا * وكأى من مرة وضع يده فى جيبه فوجد فيه كيسا ملان من الدنانير او كاغد حوالة على بعض الصيارفة * وانه اذا مر فى الاسواق تتهافت على رويته البنات من الرواشن والشبابيك والكوى والسهاء والأجلاء فمنهن من تشير اليه بيدها او براسها * ومنهن من تهجله بعينها ثم تضع يدها على قلبها * ومنهن من ترميه بوردة * واخرى بباقة من المنثور او برقعة فيها شعر * او انه يقول بحضرتهن قد انحلت تكتى او حكنى رفغى لكون حشوسراويلي غليظا * او يحك استه او يرطل عياره * او يتمطى ويتمتى ويتمط ويتمدد ويتمطل ويتمتا ويتمتت ويتماى ويتمنط ويتمنط ويتمنط ويتمنط ويتمنط * بل انما يكلمهن متادبا محتشما غاض الطرف خافض الصوت * ويسال كبيرتهن عما طالعت يومها ذاك من الاخبار والحكايات والنوادر الادبية * وانه شرع فى تاليف كتاب مفيد يشتمل على ذكر اثار الاقدمين واخبارهم * ثم يلقي على صغيرتهن احجية ادبية ليلهيها بها وبمثل ذلك يدخل مكرما ويخرج محمودا * وبخلاف ما اذا قلت لهم ايضا ان التاجر المثرى هناك لا يتختم بخواتم الماس والزمرد * ولا يتحلى بسلاسل الذهب * ولا يقتنى النادر من الالاث والمعاون والفرش * بل انما ينفق امواله فى سبيل البر واغاثة

(١) تبظرم اذا كان

احمق وعليه خاتم

فيتكلم ويشير به فى

وجوه الناس وابتهر

ادعى كذبا وقال

فجرت ولم يفجر *

الملهوفين وامداد الارامل واليتامى * وفي انشاء المدارس والمستشفيات * وفي
تصليح الطرق وتحسين المدينة وازالة الاوساخ والعفونات منها * وفي ان
يربى ولده بالادب والعلم والفصائل * فتسرى منهم من سته اثنتا عشرة
سنة يكلمك بما يكلمك به من سته منا اثنتا عشرة سنة بعد العشرين *
وبخلاف ما اذا تفضلت بذكره فقلت ان لكل انسان عندهم ممن لا
يعدّ من لاغنياً والفقرا خزانة كتب نفيسة في كل فن وعلم * وما من
بيت لا وفيه اصابة من صحف * وان الرجل منهم اخبر بالبلاد الاجنبية
من اهلها * وان اكثر فلاحهم يقرأون ويكتبون ويطلعون الوقائع اليومية
ويعرفون الحقوق الرابطة بين المالك والمملوك والحاكم والمحكوم وبين
الرجل وامراته * وان من هذه الوقائع المطبوعة ما تبلغ عدة نسخه اربعة
عشر مليوناً في العام * وما يدفع عليها لخزنة الدولة على طبع اجازتها
يبلغ اكثر من خمسين الف ليرة * وانها لو عرّبت نسخة واحدة منها لجات
اكثر من مائتي صفحة * وان صاحب العائلة منهم اذا جلس صباحاً على
المائدة مع زوجته واولاده يقبل كلاً منهم ويسالهم عن صحتهم * ويفيدهم
بعض نصائح وتنبيهات تكون لهم اماماً في ذلك اليوم * وانهم يكلمونه
وهم مبتهجون فرحون ويرون حضوره فيهم سلواناً * وانهم لا يخالفون له
امراً ولا يستثقلون منه تكليفاً * وهم مع ذلك يدّلون عليه بالبنوة ويهابونه
للابوة * فهذا امثاله اصالحك الله ينبغي ان تشتفى به مسامع اصحابك
الكرام * عسى ان ينشطوا الى انشاء مدرسة او ترجمة كتاب او لارسال ولدهم
الى بلد يتادبون فيه بالاداب المحمودّة والمناقب الكريمة * واياك
ياسيدى من ان تميل قبل هذا كله الى ان تاخذ عن بعضهم الخصال الذميمة
كالطيش والنزق والبخل والفسق والكبر ومد الرجلين في وجه جليسك *

فقد ذكرت لك آنفا ان البلاد التي تكثر فيها الفضائل تكثر فيها الرذائل
ايضاً * وانه ليس من انسان الا وفيه عيب بل عيوب * غير انه ينبغي
لكل منا ان لا يزال يجد ويسعى في طريق الكمال وفي تهذيب اخلاقه
وحواسه الباطنة بكل ما يبدو لحواسه الظاهرة * وكما ان لذة الحواس
لا يشعر بها الانسان الا في مقدّم جسمه دون موخره كذلك ينبغي لكل ذي
جسم من الحيوان الناطق ان يعتمد على التقدّم في المعارف والدرايه *
والمحامد الى الغايه * وكنت اود لو ان احدا من اهل بلادنا نقل
فضيلة او مائرة عن هؤلاء الناس الى اخوانه ومعارفه كما تنقل الاخبار
والروايات * ويؤدى لو تسجيل اصناف الماس والزمرد والياقوت والدهنج
والثعنع والدر والعقيان والكهربا والمها وقلنسوة الراهب معها حالة كونها
معدودة من الجواهر والتحف الى كتب ومدارس ومكاتب ومطابع *



الفصل الثانى

في وداع



لما حان سفر الفاريق اخذ يودع زوجته بعد ان اوعى القاموس والاشموني
فى صندوقه ويقول * اذكرى يازوجتى انا عشنا معا برهة طويلة من
الدهر * قالت ما اذكر لا هذا * قال فقلت اذكرى ام شاكر * قالت
نصف من هذا ونصف من ذاك * قلت يرجعنا النحت الى الاول *
قالت او يرجع الاول الى النحت * قلت اى اول اضمرت * قالت ما
لك ولتاويل المضم * قلت حسبى ان تبينى لى حقيقة ذلك * قالت
اذا فكرت فى انك لى ولغيرى كنت من الناكرين ولا فمن الشاكرين *
قلت انك كنت نهيتنى عن المعاملة بالقسم وها انت لان تاتينه *
قالت بل هو ياتينى * قلت اما فى فيك لفظة لا * قالت ان لفظها
كانت نعم * قلت ان لا من المرأة الى * قالت وان نعم نعم * قلت
اجعلت هذا دابك * قالت ودابت فى هذا الجعل * قلت هذا لا يليق
بذات ولد * قالت ولا تلد من لا تليق * قلت من مادة واحدة *
قالت ان كانت المادة غير زيادة متصلة اوجبت الى اختلاف الصور *
قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الاشكال * قالت لا اشكال فى
كيفية الاشكال فان واحدا منها يغنى عن الجميع * وانما الكلام على رسم

الكمية * قلت ما الحد * قلت فى الحد الهزل وفى الهزل الحد * قلت
 ارايتك لو اقميت نائبا عنى فى ذاك مدة غيابى * فصحكت وقالت على
 ما احب انا ام على ما تحب انت * قلت بل على ما تحبين انت *
 قالت لا يرضى الرجل بذلك الا اذا كان غير ذى غيره ولا يكون غير ذى
 غيره الا اذا كره امراته وكلف غيرها فانت اذا كلف بغيرى * قلت ما
 انا بالكلف ولا بالطرف * لكن الرجل اذا كان شديد الحب لامراته و
 لو انه يرضيها فى كل شى * على ان الغيرة لا تكون دائما عن المحبة
 كما نصوا عليه * فان بعض النساء يغرن على ازواجهن عن كراهية لهم
 واعنائ * مثال ذلك اذا منعت المرأة زوجها عن الخروج الى بستان او
 ملهى او حاتم مع عدة رجال متزوجين * وهى تعلم انهم فى هذه المواضع
 لا يمكنهم الاجتماع بالنساء فهى انما تفعل ذلك تحكما عليه ومنعاه من
 ذكر النساء مع اصحابه والتلذذ بما لا يضيرها * وكذا اذا حظرت عن النظر
 من شباكه الى شارع او روضة حيث يكثر تردد النساء * وكذا الحكم على
 الرجل لو فعل ذلك بامراته * فهذا عند الناس يعدّ غيرة لكنه فى الواقع
 بغضة * او ربما كان آخر الغيرة اول البغض كما ان افراط الضحك هو اول
 البكاء * وكيف كان فان الرجل لا يمكن ان يحب زوجته الا اذا اباح
 لها التلذذ بما شئت وبمن احبت * قالت ايفعل ذلك احد فى الدنيا *
 قلت نعم يفعله كثير فى بلاد غير بعيدة عنا * قالت بابى هم ولكن ما شان
 النساء ايفعلن ذلك ايضا لازواجهن * قلت لا بد حتى يعتدل الميزان *
 قالت اما انا فلا ارضى بهذا الاعتدال فالميل عندى احسن * قلت وكذا
 هو عندى فى بعض الاحوال * قالت ولاحوال البعض * قلت فلنعد الى
 السفر انى اسافر اليوم * قالت نعم الى بلاد فيها البيض الحسان * قلت

اتعنيهم ام تعنيهن * قالت اعنى نوعا ويعني آخر * قلت ولم يعينك
وانتن المطلوبات فى كل حال ولذلك يقال للمرأة غانية * قال فى القاموس
الغانية المرأة التى تطلب ولا تطلب * قالت ما احسن كلامه هنا لولا
انه قال قبل ذلك العوانى النساء لانهن يظلمن فلا ينتصرن * غير ان هذه
النقطة شغعت فى تلك * قلت حبكن التنقيط داب قديم * قالت مثل
داب الرجال فى التحريف * وكيف كان فان مطلوبيتنا هى اصل العنا *
فان المطلوبة لا تكون الا ذات العرض والاحسان * فويل لها ان خانت
محضنها * وويل لها ان حرمت طالبها وبانت تلك الليلة مشغولة البال
بحرمانه وخيبته وبكونها صارت سببا فى ارقه وجزعه وحسرتة * والطالبة
تعود غير مطلوبة * قلت ليست اخلاق الرجال فى ذلك سوا * قالت
انما اعنى الرجال الذين يطلبون ويكلفون بمن يطلبونه لا اولئك الطرفين
الشنقيين المسافحين الذين دابهم التذوق والتنقل من مطلوب الى
آخر ونفع انفسهم فقط دون مراعاة نفع سواهم * ولكن هيهات هل فى
الرجال من يقيم على الوداد ولا يميل عنه كل يوم * لعمري لو كانت
النساء تطلب الرجال طلب الرجال للنساء لما رايت فيهم غير مفتون *
قلت هل فى النساء من تقيم على الوداد ولا تجنح عنه كل يوم الف مرة *
هذه الكتب كلها تشهد للرجال بالوفاء وعلى النساء بالخديعة * قالت من
كتب هذه الكتب اليس الرجال هم الذين لفقوها * قلت ولكن من
بعد التحري والتجربة * قالت من يات الحكم وحده يفلج * قلت بل
اوردوا على ذلك شواهد وكفى بما ورد عن سيدنا سليمان برهانا ودليلا *
فانه قال قد وجدت بين الف من الرجال صالحا فاما بين النساء
فلم اجد سالحة * قالت ان سيدنا سليمان وان يكن قد اوتى من

الحكمة ما لم يؤثّر غيره غير ان افراطه فى النساء شوش عليه الصالحة. منهن من غير الصالحة * ألا ترى ان بائع المسك لطول انتلافه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة * واما ايراد الأدلة من الرجال على النساء دون ايراد أدلة النساء على الرجال فمحض ظلم وبطر * قلت نعم كان الأولى مناصرة هذا لا ايراد ولكن سبحانه الله انتن تتهمن الرجال فى كل شى ثم تتهافتن عليهم * قالت لولا اضطرار الاحوال * لما شغلن بذلك الابوال * قال فضحكت وقلت اتى جمع هذا * قالت قسته على غيره * قلت وهل استوى المقيس بالمقيس عليه * قالت لا فرق * قلت بل كله فرق فان اللغة لا تؤخذ بالقياس * ولو صح ذلك لم تكن مناسبة بين الذكر والانثى ولا بين الانثى والذكر * ولا بين تذكير حقيقة التانيث وتانيث ما هو غير مقابل بمثله * قالت وهذا ايضا من بطر الرجال وتشويشهم فلا يكادون ياتون امرا مستقيما * قلت قد رجعت الى لومهم * قالت والله لقد حرت فى الرجال * قلت والله لقد حرت فى النساء * ولكن فلنعد الى الوداع انى اعاهدك على ان لا اخونك * قالت بل تخوننى على عهد * قلت ما يحملك على سوء الظن بى * قالت انى ارى الرجال اذا كانوا فى بلاد لم يعرفوا بها افحشوا غاية الافحاش * ألا ترى الى هؤلاء الغرباء الذين ياتون الى هذه الجزيرة كيف يتهتكون فى العهر والفجور * فاول ما يضع احداهم قدمه على الارض يسال عن الماخور * ولا سيما هؤلاء الشاميين ولا سيما النصارى منهم ولا سيما الذين التوا بعلم شى من احوال الافرنج ولغاتهم فانهم يخرجون من المراكب كالزنابير الاسعة من هنا وهناك * قلت لعلمهم كانوا فى بلادهم كذلك * قالت ليس عندهم اسباب الفحش هناك * قلت او كانوا

فاسدين بالطبع * قالت نعم هو عرق فساد كامن فيهم فاوّل ما يستنشقون رائحة بلاد الافرنج ينبض فيهم * ولذلك تراهم ابدا يتلمظون بذكر بلاد الافرنج وعاداتهم واحوالهم * مع انك اذا سالت احدا منهم عن طعامهم قال لا يستطيعه * او عن الحانهم قال لا تطربه * او عن كرماتهم قال لم تادبه * او عن حاتماتهم قال لم تعجبه * او عن هواتهم قال لم يلائمه * او عن مائهم قال لم يسغ له * فيكون لهجهم بذكر بلادهم وتنويهم بمحاسنها انما سببه الفحش * وانت من يضمن لى طبعك عن الفساد وقد اسمعك كل يوم تهنّيم بذكر الرجراة والرضراة والبضاة والفضفاة والربحلة والرعبوب والعطول * وهى لعمرى الفاظ تسيل لعاب الحصور وتنشهى الناسك * قلت ان هو لا كلام * قالت اول الحرب كلام * قلت اترين اعدى عن هذه الصنعة الشائقة * والحرفة العائقة * قالت ان لم تتصور ذاتا بعينها عند الوصف فلا باس * قلت ان لم اتصور ذاتا لم يخطر ببالى شى * قالت اذن هو حرام * قلت ما كفارته * قالت تصورك اياى لا غير * قلت ولكن انت خالية عن بعض الصفات التى لا بدّ من ذكرها * قالت اذا كان الرجل يحب امراته راى فيها الحسن كله ونظر من كل شعرة منها امرأة جميلة * كما انه اذا احب امرأة غيرها احب لاجلها بلادها وهواها وماها ولسان قومها وعاداتهم واطوارهم * قلت او كذلك المرأة اذا احبت رجلا * قالت هو فى النساء اكثر لانهم اوفرحبا ووجدا * قلت ما سبب ذلك * قالت لان الرجال يتشاغلون بما ليس عندهم * فترى واحدا منهم يطلب الولاية وآخر السيادة وآخر البحث فى الاديان وفى ما غمص من السفليات والعلويات * والنساء لا شى يشغلن من ذلك * قلت ليتك تشاغلن مثلهم * قالت ليت

لى قلبين فى شغلنا * قلت افتنظرين فى الحسن كله كما زعمت *
قالت أحسن فيك النظر * قلت فلنعد الى الوداع لا بل فلنعد الى الشاغل *
فانى اريد ان انهى هذه المسالة قبل ان افصل من هنا والآ فتكون لى
شاغل الطريق وربما افسدت شغلى عند القوم فارجع باللوم عليك وعلى
سائر النساء * قالت اعلم ان المرأة تعلم من نفسها انها زينة هذا الكون *
كما ان جميع ما فيه انما خلق لزينتها لا لزينة الرجل * لا لكونه مستغنيا
عنها بذاته او لكونها هى مفتقرة اليها لتحلويها فى عين الناظر واذن السامع *
بل لعدم جدارة الرجل بها * فان الزينة نوع من الاخذ والتلقى
والاستيعاب والزيادة وهى احوال انسب بالمرأة منها بالرجل * وبناء على
هذا اى على ان جميع ما فى الكون خلق لها بعضه بالتخصيص وبعضه
بالتفصيل والاثار * كان من بعض اعتقادها ان نوع الرجل ايضا مخلوق
لها * لا بمعنى انها تكون زوجة لجميع الرجال فان ذلك محال من
وجهين * احدهما انها لا تطيق ذلك لان سرية ذلك اليهودى (على ما
ذكر فى الفصل التاسع عشر من سفر القضاة) لم تطق اهل قرية واحدة
(هى جبعة) على قتلهم ليلة واحدة * بل ماتت فى الصباح وسيدها
يحسبها نائمة * وهذه الحكاية ذكرت ردعا للنساء والثانى انه اذا ثبت
لامرأة حق فى حكر الرجال والاستبداد بهم ثبت الحق الباقي * ولكن
بمعنى انها اهل لان تعاشر جميع الرجال وتتعرف ما عندهم * فتتلمهى
من واحد بتمليقه ومن آخر باطراءه ومن غيره بمغازلة ومن آخر بمطارحة
وما اشبه ذلك * مما لا يمنعها من محبة زوجها والكلف به * لا بل —
قال فقلت اتنى هذه اللابلية فانى اراها ترجمة لداهية من دواهى النساء
وعنوانا على مكيدة من مكايدهن * فضحكت وقالت ربما ذلك على

الراى الطنون * غير انى اخشى من ان تاخذك لبيانها شفشفة ورعدة
فتتاخر عن السفر * او ان تظن ان هذا دابى معك * معاذ الله * انى
لم اُخُنْكَ بضمد ولا بغيره * وانما علمت ما علمت من النساء لان النساء
لا يكتنم بعضهن عن بعض شيا من امور العشق واحوال الرجال * قلت أوجزى
فقد قلت وفرقت وعرقت * قالت اعلم ان بعض النساء لا يتحرجن
من وصال غير بعولتهن لسبيين * الاول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب
لهن منهم * فانهن يعودونهن أولا على ما يعجزون عن ادائه اليهن آخرا *
ولا يخفى ان من النساء المدقم وهى التى تلتهم كل شى * ومنهن الشفيرة
وهى القانعة من البعال بايسره * ومنهن الضامد وهى التى تتخذ خليلين *
ومنهن المطمأع وهى التى تطمع ولا تمكن * ومنهن المريم وهى التى تحب
حديث الرجال ولا تفجر وهو خلقى * قال فقلت اللهم امين * قالت
واللاعة وهى التى تغازل ولا تمكنك * والسبب الثانى لاستطلاع احوال
الرجال واختبار الاتباع منهم وغير الاتباع لمجرد العلم كيلا يفوتهم حال من
احوالهم * ومنهن من تعتقد ان زوجها يخونها عند كل فرصة تسنى له *
لما تقرر فى عقول النساء ان الرجال لا شغل لهم الا مغازلتهم ومباغمتهم *
فهى على هذا لا تجد سبيلا للشطح الا وتزق فيه * اعتقاد انها اخذت
بثاها جزما اى قبل وقته الموقوت * ومع ذلك فلا يحلن عن محبة بعولتهن *
بل ربما كان ذلك الشطح ادعى لزيادة حبهن لهم * قلت لا متعنى الله
بحب ناشى عن مدقمية ولا ضمد * ولكن كيف يكون هذا التخليط ادعى
الى زيادة الحب والمرأة اذا ذاقت البكبك والعجارب والقازح والكباس
لم تقتنع بعد ذلك بزوجه حاله كونه لا يحول عن الصفة التى فطر عليها *
وكذا الرجل ايضا اذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنبل والعفصوص

والاكبس فانه يرى زوجته بعد ذلك ناقصة * فضحكت وقالت لو كانت هذه الصفات لازمة للمرأة وكان عدم وجودها فيها نقصا لما كنت تراها فى افراد قليلة من النساء * فان معظمهن على خلاف ذلك * فاما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو ان الزوج لطول الفته بزوجه وضراوته عليها وحالة كون من احدهما لآخر لا يحدث فى جسم الماس والممسوس هزة ولا رعشة ولا ربوئية * يمكن له معها المماننة والامعان والوقوف * بخلاف الغريب فانه لشدة نهمه ودهشته او لفرط مراوحة المرأة اياه على العمل * او لكون الحرام لا يسوغ دائما مساغ الحلال تفوته الصفتان المذكورتان * فاللذة معه جلها ناشى عن التصور * اى عن تصور كونه غير زوجها * كما ان نغصها مع زوجها جلها ناشى عن تصور كونه غير غريب * والافالواقع ان اللذة فى الحلال اقوى * غير ان التصور له موقع يقرب من الفعل * وبيان لو اعتقد رجل مثلا ان امرأة غير امراته تببت معه ثم باتت معه امراته بعينها وهو لا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عم * لوجد امراته تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التى تصورها فى غيرها * وكذا شان المرأة * فبنا على ما تقدم من اعتقاد المرأة بان جميع ما فى الكون من الحسن والزينة والبهجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها به مطلقا عاما * غير انه اذا كان لها خاص قريبا منها تناولت ذلك الخاص متناول العام * حتى انه كثيرا ما يخطى فكرها واحدا منهم بخصوصه * فيتجاذبه اثنان او ثلثة حتى تذهل عن الشاغل ولاشغل * وهو فى الواقع تحوف من اللذة كمن يريد ان يشرب من ثلث قلل يضعها على فيه فى وقت واحد * قلت كلامك هذا ينظر الى قول الشاعر

اذا بت مشغول الفواد بما ترى من الغيد عيني والجمال مفروق
اركب في وهمي محيّا يشوقني على قامة اولى به ثم اشبق

ولكن قد نهيتني آنفا في الغزل عن تصوّر ذات بخصوصها وقلت انه
حرام فهلا قلت بحرمة هذا ايضا * قالت انما حرمة ذاك لكونه ذاهبا
في الكلام سدى وسرفا * على ان الغزل كله كيفما كان لا خير فيه ولا جدوى *
فاما في الفعل من قبل النساء فانه ينشأ عنه صباحة الاولاد * ولذلك
ترى انى بعضهم كانى زيد وفمه كفى عمرو وعينيه كعيني بكر *
وهو ايضا جواب لمن قال ان فى رؤية الرجل نساء كثيرة مصلحة تعود على
امراته لاكتسابه منهن التمشير عند الاياب * بخلاف خروج المرأة فان
التمشير ملازم لها * فاما هؤلاء الحمقى الزاعمون ان تصوّر الرجل مؤثر فى
توزيع الولد فيلزمهم ان لا يروا امرأة اصلا غير نسايتهم * لئلا تاتى ذريتهم
كلها انا او فى الاقل خنايا * وذلك لمنفعة التصويرين من قبل الاب
والام * ألا وان امرأة لا تستبدل زوجها الا بالفكر والتخيل لجديرة بان
تكون قبلة كل مطرئ * وان لا يفكر زوجها الا فيها * قلت مقتضى
كلامك ان النساء المقصورات عن رؤية العموم لالذة لهن مع الخصوص *
قالت اما بالنسبة الى ناظرة العموم فلا * واما بالنسبة الى العدم فنعم *
فان الماء مهما يكن سخنا يطفى النار * قلت وبالعكس اى ان النار مهما
تكن باردة تسخن الماء * قالت يصح العكس لكن الطرد اولى * قلت
الى كم قسم تقسم اللذة * قالت الى خمسة اقسام * لاول تصورها قبل
الوقوع * الثانى ذكرها قبله * الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين *
الرابع تصورهما بعد الوقوع * الخامس ذكرها بعده * وكون لذة التصور

قبل الوقوع اقوى او بعده اقوال * فذهب بعض الى ان الاولى اقوى * لان الفعل لما كان غير حاصل كان الفكر فيه اجول وامعن فلا يقف على حد * وزعم آخرون ان الحصول يهتئ للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد عليها فى قياس ما يتقرب من لاعادة والتكرير * وكما حصل الخلاف فى وقتى التصور حصل ايضا فيه وفى الذكر * والعبرة بحدّة التصور وذرب اللسان * فاما اصلح لازمنة لها فالصيف عند النساء والشتاء عند الرجال * فاما الكمية فمن الناس الموحدون ومنهم المثنوية ومنهم اهل التشليث * قلت ومنهم المعتزلة والمعتلون * قالت هؤلاء لا خير فيهم * وما هم جديرون بان يعدوا مع الناس * قلت ما شان من يتزوج اثنتين وثلاثا * قالت هو امر مغاير للطبع * قلت كيف وقد كانت سنة الانبياء * قالت هل نحن نبحت لان فى الاديان او نتكلم فى الطبيعيات * الا ترى ان الذكور من الحيوانات التى قدّر لها ان تعيش مع اناث كثيرة قدّر لها ايضا القدرة على كفايتها كالدبك والعصفور مثلا * وغيرها انما يعيش مع واحدة ويكتفى بها * ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلث لم يكن اهلا لان يحوزهن * وبعد فلائى سبب خطرت المرأة عن ان تتزوج ثلثة رجال * قلت ان فى كثرة النساء للرجل الواحد كثرة النسل التى يتوقف عليها عمران الدنيا * وذلك مفقود فى كثرة الرجال للمرأة الواحدة * على انى قرأت فى بعض الكتب ان هذه العادة لم تزل مستعملة عند بعض الهمج * قالت مه مه اهولاهم الهمج وانتم المتمدون الكيسون * فاما دعواك بتكاثر النسل فى كثرة النساء فهل سكان الارض لان قليلون * الم تضق بهم البسيطة وتشغل بهم بطونها ويمزق اديمها * فما الموجب الى هذا الاكثار سوى البطر والنهم * قلت قد عدت الى لوم الرجال فلنعد الى الوداع * انى مسافر

عنك اليوم وتارك عندك فوادى حتى اذا زارك احد أحس به * قالت
كيف تحس وما فوادك معك * والناس ينحسون القلب بالحس والشعور *
والحزن والسرور * قلت ان حسى براسى * قالت من اى جهة * قلت من
الجانب الاعلى من الراس * قالت نعم الشئ الى جنسه اميل * ولكن
اين تتركه * قلت على العتبة كيلا يخطوها اجد * قالت فاذا طفر فوقها *
قلت فى الفراش * قالت فان يكن فى غيره * قلت فيك * قالت ذلك احسن
مقرًا * انى اعاهدك على ما كنا عليه من الحب والوداد من ايام السطح
الى الان * ولكن حين احس واشعر من هنا بانك تبدلت السطح بالسطح
اقابلك بفعل مثل فعلك والبادى اظلم * قلت انك كثيرة الوسواس شديدة
الغيرة * فلعل شعورك يكون عن وسواس * قالت بل الاولى ان الوسواس
يكون عن الشعور * قلت دار ما بيننا الدور * قالت حاول اذا فكته *
قلت هو فرض فلا بد من قضائه * قالت وقضاً لا بد من فرضه * قلت
ايعد به العهد * قالت اذا عهد به العقد * قلت لا ارضى بهذه الصفة *
قالت ومن لى بوصف هذا الرضى * قلت هل كان العقد فى الشرط *
قالت وهل كان الشرط بلا عقد * قلت مثلنا مثل ذلك المجنون * قالت
لولا الجنون ما جمعنا الزواج * قلت اكثر الناس على هذا * قالت اكثر
الناس مجانيين * فقلت الحمد لله رب العالمين *





في استرحامات شتى



من كان من طبعه المين ولافتراً أو من كان جاهلاً بالنساء ارتاب في هذا
الوداع ونسبه إلى ترقيش الشعر أو مبالغاتهم * ولكن أي منكر على من
جعلت دأبها وديدنّها وشنشتها ونششتها ومهوانها وهذيرباها وأهجورتها
وفعلتها ومطرتّها المحاضرة والمفاكة والمساقة والمطارحة والمحارزة والمجازرة
وسرعة الجواب * بل كثيراً ما كان يجتمع بالفارياق اثنان أو ثلاثة من
اصحابه فإذا خاصوا في حديث انتدبت لهم وجارتهم فيه وعارضتهم وماتنتهم *
فكل فصيح ان تعارضه لم يُبِن وكل بليغ ان تساجله يرتك * وقد علم
بالتجربة ان جواب المرأة اسرع من جواب الرجل * وان المشتغل بالعلم
يكون ابطاً جواباً من غير المشتغل به * لانه لا يقدم على ذلك الا بعد
الفكر والروية * على ان هذه العبارات التي نقلتها عن هذه المرأة المبينة
من غير قراءة البيان هي دون الاصل بمراحل * فاني لم اقدر في نقل
الكلام على نقل الحركات التي كانت تبدو منها * وعلى ان اصور للمطالع
عيونا تغازل وحاجب تشير * وانفا يرمع * وشفاه تزمع * وخدودا
تتورد * وجيدا يلوى * ويذا تومي * ونفسا يربو ويخفت * وصوتا
يخفض وينبر * وزد عليه مسح الماق اشارة الى الاستعبار * وتوالى الزفرات

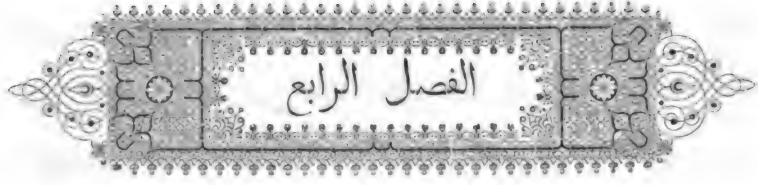
رمزا الى الحزن والانبهار * والتبدل ايدانا بالاسف * والتنقل من جنب الى جنب اعلانا بالجزع واللهف * وغير ذلك مما يزيد الكلام قوة وبلاغة * وهذه ثانى مرة نذمتنى على جهلى صناعة التصوير * والمرة الاولى كانت فى الفصل الرابع عشر من الكتاب الاول عند ذكرى الحسان على اختلاف جمالهن * ويمكن انى اندم مرة ثالثة * وهنا ينبغى ان اقف على قدمى منتصبا واستمىح لاجازة من ذوى الامر والنهى لان اقول * انه قد جرت عادة جميع الولاة والملوك ما عدا ملك الانكليز بان لا يدعوا احدا يدخل بلادهم او يخرج منها ما لم يدفع لدواوينهم او لوكلائهم المعروفين بالقناصل قدرا من الدراهم بحسب خصب ممالكهم ومحلها * وذلك بدعوى ان المسافر اذا نزل بلادهم ساعة او ساعتين فلا بد وان يرى قصورهم الفسيحة وعساكرهم المنصورة او خيلهم النجيبة ومراكبهم الفاخرة * فيكون كمن يدخل ملهى من الملاهى * اذ ليس يدخلها احد من دون غرامة * فان اعترض احد بقوله انا فى الملهى نسمع اصوات المغنين والمغنيات وآلات الطرب * ونرى الانوار المزدهرة والاشكال المتنوعة ووجوه الحسان الناضرة وحركاتهن الباهرة * ونضحك حين يضحكن * ونطرب حين يرقصن * ونشغف حبا حين يغازلن * فاما فى رؤية احدى مدنكم فانا لا نرى شيئا من ذلك * بل انما ندخل لكى يغبننا تجاركم * فتكون فائدتنا فى الدخول بالنسبة الى فائدتهم فى الدخل قليلة * قالوا قد يتفق وقت قدومكم بلادنا ان تكون عساكرنا قد شرعت فى العزف بالآلات الطرب فهذا فى مقابلة الطرب فى الملهى * اما النساء فانا ناذن لكم فى التمتع بكل من اعجبكم فاجروا وراء من شئتم بحيث يكون النقد على الحافر * ومع ذلك فلا ينبغى ان تشبه مدائننا التى تشرفت بحضرتنا

ببعض الملهى * ولا سيما ان هذه سنة قديمة قد مشت عليها اسلافنا
طاب ثرائم * وتقادمت عليها السنون والاحوال حتى لم يعد ممكنا
تغييرها * فان الملك اذا امر بشى صار ذلك الشى سنة وحُكْمًا * ويشهد
لذلك قول صاحب الزبور ان يد الرب على قلب الملك * بمعنى ان
الملك لا يفكر فى شى الا ويد الله عاصمة له فيه * هكذا شرح هذه الاية
العلماء الربانيون فى بلادنا ومن خالفهم فجزاؤه الصلب * وبعد فان
الملك اذا اخذ فى تغيير العادات وتبديل السنن فربما افضى ذلك
الى تغييره * فيكون مثله كالديك الذى يبحث فى الارض عن حبة قمح
فيثير التراب على راسه * وصغر ذلك تشبيها * فالاولى اذا اقرار كل شى
فى محله * ثم لا فرق بين ان يكون قاصد بلادنا غنيا او فقيرا * صالحا
بارا او لصا فاجرا * رجلا كان او امرأة * فكلهم ملتزمون بادا الغرامة
وتحمل الغبن — ولكن ياسيدى ومولاى انا امرأة معسرة قد اضطرت الى
المرور بمديتك السعيدة * لان زويجى المسيكين كان قد قدم الى بلادكم
الملكية ليدبر مصالحة فقضى عليه الله تعالى بالوفاة * فتركت صبئية لى
فى البنييت يتضورون جوعا وجئت لارى زويجى المويث حالة كونه
لا يرانى * ومع ذلك فانى أعدت من الحسان اللآى يحق لهن من امثالك
العناية والالطاف * فكيف التزم بالغرامة فضلا عن نفقة السفر وفقد
زويجى الذى كان لى سنداً — ارجعى من حيث جئت فما هذا وقت
الاسترحام * لان القواعد التى تقرر فى دفاتر الملوك لا تقبل التبديل ولا
التحريف ولا يستثنى منها شى — وانا ايضا يامولاى رُجِّل فقير قد
رمانى الدهر بصروفه لامر شاء الله * فوافيت بلادكم طمعا فى تحصيل
وظيفة تقوم بأردى * وما انا من ذوى التغاوى والفتن ولا من الباحثين

سبقنى إليها احد فاصوغ منها بادى بدى مديحا بليغا فى جنابك الرفيع *
ومقامك السنيع * وانشر الثنا عليك فى جميع الاقطار * فى الليل والنهار *
واجيد وصف مكارمك فى الاسفار — ما اكثر الشعراء الغاوين العاوين
فى بلادنا وما اكثر اقاويلهم واقل رزقهم * اما ان تدفع الغرامة واما ان
ترجع على عقبك واما ان تؤويك الى دار المجانين * ولكن هيهات ان
تشرف مسامع المسترحم الحقير من سيده الجليل الخطير بمثل هذه الاجوبة
السلبية * فان السلب من مقام الكبير منة * وانما الغالب ان يكون
جوابه برغم الانف او بالقد * او باللكم على الخرطوم * او بهشم سن *
او ببقر بطن * او باطنان ساق * او بانقاص ظهر * ولهذا لما عزم
الفاريق على السفر وكان ممن لا يستغنى عن احد اعضاءه التمس من
خسة قناصل ان يشرفوا جوازه بختومهم * فختّم عليه كل من قنصل نابلى
وليكونه ومدينة اخرى فى مملكة البابا وقنصل جينوى وفرنسا * لان
سفينة النار تمر على مراسى هذه المدن كلها وترسى فيها بعض ساعات *
اما مدينة نابلى فهى مشهورة بكثرة ما فيها من العجلات والمراكب
والحدائق والغياض * واما ليكونه فبطيب هوائها وارتفاع بناها وكذلك
مدينة جينوى * قال وهى عندى احسن منهما * وانحس ما يكون مدينة
البابا اذ ليس عليها رونق الملك ولا الملكوت وما بها شى يقر العين * فلما
وصل الفاريق الى مرسلية أخذ صندوقه الى ديوان المكس واشير اليه
ان يتبعه * ثم طلب منه المكاسون ان يفتحوه ليفتشوه فظن انهم يريدون ان
يفتشوا فى كراريسه ليعلموا ما فيها فقال * انا ما هجوت سلطانكم ولا
مطرانكم فلم تفتشون فى كراريسى * فلم يفهمه احد منهم رهو لم يفهم
احدا * فلما فرغوا اشاروا اليه ان اقل صندوقك فسلج صدره * ثم انبرى

واحد منهم يمسح بيديه على جنبه فظن انه يتمسح به اى يتبرك لكونه
وجد كرايسه بخط غريب * لكنه علم من بعد ذلك انهم كانوا يفتشونه
ليعلموا هل كان متدخرا شيئا من التبغ والمسكر * ثم سافر من مرسيلية الى
باريس ففتش ايضا هو وصندوقه فى ديوان مكسها * فكان مكاسى هذه
المدينة كانوا يحسبون ان رفاقهم فى تلك قد ناموا عن قيام الليل * فبال
الشيطان فى آذانهم فعمشت عيونهم عن رؤية ما فى الصندوق * او انهم
يرتشون كسائر اصحاب الوظائف * فاقام فى باريس ثلاثة ايام فى دار
سفارة الدولة العلية وفيها حظى بتقبيل ايدى الوزيرين المعظمين
والمشيرين المفخمين رشيد باشا وسامى باشا * ثم سافر من باريس الى
لندن وسياتى الكلام على وصف هاتين المدينتين العظيمتين * ثم من
لندن الى قرية فى بلاد الفلاحين وفيها القى العصا وعندها اقف انا ايضا *





في شروط الرواية

«»»»

لم يمض على الفاريق في مدى عمره مدة هي انحس واشقى من المدة التي قضاها في تلك القرية * لان قري بلاد الانكليز ليس فيها من محل لهو واجتماع وانس وحظ البتة * وانما اللهو والحظ في المدن الكبيرة * فضلا عن ذلك فليس في القرى شئ يباع للمأكول والمشروب سوى ما لا احتفال به * ومن كان عنده دجاجة او طرفة بعث بها الى احدى المدن القريبة * فمن شأ ان ينقطع عن الدنيا او يترهب فعليه بها * اما النساء هناك ففيهن من تشفى من القمه بل تمنى بالقرم * لا ان الغريب محروم منهن * اذ كل ذات ظلف ملازمة لفحلها فليس من سائب مبهل الا العجائز * ثم بعد مضي شهرين عليه وهو على هذه الحالة المشؤمة انتقل الى مدينة كمبريج مصدر القسوسة وعلم الكلام * فان جل قسيسى الانكليز يمضون اليها او الى اكسفورد ليتعلموا فيها الالهيات والمناظرة * وفي هاتين المدينتين ايضا سائر طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم * ومن احدى مدارس كمبريج نبغ نيوطون الفيلسوف المشهور * فاكثرى الفاريق فيها مسكنين في دار كما هي العادة ومكث يترجم بقية

الكتاب الذى مرّت الاشارة اليه سابقا * وكان فى تلك الدار جارية دعجآ كاعب وكذا سائر الوصائف غالبا * فكان الفاريق يراها كل ليلة تطلع الى غرفة احد السكّان ثم بعد هنيهة ليست باطول من قولك عمت مسآ. يسمع لها نغمة ايفافية * وكانت صاحبة المنزل تراها نازلة من عند الرجل فى الساعة العاشرة ونحوها من الليل ولا تكثرث بطلوها ولا بنزولها * فاذا جآت فى الصباح لتصلح فراش الفاريق حلق فيها وحتق فلم ير فيها علامة تدل على انها كانت هى صاحبة النغمة * فيظن ان ذلك كان وهما منه نشا عن اللهج بالايغاف * فاذا جآ الليل عادت النغمة وعاد اليقين * فاذا كان الصباح عادت الحملقة وعاد التصاون وعاد الشك والحيرة وهلم جرا * حتى كاد ذلك يشوش عقل الفاريق ويفسد عليه الترجمة التى طالما كان يخشى عليها الخلل والفساد من قضية ما نسائية * وهنا ينبغي ان اقرض واقول * ان هذه المزية السنورية اى الاكل خفة وان يكن وجودها ملحوظا فى النساء على الاعم لا انها فى نساء الانكليز على الاخص * فان المتصفة منهن بما اتصفت به السيدة المدقم فى فصل حدنبدى تتظاهر فى النهار بصفات الورع والتقوى والنفورية والقذورية وتظهر الى تبعها نظر المتجاهل * وتوهم الناقد انها متبثلة معتزلة للرجال * وربما حفظت احاديث دينية وروايات نسكية تلقىها على الناس فيعظمونها ويعتقدون فيها الصلاح * واذا دخلت بيتها وجدت على مائدتها التوراة والانجيل وكتبا اخرى فى العبادة والزهد * وربما وسخت الظاهر من ورقها لتوهم انها كثيرة الدراسة لها * ولا يمكن للرجل ان يذكر بين يديها اسم عضو من اعضائه * فتكون لذة هولاء على مقتضى قاعدة

الفارياقية غير تامة وذلك لخلوها عن ركن الذكر * وعنها ايضا ان ذكر
اللذة لا بد من ان يكون مطابقا للواقع * فان كان الوقوع مثلا من
ذى مقام ليلاً ذُكرت فيه لذات مقام * وان يكن من دون صباحاً
ذُكرت فيه لدون من النساء * وقس على ذلك سائر التباين في
الاقوات والاشخاص * اللهم لا ان خشى فوات الفرصة * اى اذا
حصلت مثلاً ليلاً ولم يمكن ذكرها فى الليل فيصح الذكر فى الفجر او
الصباح * او ان حصلت من ذى مقام ولم يتبها وجود نظيره فيصح
ذكرها لدون ولا تفسد لذة الذكر بذلك * فاما على فرض كونها لم
تجد احدا من هذه الاصناف فيصح ذكرها لنفسها * وذلك بان تدخل
راسها فى زبر فارغ او فى بشر او جب او قبوة ونحو ذلك مما له
صدى وتنطق بلسان فصيح مبين بما مر لها * حتى اذا رجع الصدى
قام لها مقام النديم الكليم * فاما اذا بقى الذكر فى صدرها فيخشى
عليها من الصدارة والذباج * ويشترط ايضا عندها ان تكون الرواية
مطابقة للفعل * فللنبرة نبرة * وللهمز همزة * وللحركة حركة *
وللسكون سكون * وللمد مد * وللهذ هذ * وللترخيم ترخيم * وللترسل
ترسل * وان يبلغ التشديد على الذال اذا كانت الرواية بلغتنا
هذه الشريفة * وان يكون فى العينين مغازلة * وفى اللعم فيضان *
وفى اللسان بلة * وفى اليدين تلقح * وبما تقرّر علمت من ان هذه
الخلعة المذكورة الموجودة فى نساء الانكليز اخلال بشروط اللذة *
ويمكن ان يقال ان لذة التصور عندهن قوية جدا بحيث تقوم مقام
لذتين * او انهن يضعن رؤسهن فى خابية ونحوها * وعن الفاريق

ان الجمال فى النساء على اختلاف انواعه له نطق ونداء ودعاء واشارة
ورمز * فمنه ما يقول لناظره لست ابالى بالمراد * ومنه ما يقول الا
اغتنم الآن الفرصة — للتاخير آفات — لن ترانى من الكثير ملولا —
لا يغرنك الشفون — هيت لك — من لى به الساعة — ما ارى كفايتى
عند احد — ان دواء الشق ان تحوصه — اين اين المشبع — اين
ابن الغز — اين ابن بنى اذلغ — لى يذل الصعب — بعد جهدك
لا تلام — لكل مجتهد نصيب — من اطعم اشبع — من ذاق عرف —
من مس هرف — من سبق فقد ربح — العود اجد — من عد عاد —
من وصل وصل * ومنه ما يشير ان استعمل الحيلة — تلتطف فى
الزيارة — كن من الجار على حذر — من تانى نال ما تمنى — بكر
بكور الغراب وغير ذلك * فجمال نساء الانكليز هو مما عنوانه اين ابن
الغز * اين اين المشبع * لى يذل الصعب * فانك ترى المرأة
منهن تمشى وهى صفوح منزة سامة مساندة شاردة معبدة شامرة
نافرة جافلة جامزة آبرة نافرة نافرة معتزة ساربة عاسجة طامحة
جامحة شامخة خانفة مشمة شافنة مهطعة مرشقة متتالعة هابعة
متعاطفة متطلقة مخرنطة مسحنفرة مجلودة مجلوطة مذلعة مجرودة
مرمودة متمعدة مصعدة مسبرة مسكرة مسهرة مشفطرة مسجرة
مسجيرة متمهلة متملة مشعلة مصملة مقلهفة مزلعة * ومع ان
القدرة الخالقية قد خصتهن بالآلايا سابعة صافية على ما روت
الرواة * فانهن يتخذن لها المراد ويعظمنها بها تعظيما يوقف المستوفز
بحيث يقف كالجابح الحيران * فلا يتماسك عن ان تصطك ساقاه

تعجبا واعظاما لهذا التعظيم * وان تحترق اسنانه ويندلع لسانه *
وتنضنض لهاته * وتلتوى عنقه * وتنتفخ اوداجه * ويحمر جلاقه *
ويغان على قلبه ويطنى * وتاخذه القشعريرة والرعدة والأفكل والهزة
والاضطراب والرجفان والنغشان والغشيان والغميان والفشيان
والنحوآ والدوار والميدان واللهم والاختلاج والترنج والارتعاج والارتعاش
والارتهاش والرأس والارتعاس والتراد والترجيد والأصيص والبصيص
والكصيص والأرض والنسوم والنفيسى والقل والإرزيز والزمع والزقرفة
والشفشفة والصعفة والقرقفة والقفقفة * وتهيج به الاخلاط الاربعة
فيطلب كل خلط عظامه * وتنهال عليه الخواطر والوساوس * وتتجاذبه
عوامل الامانى * وتجرحه مجرصات البرة * وتطفرة خوالج الشهوة * ويميل به
ميل الشوق والتلهف على حد قول الشاعر

علمتك الباذل المعروف فانبعث اليك بى واجفات الشوق والامل

فيبقى حائرا بانرا مبهوتا مهفوتا سادرا داهلا مدهوشا داهلا * بحيث اذا
رجع سالما الى منزله يحسب كل شاخص فيه عظامه او ما عظم بها *
وكان الفارياب اذا خرج وابصر هذه الروابى الخصيبة عاد الى ماواه وفى
راسه الف معنى يشغله * فمما انشده فى بعض هذه الفتن

ياللعجاب وكل عجب فليقل ياللعجاب
ما ان يرى فى ذا المكان سوى المراد من روابى
كلا ولا من غوطه من دون ذياك الجنب
كلا ولا قرموطه تنشى سوى كعب الكعاب

من كل ذات تبهكن تدعو الحصور الى الدعاب
الشوق يقدم بى وخوف العجز من غلَم ناي بى
ماذا يقول الناس عمن خار عن ملء الوطاب
ام كيف تضعف معدة العربى عن قحف القعاب
من لى بضنبور فأتزعجه بمنزفسة الحباب
من لى بقبّة مرفد فى ليلتى من ذى القباب
من لى بجيت اليّة من ذى الاالايا فى مآبى
هذا لعمرك شان ذى قُطم وهذا الداب دابى





في فضل النسياء



وكما ان نساء تلك البلاد اختصن بهذه المزية كذلك اختصت رجالها بالطافهم الغريب بعد معرفتهم له * فاما قبل المعرفة فانه اذا حتى احدا منهم فما يكون جوابه الا الشزر والشعر * ولهذا لما سمع احد طلاب العربية منهم بوجود الفاريق وكان قد قرئ عليه حسبه ونشبهه اتى ليزوره * وطلب منه ان يذهب معه الى منزله فيقيم عنده مكرما معززا * وكان مقامه بعيدا عن كمبريج * فاجابه الفاريق الى ذلك لان اهل المدينة على كثرة المدارس عندهم والمعالم هم اشد الناس نفورا من الغريب * ولا سيما اذا كان مخالفا لهم في الزي * فكانوا يسخرون من قبعته الحمراء حتى كان كثيرا ما يقنبح في غرفته ولا يخرج منها الا ليلا * وقال في ذلك

رمتني النوى في كمبريج ملازما لبيتى نهارا أن تراني اوباش
فتعبت بي حتى اذا الليل جئني خرجت على أمن كاني خفاش

ولان الكلاب ايضا كانت تشم فروته وتلازمه * فقال فيها

ولى فروة تاتي الكلاب تشمها ولم تندفع عنها اذا ما دفعها
تهر على تمزيق جلدي وجلدها كاني من ابائها قد صنعتها

ولان اهل الدار التى نزل فيها كانوا يشاركونه فى طعامه ولا يشركونه فى
لحمهم وشحمهم * فقال فيهم

ولى عيلة فى كمبريج خفية توالكنى من حيث ليس عيان
فعهدى باسم الاكلات فلانة وعهدى باسم الاكلين فلان

ولانه لم يقدر على ان يجرّد الى احدى تلك القبب * فقال فيها

وما نفع الوثير من الحشايا وليس عليه وثر اذ تهش
وما نفع الشعار بلا شعار وحسن الحفش ان لم يلف حفش
وما نفع الحياة بغير حى فنعشك دونه ما عشت نعش

فسارا فى سكة الحديد وبلغا المنزل ليلا وما كاد الفارياق يدخل حجرته
التى اعدت له حتى رقصها بهذين البيتين

لله درب الحديد كم كفل ربا به والشدى قد رجفت
لو لم يكن غير تلك فائدة لنا به دون اتوه لكفت

الاتو الاستقامة فى
السير والسرعة

ثم لما قام فى الغد رأى المنظر بعيدا عن الدار * فاستعاذ بالله واستخرج
واصب على ما نفسه * لان هذه الشكوى ليس لها عند هؤلاء القوم اذن
واعية * حتى انهم لما شكا يوما طول غيبته عن زوجته قال له صاحبه بعد
ايام قد فوط منك بالامس كلام فقلت انى مشتاق الى امراتى * وكان
الاولى ان تقول الى اولادى * فقال له الفارياق ما المانع من ان يذكر
الرجل امراته كما يذكر ولده * ولولا المرأة لم يكن الولد بل لولا المرأة لم
يكن شى فى الدنيا لا دين ولا غيره * قال مه مه قد افحشت * قال
ارغن لما اقول * لولا بنت فرعون لم ينج موسى من الغرق * ولولا موسى

لم تكن التوراة * ولولا المرأة لم يمكن ليوشع ان يدخل ارض الموعد
ويستولى عليها * ولولا المرأة ما حظى ابراهيم عند ملك مصر ونال منه الصلات
والهدايا فتمهد لليهود النزول الى مصر من بعده * ولولا المرأة لم ينبج
داود من يد شاول حين اصبر قتله وان كان ذلك قد تم بحيلة وضع
صنم في فراشه * ولولا داود لم يكن الزبور * نعم ولولا المرأة اعنى زوجة
نابال ما تقوى داود على اعدائه * ولولا حيلة بت شبع على داود لم
يملك سليمان ابنه ولم يبن هيكل الله باورشليم * ولولا المرأة لم يولد
سيدنا عيسى ولم يذع خبر انبعاثه * ولولا المرأة لم يستتب مذهب
الانكليز كما هو اليوم * هذا وان المصّورين عندكم يصوّرون الملكة
بصورة النساء * والشعراء عندكم ما زالوا يتغزلون فى المرأة ولولاها لم
ينبغ شاعر * قال ان اراك الا هائجا على النساء وكان العرب كلهم على
هذه الصفة * قال نعم انا راموزهم وقطاطهم وكل من ينطق بالصاد يكلف
بالصاد * فاطرق ملياً ثم قال لعلمك ارشد ممن عدل الى الميم * فقد
بلغنى ان فى بلادكم قوما ميميين يعدلون عن سوا السبيل الى مضايق
ذميمة وهو اقبح ما يكون * واقبح من ذلك ان بعض المؤلفين من العرب
قد ألفوا فى ذلك كتباً وتمحلوا لايراد ادلة على تفصيل الحرفة الميمية *
قال نعم ومن جعلتها كتاب عثرت به فى خزانة كتب كمريج ورايت
مكتوباً عليه عنوانه بالانكليزية كتاب فى حقوق الزواج * فكان شاربه لم
يفهم مضمونه * ومن اسخف ما ورد من الادلة على ذلك قول بعضهم

انا لست اجزم باللواط ولا الزنا لكن اقول مقال من قد حررا
ان اللذابة كلها فى اقذر الـ حجارين فاختران عرفت لاقدرا

وسبب تاليف هذه الكتب من مثل هؤلاء العتالة اما للعينية فان النساء

يعرض عن يبتلى بذلك * او للبخل لان النفقة على المرأة اكثر *
او لقصر اليد عن هصرهن او لفساد آخر * اما سليم الطبع فلا يميل عن
هذا المذهب اصلا * ثم ان الفاريابي لبث عند صاحبه مدة في خلالها
أدب الى مآدب فاخرة عند بعض الاعيان * ومن عادتهم في الولايم ان
تقعد النساء على المائدة مكشوفات الاذرع والصدور بحيث يمكن للنظر
ان يرى المفاهر واللبان والبادلة والبهو * واذا تطال واشرب وكان حسن
الاهطاع راي اللوعة ايضا اى آية الحلم * وهى من جملة العادات التى
تحمى من وجه وتذم من وجه آخر * حيث كان هذا الكشف مطردا
للصبايا والعجائز بل العجائز عند الافرنج ولا سيما الانكليز يكتشفن
ويتفتحن ويتعيلن اكثر من الصبايا * ثم قلت الدعوات وكثر قلق
الفاريابي لان من نظر الى سحنه مرة لم يرد ان ينظر اليها مرة اخرى *
فراى الرجوع الى كمبريج اوفق * فسافر اليها فوجد القرب قد ربت
نحو ثلاثة قرايط * وذلك اما بعد عهده بها او لكون زيادة قرصة البرد
اوجبت ذلك * وهنا ينبغي ذكر فائدة وهى ان كمبريج واكسفورد لما
كانتا مشهورتين بمدارس العلم كما ذكرنا آنفا وكان جل الطلبة فيها من
الاغنياء وفى كل منهما نحو الفى طالب * كانت البنات الحسان من قرى
الفلاحين المجاورة ينتبن سوق هاتين المدينتين لترويج ما عندهن
من الصبى والجمال * فترى فيهما من الجمال الرائع والحسن الباهر ما
لا تراه فى سائر المدن * غير انه لكل ساقطة لاقطة * فلهذا كانت
مشايخنا الطلبة ينظرون الى من زاد به عدد اهل البلد نظر الهرة التى
يؤخذ منها جراؤها * فمن ثم ترحل الفاريابي عن هولاء السنانير وهراتهم *
لا سيما وقد ورد فى الامثال اذا دخلت ارض الحصى فهورول واقام فى
لندن نحو شهر *

وصف لندن أو لندرة عن الفاريابي

ها هي ذات الشبه والدلال * الخاطرة على الفحول من الرجال * تنظر
اليهم شزرا * وتجر اذيالها وشالها جرا * كما قلت من قصيدة

قامت تجر من الدلال ذيولا جراً اضاف الى العميد نحولا

وهي لا ترى لها من بينهم كفوا * وتهلس منهم سخرية وهزوا * ألا فاذكري
ان بينهم الاقوى القدر * الاسرى الايسر * الاسرع الاعسر * الاقرش
الاقشر * الاصرع الاعصر * الاسرد الادسر * الارشف الاشفر * الابرز
الازبر * الذي اذا صم زفر * واذا شتم نخر * واذا هيج زار * او غمز
بدر * واذا راي طبلا زمر * او ذات تدهكر دهشر * اذكرى ان بينهم
عربيا ذا غرام * وهيام وأوام * ومغازلة وبغام * ومداعة وكعام * وتمشير
وانكماش * واندساس في الاعشاش * علام نتملقك وانت معرضة كبرا *
ونعدك فستخذين كلامنا هترا * الم تعلمي انا اليك متوددون * وعلى
ملك متعودون * كم من صعب رصناه * ومتحكم ارضيناه * وأبى املناه *
وقرّم اشبعناه * وجامع استوقفناه * وشاك اشكيناه * وعائب اعتبناه *
وكم من متعنتة آبت وهي شاكرة * ثم انقنت زائرة * ألا لا يغوينك
الشطاط الى الشطط * والعين الى الشطط * والعيط الى اللطط * وصهوبة

الشعر * الى انكار القدر * وتفليج الثنايا * الى آلت المزايا * وتورد الخدين *
الى احتقار اللجين * وتفليك الكعب * الى التيه والعجب * وبضاعة
البشرة * الى النهم والشره * وفعومة الساعدين * الى عنجرة الشفتين *
وجدل الساقين * الى الاستنكاف من مض لناقد عين * وعמיד غين * يكتفهما
ويتطوق بهما * او يعتنم بهما على زنبهما * وينزعه زغبهما عن الحلت
والشف * والحص والحق * وعن مس السقف * ألا ولا يصلنك الجاهض
من ورآ * الى لا زدرآ * ولا النافج من امام * الى منع التحية والسلام *
ان لدينا من المزور والفقاع * ما يروى كل مقاع * ويسكر كل ذات قناع *
ومن الشوآ * ما يزيل الخوآ * ومن الدينار * ما ينث في عقد الازار *
فيحلها حلآ * ويبلها بلآ * فمن البل بلل * ومن الحل حلل * فبحق من
اولاك هذه المحاسن * فتنة كل سامع ومعاین * ألا ما احسنت في
عشاقك الظن * واقللت لهم من هذا التزليق والفتن * فكلهم الى وصالك
حن * ومن صلفك أن * وبعد * فان هي الأمرة * فان اجدت اللقاء فاجعلها
عادة وانت على كل حال حرة * والا فما اكثر طرق هذه المدينة وما
اطولها * وما اوفر القادمين اليها * وما اوسع حوانيتها وساحاتها * وندحاتها
وباحاتها * وحدانقها وغيابضها * ومماشيها ورياضها * وما ابهج ملاهيها
وملاعبها * واجرى عجلاتها ومراكبها * وما ارحب كنائسها * وما احفل مجالسها *
وما اعمر مساكنها * وامخر سفائننها * فاجرى فيها حيث يعجبك من
هنا ومن هنا * كل امرء يسعى ليدرك الهنا *



الفصل السادس

في محاورة



وبعد ان فرغ الفاريقي من عمله في هذه المدينة الغاصة بالغواني سافر الى باريس فاقام فيها ثلاثة ايام لا تكفى لمعرفة وصفها * فلهذا نصرب هنا عن ذكره فان حق الوصف ان يكون مستوعبا * ثم سافر منها الى مرسيلية ومنها الى الجزيرة * واتاح له الله بفضل العميم ان راي زوجته في نفس الدار التي غادرها فيها * وقد كان يظن انها طارت مع عنقآ مغرب او مع العنجل وبني بها هذه المرة السادسة * فان المرة الثانية كانت بعد قدومه من الشام والثالثة بعد رجوعه من تونس والرابعة بعد خروجه من المعتزل مع سامي باشا المفخم والخامسة بعد رجوعها من مصر * ثم انشد

مَنْ يُرَدُّ فِي زَوْجِهِ يَنْكَحُ أَزْوَاجاً عَدِيدَةً
فَلْيَغِيبْ عَنْهَا زَمَاناً يَلْقَاهَا عَرْساً جَدِيدَةً

فقلت لكن المرأة لا ترى من زوجها بعد اياه عرسا جديدا * قال فقلت انما هو من مخالفتهم الرجال في كل شى * قالت نعم ولولا هذا الخلف ما حصل الوفاق * قلت كيف يكون عن الخلف وفاق * قالت كما

ان المرأة خلقت مخالفة للرجل فى الخلق كذلك كان خلافها له فى الخلق * وكل من هذين الخلفين باعث له على شدة الكلف بها والحرص عليها * ألا ترى ان المرأة اذا كانت تفعل كل ما يريد زوجها ان تفعله كانت كالآلة بين يديه فلا يكثر بها ولا يقبل عليها * لاعتقاد انها موقوفة على حركة يده او عينه او لسانه زيادة على حركة يده فى الآلة * بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد بامرها فانه ج يعلق بها ويداريها * قلت هذا غير ما عهد عند الناس * قالت بل هو معهود عند النساء من القديم * ولذلك تراهن جميعهن متحليات بهذه الحلية * قلت ولكن اذا كثر الخلف وطال * اورث التقاطع والملال * قالت ان عيني المرأة لا تبرحان ناظرتين او حقهما ان تكونا ناظرتين الى موضعى القطع والوصل * والآ استطال احدهما على الآخر فوقع ما قلت * قلت بل فى دوام الوصل دوام الوفاق * قالت لا بل هو باعث على السامة والصجر * فان الانسان مطبوع على ذلك * قلت اى سامة من وصل الحبيب * قالت السامة غالبية على الانسان فى كل شى بحيث يؤدّ تبديل حالته الحسنى بحالة سؤاى * قلت او قد سئمت من حالتك هذه * قالت ثم حلت عن السامة * قلت ما بال الناس كلهم يقولون ياقرة العين * قالت نعم ان العين تنقر بشى ريثما يعن لها آخر فتطرف اليه * قلت وما شان القلب قالت هو متقلب ومتحيز معها * قلت فما شان العميان * قالت ان لهم فى بصائرهم عيوناً اشد حليقة من العين الباصرة * قلت من اسرع الناس تقلب قلب * قالت اكثرهم فكراً فان العجاوات اثبت واصبر من الناس اذ ليس لها فكر * قلت فاذا ينشا عن النفع ضرر * قالت نعم كما انه ينشا عن الضرر نفع * قلت اى

نفع فى المرض * قالت سكون العقل والدم والفكر عن الهوى والشهوات *
قلت اى نفع فى الفقر * قالت الكفى عن الشراهة والسرف المهلكين *
فان الذين يموتون من زيادة الاكل والشرب اكثر من الذين يموتون
لقلتهما * قلت اى نفع فى الزواج بامرأة دمية * قالت كفى رجل
جارك عن دارك وصرف عين اميرك عن مراقبة حالك * على انها لا
تعدم طالبا مثلها ولكن بعض الشراهن من بعض * قلت اى نفع فى
دمامة الاولاد * قالت اذا علموا ذلك من انفسهم رغبوا عن اللهو الى
العلم واقبلوا على تحسين خلقتهم ليشفع فى خلقتهم * قلت واى نفع من
مشيب اعلى الانسان قبل اسفله مع ان شعر الاسفل ينبت قبل شعر
الاعلى * قالت اشعاره بان الحيوانية المطلقة اقوى فيه من الحيوانية
المقيدة * ولذلك كان اول ما يشيب فيه راسه الذى هو محل الناطقية *
واقوى ما يحس منه باللذة اسفله * قلت وما نتيجة ذلك قالت اقلاله
من الفكر * قلت وما الفائدة فى كونه يعوز الى اوقية من اللحم يملأ
بها وجهه فيجد رطلا فى عجزه * قالت هو من النوع الاول * قلت
كانك تقولين ان الرجل لم يخلق الا لاجل المرأة * قالت نعم كما ان
المرأة لم تخلق الا للرجل * قلت اى نفع فى تحت الاسنان * قالت
لاكل على هيئة فيمرؤ الطعام * قلت اى نفع فى تعميش العينين *
قالت عدم روية الحسان ليلاً فانهن اروع فيه واغن * قلت اى نفع
فى العرج * قالت الراحة من الجرى ورا القرصافة الزقازقة * قلت اى
نفع فى السدة * قالت الدهول عن العبقة * قلت وفى الصمم * قالت
عن الرم * قلت وفى الجهل * قالت توفر الصحة للبدن والراحة للبال *
فان الجاهل لا يفكر فى الامور الدقيقة المتعبة * فاذا نام اهتأ النوم

واذا طعم شيأ امرأه * لا كدابك فى الهينة انا الليل واطراف النهار
فما اسمع منك الا تعديد قوافى * وذكر نوى وانافى * ودوارس عوافى *
وطعائن خوافى * واذا جلست للطعام اتيت بالكتاب معك فجعلت الصفحة
تلو الصفحة * فتاكل لقمة * وتقرأ فقرة * وتكرع من الشراب كربة وتتلو
أسطورة * ولذلك — قلت قد فهمت من هذا الاكتفاء عدم الاكتفاء *
ولكن كثرة القراءة ينشأ عنها كثرة التصور الباعثة على كثرة التشوق *
قالت ولكن كثرة التشوق ينشأ عنها الترويلية او الزمالية والمقصود
البحادية الحكيمية * وقد طالما احوج وجود الاول الى البحث عن
وجود الثانية * ولكن دعنا من هذه الملاحك والمغامس * كيف وجدت
مدينة لندن * قلت رايت فيها النساء اكثر من الرجال واجمل *
قالت لو ذهبت اليها امرأة لرأت بعكس ذلك فان نساء الانكليز
فى هذه الجزيرة لسن حسانا والحسن كله فى الرجال * قلت
هولا نخبة البلاد انتقتهم الدولة حسانا ليخيفوا العدو فى الحرب *
قالت بل الامر بالعكس فان الجميل لا يخيف وان يكن عدوا وانما
القبيح هو الذى يخيف * ألا ترى انهم يقولون رجل باسل ومتبسل
اى شجاع وهو فى الاصل الكريه المنظر * قلت وقد قالوا ايضا راعه
بمعنى اعجبه واخافه * قالت المعنى واحد فانه ماخوذ من الروع
اى القلب فروية الجميل تصيب القلب بل وسائر الجوارح * ثم
قالت وكيف رايت دكاكينها واسواقها * قلت اما الدكاكين فملآنة
من الخبز والحريز والتحف البديعة * قالت هل من هوفها كما هو فيها *
قلبت فيها نساء بيض حسان * قالت انا اسالك عن شى وانث
تخبرنى عن غيره * قد عرفت انك زائف البصر فلن اسالك بعد عن

الناس وما اسأل إلا عيني * هذه خصلة فيكم معاشر الرجال انكم لا
تتروون في جنسكم حسنا * قلت هي مثل خصلتكن معاشر النساء في
انكن لا تترين في جنسكن جمالا قد تكافأنا * قالت كيف تكافأنا
وبيننا خلا * قلت كل آت قريب * قالت وكل قريب آت * قلت
لا ارضى بهذه الكلية بل قولي بعض القريب * قالت إذا ساء بعض
لم يُقَصَّ بالكل * ثم قالت اخبرني عن الاسواق * فقلت طويلة عريضة
واسعة نظيفة كثيرة الانوار بحيث لا يمكن للرجل ان ينفرد بامرأة
اصلا * حتى كان الصباب ينجلي بها في الليل ايضا * قالت هو من بعض
المنافع الصارة * ألا ليت لي جذا فانظر مرة محاسن هذا المصر من
قبل ان اقضى * قلت لا تقنطى فاني ارجو ان نساخر اليها جميعا بعد
مدة * قالت حقق الله لنا هذه الامنية * فلما امسى المساء وبات كل
منهما ثملا بذكر لندن على ما مال اليه خاطره قامت في الغداة
تقول * قد رايت لندن في المنام واذا برجالها اكثر من نساءها *
وطرقها واسعة كما قلت كثيرة الانوار * ولكن يمكن للرجل فيها ان
ينفرد بامرأة * وكانك انما تقولت هذا لكيلا اسيء فيك الظن * ولكن
ما كنت لاصدقك من بعد ان تحققت انك غير امين في الرواية
لاولى * ثم بعد محاورة طويلة باتنا تلك الليلة على اسم لندن *
فاصبحت تقول * قد حلمت اني اشتريت من احسن دكاكينها
ثوب ديباج احمر احمر * قال انك لا تزالين لاهجة بهذا اللون
واهل لندن لا يحبونه لا في الحرير ولا في الادميين * قالت ما سبب
ذلك * قلت لان الحمرة في الناس تكون عن كثرة الدم * وكثرة
الدم مظنة بكثرة الاكل والشرب * وهي دليل على الرغب والنهم *

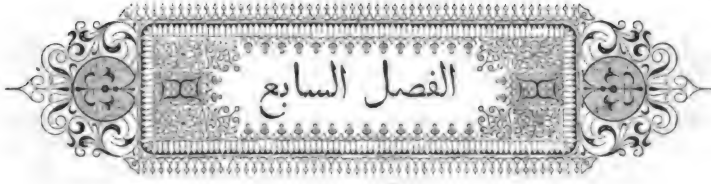
وانما يحبون اليلق لامهق * وكذلك العرب يحبون هذا اللون
فقد قال اعظم شعرائهم

كبكر المقناة البياض بصفرة غذاها نمير الحى غير محلل

فقلت ان كان هذا الاستكراه من طرف الرجال فهو لخشية عزة النساء
عليهن باللون الاحمر الدال على القوة والنشاط والاشرب والبتع والكراع *
فيوهمهم ذلك عجزهم عن كفايتهن * وان يكن من النساء وقد نطقن به
فما هو الا مواربة ومغالطة * فان الانسان بالطبع يحب اللون الاحمر كما
يشاهد ذلك فى الاطفال * وناهيك ان الدم الذى هو عنصر الحياة احمر *
قال فقلت ولكن خلاصة الدم وصفوته هو فى ذلك اللون الذى يرغب
فيه اهل لندن * قالت فهذا هو السبب اذا * لان قد حصص الحق
وبان * اما انا فعلى مذهبي لن احول عنه * وللناس فيما يعشقون مذاهب *
فقلت بودى لو كنت احمر احمر احمر حتى تحبينى وان كنت احق
احق احق * قالت وما انتفاعك بالمحبة اذا كنت احق * وانما يعود
النفع لى فى تركك اياى مع الاحمر * قلت اتزعمين ان العلم يمنع المرأة
عن اجراً ما تضمه وان الحمق يمكنها منه * قالت لا والله بل ربما كان
فى الحمق لها اكثر * فان الاحمق يلزم امراته ويظل محملاً فيها والعالم
يحملق فى كرايسه * وكيفما كان فلم ار اسفه ممن يحترج على امراته
ويلازمها * فان الرجل كلما اعنت المرأة ونكنك عليها بالملازمة والكنكنة
زادت هى فى تمادياها فلا يرد لها شى عما ارادته سوى حشمتها وحياتها *
واكثر الرجال حمقا وسخافة من اذا اوجس من زوجته الميل الى شخص قال
لها تزهدا فيه * ان فلانا متهتك مستهتر فاحش لا يبالى بما يقول ويفعل *

فاذا حضر مجلس ذوى الادب فاول ما يفوه به قوله قد راودت
فلانة وخلصتها وفتنتها * وقد عشقتنى وعشقتها * كانه اى الزوج يحذر
من الاسترسال الى هواه مخافة ان تنفض بين الناس * او ان يقول
لها ان فلانا ورع تتقى يتقى مغازلة النساء اتقأ الافاعى * كانه يقول لها
انك ان تعرضت له فى الهوى جبهك وندهك وفضحك * فقد تقرر
فى عقول الرجال ان كل امر من امور الدنيا والاخرة يشين عرض المرأة
ويهتك حجابها * مع انه لا شى يدغدغها مثل سماعها عن رجل انه
مسرف مشط فى حال من الاحوال بحيث لا يلحقها منه اذى * فهى
والحالة هذه تزيد حرصا على فتنته لتصرفه عن تلك الحال اليها فيرجع
اسرافه فى محبتها * قال فقلت نعم ان كيد النساء كان عظيما *





في الطباق والتنظير

لأنسان كما قالت الفارياقية مجبول على السامة والملل * ومتى ظفر
بالغرض * استحوذ عليه الغرض * وما دام الرجل المتزوج جلس بيته
ويسمع من زوجته هات واشتر وجدد واصلح ودّ لو انه يكون عزبا ولو
راهبا في صومعة * فاذا تغرب عنها وراى الرجال يمشون مع النساء سوا
كن حليات او خليات أنف من الصومعة * وهاج به الشوق الى ان
يكون له امرأة يماشيها مثل اولئك وان كان مشيههم وقتئذ للتحاكم
والتخاصم لدى جناب القاضى * فينبغى للزوج الملازم لكتبه والحالة
هذه ان لا يزال متصورا انه غريب فى ارض بعيدة عند اناس يخدعون
ويغبنونه ويهيجونه بمرافدهم * او ان زوجته قد سافرت عنه الى اناس
يعاقرونها المدام * ويرقدونها على فرش من ريش النعام * ويغازلونها
فتغزلهم * ويباعلونها فتعلمهم * فاذا فعل ذلك هانت عليه نعمات هات واشتر
وهذا جدول عن الفاريقي بيتن فيه الاحوال التى يقول فيها المتزوج

ويا ليت عندى امرأة

يا ليت ما عندى امرأة

اذا تهربقت وتزبرجت وتزلقت اذا سار وحده الى المثابة والمحافل

وتبرجت وتعطرت وتغنجت وقالت والمحاشد والملاهي والمراقص

له قم بنا الى المثابة والمحافل وراى النساء فيها متزبرات

والمحاشد والملاهي والمراقص * متزبرات الخ *

اذا خرج معها وقد نفجت صدرها اذا سار وحده وراى من قد نفجت
واحكمت مرفدها ثم طفقت تنبازی صدرها واحكمت مرفدها ثم غدت
وتوكوك وتميس وتزوزك وتميل تنبازی وتوكوك الخ *

عنقها ورأسها *

اذا مشى معها فرات نقطة ما فى اذا مشى وحده فرای من شمרת
الطريق فشمرت عن ساقها عن ساقها عند رويتها نقطة ما
لتبدو جاتاها *

فى الطريق الخ *

اذا سار معها فى يوم ذى ريح اذا سار وحده فى يوم ذى ريح
وعمدت الى كشف الثوب عن وابصر من عمدت الى كشف الثوب
صدرها وعجزها *

عن صدرها *

اذا جعلت دابها ان توقع منديلها اذا سار وحده فرای من تكب
او تربط شراك نعلها ثم تكب لتربط شراك نعلها او تلتقط
فتبدي عجيزتها *

منديلها فتبدي عجيزتها *

اذا جعلت شيا فى فيها تلوكه وحى اذا ابصر من تلوك شيا وحى ماشية
ماشية توهم من يعجبها من الفتيان وحسب ذلك اشارة اليه بقبلة ثم
انها تشير بقبلة او اذا غمرت احدا غدت تغمز وترمز وتلمز وتابز وتنقز
ورمرت ولمزت *

وتنقز *

اذا صادفت رجلا من معارفها فى اذا راى امرأة تعاتب رجلا على طول
الطريق فطفقت تعاتبه على طول غيابه عنها ثم اخذت يده وغمزتها
غيابه عنها ثم امسكت بيده وغمزتها غمزا شديدا حتى احمر الغامز واصفر
غمزا شديدا *

المغموز او بالعكس *

إذا لقيت امرأة في الطريق عليها إذا لقي امرأتين تمس أحدهما
ديباج نفيس فجعلت تسالها عن الأخرى وتلك الملموسة تشير بيدها
سعة وعن يمينه * اللطيفة إلى مكان *

إذا صادفت أحدا في الطريق إذا وجد رجلا بين امرأتين أو
فاشارت إليه أن اتبعنا فاخذ يمشى امرأة بين رجلين ففي الحالة الأولى
عن يمينها فحولت وجهها عن زوجها طلبا للمرازمة وفي الثانية ثقة بالكفاية
وجعلت جل الكلام مع الزبون * لان طعام اثنين يشبع ثلاثة *

إذا رجعا إلى البيت وصرحت له إذا رجع إلى البيت ورأى أن عنده
أو عرضت بشرآ الديباج ولم يكن مالا وليس من تلبس الديباج
عنده دراهم تكفى * وتجلس إلى جانبه *

إذا قالت له وهما على المائدة إذا جلس للطعام وحده وجعل يفكر
لتقصصه ما أجمل فلانا الذي ماشانا ويقول في نفسه ما أجمل فلانة
وما الطفة وابرة واثرة واطرة وأجرة التي رايتها تمشى مع فلان وما
وادرة * الطفها واثرها واطرها وادرها *

إذا بات تلك الليلة وهو تعب موجه إذا بات تلك الليلة وهو مستريح
الراس حتى إذا اغشى قليلا أحس ناشط ثم أحس بجركة منه فمد
بجركة منها في جنبه فقضى دينه يده فجأت على الحائط أو على مسبار
متكارها * أو وتد فدميت *

إذا سكن منزلا وكان جاره لادنى إذا سكن منزلا وكانت جارته فتاة
منه فتى جميلا فجعل يتردد عليه جميلة ولم يكن له أن يمت إليها
بيلة الجارية * بوسيلة الجارية *

اذا مرض ولزم فراشه وهو يشكو اذا راى جاره مريضا فى الفراش
ويش فلزمت هى الشباك وهى يشكو ويشن وزوجته بجانبه تحن
تمكوت وتحن * وتنه *

اذا جا وقت الصيف ففترو فدر اذا جا وقت الشتاء فاشتد واستد
وجفر وحصر واسترخت عروقه فادر وامتد واحتد ونبضت عروقه فادر ان
ان يبيت وحده * يبيت مع من تنفخ فى وجهه *

اذا عن له سفر لا بد منه ولم يمكن اذا راى جاره قد سافر وترك زوجته
له مصاحبة زوجته * خبعة طلعة راغية ثاغية *

اذا غاب عن زوجته او غابت هى اذا غاب رجل عن زوجته او غابت
عنه فجعلت تكتب له ما تغيره هى عنه فجعلت تكتب له ما
به وتكيدة وثقيرة * تبصره به وتسليه وتمنيه

اذا قرا فى الكتب ان النساء كلهن اذا سمع عن امرأة انها لم تخن
خائنات وان عقولهن فى زوجها وانها ردت فى حبه هدايا
فروجهن * عشاق كثيرين *

اذا ركب الصفف فلم يقدر على كفاية اذا راى امرأة جميلة تماشى ولدا
عائلته ولم تكن امراته جميلة لها صغيرا يزيعا فيقع فى الارض فتنهضه
لتنفعه * بيدها فيبكي قليلا حتى يحصر خذاه *

اذا جا من محترفه وقابلته امراته اذا راى جاره قد آب من محترفه
بالصخب والمشاركة والنقار فسمع له ولزوجته رثلا وزجلا وهمسا
والضحيج والجوار * وزكزا ومباغمة ثم رفشا *

اذا غاب عن بيته ورجع فوجد فراشه اذا رجع الى بيته فائزا بوطر ووجد فرشته

مشوشا وشعر امراته مشعثا بعد ان
موضوعنا وليس من تملأه شحما ولحمائم
كانت اصلحتهما قبل خروجه *
راى فى جملة ذخائره خصلة شعر *
اذا رآها تسار الخادم او الخادمة
اذا راى امراة لا تسار الخادم ولا
وثانس بهما وتتساهل معهما
الخادمة ولا تبتسم لهما ولا تخلو
وتحسن اليهما *
بأحد منهما *
اذا رآها تتوقف فى المشى كلما
اذا راى امراة تمشى زوجها وطرفها
مر بها جميل بدعى ضيق نعلها
اليه ولا يزعمها من يمر بها كأنها
او غيره *
ما كان *
اذا اضطجعت حتى ينظرها من
اذا راى امراة قد اضطرت الى
هو اعلى منها او اسفل واشوق ما
لاضطجاع وابت ذلك حيا وحشة
تكون المرأة ما اذا اضطجعت
سواء كان ذلك فى حضور زوجها
على جنبها *
او فى غيابه *
اذا كانت ذات هوى وصلع مع
اذا كانت المرأة غير ذات ميل
جيل بخصوصه ولا تزال تلهمج
وحذل مع احد وعندها ان زوجها
بذكرة *
يغنيها عن غيره *
اذا غاب عن بيته ثم رجع فلم يجد
اذا راى جارة كلما رجع الى بيته
امراته او اذا قرع الباب فلم تفتح
وجد امراته مقبلة على الشغل ولا يكاد
له فى الحال *
يطرق الباب الا ويفتح له *
اذا سمعت آلات الطرب فعدت
اذا سمع امراة تقول وقد سمعت
تترنح وتترقص وتقول آه
الات الطرب ان صوت ابنها الصغير
او ايه *
اشجى منها *

إذا كانت تسهب مع الغتيان في إذا رأى امرأة تكلم الحاضرين كلاً
الكلام وتضحك معهم حتى تقول بحسب مقامه ولا يسمع منها طيخ
طيخ طيخ وعيناها إذا ذاك مغازلان طيخ ولا يبدو في سحنيتها اجمرار
ووجنتها محمّرتان * ولا اصفرار *
إذا كتبت على قميصها حروفاً انكرها إذا سمع أن امرأة تكتب على قميصها
أو رأى في شفتيها اثر العض اسم زوجها ولم يرف في شفثيها أو خديها
والكعام * اثر ما قط *
إذا سمعها تذكراً سماً رجال في المنام إذا بلغه أن جارة يكاعم امراته
أو إذا تحالمت فذكرت ما كان ويشاعرها فلا تحلم له ولا يحلم
يعجبه ويرضيه * لها *
إذا رآها تكره ولدها وتلهي عنه وعن إذا رأى امرأة تحب ولدها وتحمله
أمور البيت بزينتها وتبرجها * ولا تلهي عنه ولا عن بيتها *
إذا قعدت بالشباك لشحيط شيا إذا رأى امرأة تخيط لزوجها أو لولدها
فجعلت تدرز درزة وتنظر منه نظرة شيا من غير أن تتخلل الدرزات
حتى جآ عملها فاسداً فاضطرت إلى نظرات وزفرات فجآ عملها محكما
فتقه واصلاحه * من أول وهلة *
إذا وضعت القدر على النار لتطبخ إذا رأى امرأة تضع القدر على النار
شياء ثم شرعت في الغناحتى تهوست ولا تلهي عنها فيأتي الطعام
فنسيت القدر والطبيخ قدياً مشهيّاً معينا على الباه
فتشيط * والرقاد *
إذا تمنّت أن تكون في الموضع إذا كانت تستبعد عن المشابة ولا

التي يكثر فيها تردد الرجال كفندق تشتهي ان تدخل في زحام ليقصرها
 وخان ونحوهما * واحد ويفمزا آخر *

اذا كانت تصرح او تعرض لزوجها اذا كانت المرأة تقول امام زوجها
 بانها تحب السمان الطوال من او غيره بانها لا تحب الطوال من
 الرجال مثلاً وهو ليس منهم * الرجال حالة كون زوجها قصيراً *

اذا كانت تعيب على زوجها انه غير اذا كانت امرأة مفصلة تعففا وشكت
 متصف بالمثلية ولا بالقمدية * من مثلية زوجها وقمديته *

اذا وافى منزله وقت الغدا او العشاء اذا وافى منزله وقت الغدا او العشاء
 ساغبا لاغبا فلم يجد شيئا يأكله لان فوجد على مائدته كل ما تشهيه
 زوجته لهيت عن الغدا بتصليح النفس فاكل وشرب وطابت نفسه
 ثيابها وتغيير زيتها وعن العشاء بلبسها ثم رأى من شبابه جارتها تلبس
 وجلوسها بالشباك لتنظر وينظرها ثيابها وتنظر الى ما ورائها لتعلم هل
 المارون * الثوب والعجيزة هما كشن وطبقة اول *

وما اشبه ذلك * وما اشبه ذلك *





في سفر معجل وهينوم عظمى رهبل

—∞—

وظل الفاريق معالجا للبخر وقد ضاق بهم ذرعا * اذ لم يحصل
من علاجهم فائدة فاصبح يحاول التملص من هذه الحرفة ولا سيما انه
كان مطبوعا على الملل والجزع * واتفق في غضون ذلك ان سافرا الى
فرنسا المولى المعظم * احمد باشا باي والى اىالة تونس المفخم * وفرق
على فقرآ مرسلية وباريس وغيرهما اموالا جزيلة شاع ذكرها ثم رجع الى
مقامه * فراى الفاريق ان يهنئه بقصيدة فنظم القصيدة وبعث بها
على يد من بلغها لجنابه * فلم يشعر بعد ايام الا وربان سفينة حربية
يطرق بابه * فلما دخل واستقر به المجلس قال للفاريق قد بلغت
قصيدتك لجناح سيدنا الاكرم * وقد امرنى ان احملك اليه فى البارجة *
فلما سمع ذلك استبشر بالفرج من حرفته وقال لعمري ما كنت احسب
ان الدهر ترك للشعر سوقا ينفق فيه * ولكن اذا اراد الله بعبد خيرا لم
يعقه عنه الشعرولا غيره * ألا فاهزقى يا فاريقية المهزاق * واسلّقى فما
يضرنى اليوم اسلاق * ونفجى ما اسطعت ان تنفجى * وصرجى وضمجى
ودتجى * هذا يوم يعبق فيه المكتفن * ويشبق فيه من وهن * ويشمق
منه ذو الددن * ويفاز بالغدن * هذا يوم تستحسن فيه الربوخ * ويلقى

فيه من به ملوخ * وتتم الجلهوب والسقلق * وتنجب الشريف ثم
العفلق * هلمى فاتخذى مذ اليرم طيرا * فانى ارى فى الزند ايرا *
فقال الربان وقد استعجم عليه الكلام ما هذه اللغة التى تتكلمون بها
لعمر الله ما فهمت شيا مما قلت * اهذا اللسان تحمل فى راسك الى
تونس * وبهذه الالفاظ تخاطب سيدنا واهل الفصل من رجال دولته *
قال لا وانما هذه لغة اصطاحنا عليها فلا نستعملها الا نادرا * فقال
الربان ينبغى ان تتاهب الى السفر ولك ان تستصحب ايضا عائلتك
اذا شئت * فان سيدنا اكرم الناس لا يسوءه ذلك * فتاهب الفاريق
هو وعائلته وركبوا فى السفينة وبعد مسير اثنى عشر يوما والريح مخالفة
كما جرت العادة بذلك بلغوا حلق الواد * فامر المولى المشار اليه بنزولهم
فى دار امير البحر * وهنا ينبغى ان نلاحظ مزية الكرم التى خص الله تعالى
بها جيل العرب دون سائر الاجيال * وذلك ان استدعا المولى الموما اليه
لم يكن لجميع من دب ودرج بمنزل الفاريق بل كان خاصا به وحده *
الا انه لما بلغ مسامعه الكريمة قدوم مادحه باهله لم يستأ من ذلك ولم
يقل ما اقل ادب هذا المدعو وما اصفق وجهه لقدومه علينا مزويا * ولم
يقل لربانه قد خالفت القوانين السياسية والاوامر الملوكية فلننزعن عن
كتفيك هذاب منصبك حتى تكون عبرة لمن اعتبر * بل بقى الربان
متشرفا بهذابه * والفاريق متمتعا باهدابه * وبوى اكرم ميو فى دار
امير البحر واجرى عليه الرزق الكريم * والخير العيم * ولو ان احد اعيان
الافرنج دعا شخصا واتاه ذلك الشخص ومعه غير نفسه لجهده عند اللقاء
بل لم يكن ليلقاه قط * لا بل نساوهن لما كنّ يدعون الفاريقية كن
يقطن لها انك انت المدعوة فقط اشارة الى عدم ازوائها بخادمتها

وطفلها * وليت شعري اين من تكرم من ملوكهم بارسال بارجة لاستحضار
شاعر ولغمرة اياه بالمال والهدايا النفيسة * فلعمري ان مادح ملوكهم لا
جائزة له من عندهم غير تسفيهه وتفنيدته * مع انهم اشد الخلق حرصا
على ان يشكرهم الناس ويمدحهم * ولكنهم ينفون من ان يمدحهم شاعر
يريد نوالهم * فلمن هذا المال الذى يتخرونه * ولاتية داهية من
الدواهي يُعتدون * وهم الطاعمون الكاسون * الحاسون اللاسون * ام
يخشون ان يلم بهم صفى او قشف * ام يحسبون ان صلة الشاعر من
السرف * ولهذا اى لكون الكرم مزية خاصة بالعرب لم ينبغ فى امة
من الامم شعرا مجيدون مفلتون كشعرائهم على اختلاف الامكنة والازمنة *
وذلك من زمن الجاهلية الى انقراض الخلافة والدولة العربية * فان
اليونانيين يتخرون بشاعر واحد وهو اوميرس (ompos) * والرومانيين
بشرجيل (Virgilius) والاطليانيين بطاسو (Tasso) والنساويين بشلر (Schiller)
والفرنسيين براسين وموليير (Racine et Molière) والانكليز بشكسبير ومطون
وبيرون (Shakspeare, Milton et Byron) * فاما شعرا العرب المبرزون على
جميع هولاء فاكثر من ان يُعدوا * بل ربما كان ينبغ فى عهد واحد
فى زمن الخلافة مائتا شاعر كلهم بارع فائق * وذلك لان اللهى كما قيل
تفتح الله * على انه لا مناسبة بين الشعر العربى وشعرهم * لانهم لا
يلتزمون فيه الروى والقافية وليس عندهم قصيدة واحدة على قافية واحدة
ولا محسنات بديعية مع كثرة الضرورات التى يحشون بها كلامهم *
فنظمهم فى الحقيقة اقل كلفة من نشرنا المستجع * وما احد من
شعرا الا فرنج استحق ان يكون نديما لملكه * فغاية ما يصلون اليه
من السعادة والحظوة عند ملوكهم انما هو ان يرخص لهم فى انشاد

شعرهم فى بعض الملاحى * فأتى هوان يالحق جناب الملك المعظم من
 اتخاذه الشاعر نديما وكليما * ام يقال ان شعراً الافرنج كثيرون بحيث لا
 يمكن للملك ان يختار واحدا منهم على غيره * ارونى اين هم هولاء
 الكثيرون على خزنته السعيدة * كم فى بلاد الانكليز لان من نائر *
 وكم فى بلاد فرانس من ناظم * وهنا ينبغى ايضا ان اضيف ملاحظة
 اخرى فاقول * انه قلما ينبغ شاعر عربى او عجمى ويعجب الناس
 جميعا * فان من الشعراء من يحب الكلام الجزل الفخم دون ابتكار
 المعنى * وبعضهم يعنى بالمعانى دون الالفاظ * وبعضهم يتحرى اللفظ
 الرقيق والعبارات المنسجمة * وبعضهم الغزل وغير ذلك * ولا تكاد تجمع
 هذه المزايا كلها فى شاعر واحد او تجمع عليها اخلاق الناس
 كلهم * فان من كان من بنى نظرى ذب الرياء شحما لهما فخصعا
 متصدلا زير النساء وجلبين وشيعين ونسأهن وجدنهن وطأحنهن وطلبهن
 وجدنهن وعلهن ورنوهن وحرقوصهن (١) فاقحا اياهن حيث سرن * وكارزا
 لهن ايان برزن * لاتهمم الحماسة ولا منازل الاقران * فعنده ان قول امر القيس
 اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشقى وتحتى شقها لم تحول
 احسن من قول عنتره
 فطعنته بالرمح ثم علوته بهند صافى الحديدية مخدّم

(١) الحرقوص بالضم
 دويبة كالبرغوث
 حتها كحمة الزنبور
 او القراد تلصق
 بالناس او اصغر من
 الجعل تنقب
 الاناسى وتدخل
 فى فروج الجوارى *

ومن يكن عزوا او عزها او حصورا او عتولا مقطعا او متابدا او عنكشا
 عثيلا او صيقيما صمكما كيكا ليس به حمضة الى العبهرة العنججرة *
 والعياذ بالله من ذلك * صرف ذهنه الى الزهديات والحكميات * انتهى
 ثم ان الفاريابى انتقل الى المدينة وهناك تعرف بجماعة

من اهل الفضل والادب * منهم من ادبه ومنهم من اترفه *
وهناك حظى بتقبيل يد المولى المعظم ونال منه الصلات الوافرة *
وساله وزير الدولة هل تعرف اللغة الفرنساوية * قال لا ياسيدى ما
عُنيت بها * فانى ما كدت اتعلم لسان الانكليز حتى نسيت من
لغتي قدر ما تعلمته منه * فقد قَدَّر على راسى ان يسع قدرا معلوما
من العلم فتى زاد من جهة نقص من اخرى * فلما اخبر زوجته بذلك
قالت له * الم اقل لك غير مرة عَدَّ عن الغزل بالنسأ وتعلم هذه
اللغة المفيدة وما كنت لترعوى عن هواك * ماذا تريد من الغزل
وعندك زافنة * قال فقلت نعم ورافنة * ثم قالت ماذا يفيدك
وصف العين بالحور * ولست منهن تقضى الدهر من وطر * اليس
ورآك منى رقيب قريب * قلت بلى والله انى ما خلوت قط بامرأة
فى الحلم الا ورايتك وراها * حتى كثيرا ما شاهدتك تمزقين ثوبها
وتنتفين شعرها ثم تتبواين مكانها وترسلينها فارغة * فقالت الحمد
لله على ان التى رعى فى قلبك فى اليقظة والمنام * قلت قد بدا
لى ان انتقل من التغزل بالنسأ الى هجوهن فعسى ان انتقل بذلك
الى حال احسن * قالت افعل ما بدا لك ولكن اياك من ان تدخلنى
فى الجملة * ولكن قفى قفى لا تذكر النسأ لافى النسيب ولا فى الهجاء *
فانك اول ما تذكر اسمهن يدور راسك وينبص فيك العرق القديم *
كلآ ثم كلا * قلت ولكن فى مدح سيدنا الامير قد ذكرت اسم امرأة *
فقالت وقد اتقدت عينها من الغيظ من هذه الفاعلة الصانعة *
قلت هو اسم عربى * قالت آه هو من ضلالك القديم * ولو كان اسما
عجميا لقمتم لآلن واحرقتم ديوانك هذا الذى هو على اشد من الضرة

لأنك تصرف فيه نصف الليالى * فقلت لكن هذا النصف ليس
بمانع من كله * قالت لكن ذاك الكل حق لى وضعفى مثله * قلت
صدقته ما خلق الليل الا للنساء وما خلقن هن الا لليل * قالت سلمت
بالاولى ولا اسلم بالثانية * فان النساء خلقن للنهار ايضا * قلت نعم وكل
ساعة منه وليس للرجل هم فى الدنيا غير امراته * قالت الاولى ان تقول
اهتمام * قلت فى كل اهتمام هم * قالت هذا عند الرجال من فشلهم
وليس كذلك عند النساء * قلت هو من خفة عقولهن وثقل نهمهن فان
اللذة تذهلهن عن الدين والدنيا معا * قالت بل هن يجمعن بين
الثلاثة فى مكان واحد وأن واحد * واما انتم فمتى كلفتم بواحدة منها
اغفلتم الاخرى * وهذه من المزايا التى مآنا بها البارئ تعالى عليكم *
ألا ترى ان المرأة اذا سمعت مثلا خطيبا جميلا يخطب فى الناس
ويزهدهم فى الدنيا تلذذت بكلامه وشغفت حبا بجماله وبكت زهدا
فى العالم * قلت بودى لو كانت النساء يخطبن على المنابر كالرجال *
قالت اذا لابينهم دما * ولكن هيات فان الرجال من اثرتهم استبدوا
بجميع الامور المعاشية والمعادية وبراءب العز والجاه * وحرموا النساء
من ان يشاركنهم فيها * فما كان ابهج الكون واعمره لو كانت النساء
تتولى هذه الرتب * وكما ان الدنيا مؤنثة وكذا السماء والارض والجنة
والحياة والروح والنفس والنبوة والرسالة والسعادة والحظوة والغبطة والعزة
والنعمة والرفاهية والآبئة والعظمة والخطابة والفصاحة والبلاغة والسماحة
والشجاعة والفصيلة والمروة والحقيقة والملة والشريعة والايلة والولاية
والزعامة والرئاسة والحكومة والسياسة والنقابة والنكابة والعرافة والامارة
والخلافة والوزارة والمملكة والسلطنة * واخص ذلك المحبة واللذة والشهرة *

فما كان اجدرها بان تشرف بالنساء * قلت قد نسيت العفة والحصانة *
قالت لم تخطر لي ببال وآلا لذكرتها * قلت ولكن البعال مذكر * قالت
اين انت من المباعلة * قلت والهكهة * قالت وما الهكهة * قلت
مضاعف هك هك اى هنى هنى اى طحز طحز اى فعل فعل * قالت هي
احسن مما تقدم * قلت فقولى اذا اخيراً والا فهو كفر وخمج * قالت
على النساء لا حرج فان منهن الفرج * قلت نعم الفرج اذا ابصرن ذا
فرج * قالت والارج * قلت والمرج * قالت وهن احق بذي برج * قلت
وبمن نيرج * قالت الجمع بينهما بلج * قلت والثانى عند تعذر الاول
هو لافلج * قالت وبه اللسان الهج * ثم عزمنا على
الرجوع فسفرهما المولى المشار

اليه فى سفينة

النار

*





في الهيئة والاشكال



وبعد ان وصل الفاريق الى منزله جاء بعض معارفه وساله عن سفره * فاسر اليه وعينه ناظرة الى باب غرفة زوجته ان نساء اليهود في تونس ما زلن حسانا * وانه ان يكن قد أنزل بهذا الجيل مسخ كما تزعم النصارى فانه انما نزل بالرجال فقط * فقالت امراته من ورا الباب قد سمعت ما تقول بل المسخ وقع على النساء * قال حيث قد سمعت نجوانا ولا يخفى عليك منى خافية فضمى نفسك الينا لنخوض في هذا الحديث المستحب * قالت اجل انه ما يخفى عن اذننى هممة * ولا عن عيني سمسمة * ثم انها تصدرت في المجلس وقالت * قد اعجبني من زى الرجال في تونس ان سراويلهم قصيرة بحيث تظهر سيقانهم * قال فقلت بل زى النساء اعجب واشوق * فان الرجال قد يكسون سيقانهم من الجوارب ما يغطيها ومع ذلك فالسراويل تخفى صدورهم وما يليها * فاما النساء فسوقهن بادية ولا شى يستر حقائبهن * فترى المرأة تمشى في اوان الحر وثوبها يشفى عما تحته من مكعب ومقعب * ومقعب ومقوب * ومكعب ومكعب * فقالت بودى لو كان زى النساء كهينة اجسامهن * قلت هذا يكون فاحشا من وجهين * لان المتزينة به ان

كانت ركراكة عندلة لآ كانت فتنة للناس وعطلت عباد الله من
اعمالهم * وان كانت دردة او رسحا كانت وبآ على الناس واجرتهم
فى بيوتهم تطيرا منها * قالت ما سبب كون الرجال فى هذا البلد
يتزويون بزى كهينة اجسامهم ولا لوم عليهم ولا محذور من رؤيتهم *
افكل ما تفعله الرجال يسوغ وما تفعله النساء يفص به * لعمري ان هذا
الزى احسن من زى رجال بلادنا * فانك ترى من له سراويل منهم
يمشى ويفحج كالشاة للحلب * وكثيرا ما تلتف عليه من قدام ومن
خلف فتعوقه عن المشى فضلا عن الجرى * ولو انه كان مثلا فى محترفه
وقال له قائل قد زارك اليوم فى منزلك فتى غسانى فهد * ولما لم
يجدك لبث ينتظرك وها هو الان هناك * وقد احتفلت به زوجتك
وهشت اليه وبشت وهى التى ثببطته وامرت الخادمة بان تمرض او
تتمارض حتى تنفى عنك الشبهة * اذ لو بعثتها اليك وخلا لهما
المكان لرأبك امرهما واعتقدت ان زيارته لها انما كانت عن موعد *
وانها هى المقصود بهذه الزيارة لا الشوق الى روية سحنتك * وغير
ذلك من الكلام الذى يفور به الدم وينتفخ منه الحماق * فكيف يمكن
له والحالة هذه ان يحفد الى منزله وبين فخذه ما يذهب به هنا
وهناك * ثم ضحكت وقالت نعم وترى منهم من له جبة يمشى ويكنس
الارض باذيالها فيلصق بها كل ما فى الارض من النجاسة والقذر *
حتى اذا وافى بيته ملأه بالرائحة الخبيثة فعلق بزوجه منها ما يرد
الطرف عنها وان كانت عبقة * لان الرائحة الخبيثة تغلب على
الرائحة الطيبة كما يقال * فضلا عن ذلك فان جبة واحدة يعمل منها
كثير من هذه التى تلبسها الافرنج الى خصورهم * وليس للرجل اذا لبسها

من هيئة ولا شارة فانها تخفى قوامه كله فلا يرى له خصر ولا غيره * وما خلق الله الانسان على هذه الصورة الا واراد ان تكون ظاهرة كما هي * قلت قد رايت الافرنج في بلادهم صيفا وشتاء فاذا هم يسترون اديبارهم بهذه الجيب المزنقة * ولا يمشى احد منهم في الخارج ظاهر الدبر كما يمشى هؤلاء القوم القليلو الحياء في هذه الجزيرة * قالت والبطون والافخاذ * قلت ظاهرة * قالت قد شفع هذا في ذاك فاما سترهما معا فشنيع * لعمري ان الناس لم يهتدوا الى الان الى زى حسن يوافق هيئة الجسم ويلائم للعمل وبه شارة * فان هذه البرنيطة لا تعجبنى وليست ملائمة للوجه لا في النساء ولا في الرجال * لانها اشبه بالقنفة او الزنبيل او القوطالة او السلّة او العيّبة او العكّم او المرجونة او الجواقق او الخربة او اللبيد او الجرجرة او القففر او الحقف او القفّعة او الجلة او القشع او المدارة او القلع او الكنف او القنّيع او المخرف او القنّع او الزكبية او الجوّاء او القوصرة او القود او التليسة او الوفيعة او الجلف او الخصفه او الذوخلة او السفط او الحفص او الميضمنة او الصنوت * وهذه العمام دونها في القبح * وهذه الحبر التي تلبسها نساء مصر لا حسن فيها فضلا عن غلائها * واقبح من ذلك كله هذا الحزام الذي تتحزّم به الرجال فانه يملأ الخصر والصدر ويمنع الطعام عن الهضم * واقبح منه هذا الشريط الذي يربطون به سراويلاتهم من تحت ركبهم فانه يوقف الدم عن سريانته في الارجل * وليس في زى نساء الافرنج حسن الا كونه ملائما للمرافد * وقد طالما بت مشغولة البال بهذا وحاولت ان اخترع زيا يكون فيه حسن وتشويق وخفة وطلاوة وجلالة مع موافقة هيئة الجسم ما امكن فلم يفتح الله عليّ الى الان * وعسى ان يتجه لى ذلك عن قريب فاكون

معدودة من جملة المستنبطين في هذا العصر * قلت وهل لم يخطر
ببالك لاقتصاد قط في استنباطك * قالت لا فان خير المال ما انفق
على المرأة * قلت بل على هذه الخزانة واشرت الى سهوة الكتب * قالت
او تعانق الكتاب في ليلك وتشاعره * قلت ان الرجل حين يشاعر
زوجته ليلاً لا تكون متزينة باللباس والحلى بل تكون عريانة عند قوم *
وفرّجا او متفضلة او هلاً عند اخرين * فيصدق عليها ما قيل شعر

يتفخل الانسان جل نهاره حتى يفوز بغادة في ليله
فاذا استقرا في الفراش بدت له جهواً مثل التيس تحت ذيله

قالت بل في تبرج المرأة وزينتها نهارا تشويق وتهيب لزوجها ليلاً *
قلت نعم ولجارها ايضاً * قالت بل ولنفسها كذلك * قلت ما
فهمت هذا المعنى البديع هل المرأة اذا نظرت الى زينتها تكرر *
قالت لا شك فان الزينة حُسن وكل حُسن فانما يذكر بالحسن * حتى
لو نظرت جوادا مطهما او متاعا نفيسا او شيا آخر من زينة السماوات
والارض لكان اول ما يخطر ببالها شخصا متصفا بالجمال * قلت فهو اذا تصور
مطلق غير معين * قالت ان كان الاشوق في العيان * فهو الاسبق الى
الاذهان * والا فای كائن كان * قلت وعلى فرض حضور الزوج وشرط كونه
عليه مسحة من الجمال * فهل له خطور بالبال * قالت اذا وفق الى
التملق والتعريب فقد يخطر ولكن لا بالصفة العينية بل بالصفة المطلقة *
قلت قد لمحت الى هذا المعنى سابقا وفهمته حق فهمه * ولكن اسالك
سوال متحرّ غير ذی ضلع ولا صفا * هلاً يجب على المرأة ان تقدم
زوجها في الذكر والتصور من حيث ان له المزية والقفية * وحالة كونه

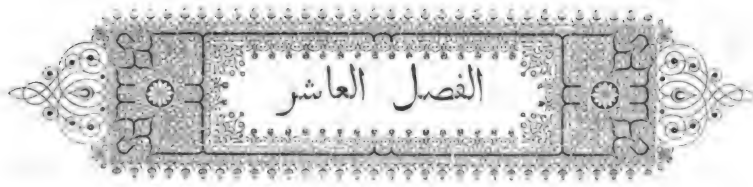
شيخها واباها وحليلها ونفاحها وكميعها وكفيحها وضجيعها وعقيدها وعهيدها
واكيلها وشريبها وجليسه وسميرها وحليفها وعشيرها واليفها ونحيتها وضمينها
وولتها وكفيلها وكليمها وعنيقها ونديمها وخليطها وعميلها وشريكها وخليلها *
قالت نعم ورقيبها وسبيبها وشغيبها وعقيبها وغضيبها وكليبها ولتيبها ووئيبها
وفحيصها وخصيمها ولزيمها وزحيمها ونبيزها ولقيسها وفقيسها وقفيسها
وجاسوسها وعاسوسها وجاروسها وناقوسها وفانوسها وكابوسها وناطورها
وناقورها * قلت قد قال مولانا صاحب القاموس دل المرأة ودلالها تدللها
على زوجها تريه جرأة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها خلاف *
وقال ايضا تبعلت المرأة اطاعت بعلها او تزينت له * وفي
موضع آخر تقيأت تعرضت لبعلها والقت نفسها عليه (انتهى) فهذا دليل
على ان حركات المرأة كلها ينبغي ان يكون مقصودا بها الزوج لا غير *
قالت لا غرو ان يكون صاحبك قد قيد هذه الحركات بالزواج تفردا
بها من عنده * او انه تابع بعض اهل اللغة المشفشين على ذلك * فان
الرجال دابهم ان يدعوا ان المرأة لم تخلق الا لارضاء زوجها وتعليقه
وتمليقه * وان اللغة انما وضعوها استبدادا منهم عن النساء وافتئاتا كما
هو دابهم في غير ذلك * مع ان اللغة انشئ ولو كانت من وضع النساء
وهو الاولى اذ كل انتاج ووضع لا بد له من ماهية انشوية لكن وضع
الفاظا تدل على من لا يفكر في غير امراته * وعلى قصر طرف الرجل
عن النظر الى سواها * وعلى مرضه لمرضها وزحيره لزحيرها * وعلى الباسه
اياها ونضوها من ثيابها * وعلى تمشيطة شعرها واحراز مراطة منه للنظر اليها
اذا غاب عنها ساعة ما * وعلى بذل جميع ما تحت يده لرضاها * وعلى
من يرى زوجته احسن النساء * ومن يزيد حبه لها بازدياد رويته لغيرها *

او على من يغمض عينيه اذا تعرضت له اخرى او يُعشى عليه او يكتب على وجهه او ياخذ الدوار او الهیضة * وعلى من يتخذ صورتها فيعم بها حيطانه وكتبه ومتاعه * فتكون مرة قائمة ومرة مضطجعة ومرة مستلقية واخرى مكبة * وبعد فقد تركنا لكم اللغة تتصرفون فيها كيفما شئتم فلم لا تتركون لنا خواطرننا وافكارنا وهى ليست من الحركة ولا السكون * فاما دعواك بالمزية والثقية فانى اخبرك خبر من لا يجمع عليك رثاءً او حياءً * انه لا مزية للرجل على المرأة فى شىء * اذ ليس من قفية للرجل الا للمرأة مثلاً * فاما كفالته اياها فينبغى ان اقول لك هنا دقيقة قل من تنبه لها * وهى انه قد يجتمع مثلاً شخصان فى شركة او دعوة او زواج ويكون قد تقرر فى بال احدهما ان له مبة على صاحبه * وذاك الممنون عليه يعتقد باطنا وظاهراً انه مظلوم * مثال الزواج ما اذا كانت البنت قبل زواجها تهوى شاباً ولم يمكنها ان تتزوج به فتزوجت آخر * فرأت من افعاله واطواره ما انكرته * فيخطر ببالها ذلك الذى فاتها فتقول فى نفسها لعله كان مستثنى من هذه الاخلاق * فلو انى تزوجت به لكنت لان فى انا عيش * وزوجها يظن اذ ذاك انه اسدى اليها منة عظيمة بكونه تزوجها بعد ان فاتها خليلها الاول * فكان ينبغى للرجال والنساء ان يمعنوا النظر فى احوال الزواج قبل ان يرتبوا فيه * وعلى الرجل ان لا يتزوج من كانت تهوى آخر قبله * وعلى المرأة ان لا تتزوج بمن كان يعاف الزواج خوف الانفاق والاملاق * او من كان يهوى اخرى وهو عزب * ومثال الشركة ما اذا كان احد الشريكين هو الذى قدم راس المال من عنده والقى عبء المصاحبة على رفيقه * فكل منهما يحسب انه ذو منة على شريكه * ومثال الدعوة ما اذا دعاك احد الى الغدا فى العصر وكانت عادتلك ان تتغدى فى

الظهر * او اذا قدّم لك من الطعام ما تعافه * فقد ركز في طبع كل انسان ان يحسب ما يستحسنه هو حسنا عند غيره * او اذا تكرم عليك وقت الغدا بفُديرة وكُسيرة وجُريرة غير عالم ان المادوب تكبر معدته عند الأدب وتتسع امعاؤه * او اذا دعاك الى منزله وكان بعيدا عن المدينة فلزمك ان تكتري مركبا بما يساوى غدائين وعشائين عنده * او اذا كنت مثلا عند احد اكابر الافرنج لمصاحبة له وعلم انه قد مضى عليك عدة ساعات من غير اكل فامر خادمه بان يقدم لك لهنة من الخبز ومن هذا الجبن اللّخني * وبك اذ ذاك قَرَمَ الى اكل دماغه * فايكما والحالة هذه الممتن والممتن عليه * او ان يكون احد في خدمة امير فالمخدوم يعتقد ان خادمه ممنون له لكونه ياخذ ماله * والخادم يرى ان مخدومه هو الممنون لكونه ياخذ منه شبابه وصحته * او ان يكون احد قد زار صديقا له ليسامره وبالمزور هم وقلق * فكل من الزائر والمزور يحسب انه متفضل على صاحبه وقس على ذلك المعلم والمتعلم والمادح والمدوح والمغنى والمغنى له * فمن ثم لا ينبغي للرجل ان يحسب ان مجرد اطعامه المرأة والباسه اياها منة منه عليها * فان حقوق المرأة اكثر من ان تذكر * قلت قد لحنت ذلك على طوله وعرضه فقولى لى اى الرجال احب الى النساء * قالت ان اقل لك تعربد * قلت قولى لا باس فانما هو بساط حديث نُشر فلا يطوى حتى نصل الى آخره * قالت يوم النشر اذا * فاعلم ان الكاعب من النساء تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسانا * والمُعصر تحب الشبان بالشرط المذكور * وقد تانس بالكهل اعتقاد انه يكون بها ارفق واعشق * ولكن ذلك لا يسمّى محبة لانه يؤول الى نفع نفسها * ومن شرط المحبة ان تكون مجردة عن الاستنفاع * ولكن هيهات فان كل محب

إذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به مله بل ربما كرهه
فعلى هذا فالمحبة عندى لفظ يرادفه الفائدة * فقول القائل انا احب فلانة
حقيقة معناه انا استفيد منها * فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين
ومن جاوزهما فى السن قليلا بالشرط المذكور * واما النصف فتحب
الثلاثة والكهل ايضا بذلك الشرط * واما العجوز فتحب الجميع * قلت ما
قولك فى الشوارب * قالت هى زينة الفم كما ان الحواجب هى زينة
العيون * قلت وفى اللحى * قالت حلى الشيوخ * قلت وفى العارضين *
قالت بنج بنج هما زينة الناظر والمنظور اليه * قلت اى حسن فيهما وخصوصا
مع حلق الشاربين * قالت هما بمنزلة الاكمام للزهر * او الورق للغصن *
او القטיפه للثوب * او السياج للحديقة * او الهالة للقمر * وبينما هما
فى الكلام واذا بطارق يطرق الباب * ففتح له واذا برجل معه كتاب
من اللجنة المذكورة سابقا يتضمن استدعا الفاريق واهله اليهم * فلما
طالع زوجته بذلك كادت تطير فرحا وسرورا * وقالت ما ابرك صباح
هذا اليوم وما ايمن شمس * ثم قامت الى الصندوق فاعت فيه لوازم
السفر ما عدا القاموس * فقال لها الفاريق رويدك فان ذون هذا
السفر امورا كثيرة * فاقعنفزت وقالت اذكرها لى جملة حتى الى بنفسى
جلها * قال اطمئنى واصبرى فانك قد شوشت عقلى بكلامك الاخير *
واعوذ بالله من ان يكون سببا فى فساد ترجمة الكتاب * فتركته واشتغلت
بامرها * وانا كذلك اتركه الى وسواسه فى العارضين اذ ليس على ان
اشاركه فيد *





في سفر وتفسير



من جملة ما لزم لهذا السفر ما عدا القاموس كان هذا الشرط * وهو ان يغيب الفارياق عن الجزيرة عامين واذا رجع يُوظف في وظيفته الاولى * فمن ثم كتب عرضا للحاكم واقام ينتظر الجواب * وبعد ايام ورد الجواب بقبول هذا الشرط * فوجد كل شئ ناجزا للسفر لان زوجته لم تكن في تلك المدة تهمل شئ * فلم يبق عليهما الا تشريف الجواز بختم القناصل واداء الغرامة الختمية الختمية * لا انه بقي غير مختوم عليه من قنصل ليكورنه * فلما بلغوا مرساها اراد الفارياق ان يدخل البلد فاعترضه صاحب ديوان المكس * فقال له انا اعطيك هنا ما كان يحق ان اعطيه للقنصل في الجزيرة * قال لا بل تعطي هنا ضعفين فابي وعزم على الرجوع الى السفينة * فراه وزوجته رجل يدير زورقا فلما علم بقصتهما قال لهما انا ادخل بكما البلد بنصف ما طلب منكما هذا المكس الحرامى * فركبا في زورقه وعرج بهما من مكان خفى حتى دخلا البلد * ثم رجعا الى السفينة فسارت بهما الى جينوى ثم الى مرسيلى ثم سافرا الى باريس * وفيها اجتمع بمسيو دلامرتين الشاعر المشهور في اللغة الفرنسية * واقاما فيها اياما تحرفت من الكيس جانبا * (فائدة اذا كنت في بلاد فرنسا

فلا تنزل خاناً للأنكليز وإذا كنت في بلاد هولاً فلا تنزل خاناً لأولئك
ثم سافرا الى لندن المحلوم بها * فلما رأت المدينة وما فيها من التحف
العجيبة * والرغائب الغريبة * ومن الانوار المزهرة * والحوانيت النضرة *
قالت ايه ايه لقد قصرت الاحلام عن اليقظة * نعم الدار هي مقاما * وحبذا
العيش فيها دوما * غير اني رايت من نساؤها امرا بدعا * قال فقلت
الحمد لله على انك بدأت بالنساء فهو من جد طالع الكتاب الذي يرد
ترجمته * ولكن اتى بدع هو * قالت كنت اسمعك تحكى عن بعض لائمه ان
عقول النساء في فروجهن * وقد ارى نساء هذه الدنيا الصغرى عقولهن في
ادبارهن * قلت فسرى فاني لم افهم ما اردت * قالت اذا كانت المرأة
توقع نفسها بين تهاثر الصنعة والفترة مع الاستهتار * اى انها تفخم شيا
بالصنعة وهو في الخلقة غير عظيم المقدار * وتهيج الناس على اكباره
والفضل كله للسجار * اى اذا كانت تقول بلسان الحال ان لدى عنصر
عصار كالاعصار * لا يجدى معه الاعتصار * وطبلا فيه زمارة لكل زمار *
وصفارة في حالتي الشبع والصفار * ودنا مقعارا * يحتاج الى صمام اذ قد
ملئ الى الاصمار * وزورا تستدعى بالزيار * وخرتا حريا بالدسار * وخررا
او دخلا ينجر فيه الخاذر اى انجار * وحشة ذات اكوار واوكار * ووزبا
ياوى اليه من ليس له وجار * ووابة مؤتبه في الليل والنهار * ونقرة ذات
تنقير ونقر على ابتدار * وصرة فرث ذات ضرير وصرار * وانقوعة اشتملت
على صلة ولا سيما عند الإهجار * وعزلا لو انحل وكاوها لمننت بالدمار *
ووطبا لو فُش لأكفهر منه الجواى اكفهار * وكيرا يطاير من نفخه الشرار *
وهيفا اذا هبت في الصيف قال الناس الفرار الفرار * اى اذا كانت خلقت وما
تارباها احد فاتخذت لها تربا ورآها * ليغنى غناها * اى اذا جعلت دابها

كله فى تسنيم المسطح * وتقبيب المفلطح * اى اذا استحسنت الناطرين
اليها * واشارت اليهم ان عندى قعيدة او نصيدة يقعد عليها * اى اذا
رمزت اليهم ان الركاز * تحت الجراز * اى اذا استحسنت المصادغ ثم
جعلت تمشى وتنظر الى حقيبتها وتعجب منها وترهى بها وتنافس فيها
وتحرص عليها وترتاح لها وتشوق اليها * فوجدت اخرى تفخرها فى ذلك
ثم وجدت هذه ايضا من غلبتها فى الاستحقاق فاجدر ان يقال ان عقولهن
فى الحقائق * هذا معنى ما قالته والجراز عبرت عنه بالقرع * والترب
بالردف والحقيقة بالعدل * ولفظة اى فى الاصل * قلت هذه عادة لهن
فلا تتشاحن فى العادات فان لساننا ايضا عادات كثيرة مكروهة فى هذه
البلاد * وذلك كالتكحيل والتزجيج والتخصيب والتحسنة واليرنسة والمغ
والسيير والتوقيف والاعتماس والترقن والترنن والتقفز والتطريف والوشم
والتنوير والامتهاش والجمش والتحفى والنمص والحلت والاستعانة
والتفريب والضياق والفرم والالهاط والاستطابة والتصنيع والتسمين وعص
الشعر وتقليم الاظفار وتدريبها * وكشف الصدر وتحريك الخصر لمن
قرصت او قرزت او مرصت او مرزت او غمرت * والحقى به ايضا العقر
وبيضة العقر والاختفاض والاهتجان وغير ذلك * قال فما كدت اتم كلامى
هذا الوجيز حتى استشاطت غيظا وحرنفشت * ثم قالت لقد أبسلك
الى التهلكة مقولك * فضحك عندى وعند الناس فضولك * من اين علمت
انهن لا يغنجن * اذا خلجن * ولا يرقصن * اذا قرصن * ولا يستعملن
الضياق والفرم * اذا كان الفلهم ذا لهم * او اذا كان قوآبا * ذا بقبقة
مقبقا * او اذا كان العفلق * يسمع له جلبلق * والحنق * احب الى الهقق *
لولا انك جرّبت منهن ذلك * قلت هذا امر شائع مستفيض نبّه مشهور

منوّة به ذو دالة وبُثْلَة وتشيرير لا يخفى على احد * فهو كقول القائل السما
فوقنا والارض تحتنا وهو عند النجاة ليس بكلام افتغضبين مما لا يصح
ان يسمى كلاما * قالت ما لى والكلام انما غصبي عن الفعل * انك
عندى قوال * وعند غيرى فعال * ما هذه صفة المتزوجين * ما هذا شان
المحصنين * ياللعجب انت لا تستحي ان تطلب * وانا استحي ان
أطلب * لا ليت قاضيا يقضى بين الرجل وامراته حتى يبين للناس
كافة من الظالم والمظلوم منا * قلت فقولى اذا ليت قاضية * لان
القاضى من حيث كونه والحمد لله ذكرنا يحكم للرجل على المرأة * قالت
بل الامر بعكس ذلك فان القاضى لا يرى الحق الا للمرأة على الرجل ولا
سيما اذا جأشت اليه واجهشت وكذا كل رجل لا امرأة نفسه * قلت
لله دوك من امرأة خبيرة بامور الرجال ومن رجل خبير باحوال النساء *
انى على مذهب سيدنا القاضى * فانى حين كنت احضر خصام رجل
وامرأة وارى الرجل منتوف اللحية مخرق الجيب ما كنت لانظر الى
المرأة الا نظر المبرى * ولا سيما اذا اجهشت فكنت اودّ لو افديها
بروحى * ولكن رويدك لا تزبشترى ولا تزمخترى * ولا تجذترى ولا
تجطترى * ولا تحزترى ولا تقدحترى * انى لم يبق لى لان الا النظر
فاما التفدية فلا حكم لى اليوم على نفسى * ولكن اخبرينى ما هذه
الخصلة الغريزية فيكون معاشر النساء * انكن تبكين وتضحكين ايان شئتن
من اى شى كان * ونحن معاشر الرجال لا نبكى الا منكن ولا نضحك الا
لكن ومن اجلكن * قالت سبب ذلك هو كون النساء ارق طبعاً * واكرم
خلقا * وادق فهما والطف تخيلاً * وارف قلبا واحنى فوادا * والين
جانبا واسرع سمعا ونظرا * وانفذ فكرا واعجل تابرا * واخف يدا واعلق

بالدنيا والدين * واقبل للتلقين * وابدر الى الرئيس * والقنف للعلق
النفيس * قلت مهلا مهلا * قالت واروق بالا * قلت وبعالا * قالت
وابلغ جيلا * قلت وتململا * قالت واوفى صلة * قلت وغربلة *
قالت واعجل الطافا * قلت وايغافا * قالت واكثر ترفقا * قلت
وشبقا * قالت واوفر كرما * قلت وغلما * قالت واطول حبا * قلت
وقنبا * قالت وابقى وجدا * قلت وزردا وعصدا * قالت واشهى عتابا *
قلت وقربا * قالت وابدع شمطا * قلت ولمطا * قالت وارخم منطقا *
قلت وحقا * قالت واسبق شعورا * قلت وشعورا * قالت واحلى تحدا *
قلت ورفشا * قالت واغرب رتلا * قلت وعفلا * ثم قلت قد كان
حديثك اولاً فى الحقائق بما يذهب بصبر ايوب * وينزى المشمود
والمنجوف والمنجوب * والان اخذت فى تفضيل النساء على عادتك وفى
تعداد محاسنهن وستنتهين الى كشف المغطى منهن * فهل تريدان ان
اقدم على صاحبنا مجنوناً او ظلم فتفسد ترجمة الكتاب * قالت ان
كنت تجنّ هنا فلا يكون لك فى البيت قرصعة كما فى الشام * فان
المجانين الذين هم فى بيوتهم هناك اكثر من الذين هم فى اديار الرهبان *
قلت لعل ذلك هو الذى اغراك بهذا التشويق المعذب * فكفى عن
هذا الحديث الملهب المحرب * بحق مع اعطاك هذا اللسان الذرب *
وتاهبى للاشخاص الى من يكون عنده شغلى * قالت اليس هو بلندن *
قلت لا بل هو فى الريف * قالت ويلى على الريف وعلى الفلاحين *
من يطيق السفر من هذه المدينة ليسكن بين الهمج * فان الفلاحين
فى جميع البلاد سوا * قلت ثم ننتقل من هنالك الى مدينة غاصة
بالرجال * قالت فيها رجال بلا نساء * قلت بل فيها نساء وانما هن قليلات

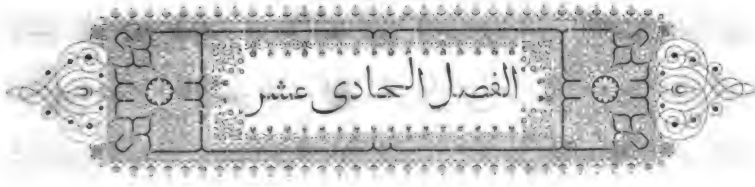
بالنسبة الى كثرة الرجال * قالت ان القليل من النساء كثير * ثم انهما
سافرا في غد ذلك اليوم واذا كانا سائرين في درب الحديد ذكر المنبه
اسم القرية التي كانا يقصدانها فلم ينتبه الفاريق لاشتغال باله بتلك
المساجلة * حتى اذا سارا طويلا وسال احد السكوت عن رحلته قال له
قد فاتتك * فخرج ج وهو آسف على غفلته عن تذكير المنبه * وما
بلغوا القرية الا بعد مشى مسافة طويلة وتعب كثير *

تنبيه دروب الحديد في بلاد الاتكليز مثل خطوط الكف يسير فيها
المسافر الى اى موضع شاء طولا وعرضا

شرقا وغربا

*





في ترجمة ونصيحة

١٠٥٥٠٠

ثم لبثا في تلك القرية وشرعت الفارياقية في تعلم لسان القوم * فقال لها زوجها ذات يوم اني اريد ان انصح لك في امر يختص بتعلم هذه اللغة الجلييلة * قالت هات ما عندك فهي لعمري اول نصيحة خرجت من فمك الى مسمعي * قال ومن قلبي ايضا * قالت قل * قال من شان المبتدئين بعلم اللغات الاجنبية ان يتعلموا بادىً بَدْ ما يُؤوَل الى جسم الانسان من العروق والعضلات والربلات الى اخره * قالت قد لحنت ما تعنيه فما هذه بنصيحة * قال فقلت سبحان الله خُلق الانسان من عَجَل * انما اريد ان اقول لك ان من شاء ان يتعلم هذه اللغة ينبغي له اولاً ان يبتدى باسماء من في السماوات لا بمن على الارض * فان القوم يتظاهرون بالتقوى والصلاح * حتى ان البغى منهم تجأروهي مستلقية بالدعاء مرة وبالرفث اخرى * قالت وقد قلقت أو هنا بغايا * قلت لا فان اهل القرى الصغيرة في هذه البلاد يتزوجون كسائر الناس ولا يمكنهم السفاح * ولكن المراد ان اقول انهم جميعا يبدون التورع * فلا ينبغي لان والحالة هذه ان تسالى عن اسماء الربلات * وستعرفين ذلك كد بعد قليل * بل لا ريب عندى في انك تعرفينه دون معرف وتحتفظينه

دون محفظ وذلك بطريق الافتحار او الالهام * فان لفتك وحدة ذهنك
وقوة قريحتك يسهل عليك كل امر عسير * قالت لعمري لو كان مثل هذا
الكلام نصيحة لكانت الحكمة ارحص ما يكون * اناشدك الله كم بلغت
من السنين * قلت ما هذا الاستفهام عقب هذا الكلام * قالت اى فصل
هذا الذى نحن فيه * قلت فصل الخريف * قالت فالذنب اذا على
الفصل * قلت اتزعمينى قد خرفت * قالت وآلا فما هذا القول الذى
زحرت به وتحسبه نصيحة * قلت فافعلى ما بدالك فلقد وعظت من لم
يتعظ وزجرت من لم ينزجر * ثم لما مضت ايام جأت ذات غداة تقول
للفاريابى * ألا ما احسن هذه اللغة موقعا فى السمع والحاظر وما اخفها
على اللسان * فلقد حفظت اليوم منها بيتى شعر من دون تكلف غير
انى لم افهم معناهما * فهل لك ان توقفنى عليه * قال اهلا بك اليه ان
شئت الان فابرقى حتى امطر * قالت اى لُقعة انت ما عنيت الا
المعنى قال فقلت وما المعنى آلا ما عنيت فانى اعلم عين اليقين انك
لم تضرى غيره * ولكن انشدينى ما حفظت فقالت

Up up up thou art wanted,
She is weary and tormented,
Do her justice she is hunted
By her husband, she has fainted.

أب اب اب ظا و آرت وانتد شى از ويرى آند طرمانتد
دوهر جستس شى از هنتسد بنى هر هزبند شى هز فانتد

فقلت ان الشاعر هنا يشكو من شطط امرأة عليه * ولكن لست ادرى
اية امرأة هى فيقول ما معناه

تبعى لكاعى سد سميها معا اذ يفتح الثانى لسد الاول
كالاذن ان حكمت تهيج اختها وتظل هائجة اذا لم تفعل

فتمقر وجهها غيظا وقالت ما هو الآ تقول منك * فانكم معاشر الرجال ابدا
لهجون بالسد * فقلت كما انكن معاشر النساء ابدا لهجات بالفتح *
قالت ان القوم لا يقولون هذا الكلام وليس فى اشعارهم فحش وفحش
كما فى اشعار العرب * قلت اليست اجسامنا واجسامهم سوا * قالت
الكلام هنا على الكلام لا على الاجسام * قلت من اين ياتى الفحش الا
من الاجسام * فحيثما وجد الجسم وجد منه الفعل * وحيثما وجد الفعل
وجد عنه القول * هذا دين سويقت مع انه كان فى درجة هى دون
درجة الاسقف فقد آلف مقالة طويلة فى الاست * وكذا استرن فانه
كان قسيسا وآلف فى المجنون * فاما جون كيلاند فانه آلف كتابا فى
اخبار فاجرة اسمها فنى هل جاء فيه من الفحش والمجون بما فاق به ابن
حجاج وابن ابى عتيق وابن صريع الدلا ومولف كتاب الف ليلة وليلة *
فمما ذكره عن فحش اهل لندن ان زمرة من اعيانها كانوا قد انشأوا ماخورا
جمعوا فيه عدة زوانى * وكان بعضهم يفجر ببعضهن بمرأى من الباقي
مناوبة * واول من نهج طريقة المجنون فيما اظن كان ربلى الفرنساوي
المشهور وهو ايضا من اهل الكنيسة * قالت الم تقل لى آنا انهم
متلبسون بالورع والتقوى * قلت بلى ولم ازل اقول غير ان هذا
التلبس قد جرى عندهم مجرى العادة * فان الملبس عليه يعلم ما انطوى
عليه الملبس * ليت شعرى لو ان احدا لبس مثلاً عشرة اثواب ليوم
الناس ان ليس له قبل ولا دبر فيخفى علم ذلك عن الناظر * قالت لا
فاذا هم مدهونون بالدهان * قلت نعم هذا النوع ينمى فى هذه الارض
كثيرا * فتاوتت وقالت ويلى على المداهين * كيف اطيع عشرتهم
وانا كسائر اهل البلاد المشرقية بمنسطة النفس واللسان * لا اكتم ما فى

صدرى عن عشرين * قلت اياك وذلك * وانما ينبغي لك التكم والتعز
 دائما * واياك ايضا والاهراق فان ضحك القوم اهمات وعت واهلاس
 واهناف وارنآء وانتداغ وارنالك وزقزقة وهرنفة وانتاغ وهنبسة * وآلا
 فكونى من الناعيات * قالت كيف تامرنى ان اكون من الطاعيات *
 وانت لا تزال تشكو من النساء طرا حتى من العادلات * قلت بل المراد
 ان تغالب الضحك يقال تغت الجارية — فابسدرتنى وقالت يكفى
 يكفى ما اريد ان تذكرلى الجارية ولا الجارة * قلت نعم واكلمهم
 نأج وتدلأس وتوجس وممس ومئش وتبرص وهرمة ومطع وتذوق وتطعم
 وتغذم * وشربهم غشرة ولماط وترشف وتزحج وتزنج وتزنج وتزنج
 وترمق وتمقق وتمزج وتمزج وتمزج وتمزج * ومتى تكلمت يجب ان تغضى
 طرفك وتخفى صوتك وتبدي غاية ما يكون من الشزن والتوقر * والتعز
 والتعذر * والتظرف والتكيس * والتلطف والتنطس * والتادب والتخضع *
 والتعزف والتخضع * والتخفر والتعز * والتعود والتعز * والتسرة والتقرش *
 والتمنع والتجش * والتسك والتنع * والتاوة والتنطع * والتحب
 والتذم * والتخرج والتائم * والتحنث والتشم * والتدلس والتكتم *
 والتحنث والتائق * والشود والتلق * والتحب والتحرى * والتوقى
 والتحشى * والتوخى والتخشى * والتبرى والتذكى * والتحنث والتحصى *
 والتوقى والتحمى * والتصلف والتكلف * والتاسف والتلف * والتحنث
 والتحنف * والتعفى والتائق * والتخيف والتخوف * والتطف والتنطف *
 فقالت ويك ويك ما هذا أهلك اتيت بى الى هذه البلاد لتسكنى
 وتصوغ منى امرأة اخرى * قلت فديتك فاسمعى ولا يكن كلامك فى
 هذا الفصل من السنة لا اخفاها اى قليلا * وفى الفصل القابل تزديدن

عشرين في المئة * وان حدثك رجل او امرأة رجب عليك ان تستحسني
المحدث وتحبذيه عند ختام كل جملة * وتومني له وتهمني اى تقولي له
آمين آمين بسلا بسلا * وتنعميه اى تقولي نعم نعم * وتبجليه اى
تقولي بجل بجل * وتوجليه اى تقولي اجل اجل * وتبسله اى تقولي
بسل بسل * ولا ينبغي لك في يوم الاحد ان تطبخى شيا وانما ناكل
مما فضل من يوم السبت باردا كما تفعل اليهود * لان الطعام السخن يسخن
الدم ويهيج الحرارة * ولان سيدنا موسى رجم رجلا وجد يجمع حطبا في
السبت * ولا ينبغي لك الحركة في يوم الاحد اية حركة كانت الّحت
ذلك * قالت لحت * قلت ولا ترفعى فيه الستائر عن الشبابيك لئلا
يراك الناس فيكون ذلك باعثا ايضا على الحركة * الّحت هذا ايضا *
قالت قد لحت وزكنته * وفهمته ولقنته * وعلمته ودريته * وادركته
وعيته * ولكن ما سببه وهذا اليوم عندنا يوم الفرح والسرور * والتزاور
والحبور * قلت انهم يموتون فيه لكون سيدنا عيسى أنشر فيه من الموت *
ثم ان عليك ان لا تفتري من ذكر يوم السبت اى لاحد * فان المستى
قد يتغير بتغيير اسمه * وذلك بان تقولي مثلا ما كان اشرف السبت
الماضى وما اجله * من لى بالسبت القابل حتى اخلو فيه مع ربى *
ياليت كل يوم فيه ساعة من ساعات السبت * ألا ان يوم السبت ليوم
عظيم * مهيب كريم * جليل وسيم * كيف كان الناس يعيشون ولاسبت
لهم * كم من سبت في السنة * وكم في ساعات السبت من دقائق *
وكم في دقائق السبت من ثواني * ألا ما ابهى شمس السبت وقمره *
وغلسه وسحرة * وازهاره واطيارة * وحره وازمهراره * واذا انكرت فلة من
فعلاتهم فايالك وان تذكرها لهم * واطرنى ما امكن على عاداتهم واطوارهم

ومعالمهم ومشاعرهم ومآكلهم ومشاربهم ومآديهم وملابسهم * وعلى طول
اطفارهم واطفارهن وعلى عظم مرافدهن وعلى تفتيل سوافهن * وعلى
المنفش من شعرهن اعنى على قذلهن * وعلى كشف ادبارهم
للاصطلا * وكلما رايت شيا فى بيوتهم من اناث وغيره فاستحسنه واعجبى
به فقولى وانت مدهوشة * آه ما احسن هذا * آه ما اجمل ذاك * آه
ما ابهى هولآ * اه ما املح تلك * ألا ما اذكى مراحيضكم * واشذى
بوالعكم * وانقى مرافقكم * وآنق مئاعبكم * وانظف اثابكم ووُصدكم *
واهبج نفقكم وسُربكم * فهذه هى الذريعة التى يتذرع بها الغربآ هنا
لاستجلاب مودتهم وكسب رضاهم * واعرف كثيرين قد استعملوها ونجحوا
بها * ثم ينبغى لك اذا دعينا الى وليمة عند احد اكابرهم ان تاكلى هنا
من قبل ان تذهبى * فان المدعوتين لا ياكلون عند آديهم حتى يشبعوا
ولكن يشبعون حتى ياكلوا * وكما ان ادب الادب عندنا ان يغصب
ضيفه على الاكل ويحلفه براسه ولحيته وشواربه ان ياكل فخذ دجاجة او
ست كُبيبات او يلقمه اياها فى فمه * كذلك كان ادب الادب
عندهم ان يراعى حركات فم الاكل ويديه ليعلم هل هو سرطم او ذو
لُقْف ونقْف * وكلما تحرك فم او يد على المائدة — قال فابتدرتنى
وقالت وخصر * قلت وكفل بل اى عضو كان * وجب عليك ان تقولى
لذى العضو المتحرك انت مشكور على ذلك * انت ممدوح * انت
محمود * انت مفضل * انت محسن * انت برّ * انت ذو منة وما
اشبه ذلك مما يؤذن بضعة المادوب ولمدة وحقارته وهوانه وذله وخصاسته

وهطّرتَه وكفّرتَه (١) وتسكسكه * فى مقابلة رفعة الادب وعظمته وجلاله واتبته
وشرفه وكرمه وبذخه وعزّته * والحذر الحذر من ان تمتدى يدك الى
زجاجة الخمر او الى جفنة الطعام فتاخذى منهما ما شئت * فان
(١) الهطّرة تذلل الفقير
للغنى والكفر تعظيم
الفارسى ملكه *

ذلك يكون انتهاكاً لحرمة المائدة والمجلس والقرية بل وللمملكة بأسرها *
وانما ينبغي ان تنتظري من كرم الآدب ان يوعز اليك في ذلك *
واذا قدّم لك بُضيعة من ارنّب قد خنق مذ شهر وعلّق في الهوا حتى
انتش فائنى على الارض التى نشأ فيها جنس هذا الحيوان النفيس وعلى
خانقه وطابخه * واذا رايت شيخا ذا وقار وهيبة يخدم عجوزة فلا
تنكرى ذلك كما انكره بعض الشعراء المفركين بقوله

وربّ عجوز تحاكى السّعالى تُشير وتنهى وتامر امرا
يقابلها شيخها بآمتثال ويسعى لخدمتها مستمرا
وتتعد تحكى كلاما سخيفا ومستمعوها يقولون سحرا
تقول بدارى كلب وهتر وللهتر ذعر اذا الكلب هترا
ويرقبنى الهتر ان كنت اكل يُمْنى ليمنى ويسرى ليسرى
وبنتى ليرى تواسيه مما لديها فمنها يلانم حجرا
وقد كان عندى من قبلُ جرّو تلون بطنا وصدرا وظهرا
وكنت عليه لفى غاية الحر ص اسقيه ملء كؤوسى ذرا
فجأت عزيزة قوم الينا فرامته منى والعين شكرا
وكان ينام على فخذى ويالحس رُفغى اذا ما اسبطرا
وكان فلان اتانى عام كذا بجرى فما عاش شهرا
وتسأل ان تنس تاريخ ذاك النهار المعظم زيدا وعمرا
الى ان قال * فاما النساء فمما اختصن به اكل ما اشبه التين نحرا
وياكلن والراح منهن بالجلد مستترات ويمضغن سرا
وتسمع للشاى قرقرة من معاهن تحكى هنا قرقرّا
وتأخذ فى صحنها بالمشكّة قدرا من اللحم يشبه ظفرا
فتعلّكه برهة من زمان ليمرا من بعد ان يتهترا

وزوج المضيف تقول له خذ عزيزى مما امامك وذرا
 فيشكرها ويقول لقد كثر الفصل منك على وذرا
 وتجلس تقسم اكل الضيوف فتعطيك من ذاك نذرا فنذرا
 وفى كل نذر تنال تطاطى . راسك رغما وتشكر شكرا
 وان يك لونان قالت لك اختر نصيبك مما هنا وتحرا
 كان لم يجز بين ذينك جمع كانك ناكح اختين تترى
 فقالت هذا تكليف فوق الطاقة فما انا بالذائقة عندهم شيا ولو
 كان المن والسلوى * قلت ومع ذلك فهم ذوو محامد شهيرة *
 فضائل كثيرة * ليست فى غيرهم من الافرنج * منها انجاز الوعد
 وصدق الوفاء فى الحصرة والغيبة * وتوفية اجر من يعمل لهم ومراعاة
 حرمة اى اكرامه لا انهم يعفون عن زوجته * قالت لا تتكلف
 التفسير فما ذلك بشذوذ عن القاعدة * قلت ومنها انهم قليلو الكلام
 كثيرو الفعل * حسنو المعاطاة للامور بالترتيب والسياسة * والرشد
 والكياسة * ومن يات الى بلادهم فلا يسال عن جواز ولا اجازة *
 ولا يهتم ان كان جاره قاضى القضاة او وزير الوزراء او شرطيا او جلوازا *
 ولا يخاف ان يسكن دارا او يدخل مائة فيها بعض الشرطة فيرهقوه
 بكلام ونحوه مما يكون سببا فى سجنه او غرامته * فكل الناس فى
 الحقوق البشرية عندهم متساوون * هذا وانهم يحبون الغريب ما
 خلا اوباشهم * ويشفقون على الفقير ويغيثون المحتاج * ويكرمون
 ذوى السيادة والمجد ويعرفون قدر ذوى العلم * ويعينون على
 ادراك العلوم والمعارف فى البلاد الاجنبية * وعندهم جمعيات
 منعقدة لاجرا كل نفع وخير * وازالة كل شروير * وكثير من الاطبا
 هنا يداوون المرضى مجانا ما عدا المستشفيات المبتوتة فى كل

قطروصقع من بلادهم * ومن ينزل نزلا لديهم او يستاجر غرفة في
منازلهم فان صاحبة المنزل تؤانسه وترفق به وتحفّه وترقه وتمرضه *
وتدعوه الى مسامرتها ومجالستها من غير ان يستأ زوجها لذلك * واذا
اتفق وقتشد ان زارها بعض معارفها تعرّفهم به وتنوّه باسمه * وانه
اذا قدم الى بلادهم احد بكتاب توصية احتفل به الموصى ودعاه
الى منزله وجعل اسمه نَبَها عند اخوانه ومعارفه * ولا يدع شيئا في
وسعه الا ويبذله لراحته ورفاهيته ونخله له الود والنصح حاضرا وغائبا *
فرقة وصاة بيد صاحبها تفيضة عندهم باب وام واهل واخوان * وفي
الجملة فان كفة محامدهم ترجح كفة مذاثمهم * وليس الاكمل الا
الله وحده سبحانه وتعالى * وليس شئ من هذه المزايا الحميدة موجودا
في غيرهم من الافرنج لان غيرهم متحاحون ملثيون مراوغون * ذوو
ايادي مغلولة والسنة مطلقة * فهم ليسوا كاصحابنا في الرشد والاستقامة
ولا مثلنا في الانس والكرم * قالت قد فهمت هذا كله فينبغي ان
نعود الى تفسير البيتين بشرط ان لا تاتى بشئ من عندك فاني اعرف
تزيّدك في الكلام * قلت كانك تقولين اني ذو فضول غير فعول كما
ذكرت ذلك غير مرة * قالت اذا كنت قد الفتة فما يصرك لان والآ
فعدها فلتة * قلت دونك تفسيرهما من دون تزبب

قم عجلا قم سؤلى عندك وابلغ اربا منها جهدك

فلقد صجرت ولها بعل يبغى ان يعسلها بعدك

فقالت انت قلت ان الشاعر يشكو من امراة وها هو يشكو من
نفسه * وليس المرأة بملومة على صجرتها في مثل هذه الحال * قلت لمثلك
تلقى مقاليد الشرح * قالت ومنه يرجى تخفيف البرج *



الفصل الثانى عشر

في خواطر فلسفية



ثم لما مضت مدة على الفارياقية فى بلاد الفلاحين حيث لا انس للغريب ولاحظ غير خضرة الارض عيل صبرها وضاق صدرها وعرتها السامة والقلق * فقالت لزوجها ذات يوم * ياللعجب من هذه الدنيا ومن احوالها * واعجب ما فيها هذا الحيوان الناطق الماشى على ظهرها * كيف تمر عليه الليالى والايام والامانى تغره * والامال تشغله وتغله * وكلما جرى وراها ليدركها تقدمته وبعدت عنه كظله * وكل يوم يحسب انه فى يومه اعقل منه فى امسه * وان غده يكون خيرا من يومه * قد كنت احسب ونحن فى الجزيرة ان الانكليز احسن الناس حالا * وانعم بالا * فلما قدمنا بلادهم وعاشرناهم اذا فلاحوهم اشقى خلق الله * انظر الى اهل هذه القرى التى حولنا وامعن النظر فيهم تجدهم لا فرق بينهم وبين الهمج * يذهب الفلاح منهم فى الغداة الى الكد والتعب ثم ياتى بيته مساء فلا يرى احدا من خلق الله ولا يراه احد * فيرقد فى العشآ ثم يبكر لما كان فيه وهلم جرا * فهو كالآلة التى تدور مدارا محتتنا فلا فى دورانها لها حظ وفوز ولا فى وقفها راحة * فاذا جآ يوم الاحد وهو يوم الفرح واللهو فى جميع الاقطار لم يكن له حظ سوى الذهاب

الى الكنيسة * فيمكث فيها ساعتين كالصنم يتشأب ساعة ويرقد اخرى
ثم يعود الى بيته * فليس عندهم مثابة ولا موضع للسمر والطرب * وليست
ايضا عيشة المتمولين فى الريف بانعم من عيشة الفلاحين اذ لا
يعرفون من المطاعم غير الشواء وهذا القلقاس * ولكن هيهات اين المتمولون
فى القرى * فانك لا ترى فيها مثرى الا القسيس وخولى الارض وهو الذى
يضمن المزارع والحقول من مالكةا * وهما ايضا بمثابة الفلاحين *
ومع ذلك فاذا دخلت قصور الملوك وطففت فى اسواق المدن وعانيت
ما فيها من الصنائع البديعة والتحف العجيبة والالات الظرفية والفرش
النفس والياب الفاخرة ولاوانى الحكمة ولا سيما مدينة لندن * علمت
ان صناعها هم القائمون بالدنيا وهم منها محرومون * فان داب الصانع
كداب الفلاح من جهة انه يشقى ويكدّ النهار كله ولا حظ له فى الليل
سوى اغماض عينيه * فكيف يزين هذا الصنف من الناس هذه الدنيا
ويبهجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها * والمتترفون فيها
لا يحسنون عمل شى وربما لم يكونوا ايضا يحسنون الكلام * واذا كان
الناس عباد الله فى ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم
الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحقيرة فلم لا يجرى العدل
بينهم كما يجرى بين الاعضاء * فان الانسان اذا اكل شى او لبس شى
فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله * ام يزعم العثرون اذا وسعوا على
هولاً الصنك الصعاليك * ونقصوا عنهم الكرب الذى يكابدونه من جهد
المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحملونهم على افعال
شغلهم وعلى تركهم لارض بورا فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعا * فما بال
ذى الدولة اذا يولى المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يقلده عملا

ويرقيه مرتبة ولا يخاف ان يفسد عمله بكثرة ما يعطيه * لا بل ان الفقير اذا كفاه واليه اوسيدته المونة وهو شى بالنسبة اليه هين فانه يودى ما ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس * ويدعوله بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يبببب الليالى شابجا يديه بالدعا عليه * لتيقنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواه ذاهب فى تسمين غيره * وفى حمله على البطر والعتو واقتناء ما لا تلزم قنيتته من الخيول المطهمة والمراكب النفيسة والاثاث المنضد * فياكل الغنى لقمته والحالة هذه مغموسة بدعا الفقير عليه * ام يحسبون ان الله تعالى انما خلق الفقرا لخدمتهم فقط * لعمري ان حاجة الغنى الى الفقير اشد من حاجة الفقير الى الغنى * ام يانفون من النظر من مقامهم الرفيع السامى الى ذوى الضعة والخيول خشية ان يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوءهم * كمن ارتقى شرفا باذخا وتحتة هوة عظيمة فهو يابى من ان يتطاطا وينظر اليها لئلا ياحقه من ذلك دوار او غشيان فيهبط من شرفه * ليت شعري هل جرب لاغنيا حينا من الدهر ان يسعدوا الشقى بمالهم وينعشوه برفدهم * ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة * وانما هو محض وهم دخل فى رؤسهم مع الرجيق فخرج هذا ولم يخرج ذاك * الا فليمكنوه من ان يذوق لذة العيش ويرى الدنيا كما هى عليه شهرا واحدا فى عمرة فى الاقل او يوما فى العام حتى يموت راضيا قرير العين * واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسله وتعطله فخوفهم من فساد نيته لفقره ومن كراهته اياهم اولى * لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة * الا ترى الى هولاء لالوف من البنات اللالى يجبرين فى اسواق لندن وجميع المدن العامرة باخلاق من

الثياب * كيف يتهافتن على الرائج والغادى رجا ان ينلن ما يتقوتن به ويتجملن به من الثياب * ولا سيما هولا النواشى اللالى لم يبلغن بعد من العمر خمس عشرة سنة * فهذا لعمري لاهتجان بعينه * فكيف يعيبون علينا هذه العادة فى بلادنا وهى مستعملة عندنا على وجه الحلال ومندهم بالحرام * فلو كن مكفيات المونة لما فعلن ذلك * لان البنت فى هذا الحد من السن لا تكرر الى الرجال * ولا تصبع للبال * ولا سيما فى البلاد الباردة * ولسلم من كيدهن وتهافتن جشعا الى المال اناس كثيرون جلب عليهم شرهم اليهن مضار كثيرة * وما عدا ذلك فان هولا البنات الحسان لو كانت الدولة واهل الكنيسة يعون بتجهيزهن بما يقدرهن على الزواج الشرعى بعد تربيتهن وتهذيبهن * لكن يلدن الاولاد الصباح فيزيقن المملكة باثمار ارحامهن كما تقول التوراة * بخلاف ما اذا بقين على حالة السفاح فما يتولد منهن لا الخباثت والردائل * فهن كالشجرة الناصرة التى فضلا عن كونها لا تثمر تلثى بالسم النافع لمن تذوقها * وكم لعمري من بنت جلت اول مرة من مبادئ شوطها فى ميدان العهر * ثم اسقطت جنينها خوف الفقر * وان منهن لمن تلد فى طرق المدينة فى ليالى الشتاء الباردة لعدم ماوى لها * او انها تبست مع بنت اخرى على فراش واحد وهى عادة مستفيضة فى لندن * وذلك لعدم قدرتها على ان تستقل بفراش وكن خاص بها * فلا تامن والحالة هذه من ان يلحقها اذى من ضجيعتها ليلا * نعم ان اولاد الزنا ياتون فى الغالب شياطمة جبابرة كيفتاح الجلعادى الذى حل عليه روح الرب فانقذ اسرائيل من بنى عمون * وكوليم الفاتح الذى فتح هذه البلاد اى بلاد الانكليز * لا ان النفع الاكثرى مع الاقتصاد ولاعتدال * احق

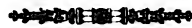
بالمراعاة والتقديم من النفع الاندرقى مع الاسراف والإرغال (١) (١) الإرغال وضع
اليس يعاب صاحب ارض اريضة يغادرها بوراً ومتمسراً للوحوش * او
صاحب اشجار مثمرة يتركها دون سياج ولا ناطور عرضة لنهم كل متفكّه *
نعم لا ينكر ان وجود الغنى والفقير فى الدنيا لا بدّ منه كوجود الجميل
والقبيح * ولولا ذلك لوقف الكون عن الحركة وتعطلت المصالح كما
افاده المتكلمون * الا ان الكلام هنا فى الفقر الذى لا يقال فيه انه
عيش مؤبّد الى الشرة والبطر * لا فى الفقر المدقع الذى يلقي الهموم
والاحزان الدائمة فى قلب صاحبه * فيغضى به مرة الى الانتحار ومرة
الى الاغراق او الخنق كما شاع فعل ذلك فى هذه البلاد * اليس من
العار على الرجال فى هذه الارض العلوم والصنائع والتمدن والتحصن
انهم لا يتزوجون المرأة الا اذا كان عندها الجهازان * واقبح من ذلك ان
الكبراء هنا لا يتزوجون عن حب بل عن طمع فى زيادة المال * فان
من كان دخله مثلاً مائة دينار فى كل يوم يريد ان يتزوج من دخلها
مائة دينار ايضا تماماً * ولو كان تسعة وتسعين لم يصح * ولذلك فكثيرا
ما ترى شابا جميلا قد تزوج نصفاً شوهاً * وهيئات فان الرجال هنا
اكثرهم مصاييف * اى لا يتزوجون الا اذا دخلوا فى حيز الكهول *
فيقتضون شبابهم فى السفاح ومن حدّ الثلثين الى الاربعين فى البحث
عن عندها جدة وغنى * وتبقى الجميلة الفقيرة كاسدة وما عليهم من
الإصافة من عار * مع ان مراعاة الولد فى حق الزوجة من اعظم الاسباب
الباعثة على الزواج على ما ذهب اليه الربانيون * وان يكن توزيع الولد
يتمّ بمرة واحدة فى مدة تسعة اشهر * اعنى ان اولاد النصف الشوهاً لا
ياتون صباحا اصحّاً كأولاد الفتية الجميلة * وفصلا عن ذلك فان من

تزوج وهو فى سن ثلاثين سنة مثلا امرأة فى سن ثمانى عشرة فمتى بلغ الخمسين وكانت امراته بعد لُقُوتها متلعجة كان له من ولده رقيب عليها * فلاى شى زيادة المال لمن اغناه الله بفضله * ومن يكن له فى كل يوم مائة دينار فما الفرق بينه وبين من له خمسون او عشرون * فان من لم يكتف بهذا القدر لم يكفه ملء الارض ذهباً * هذا وان المرأة اذا كانت غنية فلا بد وان يتبع غناها عناً * لانها تتعمد ج اللائم والمآدب والمحافل وان تزور وان تزار * وان تتخذ لها من الخدام من تقر عينها بترارته وبضاوته * وكلما اختلجها عضو تمارضت وتوهمت على السفر او الارافة * وهناك حائلة كون زوجها فائز الدماغ بالامور السياسية او البواث المالية فى مقرة تخلو بمن تخلو * وتلهو بمن تلهو * وبيد خادمها من الدينار ما يعمى عينه ويصم اذنه ويقطع لسانه * اليس هولاء الاغنياء يَمْنُون بالامراض والادواء كالفقراء * اليس الموت يفاجئهم وهم فى غمرة لذاتهم منهمكون * وان كثيراً منهم لسرفهم وزُغْبهم ونهمهم وفسادهم واستهتارهم فى الشهوات يموت عن غير ولد * او انه اذا رزق ولدا يعيش ما عاش ضاويًا نحيفًا شقوة له وكمدًا على ابويه * وقد قال احد مؤلفيهم ان من ترى من اولاد الاعيان والامراء هنا تارًا قويًا فانما هو من القاح بعض الحشم * وترى اولاد الفلاحين صباحًا اقويًا يلهمون الرطب واليابس * ولعمري لو لم يكن لهم هذا الجزاء من الله تعالى اى رؤية اولادهم حولهم معافين محببين لكانوا فى عداد الموتى * كيف بُنى هذا العالم على الفساد * كيف يشقى فيه الف رجل بل الفان ليسعد رجل واحد * واى رجل * فقد يكون له قلب ولا رجة * ويدان ولا عمل * ورأس ولا رشد ولا نهية * وكيف يقع هذا فى هذه البلاد التى

ضربت بعدلها الامثال * لا جرم ان فلاحى بلادنا اسعد من هولاء
الناس * بل التجار هنا اشقياء على غناهم وثروتهم * فان احدهم يقضى
النهار كله وهزيعاً من الليل واقفا على قدميه * وقد سالت واحدا مرة
فقلت له لم لا تقعد على كرسى وعندك كراسى كثيرة * فقال لى انها
للذين يشوفوننا بالزيارة ليشتروا من عندنا * فاذا قعدت مثلهم صرت
منهم * فاما فى يوم الاحد فيلبثون خدري الابدان والافكار * سدري
البصائر والابصار * فاین هذا من التاجر عندنا يعقف احدى رجليه
على الاخرى بعض ساعات على اريكته * ثم اذا حان العصر كبّ جتته
ورآه وذهب الى بعض المنارة وهو يمشى الخيلاء * فان كان التمدن
والعلم قد سبب هذا فالجهل اذا سعادة * غير ان الفلاحين هنا فى غاية
الجهل زيادة على بؤسهم * ومن اين ياتيهم العلم وهم ملازمون للكدة
والترقح وليس عندهم مدارس * قد كنت اظن انهم جميعا يحسنون
القرأة والكتابة فاذا هم لا يحصنون النطق بلغتهم * فانى اقرا فى الكتاب
شيا واسمعه منهم مخالفا لحقيقة استعماله * وناهيك ان اكثرهم لا يعرف
اسم بلادنا ولا جنسنا * وقد قيل لاحدهم مرة ان الملك امر بتفسير خيل
فى سفن لحرب العدو * فقال انى اعجب كيف يقائل الناس فى
البحر على الخيل * وكانى بهم لجهلهم يحسبون ان سكان الارض باسرها
دونهم * او يظنون ان الرجال فى غير البلاد يبيعون نساهم او ياكلونهن
اكلا * او انهم يتقوتون بالجذور والبقول * ولو انهم عرفوا احوال الامم
وخصائص البلدان لعلموا انه لو كان لهم من لذات العيش اصعاف ما
لنا مع شدة بردهم ومنكر هوائهم ودكنة جؤهم لما وفى ذلك لهم * وان
غنا الصنعة عندهم لا يقوم مقام غنا الطبيعة عندنا من طيب الهواء والماء

وصفاً الجوّ وزكاَ الارض وعذوها ومراتها ولذة المطعوم والمشروب والتنزه
فى الرياض والحدائق * ولاكل عند المياه الجارية تحت الاشجار
الناصرة * والتردد على الحمامات والسهر فى السمر واستماع آلات
الطرب * يعرف ذلك منهم من زار بلادنا وألف حظنا ونعيمنا * غير
ان اللبيب من استخرج من كل ضرّ نفعا * واعتبر بكل ما جرى عليه
فاستفاد وأرعى * قد تعلمت الان بما لقيت من الوحشة والتقشف فى
بلادهم كيف اعيش فى بلادنا ان رجعت اليها سالمة * وكيف ان
الطخطة والقرقرة والهرز والكركرة والتجلق والههرة والاغراب والكدكة
والأهى والهزقة والانزاق والزغربة وطيخ طيخ وعيط عيط وتغ وهاه
لأفرج اللهم عن القلب من اوانى موضونة ومبانى مرصونة * فخير البلاد
ما الفت هواها والقيت فيها مخلصا لك وده * وكيف يكون خلوص الود
من دون كشف السرائر * وكيف تنكشف السرائر وتعلن الضمائر من
دون اطلاق اللسان فى ميدان الكلام * والمقوم هنا يتكتمون ويرون
ان فى ذكر الانسان ما يحس به وما يحبه وما يكرهه طيشا وهوجا *
انما مثلى كمثلى الثعلب الذى كان يسمع لطبل تضربه اغصان شجرة صوتا
عظيما * فلما اتاه وعالجه حتى شقه وجده فارغا * لا جرم لا عدت املك
خاطرى سمعى * او كراكب البحر وهو ظمآن يرى الماء حوله ولا يمكنه
ان يروى غليله منه * انى ارى وجه الارض هنا اخضر ولكن لا شى من
هذه الخضرة يبيّض الوجه عند الاكل * اذ ما به من الطّعب شى * لان
كل ما ينبت عندهم فانما تغصب الارض تنبيت غصبا من افراط
التدليل * فلو كان احد هنا من اللأطة لسالناه عن طعم بقولهم ما هو هذا
ما عدا خلطهم الماكول والمشروب وغشهم وافسادهم ما من الله تعالى

به عليهم سائعا طيبا * وناهيك ان الخبز الذى هو قوام هذا البدن لا
 طعم له * فانهم يختمونه برغوة نبات ويخلطونه بهذه البطاطة ثم يخفقونه
 بعد لاختمار خفقا * فماذا يفيد القائل قوله انى كنت فى بلاد لا فرنج
 وهو لم يجد فيها الا الوحشة والنكد * بل ذكر ذلك له فيما بعد غصة *
 الى مصر الى الشام * الى تونس ذا العام * فهناك تلقى من يزورك او
 تزوره * وهناك تلقى البشر دون تصلف والفصل دون توقف وتكلف *
 الى آخر ما ذكرت لى من التأنف والتأنف * لا يطيب العيش للانسان
 الا اذا كان يتكلم بلغته * ليس العيش بطول الليالى ولا بكثرة الايام
 ولا بروية ارض خصرآ ولا بمشاهدة ادوات وآلات * وانما هو باغتنام
 انس الاحباب * وعشرة ذوى الآداب * الذين تصفو منهم السرائر فى
 الحضر والغياب * وتخلص لك مودتهم فى الابتعاد والاقتراب * انما
 الدنيا مفاكهه * قال فقلت ومناكهه * قالت ومنادمه * قلت ومشامه *
 قالت وملامه * قلت ومطاعمه * قالت وملاينه * قلت وملاسنه * قالت
 ومطايبه * قلت ومراضبه * قالت ومخادنه * قلت ومحاضنه * قالت
 ومرامه * قلت ومفاعمه * قالت وملاطفه * قلت وملاغفه * قالت ومخالقه *
 قلت ومعانقه * قالت ومحاضره * قلت ومخاصره * قالت ومباغمه *
 قلت ومكاعمه * قالت ومعاشره * قلت ومشاعره * قالت وموانسه * قلت
 وملامسه * قالت ومساجله * قلت ومباعله * قالت ومخالطه * قلت
 ومخارطه * قالت ومطارحه * قلت ومشارحه * قالت ومجازره * قلت ومراهزه *
 قالت ومداعبه * قلت ومزاعبه * وهنا كان ختام الملاعبه *





في مقامة ممشية

- ١٠٩ -

حدس الهارس بن هثام قال * كنت سمعت كثيرا عن النسا * حتى
كدت أمني بالنسا * فمن قائل ان المحسن اطيّب عيشا من العزب *
واسلم عاقبة من المزاجة على منهل دونه مذب * او المكابدة للوب
واللهب * او التعرض للتجبيه والعطب * وانه كلما صدى قلبه من
الكرب * جلاه بابتسامة من زوجه عن شنب * وارتشافة من رصاب
كالضرب * وسماع نامة تغنى عن آلات الطرب * ومدام ذات حجب *
فان مما خص الله تعالى به المرأة من المزايا * وفضلها به من السجايا *
ان صوتها الرخيم لا يمرد عليه نكد * ولا يسدو معه هم وكمد * فاول
ما تحرك شفتيها * تسكن القلوب اليها * وعند مغالطة عينيها * تنهال
المسرات على من هو بين يديها * فيحنّش ويحنّش * ويحفش
وينتفش * ويدركل ويدركل * ويسجل ويدوقل * ويبحشل ويدربل (١)
وحين تمشى في بيتها متبدّحة * تقول لها الاقدار فدينك من
مغناج مرجه * ان شئت رفعنا زوجك الى قرن الغزالة * لينعم بالك
باحسن حاله * وان شئت بقاءه عندك الليله * لم تُعينا في ذاك
خويلة * وان شئت ان نزيّن له السفر * عاما او اكثر * الى طرح

(١) حنّش رقص
ووثب وصفق ونزا
ومشى ولعب وحدث
وضحك * والمحش
شدة النكاح وشدة
الاكل * والحنّش
لزوم البيت الصغير *
ودركل رقص وتفحج
وتبختر ونحوه دركل
وبحشل رقص رقص
الزنج *

ذى أَمْنٍ أو خطر * فانت لدينا اكرم من نهى وامر * فما عليك الآ
نضضة لسان * أو اشارة بنان * وحسبنا بطرفة عين من بيان *
قال وان الزوج متعه الله باحصانه * وهناه بنصرة بمتانه * وجنى ثفاحه
ورمانه * وزاده من لآئه واحسانه * يعبث بحضرة زوجه باللذات
كما شا * ان توحى مسًا مس وان اشتهى نشوة نشا * وان شآ داعب
ولاعب * وان أبى لا الجَدَّ فالجَدَّ طوع له كما احب * وان له منها
منزها (ولكن غير بعيد عن المآ) تغيب فيه الاتراح * وتطلع منه
الافراح * وبشائر النجاح * وسرا تُزَقَّ به الدنيا اليه بمعرض بشر *
ومَهْدَى كُشْر * ان التوى عليه امر قومته بمهارتها * وسددته باشارتها *
وانها اذا تدعيت عليه وتقيأت * وتبعلت له وفيات * زاده الله نصرة
ونعيما * وزادك صبرا وجموا * خيل له انه ملك الدنيا بحذاقيرها *
وفاز بجميع لذاتها وحبورها * وانه قد قام مقام العاهل الاعظم * خليفة
بارى لامم * فلوراي وقتئذ قاضي القضاة مارا على بغلته * حسبه من
اتباعه وخدمته * ولوراي كافها او وافها * لانف من ان يكلمهما مشافها *
فبعث مكانه الى جناب الاول وصيفا والى حضرة الثانى وصيفة *
وقال لهما انى لدى لكل فاتح قاهر ولاية شريفة * وكل سائل شاكر
وظيفة * ولو ان امرا اغلظ له وحاشاه فى الكلام * وسفه فبادره بالتقريع
والملام * اوراي والعياذ بالله ان يمس له قذالا * ويسومه عليه قفدا
واذلالا * فزع الى زوجته ابعزها الله فنفت عنه كل كرب * وامنته من
كل رعب * وردت عليه حجرة من حجرها * وصدارته من صدرها * وقالت
له لا تخش من كيدة وغلّة * فانما يدفع كل استحصاف بمثله * فرجع
الى ما كان عليه من الانفة والفخار * والعز والذرار * حتى لو راى قِلا

اوردفا * لهاآ بنفسه عن ان ينظر اليهما نظر لا كفا * فهو الرانع
 المفق * المترف المتملق * لاآكل وتلقآء من درر الشنايا ومرجان
 الفم * ما يخيّل اليه ان الكامنخ خير مطعم * والمسيخ اهنأ مغنم * وان
 الاجاج والزقاق * اشهى من مدام الاغتباق * ألا ولو انه بات معها
 على فرش حشوة شطايا * وماس منها زغابة لكان له من اوطأ الحشايا *
 فكل صرّ معها يستحيل الى فنع ونفع * وكل شطّى بقربها فهو قصوف
 ورّنع * ومن قائل لا بل عيش العزب اهنأ * وللذات اجنى * فان
 السيدات يحسبنه فى كل وقت ذا جموم * وعندهن ان نبّة واحدة منه
 تنفى جميع الهموم * اذ ليس له من تلزّة كل ليلة للظلال * وتورقه
 هزيعا من الليل على مثل ذى الحال * ليتذكر دائما انه محصن ذات
 قرطق وخالخال * فهو على هذا محبّب عند البنات * محروس عليه
 من السيدات المتزوجات * مشار اليه بالبنان من الارامل الهائجات *
 وانه اذا رجع الى منزله رجع ويده خفيفة * ورانفته نظيفة * فلا من
 تقول له هات * او تلومه على ما فات * ولا من تستوحيه عن المستقبل *
 وتستفتيه فى مصالح المهبّل * ولا من تزجره عند قيّق غيرها له وحاجه
 اليها بحقّ حقّ * او تنجفه قبل مفارقتها اياها اى نجف * لو تقول
 له نزاف نزاف * وآلا فالازهاف (١) * ولا من يبكى بين يديه *
 وهو عاجز عن كفاله كما يحق عليه * فتراه ابد الدهر متياحا مفراحا *
 متعرضا للنساء متياحا * شواحا سداحا * رفيقا بالمحجّ منهن مساحا * وقد
 قيل فى الامثال السائرة سير العجاج * فى كل فجاج * من لم يكن ذا زوجة
 كان ذا ازواج * قيل فمن ثم كانت خطوات العزب اوسع * وحركته اسرع *
 وكلامه انجع * واناؤه اترع * ونعمته ارحم * ونهمته اعزم * ونهزته اقوى *

(١) القيق صوت
 الدجاجة اذا دعت
 للسفاد وحلج الديك
 نشر جناحيه ومشى
 الى انشاه للسفاد
 وحقّ حقّ زجر
 للديك والدجاج
 والنجف منع التيس
 حتى لا يقدر على
 السفاد وذلك بان
 يشد جلد بين بطنه
 وقصيبه وذلك الجلد
 يسمى النجاف
 ونزف ماء البشر نزحه
 كله وازهى التى شرا
 — وعليه اجهز وبالشر
 اغرى — والخبر زاد
 فيه وكذب ونم *

ومزته اروي * وسانه اذلق * وسهمه اخسق * ونشره اعبق * وحبه اعلق *
 وطعمته اطيب واوفر * ومادته اسكب واغزر * وقد نسوا ان تبعق حوصه
 فى غير سقى واحد هو عين السبب فى تنكيز نزه ونزته * وتفتير شرزه
 ولزته * الى غير ذلك مما لا يلىق ان تتقابل به مومسة ولا حصان * ولا يوصى
 به دالى ولا تيقان * قال الهارس فلما تراجح المذهبان * وتكافح المطلبان *
 قلت فى نفسى من لنا اليوم بالفارياق * فيفتينا فى هذا الامر الرباق *
 فانه اعلق بالنساء من الريبة * واعرف باحوالهن من ذى شيبه وشيبه * فلقد
 ذاق منهن الحلو والمر * ولقى من حبهن النفع والضر * فلو كان حاضرا لدينا *
 لجلا عنا ما لبس علينا * فسرت الى بعض اصحابى * لاطلعه على ما بى *
 فما كدت اقرع الباب * حتى هوى الى وبيده كتاب * ثم قال بشرى
 بشرى * فهذا كتاب من الفارياق بلغنى امس ولم يحو لا شعرا *
 فتلقفته من يده فاذا فيه * اما بعد فان

القرطبان هو الذى	يقرو البلاد بعمره
وبها الحسان الغيد	يستنشين نفحة فلسه
من كل ذات تدهكر	شحاذ نابى ضره
شداد رخو فقاره	نعاشه من تعمه
وبها الفحول الهائجو	ن الى تسدى عنسه
والى اشتفاف جميع ما	فى قعبه او عسه
ولربما نبزوه بالاد	ساف اقبح رجسه
حتى يعود وما له	آس لمعضل آله
ان اللبيب من استشا	رمنجذا فى لبسه
لا سيما شان الزوا	ج وحمل فادح وقسه

من شاقه تمويهه	ومذاق لذة رُغسه
فليُعلن في قُسه	كى يستبد بجلسه
حيث السفاح مفصص	من يشرب للحسه
ان الغريب اضّر من	متهتك في جنسه
أو لا ففى حال العزو	بة وهو مالك رأسه
صون لدرهمه وحر	مته وراحة نفسه
بل من تزوج يومه	خير له من امسه
اذ كان فى حال التعرّ	ب موحشا من انسه
لكن بشرط نفوره	عن ريبة فى جسده
فالبضع ثم البضع لا	تشاغلن عن قُسه
ما ان يضر ختام ما	قد طاب نافع رُسه
لكنما يجب التحرّ	ز من بواعث نفسه

قال الهارس فلما تصفحت الابيات * وزكنت ما فيها من الاشارات * قلت
لله دره ما افصله لامور النساء ناظما ونائرا * وما احوجنا الى استفتائه فيهن غائبا
وحاضرا * لكنه لم ينبس عن حاله الا فيما هو من مشكل الزواج * فكانه راي كل
امردونه فانما صوانه الاعفاج * ثم انصرفت مثنيا عليه * وقد زاد تشوقى اليه *

(حاشية صغا الهارس مع الفاريق فلذلك لم يعب عليه بعض ابياته
فانها مضطربة العبارة * وليس من شأنى التدليس على القارى فقد صار
بيننا صحبة طويلة من اول هذا الكتاب * فليتنبه لذلك)





في رثاء ولد

— ❦ —

قد غرس في طبع كل والد ان يحب ولده كلهم على كسرتهم وبرقتهم
وعيوبهم * وان يراهم احسن الناس * وان يحسد كل من يفوقه في
المحامد والمكارم الا اباة وابنه * ومتى شاخ الرجل وضعف عن التمتع
بلذات الدنيا فحسبه ان يرى ابنه متمتعاً بها * ولا لذة للمتزوج اعظم
من ان يبست مع امراته على فراش واحد وبينهما ولد له صغير لا يورقه
بيكاته وصراخه ولا يبلى ببلبله * كما انه لا شئ اوجع لقلبه من ان يراه
مریضاً غير قادر على الشكوى بلسانه ليعلم ما ينبغي ان يداوى به * بل
لاطباء انفسهم يحارون في مداواة الاطفال وقلما يصيبون الغرض * وكان
الاولى ان يعين لعلاجهم اطباء اختصوا بمزاولة ذلك عهداً طويلاً * وان
ينوء بمن نبغ منهم فيه في كل كلام مستطر ومطبوع * ويجب على الوالد
اول ما يرى ولده قد مرض ان يتعهد ويراعى احواله وما يطرا عليه ويقيد
ذلك في كتاب ليخبر الطبيب به اخباراً مبيناً * فربما اغنى ذلك عن
كثير من الدوا الذي يجازف به الاطباء احياناً لامتحان حال المريض *
ومن اهم ما يستنهض عناية الوالدين في حق ولدهما امر الطعام * لان
الطفل لما كان لا يدري حد الشبع الذي يقف عنده الراشد كان اكثر

اسباب مرضه من الاكل * فليس من الجنّ والشفقة ان تطعم لام ولدها كل ما يشتهي * وانما الاولى ان يلهى عنه باشيا من اللعب والصور المنقشة والالات المزوقة وما اشبه ذلك * وما احلى الولد يطلب شيا من ابيه وقد حمّر الخجل وجنته او غص الرجل طرفه * وما احبه وهو مطوق عنق والده أو والدته بيديه اللطيفتين ويقول انى اريد هذا الشى لآكله * ومن سوء التدبير ايضا ان يحرم ما يشتهي * ويبكى لاجل ما لا ضرر فيه * ولعمري ان من اغفل رضى ابنه حتى ابكاه واجرى دموعه لغير تاديب كان بمعزل عن الابوة * وينبغي ان يدرّب الطفل على الخفيف من الطعام بعد ولادته بستة اشهر مع بقاء الارضاع قليلا * فان الطعام يغذيه ويقويه فضلا عن انه يحفظ صحة والدته * بل ربما مناهها طول ارضاعها اياه بمرض ولم يفده شيا كما هو مذهب الافرنج وهم اكثر الناس ذرية * ولا ينبغي ان ترضعه وهى غصبي او مذعورة مضطربة او مريضة * ثم انه ما دام الرجل عزبا او كان لم يربّ ولدا قط لم يشعر حق الشعور بالحنو على اولاد غيره * بل لم يقدر والديه اللذين رتباه حق قدرهما الا بعد ان يصير هو والدا مرتبيا * والامهات اللاتي يرضعن اولادهن يكنّ بالضرورة اخن فوادا عليهم من اللاتي يستاجرن لهم المراضع * ولا جرم ان من كان له ولد وقرأ قول الشاعر * وربّ امّ وطفل حيل بينهما كما تفرّق ارواح وابدان * لم يتمالك ان يذرف الدمع لوعة وتحسرا * وكذا لو قرأ قصصا فيها فجّع لآباء بقتل اولادهم الصغار لآبرئا كقتل اطفال مدين بامر موسى على ما ذكر فى الفصل الحادى والثلاثين من سفر العدد * سواء كان ابوا الطفل مومنين او كافرين * ومن لم يكن قد تحلّى بصفة الابوة كالراهب وامثاله ودعاك يابنى او ياولدى فلا تشق بكلامه ولا تعمل على

دعائه * لانه لا يعلم معزة البنوة لا من كان ذا ابوة * وكان الفاريابي
 ممن اذاقه الله حلواء البنين ثم تجرّع مع ذلك مرارة البكل * فقد كان
 له ولد بلغ سنتين وكأنه كان قد سبك في قالب الحسن والجمال فجاء
 لم يعدّه شى مما تقرب به العين * وكان على صغرسنه ينظر نظر المميز
 بين المؤمن والموحش ويألف من تملق له ولو بإشارة * فكان ابوه
 اذا رنا اليه ينسى في الحال جميع اشجانه وهمومه * ولكن لم يلبث ان
 يغشاه عارض من الكابة اذ كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر
 اللامة * ويرى نفسه انه غير جدير بان يتملى بتلك الطلعة الناضرة *
 وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يناغيه ويغنى له * حتى ألقه
 الطفل بحيث لم يعد يشا ان احدا غيره يحمله او يلهيه او انه ياكل
 وحده على انفراد * الى ان قدر الله رب الموت والحياة ان اخذ الصبي
 سعال في تلك القرية * ولما كانت قري لانكليز الصغيرة كغيرها من قري
 البلاد من انه لا يوجد فيها أطباء مهرة وكان لا بدّ من مشاورة طبيب
 على اية صفة كان * استشار ابواه احد المتطبيين هناك * فاشار طليهما
 بان يتداركاه بالاستحمام بالماء السخن لا راسه * فعملا بوصيته اياما *
 ولم يزد الصبي الا سقاما * حتى كان اذا انزل في الماء بعدها يغشى
 عليه ويؤزى فوق قلبه لطحّة حمرّا كالدم على شكل القلب * ثم اشتد به
 الداء حتى احتبس السعال في صدره وخفت صوته * وكان يعاوده مع ذلك
 الرعدة والهزة * وبقي في حالة النزاع ستة ايام بلياليها وهو يشن انينا
 ضعيفا وينظر الى والديه كالشاكي لهما مما يقاسيه * فاستحال الورد من
 خديه عبهرا * وغارت عيناه النجلوان * ولم يعد شى من الغذاء والدواء
 يسوغ في حلقه الا تكلفا * وكان الفاريابي في خلال ذلك يذرف

العبرات ويَجَار بالدعَا الى الله ويقول * رب اصرف هذا العذاب عن
ابنى الى ان كان ذلك يرضيك * انى لا مَارَب لى فى الحياة من بعده
ولا طاقة لى على مشاهدته فى هذا النزع لاليم * فأمِتنى قبله ولو بساعة
حتى لا اراه يجود بنفسه * آه عظمت ساعة * وان كان لا بد من نفوذ
قضائك به فتوفّه الان * ولعل الفاريق هو اَوّل والد دعا على ابنه بالموت
عن شفق وحنوّ * فان رؤية الطفل يغرغرة ستة ايام مما لا يطاق * وبعد
ان توفى الرلد * وابقى فى قلوب والديه الحسرة والكمد * استوحشا من
مقامهما اذ كان كل شى فيه يذكرهما ففقداه ويزيد فى لوعتهما * ففصلا
منه الى لندرة على حين غفلة وقد وضعا فى صندوق فلما دفناه واستقرا
فى منزل قال ابوه يرئيه

الدمع بعدك ما ذكرتك جارٍ والذكر ما وارك تـربّ وارٍ
ياراحلا عن مهجة غادرتها تصلى من الحسرات كل ادار
خطأ وهمت فابن بعدك مهجتي ما فى حشاي سوى لهيب النار
رمقا اقل الجسم منى فادحا فكانه وقر من لاوقار
ما كان صرّ الدهر لو ابقاك لى عينا على الآثيار والاذكار
ما بعد فقدك رائعى او رائقى شى من الظلمات والانوار
سيان ان جنّ الظلام على او طلع الصباح وانت عنى سار
يابئس ذاك الليل اذ لم يبق لى من مطعم فيه الى الاسحار
ارقتنى من قبله ستا وفيه حرمت خسى واستطبت شعارى
ابننى ما يجدى الصبر قولهم حكم المنيّة فى البرية جار
كلّا ولا بى قر بعدك من حمى ما هذه الدنيا بدار قرار

كم قد جلستك فوق راحى اذ غدرت ورحلت ثُمَّتْ حُرْتُ خَيْرَ مَحَارِ
 ولكم سهرت الليل من جزع فما اغنى بكاي عليك او اسهاري
 ولكم جارت لبرء دائك صارعا ولنغير نفع كان طول جَوَّاري
 ولكم حصتلك في الحنادس خوف ان يطرا عليك من الحوادث طاري
 وجمال وجهك لى يخيل اننى فى روضة اُنْفُ صحّا نهار
 ان لم يصورك المصور لى فقد صُوِّرْتُ بالمائور من اشعارى
 او ان يكن وارك لحد صتيق فالارض عندى اليوم اصيق دار
 او ان تكن عنى حُبَّتْ فانما بَقِيَتْ جَلَاكِ خِوَالِجِ لافكار
 لا انسينك او احين فما اتى حين على خلا من استذكار
 ولا رثيتك ما بقيت وان اُتت فليتلون رثاك عنى القارى
 يا حسرة عدم التصبر بعدها عَدَمَ التبصر فى احتمال خسارى
 كثر المعانين لى وقل معاونى وكوت حشاي شماتة الزوار
 فرويت بيتا قاله من ذاق ما قد ذقت من ثكل ووحشة جار
 جاورت اعداى وجاور ربه شتان بين جواره وجواري
 يافجعة نزلت فحطم كاهلى تأويقها وابان قصم فقارى
 فى ليلة فارقت فيها ناظرى ابدا وفارقنى على اجبار
 لاغروا ان يك قد سرى جنح الدجى عن ناظرى فكل نجم سار
 قد كنت اطمع ان يعيش مهتأ بعدى ويبلغ اطول الاعمار
 ووددت لو ان ذقت حتفى قبله لكن خيار الله غير خيارى .
 وسدته بيدى رَغْمًا ليته هو كان وسدنى على ايثارى
 عيني اليه رنت وما لى حيلة ياليت من نظرمنى انظار
 قصرت يدى عن كف ما اودى به ان القصور مظنة لا قصار

لهفى عليه وطرفه لى يشتكى اذ كان لم يقدر على الاخبار
لهفى عليه على السرير موسداً ولو استطعت لكان فوق يسارى
لكن ادنى اللبس كان يزيدہ الما فكان يؤوه من اشعارى
ويئن انة مستجير واجفاً كالطير قرفبات دون قرار
حتى خشيت الدمع يولم جسمه لما عليه همى كودق جار
يارعشة اودت به قد اورثت قلبى الوجوب ولوعة التذكار
ليت النفوس اقرعيني بعد ان سخنت بنفص فيه ذى اقرار
لهفى عليه فى الظلام معانقى وكراى من شفق اليم غرار
لهفى عليه والغناء ينيمه واذا سكت صبا الى الاكشار
لهفى عليه وهو ياخذ من يدى ويعيد ما يعطوه لاستغزار
لهفى عليه وهو لائك رذنه بلألى وصاححة ودرارى
يايوم انشبت المنية فيه طفلاً لا يطيق عوالق الاطفار
ياخطة عالت فسوت بين حفى والحياة الى مدى مقدار
قد كان يحلو العيش حين يلوح لى ولآن مر فصار ذا امسرار
لا البعد يسلىنى ولا طول المدى وتخالى لامصار والامصار
ما تنقضى الحسرات واقضى اسى فبذا على جرى قصاً البارى
كلأولا تنطفى اوارى عبرتى ولئن همت فى الصب كالامطار
فالنار الا نار ثكل تنطفى والماء لا الدمع ضد النار
ياليت راہى العيش يوما راجع وفداً مربوب ابوه الهارى
فاكون فادى عمر نجل لاقيا حفى لقاء القانع المختار
داريت ما لا ضير فيه لاجله فاليوم لست لما يضير ادارى
ان المنية والامانى بعده سيات مستويان فى استثارى

فلتفعل الايام بى ما تشتهى ما بعد هذا الخطب من اضرار
ولتذهب الامال عنى اننى لم يبق لى فى العيش من اوطار
من ذاق ثكلا مثل ثكلى فاجعا فليُقصِرَنَّ اليوم عن اِصْبارى
وليُبيكين معى ويحملننى على فرط البكاء بمدمع مدرار
ما هدد ركن الصبر مثل الثكل او حَسَم المطا كحسامه البتار
الطفل يقضى مرة لكنما يقضى ابوه قبله بمرار
تعروه فى نزع ابنه وخفته ادوار حين اتمها ادوار
هيات من قد اشبهت اطواره فى فقداه اوطاره اطوارى
او ان فى سوء لاسى لى اسوة او ان فى طول الحياة قصارى
لن ينفع للانسان شيا حرصه كل الى اُجل على مقدار
الموت غاية كل حى يستوى فيه ذوو الايسار والاعصار
والسابقون يضمهم يوم مع المتأخرين الى ترى منهار
لكن يوم الطفل افجع حيث لم يعرف له مضمار سعى دار
ما لذ طعم العيش الا من عدا ه الشكل لا من كان ذا ايسار
فالرزء فى الاموال مثل الشعر تر زاه فينبت خلفة الاطوار
فليهن من عاشت بنوه عيشه وليصفى مورده عن الاكدار
بعض الرزايا قد يساغ وبعضها يبقى شجا يشجى مدى الاعصار





في الحداد

— — — — —

ثم لما لم يكن بدّ للفارياب من السكنى بالقرب من تلك القرية المشؤمة
سافر باهله الى كمبريج * وبقوا مدة طويلة يمشون وجفونهم ما بين
منطبقة ومنفتحة * لان شدة الحزن تصرف القلب عن الشهوات او
بالعكس * ثم تراخت عقدة الحزن قليلا عن العيون لا عن القلوب *
لان العينين لا تطاوعان القلب دائما * كيف وقد قيل وضعيفان يغلبان
قويا * فاستحل كل منهما آلا الصأمة والوصوة والتبصيص والتبصيص
والتحصيص والتبصيص والوَبْص والتبصير والتفقيح * ثم اللوح واللمح
والنقد والخزر والتخازر والشطور والمخاوتة والمخاوصة والملاوصة
والتحشيف والعرضنة والرمق والحذل والزّر والايماض واللسظ والاتفات
والدفقسة والتشاوس والمغاضنة والمخاوتة * ثم لا يشام والنظر والبغو
والصرّو والاجتلاّ والتجلية والرّن. والبصر والمعينة والمشاهدة والرؤية
والبغى والبقاوة والبقى * ثم الرأاة والآلة والتبريق والبشق والتحديق
والتحديق والتحيظ والتجيم والتجيم والتجيم والتحييم والتحميعة والحملقة
والعسكرة واللث. والضبر والتبخص والإسفاف والارغاف والورورة والحر
والطنفشة والإتآر والحدقلة والطرفسة والزهرة والبندقة والبنق والتجيص

والتفصيص والتفصيص والإرشاق والرغام والبرشمة والبرهمة والجرسمة * ثم
الشُخوص والطمس والجحم والإشصاء والتطاول والتطالل والاشرباب
والاسلنطاء والاشتياف والاستيصاح والاستشراف والإهطاع والتدنيق والترنيق
والحث. والحتش والصدء والإسجاد والتأمل والتكئة والتفريس والتطلع
والرنو والترنى * ثم تصالحت العيون والقلوب * فغدت تلك تترجم
عن هذه والكمد مع ذلك مخيم في اطرافها * غير ان الانسان خلق من
نطفة امشاج وركب من عدة اخلاط وجواهر واعراض مختلفة * فهو لا
يزال ابد الدهر ماشجاً هذا في ذاك وخالطاً جذاً بهزل وفرحاً بترح *
فتراه ساعة قانطاً واخرى كاشعب * وآونة مفراحاً واخرى مبتئساً *
ويوما طرباً شينقاً ويوما او بعض يوم عزها * فهو بشر خلقاً وغول خلقاً *
واكثر ما ترى منه غمائجته هذه في امر النساء * فانه ان تزوج بمليحة
قال ليتنى كنت تزوجت بقميحة وسلمت من ضيزية معارفى وجيرانى *
وان تزوج قبيحة قال ليتنى تماحمت بمليحة لاكون ذا وجهة ونباهة *
وان كانت امراته بيضاً قال ليتها كانت سمرآ * فان السمر اخف
حركة واسخن في الشتاء * وان كانت سمرآ قال ليتها بيضاء فان البيض
ارطب ابدانا في الصيف * وان كانت كمكامة مكتنزة قال ليتها كانت
ممشوقة هيفاً * فان الهيف اقل مونة * وان سافر عنها قال ليتها هى التى
سافرت وبالعكس * ألا فى مدة وضعها فانه لا يتمنى ان يكون فى
موضعها وقس على ذلك من الاحوال النسائية ما لا يمكن حصرة * اذ
اخفى شى من المرأة انما هو بحر لا يمكن البلوغ الى قعره * والحاصل
ان للقلب شؤونا كثيرة واحوالا متباينة لا يزال يتقلب بها * او لا
تزال هى تتقلب به * وعلى كل فتسميته قلباً دالة عليه * ويستثنى

من هذه القاعدة شى واحد وهوثبات الانسان فى كل حال وشان * واصرار
فى كل زمان ومكان * على تفضيل نفسه على غيره * فلو كان فاجرا حسب
ان لا بر عند الله لا بر * وان كان فظا غليظا راي كل كيس ربيز
دونه * وان كان بخيلا ظن ان كل حرف يفوه به هو منة كبرى * وان
كان دميما ذميما لم ير اللوم الا على نظر الناظرين له * وكما ان عين الانسان
تنظر كل ما واجهها ولا ترى نفسها كذلك كانت بصيرته مبصرة
بعيوب الخلق كافة الا عيب نفسه * ولو طاف الدنيا باسرها لما
راى فيها من المحاسن ما فى مدينته او قريته * ثم ليس من المحاسن
فى بلدته ما فى بيته * ولكن ليست هى فى احد من اهله كما هى
فيه * فتحصل من ذلك انه افضل من العالم كله * ولو انه كان شاعرا
او بالحري شعورا لا يحسن الا اطرا على بخيل او التغزل بهند ودعد *
ثم راي علماء الرياضة والهندسة يخترعون من الادوات مثلا ما يطوى
شقة خمائة فرسخ فى يوم واحد * لحسب ان شعرة انفع من ذلك
والزم * ولو كان مغنيا او لاعبا بآلة من آلات الطرب وراى جارا له
طبيبا نطاسيا يداوى فى كل يوم خمسين عليلا ويبرئهم باذن الله
لاعتقد ان صنعته اشفى وانفع * ولم يخطر بباله قط ان الانسان
يمكنه ان يعمر فى الارض دهرا طويلا من دون سماع غنا او عزف بآلة *
فمتى يتعلم الانسان ان يعرف نفسه * وان يفرق بين الحق والباطل *
وان لا يخلط الحزن الكامن فى القلب بالتحديق والحملقة * واقبح
من ذلك ان كل واحد من الناس يظن ان غيره ايضا يفعل كذلك
فهو معذور عند نفسه بكونه حاذيا حذو غيره * ومثله قباحة شان من
تلبس الحداد على ميت لها وهى فى خلال ذلك يزدهيها الرنا ويستخفها

ذكر الذكران * وترتاح الى رؤية غير اللون لاسود وتطربها نغمة القائل لها ان فلانا مشغوف بحبك * وانك جديرة بان تقعدى على منصة وتامرى وتنهى الوصائف من حولك او بالحرى الوصفا * وان لا تتناولى شيا بيدك هذه الرخصة * وان لا تخرجى من دارك ماشية على رجلك هذه اللطيفة * وان لك فى كل مكان عشاقا كثيرين بحيث لا تعدمين فى كل وقت من يحوطك ويخدمك ويلطفك وينسيك حزنك * وغير ذلك من الكلام الذى هو انتهاك لحرمة كل من الموت والميت * قال الفاريابى قد رايت كثيرا من النساء الحوادى فى بلاد الانكليز وغيرها وهن اكثر خفة وطربا وازدها وضحكا من العروس واما * ولم ار بينهن من كانت تنظر الى ثيابها السود اذا ضحكت لتتذكر ان كركرتها فى غير محلها * اما فى امر الزوج فربما يطلب لهن الحليم عذرا بان يقول مثلا * لعل زوجها كان يخونها فى الليالى الحالكة فتريدها بالسواد انما هو لتتذكر سوء افعاله معها فى سواد تلك الليالى * او ان ايامها معه كانت كلها سودا كالليالى * فاما فى امر الولد والاب وغيره فلا عذر لمن احدثت وهى مرارثة مهزقة * ثم ان المحدّ عند الافرنج مطلوبة للرجال مرغوب فيها بمنزلة العروس * اذ الفحول يتزاحون على تسليتها وتلهيتها لعلمهم بما تحت ذلك السواد * وبان هذه العادة هى من جملة العادات التى خالف استعمالها وضعها * والظاهر ان لفظة المحدّ فى لغتنا هذه الشريفة مشتقة من حدّ السكين واحدها وحددها اى مسحها بحجر او مبرد فحدّت تحدّ * فكان لابسة الحداد تحدّ شهوة الناظر اليها اذ يرى عليها آثار الحزن والكآبة والانكسار وهو اشوق ما يكون فى النساء * ويؤيده ان صنفا من الثياب السود يُسمّى إسبادا * وهذا الحرف يجي ايضا بمعنى حلق الشعر

كالسبَد وانت بشمَام المعنى ادرى * وتسمى ايضا سِلَابا والسليب هو
المستلب العقل * فكان المرأة اذا تسلبت اى احدثت ولبست السلاب
سلبت عقل ناظرها * فاول ما يقع نظره عليها يقع قلبه معه فيقول لها او
فى نفسه * فديتك * بابى انت وامى * لله انت * وقالك الله * وهبنى
الله فداك * ان شئت ان اكون اول من توصل لمحو هذا الحزن من
صدرك فعلت * فانى انا اقدر منك على تحمل المكاره * فالقى على
هذا الهم القادح وكونى انت مهتاة مسرورة * ان لدى آله طرب عظيمة
وخزبيلات كثيرة تفرج عنك هذا الكرب * فلو زرتنى مرة او سمحت
لى بان ازورك لم يعد يخطر ببالك شى من الاشجان * انك رخصة رعبوبة
وارى هذا الخطب قاسحا عليك فلا يزول الا بقاسح مثله * ليتك تعلمين
ما عندى من الأسى والوجد لاجلك * وانى عتيد لان احرم نفسى من
جميع المسرات بحيث اراك تفترين عن ذلك الشنب الاشهى *
وتبدين فى خديك عند الضحك تلك النقرة التى طالما نقرت قلوب
العشاق * اى قلب لا يذوب لهذا الانكسار * واية عين لا تنزف الدمع
على هذا الازار * قدنى حزنا لحزنك وحسبى ان اجلو عنك صدا هذا الهم *
وكذلك المرأة المحدة فانها تعلم وهى ماشية ما يخطر ببال ذلك المشفق
عليها فتقول له او فى نفسها * نعم والله انى محتاجة اليك لتخفف
عنى ما اجده اليوم من الوحشة والسدم * وقد بت البارحة وانا غريقة
فى بحر الافكار والاكدار * واراك جديرا بان تعافرنى وتسامرنى وتعاشرنى
وتبادرنى وتباكرنى وتجاورنى وتحاضرنى وتخاصرنى وتذاكرنى وتسارنى
وتسايرنى وتداورنى وتشاعرنى * فالحمد لله الذى هدانى اليوم اليك
وهذاك الى وقيصك لى * لانى امرأة منكسرة الحاطر ولا بد لى ممن ينفس

عنى ويونسنى * حتى اذا نسيت ما اكبدته والتم بك كرب كان على ان
افرج عنك فان عندى مصدر اشتقاق الفرج * ومنى تنال اتم الحبور *
واعتم السرور * فهلم اذا الى المخالطة والمراوحة * والمساجلة والمكافحة *
فهذا ما ينشا عن لبس الجداد * ولذلك كان كثير من النساء يوثرن
الثياب السود ثقة بانها تقوم فى تشويق من يلاقينه من الرجال
مقام الجداد * ولذلك كانت الافرنج ايضا يحبون اللون
لاسود فى الملابس ولا يتجاوزونه *

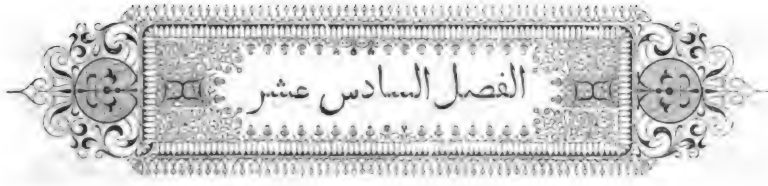
ولذلك كان لباس القسيسين

والائمة

اسود

*





في جور الانكليز



لما فرغ الفاريق من عمله في كمبريج سافر الى لندرة على عزم ان يرجع الى الجزيرة واستصحب معه حتى نافضا * غير ان احد الاطباء الخيرين في هذه المدينة نفضاها عن ظهره ولم يتقاضه شيئا * ثم اصببت الفاريقية بخفقاني القلب واللسان * فانها كانت وقتئذ مهت في لغة القوم * ثم اصاب هو بخفقاني العقل والرأى * وذلك انه لما تصرمت مدة غيابه عن الجزيرة وازف وقت رجوعه رأى ان العود اليها غير اجد * لان احوالها تغيرت عما كانت عليه من الخصب والبحبة في المساكن * وتلك عادة للفاريق انه لا يدخل بلدا خصيبا الا ويفارقه محلا كما تقدمت الاشارة اليه * ولانه فاته فيها بعض فوائد فحرم منها طول غيابه * فمن ثم قصد مدينة اكسفورد ومعه كتاب توصية الى احد اعيانها وعلمائها وهو من اهل الكنيسة * فرأى الوصول اليه متعذرا فان العلماء في هذه المدينة ليسوا كعلماء مصر في رقة الجانب وبشاشة اللقاء * بل هم اشد فظاظة من العامة * وعندهم ان الغريب لا ياتي الى بلادهم الا والشلاق على عاتقه * ولذلك لما ذهب الفاريق ذات ليلة ليرى بعض هؤلاء العلماء صادفه احداهم بباب المدرسة

فقال له من تقصد * قال فلانا * قال اين تسكن * قال فى محل
كذا * قال اعندك دراهم لتفى اجرة المسكن * قال ما انا بمطران ولا
راهب حتى تزعمنى انى قدمت اليكم متسولا * ثم لما تعذر عليه الوصول
الى جناب ذلك القسيس المعظم ولم يجد فيها اهلا للخير سوى رجل من الطلبة
يسمى وليم سكولتك (Williams Scoltock) وآخر من التجار كان الفارياق
اشترى منه قطعة جبل ليربط بها صندوقه فابى التاجر ان ياخذ منه ثمنها
فكانه ظن ان الفارياق لم يشتريها الا بعد ان استخار الله فى ان يخنق
بها نفسه * رجع الى لندرة وفاوض زوجته فى ذلك * فقالت له ان
الجزيرة اقل خيرا من اكسفورد وانى مللت منها كل الملل * فقد اضعنا
فيها زهرة عمرنا ولم نحصل منها على ثمرة * فما الراى ان نعود اليها *
فقررا ياج على ان يستعفى من خدمته فيها وكتب كتابا الى كاتب
سر الحاكم يوزن بذلك * ثم اشتد بالفارياقية الخفقان فرأى ان
مقامهما بباريس خير لهما * وذلك لما شاع عند الناس ان هوآ بباريس
اصح من هوآ لندرة * وان المعيشة فيها ارخص والحظ اوفر * وان
الفرنسيس ابش بالغريب من الانكليز وابر * وان لغة العرب عندهم اكثر نفعا
واشهر * وغير ذلك من الاوهام التى تدخل احيانا فى رؤس الناس
ولا تعود تخرج الا مع خروج الروح * ولكن ينبغى قبل سفر الفارياق
من هذه المدينة ان نعيد عليك بعبارة وجيزة وصف ما فيها من
المحاسن والجور على اهلها اى على اهل الجمال * لتعلم هل رحيل
الفارياق منها حلال او حرام * وليكون لك ذلك وداعا من الانكليز *
فان الكتاب قارب ان يتم ولم يبق من مجال للاسهاب * لاننى اخشى
من ان ياتى هذا الكتاب الاخير اكبر من الاول فيكون ذلك موجبا

لقدح فى من وجهين * احدهما ان مطالعيه يقولون ان المؤلف كان
يولف الفصول فى اوله قصيرة والان ينشئها طويلة * فكانه كان اولاً غير
ذى دربة بالتاليف او انه يريد ان ينسب اليه مضمون قولهم جرى
المذكيات غلاً * والثانى انه كاد ان يالحق نفسه بالطرادين وهولم
يشعرولم يدر * فلقد مللنا من كلامه واعادة قوله قيل وقال وكان وصار *
فهو قد تبوا صهوة الجدل منه واليه * ولم يغادرنا نراجعه ونعترض عليه *
فما جزا الثرثار من المؤلفين * الا القاء كتابه فى القمين * قال الفاريق
تصور فى عقلك انك ساكن فى حارة من حارات لندرة ذات صفين متوازيين *
متصاقبين متناوحين * فى كل صف عشرون داراً * وكل دار باب * وكل
باب عتبة * وامام كل عتبة درج او وصيد مبلط * ثم مثل لعينك هداك الله
اربعين بنتا من الرُم النواهد * والجشم الخرائد * والعُبن المواعد *
والرَّجَح الثوامد * ذوات التبهكن والمرافد * والمراضب والمشانب * والصلوة
والسجاجة * والاسولة والصباحة * واللباقة والملاحة * والكثمة والترارة * والوثامة
والنضارة * والوضاة والبشارة * والقسامة والشارة * والطلاوة والوثارة *
والوسامة والبضامة * والطرارة والغضامة * والغرض والمسالة * والمَلَد
والعبالة * ومن الزهر والغر والفر والصهب والصبح والضحر والغفر والفضح
والمغر والأدم والخلس والبرة والودة والعين والنجل والشهل والبرج *
والشُكل والدعج والجود والبج والفرق والزج والجبه والبج والبلد والذلق
والخنس والشتم واللُعس والحقو والمي * ومن كل
رُعبوبة شطبة تارة او بيضاً حسنة رطبة حلوة او ناعمة * وكان
حق هذا الحرف ان يوضع فى جدول الكتاب الثانى
لكن رايت الحكايات اولى به لتحقيق معناه فيهن *

وَلَبَّةٌ	لطيفة *
وَذَاتُ وَجْهِ مُصَفَّحٍ	المصفتح من الوجوه السهل الحسن *
وَبَهْصَلَةٌ	شديدة البياض *
وَرَبْلَةٌ	عظيمة الربلات والربلة ويُحَرِّكُ كل لحمه غليظة والربالة
	كثرة اللحم *
وَرَبْخَلَةٌ	ضخمة جيدة الخلق طويلة *
وَرَيْبَلٌ	ناعمة لحمة *
وَذَاتُ شَعَرٍ رَجُلٍ	بين السبوط والجعودة *
وَرَفْلَةٌ	أى تجر ذيلها جرًا حسنًا *
وَزَوْلَةٌ	خفيفة ظريفة فطنة *
وَذَاتُ عَيْنٍ سَبَلَاً	طويلة الهدب *
وَذَاتُ صَوْتٍ خَرِيدٍ	لین علیه اثر الحیا *
وَسَبْخَلٌ	ضخمة كالسبحل *
وَاسْخَلَانِيَّةٌ	المرأة الرائعة الطويلة الجميلة *
وَطَفْلَةٌ	رخصة ناعمة *
وَعَبْلَةٌ عَثْلَةٌ	ضخمة فحمة *
وَعِطْلٌ	طويلة العنق فى حسن جسم *
وَعُطْبُولٌ	فتية جميلة متملئة طويلة العنق *
وَعِطْبُولٌ	طويلة القد *
وَعَمِثْلَةٌ	البطيئة لعظمها وترقلها ومن تسبل ثيابها دلالة *
وَمَكْتَلَةٌ	مدورة مجتمعة *
وَهَيْصَلَةٌ	الضخمة الطويلة *

وهيكله	عظيمة *
وهوالة	المرأة تهول بحسنها *
وعيهل	طويلة ومثلها العيطلول والغلفاق والعنشطة والعنطنطة والعلهة والسلهبة *
وعندلة	ضخمة الثديين وهي ايضا الطويلة *
وعرطويلة	حسنة الشباب والقدة *
وعرندلة	طويلة صلبة شديدة *
ومجدولة	لطيفة القصب محكمة الفتل *
وخئلة	ضخمة البطن *
وهركيل	حسنة الجسم والخلق والمشية كالهركولة *
ومأرومة	حسنة الخلق مجدولته *
وجريمة	عظيمة الجسد ونحوها الجسيمة *
وجمأ العظام	كثيرة اللحم *
وحمامة	جميلة *
ودرما	لا تستبين كعوبها ومرافقها (من تغطية اللحم لها)
ورعموم	ناعمة *
وسلمة	ناعمة الاطراف *
وشغوموم	طويلة مايحة كالشغومومة *
وضخمة	عريضة اريضة ناعمة *
ومطهمة	السمينة والبارعة الجمال والمدورة الوجه المجتمعته *
ورفعة	استوى خلقها وغلظ ساقها *
وقسيمة	جميلة وكذا الوسيمة *

وكثمة	رياً من شراب وغيره *
ومكثمة	مجتمعة لحم الخدين بلا جهومة *
وكمامة	قصيرة مجتمعة الخلق *
ورثيمة	مكتنزة لحما *
وموشم	اوشمت المرأة بدا نديها *
وهضم	الهضم خص البطن ولطف الكشح *
وبثنة	حسناً بضة *
وبخدن	ناعمة
وبادن	معروف كبادنة *
وبهانة	الطيبة النفس والريح او اللينة فى عملها ومنطقها والضحافة
	الخفيفة الروح *
وبهكنة	شابة غضة ويقال للعجراً تهكنت فى مشيتها *
وجهانة	شابة *
وحبنا	ضخمة البطن
وذات شعر حجن	متسلسل مسترسل *
وخليف	المرأة التى اسبلت شعرها خلفها *
وراقنة	حسنة اللون *
ومسنونة الوجه	حسنته سهلته او فى وجهها وانفها طول *
ومشدونة	العاتق من الجوارى *
وذات عسن	الطول مع حسن الشعر *
وعكنا	تعكن بطنها *
وغيسانة	ناعمة *

وفينانة كثيرة الشعر *

وقتين جميلة *

وملئنة القدمين الملئنة من الاقدام والنعال ما فيها طول ولطافة

كهينة اللسان *

وهنانة بها فتور عند القيام *

وبرهنة البيضاء الشابة والناعمة او التي ترعد رطوبة ونعومة والبره الترابية

وذات رهنة رهنة حسن بصيص لون البشرة ونحوه وترهنة جسمه

(والاخرى جسمها) ابيض من النعمة وجسم رهنة ورهنة

ورنه ناعم ابيض *

وفارحة الجارية المايحة والفتية *

وردها المرأة الحسنة اللون فى بياض *

وموهنة التي ترعد من الامتلاء *

وسجوا الطرف ساجيته اى ساكنته *

وعابية حسنا من عبا يعبواى اضا وجهه *

وحسنة العرية اى المجرد والمعارى حيث يرى كالوجه واليدين والرجلين *

تاخذ بيديها اللطيفتين مكشطا وصابونة ودلوا فيه ماء حميم * ثم تجثو

على ركبتيها المدمجتين وتطفق تحك عتبة الدار ووصيدها وهى تتذبذب

وتضطرب وتتحث وتتعث وتتمث وتبعج وتخلج وتخرج وتخرج

وتتمخج وتتمعج وتتنجج وترتجج وتضخضج وتناود وتخصد وترعد وتميد

وتتأطر وتتهكرو وتترزرو وتسهرو وتمرمر وتململ وتمور وتحتيز وترجز

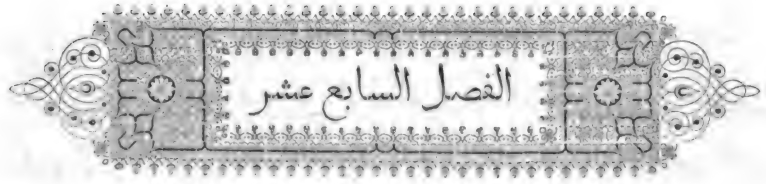
وتلزلز وتمزمز وتمهزز وتحمس وتترهس وتمخس وترخش وتتنفش

وترتعص وترقص وتتلصص وتتنصص وتوخص وتخصخص وتلصص

وتتمخص وتتنفص وتترتع وتترته وتتسع وتتسوع وتتغص وتترق
وتترق وتترك وترو وتربه وتتلوه وتتلوى وتضرى * وربما اتفق مع
رؤية ذلك سماع آلات الطرب يعزف بها فى الشوارع فياحسن ذلك
منظرا ومسمعا * ولكن يا غنيا لندن واعيانها الم يكن لكم من وسيلة لمشاهدة
هذه الشواخص والجواهر لا بإزالة عزة الحسن المصون * ايحل لكم
انتهاك حرمة الجمال وامجال ايدي هولا الحسن وركبهن لتملسن اعتباركم *
ما بال جيرانكم الفرنساوية لا يفعلون ذلك وانما يسومون خدمتهم تنظيف
درج الديار من داخل فقط * فيضع الخادم شيئا كالقباب او النعل فى
رجله ويكشط به ما قدر عليه وما لم يقدر عليه يشركه الى المرة الثانية او
الثالثة * ونحن كذلك لا نكفى نساءنا هذا الشئ الذى لا معنى له *
وانما نكل اليهن ما آل الى القفش والرفش اى الطعام والفراش * ومع ذلك
فتزعمون انكم تحترمون النساء وتعرفون قدرهن اكثر منا * لقد كبر ذلك
قولا * فاما تسريحهن فى الليالى الحالكة ليطفن فى كل زقاق وشارع
وتسفيرهن الى البلاد الشاسعة وحدهن فلا يعد عندنا من الاكرام لهن
فى شئ * بل هو احرى ان يكون ديبوبيه وقرطبانىة وقلطبانىة
وكتبانىة ودوئية ودوئية وقمعوئية وقوادىة وثورية وسقرية وصقرية وعزورية
ولياسية وطزعية وطسعية وقندعية وقندعية ودسفانية وادسافية وامذانية
وممانوية وشعبانية وشحطبية وادفانية وارفحية * ليت شعري كيف يكون
قلب الخادمة حين تامرها مخدومتها فى كل يوم قائلة حكى العتبة * او
حين تسالها رفيقتها هل حككت اليوم عتبة سيدتك * نعم لو كانت
العتبة وردت عندكم بمعنى المرأة كما هى فى لغتنا هذه الشريفة لكان
لا يبعد ان يسبق وهما عند السؤال الى ذلك * لا ان لغتكم يابسة

قاسحة لا تحتل التاويل ولا التخريج * ولست ارى لهذه العادة المشطة
من سبب سوى ان احد كبرائكم كان قد اتخذ خادمة رعبوبة والله اعلم
منذ ثلثمائة وخمسين سنة * وكانت امراته دميمة فغارت السيدة منها
فكلفتها حك العتبة والوصيد في كل يوم اذلالاً لها في عين سيدها * كانَ
القلب لا يعلق بهوى الجميلة المسكينة كما يعلق بهوى الفُنُق * او كانَ
الشيء المجمع يحتاج الى مرفد * او الشيء المتدملك الى وشيعة من
القطن * او الغيل الى غلالة من الخبز * او المكرة الى جوارب من حرير *
فسرت هذه العادة الذميمة في جميع كبرائكم الى عصرنا هذا عصر التمدن
والرفق بالنساء * وانتم اسارى العادات والتقليد * فمتى القتم فعلة لم
يمكنكم ان تنتقلوا عنها * وذلك كتكليف الفتيان من خدمتكم ذرّ رماد
ابيض على رؤسهم حتى يكونوا كالشيوخ من فوق * وككشف عجائزكم في
الولائم عن ترائبهن واذرعهن * مع انه لا مناسبة بين اوقات القصوف
والحظ ورؤية ترائب منجردة تمنى القوم بالقمة * فاما مواطاة الناس على
ما اخترعه لامرأء والاعيان على اجراء العادات السيئة فهو غير خاص بكم *
بل هو عام ايضاً عند سائر الامم لافرنجية *





في وصف باريس



كان وصول الفاريابي الى هذه المدينة الشهيرة في ليلة ذات ضباب فكانت عيناه معمشتين عن رؤية ما فيها من الخصائص * فلما أصبح اخذ يطوف في شوارعها كالمتفرغ المتبطل فاذا بها ملآنة من المزاليج والمزالق والروامح والروامق (١) والجَرَامَى والأَطْنَاء والرَّبَآى والمَلْمُوءَات والجَذَابَات والرُّجَب والرُّوب والفُخُوت والجِرَاج واللُّبَج والْبَيَاحَات والنِّصَاحَات والمصايد والفخاخ والشواصر والنوامير والقُحَازَات والدِّحَاحِيس والمفائيس والشصوص والبيضاوات والقُفَاعَات والمجازف والخطاطيف والعواطيف والكُفَف والرَبَق والطَّبَق والعوادق والنُشَق والعلايق والاوهاق والشباك والأشراك والشوَدَكَانَات والاحابيل والكوابيل والشهوم والمصالي * فظهر له ان قوام كل شى وعتاده وملاكه وقطبه في هذه العاصمة متوقف على وجود امرأة * فجميع الصُّوب والكُلب والحوانيت والكُفَت والقرايج والكرايج والكناديج والمفاتيح والمحاسب والمشاير والانبار والمجازن والمحارف والمصانع والفناتق والفنادق والدكاكين والقراقق والبَلَانَات والمنامات والحانات والخانات والافدية والمطاعم والمشارب تديرها نساء واى نساء * وما من كُعب او تأريج

(١) الرامح ملواح
يصطاد به الجوارح
وكذا الرامق *

(١) عبارة القاموس
 في ب رج وحساب
 البُرجان قولك ما
 جُذآ كذا في كذا
 وما جذر كذا في كذا
 فجذآوه مبلغه وجذره
 اصله الذي يضرب
 بعضه في بعض
 وجملة البرجان انتهى
 غير انه لم يحك في
 باب الياء غير الجدا
 بالبدال المهملة
 وعبارته الجدا كغراب
 مبلغ حساب الضرب
 ثلاثة في ثلاثة جدآوه.
 تسعة * واضرب عن
 ذكر الضرب بهذا
 المعنى في موضعه *

او أوارجة او أنجيدج او بُرجان او جُذآ (١) او بُرنامج او عهدة او محضر او
 جُذَر او وِصَر او قِط او فُنْدَاق او صَك او فذلكة او سَيَال او تَرْقِيم او
 تَرْقِين او جُذآء لا وتتعاطاه المرأة هنا * واللبيب من الرجال مَنْ اتَّخَذَ
 في حانوته او محترفه رامجا مليحا يلوح به للشارين والمجتازين في
 السبيل * ولا فرق بين ان يكون ذلك الراجح من اهل بيته او غريبا
 وانما العبرة بانفقاس الفخ على اعناقهم * هذا وقد اختصت نساء باريس
 بصفات لا يشاركنهن فيها احد من نساء الافرنج * فمن ذلك انهن
 يتكلمن بالغنة والخنة والنشيج والهَزَج والهَزامج والترنجج والتطريب
 والسَكْت والحَبْرَة والنبرة والَجَش والتعثيث والترجيع ولاضجاع والقُطْعة
 والتغريد والتهوديد والمد والتسيل والترتيل والفصل والوصل والزَجَل
 والهليلة والادغام والترخيم والتدنييم والترنيم والروم والاشباع والتفخيم
 والامالة والتنعيم والتنعيم والتحزين والحنين والجَدْن والتاحين والطَّنْ
 والشجو والترنية * حتى ينتشى السامع فلا يعلم بعد ذلك هل هن يفككن
 ازرارهن او فقارهن * ومن ذلك تغيير الزى في كل برهة وبهن تقتدى
 سائر النساء * فلو لبست احداهن مثلا عُبعا او حَزَقَت نوبها لعب الناس
 حب ذلك العجب وصار التحزيق سنة فيهم * وعنهن يوخذ ايضا تنصيب
 الشعر وسَبْتَه وتسريجه وتسريحه وتسميده وتجميره وضفرة وتطريزة وتنفيشه
 وعقشه وتصفيفه وزرقلته وتشكيله وفرقه وكَدْحه وكدهه وادْرآوة وجدله وتفتيله
 وتغبيته ومشطه الكَعْكَبَة والمُقَدِّمة واتخاذ قَصَة منه او قُرْعة او قُنْزعة وجعله
 مكرهقا او مسبلا * ومن ذلك انه لطول تردددهن على مواضع الرقص
 يحسبن كل مكان يطأنه مرقصا * فترى المرأة منهن تمشى في لاسواق
 والشوارع وهى تميد وتميل وتخلع وتتنفكك * وياليت مولانا صاحب

القاموس كان يعرف **الْهَلْكَى** والمازركى **السُّوتَشْكى** والكدريل **الريْدُوقى**
والقلس وغيرها من ضروب الرقص حتى كنت ارويها عنه هنا فى حق الماشيات
فى باريس * ومن ذلك تحكمهن على الرجال وتعزهن عليهم فى كل
حال وبال * فترى الرجل يمشى المرأة وقلبه بين رجلها * واذا خلا
معها فى البيت فهى **الأمرة الناهية المستعلية القاضية** * وهو **المصحب**
المصحاب **المُدْرِج** **المُدْبِج** **المدمخ** **المكبوح** **المكفوح** **المعنوج** **المصوب**
المدبج **المتزنج** **المختضد** **المسجد** **المعسر** **المشروس** **المتضع** * ولا يزلن
طول الدهر وحاماً ولا حبل * ويرمن ان يكون لهن كل شى صهابياً
مورباً مرقلاً موقراً موقلاً مسبغاً صافياً مرتبزا وافياً تاماً كاملاً * حتى ان
اللغة الفرنسية مبنية على هذا الوحم * وذلك انهم يحذفون فى اللفظ او اخر
جميع الالفاظ المذكورة وينطقون بها فى المونثة * وعلى ذلك قول الفاريابى

عند الفرنسيس المونث واجب تبليغ آخره الى الاسماع
وهو الدليل على تروق نساآتهم طبعاً على التبليغ والاشباع
او انه صفة الكمال لهن ان يك ممكنا يوما لذات قناع

وكان احد التيتاتيين من نحاتهم غاظه ذلك فجعل من بعض قواعد
لغتهم تغليب المذكر على المونث * ولكن هيهات فان امرأة واحدة هنا
تقوى على عشرين ذكراً * ومن ذلك ان عنوان جمالهن مكتوب على
جباههن نظماً ونشراً * فمن النظم

مَلِكُ الْجَمَالِ اعزَّ من ملك له جند واعوان وعرش ارفع
ذو المَلِكِ تتبعد الجنود تكلفا ولذى الجمال الناس طوعا تتبع

ومنه

من حارب العين خاتنه مضاربه وليس يجديه شحذ السيف عن جلده
فمضرب السيف مشحوذ على حجر ومضرب الطرف مشحوذ على كبده

ومن النثر * الكلام بالغنة * شفاء من العنة * فرط التنهيد * ابلغ
فى التنهيد * الخذل * جلا المقل * ضخم الحماة * يفتح الهامة *
صغر الاقدام * يقزح الادام * كم صريع فى السوق * من كشف السوق *
ان ابراز الترائب * كاشف غم النواذب * ان العبعب * املا للعين
واحب * ان الاعجان * داعى الافتتان * ان النوق * اصل الشنق *
لا تفكن * لا يزيله التبهكن * التهميم * ادعى للتهيمم والتسيم *
المغاضنة * دليل المحاضنة * غلائل الصيف * امضى من السيف * لا فرار *
بعد الافترار * لا عاصم * بعد كشف المعاصم * توهج الطيب * اشوق
للحبيب * رب ابتسامه * جلبت غرامة * العين غزالة * والقامة فتالة *
الحسن معبود * والدينار منقود * الدينار * فكاك لازرار * من اكثر من
الصله * نال ما امله * البضع لذى الدنيا * والدنيا لذى البضع * من ذاق
عرف * ومن غازل هرف * الى الملهى الى الملهى * فبادرتم لا تلهى * وعلها
بكاس ثم عما شئت فاسالها * والحاصل ان الفرق بين عنوان جمال
الفرانساويات وجمال الانكليزيات هو ان الاول من قبيل التداوى من
الشى بصدده * والثانى من قبيل التداوى منه بجنسه * وذلك ان
العنوان الاول هو ناطق عن الونى والفتور والترهل والتربخ والاسترسال
والاسترخاء والاسترخاف والرشرة والنشنة والانخار
والثلطة والثلطة والخنت والهنبة واللثة والهلات والابشجاج والطرشة
والامرخداد والترنرة والنختر والفيشوشة والتعة والخراة والخج

والطريقة والرهوك والشرطة والغدن والانشط المستدعية لنقائضها من
الاشتداد والتصلب والاثمرار والتأتب والتقسح والتقسب والتوتر والتعلب
والتعرد والتعقد والانزاز والتادد والعص والاستعزاز والتأيد والكأن والاتكاع
والتكبد وجمال اولئك عنوان على هذه الصفات المستدعية لنظائرها وكلاهما
فى المرأة حسن * ومن ذلك انهن يرين التقليد فى الحب والزى
معرفة * فكل واحدة منهن تجتهد فى فنها حتى تصير قدوة لغيرها * اما
فى الزى فمنهن من تقبب صدرها بقدر ما تقبب نساء لانكليز بتائلهن *
ومنهن من تتخذ لها قبتين من قبل ومن دبر * حتى تكون اذا مشت
عائقة لساتنها ومواجهها * وكشف الساق لابرار الحماة ونظافة الجوارب
مطرد لهن * فاما فى الحب فمنهن من تزيد على صفات المدقم الصفة
التي ذكرها ابو نواس فى الهمزية * ومنهن من تؤثر التجضم الكمرى او
الامتلاج القنبى * واكثر الناس حرصا على هذا الشيوخ المحنكون *
فامصاصهم وتبظيرهم ليس من السب فى شى * ومنهن من تجمع بين
اللذتين الحروفية والفنقورية ولها سهران * ومنهن من تزيد على ذلك
ما اراده الشيخ جمال الدين بن نباتة من شوص الفرخ وله ثلاثة اسعار *
ومنهن من تزيد عليه الشوص بالاخصيين وله اربعة * ومنهن من تمكن
من قفط النودلين وثغر ما بينهما مجردا * ومنهن من تضيفه الى اللذتين
المذكورتين مع شوص الفرخ بانامل واخامص وهو اعل ما يكون *
ومنهن من تتفاحل وتتقدم على اخرى مثلها * وهذا النوع عزيز لا
يراه الا الموسرون * ومنهن من تتعاطى الحرفة الترسية وهو قرع
الترس بالترس * ومن اغرب ما يكون ان بعض شيوخ الفرنساوية الذين
يشب فكركم وتخليهم لهم اجسامهم ووهن حركتهم يؤثرون على جميع

الانواع المذكورة التلمّظ بالعذرة * وذلك بان يضطجع احدهم وهو عريان ويامر من تستوى فوقه وتملأ فمه * ومنهم من يستغنى عنه بشرب الزغرب من مشخبه زُغلة زُغلة او بمص القنب * وقد يجتمع رجال بواحدة فيقيمونها بين ايديهم عريانة ويقعد لدى قبلها ودبرها اثنان * وياخذ آخر في صبّ الشراب من فوق صدرها وظهرها * فيبادر اليه الرجلان وهما فاغران افواههما ويشربانه عند مروره على السّمين * والنساء المثريات المغتلمات يستعملن رجالا يقودون اليهن كل من راوه ابّتع من الرجال ولا سيما من اهل الريف * فيدخلون عليهن في بعض الديار وهن متبرقععات كيلا يُعرّفن ثم ياجرنهم على ذلك * وفي الجملة فان كل ما يخطر ببال التحرير من امور الفسق يراه الانسان في باريس بعينه بالعين * واعلم ان اهل باريس قد اصطاحوا على امور في المعاش والنساء تميزوا بها عن سواهم * اما في امر المعاش فان من ياكل منهم في المطاعم الشائعة فانه يشارط صاحب المحل او بالحري صاحبه على ان يعطيها في الشهر قدرا معلوما وياكل عندها شيئا معلوما * فتعطيه تذاكر تؤذن بعدد المرات فيدفع ثمنها ثم يعيدها عليها فيؤدى اليها عن كل غداً او عشاء تذكرة * فيتوفر عليه في ذلك ربع المصروف * وقس عليه الحمامات والملاهي وما اشبهها * فاما في امر النساء فان اصحاب البيع والشراء لما كانوا قد اتخذوا لادارة اشغالهم نساء حسانا كما سبقت الاشارة اليه * فاذا خرجن في الليل بعد انقضاء اشغالهن ترصدتهن الرجال ودعوهن الى مواضع الاكل والقهوة والرقص واللعب * فتذهب كل واحدة مع من تحب * فمتى رافقته الى احد هذه المواضع علم ان حقه عليها صار ضرورة لازب * فاما ان يستوفيه منها تلك الليلة فقط او

يوافقها على اعادة الوصل فى كل اسبوع مثلا مرتين او ثلاثا وان يعطيها
فى آخر الشهر اجرة معلومة * وما بقى لها من الساعات فانها توجره
لآخرين باجرة معينة * فترى للواحدة منهم عدة عشاق تواصلهم فى
اوقات مختلفة من الليل والنهار * ومع ذلك فلا تزال تلقب بدُمَوازِل
وهى كلمة تطلق على الابكار على وجه التعظيم * ومعناها سيّدة غير ذات
بعل * ومنهم من يتصدى لمعرفة هؤلاء البنات من المراقص * فيعمد
الرجل الى بنت ويدعوها للرقص * فاذا اعجبته واعجبها دعاها للشراب
فى موضع مخصوص فى المرقص وعقد عليها عقد الزيارة الشهري * ومن
عامل واحدة منهم مشاهرة لم ينفق عليها نصف ما ينفقه لو قضاها
على كل مرة على حداثها * وللنساء رخصة فى باريس ان يدخلن جميع
المراقص العمومية من دون ان يدفعن شيئا اجتذابا للرجال بكشرتهم *
ولكن عليهن ان يرقصن معهم اذا استرقصوهن * لا اذا اعتذرن لهم بعذر
يقبلونه كأنّ تقول المدعوة مثلا قد دعانى آخر من قبلك فلا بد لى
من ان ارقص معه او نحو ذلك * ثم انه لا حرج ايضا على من اكرى
فى منزل بيتا مفروشا كان او غير مفروش ان تزوره صاحبتة فى مسكنه *
سواء كانت من النوع الذى ذكرناه اعنى من النساء اللآى بمنزلة بين
الحرائر والزوانى او من غيره * وان تبست عنده على علم من الجيران
والسكان * فان منزلة هذا عند اهل باريس كمنزلة المتزوج * ولا فرق
عند اهل باريس بين امرأة متزوجة لها سبعة بنين وسبع بنات تربيتهم
فى تقوى الله وطاعة الملك وبين قحيبة تباع عرضها لكل ابن سبيل
وتتفنشخ لكل مجتاز فى الطريق كما تقول التوراة * وهناك اسباب
اخر كثيرة للفساد فى الديار * وذلك انه لما كانت جميع الاشغال فى

باريس تديرها النساء وكان منهن غسالات وخدمات لهن ياخذن ثياب السكان وخياطات وفرّاشات وبياعات للمأكول والمشروب والملبوس * امكن للرجل ان يصاحب واحدة منهن فتاتيه مياومة اذا شاء بحجة انها تقضيه شيا او تبيع له حاجة * او ملايلة او مشاهرة او مساوعة او محانية وذلك ممنوع فى لندرة * بل ربما صاحب الرجل امرأة من نفس الدار التى يسكنها * لان ديار هذه المدينة العامرة لما كانت تشتمل على عدة طبقات وكان اصغرها يحوى فى الأقل عشرين نفسا ما بين رجال ونساء * امكن للرجل ان يعاشر احدى جاراته * بل المتزوجون المقيمون فى هذه الديار لا يامنون على نسايتهم وبناتيتهم * لان الرجل اذا خرج من بيته وخالفه فيه جارة الى زوجته مئة مرة فى اليوم لم يمكنه ان يعلم ذلك لقرب ما بين المسكنين * ولهذا كان اهل باريس اقل غيرة على نسايتهم من جميع الناس * لانهم ربوا على هذا ولا مناص لهم منه * ولا يمكنهم ان يربوا اطفالهم عندهم خوفا من تضجر الجيران منهم * وانما يبعثونهم الى الريف من اول اسبوع ميلادهم فيسربون فى اجار المراضع * وهى عادة حميدة من جهة ان الاطفال يتقوّون هناك بطيب الهواء * وهناك سبب آخر وهو ان المَظفل بترشيحها ولدها وتربيتته تخسر من نفع حرفتها اكثر مما تعطيه للطير * لان نساء باريس يباشرن جميع الحرف ولا يزين فى التكبسب عارا باى وجه كان * وهن فى البيع والشراء اشط من الرجال * ومن تكن جميلة تتقاضى على النظر الى جمالها شيا زائدا على الثمن * ثم ان حالة الرجال مع النساء على المنوال الذى ذكرناه تعدّ عند هؤلاء الناس من المصالح المهمة المرتبة المطردة * بمعنى انه ليس من دار الآلا ويحصل فيها وصال بين الرجال والنساء مع

مراعاة حرمة كل من الزائر والمزور * ومع عدم لاخلال بالوقت الموقوت
لكيلا يحصل تعطيل للمزور في شغله * ومع مجانية ما يسو الجيران من
لغت وعردة * ولا تكاد ترى في باريس كلها فقيرة او مومسة تطوف
في الليل وهي سكرى كما ترى في لندرة * وندر وجود احداهن في
متاخر الليل * وقل من آذت زائرها او قاصدها * وهناك فرق آخر
بين نساء الفرنسيين والانكليز من جهة الخلق لا الخلق * فالظاهر
من نساء الانكليز في الغالب الكبر والأنفة والصلف * والظاهر من نساء
الفرنسيين اللين والبشاشة * لا ان نساء الانكليز لا يتدللن على الرجال
ولا يجشمهن الشرف والتحف والولائم والملاهي والمنازة والفرج * فاكلة
من الكباب وكرة من المزر تكفيان في استجلاب رضاهن * وليس
عندهن من الروم والمحال * والخلب ولاختال * والدها والنكر
والاحتيال ما عند نساء باريس * فاما ان تحب احداهن مثلا شخصا
وترضى معه بالكثير والقليل واما ان تصرمه * فاما نساء باريس فمعما
يظهر منهن من الملاينة والمباغمة * والملاطفة والملازمة * فاذا عاشرت
واحدة منهن وشعرت بانك ارتبقت في هواها ورقبت تبغجت عليك
وتدلت * وتصلفت وتمحلت * واوهمت ان مجرد كلامها معك منة *
وان ارضاها والخضوع لها سنة * وان كثيرا في عشقها مقيمون ناحلون *
هائمون ناسمون * حتى تستقل عليها كل كثير من الصلات والهدايا
فتقبل منك ما تقبل وانت لها من الشاكرين * واذا دعوتها لوليمة فلا
بد من اروائها من الرحيق المختوم * وتوجيها بافخر المطعم * فتلتهم ما
تلتهم وتشتق ما تشتق وهي متشعبة متعففة * متمنعة متظرفة *
فاذا ضجكت حسبت ان ليس لضحكها من نظير * واذا مشت ودت

لو كان خطوها على الديباج والحريـر * حتى ان هذا التصلف ايضاً
صفة ملازمة للمتزوجات * فان المرأة المتزوجة فى باريس تغرم زوجها
على كسوتها فقط ما ينفقه المتزوج من الانكليز على جميع اهله *
فداب الرجل فى باريس وهمه وشغله ارضاء زوجته وهيئات ان ترضى
وما احسن ما قيل فى هذا المعنى

لا يعجب الزوج الا ان تكون بمن تحب محفوفة أو لا فاعنات
وكيف يرضى امره يحمى حقيقته بالقرن والقرن افتوا ايها النأت
وقال

وداخله للانسان تفسد كلها اذا اصبحت زوج له ام خارجة
ويخرج عنه الحلم لو قيل مرة له فى البيت الفلانى والجـه

ولهذا يقال فى المثل السائر عند الفرنساوية ان باريس نعيم النساء ومطهر
الرجال وحيم الخيل * ولما كانت حالة الرجال مع النساء هكذا كان ثلاثة
ارباع سكان باريس مسافحين * ونصف الربع لآخر متزوجين زواجا
شرعيا والباقي منقطعون عن النكاح * كذا اخبرنى من يوثق بكلامه * ثم
ان المومسة من الانكليز تعرف نفسها انها غير حرة وتعرف ايضاً ان
الناس يعرفونها كذلك * فلا تكلفهم احترامها * ولا تسومهم اعظامها *
فاما البغى من الفرنسيـس فعندها ان مجرد استبضاعها للبضع يؤهلها لان
يكرمها الناس ويداروها * ويجلوها ويسانوها * وذلك لعدم استغنائهم
عنها * وجرم النفع منها * وقد تقدم ان الفرنساوية لا يفرقون
بين الحرة والبغى وبقي هنا ان نقول انهم اشد الناس شبقا الى البعال *
واقربهم الى السفاح * وناهيك انهم فى الفتنة الكبيرة التى حدثت فى

سنة ١٧٩٣ اقاموا امرأة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها *
فصور لخاطرك ايها القارى كيف تكون الرجال والنساء فى هذه المدينة
فى ليالى الشتاء الباردة الطويلة * وكم من ملهى يغص بهم وبهمن
وكم من مأب * وكم من مائدة تميد لهم بالطعام والشراب * وكم من
سرر تهتز * ومضاجع تآز * واجناب تلتز * واوطاب تمز * واوتار تنز *
انشدنى الفارياق لنفسه فى وصف باريس واجازنى روايته

وفى باريس لذات كما فى جنان الخلد خير وحرور عين
ولكن شانهن دوام طمث لكل اربعون من القرين

وقال فى الراقصات

لله در الراقصات لنا على نعم المثنى حيث تجلى الكوب
لو كان يوما وطوهن على لم تشغل لدى من الزمان خطوب

وقال فى رامج

ذى الباريزية طلعتها كالصبح بها قلى مغرم
فى الليل اريد تحيتها فاقول لها بن جور مادم

قال وكما ان الغريب المسكين ينشرح صدره وينجلي بصره بمشاهدة
تلکم الحكايات للاعتاب فى لندرة على الصفة التى تقدم ذكرها *
كذلك تقر عينه بروية امثالهن فى باريس طائفات فى الشوارع
والاسواق من دون غطاء على روسهن ولا سائر لخصورهن وما يليها *
بخلاف عادة النساء فى لندرة فانهن لا يخرجن الا ماشحفات * قال
وعندى ان هاتين الخلتين وهما حك لاعتاب والخروج من دون التحاف

هما السبب في قلة وجود العميان في هاتين المدينتين السعديتين *
وقلما ترى في رجالها احول او ازور او احوص او اخوص او ارمص او
اكس او اعشى او اخفش او اعفش او اعمش او اغبش او اغمش او
ارمش او امتش او ذا دوش او مدش او طخش او غطش او غفش او
طفنشاً او غطمشاً او مغطرشاً او مطغمشاً او مطفرشاً او مطنفشاً
او مدنفساً او مدنقشاً * فعلى كل من كان في بلادنا اعمش ذا عين ان
يقصد هذه البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الانيقة * وليستصحب معه
ايضاً لهذا الجلاًجلاً اى لقباً ينبي عن شرف وسيادة * فان القوم يعظمون
هذه الزئمة ولا يرون للانسان فضلاً بغيرها * وعلى فرض تحرجه من الانتحال
والتزوير فان غناه يكسبه اياها من عندهم * لانه متى كان غنيا وجعل دابه
ان يتردد على مواضع اللهو والحظ لم يلبث ان يتعرف بزمرة من الكبرآ
السعدآ وان يزورهم في مغانيهم * وج يسمونه بسمه شرف تشريفا له
وتشرفا به اذ لا يزورهم الا الشريف مثلهم * فاما حرص النساء على هذه
الزئمة وخصوصا نساء الانكليز فهو اوسع من ان يحصر في هذا الكتاب *





في شكاة وشكوى



ثم رام الفارياب ان يستاجر شقة دار ليسكنها هو واهله فراوا عدة اماكن
لم تخل من عيوب * وكانت الفاريابية في خلال ذلك تتمتع من
ارتقاء الدرج فان بعضها كان يشتمل على مئة وعشرين درجة فاكثر *
حتى اذا تبواوا محلاً وجدوا موقده رديناً * فلم يمتص على ذلك ايام
حتى طففت تشكو وتقول * ياللعجب كيف تنخدع الناس احياناً
بشي وتنبؤ به دون تحقق معرفة حاله * ومتى يستقر ببالهم وجوده
على حال من الاحوال يُعد تغيير وهمهم عنه محالاً * حتى ان تغيير
الوهم من الخاطر يكون اصعب من تغيير اليقين * لأن من تيقن شياً
فانما يتيقنه عن علم * ومن طبع العالم ان ينظر دائماً في الحقائق
واصدادها ولا يزال باحثاً عن الصحيح والاصح * فاما الوهم فلا يدخل
لا راس الجاهل * ومتى دخل فلا يكاد يخرج منه * مثال ذلك وهم الناس
ان مدينة باريس هي اجمل مدينة في الدنيا * مع اني رايت فيها
من العيوب ما لم اره في غيرها * انظر الى طرقها والى ما يجري فيها
من الدم والنجاسة ومن المياه المتنوعة الالوان * فمن بين اخضر كماء
الطحلب واصفر كماء الكركم واسود كماء الفحم * ويتلاحق بها جميع اقدار

المطابخ والمرافق * ورائحتها ولا سيما فى الصيف اشد اذى من رويتها * فهلا جعل لها مئاعب تحت الارض او ابواب تنفذ منها الى نهر او غيره كما فى لندن * وانظر الى مبلط هذه الطرق حيث تجرى المراكب والعجلات * فانك ترى جيارته قد اختلت وتباعد بعضها عن بعض حتى عاد سير العجلات عليها كطلوع عقبة او درج فهى لا تزال تهتز وتضطرب * وسبب ذلك ان البلاط هنا يفرش فرشا غير مرصوص ولا منضم بعضه الى بعض فاذا انت عليه سنون زاد تباعدا وتخالخلا * فاما فى لندن فانه يرص بعضه الى بعض قائما فتسير عليه العجلات سيرا سريعا سهلا بلا قرقرة ولا اضطراب * وانظرا ايضا الى برازيق الطرق هنا اى حيث تمشى الناس * فما اضيقها واقذرها واقل جدواها * ففي كثير من الحارات لا يمكن لائنين ان يمشيا معا على حافة واحدة منها * بل هى لا توجد راسا فى كثير من الطرق او توجد غير كاملة من الاول الى الآخر فتراها قد تعطلت فى موضع واختلّت فى آخر * وانظر الى هذه الانوار القليلة فى الاسواق والى فوانيسها البارزة من الحيطان والى بعد المسافة ما بينها * فقد يمشى الانسان فى اكثر الطرق من فانوس الى آخر اكثر من مئة وعشرين خطوة * وانظر الى صغر هذه الحوانيت وقلة انوارها وبؤس اهلها وشحهم * فقلما تجد عند احدهم نارا * مع ان هذا الشهر هو من ابرد الشهور * وتامل هذه الديار وعلو طبقاتها وكثرة درجها ووسخها وفساد ترتيب مرافقها ومراحضها * فقد تجد فى الدار الواحدة عدة مراحيض بجانب المساكن وعدة مصاب للماء والاقذار * وناهيك ما يخرج منها صباحا من الروائح الخبيثة * ومع كون هذه المراحيض قذرة نجسة خالية عن لواب الماء

فليس لها مزاليح من داخل ليامن الانسان في حال خلوته من انبعاث
 احد عليه * فكثيرا ما يدمق عليه دامق ولما يكن اتى على اخر ما
 عنده فيأخذه بالبذغ والأمدراو الماصع او الجازم او الراطم او المزرم (١)
 وقد سالت عن سبب ذلك فقيل لى ان صاحب الدار اذا كان
 متورعا يتخرج من وضع المزاليح خيفة ان يدخل بعض الساكنين
 والساكنات معا ويتحصنوا بها * ومن اقذر ما يرى فى حيطانها آثار اصابع
 مختلفة فكان الفرنساوية يستطيعون الاستطابة باصابعهم * وحين ينظفونها
 ليلا تخرج رائحتها الخبيثة وتنتشر فى الحارة كلها * فلا يمكن للانسان
 ان يبيت الا مسدود المنخرين * ثم ان هذه الديار ما عدا كونها
 تشتمل على ست طبقات فاكتر * وعن ذلك وعن فساد التبليط يسمع لمرور
 العجلات قرقرة زائدة كما لا يخفى * وما عدا كونها تحوى سكا نا كثيرين
 ما بين فاجر وفاجرة ومستهتر ومستهتر * فان كثيرا من مساكنها لا يصلح للسكنى
 لخلوة من النور والهوا * ولا يكاد لانسان يستريح فى محل منها * فانه
 اما ان يجده قريبا من المرحاض * او يجد موقده رديئا * او يجد
 فيه فارا او جرذانا * او يجد جاره ذا صخب ووقاحة يغنى النهار والليل
 او يعزف بآلة طرب * او يخلو بالمومسات على هرّج ومرج وقرقرة
 وكركرة * وان من داخلها ما يضحك ويبكى * فالمضحك ما يرى من
 الخلل فى هندمة الابواب والشبابيك وفرش المبلط بالآجر واتصال
 بعض المساكن ببعض * والمبكى رؤية هذه المواقف فانها مبنية على
 شبه القبور وذلك اول ما يخطر ببال الداخل الى مسكنه * فهى جديرة
 والحالة هذه بان تكون صوامع للربان المتبتلين لا مضاجع للناس
 المتزوجين * واغرب من ذلك ان ابواب الديار لا تزال مفتوحة *

(١) البذغ الحارى
 فى ثيابه ونحوه
 الامدرو مصع بساحه
 على عقبه اذا سبقه
 من فرق او عجله
 وجزم بساحه اخرج
 بعضه وبقي بعضه
 ورطم السطح حبسه
 وازرمه قطع عليه بوله

وان البوابين يتعاطون الحرف والصنائع فى كَن لهم يلزمونه ليلا ونهارا * فمنهم من يشتغل بالخياطة ومنهم بحذو النعال ونقلها وغير ذلك * بحيث ان كل انسان يمكنه ارتقاَ الدرج بلا مانع * وقل ان يبصر البواب من كنه احدًا لان عينيه ابدا ملازمتان للابرة او الإشفى * ولذلك كانت دواعى الفساد فى باريس اكثر منها فى لندن * وما يرى هنا من الديار البهية والطرق الواسعة الحسنة فانما هو حديث عهد * فكيف كان لباريس شهرة فى الزمن القديم وديارها العتيقة وطرقها العهيدة مما ينبوعنه الطرف وتقذره النفس * فاين هذا من شوارع لندن الرحيبة الوضيئة ومن دكاكينها الواسعة الظرفية المزججة باحسن الزجاج وانفسه * ومن ديارها النظيفة المهندمة * قال فقلت ومن حكاكات اعتبارها * فقالت ومن إعتاب حكاكاتنا * ثم استمرت تقول ومن مساكنها الانيقة ومن درجاتها الحسنة التى لا تزال مكسوة بالزرابى الفاخرة * أيم الله ان صعود خمسين درجة منها لاهون على من صعود عشر درجات هنا * واين تلك المواقد البهية المصفحة بالحديد اللامع المجلوفى صباح كل يوم * وتلك الشبابيك والطبقان المحكمة التزجيح * واين تلك المطابخ التى لا يزال فيها نور الغاز متوقدا والماء الساخن عتيداً للسكان * وكم فيها من وصائف خرد يتمنى اعظم المخدمين عندنا ان يكون لاحداهن خادما او طبّاخا * قلت بل لأمجا * قالت او لاحسا * ألا واين حسن نهر تامس وما فيه من سفن النار التى تسير الى ضواحي لندن فى الصيف وفيها آلات الطرب * فتراها ملآنة من الرجال والنساء والاولاد فكانما هى رياض مزينة بالازهار * واين تلك الحدائق الكثير وجودها فى كل جهة فى المدينة وهى التى يسمونها ترابيع * ومن

يسكن فى غرفة مطلة عليها يخيل له انه مُرِيف * فاذا مشى بعض خطوات ورآها رأى الناس وازدحامهم اقبالا وادبارا * ثم اين تلك الانوار المتوقدة فى كل من الطرق والدكاكين * بحيث انك اذا كنت فى اول الشارع وسرحت نظرك الى اخره ادهشك حسنھا وازدهارھا * وظننت انها نسق كواكب قد نظمت فى سلك واحد * وانما يمدح باريس من لم يكن قد رأى لندن او من رآھا بعض ايام ولم يعرف لسان اهلها * ثم اين ملاطفة مكريات المساكن ورفقهن بالنازل عندهن غريبا كان أو لا * فان الغريب اذا تبوأ منزلا عندهن يصبح وقد صار واحدا من اهل البيت * لان كلاً من صاحبة المنزل ومن الخادمة * وما ادراك ما الخادمة * تلاطفه وتوانسه وتقوم بخدمته وتطبخ له وتشترى له ما شاء من السوق * وتطلع اليه كل يوم بالماء السخن وتضرم له النار وتمسح نعاله * لعمري ان النازل عندهن يمكنه ان يتعلم اللغة الانكليزية بمجاورته معهن فى اقصر مدة * فاما فى باريس فان النازل فى احد هذه المساكن قد يموت فى ليلته ولا يعلم به احد * فان بينه وبين البواب بُعدا باعدا * وفى اكثر المساكن هنا لا يجد الانسان جرسا ليطنه فيتحرك له البواب * ثم اين استقامة تجار لندن وصدقهم فى البيع والشراء وتودّهم الى الشارى واناتهم معه من تجار باريس الذين لو قدروا على سلخ جلد المشتري ولا سيما اذا كان غريبا لما تاخروا * وانهم قد حاكوا تجار لندن فى وضعهم بطاقة الثمن على البياعات * ولكن هيات * فان من سقر حاجة بمئة افرنك مثلاً يبيعها بشمانين * وقد يضعون فى وجوه الحوانيت اصنافا من البضاعة مسخرة فاذا اردت ان تشتري شيا من ذلك الصنف جآك بصنف دونه فى

الجودة * وحلف لك انه من عين ذلك الراموز * ولا يزال بك مبربرا
ومثرثرا وحالفا وحانثا حتى تشتريه حياء او خصما للنزاع * وغير مرة
يعطون الشارى فلوسا او دراهم زائفة * فاما باعة الماكولات والمشروبات
فانهم اكثر غشا وشططا فى هذه المدينة من سائر الناس * ولهم فى
الوزن لباقه لم ارها عند غيرهم * وذلك ان من باعك شيا موزونا يطرحه
فى كفة الميزان بعجلة وهوج كالغضببان من رؤيه سحتك او على
الميزان * واول ما تميل به الكفة يرفعه بلباقة ويسلمه لك * ولو ارسلت اليه
خادمك او ابنك لباعه نفاية ما عنده وكان على السنجة اشد غضبا *
هذا ما عدا غشهم الماكول والمشروب وتغييرهم الاسعار بتغيير
الاقوات والاحوال * وهذه اللباقة معروفة ايضا عند باعة الاصناف كئلا
وذرا * فاما ما يقال فى مواضع التنزه والحظ فى باريس وذلك كحديقة
قصر الملك وما يليها فلعمري ان من راي حدائق كريمون وفكس هال
وروجفيل (Crémorne Gardens, Vauxhall, Rosherville) التى فى
صواحي لندن ما عدا حدائق كثيرة فى حاراتها فلا يطاوعه لسانه بعدها
على ذكر غيرها * نعم ان حديقة القصر هنا حسنة على صغرها لكونها
فى قلب البلد وتلك منجازه عن الوسط * ولكن آه من قلب هذا
البلد * كم من فاسدين وفاسدات تجمع هذه الحديقة فى كل يوم فى
عبارة عن حابور * لان النساء ينتبنها ليتصيدن منها الرجال * اذ تجلس
المرأة على كرسى بجانب رجل ممتن اعجبها وهى لا تعرفه * ويكون
بيده كتاب يطالعها ويبيدها منديل تخطيطه او نحو ذلك * فيطفق هو
يقرا فى الكتاب كلمة وينظر اليها نظرة وهى كذلك تمل ملة وتهجل
هجلة فلا يقومان الا وهما متعاشقان * حتى اذا كان اليوم القابل تبدل

كل منهما مقامه وعشقه * اما الجمال فليس من مناسبة بين جمال
 نساء باريس ونساء لندن فالذائبة او الخفوت هناك تعدّ هنا عبّها (١) ولعزة
 الجمال هنا صار عزيزا فان الشئ متى عزّز فكان كلف الناس به اكثر وتنافسهم
 فيه اشد * ومن اعجب العجب عندي ان الجميلة الرائعة في لندن تطوف
 باخلاق من الثياب * والدميمة الشوها في باريس ترفل بالحريروالكشميري *
 فاما مواضع الرقص فانها في لندن تفتح كل ليلة وفي باريس ثلث
 مرات في الجمعة لا غير * وفي اكثر شوارع لندن تسمع الغنا من جوارى
 حسان ولاات الطرب ليلا ونهارا من دون غرامة ولا كلفة * وليس
 كذلك في باريس الا ما ندر * وغاية ما يقال في التنويه بباريس
 وفي تفصيلها ان فيها مواضع للشراب والقهوة طريفة يجلس داخلها
 وخارجها الرجال والنساء متقابلين ومتدابرين * فهل لمجرد القعود على
 كرسى يحكم لها بالفضل وتشهر عند الخاصة والعامة من اعصر متعددة
 بانها اجمل مدينة في العالم * ثم اين حشمة فتیان لانكليز وتادبهم
 مع النساء سوّا كانوا في البيوت والشوارع من فتیان الفرنسية هولا
 الهصاهيص الذين يهصصون ويهصصون (١) في وجوه النساء حراثر كن اوبغايا *
 ومتى ينظروا امرأة مكّبة لربط شراك نعلها يطيفوا بها فيصيروا لحلقتهها
 حلقة ولجّتاها حثارا * ولا سيما حين ياتون الى هذه المناصع ويبدون
 فيها منادفهم — قال فقلت استمرى في الحديث وقولي ما شئت
 بحيث لا تقفين على المنادى * قالت اتغار على ايضا من الوقوف
 بالكلام * وانما وقفت بهرا من هذه الدنيا المبنيّة على النادفية
 والمندوفية * لا جرم لو انى كنت في مقام ملك او امير لما اكلت ممّا
 مسته ايدي الرجال شيا * وبينما هما في الكلام اذا برجل يطرق الباب *

(١) الخفوت المرأة
 تستحسن وحدها لا
 بين النساء *

(٢) الهصاهيص البراق
 العينين وهصه غمزة *

ففتح له الفارياق وهو مستعيز من دخوله على ذكر المنادف * واذا به يقول * قد سمعت بقدمك فائتلك رغبة في ان اقرا عليك في العربية شيا واعطيك في مقابلة ذلك خسة عشرينك في الشهر * فلما سمعت الفاريقية اغربت في الضحك على عاداتها وقالت لزوجها * دونك اول دليل على كرم اصحابنا هؤلاء الذين طبل بذكرهم العالم وزمر * فقال له الفارياق ما اريد منك مالا وانما تبادلني الدرس في لغتك عن لغتي * فرضى بذلك * ثم زاره احد علماء باريس بعد ايام وقال له قد بلغني قدومك وانك مؤلّع بالنظم * فلو نظمت ابياتا على باريس وذكرتها فيها من المحاسن لقام ذلك عند اهلها مقام توصية بك * لان الناس هنا يحبون الاطراء والتمليق اى يحبون ان الدخيل فيهم يطربهم بالاطراء * واذا كانوا هم دخلا في غير بلادهم اطروا على حكام تلك البلاد ونالوا عندهم الوجاهة والمكانة * فاجابه الفارياق الى ذلك ونظم قصيدة طويلة في مدح باريس واهلها سماها الهرفية لانه مدحهم مجازفة من قبل ان يعرفهم * وستاتي مع نقيضتها الحرفية ومع نبذة مما نظمها بباريس في الفصل العشرين * فلما وقف العالم الموما اليه على معانيها استحسناها جدا وترجمها الى لغته * وتوصل في ان طبع الترجمة في احدى الصحف الاخبارية وجاء بنسخة منها الى الفارياق وهو يقول * قد طبعت ترجمة قصيدتك في هذه الصحيفة وقد وعدتني جمعية العلم الآسيوية (نسبة لاسيا) بان تطبع الاصل العربي في صحفهم العلمية * لكونك اول شاعر مدح باريس باللغة العربية * فشكره الفارياق على ذلك وقال له اني اريد نسخة من هذه الترجمة * قال انها تباع في مكان كذا بنحو ثلثي افرونك فسار واشترى نسخة * ثم قدم عليه بعد ايام بعض من قرا تلك

الصحيفة وهو يقول * قد قرأت ترجمة قصيدتك واعجبتنى * فهل لك
فى ان تبادلنى الدرس * قال هو كما اريد * فاستمر يتردد عليه اياما
فى خلالها عرّفه بالعالم المشهور مسيو كترمير (QUATREMER) وهذا العالم
عرّفه بمدّرس اللغة العربية مسيو كُسان دُ پرسُفال (CAUSSIN DE PERCEVAL)
ثم تعرّف ايضا بالمدرّس الثانى مسيورينو (REINEAUD) ولكن كانت
معرفته بهم كاداة التعريف فى قولك اذهب الى السوق واشتر اللحم * ثم
زاره ايضا احد الاعيان الذين يتقدم اسمّاهم اداة دُ وهى علامة النبالة
والشرف * وهو مسيو دُ بوفورت (DE BEAUFORT) وكان له اخت فى دارها
مدرسة تعلم فيها بعض بنات الكبرّاء * فلما حان وقت امتحانهم فى
العلم صنعت مادبة فى بعض الليالى وادبت اليها الفارياقية وزوجها *
فقال الفارياق لزوجته * هآك مثالا على كرم القوم فقد مضى عليك
مدة وانت تشكين من الوحدة ومن بخل من تعرّفتم بهم وتقولين
انهم لم يادبوك قط * وقد كان يادبك فى بلاد لانكليز من كان يعرفك
ومن لم يعرفك * حتى انك كثيرا ما كنت تتصجر من ذلك * لما انه
كان يلزمك له تغيير زيّك ووقت غدائك وحرمانك من الدخان *
فابشرى لان ان اصحابنا بالخير قمينون حريّون * قالت نعم كل
منهم قمين حريّ * ثم سهرت تلك الليلة عند اخت الدّ الموما اليه على
احسن حال واصفى بال * فرجعت الفارياقية الى منزلها بقلب آخروهى
تقول * نعم لقد تفضل بوفورت واحسن كل الاحسان * وقد رايت من
نساء الفرنساوية من البشاشة والطلاقة ما لم اكن اصدقه * نعم ويعجبني
منهن هذه الغنة والحنّة التى تكثّر فى كلامهن وهذا هو الذى جعل اللغة
الفرنساوية فيما اظن مستحبة * وهى من الاولاد اشجى واطرب * قال

فقلت الظاهر ان العرب ايضا تحب هذه الخنخة * فقد قال سيدى صاحب القاموس نَجِمٌ وَتَنَجَّمَ دفع بشى من صدره او انفه * وَنَجَمَ لعب وغنى اجود الغنآ * فضحكت وقالت اظن صاحبك كان يهوى مخنخة وانى اشفق من انك لا تلبث ان تسرى اليك عدّواه * سلّمتُ بان الغنّة بل اللّثغة بل اللدغة تستحب من الغلمان والجوارى * ولكن هل يطيق فتى ان يسمع عجوزا خفخافة تخنخن عليه فى انفه * وهل تطيق شابة خنّة شيخ هرم فى خياشيمها * نعم ويعجننى من العائمة فى باريس انهم لا يسخرون من الغريب اذا راوه مخالفا لهم فى زيه واطواره * بخلاف سفلة لندن فانهم يسلقونه بالكلام * بل ربما تكلف الواحد منهم ان يناديه من مكان بعيد حتى يبع * وما ذلك الا ليقول له انك يا غريب دموى ملعون * ولعلى فى ذلك مخطئة * قال فقلت بل مصيبة فان جميع الناس يثنون على ادب الفعلة وسائر العامة فى باريس وعلى حسن كلامهم * ثم لبثا مدة وهما يقابلان محاسن باريس بمحاسن لندن * فمما كرهت الفارياقية فى باريس غاية الكراهة هو ان النساء يرتخص لهن فى دخول الديار مهما يكن من تخالف انواعهما * وزعمت ان ترتيب الديار فى لندن بهذا الاعتبار احسن * فقال لها الفارياقى لا يتكران ديار لندن احسن ترتيبا باعتبار ان درجتها قليل وان سكانها قليلون ملازمون للسكون * وان اعتبارها تحك فى كل يوم * وان فى مطابخها ربلات قديّة * وان داخلها مهندم مفروش بالبسط الجيدة الا انها بَلَو النار * فاما ديار باريس فانها ابقى على الاحوال ومنظرها فى الخارج ازهى * فاما منع المومسات عن دخول تلك وترخيصهن فى دخول هذه فهو فى ظنى دليل على اتصاف المومسات

فى باريس بالادب * بخلاف مومسات لندرة فانهن يتهتكن فى
الشرب والموس * ولذلك منعن من الدخول الى السكان * وهناك سبب
آخر هو ان بغايا باريس معروفات فى ديوان البوليس واسماوهن
مقيدة فيه * فلا يتجرأن على التفاحش والتهتك وان كن فواحش * فاما
بغايا لندرة فقد خلين وطباعهن * ثم مضت مدة على الفارياقية وهى
تقاسى من الخفقان الما مبرحا * فكان يلزمها اياما متوالية ثم يخفى
عنها * وفى خلال ذلك أدبت مرة اخرى عند اخت الد * فسارت مع
زوجها وهما متعجبان من هذا التكرم الذى لم يجدا له فى باريس
نظيرا * ثم اشتد بالفارياقية المرض ولزمت الفراش فاحضر لها طبيبين
من النمساوية فعالجها مدة حتى افقت قليلا * وكانت اخت الد
قد تزوجت. برجل اسمه (LEDOS) فلما جاّ اخوها ذات يوم الى الفاريق
على عادته وجد الفارياقية تسن وتشكو من بلوغ لالم منها * فقال
لزوجها لو استوصفت صهرى دواء لزوجتك فانه خبير بخصائص النبات
وقد ابرا كثيرين من هذا الداء * فسار اليه الفاريق وساله ان ياتى
معه ليرى زوجته * فقال له انى غير مرخص لى من الديوان فى مداواة
المرضى ولكنى لا أبى ان آتى معك رجاء ان يحصل شفا امراتك على
يدى * ثم اتى ووصف للفارياقية ان تشرب ما بعض اعشاب تغلى
وبعث لها من ذلك بستة قراطيس * فلما فرغت وطلب الفاريق
غيرها جأت اخت الداعنى زوجة المتطبب تقول * ان زوجى يتقاضاكم
خمين افرنكا ثمن القراطيس * فلما سمعت الفارياقية ذلك تراجع اليها
نشاطها وبادرتها اجمع وقالت لها * اما تستحيين ان تطلبى هذا
المبلغ على ستة قراطيس من العشب وزوجك ليس بطبيب * فقال لها

زوجها ولكن اذكرى ان المرأة اذبتنا الى شرب القهوة والشاي مرتين
وقد تخللناهما باشيا من الحلوا والكعك فلا ينبغي مراقبتها * ثم بعد
جدال طويل ونزاع وبيل رصيت اخت الدبان تاخذ نصف
المبلغ المذكور فاقبضها اياه الفارياق فولت وهي مدممة وانقطع
اخوها عن الزيارة * ومن هولاء المتطبيين من اذا راي غريبا بش
فى وجهه واحتفى به ودعاه الى منزله وواصل زيارته الى ان يراه يشكو
من سعال او غيره فيصفى له دواء * ثم يتقاضاه غرامة رابية على كل
زيارة جرت بينهما من اول تعارفهما * ويأتى بجيرة المحل شهودا على الرجل
فى انه كان كثير التردد على منزله وادعى ان مرضه كان مزمن * وحامل
لواء هذه الزمرة اللئيمة هو ذلكس (D'Alex) المتطبب المقيم فى لندرة فى
Berner's street, n° 61, Oxford street ثم رجع الطبيب النمساوى
الى مداواة الفاريقيه * فلما نكثت اشار عليها بالسفر من باريس فاستقر الراى
على تسفيرها الى مرسيلية * فقالت لزوجها قد طاب لان الى السير * من ارض
ما فيها خير * هولاء معارفك الذين اتيتهم بكتب توصية من لندن والذين
تعرفت بهم يعد ذلك هنا بوسيلة علمك لم يدعك احد منهم الى الجلوس
على كرسى فى بيته * وهذا لامرتين الذى ابلغته كتاب توصية من
الشيخ مرعى الدحداح فى مرسيلية كتبت اليه تساله عن امر فلم يجبك *
مع انك لو كتبت الى الصدر الاعظم فى دولة الانكليز لاجابك لا محالة
سواء بالسلب او الايجاب * وهذا المتطبب صهر الد غرنا على ستة
قراطيس خسة وعشرين افرنكا * مع ان هذا الطبيب النمساوى وصاحبه
قد عالجانى مدة وعنيا بى ولم يتقاضياك شيا * وكذلك تفعل اطباء
لندن جزاهم الله خيرا * افكل الناس يكرمون الغريب ويرفقون به

كلا اهل باريس * لقد كنت اسمع انه يوجد فى الدنيا جيل ملاذون
ملائون ملاقون ولآذون ولشئون متحاحون مُرامقون ذُمَّلِقِيَّون مَماذقون
غَمَلَجِيَّون مَبذلخون مطرطرون مطرمذون خَيْشَعورِيَّون مُهَلَقون مُرامقون
مَذاعون طُرفون خَيْدَعِيَّون قُشْعون مِقْطَاعِيَّون أَعْفَكِيَّون مَجْذامِيَّون
جُذامِرِيَّون كُموصِيَّون هُمَلْعِيَّون مُنْجِيَّون تِلْمَاطِيَّون بَذَلَاخِيَّون وما كنت
ادرى اى جيل هم * فالان اغنى الخُبر عن الخُبر * وتحققت ان هذه
الصفات التى كنت استكشرها ان هى الآ بعض ما يقال فى اهل هذه
المدينة * فان مودتهم يقطينية اى تنبت سريعا كاليقطين ولا تلبث
ان تذوى * ومواعيدهم عرقوبية طالما وعدوا فاخلفوا * ومثوا فازهفوا *
وحالفوا فحنثوا * وعاهدوا فنكثوا * يبتشون بالمغتتر بهم ويهشون *
ثم هو ان لازمهم ملو * وان غاب عنهم نسوة * وما ينجزه غيرهم بنعم ولا
فهم يرتبكون فيه اياما وليالى * يبداونه باساطير طويلة * ويختمونه بتهاتر
وبيلة * فاما بخلهم على غير المراقص فيضرب به المثل * وناهيك ان
نارهم فى الشتاء كنار الحباب * ولو انهم اوقدوا نارا كنار الانكليز لرايت
جوههم اكثر دُجَّة ودُكَّة من جِو اولئك * وانهم فى الصيف لا يستسرجون *
وما عندهم غير هذين الفصلين من فصول السنة * فاما برد عارم * واما غُثم
ملازم * ألا وان احدهم لينزل الافرنك اجرة من يعمل له منزلة الدينار
عند الانكليز * على ان بلدهم اعلى اسعارا من لندن فى لوازم المعيشة
او مثلها * ارايت انكليزيا يعمل حسابه بالفلس كما يعمل اهل باريس
حسانهم بالصنتيم * بل ان كثيرا من الانكليز لا يعلمون كم فى صلدتهم
من فلس * نعم وان احدهم (اى اهل باريس) ليكتب اليك مكتوبا فى
شان مصالحة تقضيها له ولا يدفع جُعْله * ولقد يضحكنى من فخرهم

(١) البخَرُ محرّكة رائحة مكروهة في قُبَلِ المرأة وهي بَخْرًا وبخَرُ غسل دبره ولم ينقُ فبقي نتيه واستوغل غسل مغابنه واللجام ما تشده الحائض وقد تاجمت واعتكرت احتشمت بخرقه وشمذت المرأة فرجها حشته بخرقه خشيّة خروج رجها والفُرام دواً تنضيق به والمعابة خرقه الحائض والفراص جمع فرصة وهي خرقه او قطنة تتمسح بها المرأة من الحيض ونحوها الثمل جمع ثملة والربذ والجداول جمع جديلة وهي شبه اذنب من ادم تاتزر به الحيض والمماحي جمع ممحاة وهي خرقه يزال بها المنى ونحوه *

انهم ياكلون ابشع الماكول ولا تزال امعآهم ملأى من شحم الخنزير * ثم هم اذا خرجوا الى المحافل والمثابات بالغوا في التفخل والرّفلان غاية ما يمكن * وان كثيرا منهم يغلقون فى الصيف كواهم وشبابيكتهم ولا يفتحونها ابدا * يوهمون الناس انهم قد ساروا الى بعض منازة الريف ليصيفوا فيه كما تفعل كبرآؤهم * وان كثيرا منهم ليتقوتون بالخبز والجبن نهارا ليبدوا فى الملاهى والملاعب ليلاً * وان اشرافهم وذوى الدّ منهم ياكلون مرتين فى اليوم ويفطرون على محار البحر * والناس كلهم ياكلون ثلث مرات والانكليز اربع مرات * ولكن معاذ الله ان تكون الفرنساوية كلهم كاهل باريس * وآلا فياخسّر ما ضاع الثناء عليهم كما ضاع مآء الورد فى غسل مرحاض * فاما نساء باريس المضروب بادهن وظرافتهن المثل فلعمري انهن بَخْرُ مخجرات (١) واكثرهن لا يستوغلن ولا يتاجمن ولا يعتكرن ولا يشمذن ولا يستنجين ولا يتخذن الفُرام ولا المعابى ولا الفِراص ولا الثمل ولا الجداول ولا المماحي ولا الربذ * وليس لهن من نظافة الا على ما ظهر منهن من نحو قميص ومنديل وجوب * ولذلك تراهن ابدا يكشفن عن سيقانهن وهن ماشيات فى الاسواق صيفا وشتاء * بدعوى رفع اذيالهن عن ان تمس النجاسة فى الارض * فمن تكن منهن سوقاً افتخرت بساقها وبجوربها معا * ومن تكن نقوّاً افتخرت بالثانى * وليس فى نساء الارض كلها اكثر منهن تيبها وعجبا وزهوا واربا وتعنفصا وخداعا ومجآبة وخطرفة وتبغنجاً * سوا كن قباحا او ملاحاً * طوالا او قصارا وهو الغالب فيهن * عجائزا وصبايا * حرائر او بغايا * ذوات لحى وشوارب او نقيبات النخدة * مذكرات الطلعة والسحنة او لا * على انى لم ار فى جميع النساء تذكيراً الا فى نساء باريس وارلندة

غير ان هولاء لسن مزهوات مغانيج كالباريسيات * وانما الذى صيرهن الى ذلك هو شدة شبق الرجال عليهن * وقرمهم اليهن * فترى الفرهد الغسانى محاصرا لسعلاة منهن ومتذلا ومطيعا لها * فلقد اصاب الذين يتزوجون منهم فى بلادنا الجوارى السود تخلصا من اسرهن وسرفهن * وقد رايت عامتهن لطاعات اى يمصصن اصابعهن بعد الاكل ويلحسن ما عليها * فاما ذوات الشرف فانهن يغسلن ايديهن فى فجانة على المائدة بحضرة المدعوين ويتمضمضن بالما ثم يقذفنه فيها * فهل ذلك يعد من الظرافة والادب * اليس فعلهن هذا افطع من التجبى عندنا * وانما يمدح محاسنهن ويهيم بهن من الفت عينه النظر اليهن بعد مدة * وهب ان نساء باريس ظريفات كيات ولكن ما شان هولاء النساء الاى يقدمن من السواد والبراغيل والراذانات والرساتيقي والمذارع والداكر والفلايج * فمنهن من تغطى راسها بمنديل فلا يبين منه الا شعيرات من عند فوديهها * ومنهن من تلبس طرطورا من القماش على راسها * حتى ان اهل باريس لا يتماكون ان يضحكوا حين يرون واحدة من هولاء الباديات * واقبح من ذلك لهجتهن * وفى باريس كثير من النساء يكسسن الطرق ويتعاطين اعمال الرجال * وفى بولون وكالى ودياب وهافر وغيرها من الفرض تجد النساء يحملن اثقال المسافرين على ظهورهن ورؤسهن * وليس فى بلاد الانكليز كلها من حمالات الا لاصحاب الاثقال * وزيتهن كلهن سواء * فكيف يزعم الفرنسيون انهم جميعا متمدون * ولعمري لو كانت النساء فى بلادنا يخرجن فى الاسواق سوافر ويبدين قوامهن وخصورهن وسوقهن كنساء باريس * لما تركن لهن ان يذكرن معهن بالجمال والظرافة اصلا *

الى مصر الى مصر بلاد الحظ والأرب * الى الشام الى الشام معان
الفضل والادب * الى تونس نعم الدار فيها اكرم العرب * كفانى
من الافرنج ما قد لقيته وعندى ان اليوم فى قربهم عام * ألا دعنى
اسافر من بلاد اسقمت بدننى * بماكلها ومشربها وبرد هوائها العفن *
فقال لها الفاريق ان كنت تطيقين السفر فشانك * فقلت لموتى
فى الطريق الى اشهى من التخليد فى دار اللثام * فمن ثم تاهبت
له * غير انه حصل لها فى غد ذلك اليوم من الضعف
والالام ما منعها عن الحركة * وتفصيل

ذلك ياتى فى

الفصل

التالى

*





في سرقة مطرانية ووقائع مختلفة



لما نُكبت نصارى حلب وجرى عليهم من نهب المال وهتك العرض ما جرى * اجتمعت رؤسآؤهم في الدين وارتأوا ان يبعثوا من طرفهم وكلاء الى بلاد الافرنج ليجمعوا لهم من دولها وكنائسها ومن اهلها الخيرين مدداً يقوم باودهم * فاختارت الكنيسة الرومية الارثودكسية الخواجاج فتح الله مراث * واختارت الكنيسة الرومية الملكية المطران اتناسيوس الشتونجي مولف كتاب الحكاكة في الركاكة * ورجلا آخر معه يقال له الخواجاج شكرى عبود * فاقبلوا يجولون في البلاد حتى انتهوا الى مملكة اوستريا فجمعوا منها مبلغا * وكان معهم منشور من مطراني الكنيستين المذكورتين في حلب يوزن بوكالتهم من الطائفتين في هذه المصاححة * فلما فرغوا من بلاد النمسا قدم الخواجاج فتح الله المزبور ورفيقه الخواجاج شكرى عبود الى باريس ومعهما ذلك المنشور * وبقي المطران هناك على عزم ان يجتمع بهما في بلاد الانكليز * وانما لم يقدم معهما الى فرنسا مع انه هو وكيل الكنيسة الملكية وهي على مذهب الكنيسة الفرنساوية * لما انه كان سابقا ارتكب فيها من اساءة الادب

وتعدى طور امثاله ما اوجب حبسه ثم طرده منها مدحورا * فخشى والحالة
هذه ان يشهر امره هذه المرة فيها فيحقيق به سوء عمله * فلما ابرز
رفيقاه منشور الوصاة لمطران باريس والتمسا منه المعونة عجب من
رؤيته اسم المطران التونجى المذكورا فيه دون رؤية سجنه * فقال
لهما ما بال وكيل الكنيسة الملكية لم يحضر معكما * فاعتذرا عن غيابه
باعذار لم يقبلها منهما المشار اليه * وتذكر ما كان فعله التونجى من
قبل فردهما خائبين * وكان الخواجا فتح الله مراش ورفيقه يترددان
على الفارياق مدة مكثهما فى باريس * لكن تردد لاول اكثر * وانما
انس به الفارياق مع علمه بانه رفيق التونجى لكونه رآه من ذوى
المعارف والدراية ما عدا كونه متزوجا وله عيال * وقل من كان على
مثل ذى الحال وانطوى على غش ودخل * لان العلم يطفى العقل
والعيال ترقق القلب * ثم ارتبك المطران فى رُطمة فى بلد من بلاد
اوستريا وهو فيما اظن بولونيا * ففصل منه على نكظ وخزى وسار الى
بلاد الانكليز مجتديا * ويومئذ ارسل الى رفيقيه المذكورين ان يلحقا
به * فما مضت بعد سفرهما ايام قليلة حتى ورد الى الفارياق كتاب
من كاتب اللجنة (اى جمعية اخوية) وفى ضمنه كراسة من كتاب
كان قد عربه الفارياق من كتب العجم وفيها ما يسوء اللجنة * فايقن
حينئذ بان احد رفيقى المطران عند تردهما عليه سرقها من مخدعه
باشارة المطران * وانه لما اجتمع به فى لندن سلمها له فاهداها المطران
الى اللجنة طمعا فى اىصال الضرر من جانبهم الى الفارياق * غير ان
اللجنة المذكورة لما كانت منطوية على اخلاق كريمة ردت الكراسة
على الفارياق * اذ لم يكن لهم بحفظها من مصلحة * وكان ورود

الكراسة يوم عزمت الفارياقية على السفر * فبلغ منها الغيظ والحزن كل مبلغ حتى لزمت الفراش * فاما المطران فانه تصدى له فى لندرة بعض رؤساء الكنيسة الباباوية ومنعوه من تعاطى الحرفة الساسانية * حتى ان شنعتة وشهرته هناك عطلت ايضا على غيره ممن كان يجتديهم لمصاحبة من مصالح الكنيسة * فحسبوا كل قادم اليهم من بلاد الشرق منافقا * اما الفارياقية فانها نقهت بعد ايام وصممت على السفر * فكتب لها زوجها كتاب توصية الى المولى المعظم سامى باشا المفخم فى مدينة القسطنطينية * ثم شيعها وسفر معها اصغرا ولادة تسلية لها * ولما حان الفراق تودعا وتباكيا وتواجدا حتى اذا لم تعد العين تجيبهما بالدمع وهى العسقة والعسقة والتغبيص رجع الى منزله مستوحشا مكتئبا * وسافرت هى الى مرسيلية فزال ما كان بها وشفيت اتم الشفاء * لكنها لم تغير نيتها عن السفر الى اسلامبول * ثقة بان هذا الفراق يكون سببا فى وشك اللقاء * فلما بلغت مقام المولى المشار اليه وادت كتاب التوصية لولده النجيب الحبيب صبحى بيك، اذ كان والده حينئذ غائبا * اكرم مشاها واحسن اليها غاية الاحسان * وهذا مثال آخر على الكرم الشرقى ينبغى ان يبلغ سامع الامراء الغربيين من الافرنج * وفى غضون ذلك نظم الفارياق للمومى اليه قصيدة يمدحه بها على كرمه ومعروفه * ولزوجته ابياتا اودعها ذكر ما لقي من وحشة النوى وستاتى كلها فى الفصل التالى الذى هو خاتمة هذا الكتاب * ثم انتقل من منزله ذاك الى غرفة وجعل دابه فى كل يوم نظم بيتين على بابها * ثم بلغه قدوم السيد الاكرم الامير عبد القادر الى باريس فاهداه ايضا قصيدة وتشرف بمجلسه * ثم عيل صبرة

من الوحدة فاستماله بعض معارفه الى اللعب بهذه الاوراق المزوقة
فصار من زمرة المقامرين * لكن جهله بها كان غير مرة يبعث شريكه
على العربدة عليه * فكان يرضى بان يكون حُرصة فقط * (الحُرصة
امين المقامرين) ثم تعرف برئيس تراجم الدولة وهو الكونت ديكرانج
فاما غيره من التراجمين وشيوخ العلم ومدرسى اللغات الشرقية فلم يطا
لهم عتبة * لانهم نفَسوا عليه بمآثهم وبصِيحهم وبودهم وكلامهم ولقائهم
حتى انهم ابوا ان يطبعوا له قصيدته التى مدح بها

باريس بعد ان وعدوا بذلك *

وما كان خُلْفهم

الآحسدا

ولو ما

*



الفصل العشرون

في نبذة مما نظمه الفاريابي من القصائد والابيات في باريس
على ما سبقت الاشارة اليه



أى فاريابي * قد حان الفراق * فان ذا آخر فصل من كتابي الذى
اودعته من اخبارك ما املنى والقارئى معنى * ولو كنت علمت من قبل
الاخذ فيه بانك تكلفنى ان ابلى عنك جميع اقوالك وافعالك لما ادخلت
راسى فى هذه الربكة * وتجشمت هذه المشقة * فقد كنت اظن ان
صغر جثتك لا يكون موجبا لانشاء تاليف كبير الحجم مثل هذا * واقسم
انك لو تابطته ومشيت به خطى على قدر صفحاته لنبذته وراك وشكوت
منه ومن نفسك ايضا اذ كنت انت السبب فيه * وما تمنعنى صداقتى
لك اذا وقفت على احوالك بعد لان ان اولى عليك كتابا آخر *
ولكن اياك وكثرة الاسفار * والتحرش بالقسيسين والنساء فى الليل والنهار *
فقد مللت من ذكر ذلك جدا * ولقيت منه عنا وجهدا * والان قد
بقى على ان اروى عنك بعض قصائدك وابياتك * ولكن قبل الشروع فيه
ينبغى ان اذكر حكاية حالى * وهى انى لما كنت فى هذه السنة بمدينة
لندرة وشاعت اراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت
قصيدة فى مدح مولانا المعظم * وسلطاننا المفخم * السلطان عبد المجيد
ادام الله نصره * وخلد مجده وفخره * وقدمتها لجناب سفيره المكرم

الامير موسورس * فبعث بها الى جناب فخر الوزراء سيدى رشيد باشا
بلغه الله ما شا * فلم تمض ايام حتى بعث المشار اليه الى الامير السفير
يخبره بانه قدم القصيدة للحضرة السلطانية فى وقت رضى وقبول وقعت
لديها موقعا حسنا * وانه صدر الامر العالى بتوظيفى فى ديوان الترجمة
السلطاني * فكان هذا الخبر عندى اسر ما طرق مسمعى * فينبغى لى
لان ان اتاهب للسفر لاتشرف بهذه الوظيفة * ولكن اعلم ايها القارى
العزيز انه لما كان همى وقصارى مرامى كله انجاز طبع هذا الكتاب قبل سفرى
الى القسطنطينية وكان مكثى فى لندرة موجبا لتاخيره * لان اجزاء المطبوعة
كانت ترسل الى فيها لاصحها آخر مرة قبل الطبع * اشار الى الخواجا رافائيل
كحلا الذى ولى طبع الكتاب بنفقته ان اسافر الى باريس تعجيلا لطبعه
فاجبت الى ذلك * وكان وقتئذ فى مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد
تسفيرها بعد مدة * فالتمست من صاحبي الخواجا نينه الذى قدم مع الخواجا
ميخائيل مخلع فى مصلحة متجربة بان يراقب وقت سفر السفينة
ويخبرنى بذلك لئلا تفوتنى فرصة السفر معها * وكان للخواجا نينه
المذكور بعض حاجات ومآرب فى باريس جُلّها يختص بامراته فوكل
بشراؤها بعض معارفه هناك * حتى اذا اشتراها له اوعز اليه فى ان يسلمها
لى وكتب الى كتابا يقول فيه ان السفينة لا تلبث ان تسافر فالاولى
سرعة رجوعك الى لندرة * فصدقت قوله واقبلت اسعى الى لندرة
وانا موجس من ان تكون السفينة قد سافرت دونى * وتركتم التصليح
على عهدة الخواجا رافائيل الموما اليه * فلما وصلت الى لندرة تبين
لى ان نصح صاحبي لم يكن مقصودا به حاجة بحضورى ولكن احضار
حاجته معى ليتوفر عليه بذلك جعلها ومكسها ولتتزين بها زوجته قبل

انقضاء اوانها * فان السفينة بقيت فى المرسى مدة طويلة لتصلح
آلاتها على علم من ناصحى * فكان قدومى الى لندرة هذه المرة الثانية سببا
فى تاخير الطبع ايضا لاجل لزوم ارسال الصحائف الى لانظرها قبل الطبع
كما سبقت للاشارة اليه * ولولا ذلك لنجز الكتاب سريعا * غير انى
احمد الله تعالى على انه لم يعرض له من الامور النسائية الا ما اوجب
تاخير طبعه فقط دون ابطاله ونسخه بالكلية * فقد طالما اشفتت عليه
من ذلك كما كان الفاريابى يشفق على فساد ترجمته من امثال هذه
العوارض * وهذه القضية مصداق على ما قالته الفاريابية فى الفصل
التاسع من الكتاب الرابع من انه قد يجتمع اثنان فى زواج او شركة
او غير ذلك ويكون قد تقرر فى بال احدهما ان له منة على صاحبه * فتى
وردت على سمعك يا صاحبى نصيحة من احد فانشرطتها واسبر غورها
لتعلم هل الغرض منها نفعل خاصة او نفع ناصحك وحده او نفعكما
معا * ولكن لا تبتدى بنصيحتى هذه فانى لم اقصد بها الا مجرد نفعل
فقط * واعلم يا فاريابى انه قبل تشرف قصائدك وابياتك بادماجها فى هذا
الكتاب يجب على ان اشرفه والقارئ ايضا بالقصيدة المشار اليها وهى

الحق يعملو والصالح يعمر	والزور يحقق والفساد يدمر
والبغى مصرعه ذميم لم يزل	آتيه عرضة كل سوء يشبر
والوعد تبطره من النعم التى	يغنى بها الحر الكريم ويشكر
طغت الطغاة الروس لما غرهم	فى الارض كثر سوادهم وتجبروا
كادوا ويرجع كيدهم فى نحرهم	فطلاهم دون القواضب ينحر
المعتدون ولا نهى تنهائم	الظالمون القاسطون الفجر

نقضوا العهود وكان ذلك دأبهم لؤما وللعُدوان بغيا اضمروا
حتى رأى بعض المآثر رأسهم بخس الحقوق وساء من يستأثر
ايظن ان الدولة العليا السويد وأنه هو بطرس المتأخر
كلّا ليرتدعن ثم ليعلمن أن ربّها من يبتغيها يثار
يامسلمون تثبتوا ان جاءكم نبأ عن الروس العدى وتبصروا
لا يغررنكم كثير جموعهم فالحق ليس يضيّر المستكثر
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا متطوعين اليه حتى تؤجروا
هذا جهاد الله يحمى عرضكم فاسخوا عليه بكلّ علق يُذخر
فى لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ الدليل الاظهر
وتمسكوا بالعروة الوثقى من الصبر الجميل على القتال وذمروا
يغنيكم التكبير والتهليل عن ان تعملوا فيهم سلاحا يبتز
فالقوّمُ بهما كفاحا تظفروا وعليهم صولوا وطولوا وانفروا
واغزوهم بحرا وبرّا واحشدوا ركبا وفرسانا ونسرهم آنسروا
لولم يكن منكم سوى نفر لما غلبوا فكيف بكم وانتم اكثر
من كل فتاك اذا اعترضت له يوما شعوبٌ بل شعوبٌ يدسر
انتم عباد الله حقا فاعبدوا للذين فهو بكم يعزّو ويجبر
واحوا حقيقتكم فحفظ ذماركم فرض عليكم ليس عنه تأخر
غاروا على لاسلام حتى ترفعوا اعلامه فلكم به ان تفخروا
لا تُسمع لاجراس فى اوطانكم بدل النداء ولا ينجس منبر
وليُسمعن اليوم فى ارجائكم قرع القوانس بالطّيبى او تخدروا
فلذاك اشجى من غناء مطرب بمسامع القوم الذين به ضرّوا
لكن يد الله القوية معكم توليكم أيّدا فلن تتقهقروا

ما ان يقاويكم بهم من عسكر
 قد قال فى الذكر المفصل ربكم
 ما الله مخلوق وعده لعباده
 قد كان مولاكم وها هو لم يزل
 ولربما شرعوا الرماح عليكم
 لن يعمل البتار الا ان يشا
 والنار منهم ان يرد اطفائها
 واذا يشا يثب عرشهم فلن
 غاروا على حرم مخدرة لكم
 ايقودهن اليوم على فاجر
 ولن يكن نجسا ورجسا منها
 الصبر محمود ولكن حين تنتهك المحارم لا ارى ان تصبروا
 لا خير فى عيش يقارف ذلة
 شهد الاله بانه مولاكم
 والله قد وعد المجاهد منكم
 ويبوء الشهداء خير مبعوثا
 الحرب بينكم سجال فانبتوا
 فى اهل بدر عبرة لكم الا
 ابلوا ليرضى ربكم عنكم فمن
 كم بين من ياتى القتال تطوعا
 يقتاده ويسوقه مولى له
 لو ان مل الارض طرا عسكر
 حقا علينا نصرهم فتذكروا
 انهم بعصمته اتقوا واستنصروا
 وزرا لكم اتيان كنتم يخفر
 لكن على انفاذها لن يقدر
 الله ما شئ سواه مؤثر
 برد فلا تلظى ولا تتسعر
 يستقدموا عنه ولن يستأخروا
 قد طالما احصن عن يعبر
 وسيوفكم بدمائهم لا تقطر
 ولن يكن نجسا ورجسا منها
 فبخوضها قد حل ان تتطهروا
 حاشاكم ان تفشلوا او تدبروا
 ونصيركم فبحمده فاستظهروا
 فتحا مبينا فى الكتاب فابشروا
 جنات عدن ملكها لا يغبر
 والنصر حقى امركم فاستبشروا
 يا قوم فليتذكر المتذكر
 ابلى فعند اللائميه يعذر
 ومسخر كرها عليه يجبر
 فظ زعيم غاشم متغشمر

ويبيعه لو شاء للنخاس مع ولد له وبزوجه يتسرر
لا عرض يمنعهم ولا كرم لهم يشنهم فى الناس عن ان يفجروا
يتترعون الى الفواش حيث مع اهل المحامد فاتهم ان يذكروا
وكذا الطغام اذا عدتهم مدحة ودوا باية شهرة ان يشهروا
سعدوا ولكن رب سعد ذابح للفائزين به اذا لم يشكروا
ولعل نسرهم المدوم واقع فمن الهلال علاه ضوء يبهر
لن يفلح العائون ما عاشوا ولا العائون ما رعدوا ولن يتيسروا
أو لم يعوا ما جآهم عن طغى من قبلهم بطرا واتى دتموا
ام يعجزون الله اذ يملى لهم عن ان يغار لقومه ان ينصروا
او ان يمدهم بجند لا ترى وبمنشآت مخبر لا تبجر
او ان تخرمهم وهم مرحون فى آمن رخيو البال ريج صرصر
او يرسل الطير لابابيل التى قد اهلكت امثالهم لا كثروا
ما كان عباد البعيم ليغلبوا قوما على آياك نعبد نحشر
من كان يرضى الله خالص سعيه فى الناس فهو بكل خير يجدر
من لم يصنع اذنا لنصح وليه ركب الضلال ولم يفذه المنذر
من ابطرته نعمة المولى عتا عسفا وغشمة يمين ويغدر
من لم تكن تقنيه قسمة رزقه فاذا اشرب الى الزيادة يخسر
من يتكل سفها على جند له دون لاله يحق به ما يحذر
من ظن ان يقوى بقوة باسه وسلاحه وذويه فهو مغرر
من غالب القهار عاد مخيسا مستضعفا وكلا يذل ويقههر
من سره فى يومه كفرانه وافاه فى غده العذاب الاكبر

من كان يوما راغباً في عاجل عن آجل أودى به ما يوثر
 من كان من بين الورى سلطانه عبْدُ المجيْدِ فانه لمظفر
 سلطاننا لاسمى الذى سعدت به ايامنا وزهت فدته لاعصر
 نشر العدالة فى البلاد فكلنا مستأمن فى ظله مستبشر
 ولكل جيل فى ممالكه يدُ منه وآلاءُ نعم وتغمر
 ما ان عداهم عدله وامانه سيان ان هم اعسروا او ايسروا
 انا اذا اتخذ العدى طاغوتهم ربّاً لناتمر الذى هو يامر
 لسنا نروم بغير طاعته الى الرحمن من زلفى ولا تخير
 كلاً ولا فى غير خدمتنا له عرض واخلاص لنا وتبرر
 كفر المايغُ غيره والمعتدى بغيا وطغيانا عليه اكفر
 من ذا يحاكبه على ومناقبا ومن الذى فضلى جلاه ينكر
 لو انه اقترح الوجود تحكما ما زاد فيها غير ما نتظر
 من جوهر الاخلاص صور ذاته رب قدير كيف شأ يصور
 ولاه امر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتأمر
 وهو الذى بين الملوك مقامه لاعلى يكرم هيبته ويوقر
 وهو الذى بين العباد محتب ومعظم ومبجل ومعزّر
 يستدفعون الضر فيهم باسمه وعلى المنابر حده المتكرر
 ان قال لم يستثن مما قاله احد وان يفعل له فهو مخير
 ليس الفرنج مشايعى اعدائه ما هم لهم حزب ولا هم معشر
 اقمى يكون على هدى من ربه كفوى استهواه جبت منكر
 ام من له الخلق الكريم يقاس بالنكد اللئيم جبلة وينظر

أم يستوى فى العرف والإمكان من يهب الجزيل ومن يشع ويصمر
 أيدى أمير المؤمنين ومن دعا أيدى أمير المؤمنين فقد سُرُوا
 سُدَّ بالمعالي فائقا كل الورى مجدا وشانك البغيض لا بتر
 وَسِعَتْ عوارفك العيمة سولنا لأقصى وما بالبال منا يخطر
 حتى لقد كَلَّتْ خواطرننا بما اقترحت وانت منقل لا تضجر
 نطق العبيّ بفرض مدحك مفصحا حتى الجماد يكاد عنه يعتبر
 ولقد أضأ الكون مجدك كله حتى استوى فى ذا العبيّ والبصر
 نظر الطغاة اليك نظرة حاسد فتجروا مضطبا بها وتحسروا
 ان يجلبوا فالله ماحق جيشهم اويمكروا فلمكسر ربك اكبر
 ان المحال من المحال اذا جرى بخلاف طيته وحق مقدر
 ما كان جمعهم سوى كسفى هبت والشمس ليست بالهباء تستر
 ليست فروق لغير عرشك وهى ما بقيت عن الفرقان ليست تغفر
 انت الذى بديح وصفك تنجلي عنا الهموم وافقنا يتعطر
 وتصح احلام الامانى فى غد الآلهى بها والدهر انكد اعسر
 ما ان يفى نظم الآلى مدحة لك باللهى من سحب كفك تنثر
 لم يبق ما بين الورى من ناطق الآ وعن آله فصلك يخبر
 حرس الاله جنابك الاعلى ولا زالت عبادك فى جاه تخفر
 وادام دولتك العلية ما سرى نجم وما زحرت كجودك ابجر
 انشدت تاريخين هجريتين فى ختمى مديحك وهو حظى الاوفر
 عبْدُ المَجِيْدِ الله اَرْكِي ضده سلطاننا خير بجدر ينصر

لثب قسطنطينية

القصيدة الهرقية في مدح باريس

اذى جنة في الارض ام هي باريس
ملائكة سكانها ام فرنسيس
وهل حور عين في منازلها ترى
والآ فكل حين تخطر بلقيس
وهل ذى نجوم ترجم الهم في الدجى
عن البال ان يخطربه ام نباريس
وهل زهرة الدنيا ترى في هواج
تمر كبرق خاطف ام طواويس
نعم انها تخلص النعيم وشاهدى
رياض وحوض دافق وفراديس
ونهر وعلّيون فيها كواعب
على سرر مرفوعة واعاريس
وفاكهة مع لحم طير ونضرة
وراح وريحان ورزح وترغيس
واعمدة تحبو السحاب دونها
كان لها فوق السماكين تاسيس
هنيئاً لمن منها تبواً منزلاً
وطوبى لمن فيها له تاح تعريس
اذا شدة او كربة بك برحت
فحجّ اليها فهى للكرب تنفيس

القصيدة الحرفية في ذمها

اذى عبقر في الارض ام هي باريس
زبانية سكانها ام فرنسيس
وهل ذى نساء في مواحلها ترى
والآ فكل حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهم في الدجى
الى البال ان نبصره ام نباريس
وهل زفرة الدنيا ترى في هواج
تمر كعير ظالع ام مطافيس
نعم انها ماوى الجحيم وشاهدى
شقيون في ساحاتها ومناحيس
وفسق وعلّيون فيها فواجر
على سرر مرصوعة وتناجيس
واكل من الزقوم يخبث طعمه
وشرب من الغسلين يسيقه ابليس
واعمدة تلقى الشياطين عندها
كان لها فوق الحباث تاسيس
شقاء لمن منها تبواً منزلاً
وتعسا لمن فيها له تاح تعريس
اذا شدة او كربة بك برحت
بها فانا عنها فهو للكرب تنفيس

فتونس منها وهى تونس غبطة	وبرز عليها ان يفتك مبرز
فبين المقامين اتحاد وتجنيس	فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تك يوما قانطا من لبانة	وان تك يوما طامعا فى لبانة
فرويتها اطلاب ما منه ميسوس	فرويتها ياس لما هو محدوس
بها ما يقر العين من كل اربة	بها ما يسوء العين من كل اربة
وما تشتهى نفس وما تالف التوس	وما تجتوى نفس وما تكره التوس
وفى ذكر ما فيها تلذذ لذاذة	وفى ذكر ما فيها يسوء اساءة
تطيب بها عن غيرها وهو محسوس	تفوق على ما خفته وهو محسوس
هى المنهل المورد من كل ظامى	هى المنهل المسموم حتى لظامى
وللزاثير بها الخير اجمع مبجوس	وللزاثير بها الشر اجمع مبجوس
هى الامن من جور الخطوب فما على	هى الخوف من كل الخطوب فما على
عرير بها صيم يحاذر او بوس	عرير بها لا المخاطر والبوس
نعم هى من عين الزمان تميمه	نعم هى فى عين الزمان قذى فما
فما امها ذو عسرة وغدا فى سو	اتاها امروا لا ومنها غدا فى سو
فما نعمة فيها تشان بحاسد	فما نعمة فيها خلت عن محسد
ولا صفو لذات يقاينه تسجيس	ولا وطرا لا وقاناه تسجيس
ولا بخس ذى حق من الناس حقه	وتبخس ذا حق من الناس حقه
فياحسن دار حيث لا حق مبخوس	فياقبحها دارا بها الحق مبخوس
فلا دام فيها يستبين لعانب	فلا روح منها يستبين لناصب
سوى هادم اللذات ما دونه طوس	سوى هادم اللذات ما دونه طوس
عليها بهاء الملك والعز والعلی	عليها ظلام الكفر والظلم والخنی
ومنها سنا المجد والفخر مقبوس	ومنها اوار الفسق والفحش مقبوس
الى مثلها ينضى الرشيد مطيد	وعن مثلها ينضى الرشيد مطيد

إذا كان يَلْفَى مثلها وتجي العيس	إذا كان يَلْفَى مثلها وتجي العيس
هو العيش فاغنم طيبه فى سوانها	هو العيش فاغنم طيبه فى ربوعها
فانك فيها ما اقامت لمغروس	فانك فيها ما اقامت لمغروس
وانك منها لست يوما بواجد	وانك منها لست يوما بواجد
بديلا ولو امسى وراك برجيس	بديلا ولو امسى وراك برجيس
وانك فيها ضارب كرة الاسى	وانك فيها ضارب كرة الاسى
بمجن بشر ليس يتلوه تعيس	بمجن بشر ليس يتلوه تعيس
وانك منها مجتن ثمر المنى	وانك منها مجتن ثمر المنى
فان بها اصل الفوائد مغروس	فان بها اصل الفوائد مغروس
اذا رث ثوب العمر منك فان من	اذا رث ثوب العمر منك فان من
قشيب حظاها ريق العيش ملبوس	قشيب حظاها ريق العيش ملبوس
فبت آمنة فيها وقم باكرا الى	فبت آمنة فيها وقم باكرا الى
مرايع لهُو لم تشبه وساريس	مرايع لهُو لم تشبه وساريس
ولا ترغبن عنها الى غيرها تكن	ولا ترغبن عنها الى غيرها تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس	كمن شاقه بعد السعادة انكيس
فدهرك فيها ما اقامت مسالم	فدهرك فيها ما اقامت مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس	وقدرك مرفوع وشملك محروس
فأثر بها ليلا على عام غيرها	فأثر بها ليلا على عام غيرها
على فرض ان الليل اذاك ادموس	على فرض ان الليل اذاك ادموس
ولاغرو ان تزداد فى العمر حقبة	ولاغرو ان تزداد فى العمر حقبة
ففى الصفر للفرد العقيم تخاميس	ففى الصفر للفرد العقيم تخاميس
لقد كنت اخشى الحين فى غير منشأى	لقد كنت اخشى الحين فى غير منشأى
فياشقتوتى فيها اذا انا مرموس	فقدنى بها بشرى اذا انا مرموس

وقد طالما عللت نفسي برغدها
فبت ولى احلام خير وتغليس
فالفيتها يربو على الوصف حسنها
فما ثم اشباه لها ومقاييس
وفيها من الغر الكرام اعزة
بحاجح صرايون يوم الوغى شوس
لقد فطروا طبعاً على الود والوفا
جميعاً فما يعرفهما عوض نلبس
لئن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسماً ظلّه وهو مدعوس
لهم فى بحور الشك خوض وطالما
تغشتهم منه ضللاً قواميس
فكم فيهم من مدّع صلف له
لتطريس آثار المعارف تطليس
اذا ما انجلت آفاق امر فانه
ليخفيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذى استقامة
تدال قوام الدهر اذ هو منكوس
يحاول لوّماً ان يميل به فلا
تعدّل فى كلنا يديه قساطيس
وربّ خطيب لفظه فوق منبر
يسوء ولو بلّغته وهو معكوس
يشقّ خفى الغيب عما يتوله

وقد طالما عللت نفسي برغدها
فبت ولى احلام خير وتغليس
فالفيتها يربو على الوصف حسنها
فما ثم اشباه لها ومقاييس
وفيها من الغر الكرام اعزة
بحاجح صرايون يوم الوغى شوس
لقد فطروا طبعاً على الود والوفا
جميعاً فما يعرفهما عوض نلبس
لئن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسماً ظلّه وهو مدعوس
لهم فى سماء العلم شمس براءة
وفى الادب الطامى العباب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له
لتطليس آثار المعارف تطريس
اذا اغطشت آفاق امر فانما
يجليه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذى استقامة
تقيم قوام الدهر اذ هو منكوس
وتمسكه ان لا يجور كانما
تعدّل فى كلنا يديه قساطيس
وربّ خطيب لفظه فوق منبر
يبين ولو بلّغته وهو معكوس
يشقّ خفى الغيب عما يتوله

فيبصرة من طرفه بعد مطموس	فيبصرة من طرفه بعد مطموس
وكم فيهم من خير صالح له	وكم فيهم من خير صالح له
انا الليل تسبيح طويل وتقديس	انا الليل تسبيح طويل وتقديس
وكم فاتهم وما بارح الحمى	وكم فاتهم وما بارح الحمى
كتائبه اقلامه والقرطيس	كتائبه اقلامه والقرطيس
وكم بينهم من ليث حرب اذا سطا	وكم بينهم من ليث حرب اذا سطا
جرى له فيها احتناك وتضريس	جرى له فيها احتناك وتضريس
حمام اذا زيروا حياة اذا اجتدوا	حمام اذا هيجوا حياة اذا اتقوا
اسود اذا لاسوا جبابرة هيس	اسود اذا سالوا جبابرة هيس
اذا سالوا لانوا وان سلوا قسوا	اذا سمحوا لانوا وان حسوا قسوا
ويربون شحا ان بغيرهم قيسوا	ويربون فضلا ان بغيرهم قيسوا
اولو جشع من دونه جشع الورى	اولو همة دانت لها هم الورى
وعيتهم فى ذاك كالدهر قدموس	وفخرهم فى ذاك كالدهر قدموس
بشاشتهم للضيف فى زعمهم قرى	بشاشتهم للضيف خير من القرى
وفى وعدهم مئن ومطل وتبئيس	وما لقراهم لو تاخر تبئيس
واكرامهم مئوى الغريب سجية	واكرامهم مئوى الغريب سجية
اذا كان ذا زوج وبالزوج تانيس	فيغدو وقد اقناه اهل وتانيس
هجاؤهم يشدو به كل رائج	مديحهم يشدو به كل رائج
وغاد ويرويه رئيس ومرووس	وغاد ويرويه رئيس ومرووس
لقد جهلوا هذا اللسان واهله	لقد اكرموا هذا اللسان واهله
فما زال يخفى عنهم وهو مدروس	فما زال يحطى عندهم وهو مدروس
وقد لفقوا فيه اساطير جمة	وقد آلفوا فيه تأليف جمة
وشطت لهم فيه شيوخ وتدريس	وجلّت لهم فيه شيوخ وتدريس
يعزّ الفتى بالعلم عند سواهم	يعزّ الفتى بالمال عند سواهم

وعندهم تغنيك عند الكرايس
 فقل للمباريهم تحذوا لغيرهم
 فان مجارة المجلين تهويس
 شعارهم حرية وأخوة
 وتسوية كل بذلك ناموس
 فلا فرق بين الدون والدون في القضا
 وأريسهم في اليسر والرفه آريس
 ترى كل فرد منهم كيسا له
 مشاركة في العلم والفضل ما كيسوا
 وان لهم من سيمياء وجوههم
 دلائل ان الخير منهم مانوس
 وان لهم رزقا كريما رضوا به
 فما هم مسقى مارب فيه تدنيس
 فتحسب كلا حل صرحا ممردا
 تحيته فيه سلام وتقليس
 فما نظرت عيناى فيهم صاغرا
 ولا من عن الخيرات والرشد مرجوس
 ارانى سعيدا محبرا فى جوارهم
 ومن لم يزر هذا الحمى فهو منحوس
 عفوت عن الايام سالف ذنبها
 فقد شفعت فيها وفي الناس باريس
 وقد كنت فى مدحى لها قبل مخطئا
 فهذا له كفارة وهو مركوس

وعندهم تغنيك عند الكرايس
 فقل للمباريهم تحذوا لغيرهم
 فان مجارة المجلين تهويس
 شعارهم حرية وأخوة
 وتسوية كل بذلك ناموس
 فلا فرق بين الدون والدون في القضا
 وأريسهم في اليسر والرفه آريس
 ترى كل فرد منهم كيسا له
 مشاركة في العلم والفضل ما كيسوا
 وان لهم من سيمياء وجوههم
 دلائل ان الخير منهم مانوس
 وان لهم رزقا كريما رضوا به
 فما هم مسقى مارب فيه تدنيس
 فتحسب كلا حل صرحا ممردا
 تحيته فيه سلام وتقليس
 فما نظرت عيناى فيهم صاغرا
 ولا من عن الخيرات والرشد مرجوس
 ارانى سعيدا محبرا فى جوارهم
 ومن لم يزر هذا الحمى فهو منحوس
 عفوت عن الايام سالف ذنبها
 فقد شفعت فيها وفي الناس باريس

التصيدة التى امتدح بها الجناب المكرم الامير عبد القادر بن محيى الدين
المشهور بالعلم والجهاد

ما دام شخصك غائبا عن ناظرى ليس السرور بخاطر فى خاطرى
يامن على قرب المزار وبعده حتى له والشوق ملء سرائرى
ان كنت لى يوما فديتك وافيا ما ضررتنى ان كان غيرك غادرى
فاذا رصيت فكل سخط هين واذا وصلت فلم ابال بهاجر
واذا بقربك كنت يوما ناعى لم اخش شيا بعد ذلك ضائرى
يافاننى بدلاله وشماله وكماله وجماله ذا الزاهر
عقلى سلبت ومهجتى فاردتهما لاجيد مدح شمائل لك باهرى
وليعلم العذال انى صادق فى وصف حسن حلاك وصفة شاعر
يامحرقى شوقا بغاتر جفنه ارايت قبلى مُحرقا بالغاتر
يابدر تم لاع قلبى حبسه ياشمس حسن قد تملك سائرى
ياطبى انس شاق عينى شكله لكن له طبع الغزال النافر
هلا رثيت لحالتى ورفقت بى ووعدتنى عدة ولو فى الظاهر
كلم الحشا منى وعيدك قسوة قبل الفراق بان تكون معاسرى
وفطرت قلبى بالجفا عمدا فلا عجب اذا ما قلت انك فاطرى
افهكذا فعل الحبيب بحبه ام صرت بعدى عاذلى لا عاذرى
لو كنت تدري ما لقيت من النوى لرحمتنى وودت انك زائرى
مذغبت عنك ارتد عن طرفى الكرى من بعد ما هدى ارتداد الكافر
وازداد سقمى واستشيرت لوعتى وبدا بحبك ما تكن ضائرى

انى وحق هواك غاية مطلبى وسنا محيتاك الصبيح الناصر
من يوم نُحِتَ لناطرى ما لاقنى شئٌ ولم يملأ جمال ناظرى
ما كان حسن سواك يوما شائقى كلا ولا لحظ لغيرك ساحرى
أهوى لاجلك من حكاك بشكلك لا شكلك اذ ذاك دون النادر
كيف اصطبارى اليوم والاجل انقضى وابيت ارضأى بطيف زائر
وبمهجتي أنى اراه ساعة قبل الممات معانقى ومسامرى
هَبَّه ابنى فلقد يرانى ساهرا والطيف ليس براقد مع ساهر
انسيت عهدى حيث ملت مع الهوى ولقد عهدتك ما ذكرتكَ ذاكرى
اما انا فكما علمت على النوى والقرب صبّ فيك غير مغاير
شيان لست اطيق صبرا عنهما ذكرى هواك ومدح عبد القادر
هو ذلك الشهم الذى شهدت له كل البرية بالفعال الفاخر
ومناقب محمودة وشمائل مرضية ومحامد ومآثر
هو ذلك المولى الممدّح سعيه عند الاله وعند كل مفاخر
هو ذلك الفرد الذى افعاله أمدوحة البادى وفخر الحاضر
وهو المهيّب لدى الملوك نزاهة والنازح الصيت الكريم الطاهر
من معشر العرب العريق نجارهم اهل المكارم كابرا عن كابر
العاملين بمحكم التنزيل فى التحريم والتحليل حزب الحاشر
الناشرين اذا دَعُوا واذا دَعُوا ياللبراز فتحرهم للناصر
المؤثرين على خصاصتهم وقد نظروا الى الدنيا كشى غابر
ولرب قوم يحسبون خلاقهم فيها وغابر لهوها كالغابر
ولديهم ردّ التحية منسة كبرى بها احياء عظم ناخر
يُحْيى الليالى بالدعاء تهجدا فيميت فى لاعداء اى جماهر

ويروع افئدة الرجال لقاءه حتى يخوروا عن نداء الناصر
 في قلب كل محتك من رعبه ما عنه يحجم كل ليث زائر
 وبكل حرف من بليغ كلامه حرف يفلمهم كحرف الباتر
 الفضل شيمته وسيمته التقى لله واسترباح اجر الصابر
 يولى الندى قبل السؤال وبشرة للزائريه مودن ببشائسر
 يغنيهم عن ان يمتوا عنده بضرورة وحثهم وأواصر
 جهد الزمان غلاوة فكبا ولم يبرح لديه وفيه سورة آفر
 ولقد يكون النسر يوماً واقعا ويعود بعد الى مطير الطائر
 فالله ينصر من يغار لدينه والله يخذل كل عات فاجر
 والله عزّ يداول الايام ما بين العباد لسابق ولقاصر
 سكن الامير وطار في الدنيا اسمه ورؤى المعالى عنه كل معاصر
 فالعجم بين موقر ومبجل والعرب بين مفاخر ومنافر
 ياناصر الدين العزيز وحزبه ياخير صبار واعظم شاكر
 ياخير ناه عن تعاطي منكر وبخطة المعروف افضل آمر
 لا تخش من بأس فربك قاهر بدعائك الميمون جيش الجائر
 كن كيف شئت فان اجرك ثابت في اللوح وهو اجل ذخر الذاخر
 لك حيث شئت عناية صمدية ترعى حماك ونصر رب قادر
 فاذا مدنت فانت اعظم خادر واذا طعنت فانت اكرم سافر

القصيدة التي امتدح بها الجناب المكرم النقيب الحبيب صبحي بيك
في اسلامبول

ارى الدهر صافاني ومال الى الصلح ومن بعد جرمانى اتانى بالنجح
واصغى الى الجدة حين دعوته ولاحت تباشير المنى لي من صبحي
اتانى على الابحار والبر برة باسرع من شكوى احتياجي الى سميع
فلم تلك الآ دعوة فاجابني اجابة صنو وهو لي سيد لبح
ولو لم يجزني من زمانى بفضل له لاصبحت فى بؤس وامسيت فى برح
وجئت باشجاء التمنى فان لي لجرجا مبضا دونه ألم الجرح
فلى فى نهارى جهد سبح وحرقة وفى ليلتى حبس وحرف عن السبح
اذا كنت لا اشكو اليه فمن عسى يكون اليه مشكى الضر والترح
ومن ذا الذى تلقاه فى الناس مسجحا سواه اذا اضطر المصيم الى السجح
خلائق لا يوفى الثناء بوصفها ولو كنت حسان البلاغة والفصح
اغار على اوصافه الغرائها تشاركها اوصاف آخر فى المدح
هدانى له جدى وقد كنت غاويا مع الشعراء البائرين ذوى الكسح
وكان زمانى مازحا فمزحته وكان زمانى مازحا فمزحته
فصار لشعرى رونق وطلاوة فلما تعايطى الجد ملت عن المزح
وقد كان فى سوق الاعاجم كاسدا وحق له الاملاء فى ملافصح
فكم بث أنضى خاطرى لمديحهم مقالى واطراى عليهم بلا ربح
ولم يغن عني ما مدحتهم به فقمتم وبى رنح واعيت كالطلح
ولم ينقدوا كفارة الكذب الذى فتيلأ وما ازدادوا سوى البخل والشح
ولو اننى راسين عصرى فيهم على باعلى اللوح ما هو بالمحى
اعظم شعراء الفرنساوية وملطن ما استسقيت منهم سوى الشح
اعظم شعراء الانكليز

فها انا ذو ربح ولست بمفتسر ثناء واطراء وكنت بذا ألحى
 فحل يا زمانى بين فوزى ومطلبى ان أسطعت واستعد الخطوب على فدحى
 فلى باسمه استفتاح كل قضية ويمناه اقليد السعادة والفتح
 ألا فلنزرني اليوم من كان مزرياً بشانى يجد كوخى اعز من الصرح
 علا بمعاليه مقامى ورتبتي وصرت الى اقصى الامانى ذا طمح
 اذا ابصرت عيناى من هو مخفق كدأبى من قبل انتحلت له نصحى
 وقلت له ابشر بما انت طالب فمن يدع يوما باسمه فاز بالسبح
 هو الماجد النأى مدى الدهر صيته قريب من الداعى على القرب والنزج
 فليس على بعد يوخر رفده وليس على قرب يمل من المنح
 هو الحازم التحرير طلاع أنجعد كريم نزيه النفس ذو خلق سجع
 سليل اجل الخلق سامى الذرى الذى مناقبه الغراء تغنى عن الشرح
 اميرى ومولاى الكريم وسيدى ومن هو بعد الله لى سند الركح
 تظنيت فيك الخير والفصل كله فحقت ظنتى فهو دونى فى صبح
 اتانى وعدك أنك منزلى لديك كما انزلت اهلى فى ندح
 ولا ريب عندى ان وعدك منجز وانى لا احتاج معه الى فسح
 فهآك منى المدح خدمة مخلص فجد بالرضى عنه فديتك والصفح
 ودم كهف عز للذليل ومجا لقاصده ما انجاب ليل من الصبح

شبه الجواز يقال
 فسح له الامير فى
 السفر كتب له الفسح

وكتب الى الفاضل اللبيب الخورى غبرائيل جباره ارسلها اليه من
باريس الى مرسيلية وهو اول شعر مدح به قسيسا

قَفَّ بالطلول ان استطعت قليلا واسال عن الركب المغدّ رجلا
ساروا وابقوا وحشة لك دونها غصص المنون وحسرة ونحولا
طللّ عهدت به الخلاعة والصبي وشربت فيه سلسلا مشمولا
وجررت اذيا الى وتهت على المنى واقتدت منها ما استعزّ ذليلا
وخلعت من نعم ولذات على اهل الهوى ما كنت منه ملولا
واحسرتاه متى يعود العيش فى عرصاته والذّ فيه مقيلا
لم يبق الا ذكر افراحي به ومضى كاس نعيمه مبتولا
ان غيّرت آثارة الايام او ان عطلت اعلامه تعطّيلا
فبخاطرى تذكّاره متجدّد ولقد يظلّ بانسهم مأهولا
من بعض حسّادى عليه الريح قد حامت لديه بكرة واصيلا
تبدى الحنين به وأنّة ئاكل فازيد فيه زفرة وعويلا
تسفى تراب فنائه وكانما تهفو به لتحله لاكلّيلا
عجبا وقد بلّته منى عبّرة أن صار فوق عنانها محمولا
ام قد درت نكب الرياح بانه أوّل بان يثوى السّمّ مقيلا
ام مثل عيني اعين الجوزاء قد رمدت فتستشفى به تكحّيلا
ما كدت ادري رسمه لولا شذا عرّف اليه كان منه دليلا
نوى الحبايب للمحبّ اعزّ من صرح لديه لا يصيب خليلا
وسويعة مع من تحبّ اجلّ من دهر به تلقى اخاك عدولا

قلبى السُّمْدَلِ يصطلى نار الهوى وسلوة العنقا عروصولا
 لله كم منه يعذب عاشق ولكم به يمسى البرى قتيلا
 لو رقى من عشق كلام رتل القراء قولى فى الدجى ترتيلا
 اولوتداوى الناس منه بالبكا لشفيت كل شج بيت عليلا
 حاولت قلب القلب عن علل الهوى فاجاب انك قد ضللت سبيلا
 منى ابتداء الشوق كان وختمه بى لست عن دابى احول خوولا
 قد قاننى المولى عليه كما على حب المكارم قان غبرائىلا
 هو ذلك الحبر المهذب خلقه وعليه يبدو خلقه دليلا
 الطيب الاصل الكريم الفعل لن تلقاه الا مرشدا ومنيلا
 يهب الجزيل وعنده كالجزل ما يحجوه جزلا غيره منغولا
 المرتدى ثوب العفاف مطرزا بتقى يقى التحريم والتحليلا
 طلق المحيا واللسان طلاقة تدع لاسى من قيده محلوللا
 يستدرك الاشكال فصل خطابه وبعلمه يستخرج الجهولا
 فلكل ريب قضية ما زال مسئولا وللراجى ندى مامولا
 صافى السريرة حيث آى وفائه لن تقبل التحريف والتبديلا
 ما ان يزال اذا دنا واذا نأى برا نصوحا واصلا مسئولا
 كانت مشورته هدى وسعادة للمستشير ونصحه منغولا
 ودعاؤه فى الضر اعظم عاصم لك فاطمئن به وكن بكفولا
 ليس المنيخ ببابه قنطا ولا من يستغيث بجاهه مخذولا
 مولى تحرى الزهد فى الدنيا وقد دانت له لو شأها تبتيلا
 فنجارة ما زال ملجأ لاجئ يلقي لامانى عنده والسولا
 جبر الخواطر من جبارة يرتجى وبفرعه كل الفخار انيلا

سمح الزمان بقربه لى سَبَّةُ ما كان احلاها وعاد بخيلا
 حتى ارى قَصْرَ الايادى بعده ومن آستطال بفصله مفضولا
 ولقد علمت اوان كان الطرف مة صورا عليه ذلك التاويلا
 مارست دهرى واختبرت صروفه فاذا به لا يستفيق غفولا
 هَلَّا اثنانى سائلا من قبل ان يقضى الفراق وكان فيه عجولا
 هل من ميارٍ ان شخصا واحدا يحوى الفضائل كلها تكميلا
 ام منكر ان ليس يُذكر سيدٌ مع ذكره الا وكان ضئيلا
 ولنن اُفص فى ذكر الآء له فاضت على املٍ عنه طويلا
 ادب واحسان وبشر دائم وسماحة تستغرق التمثيلا
 ما كنت فى مدحى له بمبالغ ما قلت الا بعض ما قد قيلا
 ولو استطعت لكنت انظم كل درى له مدحا او التنزيلا
 من حاول الاسهاب فيه فانما هو موقد وقت الضحى قنديلا
 بشرى لمن يحظى بقرب جنابه ولمن يقبل ذياه تقبيلا
 ولمن له يهدى التحية والشنا والحمد والتعظيم والتبجيلا

القصيدة القمارية

جمعتنا الشيوخ ما بين اص وكول وفرسخ هو شقصى
 فى مقام جيرانه لا يبيحو ن هُتاف المغلوب او بعض نبص
 بعضنا شاطر وآخر غتر خصمى اثنين غابن ثم لص

لم اقم قط غالباً غير ليل بات فيه للأص ظفري كُشِصَ
 ظل سعدى يقوى على النحس حتى خلتنى فى القمار شيخ ابن بعض
 وشريكى له نشاط الى قنص ملوك يدينها اى قنص
 فانثنى ساحر المزوق حيرا ن عليه تاليفه متعضى
 وبه من سماته ما يحاكي بعضه خاتما وبعض كقص
 بلغ اللعب منه ما يبلغ الجِدَّ والهياه عن مداراة خلص
 فغدا بالكلام يقرص والاصبع من جاد رميه كل قرص
 لم يبت ليله واصبح يشكو من دوار امضه مع مغص
 جاره ذو الزلات وهو انا لم يبد منه فى الرمي خطة نقص
 بعد ست واربعين ولم يبلغه عن بنده احتجاج بنص
 ما عليه ان كان يغلب او يُغلب او لزه الشريك بشرص
 فكرة فى اختلاق اكدوبة عن ذى علاء ما ان يجود بحص
 يسهر الليل مطرنا فاذا ما اصبح الصبح خار من فرط خمص
 لواطاق المسير من هذه الارض لما حل غير بلدة حمص
 ربما ينفع التغفل يوما ويضتر الانسان زائد حرص
 ليس يدري ما اللعب الا بشعر عنه ما عاش ليس بالمتفصى
 وبشعر من شاربيه اذا حا ول شعرا ينحى عليها بنمص
 واذا سامه امرو سهر الليل اتاها من غيظه بالمقص
 لم يدعها تطول حتى تحاكي نصة الخود ذات صفرو عقص
 عن قريب يخضب البيض منها بمداد او زعفران وحص
 ليس ينفلك ذا ملال وشكوى وعلى كل نعمة ذا غمص
 وشريك له تربع فى الدست كشيخ مسائل العلم يُحصى

او كمن ينقد الدراهم للسلطان من شأنه تمام التقصى
 ان يجذ هفوة يصح ويولول ويقم للجدال قيم فحص
 يبذل لاص بذله المال لكن ثم فرق فى بذل هذين اصى
 حيث فى الاول اضطراراً وفى الثا نى اختياراً لغير كسب ورئص
 اخذ العلم عن شيوخ مشاهير ذوى حكمة ومحص ولحص
 لا كبعض الغواة خريج بضا قين كل اعتمالهم عن خرص
 ليس يدري سوى الخديعة والمكر وما يجمل الخداع بشخص
 يفرز الغالبات فى اللعب لكن يتعاطى جدّ لأمور بخص
 ليس فى حارة اليهود سواء من يجيز الحرام والحق يعصى
 قد حكام فى اكله ذات ظلف فوق ساق وفى الدهاء الاخص
 ان يكن غالباً تجده طروباً صاحكا ذا غمز وقرص ورقص
 واذا فاز خصمه ودّ لو كل خبير سواء باللعب مخصى
 ولذات الثلث يعطو بكتنا راحتيه ولثمانى بقبص
 فاغرا فاه كالذى لاح ماء ثم لم يرو منه غلاً بمص
 ما لعمري دهاوك اليوم منج لك ان كدت شيخنا او محصى
 قد حباك المزوقات ولكن ليس يعفك من نكال منص
 ان بعض العطاء حلو شهى ثم من دونه مرارة عقص
 يالها زمره قمارية ما عابها جهذ ولا حبر قص
 غير كون اجتماعها خارجا عن غرتى فالحرام فيها بققص
 شكلها شكل بيضة ولهذا فالمعاصى من جوفها ذات فقص
 من بناها اوصى بهذا وشانى كل حين امضاء عهد الموصى

الغرفيات

انا الولي على كل المفاليس وضرفتي ذى مزار للمناحيس
 ياتى بهم زحل القواد سدتها وثم تصرعهم ريح الكرايس
 لا يدخلن مقامى ذو حجبى ابدا فانما هو منتاب المافيك ومنها
 يلفون فيه اكاذيب المديح على زمارة او على نذل من النوك
 ياطالعا درجات قدرها مئة الى ماذا ترجى بعد ذا الدرج ومنها
 ان كنت من حركات طالبا فرجا فانى بسكون طالب الفرج
 ما زارنى الا خليع ماجن فدع الحياء اذا حضرت حصيرى ومنها
 ان الحياء اخو النفاق وما صفت دون المجون سريرة لعشير
 يازائرى راسك آحفظ من ضرب زيد وعمرو ومنها
 فما بكسرى هذا يصاب جابر كسر
 ايها الزائرى لفائدة لا ترم المستحيل ما ذاك عندى ومنها
 راح علمى فى طلب الجد والجدة شرود فضاع علمى وجدى
 للناس نار بلا دخان ولى دخان بغير نار ومنها
 فها انا اليوم منه قار ضيفى وفيه ابيت قارى
 ان للصالحين معجزة ان يجعلوا ان شاؤا الضرير بصيرا
 عكس ذا اليوم معجزات دخانى انه يجعل البصير ضريرا
 تجود على زوارى ولكسن اكافهم بؤاء وهو شانى
 ثقّل نعالهم لى ترب كحل فاكلهم بشي من دخانى ومنها

- ومنها نَعَمْ لى غُرْفَة عَلَيَا وَلَكِنْ باسفل سافلين هبوط نجمى
فكيف اطيع اصعد مرتقاها واحمل حمل اشجاني وهمى
ومنها من يكن مثلى رفيع الدرجات فهو اولى بمفاعيل السَّراة
من معاطاة فضول الشعر فى فاعلات فاعلات فاعلات
ومنها كل زَوَارى ذكور ليس فيهم من اناث
افما فى الكون من انثى ولا جنس الخناث
ومنها قُصِرَتْ عن الورى وامنت منهم سَبَّة غُدْرَا
فلا عجب اذا ما قلت صارت غُرْفَتى قصرا
ومنها اذا زارنى مُلَوّ نظيرى امنته وان يك ذو جَدِّ حذرتُ محاله
فانى اَدْرِى بالمناحيس كلهم وما فيهم من اجهل اليوم حاله
ومنها من اَوَى الى بيت مثل بيتى الحرج
صاق صدره سدما وانزوى مع الهمج
ومنها ولى داخل البيت جثة قَطَّ وخارجه صيت فيل عظيم
وقد كنت احسب ان بالعظام تكون العظام واهل العلوم
ومنها تعالوا وافقهوا عنى ثلثا تعلمكم مراعاة النظر
خَلَقْنى ثم جسمى ثم بيتى صغير فى صغير فى صغير
ومنها امسى بيتى قبرا حرجا لكن زوارى احياء
مع انى لست ارى فيهم حيا لى منه احياء
ومنها اذا عصفت ربيع ونارت زوابع وهتت رعود والغيوم مواطر
ومادت زوايا غُرْفَتى وتزلزلت علمت بان عندى يشرف زائر
ومنها ارفعوا لى حاجاتكم فانا اليو م رفيع المقام والدرجات
ان يكن مُفْلِسُون فليستعيروا مُدَّتِي لانتحارهم او دواتى

- ومنها يقولون انى لصنك وجارى قد ركَ شعرى وصار رَكِيَا
 واجدرُ بشى اذا ما تبعث من ضيق ان يكون قوتَا
- ومنها مُقامى بذى الغره لحرمان ذى الجِره
 فمن زارنى فيها فلا يرجوْ نُتْرِفه
- ومنها اصبحت فى غرتى رهن الهموم فما
 ارى لكل امرئ انشى تَوَانسه
- ومنها الا لا يطمعن احد لكونى صاحب الغره
 بان لَدَى مادبَةً له من فيضها غره
- ومنها حق المَزور على الزوار انهم يُوْتَمِنون له فى الصدق والكذب
 وما عليه لهم حق ولو جلبوا اليه من سبأ وسقا من الذهب
- ومنها ولى حرفتان فلا احذر البطالة عندى ان ترسخا
 اصوغ القوافى فى ليلتى وفى الصبح استقبل المطبخا
- ومنها طبخ المحاشى رائج فى عصرنا لكنما طبخ القوافى كاسد
 من اجل ذلك صرت طباحا فما انا شاعر فالشعر شى فاسد
- ومنها حوت غرتى كتبى ورزقى كله فبرئطتى فيها عزاء وسلوان
 اذا غبت عنها خلتنى افقر الورى وان جئتُها اُوْهمت انى سلطان
- ومنها يفوح من حجرتى عَرَفَ الشوآ على عرف القريض ومعه عرف مَيَّان
 فمن يكن جانعا ينعشه اولها ومن يكن كاذبا ينعش من الثانى
- ومنها ارى فى الحلم انى ساقط من مهدَّم طاقتى فى مثل غار
 فاصبح فى الفراش ولا قوَى لى فلسـت الى المعبر ذا اضطرار
- ومنها بينى وبين دخانى أُلْفَة ثبتت ان نمت نام والا فهو لم ينم
 وان يزرنى امرؤ غطى على بصرى اذ عنده رؤيه الزوار كالسقم

ومنها لى غرفة ملأى من الكذب الذى انفقته فى مدح كل بخيل
لم يبق فيها من محلّ فارغ للزائرى ولا مقيل خليل
ومنها قالوا نزورك حيث كنت خليلنا فاجبتهم لا ريب فيه زور
قد متّص العرفان من اخلاقكم وخلاقكم فلکم هذا التعزير
ومنها اقول لزائرى قفوا قليلا الى ان البس الثوب القشيبا
فانى فى الخليع ارى خليعا وفى لبس القشيب اُرى اديبا
ومنها لبابى صرّيف حين يفتح هائل يقول لزوّارى دعونى مغلقا
فهذه عدوى كفكم فى قد سرت ولم يُعَدِّكم داب افتتاحى مطلقا
ومنها كانت مقاما للكواعب غرقتى والان صارت معدن التشيب
ما زال فيها من عبير العشق ما هاج المحبّ الى عناق حبيب
ومنها يرانى الناس فى كرج حقير فيحتقرون منزلتى احتقارا
فهل ياقوم عندكم المعالى علوّ مباءة تحوى حمّارا
ومنها من زارنى وراى مكانى ضيقا فلبّره صدرى يكون رحيبا
اهلا به للنار والاصلاء مع كسف الدخان ونعم ذاك نصيبا
ومنها طوّقت بابى بابيات منمّقة لما بدا عطّلا من خير زوّارى
فصار كنز علوم غير ذى رصد تنقير اطفاره فى نقر اطفار
ومنها الا ياداخلين الى مهلا لاسالكم سؤالا عن مزارى
العجبكم له شكل فجثتم لتبنوا مثله دار القمار
ومنها نعم المهندس من بنى كوخى باشكال وهندس
هو كالمثلث والمربّع والخمس والمسدس
ومنها من جآنى تعباً وابصر سدّتى نسى الذى قاساه من اعتابه
فالناس تعرف من تزور اذا هم نظروا ولو لمحا الى اعتابه

- ومنها لا يطلعن الى اليوم مشنوم فطالعى بضروب الشنوم موسوم
ومن يكن واحدا مثلى فليس له لطالعين احتياج قاله اليوم
- ومنها يحسدنى الناس على غرفتى لشبهها اعينهم ضيقا
مع انها تحوى جهازا له طول وعرض بلغا الشيقا
- ومنها قروء المصر بيتا ثم بيتا فلم ار مثل مجلسى الشريف
يرد الشمس ان تدخله كبرا لرؤيته لها فوق الكنيف
- ومنها ولى فى غرفتى ادوات طبخ على مقدار اسنانى جميعا
وان يكسر من الادوات شى اصاب الكسر اسنانى سريعا
- ومنها ليس بالرفس فتح بابى ولا بالقرع فاعلم لكن بنقر خفيف
فهو من جوهر الزجاج لطيف لا يسنى الا لكل لطيف
- ومنها مقامى اول فى القدر لكن اتى فى الصف عن خطأ اخيرا
فلا تلووا على شى سواه اذا جئتم اليه ولو كبيرا
- ومنها اذا صعدت فى درجات كوخى وجاوزت الاخيرة وهى اعسر
يخيل لى بانى طالع كى اوذن صارخا الله اكبر
- ومنها لا يرانى الناس فى غرفتى لا ارى من غرفتى الناسا
ربنا يعلم من لذ من بيننا البين ومن قاسى
- ومنها سموا على منزلى قبل الدخول ولا تستعجلوا بعد فتح الباب واحتشموا
فانه حرم ذو حرمة ولسن لم يلق لى حرمة فيه ولا حرم
- ومنها ان قلت سموا على مقامى فلست اعنى سما يميته
وانما القصد ان تقولوا تبارك الله عز صيته
- ومنها لا تنظرن ملاوصا يازانرى من نقب مفتاحى الى اعراضى
كالعرض لى عرضى ومن ينظر الى الاعراض لم يامن من الاعراض

ومنها بشرى لمن ينظر المفتاح فى بابى دليل انى موجود بانوابى
 او لا فانى فى فرشى اغطط او انى خرجت وامن الله اشعى بى
 ومنها انا ساكن فى غرفتى متحرك لزلزل العجلات تجرى تحتها
 لكن بحمد الله ليس بواطى من فوق راسى من يحاول نحتها
 ومنها الى الله اشكو ما ارى تحت طاقتى امورا غدا تكليفها فوق طاقتى
 ارى كل يوم الف ماش مخاصرا لاننى على انى مخاصر فاقتى
 ومنها لى غرفة ما شانها شى سوى ان ليس تجرى تحتها لانهار
 وغنيت عن هذا بما يجرى من العجلات تحسد من بها الاقمار
 ومنها عجبت لكم يا قوم مع ضعف دينكم وشدة برد كيف لم تعبدوا النارا
 كانى بكم تلهون عنها بحر من تذيبكم فى حبها النار والعارا
 ومنها شرط الزيارة من بعد الطعام على حكم المزور وان لا تمنع الشغلا
 ومن يزرنى صباحا فهو فى خطر ان لا اقول له اهلا ولا سهلا
 ومنها راوا دخان قمينى صاعدا فجرى بالماء قوم ليطفوا سورة اللهب
 فقال بعض اقين انت قلت نعم اقين شعرا وعندى معمل الكذب

الفراقيات

خليلى لا تستنكرا عائل الوجد اذا كنتما ممن درى لائع البعد
 ولا تعذلانى فى الغرام فاننى على غير ما اهوى غريم له وحدى
 ومن ذا الذى يرضى البلاء لنفسه وتزكو له حال مع الحزن والسهد

وهل يعمّن عيشاً مكابذ وحشة . مشّت شمل ضائع السعى والقصد
 نأى سكّنى عني وعوضت عنهم . بحيرة مقت ليس قريهم يجدى
 كانّ زمانى شاء فى كل حالة . يرانى فردا يالشانى من فرد
 فماضى نعيمى لم يكن من مضارع . له حيث هم فى الحسن جلّوا عن الندّ
 فماذا دهانى بعد حظّ غنمته . وقد كنت فى عيش بقريهم رغد
 وماذا على الايام لو كان طولها . له لا سواد من مطالعها يُعدى
 افى الناس مثلى فى مقام فؤاده . وفى غيره جُثمانه واجد الفقد
 وغيرى اراه فاقد الوجد وهو فى . نعيم له جدّ مُعين بلا جدّ
 وهل فى سبيل الله راحم لوعة . تعاودنى لا بل غرتنى كالجلد
 وهل مبلغ عني النسيم تحية . اليهم وما بى من غرام لهم يبدى
 اهيم بما كانت تراه احبّتى . وان يك من بعض الجهاد او الضدّ
 والهج بالقول الذى لهجوا به . فتذكاره ذكرى وايراده ورّدى
 يحقّ لى التشيب مادمت شاعرا . بهم لا بهند او بميّة او دعد
 ولو لم يكن لى مطمع فى لقائهم . لأنرت توسيدى فذ اليم فى لحدى
 ولكننى ارجو زمانا يسرنى . بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى
 يقولون لى صبرا وكيف تصبرى . ولست الى نور التبصر استهدى
 لعمرك سلطان الهوى قاهر فما . نجا من مغاويه الرشيد ولا المهدي
 الا ليت دمعى حيث هم واقفون قد . جرى ولدى اقدامهم قام كالحد
 فيمنعهم عن ان يسيروا ويبعدوا . فحسبى من سير وحسبى من بُعد
 احبابنا هل ودّكم بعدّ سالم . وهل انتم باقون مثلى على العهد
 ارى بكم الدنيا ولست اراكم . بها ان شانى اليوم حيرة ذى الرشيد
 اتى العيد بالافرا لى للناس كلهم . وما اعتادنى فيه سوى الهم والتكد

وما لى لا اشكو وقد طال بُعْدُكم
وماذا الذى ارجوه بعد فراقكم
فيا حبذا عيد انبعائى اليكم
ولو زارنى قبل اللقاء خيالكم
اذا نظرت عينى البريد فان لى
فان كان لى منكم كتاب لثمته
فما كان من آثاركم فهو مؤثر
فليس سواه اليوم عندى تعلقة
وان لم يكن تجر الدموع لما جرى

وما بيننا ما ليس يُبلّغ بالوحد
وعندى استوى شأن الترفه والجهد
كما يُبعث الطير الغليل الى الورْد
وعانقته ليلاً فذلك من جدى
لقلبا من الايجاس يخفق كالبدن
واقررت من بعد ذاك على كبدى
على العين والعينين والعين والنقد
وما غيرهُ ألفى لحرى من برد
وارتد عند كالعديم عن الرد

وقال

أو ما كفانى اليوم طول تناء
يا راحلين وفى الفواد مقامهم
ولكم اعاتب سوء حظى فيكم
سافرتم للبرء مما نالكم
ومتى يتيح لى الزمان لقاءكم
شرقتم فانا بغصة غربتى
يامن يرق لذى جراح مدنف
فصفت لى ما انت واصفه لمن
لا يغرنك ما ترى من برتى

عمن احب ولات حين لقاء
كم ذا اقول سكنتم احشائى
لكن دهرى لا يجيب ندائى
فمتى يكون بقربكم ابرائى
ويكف كفى البين عن ايدائى
فى الغرب ذو شرق وذو اشجاء
انسا ذو الجراح ملازم الادواء
اشفى وكن فطنا الى الاشفاء
تحت القشيب طهامل الاعضاء

الطهمل الذى لا
يوجد له حجم اذا مت

انا والذى يحبى ويفنى لست فى الهلكى أعد ولا مع لاهيا
 انا ان سلت عنى لاجبة لم اكن اسلوهم فى البؤس والضرآ
 انى على ما بى ارق لعاشق مثلى وان هو كان من اعدآى
 ما البعد يخمد نار شوقى انما بُعد الغزالة علّة لأحماء
 ما ان يحلّ حشاشتى من بعدهم حبّ وليس يحلّ نسج وفآى
 حال الورى طرأ تحول وحالتى هى ما ترى فى غدوتى ومسآى
 الدمع موقوف على جريانه والعين مُعفاة من لاغفاء
 وارى الذى مثلى بكى من فرقة مع من مناه بعده ببكآ
 عجباً لدهرى لم يزل بى مُبصراً وضناى وارانى عن الرقبآ
 عجباً لدمعى مدنفى استحمامه والناس يشفيهم جيم الماء
 عجباً لعمرى كيف طال من النوى والارض ضاقت عن مدار رجآى
 عجباً لليل الناس يسرع صبحه وصباح ليلى دائم لا بطآ
 تبنى الرجاء خواطرى فيه على اسّ المحال فبنس اسّ بناء
 ويخيل الشوق المقيم باضلعى لى اننى مُغف وهم ضجعاى
 حتى اذا اصبحت بانّت انها لى لم تكن الآجال هبآ
 يا اهل ودّى ليس من دآى لكم عدوى فعودوا وأمنوا من دآى
 سقى من الطرف السقيم ومنحلى الخصر النحيل عداكم اعدآى
 ما ان اكلفكم سوى ذكر اسم من اهوى فحسبى ذاك عن اسمآ
 لو كان يجدى الفال كنت اليوم من احظى الانام واسعد السعدآ
 اذ كل غاد باسمهم متغوّة ام ذاك وسواس الهوى الغوآ
 ام بعض ماذا الوجد يوجد أنّه يلهى بمعدوم من الاشيا
 ياليت قلب الناس لى او جدّهم ان عزّ طعن فالتزّام عزآ

اوليت احبابى بما بى قد دروا فيسارعوا شفقاً الى انجاي
 حاشاهم ان يهجرُوا كَلْفًا بهم يكفيه ما يلقي من لاقصاء
 ومع النوى يُرى النوى سهلاً كما ان الدنو مع الجفوت نساء
 لهفى على زمن تولى وانقصى معه السرور لديهم وهنأى
 فلاى بث بعدها ورزيسة ابقتنى الايام شرّ بقاء
 كيف التصبر للفراق وما ترى عيني شبیههم من الارناء
 ان اشك لم اجد آمراً لى مشكيا وشماتة المشكين شرّ بلا
 واذا سكت توهم السلوان بى الرأى وذلك دون فعل الرأى
 ياليت شعرى ما امال احبّتى عني من التحذير والاغراء
 بجلوا على بنفحة من فيهم تاتى الصبا نحوى بها لشفأى
 انى استمر حديد قلبهم على نار الهوى بى لم يلن لدعأى
 العلمهم وجدوا على ملامة فارتهم الحسنى من الأسوأ
 هبنى اسات فما انا مستغفر والعفو مامول من الكرماء
 بُرئى عليهم هين وهو الرضى ستان فيه من دنا والنأى
 ان لم يصرّح فيه قول فلينب اصمار ذكر عنه فهو كفاى
 انى بحسن القصد منكم قانع ولئن يكن قد فاتنى ارضأى

وقال فى المعنى

اتانى كتاب من خليل منقّ على كل حرف منه حسن ورونق
 تنشئت وجدا اذ تنشئت عرفه ولم لا ومنه عاطر الورد يعبق

فياحبذا ذاك العبير وحبذا نسيم به نحوى التباشير يسبق
الى الله اشكوما لقيت من النوى وحر جوى كادت به النفس تزهرق
اقمت واحبابى ابثروا وابجروا على غير ما اهوى وشملى مفرق
فما زلت مذ بانوا حليف صباة اذا حان سبح كدت بالدمع اغرق
ففى قلبى الماسور ادخر الهوى ومن طرفى المسجور دمعى انفق
كثيب نحيل واجد متشوف هريب عليل فاقد متشوق
ولست بذى صبر فيؤمل اجرة ولست بذى سلوى اليه موفق
وليس بما مؤمن زمانى على اللقا وهل يؤخذن يوما على الدهر موثق
احن الى لقياهم متلهتفا اذا ما سميرى النجم لاح واقلق
وان ذر قرن الشمس اوهمت انها تبلى عنى عنهم سلا ما وتنطق
فانى ارى فيها علامات حسنهم وفى كل حسن ذكر ما القلب يعشق
اعلل قلبا بالامانى هائما ولم يبق فيه للتمنى مصدق
يطير اشتياقا بى اليهم واننى اسير هوى فيهم ببينى موثق
ويخفق من ذكر اسمهم فكانما يخيل لى ان مضجعى منه يخفق
واسكب دما كان يجرى بقرهم فكيف وباب الوصل دونى مغلق
متى يجمع الله المحبتين ساعة وحجب النوى بعد الوصال تمزق
ورب بعاد كان منه دوام ما يؤمل من قرب لاجبة شيق
فلله اسرار يعز بيانها وللدهر اطوار تسوء وتونق

هذا المعنى مسروق
من الفارياقية وقد
تقدمت للإشارة اليه

وقال

امودعى والدمع كاد يحول ما بيننا ولطى الغرام تهول
كيف التصبر بعد بُعدك موحشا وبقيت لا ارب ولا مامول

قد كان يشجيني غيابك ساعة
 والآن غبت على حساب صبايتي
 إن تنسني اذكرك أو أن تشجني
 ياليت طيفك في الكرى يعتادني
 فلزورة منه أحب إلى من
 أذهلت في حبيبك عن ألم النوى
 إنسان عيني أنت جبر ومهجة
 لوفى رضاك بذلت كل جوارحي
 القاك في كل الجمال مصورا
 وإذا سمعت بمفرد في حسنه
 وأبيت أسأل عنك سيار الدجى
 يافاتني بدلاله لم يبق لي
 ما كان غيرك مالمسا طرفي ولا
 وإذا الورى شغلتهم دنياهم
 فيك الدليل على توحد مبدع
 أرسلت دمعى مع كتابى عالما
 يا عاذلين على الهوى لا تعذلوا
 سبق الفواد الطرف منى فى الهوى
 أسفا على وقت الوصال فيا ترى
 لولا أذكاء نعيمه لقضيت من
 ساع التعانق ليس ينسى ذكرها
 ولرب يوم مسرة يغنيك عن
 وإخال أن قد عز منك قفول
 دهرًا قليل المبتلين طويل
 أشكرك لست الدهر عنك أحول
 أو كان يغفى الطرف حين الليل
 لذات وصل من سواك يطول
 ولقد يريح العاشقين ذهول
 للقلب ما لهما لدى بديل
 كنت الضنين وما بذلت قليل
 فيطول فيه منى التأميل
 أيقنت في هذا لك التاويل
 لو كان ينفع سائلا مسئول
 فى العيش بعدك بته تعليل
 فانا الذى بك دائما مشغول
 أن عز عند الفلسفى دليل
 أن لا ينوب عن الحبيب رسول
 فبلاى هذا أصله التعجيل
 فهويت فيه فعاذلى معذول
 للبين يغدو مثله تاجيل
 وجد فكم بالوجد طل قتيل
 وخطورها بالبال قط حوول
 عمر باكدار البعاد يطول

فَلَا فُطِمَ النَّفْسَ عَنْ لَذَائِهَا وَلِشَجْنِي بَعْدَ الْغَنَاءِ عَوِيلُ
يَا مُنْكَرًا لِحَقِيقَةِ الْغَوْلِ اعْتَقِدْ إِنَّ النَّوَى هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ غَوْلُ
مَنْ لَمْ يَذُقْ أَلَمَ الْفِرَاقِ فَمَا لَهُ يَوْمًا إِلَى عَتَبِ الزَّمَانِ سَبِيلُ
فَلِكُلِّ رِزٍّ غَيْرِهِ سُلُوبٌ لَدَى رَشْدٍ وَطَبِّ بِالْعِزِّاءِ كَفِيلُ
يَا لَوَعَةِ الشَّوْقِ اسْكُنِي فِي مَهْجَتِي مَا فَاتَنِي مِمَّنْ أَحَبَّ وَصُولُ
خَفْقَانُ قَلْبِي مِنْ سَكُونِكَ دَائِمٍ وَلَعَلَّ عَنْ كَثْبِ بَلَاءِي يَزُولُ

هذا ما انتهى اليه من اخبار الفارياب * مما اقتضى الان ايداعه
بطون الاوراق * فمن شاء ان يدعوه او عليه فجزاؤه يوم تلتف الساق
بالساق * ويقال الى ربك يومئذ المساق * فاما من دعا له بعود زواجه
هذه المرة وفي الحياة اوراق * فاني اضمن له ان يدعوه الى مائدة
حولها وفيها كل ما شاق وراق * بها ذكر في

هذا الكتاب بالانتساق

على سرر

واطباق

*

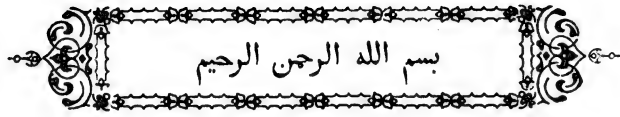


الخاتمة

تم الجزء الاول من كتاب الساق على الساق فى ما هو
الفارياق ويتلوه الجزء الثانى بعد رجم
المولف او صلبه بمن الله
وكرمه امين

*





ياسیدی الشیخ محمد یاسیدنا المطران بطرس یا ابونا حنا یا ابونا منقریوس
یا صیر ابراهام یا مستر نکتن یا هر شمیط یا سنیور جوزقی هادینی انا عملت
الکتاب دی یعنی آفته لا طبعته ولا جلدته و حطیته بین ایادیکم
انا اعرف طیب ان سیدی الشیخ محمد یضحک منه اذا کان یقراه لانه
یعرف من روحه انه یقدر یعمل احسن منه ولانه یعتقد انه شی فارغ
وان کنت ملیته بالحروف لکن سیدنا و ابونا و صیرنا ما یقدروش بل ما
یقدروش یفهموه و علی شان دی اطلب منهم انهم قبل ما یولعوا النار
حتی یحرقوه یسالوا عن الطیب فیه و عن غیر الطیب فان کان الطیب
انقل یخلوه لی والا یحرقوه بجلده و اذا کانوا یجدوا فیه بعض هفوات
فما یكونش من العدل انهم یحرقوه لان کل واحد منا فیه هفوات کثیرة
والله تعالی لا یحرقنا بنار جهنم بسببها یا ابونا حنا انا اخلق لك انی ما
ابغضکش و لکن ابغض تکبرک و جهلک لانی لما اسلم علیک تلقمنی ایدک
حتی ابوسها فکیف ابوسها و انت جاهل و عمرك کله ما عملت کتاب ولا
مۆال روحی یاسیدی الشیخ محمد انا اعرف ان کتب الفقه و النحوا جل
من کتابی دی لان الواحد لما یقرا کتاب من دول یقطب وجهه و یعبس
حتی یقدر یفهم معناه و معلومک ان الهیبة و الجلالة ما تكونش لا فی

التعبيس ولكن كتب الفقه ما تقولش ان الضحك حرام او مكروه
وانت ما شا الله كيس لبيب قرئت من كتب الادب اكثر مما اكل
سيدنا المطران بطرس من الفراخ المقمرة وفي كل كتاب ادب ترى باب
مخصوص للمجون فلو كان المجنون ضد الادب ما كانوا دخلوه فيها
واهون ما يكون على ان اقول في آخر كتابي دى زى ما قال غيرى
ومن الله استغفر عما طغى به القلم وزلت به القدم فنحن دى الوقت
والحمد لله صلح فاما مسيو ومستروهر وسنيور فما هماش ملزومين ان
يطبعوا كتابي لان كلامي ما هوش على البقر والحمير والاسود
والنمور بل هو على الناس بنى ادم ولكن
هذا هو والله اعلم سبب
غيظكم مني .





-o-o-٤٣-o-o-

صفحة

٦	مرادف اسكت
٧	مرادف القسيس *
—	مرادف يتوعدون *
٨	مرادف تخطأون وتلحنون *
—	الكعش وما جانسها *
١٣	ما يستعمل من الالفاظ مكررا الى صفحة ١٧ *
١٨	الشجرات العشر *
٢٥	مدله *
٣٠	لاصوات *
٣٤	تزييت ويالحق به الزعنفه والتزيق والششق والتمرى والتزيت *
٤٢	اساءة الادب في الاكل وتنتمه في صفحة ٨٠ *
٦٥	مراتب العشق وانواعه
٧١	الالفاظ المبهمة التي لم تفسر *

لُرْمَة *

القمار وماجانسه ويالحق به المخاصرة وهى بيع الثمار قبل بدو صلاحها

١٠٣

مرادف تشام وتطير *

الرُقَى والعزائم ويالحق بها الرُعْب وهى الرقية من السحر وغيره
والعنة وهى اسم من عن الرجل اذا منع عن امراته بالسحر او حكم
عليه القاضى بذلك والسهم لاسود اى المبارك يتيمن به كانه اسود

من كثرة ما اصابه اليد والتفيسيد التطير من صوت الفياذ لذكر اليوم *

١١٦

الغراء *

من اسماء الاعضاء *

اماكن فى جهنم واسماء شياطين وجن واصوات جن وغير ذلك الى

١١٧

صفحة ١٢٠ ويالحق بالجن القطرب وهو صغارهم

١٢٠

مرادف الكابوس *

١٥٠

احوال للنجوم *

١٥١

من مرادف المزاجه *

١٥٣

آلات الحرب *

اسماء لاصنام ويالحق بها الجلسد اسم صنم وأوال كسحاب صنم

١٥٥

لبكرو تغلب وبلج صنم او اسم *

١٥٩

من اسماء النجوم *

١٦٣

من مرادف دفع وضغط *

١٦٥

العمائم والسرائيل ويالحق بالاولى الفدام *

١٦٦	صفحة	حركات النساء وضروب المشى *
١٦٨		مرادف متقبض ويلحق به انعكاس *
—		مراكب البر *
١٧٠		القطناني *
١٨٠		مراكب البحر وفيه أيضا الثرتمى وما جأسه *
١٩٠		صفات للوجه *
١٩١		احوال له الى صفحة ١٩٥ *
١٩٨		مرادف المدينة *
٢٣٢		من الفاظ الطلاق *
٢٤١		انواع الحسن الى صفحة ٢٥٢ وتنتميه في صفحة ٦٢٦ *
٢٥٣		الروضة *
٢٥٤		اسماً اماكن ويلحق بها الأبلّة ع بالبصرة احد جنان الدنيا *
٢٥٩		اماكن في السماء *
		غرائب ويلحق بها هُند منذ نهر بسجستان ينصب اليه الف نهر فلا تظهر فيه الزيادة وينشق منه الف نهر فلا يظهر فيه النقصان والجزائر الخالدات ويقال لها جزائر السعادة ست جزائر في البحر المحيط من جهة المغرب منها يبتدى المنجمون باخذ اطوال البلاد تنبت فيها كل فاكهة شرقية وغربية وكل ريحان وورد وكل حب من غير ان يغرس او يزرع *
٢٦٠		العاب العرب ويلحق بها مداد قيس لعبة *
٢٦٨		الات الطرب *

صفحة	
٢٦٩	الوان الطعام الى صفحة ٢٧٥ *
٢٧٥	الكماة وانواع من السمك *
٢٧٧	الخبز ويلحق به القزماز وهو الخبز المحوّر *
—	اللبن *
٢٧٨	الحلوآ *
٢٧٩	التمر *
٢٨١	الشراب *
٢٨٤	مرادف التشويل *
٢٨٥	الزوجة *
٢٩٠	اصناف الجواهر *
٢٩٢	الحلى ويلحق به السخاب وهي قلادة من سلك ومحلب بلا جواهر *
٢٩٧	الطيب والمشموم *
٣٠١	الآنية والمتاع والفرش ويلحق بها العالة وهي ظلة يستتر بها من المطر *
٣٠٥	الشجر والمعادن *
٣٠٧	الثياب والبرود والاكسية الى صفحة ٣١٨ *
٣٢١	مرادف شاق ومجانس قلبه اى اصاب قلبه *
٣٣٤	الادوية المعينة على الباه *
	الامراض والعيوب ويلحق بها القوس انحناء الظهر والصرع داء م والحجز
	مرض فى المعى وهو الزنخ والقداد وجع فى البطن والسكتة داء م
٣٤٤	وغير ذلك مما ليس فى ذكره كبير فائدة *
٤٠٧	مرادف العظامه *

صفحة	
٤١٣	مرادف العجزاء *
—	مرادف السمينة *
٤١٧	مرادف اللثم *
٤٢٠	محاسن الجسم *
—	احوال وصفات للثدى *
٤٢٢	مرادف الشديد القوى وما فى معناه *
٤٤٩	ويجأ لزيد *
—	مرادف منعم *
٤٥١	مرادف النبضان *
٤٥٢	مرادف الجت والجس *
٤٥٥	انواع الصراع *
٤٥٩	مرادف الخدم والحشم *
٤٦٠	اسماء مغنين ومغنيات *
—	افعال وحركات خاصة بالولد الصغير *
٤٧٠	ما تفعله المرأة بولدها *
٤٧٢	علل المرأة بعد الولادة *
٤٩٢	من مرادف الريح *
—	رائحة زنخة *
—	لغة ططممانية وما اشبهها *
٤٩٤	من مرادف الزمجرة *
—	مرادف عبد واسير *

صفحة	
٤٩٤	عيوب في المرأة *
٤٩٧	صفات مستحبة في المرأة *
٥٠٠	مرادف الرسحاء *
—	مرادف القصيرة *
٥٠١	مرادف السوداء وفيه الخمرة والغمرة وهو ما تحسن به المرأة وجهها *
—	مرادف العجوز *
—	صفات الحسناء *
٥٠٤	امراض العنق *
٥٠٥	صفات ذميمة في المرأة الفاجرة *
٥٠٧	مرادف تارة وفينة *
—	مرادف لهوج ولهوق وما في معناهما *
—	مرادف المرأة *
٥١٠	مرادف الوهم والحدس *
٥٢٠	مرادف الهذر والهذيان *
٥٢١	مرادف يتمطى *
٥٣٥	مرادف العادة *
—	مرادف المفاكهة والمطارحة *
٥٣٨	مرادف الشرطى والعسس *
٥٤٤	الشارد والمعتز وما في معناهما *
٥٤٥	مرادف الرعدة والقشعريرة وحائر بائر *
٥٧٠	مرادف زير نساء *

مرادف الققة والزنبيل *

الفرج وهي المرأة تكون في ثوب واحد *

مرادف زوج المرأة وذكر الفاظ على وزن فعيل *

التكحيل وما جانسه مما يستعمله النساء *

مرادف مشهور *

مرادف الإهلاس في الضحك *

مرادف التطعم والترشف *

مرادف التحرج والتحرز والتحذر *

مرادف نعم وعرف *

مرادف الكركرة في الضحك *

النظر وأنواعه *

صفات محمودة في النساء واختلاف الوانهن *

مرادف تتحرك وتتذبذب *

مرادف قوادية *

الفخاخ والمصايد وما جانسهما *

مرادف قوام الشيء *

مرادف الحانوت *

ضروب في الحساب *

ضروب الاصوات والتلحين *

مشط الشعر وأنواعه *

مرادف المتطاطى *

صفحة

٦٣٥

مرادف التأم الوافي *

٦٣٦

الفتور والتصلب

٦٣٤

مرادف الاعمش *

٦٥٧

مرادف ملاذون ملاقون خيدعيون *

٦٥٨

اشياء خاصة بالنساء *

٦٥٩

من مرادف الريف والسواد *

٦٦٣

جمود العين عن البكاء *





ذنب للكتاب

ينتظم به لآلى اغلاط الرؤس العظام الاساتيد الكرام مدرسى اللغات العربية
فى مدارس باريس



قال الكسندر شُدْزُكو (Alexandre Chodzko) فى فاتحة كتاب ألفه فى
نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ ما ترجمته « حصلت بلاد اوربا منذ زمن طويل
« على كل ما يلزم لعلم اللغات الشرقية اذ فيها خزائن كتب ومدارس
« وعلماء جديرون بادارتها حتى انه باعتبار فن ادب لغات اسية وما يلحق
« بها من الفلسفة والتاريخ اصبح استاذ الفرس ومعلم العرب وبراهمى الهند
« وبهم افتقار الى ان يتعلموا من اساتيدنا كثيرا » (انتهى) وانا اقول ان هذه
الدعوى كذب ومين وافك وافتراء وتزوير وبهتان وابعاط وشطط
وشطط وفُرط وهتر وعصية واختلاق وزغف وترهف وتصلف وتزبب *
وان قائلها ينبغي ان يدمج مع من جهلوا انفسهم فى فصل حدنبدى لانه
جهل نفسه بل جل غيره ايضا على الجهل بنفسه * اما اولاً فلانه اى قائل
هذه المقالة لا يعرف اللغات الشرقية ولا يعرف مقدار ما نشف منها هؤلاء
الاساتيد حتى يشهد لهم بالفضل والبراعة * وانه فى نقله للرسائل الفارسية

التي اثبتتها في كتابه ارتكب اغلاطا كثيرة فاضحة سواء في النقل والترجمة * فمن ذلك قوله في صفحة ١٩٨ قانع صفصف وهي في الاصل قاع صفصف اقتباسا من قوله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ قُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * فلما جهل المعنى بدّل قاع بقانع وترجمه باللغة الفرنسية بقوله وَيُقْنَعُ نَفْسُهُ بِرَمْلِ الْبَرِّيَّةِ * فكيف استحّل هذا العالم ان يملأ الكلام بالرمل واستكبر ان يسأل احدا من اهل العلم عن المعنى * لكنها عادة له وللاسلافه ولاساتيذه في انهم حين يشتبه عليهم المعنى يعمدون الى الترقيع والترميق والتلفيق * والثاني ان هؤلاء الاساتيد لم ياخذوا العلم عن شيوخه اى عن الشيخ محمد والملاح حسن والاستاذ سعدى وانما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا توثبا * وَمَنْ تَخَرَّجَ فِيهِ بَشِي فَاِنَّمَا تَخْرُجْ عَلَى الْقَسْحَا وَالرَّاهِبِ تَوْمًا وَالْخَوْرَى مَتًى * ثم ادخل راسه في اصفاث احلام او ادخل اصفاث احلام في راسه وتوهم انه يعرف شيئا وهو يجهل * وكلّ منهم اذا درس في احدى لغات الشرق او ترجم شيئا منها تراه يخطئ فيها خطئ عشوّا * فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء * وما كان بين الشبهة واليقين حدّس فيه وخمن فرجح منه المرجوح وفضّل المفضول * وذلك لانه لم يوجد عندهم من تصدّى لتخطّئهم وتسوئتهم * وقد قال ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الحرب وحده والنزلا

ولانهم انما اعتمدوا على اتصافهم بنعت مدرسين فاجتزأوا بالاسم عن الفعل وعن حقيقة ما يراد من التدريس * فان المتصدى لهذه الرتبة الجليلة ينبغي ان يكون صادق النقل متشبها في الرواية * متحرّجا من التهافت على ترجيح ما استحسسه هو دون مراد المؤلف * مترويا في

سياق الحديث وسباقه وقرائنه وعلائقه * مضطلعا باللغة والنحو والصرف
والادب * فاين هذه الصفات كلها من هولا لاسايند الذين يفسدون
عبارة المؤلف ويحملونها معانى بعيدة ياباها الطبع والذوق * ويوردون
ما يوردون من شرحها مزابنة ومجازفة * ولعمري لو انهم كانوا من ذوى
التورع لما تصدروا فى هذه المراتب ولما اقدموا على ترجمة شئ مرقع
مزور * فان كان كلامك ايها الشيخ الرملى فى حق هولا الاسايند كلام
ذى جد فقد وجب عليك بعد قراءة جدول اغلاطهم الفاضحة ان ترجع
عما تبهلقت فيه وتزببت من دون علم * وان تكذب نفسك
فى طالعة كتاب آخر تولفه فى نحو اللغة العربية ان شا الله * والا فان
ائم افجاسك هذا فى عنقك * فاما ان كان مزاحا وارتدت به السخرية
من هولا لاسايند المشاهير والاساطين المذاكير فهم اولى بان يعيبوك *
غير انى اراهم قد سكتوا عنك * فكان دغدغة هرفك هذا لهم قد اعجبتهم *
فما مثلك ومثلهم الا مثل ذلك الابله الذى عشق امرأة ولم يقدر على
وصالها حتى ادنفه عشقها وهيمه فلم يستطع بعده حراكا * فعاده
رجل داه مثلك واخذ يهنته على قضا وطره منها * فقال له الابله
كيف وانا مغرم بها وكلما زدت شوقا اليها ووجدت زادت اعراضا عني
وصدا * قال قد رايتك بعينى تعانقها بالامس ثم خرجت من دارها
وانت مبتهم مهلل * وراك غيرى ايضا وهم كثيرون * فلن انكرت
فها هم كلهم يشهدون لى * وما زال به حتى اقنعه وحمله على ان يسلوها
فافاق من مرضه * لا ان بينك وبين هذا الداهى فرقا عظيما * وذلك
انه انما استعمل دهاة للاصلاح * وانت انما استعملته للافساد * لان
كتابك هذا ربما يقع فى يد بعض ارباب السياسة الذين يجهلون

الفارسية والعربية * ولغفلته يظن ان مشايخ مصر واساتيد الفرس محتاجون
الان الى اخذ العلم عن اصحابك * ومتى تهوّر احد هؤلاء الوجوه في ضلال
تهوّر معه الرعية باسرها * فاما قولك ان في البلاد الافرنجية خزائن
كتب كثيرة * كانك تقول انه يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد في
بلادنا * لان نواب الدول لا يزالون يشترون من بلادنا انفس الكتب *
فهو ليس بدليل على وجود العلم عند وجود الكتب * فاين جل الاسفار
هداك الله من العلم * لان العلم في الصدور لا في السطور * ولكن افدني
ما بال هؤلاء الاساتيد لم يولّفوا في اللغات الشرقية شيئا قط * فغاية ما
صنعوا انما هو ان احدهم ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فحتم فيها
وحّدس ما شاء * واخر ترجم محاوره يهودى سمسار واحق من التجار *
واخر مسخ امثال لقمن الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف في الجزائر *
واخر تعنى لطبع اقوال سخيفة من رعاى العامة في مصر والشام * وترك ما
فيها من اللحن والفساد كما هو استذراعا بقوله كذا رايتها في الاصل *
فيظن بذلك انه تنصل من تبعة اللوم والتفنيد * فما سبب هذا التهافت
على ترجمة مثل هذه الكتب وطبع مثل هذه الاقوال من لغتنا الى اللغة
الفرنساوية سوى توهم ملفقيها على الانخراط في سلك المؤلفين * ولم
لم يتعنّ احد منهم لترجمة شى من الكتب الفرنسية الى العربية ليظهر
براعته في هذه حالة كونه شيخ طلبتها وامام آميتها * على ان في اللغة
الفرنساوية كتباً جليّة القدر في كل فن * واعجب من ذلك انه لم يخطر
ببال احد منهم قط ان يترجم نحو لغتهم الى لغتنا * فهل من سبب اخر
غير التحذّر من ان يعرضوا انفسهم للتحقيق والتفنيد والتحمير * فان
عبارة النحاة والمعرّبين لا بدّ من ان تكون محرّرة صحيحة ولا عذر

لهم معها ان يقولوا كذا وجدناه فى الاصل * وياليت شعرى ما الفائدة
فى كون احد هؤلاء لاساتيز يولف كلاما معسلا فاسدا فى لغة اهل
حلب ويسميه نحو * ثم يذكر فيه انجق بيكفى وايشلون كيفك خيو
وهلكتاب وقوى طيب * وفى كون آخر يكتب بلسان اهل الجزائر كان
فى واحد الدار طوبات بالزاف الطوبات كشافوا وكيناكل وراهى وانتيئا
وانتيئا ونقجم وخم باش وواسيت شغل المهابل ويوالم اى يلاثم وماجى
اى جاء وكلى اى كانه وحرامى اى بستانى والسشاش اى السادس
والدجاجة ترجع تولد زوج عظمت وما اشبه ذلك من المشو * فما بالكم
يا لاساتيز لا تولفون كتبنا بكمالكم الفاسد الذى تسمونه پتوى * وهل
تشيرون على عربى اقام بمرسيلية مثلا ان يتعلم كلام اهلها او كلام اهل
باريس * ولو كان فعلكم هذا فعل رشيد لوجب ان تقيدوا جميع
الاختلافات والفروق الموجودة عند المتكلمين بالعربية * فان اهل الشام
يستعملون الفاظا لا يستعملها اهل مصر * وقس على ذلك سائر البلاد
الاسلامية * بل ان لاهل صقع واحد اصطلاحات شتى * فكلام اهل بيروت
مثلا مخالف لكلام اهل جبل لبنان * وكلام هؤلاء مخالف لكلام اهل
دمشق * وذلك يفضى بكم الى الهوس والى افساد هذه اللغة الشريفة
التي من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد قارة لاساليب
على انقراض جميع ما عداها من اللغات القديمة * وان المؤلفين فيها
يومنا هذا لا يقتصرون عن اسلافهم الذين انقصوا مذ الف ومايتى سنة *
فهل حسدتمونا على ذلك وحاولتم ان تحيلوها وتلحقوها بلغتكم التي
لا تفهمون ما الف فيها مذ ثلثمائة سنة * وياليت شعرى هل تاذن
ارباب السياسة عندكم لرجل اراد ان يفتح مكتبا يعلم فيه الصبيان فى ان

يتعاطى ذلك من دون ان يُمتحن أولاً * فمن الذى امتحنكم انتم ووجدكم
اهلاً لهذه الرتبة التى هى ارفع من رتبة معلم كتاب * ومن ذا الذى عارض
ما ترجمتم ولفقتم ورتقتم بالمرجم منه * وكيف رخص لكم فى ان
تطبّعوا ذلك من دون الوقوف على صحته * ولعمري ان مدرّساً لا يحسن ان
يكتب سطراً واحداً صحيحاً باللغة التى يعلمها لجدير بان يرجع الى
المكتب من ذى أنف * على ان من هو لا لسانيز من لا يفهم اذا خوطب
فضلاً عن جهل التأليف * ولا يفهم اذا قرا * ولا يقوم الالفاظ فى القراءة *
وقد سمعت مرة بعض التلامذة يقرأ على شيخه فى مقامات الحريري
ولا يكاد ينطق بحرف واحد نطقاً بينا من هذه الحروف التى خلت
منها لغتهم * وهى التاء والحاء والخاء والذال والصاد والظا والظا
والعين والغين والقاف والهاء * وشيخه ساكت لما انه يعلم ان تصحيحه له لا
يكون الا فاسداً * فكيف يمكن لمن لم يسمع اللغة من اهلها ان يحسن
النطق بها * كيف لا وان من ألف منهم فى نحو لغتنا شياً فانما بنى
نحوه كله على فساد * فانهم يترجمون عن الجيم بلساننا بحرفى الدال
والجيم بلسانهم * وقد جهلوا انه ليس عندنا فى العربية حروف مركبة
كما فى اليونانية * فان لا بتدأ بالساكين مرفوض عند العرب اذا لم نقل
انه ممتنع * ويترجمون عن التاء بالتاء والسين وعن الذال بالتاء والزاي
وكذا عن الظاء * فاما سائر الحروف فالعين والهاء والحاء عندهم همزة
والحاء كاف والصاد سين والصاد دال والطاء تاء والقاف كاف * وينطقون
بالسين اذا تقدمتها حركة كالزاي وعلى ذلك قول ذلك المطران
الخطيب اقطعوا الازباب كما مر * فاما الهمزة فانها وان وقعت عندهم فى
اوائل الالفاظ فلا تقع متوسطة ولا متطرفة ولا يمكنهم النطق بها لا

مليّنة * بل اعظم مولفهم لا يدري ان الالف فى اول الكلام لا تكون الا همزة * وليس الغرض هنا تعليمهم الهمز فانهم همّازون * وانما الغرض ان ابين لهذا الرملّى الهارف المتملق مناضلة عن شيوخى الذين اخذت عنهم من العلم ما اخذت ان شيوخه لا يُحسبون فى عداد العلماء * وانه ليس من علماء مصر وتونس والغرب والشام والحجاز وبغداد من هو محتاج لاختد حرف واحد عنهم * نعم ان لهم باعاً طويلاً فى التاريخ فيعرفون مثلاً ان ابا تمام والبحترى كانا متعاصرين * وان الثانى اخذ عن الاول * وان المتنبى كان متأخراً عنهما * وان الحريري ألف خمسين مقامة هذا بها حذر البديع وما اشبه ذلك * لا انهم لا يفهمون كتبهم * ولا يدرون جزل الكلام من ركيكه * وثبتة من مصنوعه * ولا المحسنات اللفظية والمعنوية * ولا الدقائق اللغوية * ولا النكات الادبية ولا النحوية * ولا الاصطلاحات الشعرية * فغاية ما يقال انهم نتفوا نتفة من علوم العرب بواسطة كتب الفث بالفرنساوية * فهل يسلّمون لعربىّ تعلّم لغتهم من كتب لغته بانه كعلمائهم وانهم محتاجون الى التخرّج عنه * ثم لا ينكر ايضا ان مسيود ساسى (DE SACY) حصل بقوة اجتهاده ما اقدرة على فهم كثير من كتبنا بل على الانشاء فى لغتنا ايضا * ولكن ما كل بيضاء شحمة * على انه رجه الله لا يُنظّم فى سلك العلماء المحرّرين * فقد فاته اشياء كثيرة فى الادب واللغة والعروض * واني طالما والله ائنيبت على براعته واعظمت علمه وفضله * الا انه لما صارت مهارته وبراعته هذه سبباً للفساد فانها هى التى جرّأت غيره على التصدّر للتدريس بلغتنا وسوّلت لهذا المفتري ان يتناول على اهل العلم * كان من الواجب على رعاية لحق العلم واهله ان أسطر اسمه من بين اسماء الشيوخ فى البلاد الاسلامية كافة * قدعا لمن تنترس باسمه

واستذرع بعلمه عن الدعوى والانتحال * ولولا فحش قول هذا النقاع
المتحذلق وكذب دعواه لما تعرضت لتخطئة احد منهم * فانى اعلم انهم
لن يرفعوا عن غيرهم وما يزيدهم كلامى هذا الا غرورا * بل الشيوخ الذين
قضوا عمرهم فى طلب العلم يتورعون من ان يقولوا مقالته * لان الانسان
كلما زاد علمه زادت معرفته بجهله * ولعل كتابى هذا يقع فى يد استاذ
فارسي او هندی فيكون باعنا لهما على الانتداب لتخطئتهما ايضا فى
هاتين اللغتين * لانى اعلم عين اليقين انهم فيهما اشد جهلا * لان الذين
سافروا منهم الى بلاد العرب اكثر من الذين سافروا الى غيرها * ومع ذلك
فلم يتعلموا منها سوى الركافة والخطل * واعلم ايها القارى العربى انى لم
اجد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا جديرا بالانتقاد سوى مقامات
الحريرى * وانى لضيق وقتى حالة كونى على جناح السفر لم يمكن لى
النظر الا فى ابيات الشرح فقط * وقد وكلت غيرى فى نقد الباقي
كما وكلنى العلماء فى نقد الابيات * ثم عثرت بعد ذلك برحلة العالم
الاديب الشيخ محمد ابن السيد عمر التونسى مطبوعة على الحجر عن خط
مسيو پيرون وقد شجنها كلها بالتحريف والغلط مما لا تصح نسبته الى
ادنى تلامذة الشيخ المذكور * ايمكن لاحد من الطلبة فضلا عن
العالم ان يقول جوده ناسخ لكل الوجود اى لكل الجود - وان يكتب العصا
بالياء غير مرة - واعلى افعال التفصيل بالالف نحو عشرين مرة - ونجا باليا -
واتعمى المعالمون عن الضياء اى ايعمى العالمون - وامنين مطمئنين حالة
كونهما مرفوعين - وفلاحين مصر - ومحمودين السيرة - واستوزر الفقيه مالك -
ولا يعصا - ولا ارى سوء راىك اى لا ارى سوى راىك - ويتعدا رايه - وانى
عشر ملك - ومن حيث ان اباديما والتكنياوى متعادلين لم اى متعادلان فلم -

*

وتجد الرجال والنساء حسان - ودعى لنا - وعجوبة - وصواحبها وصواحباتها -
ولغة فيها حاس - وانهما متقاربتى المعنى - وحتى تاتى ارباب الماشية
فيقبضون - فهل احدى منكم - ويرفعون اصواتهم بذلك حتى يدخلون -
وماشيئين - والمسيئين - وحتى يشقون - ومنحنون - وانهم يكونوا - ولا اعتاض -
اى لاعتاض * ار انه يجهل بحور الشعر فيجعل الكامل هزجا والطويل مديدا
وما شبه ذلك * ومن العجب ان الشيخ الموما اليه اورد هذين البيتين وهما

ابرک الايام يوم قيل لى هذه طيبة هذى الکُثْبُ
هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لديکم فاشربوا

قال والياء فى هذى بدل عن الهاء * فلما قراها بعض التلامذة على مسيو
کسان د پرسفال (Caussin De Perceval) احد المدرسين العظام اصلح قوله
طه بوطا وفسرها بوط الرجل * وابدل الهاء من قوله هذه الزرقا ياء وذلك
لقول الشيخ والياء فى هذى بدل عن الهاء فانكسر الوزن * وترك لفظة
الزرقا غير مصححة فان مسيو بيرون وضع بعد لالاف همزة فانكسر بها الوزن
ايضا * وحق وطان تكتب بغير الف * فانظر الى الناقل والمصحح والى
هذا التخليط وتعجب *

بيان ما وجدته من تحريف الالفاظ العربية فى نقل الرسائل الفارسية
فى كتاب الشيخ الكسندر شدزكو الرملی (Alexandre Chonozko)

صفحة سطر
۱۹۲ ا فى ما صوابه فيما كما هو باصله *
— ۴ التيام صوابه الشمام كما فى الاصل *

صفحة سطر	
٩ ١٩٢	شخامت صوابه شهامت كما فى الاصل *
— ٢٢	به مملكت صوابه بمملكت كما فى الاصل *
١٩٣ ٠٦	عظام صوابه عظام كما فى الاصل *
— ١٧	استحضار صوابه استحضار كما فى الاصل *
١٩٦ ٢٣	جناب اقدس الهى صوابه جناب اقدس الهى كما فى الاصل
— ٢٦	خلافا الاخفش صوابه خلافا للاخفش كما فى الاصل *
١٩٧ ٤	براء الساعة صوابه برء الساعة كما فى الاصل *
— ١٩٨	قانع صفصى صوابه قاع صفصى وقد تقدم ذكر ذلك *
— ٢٠٠	(اول الرسالة) ومبارك سلطانه صوابه وتبارك ليقابل قوله
	اولاً تعالى شانه *
٢٠١ ١٨	مولات صوابه موالات *

على انى لم انتقص معارضة هذه الرسائل كلها بالاصل اذ الغرض اظهار
كذب هذا المدعى وفيما اورده كفاية *

جدول اغلاط ابيات الشواهد فى مقامات الحريرى التى طبعت ثانية
بعد وفاة دساسى (De Sacy) بتصحيح الشيخين الجليلين رينو ودرنبورغ
(Reineaud et Darenbourg) وذلك سنة ١٨٤٧ فاما غلط الشرح فاكثر
من ان يعد

صفحة سطر	
٥ ١	ترب فى موضعين والصواب بالضم *
— ٤	المجلس وصوابه بالكسر *
— ١٠	غضاباً صوابه بغير تنوين لانه وقع قافية *

صفحة	سطر	قالوا العواذل	الوجه قال العواذل فان العواذل جمع عاذلة *
ح	١٤	خَدَرْتُ	والوجه خَدَرْتُ *
—	٩	خَدَرْتُ	والوجه خَدَرْتُ *
—	١٣	في النثر دميما	والصواب دميما *
١٠		في صفحة العنوان	تكتب ولاعرف نكتب *
٦	٠٠	وان اصدق بيت	لاظهر احسن بيت *
١١	١٧	الكر	والوجه الكرى لانه يآى *
١٨	٠٠	ئننى	لاعرف ئنى *
١٤١	٠٠	فيظلمونى	حقه فيظلمونى *
٤٩	١٧	ياطلح اكرم من	والوجه اكرم من
٥١	١٥	فانه بنث	والوجه يئنث *
٥٢	٠٠	اقترحت العشاء عليه يوما	وصوابه اقترح العشاء يوما عليه *
—	٠٠	قال لى العشا	والوجه لى العشا لانه اخرج مخرج الامثال فلا
		تتغير كقوله الصيف صيغت اللبن *	
٢٩	٠٠	مبرا	وصوابه مبرا *
٧٠	٠٠	نراه	وحقه نراه *
٧١	٠٠	احسن من	وصوابه احسن لانه خير ليس *
٧٥	١٣	نيل المنا	وصوابه المنى لانه جمع منية *
٧٦	١٠	الافلاس	وصوابه الافلاس *
—	١٢	فى عسرو فى يسر	وصوابه ويسر *
٧٨	٢١	سلما	صوابه سلما بغير تنوين لوقوعه قافية *
٨٠	٨	فى ما	الوجه فيما *
—	—	سبيل	صوابه سبيل ومثله دليل فى البيت الثانى *

٨٢	..	رَكَدَ	صوابه رَكَدَ *	صفحة سطر
٨٤	..	وَكُونُ	حقه بغير تنوين *	
٨٦	١٠	جُمَّة	صوابه جُمَّة *	
—	—	امرء	الوجه امرأ *	
—	١٧	فَانِيَا	صوابه فانيا بلا تنوين *	
٨٩		ومن يلقى ما لاقيت لا بد يارقُ	ارقتُ فلم تخدع بعيني نعسةُ	
			والصواب تقديم المصراع الثانى وتأخير الاول والعجب ان هذه	
			النعسة اغمضت عين كل من دسأسى ومن هذين الشيخين	
			الجليلين فهل سمعتم يامعاشر العرب وياأمة الثقليين ان الفعل	
			المضارع يقع عروضاً من غير تصريح وان التنوين فى نعسة	
			وامثالها نحو نعسة وحقبة وحبقة وساحة وفقحة يقع قافية اليس قوله	
			ومن يلقى مفرعاً على المصراع الاول ومخرجاً مخرج المثل *	
٩٢	١٩	البلاقعُ	صوابه البلاقعا بالاطلاق لكونه قافية *	
٩٣	١٣	بدناً	صوابه بدنا بغير تنوين وهلاً انتبه المدرسون	
			لذلك بقوله فى العروض أنا *	
٩٧	٢٢	اليهم	ما سبب هذا التبتع *	
١١٠	١٨	يغدوا	صوابه يَغْدُو وفيه مهموم ومهدوم وكثوم والصواب	
			جذوف التنوين منها *	
١١١	٧	اروف	حقه أَرَأَفَ *	
—	٩	بُنَّة	صوابه أَبْنَةُ *	
—	١١	مَجْدَب	صوابه مَجْدَب *	
١١٣	١٧	مَرَاخًا — مَفَاخًا	صوابه بغير تنوين *	

صفحة سطر	١١٥	متيم اثرها صوابه اثرها اذ كيف يصح نسبة التيم للائر واعجب
		من ذلك تنوين متبول ومكبول فكيف تفعلون
		يا اساتيد بالغول ارايتم كيف يُوقع التحذلق في
		المخازى مع ان قصيدة كعب اشهر من نار على علم*
١٢٣	١١	شيئا والصواب شيئا ليوافق قوله يديا وحيًا *
١٢٤	..	الآدب والصواب لآدب لانه مفعول لقوله لا ترى *
١٢٥	..	جميع قوافى القصيدة المسمطة ينبغي ان تكون مقيدة
١٣٢	..	دنى الوجه دنا لكونه واوياً *
١٣٤	٥	كتمانى صوابه كتمان *
١٣٧	..	ناصر صوابه ناصب *
١٤٦	١٦	نثنى صوابه نثنى *
١٤٧	..	أسفار صوابه أشفار فما للأسفار هنا وللعين يا ايها المبصرون *
١٥٢	..	حسرانا صوابه حسرانا بغير تنوين *
١٥٨	١٦	صناعة صوابه بالكسر *
—	٢٥	مظهرًا صوابه بغير تنوين *
١٥٩	٢٦	سنًا صوابه سنّى *
١٦٩	١٢	وربت حقه وربت *
١٧٤	١٣	خمس كفك صوابه خمس *
١٧٧	..	بكور صوابه بالضم وفيه ايضا تشميًا وصوابه بغير تنوين
١٧٩	..	في الدعوة — الى الجفوة والصواب الوقوف على الهاء *
١٨٣	١٧	خيارهم صوابه بالكسر *
—	١٨	تسلّ فسّل الوجه تسأل وسّل *

صفحة سطر	٢١	١٨٣	وضحه صوابه بالفتح *
المنطق	١٣	١٨٥	صوابه بالكسر *
عنه	١٦	—	الوجه منه *
البصر	٠٠	١٨٩	الوجه البصر *
نجى مكررة مرتين	٠٠	—	صوابه نجى *
فطورا	٠٠	—	صوابه وطورا *
بحمئة	—	—	صوابه بحمأة *
دنى	١٣	١٩٥	صوابه دنا *
المشتاة	٠٠	١٩٩	صوابه الفتح *
ينتقر	٠٠	—	صوابه ينتقر *
جمّة	٧	٢٠٤	صوابه جمّة *
غمام - زنام	٠٠	—	صوابه بغير تنوين *
لاقى الاحبة	١٢	٢١	الوجه لاقى الاحبة *
أبغض	١٥	—	صوابه أبغض *
اليهم	١٨	—	هى من التبتع بمكان *
إن	٠٠	٢١٥	الوجه أن *
صروفه	٢٤	٢١٨	الوجه صروفها الا اذا كان الضمير يرجع الى مذكور قبله
قنبرة	٢٢١	—	الاولى قنبرة * البيت فى اخر الصفحة *
يمنع - فترتع	١٨	٢٢٢	صوابه يمنع فترتع *
يصنع	١٧	٢٣٢	حقه يصنع *
بدوة	١٨	—	صوابه بدوة *
أربى - أدب	٠٠	٢٣٦	صوابه أربى أدب *

صفحة سطر ٢٣٧	٠٠	وَأَنَّ مَتَى لَوَا الْوَجْهَ وَأَنَّ لَوَا عَنَاءَ وَكَانَ ظَنُّ أَنَّ عَنَاءَ هُنَا جَارَ وَمَجْرُورَ وَأَنَّ تَأْخِيرَهَا عَنْ لَوَا يَكْسِرُ وَزْنَ الْبَيْتِ فَابْدَلَهَا بِمَتَى وَجَعَلَ الضَّمِيرَ مَفْرُودًا *
٢٣٩	١٣	يَا عَابِثُ الْفَقْرِ حَقُّهُ يَا عَائِبُ الْفَقْرِ مَعَ أَنَّ لَفْظَةَ الْعَيْبِ الْمَذْكُورَةَ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي تَهْدِي لِأَعْمَى إِلَى فَهْمِ الْبَيْتِ وَلَكِنْ اسْتَثْنَيْنَا يَحْبُونُ الْعَبَثَ *
٢٤٥	٢٣	أَنَّمَا حَقُّهُ أَنَّمَا *
٢٤٧	١٤	قَوْسًا حَقُّهُ قَوْسًا *
٢٤٨	١٢	مِنْ آبِنِ حَقُّهُ مِنْ آبِنِ *
—	—	مَامَةَ كَعْبٍ حَقُّهُ مَامَةَ لِلْإِصَافَةِ *
٢٥٢	٠٠	وَلَهَا صَوَابُهُ وَلَهَا أَيُّ وَلَهَا عَلَيْهِ رَيْنِ *
٢٥٥	٠٠	الْمَقَانِعُ صَوَابُهُ الْمَقَانِعَا *
٢٥٨	١٩	تَسْلَمُ مِنْ أَنَّ صَوَابُهُ تَسْلَمُ مِنْ أَنَّ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ لِلْوزَنِ تَجَرَّبُ سَبِيلَ الْقَصْدِ حَقُّهُ تَحَرَّرَتْصَحَّفَتْ الْكَلِمَةُ عَلَى الْجَمِيعِ
—	٢٣	وَالَّذِي أَوْقَعَهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي لَمْ تَجَرَّبْ * وَقَوْلُهُ وَلَا تُنْسَى الظَّنَّ حَقُّهُ تَسِيئُ فِي تَكْسِيرِ الْوِزْنِ وَقَوْلُهُ لَدَى الْخَبْرِ حَقُّهُ الْخَبْرُ أَيُّ الْإِخْتِبَارِ
٢٦٠	٠٠	صَلَّتْ صَوَابُهُ صَلَّتْ *
—	٠٠	بَرْغُوثًا صَوَابُهُ بَرْغُوثًا — لَوَّتْ صَوَابُهُ لَوَّتْ فَلْيَرَا جَعَلَهَا الْأَسَاتِيزُ فِي مَحَلِّهَا فَمَا فَتَحَ الْبَرْغُوثُ فَهُوَ عَجِيبٌ مِنْ أَمْثَالِهِمْ أَذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعْلُولُ إِلَّا صَعْفُوقُ *
٢٦٢	٠٠	تَهَامَةً صَوَابُهُ تَهَامَةً بِالْكَسْرِ *

صفحه	سطر	الكاس	صوابه الكاسي *	٢٦٣	٧
—	٨	فانك انت الآكل اللابس	صوابه اللابي من لساى اكل اكلا	—	٨
شديدا فكيف يمكن ايها المدرسون العظام ان تكون					
اللابس قافية مع الكاسي مع انهما بمعنى واحد					
فان الكاسي هنا من كسي لازما ولو كان من كسا					
المتعدى لكان مدحا وهو غير مراد افلا تشعرون *					
—	٢٤	يحفظ	صوابه يحفظ *	—	٢٤
٢٦٤	١٨	ممكنا	صوابه ممكنا *	—	٢٦٤
٢٦٧	١٨	وهن	صوابه بالفتح *	—	٢٦٧
٢٦٩	٢٣	قلب	حقه قلبا *	—	٢٦٩
٢٧١	١٥	شتان	حقه شتان *	—	٢٧١
٢٧٦	٢٠	الله	صوابه الله *	—	٢٧٦
٢٧٩	٢١	قبلنا	صوابه قبلنا *	—	٢٧٩
٢٨٠	٢٣	لا يستقيم البيت بقوله وتُنقَب فلا بد من ان نكون وتُنقَب *	—	—	٢٨٠
٢٨٧	١٩	وعمرى	الاولى بالضم فان الشاعر غير متنطع *	—	٢٨٧
٢٩٣	٢٢	وشرب	صوابه بالفتح *	—	٢٩٣
—	٢٤	لجهنم	صوابه فى جهنم فليراجع *	—	—
٢٩٥	١٤	المغزل	صوابه المغزل *	—	٢٩٥
—	١٥	ويعرى استه	الاولى ويعرى استه *	—	—
٣٠١	—	فانك الطاعم	صوابه فانك انت الطاعم *	—	٣٠١
٣٠٣	١٩	والدر	صوابه والدر *	—	٣٠٣
٣١٢	..	ضبارم	صوابه بالضم *	—	٣١٢

**

قبله - بعده	صوابه قبله - بعده البيت بآخر الصفحة *	٣١٦	سطر
دُرْنَا دُرْنَى	الاولى لاقتصار على احدهما *	٣١٩	٠٠
جلاجل	صوابه جلاجل فان ذا الرمة لم يكن من المتبليتين	٣٢٣	٢٧
جلاجل	عين ما تقدم من اللهوقة وفي البيت الاول نظر	٣٢٤	١٢
ويسهر	صوابه ويسهر وحراها الظاهرانه جراها *	٣٢٦	١٦
صيلة	صوابه صيلة *	٣٢٩	١٧
منجا	صوابه منجى *	٣٣٢	١٩
حنائك	صوابه بالفتح *	٣٣٨	١٢
الى خيرا	لا يستقيم به البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة	٣٣٩	٠٠
	سوق او نحو ذلك *		
مرتبه	صوابه مرتبه بالفتح *	٣٤٢	١٨
عرب	صوابه عرب *	٣٤٣	١٨
فاخر	صوابه فاخر بالكسر *	٣٤٤	٢٠
ظفرت	صوابه ظفرت بالكسر *	٣٤٦	٨
القرون	الوجه بالفتح وقوله منابيا ملفوت *	—	٩
	في ابيات المتنبي لهوقة كثيرة *	٣٤٧	٠٠
وقبلك	صوابه وقبلك قد تكرر ذلك غير مرة ولا ادرى	٣٤٨	٠٠
	كيف يصح رفع الطرف عند الاسانيد *		
ايما	صوابه ايما وقوله الرز لعله بالفتح وهو صوت السماء	٣٤٩	٠٠
او اشرح	حقه او اشرح *	٣٥٠	٥
غيت في الخدر عشا	الظاهر غيت في الخدر عشا *	٣٥٣	٠٠
والانس	صوابه والانس بالكسر *	٣٥٣	٠٠
عنه	حقه مند *	—	٠٠

يغشون حتى ما تهرّ صوابه تهرّ *	صفحة سطر	٣٥٨	٢١
السّواد صوابه بالفتح *	—	—	—
إنّ صوابه أنّ *	١٣	٣٦١	—
امن تذكّر جيّران صوابه جيّران *	..	٣٦٦	—
النّعما صوابه النّعمى *	..	٣٦٨	—
يسلم صوابه بفتح اللام *	١٨	٣٧٠	—
إنى الوجه أنى *	٢٥	—	—
ركبت صوابه ركبت *	٩	٣٧٣	—
حقه سريعة البيت بآخر الصفحة *	..	٣٧٨	—
صوابه محتقرا اسم مفعول *	٣	٣٨٧	—
صوابه أنّ *	٥	—	—
صوابه بالفتح اسم أنّ *	٦	—	—
صوابه أغيد للوزن وكان ينبغي للاساتيذ ان يفتنوا لذلك لقول الشاعر فى القافية احور *	٢١	٤٢٥	—
ظفرك - امرك - بقدرك والصواب فيها كلها الوقف بالسكون على الكاف *	١٢	٤٣٣	—
فالنّعش ادنى لها من ان اقول لعا والصواب فالتعش	٢٣	—	—
فان مراده أنّ اقول لها تعسا اولى من قولى لعا			
وانما تهوّر الاساتيذ فى ذلك لذكر النعش			
قبله حيث قال ويقال لا لعا لفلان اى لا			
اقامه الله من عثرته ولا نعشه غير ان العبارة			
صريحة فى ان لعا ونعشا بمعنى واحد فكيف			
يتخرج قوله اذا فالتعش ادنى لها من اقول لعا *			

نُسبَتِي	صوابه بالضم أو بالكسر *	صفحہ ۴۳۸	سطر ۱۵
وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةٌ	صوابه مَقْتُولَةٌ *	۴۵۲	۱۳
فَاطْهَرُ فِي الْاَلْوَانِ مِنَ الدَّمِ الدَّمُ هِيَ عِبَارَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهَا وَزْنُ الْبَيْتِ فَلَا بَدَّ مِنْ تَرْقِيعِهِ .	بلفظة ذَا بَعْدَ قَوْلِهِ مِنْ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ وَلَا فَكَيْفَ يَسُوعُ تَسْكِينُ نُونٍ مِنْ وَبَعْدَهَا	—	۲۵
أداة التعريف *			
آدَمُ	صوابه آدَمُ لِلْوِزْنِ وَفِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي نَظَرُ*	—	۲۷
أَعْلَى السَّبَاءِ	صوابه بِالْكَسْرِ *	۴۵۵	۵
خَتَامُهَا	صوابه خَتَامُهَا *	—	—
كَلَّا	حَقُّهُ كَلَّا *	۴۵۹	۱۹
زُبْرَقَانِ	وَالصَّوَابُ بِالْكَسْرِ *	۴۶۳	۱۸
قَبْلُكَ	وَالصَّوَابُ بِالْفَتْحِ وَهَذِهِ خَامِسُ مَرَّةٍ فَهَلْ تَتَوَرَّكُونَ عَلَى الطَّبَاعِ كَمَا هُوَ شَأْنُكُمْ الْيَوْمَ وَفِي قَوْلِهِ عَوَّلُ نَظَرُ *	—	..
تَعَاقَبَ	صوابه تَعَاقَبَ *	۴۷۷	۱۱
الْأُنْثَى	حَقُّهُ التَّلْيِينُ لِلْوِزْنِ *	—	۱۹
ضَوْءُ	الْوَجْهُ بِالْفَتْحِ *	۴۸۰	۲۵
الْبُسَيْطَةُ	صوابه الْبُسَيْطَةُ فَمَا الْمَصْغَرَةُ فَلَا يَدْخُلُهَا أَلْ *	۴۸۴	۲۴
رَجَاجٍ	الْوَجْهُ بِالضَّمِّ وَكَذَا قَوْلُهُ سَابِقًا الضَّرَّ *	—	۲۵
قَبْلَهُ	صوابه بِالْفَتْحِ لَكُونُهُ ظَرْفًا لَكُونُهُ ظَرْفًا لَكُونُهُ ظَرْفًا فَهَلْ تَتَوَرَّكُونَ عَلَى الطَّبَاعِ *	—	۲۸
يَبْدُو مُحَاسِنُهُ	حَقُّهُ تَبْدُو *	۴۸۷	۱۹

صوابه مناهلُ لكونه وقع عروضاً فليراجع *	مناهلُ	صفحة سطر ١٩ ٤٩٣
وفي البيتَين الآخرين تلهوق وخروج عن الفصيح *	..	—
في بيت المتنبي تنطع * ويالك من خد أسيل في البيت الاخر صوابه ويالك *	..	٤٩٤
اشتوا . صوابه شتوا وقوله مثل حقه بالرفع *	..	٥٠١
جنائي وخياره صوابه جنائي وخياره *	١٣	٥٠٣
لذوى الالباب وذى صوابه لذوى الالباب او ذى *	٢٢	٥٠٨
صوابه بالضم * والتنجح	١٢	٥٠٩
صوابه بالفتح اصله تتقاذف حذفت التا الاولى للتخفيف *	١٣	—
صوابه وكل منصوب بحذف الخافض *	١٩	—
صوابه خندف البيت بآخر الصفحة *	..	٥١٥
صوابه يفنى *	٦	٥١٦
صوابه معتب *	١١	—
صوابه كثرة *	٢٢	—
حقه بن *	١٥	٥١٧
صوابه فن *	٢٢	٥٢٠
حقه نفذت *	٢٩	—
الوجه خدع *	٥	٥٣٢
صوابه وعصره *	١٠	—
صوابه تساق *	٩	٥٣٥
صوابه مثل في *	١٠	—
صوابه قنعوا *	١٤	٥٣٥

صَفْحَة سَطْر	عَرَى	صَوَابُهُ عَرَى *	٥٣٨	..
—	• الشَّرْكُ تَعْلَمُهُ	صَوَابُهُ الشَّرْكُ تَعْلَمُهُ *	—	..
—	عَمَاهَا	صَوَابُهُ عَمَاهَا العَمَى بِالْفَتْحِ يَا سَائِذِ *	—	..
٥٣٩	تُجْهِلُ	صَوَابُهُ تُجْهِلُ *	—	..
٥٤١	كَانُوا الْكَارُمُ	صَوَابُهُ الْكَارُمُ * وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي لَهْوَةٌ *	١٩	..
٥٤٢	الْمَغِيطُ الْمَحْنَقُ	حَقُّهُ الْمَحْنَقُ بِمَعْنَى الْحَاقِدِ فَمَا الْمَحْنَقُ	—	..
٥٤٨	فَمَى	فَإِنَّهُ بِمَعْنَى الْمَغْضَبِ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الْمَغِيطِ * صَوَابُهُ فَمَى الْبَيْتِ بَآخِرِ الصَّفْحَةِ *	—	..
٥٤٩	تُنْكِرُ	صَوَابُهُ تُنْكِرُ *	٩	..
—	اِبْتَلَيْتُ	صَوَابُهُ اِبْتَلَيْتُ *	—	..
—	غَدَتْ بَنْتُ	الْوَجْهَ بَنْتُ *	١٩	..
—	قَبْلُ	صَوَابُهُ قَبْلُ لَكُونَهُ ظَرْفًا لَكُونَهُ ظَرْفًا	٢٤	..
—	الزُّبْدُ	وَهَذِهِ سَابِعُ مَرَّةٍ فَهَلْ تَتَوَرَّكُونَ عَلَى الطَّبَاعِ * صَوَابُهُ الزُّبْدُ وَقَوْلُهُ يَاعْقَارُ فِيهِ نَظَرُ *	٢٥	..
٥٥٥	أَنْسُ	صَوَابُهُ أَنْسُ *	—	..
—	يَحْمَدُ	صَوَابُهُ يَحْمَدُ وَقَوْلُهُ خَمْسًا قَبْلَهُ فَلْيَرَا جَعْ *	—	..
٥٦١	فَوْقَ رُؤُسِهِمْ	حَقُّهُ رُؤُسِهِمْ وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ *	—	..
—	جَلَّالٌ	حَقُّهُ اِجْلَالٌ *	—	..
٥٦٦	لَمْ يَلْدَ	صَوَابُهُ يَلْدَ لَأَنَّ الْمَضَاعِفَ إِذَا جَاءَ لِازْمَا	—	..
٥٦٨	لَأَسْقِيَهُمْ	تَكُونُ عَيْنُهُ مَكْسُورَةٌ لَا فِي أَحْرِفٍ نَادِرَةٍ * صَوَابُهُ لَأَسْقِيَهُمُ الْبَيْتِ بَآخِرِ الصَّفْحَةِ *	—	..
٥٦٩	فَيَعْرِضُ	حَقُّهُ فَيَعْرِضُ *	—	..
٥٧٠	كِلَامٌ	صَوَابُهُ كِلَامٌ *	٢٣	..

صفحة	سطر		
٥٧٥	١٤	وَزَهْدٌ	صوابه وَزَهْدٌ *
—	..	يَسَاوِي	صوابه يَسَاوِي *
—	..	نَحْوِ مَبْرَدٍ	حقه المَبْرَدُ *
—	..	هَآكِهَآ	صوابه هَاكِهَآ *
—	..	تَطْنٌ	الوجه تَطْنٌ *
٥٩٠	..	تَفْهَمُوا	صوابه تَفْهَمُوا *
—	..	ذُو	صوابه ذُو و و كَانَّ لَآ سَائِذٌ قَاسُوا الْجَمْعَ عَلَى الْمَفْرَدِ
—	..	بَالٍ	حقه بَالٌ فَانِ الْقَوَافِي كُلُّهَا مَقْيَدَةٌ *
٥٩١	١٣	تَعْلَمُ	صوابه تَعْلَمُ *
٥٩٧	..	بِالْمَشْرِفَى	صوابه بِالْفَتْحِ *
٦٠٨	٢٣	أَرْحَمُ	صوابه أَرْحَمُ *
٦١٠	٢٢	وَيُحَسِّنُ ذَلَّهَا	صوابه وَيُحَسِّنُ ذَلَّهَا *
٦١١	..	اَكَارَعَهُ	حقه اَكَارَعَهُ *
٦١٤	١١	قَبْلَ لَآجَلٍ	صوابه مِنْ قَبْلِ لَآجَلٍ لَيْسَتْ قِيمُ الْوِزْنِ *
—	١٣	لَيْلًا	الوجه لَيْلَى *
٦٢٦	..	جَعَلْنَا عَوَارِضَ	صوابه عَوَارِضَ الْبَيْتِ بَاخِرَ الصَّفْحَةِ *
٦٢٧	..	يُنْصَحَانِ	صوابه يَنْصَحَانِ *
—	..	وَاصْبِرْ	صوابه وَاصْبِرْ وَكَذَا فِي الثَّانِيَةِ *
٦٢٨	..	يَجْبَى	صوابه يَجْبَى مَلِيْنَةٌ لِلْوِزْنِ *
٦٣٣	١٠	جَسْمٌ مَكْرَرَةٌ مَرَّتَيْنِ	وَالصَّوَابُ جِسْمٌ *
—	..	فِي الْآيَاتِ الْآخِرَةِ مَنَعَ مُسْلِمٌ مِنَ الصَّرْفِ أَوَّلَى مِنْ كَسْرِ الْبَيْتِ	
٦٣٣	١٠	وَقَوْلُهُ بَارِدٍ	صوابه بِالتَّنْوِينِ وَالطَّهْوَرِ بِالْفَتْحِ لَا بِالضَّمِّ *
٦٣٥	١٥	الْأَشْقَيْنِ	حقه الْأَشْقَيْنِ *

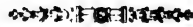
صفحة سطر	مطبَّخه	صوابه مطبَّخه وساباط حقه بالكسراو بالالف *
٦٣٩	..	نائلِك حقه نائلِكُم لانه واقف عروضا *
٦٤١	..	سعاد صوابه سعاد وائرُها صوابه بالفتح وهذه ثاني مرّة
٦٤٥	١٠	صَراغ صوابه بالكسر *
—	١٣	ومصابج صوابه مصروفا لوقوعه عروضا *
—	١٩	ودار وفار حقهما السكون للقافية *
٦٤٦	..	السعلات حقه السعلاة وعمرو بن مسعود شرار الوجه فيها
		كلها النصب *
٦٤٩	١٥	اربعة ص اربعة وفي جبريل تلهوق ونصل حقه فصل *
٦٥٠	..	تزوّج ابن الرواية نزوّج ابن *
٦٥٣	..	معاذ الله صوابه معاذ *
٦٥٨	..	شديد الوجه بسكون لاخر *
٦٦٠	..	ترين صوابه ترين واعلم صوابه واعلم *
—	..	من الحرفة الوجه من الحرفة *
٦٦٢	..	وطيا حقه وطيا *
—	..	فقصر كما صوابه فقصر كما اي غايتكما ومصيركما
—	..	وتلد صوابه تلدا *
٦٦٢	..	فتى هوأحيا الرواية كان احيا *
٦٦٤	..	لعل الله صوابه الله البيت بأخر الصفحة *
٦٦٨	..	يُخزني صوابه يُخزني *
٦٦٩	..	مزيد صوابه مزيد لوقوعه عروضا *
٦٧٢	..	أحب صوابه أحب *
٦٧٤	..	شوامش صوابه شوامس وشوامس الثانية ينبغي ان تكون

صفحة	سطر		
٦٧٨	٠٠	خَبْرَةٌ	صوابه خُبْرَةٌ *
٦٧٩	١٤	شِيا تُجَرِّ	حقه يُجَرِّ *
—	٢٢	اخْفَ	صوابه اخَفَّ *
—	٢٣	وابْصُرْ	صوابه وابْصُرْ *

وما زال الشيخان ماشيين على هذه الطريقة الى آخر المقامات ولو
تقصيت كل ما وقع من الغلط والتحريف فى المتن والشرح لكان مقدارا
عظيما وكفى بما اورده شاهدنا على علمية المشار اليهما وكذب دعوى
صاحبهما فاما ما انتخبه لاسناذ الاعظم مسيو كسان دُ پرسغال من قصة عتروما
الفه فى كلام اهل حلب وما نقله غيره ايضا من الحكايات السخيفة
الريكة فغير جدير بان يصاع فى نقده الوقت اذ كله فاسد *

تم الذنب

تنبيه من عادة الاساتيد المزبورين ومن اشبههم ممن آلف فى العربية
شيا ان يعتذروا عن اغلاطهم الفاضحة بالتورك على الطباع او على صفاى
الحروف بان يقولوا ان وقوع الغلط انما ينشأ عن جهلها باللغة كما ذكرلى ذلك
الكنت الكس دكرانج (Alix DESGRANGE) نقلا عن لاسناذ كسان دُ پرسغال وهو
عذر اقبح من ذنب فان الصفاى كيفما وجهته اتجه ومهما ترسم له
يمثله ألا ترى ان مسيو پيرو (M. PERRAULT, rue de Castellane, 15, Paris)
مع كونه لم يعرف من اللغة العربية شيا فقد امثل كل ما رسمنا له فى
كتابنا هذا من التصحيح والتبديل بغاية التانى وبذل مجهوده فى صف
الحروف وجودة الطبع حتى جا بحمد الله احسن ما طبع بلغتنا فى
البلاد لافرنجية فلهذا ننوء باسمه عند كل من شاء ان يطبع شيا بالعربية
ولاشك انهم يحمدون سعيه ويرضون عن صنعه وان لم يكن فى المطبعة
السلطانية وكفى بحسن العمل وصاة *



بيان ما وقع في هذا الكتاب من الغلط والتحريف

الاصواب	صفحة سطر الغلط	الاصواب	صفحة سطر الغلط
الجلّاهق *	الجلّاهق ٢٠ ١٥٣	السبيل *	السبل ٣ ٣
هَيْتَاها *	هَيْتَاها ٣ ١٦٧	الفيرز آبادي *	الفيرز آبادي ١١
جِيصاها *	جِيصاها ١٤ —	قديِر *	فديِر ١٤ ١٣
وَرَسْمها *	وَرَسْمها ١٢ —	طَفُت *	طَفُت ٢ ١٥
عِيكانها *	عَتكانها ١٣ —	بَحِث *	بَحِث ٣ —
مَعْرَزما *	مَعْرَزما ٧ ١٦٨	الدنيا *	الدينا ٨ ٢٣
الرجوع *	الرجوع ٥ ١٧٦	نَوَة *	بَوَة ١٢ ٢٥
فانما *	وانما ١٤ ١٧٧	قد *	فد ١١ ٣٤
النَجْشِين *	النَجْشِين ٢١ ١٨٤	اليثاك *	الياك ١٤ ٣٨
هَزْمَة *	هَزْمَة ٤ ١٩١	حَتَّى *	حَي ١٠ ٥٩
اِقْضَى *	اِقْضَى ١٤ ١٩٦	تَتَوَل *	تَتَوَل ١٤ ٦٤
والْحَش *	والْحَش ١٣ ٢٠١	هَنِيئًا *	هَنَئًا ١٠ ٧٩
كَانَ *	كَانَ ١٧ ٢١٠	بَحِث *	بَحِث ١٥ ٩٤
لِى *	لِى ٧ ٢١١	قِييْحَة *	فِييْحَة ٨ ٩٥
المَعْصُود *	المَقْصُود ٢٠ ٢٢٣	رَأْمَة *	رَأْمَة ٤ ١٠٤
أَمْ دِفَار *	أَمْ دِفَار ٦ ٢٣٠	نَشْرَة *	نَشْرَة — —
وَهَبِّيْحَة *	وَهَبِّيْحَة ٢٠ ٢٤٣	الرَّثْم *	الرَّثْم ١٨ ١٠٦
السُّنْطَبَة *	السُّنْطَبَة ١ ٢٥١	البَقَار *	الباقِر ٢١ ١١٨
دَعْصا *	دَعْصا ٤ ٢٥٣	وَأَعْفِيت *	وَأَعْفِيت ٩ ١٤٢

صفحة سطر الغلط	الصواب	صفحة سطر الغلط	الصواب
٢٥٣ ١٠	ابو براتل كذا هي في نسخة	٣٠١ ١٦	كالا باريق
	القاموس التي عندي بالفتح الا ان	٣٠٦ ١٤	البَلَطُ
	قوله البراتل كعلاط ما استدار من	٣١١ ١١	الثوب المخطط
	ريش الطائر حول عنقه يقتضي	٣٢٧ ١٥	مآما
	انه مضموم *	٣٣٣ ٨	تملقه لها
٢٦٥ ٨	الباقر	٣٤٥	والنطف
— ٢٠	العرز	٣٧٥	سيفنية
٢٦٩ ١٦	والطبن	٤٤٣ ١٣	البادي
٢٧٢ ١٥	فيطبخ	٤٤٤ ١٧	تبجهم
٢٧٥ ١٥	والقيصانة *	٤٥٥ ٧	كلما
٢٨٢ ١٥	السكركة	٤٦٤ ٢	عمناس
٢٨٤ ٢٠	صفيطية	٤٦٩ ١٢	تصبي
٢٩٥ ٥	والنطفة	٤٨٩ ١	مضافة
٣٠٠ ٤	والمندل	٥٠٥	الا
٣٠١ ١٠	الى النداء *	٦١٠ ٩	حدسه
— ١٤	الصراحيات	٦٨٢ ٦	لجرجا

لقد تم والحمد لله طبع هذا الكتاب البديع وكان ذلك
في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية
الموافقة لسنة ١٢٧٠ هجرية *

A MM. LES AUTEURS OU ÉDITEURS

DE LIVRES COMPOSÉS EN LANGUES ÉTRANGÈRES

M

J'ai l'honneur de vous informer que je viens d'établir un atelier spécialement consacré à l'impression des livres composés en LANGUES ÉTRANGÈRES, telles que : le *Grec*, le *Russe*, le *Polonais*, le *Syriaque*, l'*Arménien*, le *Moldave*, le *Copte*, le *Samaritain*, le *Chinois moderne*, etc. ; et principalement l'**Hébreu** et toutes les langues orientales, **Turque**, **Arabe**, etc.

Combien d'auteurs et d'éditeurs n'ont-ils pas reculé devant les difficultés sans nombre et les *frais énormes* que nécessitait la publication des livres de ce genre exceptionnel dans les imprimeries non organisées pour cette spécialité, et manquant, par conséquent, d'ouvriers aptes à ce travail, qui demande des connaissances plus spéciales que celles que l'on exige des typographes ordinaires. Et encore, ceux que ces difficultés ne rebutaient pas, ne trouvaient-ils que bien difficilement un imprimeur qui consentit à se charger de telles impressions, même à des prix très-élevés. D'un autre côté, quand, à force de démarches, ils rencontraient un imprimeur qui voulût bien accepter la responsabilité d'un travail aussi difficile, à quelle lenteur fallait-il se résigner avant d'arriver au terme de l'impression, qui, en fin de compte, était defectueuse et fourmillait de fautes. Découragés par tant d'obstacles et par de si graves inconvénients, les auteurs réduisaient le plus souvent en petite brochure un ouvrage conçu d'abord dans de larges proportions, et c'est ainsi que nous nous trouvions privés de livres très-curieux et scientifiques. Aussi, par suite de l'aplanissement de toutes ces difficultés, jusqu'à ce jour si difficiles à surmonter, plusieurs auteurs, quoique résidant à l'étranger, se sont-ils décidés à me confier plusieurs ouvrages importants à la publication desquels ils avaient entièrement renoncé, et dont la parfaite exécution m'a valu des félicitations de la part de Messieurs les auteurs.

Dans le cas, M. . . où je serais assez heureux pour vous paraître digne d'obtenir votre confiance, et que vous ayiez quelques ouvrages en *langues orientales* à publier, vous trouverez dans le livre de M. Faris Chidiac le spécimen de mes caractères (entièrement neufs) *Turcs*, *Arabes*, etc., que je puis mettre à votre disposition. Soyez persuadé que vous trouverez avec moi, outre une exécution parfaite et une grande économie de temps, celle d'au moins *vingt-cinq pour cent* sur les prix que sont forcés d'exiger les quelques imprimeurs possédant de ces caractères aussi rares que coûteux.

Tous les ouvrages qui me sont confiés sont imprimés avec le plus grand soin, revus et corrigés (si on le désire) par des personnes exclusivement adonnées à ce travail ardu.

En attendant vos ordres, je suis, M

Votre très-humble serviteur,

A. PERRAULT

Rue de Castellane, 11, Paris

Library of



Princeton University.

PURCHASED FROM FUNDS

GIVEN BY

THE GRANT FOUNDATION



32101 076413127